

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات الشرقية

## بستان الأزهار

في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار

سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار

لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الصبّاغ القلعي (ت990هـ)

— دراسة وتحقيق —

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم

تخصص: الأدب الشعبي

إعداد الطالب:

عثمان مجدوبي

الجزء الأول

السنة الجامعية: 2022 / 2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات الشرقية

## بستان الأزهار

في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب  
والدار لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الصبّاغ القلعي (ت990هـ)

— دراسة وتحقيق —

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم

تخصص: الأدب الشعبي

إشراف الأستاذين:

أ/د: عبد الحميد بورايو

أ/د: لعبيدي بوعبد الله

إعداد الطالب:

عثمان مجدوبي

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/ بوصبع نذير.	أستاذ التعليم العالي - جامعة الجزائر -2.	رئيساً.
أ.د/ بورايو عبد الحميد.	أستاذ التعليم العالي - المركز الجامعي - تيبازة.	مشرفاً ومقرراً.
أ.د/ لعبيدي بوعبد الله.	أستاذ التعليم العالي - جامعة محمد بن زايد - أبو ظبي.	مشرفاً مساعداً.
أ.د/ بن عاشور العربي.	أستاذ التعليم العالي - المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة.	عضواً.
أ.د/ بوحبيب حميد.	أستاذ محاضر (أ) - جامعة الجزائر -2.	عضواً.
أ.د/ بوزواوي محمد	أستاذ محاضر (أ) - جامعة المديّة.	عضواً.

السنة الجامعية: 2023/2022

# الإهداء

إلى روح والديّ الكريمين رحمهما الله  
إلى روح زوجتي الطاهرة رحمها الله  
إلى السموع المضيئة دربي بناتي الثلاث:  
- أميرة، - تسعديت، - مريم بشرى  
إلى إخوتي ولك من علمني وأثار دربي  
أهدي ثمرة جهدي.

عثمان .م.

# الشكر

قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾

الآية-7سورة إبراهيم

في البداية أود في فاتحة هذا العمل أن أهزل عظيم الشكر والتقدير وأسمى عبارات الامتنان والاحترام إلى الأستاذين الفاضلين المشرفين : الدكتور عبد الحميد بورايو مشرفا والدكتور لعبيدي بوعبد الله مشرفا مساعدا اللذين تفضلا بقبول الإشراف على هذا البحث وتعهدها بالرعاية والتابعة في كل أطواره ومراحلها إلى أن استوى على هذه الصورة . وقد وجدت فيهما كل الدعم والمؤازرة لما تميزا به من رجابة صدر وعجيل حلم فلم يبخل عليّ بالنصائح والتوجيهات القيّمة طوال مدة البحث .

والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرين الذين تجسّموا عناء قراءة العمل وتقويمه فلهم مني جميعا أسمى آيات التقدير وعظيم الاحترام .

إلى الأستاذ الشريف مربي الذي اطلع على التصور الأولي لسردع البحث وشجعني على إنجازه وتحقيقه .

إلى الأستاذ يوسف نواة الذي ساعدني كثيرا في تخريج عدد من الأبحاث النبوية.

إلى الأساتذة الزملاء احمد بنار، عبد الحميد بوسماحة، العربي بن عاشور، مسعود

ناهلية، أناس خير الذين على الدعم والمساعدة التي قدموها لي.

إلى الموظف رضا التخصص في الإعلام الآلي بالدرسة العليا للأساتذة الذي

يعود إليه الفضل في تخريج هذا البحث في جلته الأنيقة.

إلى هؤلاء جميعا تحية تقدير وعرفان .

والله ولي التوفيق .

ع.م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة



يعتبر الشيخ أحمد بن يوسف الملياني (الراشدي) من أبرز الشخصيات الصوفية في عصره، وأكثرهم تأثيراً- بمنهجه الدعوي وشخصيته القوية، وبمؤلفاته وكتاباتة المختلفة، وبمواقفه التاريخية- من بين كل معاصريه الذين اعترف الكثير منهم بولايته الروحية وسمو مكانته العلمية، وقد عرف عنه أنه زروقي الطريقة في بداية عهده بالتصوف، ولكنه ما لبث أن استقل عن طريقة شيخه زروق، وأنشأ طريقة صوفية جديدة حملت اسمه فيما بعد، وعرفت باليوسفية نسبة إليه، ولكن هذه الطريقة ظلت تسبح في محيط ومنهج طريقة أحمد زروق، ولم تبتعد عنها، بل اتخذت من قواعد الزروقية مبادئ وركائز لها، ولم تختلف عنها إلا في بعض الجزئيات الثانوية، ومعلوم أن طريقة أحمد زروق هي امتداد للطريقة الشاذلية المنتشرة في كامل المغرب الإسلامي آنذاك.

وهكذا تبدو شخصية أحمد بن يوسف الملياني امتداداً للنهج الدعوي لمدرسة بجاية في التصوف، والتي كان قطبها الشيخ أحمد زروق البرنسي في القرن التاسع الهجري، وامتد تأثيرها إلى القرن العاشر، يتزعمها الملياني كأحد التلاميذ الذين نالوا الإجازة من لدن شيخه في بجاية قبل موته، وقد تجلت تعاليم الطريقتين الزروقية واليوسفية في الدفاع عن أصول الدين، ومبادئ العقيدة الإسلامية في الجزائر، ومحاربة البدع والخرافات التي نفشت بشكل رهيب في إقليم المغرب الأوسط خصوصاً، وكادت تعصف بهوية المجتمع الدينية، وتحل محل العقيدة الصحيحة.

إن خلاصة ما تركه الملياني من مؤلفات ورسائل تبرز حرصه على حث الخاصة والعامة على التمسك بالدين والدفاع عن الكتاب والسنة كمقومات الحفاظ على الوجود والهوية والوطن.

وقد خلد الصباغ القلعي سيرته الصوفية وجمع مدونة كبيرة في مناقبه، وكراماته وأحواله، وحول هذه المدونة المناقبية عن الشيخ أحمد بن يوسف، وسيرته الصوفية سوف تكون إشكالية البحث التي تقوم على الأسئلة الآتية:



ما مدى مساهمة أحمد بن يوسف الملياني في استقرار أوضاع البلاد من خلال بث أفكاره ونشر منهجه الدعوي؟.

- كيف تعامل الملياني مع الفقهاء المعارضين له؟.
- ما طبيعة العلاقة التي كانت بينه وبين أمراء مملكة بني زيان؟.
- لماذا لجأ الأتراك العثمانيون إلى المتصوفين عموماً، وأحمد بن يوسف الملياني خصوصاً للاستعانة بهم؟.
- ما منزلة أحمد بن يوسف الملياني عند الإخوة عروج وخير الدين؟.
- هل يمكن اعتبار مؤلف الصباغ عن شيخه مصدراً كافياً ومستوفياً لمختلف المحطات التي مرّ بها الشيخ أحمد بن يوسف في حياته؟. أم أنه أحاط بجوانب من حياته وسكت عن أخرى؟
- ما مدى التزام خطاب المناقب بنقل الحقائق التاريخية الصادقة، والوقائع الموضوعية؟.
- هل يتوفر خطاب المناقب في حدوده وأطره على مقومات الإبداع الفني، وخصائص الجنس الأدبي؟.
- ما هي طبيعة الوظائف التي استبطنها خطاب المناقب والكرامات الصوفية التي حرص "الصباغ" على تنسيبها للشيخ "أحمد بن يوسف" خاصة، ولغيره من الأولياء عامة؟.
- إلى أي مدى يشكل خطاب المناقب أداة سحرية قوية في يد الولي للتأثير في المريدين، والمتعاطفين معه قصد السيطرة عليهم، وتوجيههم إلى ما يخدم استراتيجيته، واستمرارها؟.

إن هذه الأسئلة وغيرها تمثل نواة إشكالية هذا البحث ومركز ثقل الدراسة التي نسعى من خلالها إلى الإجابة عنها، والكشف عما خَفِيَ في سيرة الصباغ عن شيخه الملياني، وعمّا سكت عن الإفصاح عنه.

### - أهمية المخطوط ودوافع تحقيقه:

يعود سبب اختياري لهذا المخطوط كموضوع للبحث والتحقيق والدراسة إلى:

- طبيعة مضمونه، فهو حافل بالمناقب والكرامات، والحكايات الصوفية، وهو ما يندرج ضمن تخصصي من جهة، ومن جهة أخرى فإن احتواء المخطوط على المتن المذكور يجعله مصنفاً خالصاً في صميم الثقافة الشعبية، ومنه ينتزع شرعيته وأحقيته في التحقيق والدراسة.

- كون المؤلف مخطوطاً والمخطوط معرض إلى التلف والضياع بتقادم الزمن، بفقد صفحات منه، أو تقطع حوافيه أو أجزاء منه، ومن ثمة يمكن إخراجها إلى الوجود ليروى النور، ولتمكين الجمهور الواسع من القراء والباحثين من الاطلاع عليه والاستفادة منه.

- ندرة الدراسات والبحوث المهمة بتحقيق المخطوطات التي لها صلة بالتراث الشعبي والتي تعتبر شاهد عيان على ازدهار الحياة الثقافية في العهد العثماني وما قبله - فيما نعلم - مقارنة بالعناية الكبيرة التي حظي بها ماضي الجزائر التاريخي.

- النظرة الدونية إلى المؤلفات التراثية ذات الطابع الشعبي من قبل الباحثين الجزائريين المعاصرين، في حين نجد هذا الاهتمام قد بلغ أوجه لدى الباحثين الغربيين عامة والفرنسيين خاصة غداة احتلالهم للجزائر.

- لفت نظر الباحثين في التراث الشعبي إلى قيمة هذه المخطوطات وما تحمله في مظانها من جواهر نفيسة، ومكونات ثمينة، تحدد معالم ثقافتنا، وتكشف عن قيمها، وأبعادها، وهي كما قال "أبو القاسم سعد الله" ثقافة مهما قيل عنها فهي جزء من ماضينا المشرق، وهي التي نستمد منها اليوم ذاتنا، وحققتنا، فالجزائري اليوم يجب

أن يعتر بهذه الثقافة والانتساب إليها، لأن الشعوب التي ليس لها ثقافة ليس لها وجود.

- إن مؤلفا كهذا هو- بلا شك - أثر من آثار أحد أعلام الجزائر القدامى الذين كان لهم شأن عظيم، وحضور قوي في الحركة الثقافية للجزائر، وقد عزّ علينا أن يبقى مجهولا منسيا لا يُؤخَذ عنه، ولا يُستفاد منه.

هذه باختصار أهم الأسباب والدوافع التي حفزتي على تحقيق المخطوط ودراسته.

### - منهج التحقيق والدراسة.

ولما كان عملنا في عمومته وشموله يتسم بالمزاوجة بين التحقيق والدراسة فإن إشكالية المنهج الذي ينبغي الاعتماد عليه في مثل هذه البحوث مطروحة بحدة في ظل عدم كفاية إمكانية التعويل على منهج واحد، نظرا لقصور قواعده وإجراءاته التي لا تستجيب لمتطلبات البحث وقضاياها المتعددة، وعليه فإنني لم أسلك في عملي سبيل منهج واحد لقناعتي بأن تنوع المناهج واستثمار ما فيها من أدوات وآليات كفيل بتذليل الصعاب والمعيقات، وتيسير خطى السير نحو بلوغ غايات البحث ومقاصده.

وبناء على هذا أشير إلى أنني أفدت من عدد من المناهج تبعا لتنوع مادة البحث، وانفتاحها على مشارب معرفية متعددة، بدءًا بمنهج التحقيق الذي فرض نفسه في كل مراحل وأطوار التحقيق لما يوفره من أدوات إجرائية وضوابط صارمة، وفيه حاولت إثبات صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه، وتخريج متن المخطوط مضبوطا بالاعتماد على النسخ المتوفرة لديّ قصد إجراء المقارنة فيما بينها من أجل تصحيح الأخطاء، وتصويبها، وإتمام المحذوف، وتوضيح الغامض، إلى جانب خطوات أخرى في مجرى التحقيق، كوضع الفهارس، وتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والآيات الشعرية، مضبوطة بالشكل، وترجمة الأعلام المذكورين في المخطوط.

كما شكل المنهج النقدي التاريخي حضوره في المباحث التي تتعلق بالمعطيات التاريخية المرتبطة أساسا بالفترة التي عاش فيها الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، وأهم الأحداث التي شهدتها تلك الفترة، وموقفه منها. كما استعنت بالمنهج الاجتماعي السياسي في بحث طبيعة سلطة الولي وأبعاد تأثيرها من جهة، وبيان علاقة الشيخ بالمريد، وما ينطوي عليها من تبعات من جهة ثانية.

وقد أفادني المنهج النفسي في استجلاء البعد النفسي لوظيفة المناقب فيما تستهدفه من أسر المتلقي والزج به في عالمها بوسائلها المختلفة، تمهيدا لبسط السلطة الروحية للولي قصد إحكام السيطرة على المجتمع.

#### - مصادر الدراسة:

أغلب مصادر التحقيق تراثية، بعضها مخطوطات وبعضها مصادر مطبوعة ومراجع منشورة. إلى جانب دراسات وأبحاث متعددة لها علاقة بالموضوع، أفدت منها في القسم المتعلق بالدراسة في حدود حاجة مطالب البحث، وهي متنوعة تنوع قضايا ومحاور الدراسة، أذكر بعضا منها:

- ابن رمضان فرج: "الدراسة الأدبية للكرامة الصوفية أسسها، إجراءاتها، رهاناتها. الجزء الأول: الكرامة من التصوف إلى الأدب". وإن لم تسعفنا الظروف في الحصول على القسم التطبيقي فإن القسم النظري من هذه الدراسة أفادنا كثيرا، وبسط لنا مفاهيم كثيرة، وقضايا ورؤى لم نجدها في غيرها من المصادر التي رجعنا إليها، وقد دعا صاحبها إلى إعادة النظر في مفهوم الكرامة الصوفية، عبر مساءلتها من الداخل، قصد تحليلها، وتفكيكها، ومن ثمة تصنيفها. واقترح ضرورة الاهتمام بالنص العتبي أولا باعتباره يقع في مقدمة النص المنقبي، وأنه من الأهمية بمكان أن يتم استنطاق مجاهيله، والكشف عن حجه، قبل النظر في النص الكرامي في حد ذاته.

- عبد السلام المنصوري: "بنية الخطاب المنقبي، طلاق العقل وأوهام التاريخ". فقد أفدت من هذه الدراسة في الجانب المتعلق بوظيفة المناقب الصوفية، وفهم طبيعة الخطاب الكراماتي القائمة على تفجير اللغة العادية، وتوسيع أفقها الدلالي، والخروج بها عن أصل المواضعة، وحدود المؤلف، من خلال اعتمادها على الخيال المطلق، في خرقها المستمر لعالم الواقع، ولمعطيات الظاهرة المباشرة المحسوسة، وفي تعديها واستبدالها الفاضح على مبادئ العقل، وقواعد المنطق، وقوانين الطبيعة، ونواميس الكون، لتتفتح على عالم المرئي والأحلام.

- عبد العزيز شبيل: "نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب". أفدت كثيرا من هذه الدراسة خاصة في بحث فكرة التجنيس في الأعمال الأدبية وتحديد النظر في موقع المنقبة ضمن خارطة الأجناس في الثقافة العربية.

- نجمي عبد الله: "التصوف والبدعة بالمغرب، طائفة العكاكزة". وقد كرس هذه الدراسة للتعريف بطائفة العكاكزة، وتحديد مجالها الديني الذي تتكئ عليه، فهي طائفة صوفية تشربت من ينابيع الشاذلية، وارتوت من فكر الزروقية، قبل أن تستقل بجسمها في إطار جديد تحت سقف اليوسفية الراشدية. غير أنها ابتعدت كثيرا عن جادة الصواب، وسلكت مسلكا اتسم بالمروق والغلو في الدين، واعتبرت من الطوائف البدعية في المغرب. فقد أفدت من هذه الدراسة كثيرا خاصة فيما يتعلق بأحوال هذه الطائفة، ومؤثراتها الفكرية، ومسالكها العقائدية، وما ألحقته من ضرر وسوء سمعة بسيرة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني وطريقته الصوفية.

- نللي سلامة العامري: "الولاية والمجتمع". أفادتي هذه الدراسة في بحث سلطة الولي وأشكال تجليها في الخطاب المنقبي من جهة، وأثارها في سلوكيات شرائح واسعة من المجتمع الجزائري من جهة أخرى.

- الهاشم أسمهر: "عتبات المحكي القصير". وقد أفدت من هذه الدراسة في المبحث المتعلق بالسند في المناقب والكرامات الصوفية، من حيث حضوره، وأنواعه، ووظائفه، ودلالاته.

هذه باختصار بعض المراجع التي استفاد منها هذا البحث واستنار بتجربة مؤلفيها، بالإضافة إلى دراسات أخرى كثيرة أشرنا إليها في مواطن مختلفة منه.

وكل عمل يروم الإنسان إنجازَه إلا ويصادف في طريقه عقبات وصعوبات تحاول الحد من عزيمته والحوول دون بلوغ أهدافه. وما أكثر الصعوبات التي واجهتني في تحقيق هذا الكتاب ومنها :

- ضخامة حجم المخطوط في شكله الأصلي إذ بلغت عدد أوراقه 172 ورقة، ومعدل السطور في كل الصفحات على اختلافها 29.5 سطرا، وهذا ما شكل لنا مصدر إرهاق وتعب شديدين، وتطلب منا إنفاق وقت طويل لتصفح خطوط كل نسخة من النسخ المتوفرة عبر شاشة جهاز الإعلام الآلي، كون الحصول على النسخ الورقية للمخطوط متعذرا على الباحث بسبب رفض القائمين عليها تسليمها لنا بحجة الخوف من التلف الذي قد يلحق بالمخطوط جراء الملامسة المتكررة له، وعليه فقد انخفضت قدرتنا البصرية إلى مستويات مقلقة، وتطلب منا تغيير مقاس النظارات أكثر من مرة بسبب تأثير الإشعاعات الإلكترونية المنبعثة من الشاشة .

- رداءة خط بعض النسخ وصعوبة قراءته، وغموض رسم كثير من الكلمات في متون المخطوطات المعتمدة، إضافة إلى وجود مساحات بياض، أو حذف في كثير من الصفحات، أو تحلل الحبر الذي كتب به المخطوط، فينتشر على ما حوله من الحروف والكلمات، فيزيد من صعوبة قراءة المكتوب، وقد صادفنا حذف عدد من الأوراق في نسخة من النسخ، فيضطر الباحث إلى الاتكاء على النسخ الأخرى لإتمام التحقيق .

وأخيرا فقد انضاف إلى جملة هذه الصعاب وفاة الزوجة وانتقالها إلى رحمة الله، وقد أثر في هذا الحدث الأليم تأثيرا بليغا وأصبت بحبسة على مستوى الذهن لمدة تزيد عن السنتين لم أتمكن خلالها من كتابة حرف واحد. ورغم كل هذا فقد استيقظت فينا العزيمة، وعملنا ما أمكننا من طاقة وجهد في سبيل تحقيق المخطوط، وإخراجه في حلة مقبولة، شكلا

ومضمونا، وعليه فقد تم تصور خطة البحث في ثلاثة أقسام كبرى مستقلة: يمثل القسم الأول مجال الدراسة، ويمثل القسم الثاني جانب تحقيق المخطوط، وتم تخصيص القسم الثالث للفهارس العامة.

يحتوي القسم الأول على بابين:

يضم الباب الأول وعنوانه: أحمد بن يوسف الملياني وكتابه "بستان الأزهار" ستة فصول.

### الفصل الأول بعنوان: عصر أحمد بن يوسف الملياني:

وفيه تطرقنا إلى الحياة السياسية والثقافية، والاجتماعية والدينية لعصر المؤلف وما تميز به من أحداث وتقلبات.

### أما الفصل الثاني فكان بعنوان: ترجمة أحمد بن يوسف الملياني.

وفيه حاولنا الإلمام بكل ما يتعلق بحياة هذا الولي من الولادة والنشأة والانتساب إلى ما بعدها. وقد وقفنا على مختلف المراحل والأطوار التي مرّ بها أحمد بن يوسف تلميذا في مؤسسات التعليم بمسقط رأسه "قلعة بني راشد"، وانتقاله إلى حاضرة تلمسان طالبا، ثم انتقاله إلى بجاية مريداً من مريدي الشيخ أحمد زروق الذي سلك به طريق التصوف، في مضمار تعاليم الشاذلية، ووقفنا على تصدره للمشيخة في الزاوية التي أنشأها في "رأس الماء"، وبداية نشر دعوته، وأفكاره بين الطلبة المريدين. ولم يفتنا أن نحيط بحياته الخاصة بالعناية والاهتمام، ووقفنا على عدد زوجاته وأبنائه، وطريقة عيشه، وكذا تطرقنا إلى أساتذته، وشيوخه في الطريق، فترجمنا للكثير منهم بما أمكننا الوقت والجهد وتوفر المصادر والمراجع.

### الفصل الثالث: مكانته العلمية ودوره السياسي خلال القرن 10 هـ.

وكان هذا الفصل امتدادا للفصل الثاني، لأن وفرة المادة وغزارة المعلومات المتعلقة بحياة هذه الشخصية جعلتنا نستحدث هذا الفصل، ذلك لإحداث توازن بين مواد البحث

وفصوله. وفيه وقفنا على تلامذة الشيخ الملياني وعلاقته بهم، وطريقته في إثبات تفوقه على خصومه من الأولياء والفقهاء في ذلك العهد، وإذعانهم له، كما أمكننا البحث والتتقيب عن تراثه الفكري من الوقوف على أهم ما ألفه من كتب ورسائل، وما خلفه من تأثير روحي كبير، كلفه غالبا من خلال سوء العلاقة بينه وبين أمراء إمارة بني زيان، بسبب ولائه للسلطة العثمانية، وتعاونه معها لطرد الاستعمار الإسباني، وإسقاط حكومات أمراء بني زيان المتحالفة مع العدو، وختمنا كل هذا بمحاولة إثبات سنة وفاته في خضم تضارب الآراء والتخمينات الواردة في عدد من المصادر التي قمنا بمعاينتها،

### الفصل الرابع: ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي

مؤلف كتاب "البستان".

وفيه تناولنا مولده ونشأته ونسبه، ووقفنا على أهم المحطات التي شكلت حياته العلمية، وتتبعنا مختلف مراحل تدرجه في السلم الاجتماعي والوظيفي والديني، وعلى الرغم من شح المعلومات المتعلقة بحياته أمكننا البحث المستمر من الوقوف على شذرات من حياته، إذ كان تلميذا نجيبا في بداية عهده، ثم انتقل الى حاضرة تلمسان، وهناك انكب على الدراسة على يد أمهر شيوخ ذلك العهد، فانتهى به الأمر إلى تَوَلَّى منصب قضاء قلعة بني راشد، والانخراط في مضمار الحياة العلمية مدرسا، ومؤلفا لعدد من المؤلفات، وهو في كل هذا مدين في نهجه الصوفي لتعاليم طريقة الشيخ أحمد بن يوسف، شيخ والده ، ولم يخف ميله إليه على مدار صفحات كتاب "البستان" الذي ألفه تخليداً له.

### الفصل الخامس: بعنوان: كتاب "بستان الأزهار"

وقد وقفنا فيه على صحة نسبة الكتاب للمؤلف (الصباغ)، وتاريخ تأليفه، والدوافع التي حفزته على تأليفه، كما استعرضنا مضمونه، ومحاوره، وقيمه العلمية، إلى جانب المصادر المعتمدة في تأليفه، وكذا منهجه وأسلوبه، والشواهد القرآنية المتضمنة فيه، والأحاديث النبوية، ونفائس من عيون الشعر العربي الصوفي.



## الفصل السادس: وصف النسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق.

وفيه قمنا بتقديم النسخ مفردة بشكل وصفي دقيق، من حيث شكلها الخارجي، وعدد أوراقها، ونوع خطها، ولون حبرها، وعدد الأسطر فيها، وتاريخ نسخها، وناسخها، إضافة إلى بيان حال المخطوط من جهة سلامته، وخلوه من الحذف والتحريف، ومواضع البياض فيه، وغيرها مما يبرز المخطوط بشكل حقيقي على الهيئة التي يوجد عليها.

أما الباب الثاني فقد كان بعنوان: أدب المناقب وخصائصه. ويضم فصلين:

## الفصل السابع: المناقب ومسألة الأجناس في الثقافة العربية.

وفيه نظرنا فيما لدى العرب من العناية والاهتمام بهذا الموضوع في تراثهم النقدي القديم منه والحديث والمعاصر، وبحثنا عن موقع المنقبة في خريطة الأجناس الأدبية العربية، فلاحظنا خلو التراث النقدي العربي القديم من إدراج المناقب ضمن الأجناس الأدبية، واستمر صرف نظر النقاد العرب عن الاهتمام بالمنقبة وإلحاقها بحقل الأدب إلى غاية أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحالي، حيث حظيت المناقب والكرامات الصوفية بالاهتمام، وأصبحت مركز ثقل كثير من الدراسات النقدية المعاصرة.

وانتهى الأمر عند كثير من النقاد المعاصرين إلى الاقتناع بإلحاق المناقب الصوفية وكرامات الصالحين بحقل الأدب، لما تتميز به من سمات ومقومات الخطاب الأدبي في المقام الأول، حيث يتلاقى فيها الخيال، والأسطورة، والعجيب، والخارق. وبعد ذلك ضبطنا مفهوم المنقبة لغة واصطلاحاً، ووضحنا الفرق بينها وبين الكرامة الصوفية، وتتبعنا مراحل نشأتها وتطورها في حركة التأليف في الثقافة العربية داخل نسيجها الصوفي، وقد ميزنا في مسار تتبع نشأة المناقب وتطورها بين مرحلتين مختلفين: تميزت الأولى بظهور المؤلفات والمدونات، وامتد عمرها من نهاية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث منه، إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر منه، الموافق لنهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين منه، وتحديداً يعتبر كتاب جامع كرامات الأولياء ليوسف

النيهاني(ت.1350هـ - 1931م) والذي ألفه ما بين عامي (1323هـ /1905م - 1324هـ/1906م) آخر المدونات الكرامية المؤلفة. وتميزت المرحلة الثانية بكونها مرحلة ظهور الدراسات النقدية، والبحوث المتعلقة بالمناقب والكرامات الصوفية التي نهض بها فريق من النقاد العرب المعاصرين، وقد وقفنا على ما تيسر لنا من أعمالهم وأبرزنا أهم ما تميزت به دراساتهم، وما انتهت إليه من نتائج.

### الفصل الثامن: طبيعة خطاب المناقب:

وفيه بحثنا موضوع الإسناد في المنقبة، وكذا مختلف الوظائف التي يرشح بها هذا الخطاب، فقد بيننا مفهوم السند لغة، واصطلاحاً، كما ورد في معاجم اللغة، وما استقر في فهم أهل الحديث، والفقهاء، ثم نظرنا في أنواعه، وشكل حضوره في الطرق الصوفية، بحيث غدا شرطاً ضرورياً من شروط الانتساب إلى عالم المشيخة، باعتباره أحد الأركان الأساسية في مضمار الأصول التأسيسية لكل طريقة صوفية، إلى جانب السند في الرواية وكيفية تحققه والغرض منه. وبعد ذلك تطرقنا إلى بحث مختلف الوظائف التي استبطنها خطاب المناقب، وأشكال تحققها، إذ تُلخَّصُ إجمالاً مختلف الأدوار التي اضطلع بها الشيخ أحمد ابن يوسف الملياني واستراتيجيته البعيدة في تحقيق السيادة الولوية، في إقليم المغرب الأوسط.

وقد أنهينا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي أمكننا الوصول إليها. ولفتنا النظر إلى أن سعة المخطوط، وانفتاحه على جوانب معرفية أخرى تستدعي من الباحثين غيرنا خوض البحث فيها، قصد ملء مساحات البياض من حياة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني التي سكت عنها الصباغ، ولم يول لها الاهتمام، كسفره إلى المشرق لطلب العلم، ولقائه بأساتذته، وشيوخه في التصوف، وكذا استقراره بمنطقة القبائل بعد عودته من المشرق، وزواجه هناك من إحدى نساء قرية "زرخفاوة"، بلدية أزفون، ولاية تيزي وزو، وخلفه منها ذرية يعتبرون اليوم أحفادا له. ويضاف إلى هذين الجانبين الغامضين في سيرة الشيخ أحمد ابن

يوسف الملياني ما يشاع من أخبار حول وجود ضريح له بزواوية الشيخ سيدي علي موسى ب تيزي وزو.

وأخيرا فإننا نحسب أننا بذلنا جهدا مضنيا في سبيل التمكين لهذا المخطوط من أن يري النور في حلة جديدة مطابقة للأصل، مستوفيا شروط الأمانة العلمية، والصدق الجاد في حدود طاقتنا، وها نحن نقدمه على علته ونقائمه للتقويم والحكم، معترفين بقصورنا على بلوغ الرضا والكمال، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمننا ومن الشيطان، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الجزائر في 2023/04/06

# القسم الأول

## الدراسة

**الباب الأول**  
**أحمد بن يوسف الملياني وكتاب**  
**"بستان الأزهار"**

## الفصل الأول

-عصر أحمد بن يوسف الملياني-

المبحث الأول: الحياة السياسية

المبحث الثاني: الحياة الثقافية

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية

المبحث الرابع: الحياة الدينية

## 1.1 الحياة السياسية.

تعتبر الفترة التي عاش فيها أحمد بن يوسف الملياني (ق10هـ.16م) فترة حرجة بالنظر إلى ما سادها من أحداث وفتن، حيث عاش الشمال الإفريقي أواخر هذا القرن اضطرابات وقلقل لا تختلف عما كان يحدث في الأندلس قبل سقوطها. وقد أثرت هذه الأوضاع غير المستقرة على الحالة السياسية والاجتماعية والثقافية لدول المغرب الإسلامي عموماً غير أن تأثيرها على الجزائر كان أكثر ضراوة من القطرين الشقيقتين تونس والمغرب ذلك لأنها وقعت في منطقة تجاذب ونفوذ بينهما كما سيأتي تفصيل ذلك.

ولما كانت الأحداث التي تعرض لها الشمال الإفريقي في هذه الفترة ذات علاقة مباشرة بما حدث قبلها في الأندلس، فإننا آثرنا بداية الحديث عن هذه الفترة، وعن اللحظات الأخيرة لسقوط غرناطة بصفة أخص، لأنها فترة عاشها الشيخ أحمد بن يوسف الملياني بكل جوارحه، وتتبع جزئياتها ومضاعفاتها وعواقبها الوخيمة على وطنه الجزائر بالخصوص فيما بعد، عندما انتقل المد المسيحي إلى سواحلها، وكاد يعرف نفس المصير الذي عرفته الأندلس، لولا يقظة أهله، ونجدة الخلافة العثمانية لهم.

لقد كانت سنة 1479م حدثاً فارقاً في تاريخ إسبانيا النصرانية، حيث تحققت فيه الوحدة الترابية لإسبانيا بين "إيزابيلا" الكاثوليكية ملكة قشتالة وزوجها "فرديناند الثاني" ملك مملكة أراغون، وقد كان لهذه الوحدة العامل الحاسم في استعادة هذه الإمبراطورية قوتها العسكرية، وأصبحت على أهبة الاستعداد للانقضاض على ما بقي من دويلات الإسلام في الأندلس، وكان حال الأمراء المسلمين هناك - حسب ما أشار إليه صاحب شجرة النور - إلى الانقسام والتنافر وتعارض الأغراض والشهوات من الأمراء والثوار بتلك الجهات الذين لم يعتبروا ما في الانقسام من المضار<sup>1</sup>، وقد اغتتم الطاغية الإسبانية فرديناند الثاني وزوجته

1- محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف: (ت1360هـ) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: تح، وتع، عبد المجيد خيالي. ط2، ج2. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 2010م. ص170.

الفرصة، وشرعا "في محاصرة جهات غرناطة [...] وأجرت أمور وحروب بين المسلمين والطاغية حتى استولى على ما بقي بالأندلس شيئا فشيئا، فكان الاستيلاء على مالقة سنة (893هـ-1488م)، وعلى غرناطة والحمراء سنة (897هـ-1492م)، بعد حصار أصاب المسلمين فيه شدة الجوع، وتكاثر الكروب، وتفاقم الخطوب، فكاتبوا الطاغية في الصلح واشترطوا شروطا"<sup>1</sup>. ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا إليها ووافقوا عليها، وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم، ونزل سلطان غرناطة أبو عبد الله عن الحمراء"<sup>2</sup>. وخيروه بين البقاء والرحيل، فاختر الرحيل إلى فاس، ولم يلبث النصارى بعد ذلك أن "نقضوا تلك الشروط شيئا فشيئا ونكثوها عروة عروة إلى أن آل الأمر إلى تمكين الكردينال كيميبيس من إعدام جميع أثار المسلمين، وأمر بإحراق ثمانين ألف كتاب بخط اليد في ميادين الرحبات العامة بغرناطة"<sup>3</sup>.

بعد هذه الجريمة النكراء في حق العلم شرعت الكنيسة في تنفيذ مخططاتها العدوانية الحاقدة على كل ما له صلة بالإسلام، ذلك أن "ديوان التفتيش أكره من بقي من المسلمين في إسبانيا على اعتناق النصرانية غير عابئ بما نصت عليه شروط الاستسلام"<sup>4</sup>. بيد أن فئة منهم امتنعوا" من التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك [...] فجمع لهم العدو الجموع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسبيا"<sup>5</sup>. ويضيف صاحب شجرة النور بأنه "لم يبق بالأندلس

<sup>1</sup> - تضمنت معاهدة تسليم غرناطة سبعة وستين شرطا: منها تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم، وإقامة شريعتهم على ماكانت، وأن تبقى المساجد كما كانت ...

- ينظر مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح وتو عبد المجيد خيالي ، ج2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان 2010م ، ص170. كما ذكر هذه الشروط أيضا الناصري شهاب الدين أحمد بن خالد السلاوي(1250-1315هـ) في "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى": اعتنى به محمد عثمان، ط2. ج2. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 2010م. ص172.

<sup>2</sup> -مخلوف:المصدر نفسه، ج2، ص172.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه: ج2، ص171.

<sup>4</sup> - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية. تر- منير البعلبكي، ونبيه أمين فارس، ط1. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1948م. ص343.

<sup>5</sup> - الناصري، أحمد بن خالد السلاوي : الاستقصا. ط2، ج2. ص174.



بعد إكراههم على ما ذكر من يجهر بكلمة التوحيد والآذان وجعلت في المساجد والمآذن النواقيس والصلبان".<sup>1</sup>

ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية ويصلي، فشدد النصارى في البحث عنهم حتى أنهم أحرقوا كثيرا منهم بسبب ذلك<sup>2</sup>. وخيروا الباقين منهم بين أمرين؛ إما "التنصر أو الخروج. فخرج الكثير منهم ووصلوا لإفريقيا الشمالية سنة 1017هـ والتي بعدها، وكانوا خلقا كثيرا، وانتشروا في المغرب الأقصى والأوسط وإفريقيا\*<sup>3</sup>. وهكذا انتقلت إسبانيا بعد وقت قصير من "حرب الاسترداد إلى مرحلة الهجوم على أراضي المغرب"<sup>4</sup>.

كما نسجل في هذه الظروف تعاضم قوة الأسطول البرتغالي في هذا العهد وخاصة القوة البحرية، ما جعل هذه الإمبراطورية تفكر في توسعها العسكري باحتلالها أراض خارجية، وذلك في القرن الخامس عشر، وحدث أن اتفقت الإمبراطوريتان المتتاميتان الإسبانية والبرتغالية على تقسيم إقليم المغرب الكبير إلى مجالين توسعيين لأطماعهما، وجعله منطقة نفوذ جديدة على خلفية الضعف والتفكك الذي ما فتئ المغرب يشهده سياسيا واجتماعيا بمرور الزمن. وإلى جانب التفوق العسكري الإسباني في هذه الظروف يجدر بنا أن نسجل أيضا بروز دور الكنيسة المسيحية ورجال الدين المسيحيين الذين دفعوا ملوكهم إلى الثأر من المسلمين، وعملوا على تحميس الجنود وإثارة عواطفهم ومشاعرهم نحو ما يسمونه بالحرب المقدسة، مما جعلهم "يتحرقون شوقا إلى السلب والنهب، واستباحة دماء المسلمين، وأعراضهم، وممتلكاتهم"<sup>5</sup>. وبدأ الغزاة الإسبان فعلا حملاتهم الصليبية وأصبح الخطر يهدد

1 - مخلوف: مصدر سابق: ج2. ص171.

2 - الناصري: مصدر سابق: ج2. ص172.

\* - إفريقيا: هو الاسم القديم لتونس.

3 - مخلوف: مصدر سابق: ج2. ص171.

4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي. ج5، ط1. مكتبة مدبولي، القاهرة 1994م، ص188.

5 - المرجع نفسه، ص188.

سواحل الشمال الإفريقي، وراحوا يعبثون بمدنه وقلاعه"عبثا كان وصمة وعارا على صفحات التاريخ، وبلغت الشيخوخة بالدول الإسلامية الثلاث مبلغا أوصلها إلى درجة الموت، فدولة الحفصيين التي ازدهرت وأينعت بتونس الخضراء-وكانت من أهم دول الإسلام ومن أشدها قوة وبأسا- قد تضاءلت ونخر سوس الشقاق عظامها، ودولة بني عبد الواد في تلمسان - وقد كانت من أعظم الدول الراقية التي أخرجت للناس قوة مادية وسموا في العلوم والآداب والمدنية- قد انحطت إلى أسفل دركات الضعف والانحطاط بسبب افتتان أمرائها على السلطة. ودولة بني مرين الزاهية الزاهرة صاحبة الآثار العظمى والبدائع العمرانية الفتانة أصابها بفاس الانحلال، وضعفت قواها المادية والمعنوية، وأشرفت على الاضمحلال. وأمام هذا الارتباك وهذا الاضطراب كانت دولة إسبانيا قد تنمرت ولما تزل دماء شهداء الأندلس عالقة بأدرانها، ورمت أنظار الطمع والجشع على الشمال الإفريقي، فكادت تثبت أقدام المسيحية المتعصبة الفتاكة بهذه الأقطار"<sup>1</sup>. ولولا النجدة الحاصلة من الأخوين عروج وخير الدين بربروس وأخيها إسحاق الذين لبوا نداء الاستغاثة والنجدة الموجهة إليهم من قبل أمراء الإمارات الجزائرية المحلية، وأعيان البلدات، وشيوخ الزوايا، والعلماء، والفقهاء الذين أدركوا خطورة المرحلة، وحساسيتها البالغة، بالنظر إلى التهديد الفعلي لحرمة الوطن من قبل الغزاة الصليبيين من جهة، وعجز الدولة الزيانية عن القيام بواجب الدفاع عن حرمة الشعب وحماية مقدسات الإسلام من جهة أخرى.

لقد أصبح الخطر الإسباني منذ عام 1503م يهدد الجزائر بصورة واقعية بعد أن اشتد صراع ملوك تلمسان على العرش بين الأمير أبي حمو الثالث وأخويه المسعود والأمير أبي عبد الله، وكانت نتائج هذا الصراع أن عجزت السلطة الزيانية عن مواجهة الاحتلال الإسباني على المدن الساحلية الواقعة ضمن الخريطة السياسية لإمارتها، حيث سقط في

<sup>1</sup> - أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م). المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م. ص 21.

يدهم "المرسی الكبير عام 1505م، ثم استولوا عام 1509م على مدينة وهران"<sup>1</sup>، كما استولوا على مدينة مستغانم في 1511م، وكانت المدينتان تابعتين لتلمسان عاصمة الدولة الزيانية"<sup>2</sup>. وكانوا قد احتلوا مدينة بجاية عام 1510م<sup>3</sup>.

أما مدينة الجزائر فقد أنشأ الإسبان بها سنة (916هـ - 1511م) حصن "البينيون"، وصبوا منه مدافعهم على بعد 300م من المدينة، وكانوا يقذفون صوامع المساجد القريبة منه كلما سمعوا صوت الأذان للصلاة ينبعث منها. وكانت مدينة جيجل من أولى الثغور البحرية التي سقطت بيد الأجانب الإيطاليين حيث "احتلها الجنويز منذ سنة 658هـ/1260م، وجعلوها مركزا تجاريا عظيما"<sup>4</sup>، كما بنوا بها "حصنا تحصنوا به وسيطروا على شواطئ الناحية، واستأثروا بخيراتها، واضطهدوا السكان المحليين وضايقوهم في معاشهم"<sup>5</sup>.

"ولما أرسى الأخوان أروج(عروج) وخير الدين بالسواحل الجزائرية...اتصل بهما أهالي هذه النواحي ملتسين منهما دفع الأجنبي عنهم، وإنقاذ ثغورهم من تسلطه عليها، فلبت الحامية التركية نداءهم، وكان أول ما شرعت في إنقاذه من البلاد الجزائرية هي مدينة جيجل فاحتلتها سنة 920هـ. 1514م واتخذتها مركزا لعمارتها البحرية بهذا الحوض"<sup>6</sup>، وفي هذه الظروف التاريخية المعقدة والمتميزة بضعف حكام بني زيان على مواجهة المحتلين، اشتعل فتيل الشقاق والفوضى في أوصال هذه الدولة فلم يعد هناك سلطان أو نظام يللم شعث

<sup>1</sup> - محمد مفلح: غليزان مقاومات وثورات، منشورات دار الأديب. الجزائر 2009م. ص20.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص20.

<sup>3</sup> - يذكر حسن الوزان(المعروف بـ ليون الإفريقي ت959هـ/1552م): في كتابه "وصف إفريقيا"، أن بجاية كانت تابعة للخصيين ملوك تونس حين انتزعتها منهم الإسبان في 25 مايو 1509م. ويضيف الوزان قائلا: وكان إقليم بجاية موضوع نزاع مستمر يتبع تارة سلطة ملك تونس، وسلطة ملك تلمسان أخرى، إلى أن أصبح في أيامنا هذه مملكة مستقلة استولى على عاصمتها "ألكونت بيدرو نافارو باسم ملك إسبانيا فيرديناند". ينظر: ابن محمد الحسن الوزان الفاسي: وصف إفريقيا. تر عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، ط2. دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان 1983م. ص31.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن الجبالي: تاريخ الجزائر العام. ج3، ط7. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. (1415هـ/1995م). ص37.

<sup>5</sup> - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني. ج2. موفم للنشر والتوزيع. الرغاية. الجزائر. 2002م. ص82.

<sup>6</sup> - عبد الرحمن الجبالي، مرجع سابق. ج3. ص37.

زعماء الإمارات والكيانات السياسية الضعيفة لمقارعة العدو الغازي "بل أدى الافتتان على السلطة إلى تفكك داخلي كبير وإلى نجاح الإسبان في احتلال مواقع كثيرة على الساحل وتهديدهم لدواخل البلاد"<sup>1</sup>، مما أدى إلى تسارع زعامات وقيادات الولايات الساحلية إلى إبداء التعاون وبذل الطاعة قهرا لقادة الحملات الإسبانية مقابل دفع الأتاوات والضرائب المختلفة وذلك تقاديا لتكرار وقوع المذبحة الفظيعة التي اقترفها الغزاة الكفرة في حق سكان وهران. ومن المدن الساحلية التي سارعت إلى تقديم ولائها إليهم دلس، والجزائر، وشرشال، وتنس، ومستغانم<sup>2</sup>.

وإزاء هذا الوضع المأساوي الذي آل إليه المجتمع الجزائري المغلوب على أمره "نادى العلماء بإحياء الرباطات للدفاع عن ثغور الوطن، كما اتصل رؤساء الإمارات وشيوخ القبائل بالأتراك لمواجهة الهجمات الصليبية المتكررة. ومن رؤساء الإمارات الصغيرة كان الشيخ أحمد بن القاضي صاحب إمارة جبل كوكو بناحية "القبائل"، وسالم التومي رئيس سكان "متيجة"، وحميدة العبد رئيس قبيلة "سويد"<sup>3</sup> بنواحي تنس وأحوازها. كما انضم إليهم صوت الفقهاء والمرابطين والصلحاء عامة، حيث ناشدوا الإخوة بربروس عروج وخير الدين لمساعدتهم على طرد الصليبيين من ثغور الوطن، ويذكر خير الدين بربروس في مذكراته أنه حين كان بتونس "وصل إليه وفد من مدينة بجاية الجزائرية حاملا رسالة جاء فيها: "إن كان ثمة مُغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال. لقد صرنا لانستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان. فما نحن نضع أمرنا بين أيديكم جعلكم الله

<sup>1</sup> - بعارسية صباح: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ

الحديث. مخطوط. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. قسم التاريخ، جامعة الجزائر (2005/2006م). ص12.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص13.

<sup>3</sup> - محمد مفلح: مرجع سابق. ص20.

سببا لخلاصنا بتسليمه إيانا إليكم، ففضلوا بتشريف بلدنا وعجلوا بتخليصنا من هؤلاء الكفار"<sup>1</sup>.

بعد هذه الرسالة تحرك عروج وأخوه خير الدين نحو "ميناء بجاية الجزائرية في ألفين وثلاثة وثلاثين بحارا وعشر سفن "قادرغة"، ومائة وخمسين مدفعا وآلاف الأسرى الذين يقومون بالجذف"<sup>2</sup>، وتمت محاصرة القلعة المحصنة لمدة تسعة وعشرين يوما، إلى أن تم فتحها<sup>3</sup>. ويذكر خير الدين أنه "بعد فتح القلعة جاء جميع شيوخ وقواد المناطق المجاورة لبجاية مبايعين لي"<sup>4</sup>. وانتشر خبر فتحنا لبجاية واستبشر به جميع السكان. ويضيف أنه لما عدت إلى "جبل وصلت وفود عديدة من المدن الجزائرية كان أهمها وفد مدينة الجزائر التي كانت تمثل مركز البلاد. كان أهالي الجزائر يشكون من ظلم الإسبان ويرجون تدخلنا لإنقاذهم فخرج أخي عروج في خمسمائة بحار متجها إلى مدينة الجزائر"<sup>5</sup>. وقد تم فتحها بدعم من جيش أحمد بن القاضي وسالم التومي شيخ الثعالب، واستتب الأمن بهذه المدينة وشرع الأتراك في تطهير الثغور المتاخمة لها من الغزاة المحتلين على غرار شرشال وتنس وغيرها من المدن الساحلية التي نصب عليها ملك إسبانيا "فرديناند" أمراء وولاة موالين له خاضعين لسلطته، جعل لهم فرقا من الجند الإسباني تحرسهم مقابل دفع الجزية والضرائب المختلفة له. فما كان من خير الدين إلا أن جهز عليهم بجيشه ففضى عليهم واستأصل شوكتهم وفر منهم من فر من بينهم أمير القلعة"<sup>6</sup>.

1 - مذكرات خير الدين بربروس: تر- محمد دراج ، ط1. الأصالة للنشر والتوزيع. الجزائر. (1431هـ/2010م). ص67.

2 - المصدر نفسه. ص70.

3 - يلاحظ أنه لم يتم فتح بجاية وطرد الإسبان منها بالكامل، إذ لم يتحقق ذلك إلا في عصر البيلرباي صالح رئيس سنة 1554م. والذي يفهم من كلام خير الدين أنه تم فتح قلعة المدينة فقط. ينظر المصدر نفسه: تعليق المترجم، هامش ص73.

4 - المصدر نفسه. ص72.

5 - المصدر نفسه. ص74.

6 - قال خير الدين بربروس: "كان أمير تنس الذي لاذ بالفرار ابنا لأخ سلطان تلمسان لم يعتبر بما لقيه منا بل سُمِعَ يقوه بهذه العبارة "هنيئا لملك إسبانيا فهو سينتقم من هؤلاء الأتراك". المصدر نفسه. ص82-83.

ويذكر الصباغ أن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني قد سعى إلى التحالف مع الأتراك بعد خروجه من سجن الزيانيين، بعدما سمع بانتصاراتهم على المعقل الإسبانية. فجاءته أخيراً فرصة لقائه "بعراج التركي (عروج) بكرشطل ناحية وهران، وكان مع عراج التركي رجل مراكشي قد حبسه معه في البحر لشجاعته، فقال ذلك الرجل المراكشي لعراج سر بنا لهذا الشيخ نتبرك به لأن له بركة عظيمة، فقال له عراج إن خرج على ما في ضميري فأنا أتبرك به، فذهب عراج وأصحابه فسلموا على الشيخ (أحمد بن يوسف) ففرح بهم وقال لعراج قبل أن يتكلم: أنت عزمت على العدو بأصحابك فعقد عراج يديه وقبل رجلي الشيخ... ثم طلب منه الدعاء، فدعا له ثم قال له: إن أصابك هول أو عدو أو ريح في لجج البحر فقل ثلاث مرات يا أحمد بن يوسف فأنا أغيتك بعون الله"<sup>1</sup>.

بعد هذا اللقاء تمكن الأخوان عروج وخير الدين في ظرف قصير من استعادة المدن الساحلية المحتلة وطرد الغزاة منها ماعدا مدينة وهران التي تأخر فتحها<sup>2</sup> إلى عهد الباي محمد الكبير سنة 1205 هـ، وشرعا في بناء أركان دولة قوية محصنة مرهوبة الجانب. غير أن واقع الحال بدأ يندثر بسوء العلاقة بينهم وبين رؤساء الإمارات وشيوخ القبائل الذين بدأوا يشعرون "أن الأتراك يريدون القضاء على الإقطاعات والإمارات الصغيرة وشعروا فعلا بأن عهدا جديدا قد بدأ بعد مأساة سالم التومي الذي قتله عروج"<sup>3</sup>، عندما علم بأنه يخطط لقيادة تمرد سكان متيجة ضد الوجود التركي. هؤلاء الأمراء شعروا بأن نفوذهم وسلطتهم قد انتهى عهدها وأن الأتراك لن يكتفوا بطرد الإسبان من المدن الساحلية والعودة من حيث جاؤوا، بل بدأوا يرسمون وجودهم بشكل نهائي والانفراد بالحكم من دون مشاركة الجزائريين في السلطة.

1- ينظر "البستان". ص (10 و) ص 420 من الكتاب المحقق.

2 - تأخر فتح مدينة وهران لعقود من الزمن في العهد العثماني وشهدت الفتح الأول سنة 1119 هـ بقيادة الباي محمد بكداش باشا. ينظر: أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. ج 2. ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان 1998م. ص 204.

3 - محمد مفلح: مرجع سابق. ص 20.

وفي سنة 1517م "أنقذ العثمانيون مدينة تنس من الإسبان وكان حميدة العبد- مثل سالم التومي شيخ الثعالبة - من بين الشيوخ المرحبين بالإخوة بربروس لمحاربة الخطر الإسباني، ولكنه كان في الوقت نفسه ككل شيوخ الإمارات غيرا على سلطته ونفوذه على المناطق التابعة له، فلم ينتظر أن يحدث له ما جرى لسالم التومي الذي قتله عروج، بل ثار ضد الأتراك، وسانده في ثورته سكان المتيجة الذين لم ينسوا مقتل رئيسهم سالم التومي، وجند حميدة العبد حملة قوامها 10 آلاف فارس، والتحق به سكان القبائل الذين كانوا يرغبون في القضاء على الأتراك، ولكن عروج باغته في منطقتيه وانتصر عليه بسهل الشلف في جويلية 1517م وأخذ منه مدينتي تنس ومستغانم"<sup>1</sup>.

ونفس المصير عرفه أحمد بن القاضي صاحب إمارة "كوكو" حيث خان عهد عروج معه، وربط وصاله سراً بالحاكم الحفصي في تونس، واتفقا على محاربة عروج وطرد الأتراك من الجزائر، فقد أجهز عروج عليه وقضى عل تمرده.

هاجم الإسبان الجزائر مرتين للقضاء على دولة الأتراك، الأولى عام 1516م بثمانية آلاف رجل وانهزم الإسبان شر هزيمة و"ذاع صيت عروج وازدادت شهرته بعد انتصاره في هذه المعركة التي فتحت له بذلك أبواب مليانة أين التقى سيدي أحمد بن يوسف الذي شجعه على مواصلة الجهاد"<sup>2</sup>، كما أخذ "يوسع ملكه ليشمل المدينة وكامل بلاد القبائل ووضع أخاه خير الدين واليا على الناحية الشرقية وجعل مركزه مدينة دلس"<sup>3</sup> وأخاه الآخر إسحاق على رأس تنس"<sup>4</sup>. وفي هذه الأثناء "وصلته وفود من أهل تلمسان تستغيث به ضد سلطانهم الظالم بوحمو الذي استعان بالإسبان على قضاء مأربه وتوصل إلى العرش تحت حمايتهم،

<sup>1</sup> - محمد مفلح: مرجع سابق. ص 20.

<sup>2</sup> - جمال سويدي: الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم. منشورات النل. البليلة. الجزائر 2007. ص 85.

<sup>3</sup> - أحمد توفيق المندني: محمد عثمان باشا داي الجزائر. ص 24.

<sup>4</sup> - جمال سويدي: مرجع سابق. ص 85.

فهاجم بابا عروج تلمسان ودحر بوحمو ودخل المدينة وقضى على بقية بني زيان<sup>1</sup>، ثم إن إسبان وهران والأعراب المنضوين تحت لوائهم أنجدوا أمير تلمسان الذي استتجد بهم، فاتحدت القوتان و"أعاد الإسبان الكرة من وهران لاحتلال تلمسان وإرجاع بوحمو إلى العرش ولم يصل المدد إلى باباعروج، فعزم على مغادرة تلمسان. وفي أثناء الطريق التقى بفرسان الإسبان فنزلهم وتغلبوا عليه، فاستشهد بعد معركة حامية دامية وحز الإسبان رأسه وطافوا به كامل مدن إسبانيا، وذلك سنة 1518م<sup>2</sup>. وحدثت هذه المعركة في قلعة هواره ببني راشد، وقد استشهد فيها أيضا إسحاق الأخ الأكبر لعروج، ومات مع الأخوين خلق كثير، وقد حزن خير الدين لمقتلها حزنا شديدا، وتولى الأمر بعدهما "فوقف موقف الأبطال لإصلاح الأمر وأيده أهل الجزائر وأمده السلطان سليم العثماني بالنجدة"<sup>3</sup>. كما استعان خير الدين بالعلماء ورجال الدين للحصول على تأييدهم لمعرفته بقوة تأثيرهم في الرعية، ودورهم الكبير في مواصلة الجهاد ضد التهديد الإسباني المسيحي.

ويذكر الصباغ أن الأتراك قد "تحالفوا فعلا مع أحمد بن يوسف الملياني ضد أمراء بني زيان واستعانوا به كحليف لهم، وأطلعوه على خطتهم للاستيلاء على تلمسان، وفعلا فقد تحققت مساعدة الملياني وأتباعه للأتراك ووقوفه إلى جانبهم طيلة العهد التركي، وقد ذكر الصباغ أن والده قد استشهد في المعركة التي وقعت بين الأتراك وجيش أبي حمو المدعوم بالنصارى الإسبانيين عام 924هـ - 1518م<sup>4</sup>". وفي هذه السنة أعاد الإسبان الكرة للمرة الثانية حيث "عزم شارلكان على محق السلطة التركية بالشمال الإفريقي، فجهز حملة ذات 510 سفينة تحمل 25 ألف جندي في أكتوبر 1541م وأنزلها شرق الجزائر فأهلكته الزوبعة،

<sup>1</sup> - أحمد توفيق المدني: مرجع سابق. ص 24.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 24.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 24.

<sup>4</sup> - ينظر: "البستان". ص (6ظ). ص 410 من الكتاب المحقق.



وحارب المسلمون هذه الحملة التي فشلت، وباء المسلمون بنصر عظيم<sup>1</sup>. وتواصلت التحرشات الإسبانية عبر وهران وتلمسان، ولم يستتب الأمر لخير الدين ولا لغيره بعد موته وذلك لنكوث الإخوة الأعداء عهودهم بعد تمكينهم من العرش بواسطة الأتراك، إلى أن تولى صالح رايس ولاية الجزائر سنة 1552م، فقام بعزل "مولاي الحسن عن الملك لأنه رآه ذا علاقة مع الأسبان، وضم تلمسان لملك الجزائر، وانتهت بذلك دولة بني زيان بصفة بائسة، تتنافى مع عظمتها التاريخية عام 1554م<sup>2</sup> بتعاون أهلها معه وقبولهم الانضمام إليه تحت لواء الخلافة العثمانية. وقد اعترف الأتراك بالدور الكبير الذي لعبه الملياني وأتباعه لصالحهم على مدار عقود من الزمن. وتذكر المصادر أنه بعد نجاح الخطط العثمانية واستقامة أمر الجزائر في عهد خير الدين الذي تولى زمامها "وأصلح شأنها وسد خللها جعل هديةً تزيد على الأربعة آلاف دينار سوى الأثاث"<sup>3</sup>، للشيخ أحمد بن يوسف الملياني في حياته، وبقيت الهدية جارية في أولاده بعد وفاته يؤديها الولاية الأتراك لهم.

هذه باختصار حوصلة عن أوضاع الجزائر السياسية والأحداث الجسام التي تعرضت لها خلال هذا العهد.

## 2.1 الحياة الثقافية:

كانت الحركة الثقافية في حوض المغرب الأوسط (الجزائر) مرتبطة أشد الارتباط بالوضع السياسي لهذا الإقليم الذي لم يعرف استقراراً لأكثر من ثلاثة قرون متعاقبة، وكانت حدوده قلقة مضطربة لا تعرف رسماً ثابتاً لمعالمها بشكل قارٍ، ذلك لأن الصراع التوسعي القائم بين الإمارات الثلاث: إمارة بني مرين، وإمارة بني زيان، وإمارة بني حفص، يجعل الوحدة الترابية لهذه الإمارات في حالة مد وجزر مستمر تحاول كل مملكة مد نفوذها لضم

<sup>1</sup> - أحمد توفيق المدني. مرجع سابق. ص 26.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 28.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 28.

أجزاء واسعة من أراضي مملكة أخرى، أو احتواءها كلياً، مثلما حدث في بعض الفترات<sup>1</sup>، حين حاول المرينيون غزو مملكة بني زيان وضمها إلى مملكتهم، كما قام الحفصيون بتونس بنفس الطموح، حيث كانت لهم رغبة قوية في إلحاق إمارة تلمسان بسلطنتهم، ومد نفوذهم من ليبيا شرقاً إلى حدود فاس غرباً. وكانت حدود تلمسان الزيانية هي الأخرى تمتد في بعض الأحيان إلى أحواز فاس غرباً وتخوم تونس شرقاً وهكذا.

ومنه يصبح الوضع الثقافي في الأقطار المغاربية الثلاثة متشابهاً إن لم يكن واحداً، وعليه فإن الحكم العام لمعظم الدارسين والمؤرخين للشأن الثقافي لإقليم المغرب الأوسط خلال القرون الثلاثة الأخيرة- الثامن والتاسع والعاشر الهجري- هو حكم إيجابي بحيث يعتبرون المناخ الثقافي لهذا القطر في هذه الفترة مناخاً تميز بوفرة الإنتاج العلمي والروحي والأدبي، ازدانت به عدة حواضر جزائرية بحيث برزت أقلام ساطعة لكوكبة من العلماء الأجلاء نشطوا خلال هذه الفترة، وخلفوا لنا آثاراً علمية خالدة تعدت قيمتها الحدود المحلية والمغاربية وصارت تراثاً علمياً إنسانياً كمقدمة ابن خلدون على سبيل التمثيل.

لقد كانت بجاية خلال هذا العهد عروس المدائن وقبلة يحج إليها العلماء وطلاب المعرفة بفضل المناخ العلمي الذي ساد أرجاءها، وبفضل الإقبال المتزايد لطلاب العلم والمتعاطشين للمعرفة الدينية، واللغوية على الخصوص، وقد استقبلت خلال عهدها الزاهر عديداً من العلماء الأجلاء ينيف عددهم عن المائة حسب ما ذكره "الغبريني"<sup>2</sup>، خلال

<sup>1</sup>- تعرضت إمارة بني زيان (تلمسان) على مرور زمن وجودها لأطماع حكام المغرب الأقصى، وحكام المملكة الحفصية بتونس. وتوالت عليها الحملات، والنكبات، وتجدد عليها الحصار بين الفينة والأخرى، فتستسلم حيناً، وتقاوم تارة، وتشن هجمات على أعدائها تارة أخرى، حين تستجمع قواتها، ويقوى عضدها. فقد حمل عليها المرينيون مرات عديدة، واستولوا عليها سنوات 760هـ، 761هـ، 772هـ، 784هـ، 796هـ، بقيادة أبي فارس المريني. واحتلها السعديون بقيادة الشريف المهدي سنة 957هـ، وشن بنو حفص بدورهم غارات وغزوات عليها في مناسبات عدة. فقد غزاها أبو فارس عبد العزيز الحفصي سنوات 827هـ، 831هـ، 837هـ، 872هـ بقيادة العاهل الحفصي أبي عمران. وهكذا استمر هذا الوضع إلى غاية استيلاء الأتراك عليها، وضمها للخلافة العثمانية. ينظر: عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، صفحات: 56، 58، 59، 66، 67.

<sup>2</sup>- ينظر: أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت704هـ): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح- رابح بونار. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1970م. ص55.

القرنين السادس والسابع الهجريين، منهم من نزلوا بها لفترات قصيرة، ومنهم من درس بها، ومنهم من أنجبهم مدارسها. وممن ذكرهم "أبومدين شعيب(ت594 هـ)"<sup>1</sup>، و"محي الدين ابن عربي (ت640هـ)"<sup>2</sup>.

فقد كان أبومدين قد أمضى فترة من عمره فقيهاً مدرساً في مدارسها، كما تذكر المصادر أيضاً مرور ابن عربي بها - أعني بجاية- ولا ندري كم بقي فيها، وقد سُرَّ بهذه المدينة سروراً عظيماً واعتبرها نجمة ساطعة في سماء المغرب الإسلامي تنير ما حولها علماً وثقافة، كما أنجبت العلماء الذائعي الصيت وهم أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي (ت 731هـ)<sup>3</sup>، والشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوغليسي<sup>4</sup>، وأبو علي حسن بن الفكون القسنطيني<sup>5</sup> وغيرهم كثيرون لا يسع صدر البحث لذكرهم جميعاً، كما كانت تلمسان خلال هذه الفترة تعتبر من أهم مراكز العلم والثقافة والأدب، ومعقلاً من معاقل المذهب المالكي<sup>6</sup> في الفقه، وقد أنجبت بيوتاتها من أهل العلم والفضل -حسب ما ذكره التنسي- "جماعة توارثت العلم والأدب والمجد أباً عن جد، منهم العقبايون والمقاريون بتلمسان، كما سطع نجم آل ابن قنفذ الخطيب، وآل الفكون بقسنطينة، وغيرهم كثيرون ممن امتلأت بهم كتب التراجم"<sup>7</sup>.

والواقع أن الوضع الثقافي في المغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً قد شهد مرحلتين مختلفتين من مراحل العطاء الحضاري في شتى مناحي العلم والمعرفة، فإذا كانت القرون الثلاثة: السادس والسابع والثامن من الهجرة النبوية قد تميزت بازدهار الثقافة

<sup>1</sup>- ينظر: الغبريني مصدر سابق. ص55.

<sup>2</sup>- ينظر: المصدر نفسه. ص158.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه. ص200.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه. ص241.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه. ص280.

<sup>6</sup>- التنسي: نظم الدر والعقيان في بيان شرف ملوك بني زيان. تح، وتع محمود آغا بوعيايد. موفم للنشر. الجزائر 2011م. ص 10.

<sup>7</sup>- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج3، ط7. ص69.

وانتعاش النشاط العلمي وبروز عدد من أقطاب العلم والمعرفة برعوا في فنون معرفية مختلفة، وتركوا عدداً من المؤلفات العلمية القيمة، فإن القرنين التاسع والعاشر الهجريين يمثلان مرحلة التراجع والانكماش العلمي، والثقافي، بتراجع مستوى الفكر، وقلة المشتغلين فيه، ولا بأس أن نشير إلى التناقض الذي خيم على آراء الباحثين والمؤرخين حول الوضع الثقافي في إقليم المغرب الإسلامي عموماً خلال هذا العهد.

فقد نظر عبد الرحمن بن خلدون إلى القرن السابع والثامن على أنهما يمثلان مرحلة "التقهقر والتراجع العلمي"<sup>1</sup>، وأرجع ذلك إلى ما ميز مستوى الإنتاج العلمي والإبداع الفكري لهذه المرحلة من "شيوخ التقليد، والتحجّر ورفض التجديد، وانتشار الذبول، والشروح"<sup>2</sup>، في مؤلفات علماء هذه المرحلة. ولذلك فقد فضل أهل المشرق على أهل المغرب في العلم والتعليم واعتبر أسواق العلم في المشرق أكثر تقدماً ورسوخاً، وأن أهلها أشرف من غيرهم علماً وتمدناً في هذا العهد الذي ولد فيه وعاش فيه طيلة نحبته (732هـ/1332م) - 807هـ/1406م).

فإذا كان هذا العهد الذي أنجبه هو كشخصية علمية فذة، يعتبره عهد الضعف والتراجع العلمي، فكيف هي حال القرون التي جاءت بعده؟! أعني القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وهي الفترة التي تعيننا تحديداً في هذا البحث باعتبارها مسرحاً لحياة الشيخ أحمد ابن يوسف الراشدي .

لقد تنبه ابن خلدون إلى أن ازدهار العلم والتعليم بدور المغرب الإسلامي مرتبطٌ بالأندلس منارة العلم والحضارة في ذلك العهد والذي قبله، بحيث يشير إلى انتقال الإشعاع العلمي والحضاري منها إلى حواضر المغرب بفضل حرية التنقل بين الضفتين الشمالية والجنوبية لقوافل من الطلبة المغاربة ممن تشوقوا إلى استكمال تعليمهم ودراساتهم بمعاهد

<sup>1</sup> - أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، دراسة وتح سلعى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف، مطبعة النجاح الجديدة، ط1. الدار البيضاء، المغرب(1429هـ/2008م). ص51.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص51.

قرطبة وسائر حواضر الأندلس، وما صاحب ذلك من تنقل العلماء بين الضفتين حيث أثمرت هذه الحركة بأن "تطعمت العناصر العلمية الوطنية بأخرى أندلسية وشرقية فازدادت آفاق المعرفة اتساعاً أمام الراغبين في الدرس والتحصيل، وغدا الطلبة يجدون في ديارهم ما كان أسلافهم لا يدركونه إلا بالرحلة والاعتراب"<sup>1</sup>. وقد أثمر هذا الواقع ربط صلات وعلاقات علمية وفكرية بين الضفتين انعكس إيجاباً فيما بعد على واقع العلم والثقافة ببلدان المغرب الإسلامي.

على أن هذا الواقع للأسف لم يعرف استقراراً حسب ابن خلدون بل شهد تراجعاً وتقهقراً شخصه بقوله: "اعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه، وتناقص الدول فيه، وما يحدث عن ذلك من تناقص الصنائع وفقدانها كما مرّ، وذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي الأندلس والمغرب، واستبحر عمرانها وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة، فلما خربتنا انقطع التعليم من المغرب إلا قليلاً كان في دولة الموحدين بمراكش مستفاداً منها. ولم ترسخ الحضارة بمراكش لبداءة الدولة الموحدية في أولها، وقرب عهد انقراضها بمبداها، فلم تتصل أحوال الحضارة فيها إلا في الأقل"<sup>2</sup>. على أن انقراض الدولة بمراكش أحدث نزيفاً علمياً تسبب في هجرة كثير من أسماء العلماء في حواضر المغارب الثلاثة في اتجاه المشرق منذ أواسط القرن السابع وعلى مدار القرن الثامن الهجريين، واستمر ذلك إلى ما بعدهما، فكان ممن ذكرهم ابن خلدون من المرتحلين طلباً للعلم بحواضر المشرق "أبو القاسم زيتون من إفريقية فأدرك جملة من العلماء هناك، فأخذ عنهم وحذق في العقليات والنقليات، ورجع إلى تونس بعلم كثير وتعليم حسن"<sup>3</sup>. وكان في

<sup>1</sup> - محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. ج2. منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. مطبعة فضالة. 1978م. ص339.

<sup>2</sup> - ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، دار الفكر، بيروت- لبنان. (1424هـ/2004م). ص413.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه. ص 413.

تلك الفترة قد عاد "من المشرق أبو عبد الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل إليه من المغرب فأخذ عن مشيخة مصر ورجع إلى تونس واستقر بها وكان تعليمه مفيدا، فأخذ عنهما أهل الأندلس واتصل سند تعليمهما في تلاميذهما جيلا بعد جيل إلى أن انتهى إلى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب"<sup>1</sup>. هذا في حاضرتي المغرب وتونس، أما في حاضرة الجزائر فقد ارتحل من منطقة زواوة تحديدا "أبو علي ناصر الدين المشدالي إلى المشرق [...]. وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة، وحذق العقليات والنقليات، ورجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد، ونزل ببجاية واتصل سند تعليمه في طلبتها، وربما انتقل إلى تلمسان عمران المشدالي"<sup>2</sup> [وَبث طريقته فيها]<sup>3</sup>.

ولم يكن وضع حاضرة فاس أفضل حالا مما هي عليه حاضرة مراكش وتلمسان، بل امتد إليها ما حل بغيرها من الحواضر من ضعف التعليم بها، وقلة الاجتهاد فيه، واعتبرها ابن خلدون "وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سند التعليم فيهم، فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم. وأيسر طرق هذه الملكة فتح اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يُقربُ شأنها ويُحصِّلُ مرامها [...]. ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل، تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو عَلمَ، وما أتاهم القصور إلا من قِبَلِ التعليم وانقطاع سنده"<sup>4</sup>.

وأما حال أهل الأندلس في هذا العهد "فقد ذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين، ولم يبق رسم العلم عندهم إلا فن العربية والأدب، اقتصروا عليه، وانحفظ سند تعليمه بينهم، فانحفظ بحفظه. وأما الفقه بينهم

<sup>1</sup> - المصدر السابق. ص 414.

<sup>2</sup> - هو أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي الحافظ المدرس، المفتي بتلمسان (ت745هـ/1344م). أخذ عنه صهره الناصر المشدالي والإمام المقري، له رسالة في اتخاذ الركاب من خالص الفضة، وفتاوى كثيرة نقل الكثير منها الونشريسي في المعيار. ينظر: أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية. هامش. ص 302.

<sup>3</sup> - ابن خلدون. مصدر سابق. ص 414.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه. ص 414.

فرسّم خلوّ وأثرٌ بعد عين، وأما العقليات فلا أترّ ولا عينٌ، وما ذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها<sup>1</sup>، وذهاب دولها واحدة بعد أخرى. وعلى عكس ما ألمّ بدول المغرب والأندلس من ركود وتقهقر علمي وثقافي على هذا العهد، فإن المشرق الإسلامي - حسب ابن خلدون - لا يزال يعيش عهده الزاهرة فلم ينقطع سند التعليم فيه، بل أسواقه نافقة وبحوره زاخرة، لاتصال العمران الموفور، واتصال السند فيه، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة إلا أن الله قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك، وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم إلى القاهرة [...] فلم تنزل موفورة وعمرانها متصلاً وسند التعليم بها قائماً. فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم، بل وفي سائر الصنائع<sup>2</sup>.

هذه جملة آراء ابن خلدون حرصنا على أخذها كاملة للوقوف على واقع الحال الثقافي والعلمي بشكل عام في دول المغرب الإسلامي آنذاك، ذلك لأن ابن خلدون أوثق من يؤخذ بوجهة نظره في الشأن العلمي والثقافي لهذه الدول، وهو الشخصية العلمية الفذة التي واكبت تطورات وأحداث هذا العهد، فكان شاهد عيان على هذا الواقع المريض حسبما يفهم من كلامه. ولكن مهما كان موقفه المتشائم على الوضع الثقافي في عهده، فإنه مع ذلك يبقى أفضل العهود علماً وثقافة، لأنه لو قدر له أن يعيش أوضاع المغرب الإسلامي خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين على الخصوص، لحكم بأفضلية الوضع الثقافي لعده ولأشاد بعباء علماء ذلك العهد.

<sup>1</sup> - ابن خلدون: مصدر سابق. ص415.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص414.

وثمة من المؤرخين المعاصرين من ذهب حيث ذهب ابن خلدون في الحكم على تراجع المستوى العلمي والنتاج الفكري لحواضر المغرب الإسلامي<sup>1</sup>، لاسيما حاضرة الجزائر في القرنين التاسع والعاشر الهجريين حسب ما أقره شيخ المؤرخين الجزائريين العلامة أبو القاسم سعد الله على هذا الواقع، رغم استحسانه بعض المؤلفات التي أُلِّفت في هذا العهد خصوصاً في مجال التصوف، فقد لاحظ أنه "بقدر ما سيطرت روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية، بقدر ما كثر إنتاج العلماء في هذا الميدان [...] وقد أصبحت عبارة "الصلحاء" وأصحاب الولاية تتكرر في أعمال المتأخرين، وأصبح المؤلفون لا يؤلفون إلا وفي أذهانهم أهل التصوف سواء كانوا معاصرين لهم أم متقدمين عنهم"<sup>2</sup>.

وعلى خلاف هذه النظرة المتشائمة إزاء الوضع الثقافي خلال هذا العهد فإن ثمة كثيراً من الباحثين والمؤرخين من ينوّه بحسنات هذا العهد ويعتبره عهداً زاهراً يمثل "ذروة الازدهار الثقافي والعلمي بالمغرب الإسلامي"<sup>3</sup>، وفي هذا يقول عبد الله العروي: "يُجمع الدارسون على أن العهد المريني - الحفصي - الزياني يمثل ذروة الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب، لأنها لم تعد كما كانت من قبل محصورة في منطقة مُعَرَّبة دون سواها، بل شاركت كل المناطق بنصيبها في حفظها ونشرها"<sup>4</sup>.

ورغم طابع الحياة السياسية المضطربة لإقليم المغرب الأوسط في بعض الفترات من تاريخ الدولة الزيانية بسبب "الفتن الداخلية أو الحملات المرينية والحفصية المتكررة على

<sup>1</sup> - تميز الحكم على هذه الفترة بالازدواجية، كون البعض يعتبرها فترة انتعاش، وتجديد، والذي يعتبر فيها فكر ابن خلدون ونظريته التاريخية والاجتماعية أبرز عناوينه. وحكم آخر نظر إلى هذه الفترة من زاوية اتسمت بالانحدار الثقافي كجزء من حكم أشمل ومن رؤية تُسحب على العالم الإسلامي ككل الذي اعتبره التيار الاستشراقي أنه دخل ابتداء من ق4هـ منتصف القرن العاشر (م) وحتى القرن العاشر هـ/السادس عشر (م) في حقبة انحطاط. ينظر: نللي سلامة العامري: الولاية والمجتمع، ط1. دار الفارابي، بيروت. لبنان. 2001م. ص54.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ط1، ص112.

<sup>3</sup> - أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية. ص51.

<sup>4</sup> - عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج2، المركز الثقافي العربي. ط2، الدار البيضاء. المغرب. 2000م. ص217.



العاصمة الزيانية، فإنها لم تؤثر بشكل مباشر على الحياة العقلية السائدة<sup>1</sup>. إذ بذل بعض ملوك بني زيان طيلة توليهم مقاليد سلطة الإمارة "جهوداً مستمرة امتازوا بها في ميدان الحركة الفكرية بصفة عامة، ورعاية معتبرة للفنون والآداب والعلوم الشرعية على وجه الخصوص"<sup>2</sup>، وكان حرصهم شديداً على نشر جسور العلم والمعرفة في شتى مناحي الإمارة من خلال إنشاء المدارس والمعاهد المختلفة التي أحاطوها بكامل العناية والمتابعة، لذلك فقد حملت بعض المؤسسات العلمية في ذلك العهد أسماء الأئمة الذين أنشأوها وسهروا على رعايتها. "فتلسمان هذا العهد كان بها بالإضافة إلى المدارس الابتدائية كان بها على الأقل خمسة مدارس ثانوية وعالية"<sup>3</sup>. وكانوا على مدار قيامهم بأمر المملوكة ما فتنوا "يشجعون العلماء على الاجتهاد في الدرس، وتحرير الأفكار من الركود، وتنشيط الحركة الفكرية[...]. وكانوا يشرفون في بعض الأحيان على المجالس والمنابر التي تُلقى فيها الدروس العلمية التي تتعلق بالعقيدة والتاريخ والعلوم العقلية الأخرى[...]. فقد أتاحوا الفرصة للحوار والمناظرة، والتعمق في البحث، والإقبال على دراسة مختلف المؤلفات الفقهية وغيرها، حتى صارت مدينة تلمسان في عهد بني زيان من المراكز التي تستقطب الطلاب وأهل العلم"<sup>4</sup>، وغدت بفضل عناية أمرائها بالعلم والعلماء "منارة أخرى من منارات الفكر الإسلامي، كما أنها لعبت دوراً ثقافياً مؤثراً في المغرب الأوسط، بل دوراً مماثلاً في خدمة الإسلام جنوب الصحراء الكبرى. إنها شاركت القيروان وفاس والمدارس الإسلامية الأخرى في بسط الثقافة العربية الإسلامية، كما أن كثيراً من علماء تلمسان ساهموا في بناء حركة الفكر والثقافة العربية الإسلامية في البلاد العربية المجاورة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني. ج.2. ص 319.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ج.2. ص 319.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج.1. ص 274.

<sup>4</sup> - عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق. ج.2. ص 320.

<sup>5</sup> - عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي. ج.5، ص 162.

ولا بأس من الإشارة إلى أسماء بعض نوابغ العلم وقادة الفكر الذين جادت بهم سماء تلمسان في هذا العهد أمثال ابن قنفذ القسنطيني، وابن أجروم، والمرازقة، منهم: الخطيب، والحفيد، والكفيف. ومنهم أيضاً "ابن زاغو المغراوي التلمساني، هذا الأخير كان عالماً بالأصول العربية، والمعاني، والبيان، والحساب، والفرائض، والهندسة"<sup>1</sup>. ومنهم قاسم بن سعيد العقباني، والعلامة محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ) صاحب العقائد، وإبراهيم التازي (ت866هـ)، ومحمد ابن سعد التلمساني (ت901هـ) صاحب كتاب "النجم الثاقب"، وأحمد الونشريسي مؤلف كتاب "المعيار" (ت914هـ)، وابن مريم المديوني، وأحمد المقرئ التلمساني، إلى غير ذلك من النماذج الفكرية، والقامات العلمية التي لايسع مجال البحث لذكرهم جميعاً.

وقد نال التأليف في علوم اللغة نحوها وصرفها وفي المعجمات والبيان والمعاني والعروض اهتمام الجزائريين، فتركوا لنا إنتاجاً غزيراً. وكانت منطقة زاوية قد تصدرت غيرها من المناطق كمركز هام تُشدُّ إليها الرحال للمتعثشين إلى علم النحو، إلى جانب مدرستي قسنطينة وزاوية خنقة سيدي ناجي\*.

وقد برع في هذا العلم عديد من العلماء "وعلى رأسهم ابن معطي الزواوي، ومحمد التواتي، الذي كان يلقب بسيبويه، ومحمد الزجاي، وأحمد البوني"<sup>\*</sup>. ويضاف إلى هذه الكوكبة "يحي الشاوي، وعبد الكريم الفكون، ومحمد بن راشد الزواوي، وعاشور الفكيرين

<sup>1</sup>- التتسي: نظم الدر والعقيان في بيان شرف ملوك بني زيان. ص13.

\* - تقع خنقة سيدي ناجي في أقصى شرق ولاية بسكرة، عدد سكانها حالياً حوالي 4000 نسمة. تنتمي بلدية خنقة سيدي ناجي إلى دائرة زريبة الوادي ولاية بسكرة، وتقع على بعد 100 كم شرق عاصمة الولاية، بمحاذاة حدود ولاية خنشلة، على سفح جبال الأوراس، وعلى ضفاف واد العرب الكبير. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة موقع الكتروني في الأنترنت. <https://ar.wikipedia.org>

\* - اشتهر أحمد البوني ببنيته في جمع الأسماء الممدودة التي تأتي جموعها مقصورة فقال:

صحراء عذراء ولفاء وخبراء \*\* ممدودة كلها وزيد سبتاء

وجمعها جاء مقصوراً فكن فطنا \*\* واحفظ فديتك ما بالحفظ بأساء

- عثمان سعدي: الجزائر في التاريخ، من العصور القديمة وحتى سنة 1954. ط1. دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر. 2011م. ص425.

القسنطيني<sup>1</sup>. ولا يغيب علينا ما لألفية ابن مالك، وكذا الأجرومية، من أهمية في نظر الطلبة والأساتذة في الجزائر بشكل عام في هذا العهد، حيث كان التأليف محل دراسة وشرح لعدد من الدارسين والمهتمين بعلم النحو. فقد ألف محمد الصباغ القلعي صاحب البستان؛ (الدرة الصباغية في شرح الجرومية)، وهو عمل أشرنا إليه بشيء من التركيز في الفصل الخاص بحياة الصباغ، وتحديدًا في المبحث الخاص بمؤلفاته، وبينًا قصده من تأليفه. كما نظم خليفة بن حسن القماري "الأجرومية في شكل قصيدة لذيذة يطرب لها الناشء، ويرقص لها المبتدئ، لسلسلة نظمها، وعذوبة موسيقاها، وسماها (اللامية في نظم الأجرومية)، وكانت بمثابة ملح الطعام عند مدرسي وطلاب الجزائر"<sup>2</sup>.

وألف أبو القاسم بن محمد البجائي "كتبا منها شرح شواهد أربعة كتب، هي القطر، والشذور، والمقدمة"<sup>3</sup>. وقد اختص محمد بن العباس الوهراني بعلم الصرف، وألف "شرحًا على لامية الأفعال في التصريف لابن مالك، وكذلك شرح محمد بن يحيى البجائي لامية الأفعال"<sup>4</sup>.

كما حظي فنا الشعر والنثر باهتمام كثير من الجزائريين، وخلفوا فيهما تراثًا هامًا، في هذا العهد، غير أن قلة تشجيع الحكام الأتراك للشعراء والكتاب فيما بعد، أدى "إلى ضعف مستوى الثقافة، وإلى منافسة اللغة التركية للغة العربية في الدواوين وفي المجالس الرسمية

<sup>1</sup> - ينظر: أبو القاسم سعد الله. ج2. ط1، ص158.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ج2. ص162.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ج2. ص163. هكذا وردت من غير ذكر الكتاب الرابع، ولعل المؤلف يقصد "المقدمة الأجرومية" لابن أجزوم، والمقدمة النحوية: طاهر بن أحمد بن بابشاذ أبو الحسن. وهذا الكتاب بعنوان: "شرح المقدمة النحوية" لصاحبه أبي الحسن بن أحمد ابن بابشاذ، تح وتوق محمد أبو الفتوح شريف. وهو بحث نال به درجة الدكتوراه بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة سنة 1974م. ويحدد المحقق أصل ابن بابشاذ بأنه من العجم وتحديدًا من الديلم، ثم انتقل أبوه إلى العراق التي ولد بها ثم رحل إلى مصر، وكانت مستقره الأخير. ينظر: "شرح المقدمة النحوية" لصاحبه أبي الحسن بن أحمد ابن بابشاذ، تح وتوق محمد أبو الفتوح شريف. الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية. القاهرة. 1978م. ص26.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ج. ص163.

وفي التجارة<sup>1</sup>، والاتفاقيات الرسمية، والمعاهدات الدولية<sup>2</sup>، ولم يكن الأترك أصلا في هذا العهد يُعَلِّمُونَ أبناءهم العربية ولا يتكلمونهم يدرسون في المدارس الجزائرية، لذلك ضعف مستوى الشعر، ونزل إلى الحضيض، وحلت العامية محل الفصحى في كل هياكل الدولة، وإنتاج العلماء والشعراء، فشاع اللحن في كل مظاهر الإنتاج الأدبي، والثقافي لهذا العهد والعهد الذي يليه، وأخذ الشعر الشعبي يكتسح المجال الثقافي، ويتفوق على الأدب الفني، ويحل محله، وقد "سجل كثيرا من الأحداث السياسية والعسكرية، كما كان سجلا للنبض الاجتماعي والاقتصادي في البلاد"<sup>3</sup>.

لقد نَوَّهَ أبو القاسم سعد الله بالشعر الشعبي وأهميته في هذا العهد حيث قال: "يمكن القول من الناحية التاريخية أنه كان أشمل وأقرب إلى الحقيقة من الشعر الفني، فبينما كان الشعر الفني شعر بلاط أو شعر نفس مهزومة أو شعر مدائح نبوية ونحوها، كان الشعر الشعبي يدون جميع ما يجري في جميع المستويات تقريبا، ويصف ردود الفعل بألة تسجيل أمينة"<sup>4</sup>. والمطلع على الدواوين الشعرية التي خلفها الرعيل الأول من شعراء الملحنين، يقف على تنوع أغراضه وتعدد مضامينه، فقد خاض في جميع ألوان الحياة وسجل بصدق أحداث العصر من "هجمات الأجانب على الجزائر والانتصار عليهم، حالة السكان الاقتصادية والمعاشية، والأزمات الاقتصادية، والنكبات الطبيعية، أحوال التصوف والمتصوفين، رثاء

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ج2. ص172.

<sup>2</sup> - يقول أحمد توفيق المدني: "إن تاريخ الدولة الجزائرية لم يدرس بعد ولا يمكن أن يدرس الدراسة الحقة إلا بعد تعريب الوثائق الطائفة الموجودة الآن في خزائن الدولة التركية من جهة، وبعد تعريب كامل "دفتر التشریفات" الجزائري المكتوب باللغة التركية والذي هو من بين الوثائق المهمة التي يجب تعريبها والتي أخذها الفرنسيون معهم عند انسحابهم النهائي من أرض الجزائر... ينظر: أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492. 1792م). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1965م. ص10.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله. مرجع سابق. ج2/ص312.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ج2/ص312.

رجال الدين، ورجال السياسة، ونحو ذلك من الأغراض"<sup>1</sup>. وكان الشاعر الشعبي يقف مسانداً لانتصارات العثمانيين ضد غارات الإسبانيين في أغلب فترات هذا العهد. كان دور كل هؤلاء العلماء والأدباء والمفكرين كبيراً في جعل الجزائر حاضرة العلم والثقافة بامتياز لما شهدته من عطاء علمي ومعرفي غزير تشهد له المؤلفات القيمة التي خلفها هؤلاء العلماء في رفوف مكتباتها، غير أنه مع الأسف الشديد ما كاد ينقضي النصف الأول من القرن العاشر حتى تراجع عطاء العلماء وضعف مستواهم بشكل رهيب وركن كثير ممن عاشوا في هذا العهد إلى اجترار مؤلفات من سبقوهم، وتصدوا لها بالشرح والتفسير والتعليق ووضع المختصرات والحواشي، الأمر الذي جعل بعض الدارسين أمثال أبي القاسم سعد الله يحكمون على ثقافة هذا القرن بالضعف، وقلة محصول العلماء فيه، وغياب التجديد والإبداع خاصة في المجال العقلي والفلسفي، وتدني المستوى الفني في مجال الإبداع الأدبي.

والواقع الذي لا يختلف حوله اثنان أنه لاجمال للمقارنة بين عصر ابن خلدون المتميز بالعطاء العلمي الغزير وبازدهار الثقافة فيه بشكل عام - رغم عدم رضاه عنه - وبين عصر أحمد بن يوسف الملياني الذي قلَّ فيه الأمن وعمت فيه الفوضى ربوعه، وشهد حدوث الفتن الكبرى باحتلال الغزاة الإسبانيين الشريط الساحلي للوطن، وما صاحب ذلك من ويلات وهجرات لكثير من أسر العلم والثقافة إلى الدول المجاورة، وبصفة خاصة إلى المغرب الأقصى وهذا نتيجة غياب السلطان، مع ما كان من الحضور العثماني من اهتزاز في مفاصل لغة الوطن، كل ذلك لا بد أن يؤثر بشكل مباشر على واقع الحياة الثقافية لسكان البلد، وأن يقل مستوى العطاء الفكري والمعرفي، وأن يميل الكثير من الناس إلى تقوية الجانب الديني والإيماني في النفس، ويركنون إلى رجال الدين والمتصوفة الذين وجدوا التربة المناسبة لبث أفكارهم، وتوجيه العامة نحو التعبئة الدينية، وتهيئتهم للجهاد والتصدي

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق. ج 2/ص 312.

للأعداء. وطبيعي والحال هذه أن يقل إنتاج العلماء ويتدنى مستوى ما يتناولونه، وأن ينحصر في جانب من جوانب المعرفة الدينية وهو التصوف الذي انتشر في أوساط الناس بشكل لافت للنظر، واعتقد الناس في المتصوفة وفي الأولياء وفي قدراتهم الخارقة، فركنوا إليهم وآمنوا بكراماتهم، فنزل التصوف من عليائه إلى مستوى الحضيض، وصار سلوكا شعبويا أكثر منه عرفانيا، وانعكس ذلك في المؤلفات التي ظهرت في تلك المرحلة. وقد أشار "حسن حنفي" إلى أن معظم أعلام التصوف الذين جاؤوا بعد مرحلة التصوف الفلسفي حتى القرن السابع من مشايخ الطرق الصوفية، وأن مرحلة أخرى بعدها قد بدأت وهي مرحلة "التصوف الطرقي استغرقت حوالي خمسة قرون هي الفترة العثمانية والحامدية الشاذلية في قمتها. وقد شجعتها الدولة العثمانية حتى الدولة الوطنية الحديثة لإلهاء الشعب بالمواليد والاحتفالات الدينية والبيارق والدفوف والرقص والسماع والجذب والسحر والخرافة، بعيدا عن السياسة والتحزب السياسي ومعارضة السلطان"<sup>1</sup>. وهو الوضع نفسه الذي طبع الحياة العامة في الجزائر في شتى المجالات في عهد الاستعمار الفرنسي، بل أشد منه بأسا وظلما. هذا باختصار شديد واقع الحياة الثقافية في إقليم بلدنا على الخصوص طوال تلك الفترة التي أشرنا إليها مع مراعاة بعض التغيرات الطارئة بين فترة وأخرى على هذا الإقليم أو ذلك.

### 3.1 الحياة الاجتماعية:

لقد عاشت الجزائر أواخر القرن التاسع الهجري، وعلى امتداد القرن العاشر منه فترات متعاقبة من الانكماش الديموغرافي الذي صاحبه انتشار الأمراض وحدوث المجاعات وانخفاض مستوى المعيشة، مما كان له تأثير سلبي على النمو السكاني والتوسع العمراني

<sup>1</sup> - حسن حنفي: من الفناء إلى البقاء، محاولة لإعادة بناء علوم التصوف، ج1، الوعي الموضوعي. دار المدار الإسلامي. بنغازي. ليبيا، 2009م. ص443.

والرخاء الاقتصادي<sup>1</sup>. وتذكر المصادر التاريخية المهمة بدراسة أوضاع المغرب الأوسط في العصور الوسطى أن الفترات التي "سبقت التحاق المغرب بالدولة العثمانية (القرنين الثامن والتاسع للهجرة/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) تميزت بصفة عامة بتقهقر سكاني ارتبط بحدوث أوبئة وكوارث متعددة"<sup>2</sup>. ويذكر أبو القاسم سعد الله استمرار هذه الأوضاع خلال القرن العاشر الهجري، إذ شهد "وقوع الجوائح في العهد العثماني والنتائج السيئة التي خلفها في الأرواح وفي الحياة المادية، ولم يكن ذلك مقتصرًا على العاصمة بل كان شاملاً لجميع أنحاء البلاد، وتشمل هذه الجوائح الطاعون الذي يذكره بعض الكتاب باسم الوباء، والزلازل، والجفاف، والمجاعات الكبيرة، والجراد"<sup>3</sup>.

وقد كان "الوباء الذي ظهر في كل من فاس وتلمسان وبجاية العام الذي أعقب سقوط دولة الإسلام في الأندلس (897هـ / 1492م)، والذي جاء به اليهود المطرودون من غرناطة قد ذهب ضحيته أبو العباس أحمد بن زكري التلمساني في شهر صفر 900هـ / 1494م"<sup>4</sup>. وكان ابن مريم قد ذكر في "البستان" عدداً من العلماء والصلحاء الذين فنك بهم وباء الطاعون خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين منهم: "أبو عبد الله بن الفتوح التلمساني توفي سنة 818هـ، والعالم المتفنن النحرير سيدي محمد بن الحاج المكنى بأميزان توفي شاباً بوباء الطاعون سنة 964هـ، وسيدي محمد بن يحيى المديوني أبو السادات التلمساني توفي هو وتلميذه محمد الصغير بن موسى الوجدجي التلمساني في الوباء سنة 981هـ وسيدي محمد بن زائد القبلي الجادري التلمساني توفي سنة 982هـ"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية.

حولية فصلية محكمة. مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت. الحولية الحادية والثلاثون. 1431هـ / 2010م. ص 45.

<sup>2</sup> المرجع نفسه. ص 45.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله: مر. ج 1. ص 166.

<sup>4</sup> ينظر: عبد الله نجمي: التصوف والبدعة بالمغرب. طائفة العكاكزة. ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. 1421هـ / 2000. ص 90.

<sup>5</sup> ابن مريم المديوني التلمساني: البستان. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1986م. صفحات 281، 284، 286.

ويذكر "مارمول" أنه لم يمر وقت طويل على احتلال مدينة بجاية سنة 1510م بقيادة "ألكونت بيدرو نافارو" حتى "ظهر الطاعون في المدينة واشتد وباله حتى كان يموت في بعض الأيام مائة رجل، فما كان من "ألكونت" إلا أن أسرع بمغادرة المدينة<sup>1</sup> خوفا من الإصابة به.

وكان "جون بابنتست وولف" قد وصف بكثير من الدقة أوضاع الجزائر خلال هذا العهد حيث ذكر أن سكان الجزائر كانوا "تحت سيطرة أمراض مزمنة: الجدري، الدفتيريا وأنواع مختلفة من الحمى والأمراض الراجعة إلي التنفس، ويضاف إليها حوادث ميلاد الأطفال. لقد كانت هذه الأمراض جميعا موجودة في الجزائر، ويضاف إليها الهجمات المتكررة والمروعة للطاعون الذي أودى بحياة أناس كثيرين إذ يصل عددهم إلى ثلث مجموع السكان"<sup>2</sup>.

لقد ألحقت هذه الكوارث مجتمعة أضرارا جسيمة على جميع المستويات بالسكان حيث "انكمشت المدن وأقفرت الأرياف وانخفض مستوى المعيشة، فتحولت الحواضر الكبرى إلى أنقاض أو مدن خربة مثل هنين وبرشك ودلس وبجاية"<sup>3</sup>. ويضاف إلى هذا هاجس التهديد الذي كان "بسبب الغارات الإسبانية على سواحل الجزائر وانعدام الأمن بالريف بسبب غارات الأعراب الذين عاثوا فسادا في ربوع الوطن مما أدى إلى ركود الزراعة وتدهور الصناعة والحرف وتذبذب التجارة، وأخيرا بسبب التطاحن على السلطة الذي عرفته الدولة الزيانية في النصف الغربي للجزائر والدولة الحفصية في النصف الشرقي منها"<sup>4</sup>.

وكانت البنية السكانية للجزائر خلال مطلع العصور الحديثة "تتألف أساسا من عنصرين أساسيين بارزين هما الأمازيغ والعرب اللذان كانا على دين واحد هو الإسلام،

<sup>1</sup> - مارمول كريخال: إفريقيا، تر محمد حجي وآخرون. مطبعة المعارف الجديدة، 1989م. ج2. ص379.

<sup>2</sup> - جون بابنتست وولف: الجزائر وأوروبا (1500-1830م). تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة. الجزائر 2009م. ص158.

<sup>3</sup> - ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق. ص46.

<sup>4</sup> - بعارسية صباح: حركة التصوف في الجزائر. ص23.



ومذهب متبع من غالبهما هو المذهب المالكي، مما سهل الاندماج والانصهار بينهما إلى حد كبير [...] وكان نمط المعيشة الغالب في المدن هو الاستقرار والتحضر، بينما غلبت على سكان الأرياف البداوة والترحال لقسم من السكان لاسيما في المناطق التي تقل فيها المياه أو يسود فيها الجفاف، وقد تمكنت بعض القبائل العربية والأمازيغية من السيطرة على مناطق شاسعة من البلاد وأصبح النفوذ فيها لزعامات تلك القبائل ومن أهمها:

- آل القاضي في كوكو\* بزواوة الغربية.
  - آل مقران في مجانة وما جاورها في زواوة الشرقية.
  - آل الثعالبة في مدينة الجزائر وما جاورها.
  - آل علاهم في ورقلة.
  - آل بوعكاز في بسكرة وما جاورها.
  - آل أحمد العبد في إمارة تنس وأحوازها.
  - والأحرار في الحنانشة\* والناماشة\* في الشرق الجزائري<sup>1</sup>.
- وإلى الجهة الجنوبية نجد أيضا جاليات من السودانيين متمركزين في ولايات ومقاطعات جنوب الصحراء، كورقلة وتقرت وبسكرة وميزاب، ووصل بعضهم إلى مناطق الشمال حيث توجد فرص العمل لهم في مختلف حقول النشاط الزراعي والتجاري، وكثير منهم كانوا عبيدا يشتغلون في بعض الدور والقصور خداما لبعض الأسر الميسورة، وكانوا

\* - كوكو: منطقة في جرجرة بتيزي وزو ناحية ميشلي وفور ناسيونال وبني منصور.

\* - الحنانشة بلدية تابعة لدائرة المشروحة بولاية سوق أهراس.

\* - النمامشة أو اللمامشة أو المامشة كما تسمى عند البعض هي قبيلة أمازيغية بربرية عريقة وهي أكبر قبيلة أمازيغية في العالم كله - لها رقعة جغرافية كبيرة تمتد من جنوب سوق أهراس شمالا إلى شمال وادي سوف جنوبا ومن الحدود التونسية شرقا إلى ولاية بانتة غربا وتمتد إلى غاية ولاية بسكرة وولاية أم البواقي. كما كانت مدن نفطة وتمغزة وسندس وأم العرايس التونسية تابعة لقبيلة النمامشة قديما. ينظر: النمامشة ويكيبيديا الموسوعة الحرة. (موقع في الأنترنت).

<sup>1</sup> - بعارسية صباح: مرجع سابق. ص 24.

يتمركزون في المدن الكبيرة، كوهران وتلمسان وقسنطينة وغيرها".<sup>1</sup>

"وهذا الواقع السكاني ظل ثابتا من دون تغيير لعدة قرون إلى غاية نهاية القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر، حيث شهد المجتمع الجزائري توافد أجناس بشرية جديدة يشكلون فئات متميزة منهم: "أولا هجرة الأندلسيين التي بدأت خلال نهاية القرن التاسع وتوقّت خلال العاشر. ثانيا الوجود العثماني نفسه ويتمثل في العنصر التركي الذي حل بالجزائر مع حلول القرن العاشر الهجري وبمجيئهم ستتغير تركيبة المجتمع الجزائري، وسوف يؤثر العثمانيون بدورهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للجزائر...بوسائل حضارية شرقية"<sup>2</sup>.

"ويمكننا أن نضيف إلى ذلك الوجود المسيحي واليهودي"<sup>3</sup> في الجزائر. فالوجود المسيحي انتعش بفضل النشاط البحري في حوض المتوسط بفضل الأسطول العثماني، حيث بسط نفوذه على المياه الإقليمية للجزائر وتمكن من أسر عدد كبير من القوافل التجارية، فأدى ذلك إلى وجود أعداد كبيرة من الأسرى المسيحيين الذين لم يتم تسريحهم لعجزهم عن دفع الفدية عن أنفسهم، ويقدر جون "بابتست وولف" عددهم بـ "خمسة وعشرين ألفا من الأرقاء"<sup>4</sup>.

وأما الوجود اليهودي فقد ارتبط بهجرة الأندلسيين إلى المدن الساحلية الجزائرية، وهي تلمسان، مستغانم، تنس، شرشال، الجزائر، دلس، بجاية، وعنابة، وقد رحب بهم الجزائريون واندمجوا معهم بسرعة وصاروا -أي الأندلسيين- يشكلون قوة موحدة ضد الهجمات الإسبانية على السواحل الجزائرية فيما بعد، وقد أثروا في المجتمع المحلي بشكل إيجابي على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والحضاري بشكل عام لما استفدوا من حرف وفنون وطرائق في البناء والعمران، وفي فلاح الأرض والبستنة وتزيين الدور والقصور، فارتقت بوجودهم الجزائر في مجالات مختلفة، في "الطب والموسيقى والزراعة والصنائع والحرف

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 25.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق. ج 1. ص 148-149.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ج 1. ص 148.

<sup>4</sup> - جون بابتست وولف : مرجع سابق. ص 161.

والتجارة والتعليم والخط والوراقة وصناعة الكتاب [...] وهكذا أصبح الأندلسيون على مر السنين يشكلون عنصرا بارزا مؤثرا في السكان بحركتهم التجارية وذكائهم وعلمهم وصنائعهم ومهارتهم في البحر"<sup>1</sup>.

وبعد استقرارهم النهائي في الجزائر\*، وطنهم الجديد، أنشأوا تجمعات عمرانية تتميز بطابعها المعماري الأندلسي فتحوّلت مع مرور الوقت إلى حواضر كبيرة "مثل البلدية (942هـ -1535م) والقلية (957هـ - 1550م)"<sup>2</sup>، موازاة مع نسج عمرانية جديدة بكل المدن الساحلية التي استقرت بها هذه الجالية على شاکلة مرتفعات الجزائر حاليا (حي الثغرين Les Tagarins)، ودلس، وبجاية وغيرها من المراكز الحضرية العمرانية الجديدة، التي غيرت من معالم العمران القديم للمدن الجزائرية، ونسنتني من ذلك مدينة وهران التي لا تزال تحت هيمنة الإسبانيين، ولم يتم تحريرها بعد، وكذا أوضاع مدينة تلمسان العاصمة الزيانية التي لم تعرف سلما دائما طيلة ثلاثة قرون جراء الصراع بين أمرائها من جهة، وأطماع الدولتين الحفصية والمرينية لضمها إليهما من جهة أخرى، كما وضحنا ذلك في الحياة السياسية لهذا العهد. وأخيرا يمكن إجمال أهم فئات المجتمع الجديد للجزائر العثمانية وفق المتغيرات التي صاحبت الوجود العثماني في هذا العهد، حيث نجد السكان الأصليين من بربر، وعرب، والأتراك الذين يتوزعون إلى فئات متميزة، نجد منهم الأتراك الأصليين، ويشكلون مقدمة ترتيب السكان، وهم رأس الطبقة الحاكمة، يليهم الانكشارية، ثم الأعلاج والکراغلة، وهم أبناء الانكشارية من النساء الأهليات"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله. مرجع سابق، ج1. ص149.

\* - تذكر المصادر التاريخية أن "عروج" كان ينقل بنفسه أعدادا كبيرة من المهجرين الأندلسيين بسفنه الحربية وقواربه التجارية، وكانوا يتوزعون على الشريط الساحلي للجزائر، ويمرور الوقت أصبحوا يشكلون أغلبية سكان المدن الساحلية، فاستقر حوالي ألفان من الغرناطيين مدينة شرشال، وقصدت جماعات أندلسية أخرى مدن تلمسان، وتنس، وبرشك، ودلس، وعنابة، وغيرها. ينظر: ناصر الدين سعيدوني. مرجع سابق، ص57.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص57.

<sup>3</sup> - جون بابنتست وولف. مرجع سابق، ص163.

أما أولاد الانكشارية من الأسيرات المسيحيات، فيصنفون في رتبة أعلى من أبناء النساء الجزائريات من الانكشارية، حيث يحق لهؤلاء احتلال مناصب قيادية عليا في الجيش والسلطة، ولا يحق للكرادلة ذلك إذ يعتبرون عبيدا في نظر الانكشارية. وقد قاد هؤلاء تمردا ضد هذا التمييز في الاعتبار والمطالبة بحقهم في المساواة مع غيرهم، فقبولوا بعنف شديد واضطهاد أكبر، وأبعدوا كلية عن مصادر التأثير العسكري والسياسي لفترة طويلة، فقد تم تهجيرهم بالقوة إلى ناحية الأخرسية<sup>1</sup>. يضاف إلى هذه الفئات المهاجرون الأندلسيون، ثم اليهود الذين جاؤوا لاجئين معهم إثر سقوط غرناطة. ويجمع المؤرخون على أنه بعد ترسيم الوجود العثماني في الجزائر بصفة نهائية، وتحرير المدن الواقعة تحت الهيمنة الإسبانية كجاية ووهران والمرسى الكبير، شهدت الجزائر فترة استقرار وأمن فتفرغ الناس إلى شؤونهم ووظائفهم، فتغيرت أوضاع المجتمع وتحسنت أحواله المعيشية طيلة القرن العاشر الهجري، ونشطت الملاحة البحرية، وازدهر معها النشاط التجاري البحري، خصوصا مع تنامي النشاط القرصني، وانعكس كل ذلك إيجابا على أوضاع المجتمع الجزائري جراء توفر السلع، وانخفاض أسعارها.

#### 4.1 الحياة الدينية.

تميز العصر الذي عاش فيه أحمد بن يوسف الملياني (النصف الثاني من القرن التاسع والثلاث الأول من القرن العاشر الهجريين)، بتأثير الدين على الحياة الفكرية في كل مظاهرها رغم الاختلافات الحاصلة بين فترة وأخرى، والناجئة عن تغير المناخ السياسي، وتغيير طبيعة الحكم، مما يؤثر مباشرة في طبيعة الحياة الدينية وما يصاحبها من انتعاش وازدهار تارة، وانكماش وخفوت تارة أخرى، وهذا الوضع ينسحب عموماً على كل مظاهر الحياة الأخرى في ذلك العهد، غير أننا يمكن أن نلاحظ أنه برغم الحراك السياسي المتسم بالاضطراب وعدم الاستقرار في تنازع الأمراء على السلطة في إقليم مملكة بني زيان، فإن

<sup>1</sup> - ينظر ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق. ص 58.

العلوم الدينية وما يتصل بها من مظاهر السلوك والطقوس والشعائر الدينية قد بقيت "منسجمة في مجملها، ونقية في معظمها من البدع المذهبية والفكرية التي مزقت وحدة المشرق، وذهبت بانسجامه السياسي والعقدي والمذهبي، عكس بلاد المغرب الذي ظل يحتفظ بوحدة المذهب المالكي وريادته في البيئة المغربية"<sup>1</sup> عموماً، وفي سائر أقاليم الجزائر بصفة أخص.

وقد شهد هذا العهد إقبالاً متزايداً للناس على حفظ القرآن الكريم ودراسته والاهتمام بعده بالسنة النبوية الطاهرة، باعتبارهما عماد الدين وأساس الإيمان الذي قامت مبادئه على أساس العدل والإحسان، ثم انبرى الناس على دراسة علوم أخرى لها صلة بالقرآن والسنة النبوية كعلم التفسير والقراءات والحديث والفقه "وكثر المشتغلون بها لأنها من العلوم المحمودة المفروضة على كل مسلم ومسلمة حتى تصحَّ عبادته وتستقيم معاملته"<sup>2</sup>.

ولما كان معظم سكان المغرب الأوسط (الجزائر) من المسلمين، كان من الطبيعي أن يتسم سلوك المجتمع بالتعاليم الإسلامية على المذهب المالكي، وعلى ما يتوافق وتعاليم السنة النبوية وإجماع العلماء، فكان الإنسان الجزائري شديد الحرص على تطبيق مبادئ الشريعة في كل مظاهر حياته المادية والروحية على حدٍ سواء، فيأتي بالصلوات الخمس في أوقاتها، ويستعد لصيام شهر رمضان، والقيام فيه بالذكر والعبادات، ويحرص الميسورون على أداء فريضة الحج من استطاع إلى ذلك سبيلاً، كما كان أهل الثروة والتجارة وأرباب المال يؤدون فريضة الزكاة طوعاً تلقاء أنفسهم وإيماناً منهم بوجوبها الشرعي"<sup>3</sup>.

وكان الأمراء الزيانيون يتصدرون مظاهر الاحتفاء بالمناسبات الدينية، والحضور الدائم في المحافل الاحتفالية، التي تقام عادة في المؤسسات الدينية، وكان هذا السلوك مما أثار في سلوك السكان، وجعلهم يُظهرون حرصهم على الاحتفاء بالمناسبات

<sup>1</sup> - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني. ص 435.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 435.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 370.

الدينية والأعياد، فكانوا يصلّون التراويح طيلة شهر رمضان<sup>1</sup>، ويجلسون في حلق الذكر وتلاوة القرآن أفراداً وجماعات، ويستعدون لاستقبال العيد ودفْع زكاة الفطر للفقراء والمحتاجين من عامة أبناء المسلمين.

ولا يعزب عن بالنا أن نهاية القرن التاسع كانت قد شهدت انتشار المساجد والزوايا والكتاتيب بفضل التشجيع الذي دأب عليه ملوك تلمسان، وكان من نتائج ذلك أن ازدهر التعليم، وكثر إقبال طلبة العلم على المؤسسات التعليمية، وأصبحت الأهداف لا تقتصر على تحفيظ القرآن فحسب، بل أصبح التعليم يأخذ بعده الاستراتيجي في الاهتمام "بالعلوم النقلية والآداب، كالتفسير، والحديث، والفقه، وعلم الكلام، واللغة، والنحو، والصرف، والعروض والبلاغة. أما العلوم العقلية كالفلسفة، والمنطق، فكانت هي الأخرى تعنى بتدريس علم النجوم، والفلك، والرياضيات"<sup>2</sup>، والهندسة، والمنطق.

ولكن الغالب على مواد التعليم المفروضة في المؤسسات التعليمية والدينية على الخصوص في ذلك العهد هو مجال العلوم الدينية، حيث ازدهرت الدراسات القرآنية، والحديث، بشكل لافت للنظر، وكان جل الطلبة يتلقون "دروساً في تفسير القرآن الكريم، وكانت كتب الحديث أيضاً مما يتلقاه الطلبة والمريدون مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترميذي وأبي داود والموطأ سماعاً وتفقهاً"<sup>3</sup>.

وفي مجال الفقه سيطرت "كتب فقهاء المالكية المتداولة على سائر المذاهب الفقهية الأخرى حينذاك، كمؤلفات ابن الحاجب<sup>4</sup>، والجلاب<sup>1</sup>، وابن رشد، وأبي زيد القيرواني، وخليل

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 370.

<sup>2</sup> - قدور إبراهيم عمار المهاجي: وهران تاريخ وثقافة، دار الأديب. وهران 2007 م. ص 52.

<sup>3</sup> - التنسي: تاريخ ملوك بني زيان. ص 14.

<sup>4</sup> - ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو ابن الحاجب الكردي الأصل ولد بمصر 571هـ. وتوفي سنة 646هـ. الفقيه المالكي الأصولي النحوي. من مؤلفاته: كتاب الجامع في الفقه، الكافية في النحو. الشافية في علم التصريف وغيرها. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة. org

ابن إسحاق، وبعض كتب الشافعية كالشيرازي، والغزالي، وبعض كتب الحنفية والحنابلة<sup>2</sup>. وكانت كتب أخرى قد لاقت إقبالا كبيرا من طلبة العلم المغاربة واعتبرت مصادر أساسية لتحصيل المعرفة، والتعمق فيها، كمثل كتب أصول الفقه، وكتب أخرى في البيان، وفي التصوف. فقد اعتبرت قصيدة الشاطبي في علم القراءات فرضاً على طلبة العلم في الزوايا، والكتاتيب، والمدارس المختلفة، إلى جانب مؤلفات ابن عاشر في فقه العبادات، وكان كتاب "التلخيص" للقرويني، وكتاب "الإحياء" للغزالي<sup>3</sup> وغيرها من الكتب القيمة عمدة ما يعطى لطلبة العلم في ذلك العهد، وقد استمر الوضع التعليمي على هذا النمط طيلة القرن التاسع الهجري، وتميز بظهور أعمال وآثار في مجال تفسير القرآن الكريم والفتاوى، ومن بين المفسرين المشهورين في ذلك العهد؛ "أحمد بن زاغو" قام بتفسير سورة الفاتحة، وكذلك "سعيد العقباني" قام بتفسير سورتي الفاتحة والأنعام<sup>4</sup>، كما فسّر "محمد بن عبد الكريم المغيلي" (ت909هـ/1503م) سورة الفاتحة، وألف كتاباً آخر في علوم التفسير عنوانه "البدر المنير"<sup>5</sup>.

وكان "محمد بن يوسف السنوسي" قد خلف عديداً من المؤلفات<sup>6</sup> منها في القراءات والتوحيد والتفسير، حيث يذكر أنه فسر القرآن الكريم كله، "ولكن فيما يبدو كان هذا التفسير شفاهياً، بحيث لم يسجل إلا بعضه كسورة الفاتحة وتفسير صدر سورة البقرة وسورة (ص)"<sup>7</sup>، وكذا أعماله في علم الحديث منها شرح "صحيح البخاري" وشرح "مختصر الزركشي على

<sup>1</sup>- عبيد الله بن الحسن أبو القاسم ابن الجلاب: الفقيه المالكي البصري (ت378هـ). له كتاب "التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس، وكتاب في مسائل الخلاف. الزركلي: الأعلام. ج4/ص193.

<sup>2</sup>- ينظر التنسي: تاريخ ملوك بني زيان. ص15.

<sup>3</sup>- ينظر المرجع نفسه. ص15.

<sup>4</sup>- ينظر: عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني. ص439.

<sup>5</sup>- ينظر: المرجع نفسه. ص439.

<sup>6</sup>- لقد أشرنا إلى مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي في المبحث الذي خصصناه للتعريف به كأحد شيوخ أحمد بن يوسف الملياني يمكن الرجوع إليها في موضعها من الكتاب. ص72.

<sup>7</sup>- ينظر: المرجع نفسه. ص439.

صحيح البخاري"<sup>1</sup>. وقام "ابن مرزوق الحفيد" بتفسير عدة سور من القرآن الكريم هي "الإخلاص" و"المائدة" و"مريم"<sup>2</sup>، وقام "محمد بن عبد الله التنسي" (ت899هـ/1493م) بتأليف كتاب في رسم القرآن سماه "الطرار في شرح الخراز"<sup>3</sup>. وثمة مؤلفات في علم الحديث للتنسي، والمغيلي، ومحمد بن مرزوق الحفيد، وغيرها من المؤلفات التي تعكس الجو العلمي السائد في ذلك العهد الذي سيطرت فيه العلوم الدينية على العلوم العقلية كما سبق وأن أشرنا.

والحق أن مستوى المؤلفات في هذا العهد قد تميزت بالجدة والتركيز، وإعمال الفكر، وتبسيط المفاهيم والشروح، لتمكين العامة من استيعاب مضامينها. غير أنه قد توقف عطاء العلماء وقتل إنتاجهم العلمي بحلول القرن العاشر الذي شهد الحضور العثماني، حيث لم يشهد حضورهم أي مظهر من مظاهر التجديد في مجال الحياة العقلية، وكل ما ساد هذه المرحلة هو شيوع المؤلفات ذات الطابع الديني المحض، وتتحصر في العلوم الشرعية والصوفية والمجالات الأدبية"<sup>4</sup>، وكذا المدائح الدينية، وقد كثر إنتاج هذا النوع من المؤلفات إلى درجة أن أصبح عنوان العصر. فقلما تجد عالماً لم يترك أثراً في ناحية من نواحي المعرفة الدينية في الحقول المذكورة. وكان من أهم ما ميز مؤلفات هذا القرن هو "التقليد والتكرار والحفظ. فالفقهاء قلما اجتهدوا أو استقلوا بأرائهم، بل كانوا يقلدون سابقهم تقليداً يكاد يكون أعمى"<sup>5</sup>.

وكان الحكم على من حاول الاجتهاد وإعمال الفكر والرأي والخروج عما تواطأ عليه فقهاء العصر كان مآله العزل من وظيفته، وربما اتهم بالكفير والزندقة<sup>6</sup>، ومن المؤسف ألا

<sup>1</sup> - ينظر: عبد العزيز فيلالي مرجع سابق. ص 444.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه. ص 440.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 440.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق. ج 2/ ص 09.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه. ج 2/ ص 09.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه. ج 2/ ص 09.



نجد في هذا العهد - أعني القرن العاشر الهجري - من علماء الجزائر من دعا إلى تقديم الاجتهاد العقلي (الدراية) على التقليد (الرواية). فهم كانوا يرددون أقوال المتقدمين ويحفظونها حفظاً سطحياً لا عقل فيه، ولا تفكير، ويسردون المسائل كما هي في الكتب لا كما تقبلها أو ترفضها عقولهم<sup>1</sup>. وإذا ابتعدنا عن المجال الديني وباستثناء الثقافة الأدبية لم نكد نجد تأليفاً ذا بال في مجال العلوم العقلية والطبيعية والفلسفية ذلك أن واقع التعليم سواء أكان دينياً أم دنيوياً كان هابط المستوى جداً خلال هذا العهد وأن "الفلسفة والحساب ومعرفة الفيزياء والطب التي كانت منذ بضعة قرون فقط تكاد تكون حكراً على المسلمين أصبحت غير معروفة أو مدروسة إلا قليلاً بالجزائر"<sup>2</sup>.

وفي ظل انخفاض مستوى التعليم اختفت العلوم والفنون وحلت محل المدارس والمعاهد العلمية الزوايا التي كانت معظمها تسبح خارج السياق الطبيعي لها. و عوض أن تنهض بمستوى التعليم وتبعث الفكر التنويري في أوساط المجتمع انغمست هي الأخرى حتى النخاع في دروب التخلف، فانقلبت عن وظيفتها السامية، وتحولت إلى معقل خرافة ببناء عقلية التواكل بعزوف أهل الزوايا عن العلم إلى الخوارق والكرامات<sup>3</sup>، واستغل صنف من أشباه الصوفية والمرابطين الظرف وتسلطوا على رقاب الناس وحاولوا بكل الطرق استغلال جهل العامة واستمالتهم إليهم، ونشر الجهل والخرافة في أوساطهم، ووصل الحال ببعض الزوايا أن استنسخت فيها كتب السحر والشعوذة، ووجد كثير من الطلبة أنفسهم في وضع يسمح لهم بلعب دورين متلازمين، وصاروا أهل الحل والربط، ينفثون سمومهم في أوساط العامة، ويدعون في نفس الوقت القدرة على الإشفاء وتخليص المعتلين مما أصابهم من أمراض مختلفة، نفسية وعضوية، وحالات العقم، والإصابة بالجنون، والتعرض للسحر، وغيرها من الحالات التي يلجأ إليها كثير من الناس اضطراراً من أجل الاستطباب، والتماس

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ج2/ ص10.

<sup>2</sup> - جون بابتيست وولف: مرجع سابق. ص155.

<sup>3</sup> - بعارسية صباح : حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري. ص137.

الشفاء، ومع مرور الوقت تمكن هؤلاء الدجالون من كسب المواقع، وحياسة قصب السبق في التأثير على أوسع شرائح المجتمع، وتوجيه ذهنياته، حتى "صار لعاب المرابط دواءً يشفي من كل داء"<sup>1</sup>. هذه باختصار إطلالة على أهم الأوضاع التي عاشتها الجزائر، والمحن التي مرت بها خلال هذا العهد من تاريخها المجيد، الحافل بالبطولات، والأحداث، والمتغيرات.

---

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ج2/ ص09.

## الفصل الثاني

### ترجمة أحمد بن يوسف الملياني (الراشدي)

المبحث الأول: مولد أحمد بن يوسف الملياني (الراشدي)

المبحث الثاني: نسبه

المبحث الثالث: تكوينه وسياحاته

المبحث الرابع: زوجاته وأبنائه

المبحث الخامس: هيئة الملياني الخلقية والخُلُقِيَّة

المبحث السادس: شيوخه

المبحث السابع: منهجه الصوفي

المبحث الثامن: سلسلة سند طريقته الصوفية

## 1.2 مولد أحمد بن يوسف الملياني الراشدي.

الغموض سمة الحياة الأولى للشيخ أحمد بن يوسف الذي قدمه لنا "الصباغ"<sup>1</sup>، هكذا بداية من منتصف عمره بعد عودته من بجاية، حيث استكمل دراسته هناك، وعليه فإننا لا نملك وثائق ثبوتية ما نرسم به تاريخ ميلاد هذه الشخصية الأسطورية، والتعرف على معالم نشأته ونبوغه، بالرغم من وجود "البستان" موسوعة الصباغ، التي تحدث فيها عن كل شيء يتعلق بإبراز مكانة شيخه صارفاً النظر عن الخوض في الحديث عما يتعلق بحياته الأولى وتاريخ ميلاده وظروف نشأته.

وسكوت الصباغ عن إيلاء هذا الجانب الأهمية، ترك الباب مفتوحاً على مصراعيه لظهور كتابات وسير لاحقة عن "البستان"، والتي حاولت أن تخوض في ما لم يخض فيه الصباغ، فلجأت لملء هذا الفراغ إلى الروايات الشفوية، فأطلق رواد هذه الكتابات العنان لخيالهم، ونسجوا روايات حول مولد الولي الصالح أحمد بن يوسف هي أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع.

فقد حاول F.Pharaon استغلال ما وصله من وثائق وتجمع لديه من أخبار حول ظروف ميلاد الولي، فساق من أجل ذلك رواية تصلح أن تكون حدثاً مقدساً شبيهاً بميلاد نبي من الأنبياء، فيه كثير من الخيال والغرابة، فقد ذكر F.Pharaon "بأن والد سيدي أحمد بن يوسف من أصول مغربية وتحديداً من "فجيج"، وحين عزمت أسرته على الانتقال إلى غرب الجزائر أحست أمه أثناء الطريق بآلام الولادة، فتوقفت القافلة الصغيرة تحت ظل شجرة حيث ولد الولي المسمى لاحقاً "سيدي أحمد بن يوسف"، وكانت أمه واثقة بربها، فتركت الصبي وسط كومة من شجيرات النخيل الصغيرة، ثم واصلت سيرها مع زوجها وقلبها خال من أثر القلق على مصير صبيها، وكان المكان الذي ترك فيه مرابط المستقبل لا يقصده

<sup>1</sup>محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي مؤلف كتاب: "البستان"

للرعي إلا قطيع تابع لرجل من بني "مراح" يدعى "ابن يوسف"، هذا القطيع أكل كل الأعشاب المحيطة بأشجار النخيل حيث يستريح (lélu) أي المصطفى، وشاءت إرادة الله أن تشاهده بقرة بقعاء وتتقدم إليه وترضعه.

ابن يوسف صاحب القطيع، لم يتأخر أن لاحظ أن بقرته لم تعد تعطي له الحليب على سابق عهدها، وراح يشك في إخلاص الراعي المرافق للقطيع فقرّر معاينة الوضع عن قرب، فموقع نفسه في أعلى ربوة مشرفة على المرعى وتربص هناك لبعض الوقت، فرأى البقرة البقعاء تتفصل عن القطيع بحذر، وتدير رأسها من حين إلى حين، ثم أرخت مؤخرتها على كومة من النخيلات الصغيرة، فتوجه ابن يوسف نحوها فوجدها قد أرضعت الولي الذي كان وجهه يتأجج نورا سماويا، وقد كسته الملائكة ذهباً وحريرا بعدما أهملته أمه.

أخذ ابن يوسف الطفل الرضيع ووضعه في برنوسه، وحمله إلى خيمته، وكان قد حُرّم من الذرية من قبل، فتبنى هذا الرضيع الذي بين يديه، وسماه أحمد، وبعد مدة كبر أحمد وأضاف إلى اسمه اسم يوسف الأب الذي تبناه، وحدد Pharaon تاريخ ميلاد الولي في النصف الأول من القرن 11 الهجري في ضواحي معسكر في أولاد مراح إحدى بطون قبيلة هاشم<sup>1</sup>، استنادا إلى الرواية العربية<sup>2</sup>، وهذا التاريخ بعيد كل البعد عن الحقيقة، ولم يتحرّر فيه المؤلف الدقة المطلوبة التي هي سمة الباحثين الأجانب.

ونقل C.DUVERNOIS حرفيا ما قاله FL.Pharaon دون أن يشير إلى هذا المصدر، وذكر أن أحمد بن يوسف "ولد في النصف الأول من القرن 11 الهجري بضواحي معسكر..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>-هاشم أوبنو هاشم قبيلة بريرية قرب سهل غريس تابعة لمقاطعة معسكر، ذكرها كل من :

E.DAUMAS.la vie arabe et la société musulmane.p229.

R-BASSET.lexicographie berbère.p21.

<sup>2</sup> -FI-PHARAON. le marabout si-AHMED BEN YOUSSEF et ses Daoui.revue de l'orient de L'ALGERIE et des colonies .T15 paris 1854.pp 118-119 .

<sup>3</sup> -CLEMENT DUVERNOIS. L'Algerie pittoresque, paris 1863,p.100.

وسجل R.BASSET أنه "ولد في قلعة بني راشد البلدة الصغيرة المتواجدة في منطقة جبلية كثيرة الطرائف بين غليزان ومعسكر، وذكر قصة الولادة الأسطورية للولي مثيلة للتي ذكرها FL.Phaaron"<sup>1</sup>، ولم يذكر تاريخ الميلاد ولم يشر إليه. أما M.BODIN فيذكر تاريخ ميلاد أحمد بن يوسف دون تعيين دقيق، وذلك "في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي بضواحي قلعة بني راشد على مسافة 5 ساعات مشيا على الأقدام من معسكر"<sup>2</sup>.

وفي حديثه عن ولي مليانة حدد E.DERMENGHEM "تاريخ ولادة أحمد بن يوسف الراشدي في قلعة بني راشد قرب معسكر في الثلث الثاني من القرن 15م"<sup>3</sup>. وقد قدم حاج صادق في محاولته ضبط تاريخ ميلاد أحمد بن يوسف ثلاثة احتمالات "قيل إنه ولد سنة 836هـ، وقيل في سنة 840هـ، وقيل في سنة 844هـ"<sup>4</sup>، ومهما يكن من أمر اضطراب هذه الأقوال فإنه يمكننا أن نجعل تاريخ ميلاده بصفة تقريبية في منتصف القرن 9هـ/15م، أو في الربع الثاني منه، ولا يُستبعد أن يكون سنه قريبا من شيخه زروق الذي توفي سنة 899هـ عن عمر لا يتعدى الثالثة والخمسين، وقد عاش بعده أحمد بن يوسف ما يزيد عن ثلاثة عقود كاملة.

## 2.2 نسبه.

البحث عن تحديد نسب أحمد بن يوسف الراشدي كمن يحاول الكتابة على صفحة الماء، ذلك أن روايات كثيرة بعضها شفوي وبعضها مدون، حاول فيها أصحابها وضع اليد على النسب الحقيقي لصاحب ضريح مليانة وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، خلصت جميع هذه الروايات إلى تحديد عمودين مختلفين لشجرة الانتساب:

<sup>1</sup> - R.BASSET. Les Dictons Satiriques sur les villes et les tribus d'Algerie attribués à sidi Ahmed ben youcef.journal asiatique T.XVI.8eme Série,septembre-octobrej 1890.p205.

<sup>2</sup> -M.BODIN. Notes et questions sur sidi Ahmed ben youcef Revue Africaine. 1925,p34.

<sup>3</sup> - DERMENGHEM (Emile), Sidi Ahmed Ben youcef,patron de Miliana  
http://millianaville.com , septembre 2012,p1.

<sup>4</sup> - ينظر:حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ص78.

- الأول حاول فيه أصحابه تنزيل أحمد بن يوسف منزلة النسب النبوي الشريف ورفعته إلى السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ عبر الشجرة الإدريسية.

- والعمود الثاني حاول فيه مترجموه التأكيد على نسبه الزناتي من خلال قرائن أثبتتها الصباغ في "البستان". فهل ينتهي نسبه فعلا إلى آل البيت النبوي؟. أم نسبه بربري زناتي لاغبار عليه؟. للإجابة عن هذين السؤالين سوف نستعرض ما تم توثيقه في مظان المصادر التراثية القديمة المهمة بعلم الأنساب وما خلصت إليه.

وفي هذا الصدد فقد تصفحت عددا من المصادر التاريخية المهمة بحفريات الأنساب تتحدث عن النسب الشريف لسيدي أحمد بن يوسف، ومن ذلك ما وجدته في مخطوطتين بعنوان "كتاب التعريف بنسب الشيخ"<sup>1</sup> لمؤلف مجهول. وجاء التعريف هكذا: الإمام قدوة السالكين وإمام العارفين وتاج الموحدين وترجمان المتكلمين، قطب الأقطاب وغوث الأغواث وجرس الأجراس سيدي أحمد بن يوسف أفاض الله من أنواره وأدرکنا بركاته وبركات أمثاله أمين، وهو رضي الله عنه وأرضاه أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الجليل بن يمداس بن عبد الرضى بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق ابن أحمد بن زين العابدين بن حمود بن علي بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة النبوية رضي الله عنهما بنت سيدنا ومولانا محمد ﷺ ولا شرف من غيرها"<sup>2</sup>.

وكذا ما أورده صاحب كتاب "الدرر البهية" بخصوص عمود النسب المريني الشريف لأحمد بن يوسف الملياني وهو "مرين بن غانم بن مرين بن عزوز بن صفوان بن محمد ابن

<sup>1</sup> - المخطوطتان: الأولى تحت رقم 1457 د. والثانية تحت رقم 1471 د. عثرت عليهما في مكتبة الخزانة العامة للمخطوطات بالرباط، المملكة المغربية، وقد عثرت أيضا في موقع "برج بن عزوز البرجي" للمخطوطات على النسخة رقم 1457 نفسها بعنوان "مناقب سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، وقام بنسخها الناسخ عبد القادر بن عبو الشببي الحسني الجوطي غفر الله له. ويبدو حسب ما هو مدون أسفل الورقة الأولى أن مصدر هذه النسخة هو "مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود-الدار البيضاء.المغرب.

<sup>2</sup> - المخطوط رقم 1457. ص 1.

داود بن المهدي بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً<sup>1</sup>.  
وقد تحدث صاحب كتاب "تحفة الحادي المطرب" عن عقب المولى محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر وقال: "أولاد مريم بن غانم أربع فرق: فرقة بسجلماسة وفرقة في فكياك (فجيج) وفرقة في تلمسان وفرقة في مليانة"<sup>2</sup>. ويضيف صاحب "التحفة" فرقتين أخريين من فرق بني محمد بن إدريس وهم أولاد عبد الله بن عبد الحميد نزلوا بورقلة وأولاد عزوز ببشار"<sup>3</sup>.

وهناك شجرة أخرى أوردتها محمد بن علي الطرابلسي وفيها يرى أن شجرة سيدي أحمد ابن يوسف الملياني كما يلي: "هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن عبد الجليل بن يمداس بن منصور بن علي بن مناصر بن عيسى بن عبد الرحمن المدعو (تدغير) بن يعلى بن إسحاق المدعو (عبد الله العلي) بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت محمد عليه الصلاة والسلام"<sup>4</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الصباغ لم يول أهمية كبيرة في "البستان" بنسب شيخه واقتصر على ذكر عبارة "الراشدي"<sup>5</sup>، ولم يفك شفرة هذا النسب ولم يصله بحبل شجرة النسب النبوي

<sup>1</sup> - إدريس الفضيلي: الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة ومقابلة: أحمد بن المهدي العلوي، ومصطفى بن أحمد العلوي، ج2. مطبعة فضالة، المحمدية. المملكة المغربية. 1420هـ/1999م. ص68.

<sup>2</sup> - أبو القاسم الزياني: تحفة الحادي المطرب في رفع شرفاء المغرب. تح- رشيد الزاوية. ط1، مطبعة الأمنية. الرباط. المملكة المغربية. 2008 م. ص82.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه. ص 81.

يذكر أبو القاسم الزياني أن أول من دخل المغرب من الأشراف إدريس بن عبد الله ونزل زرهون عام 170هـ، في خلافة موسى الهادي، وبإيعام أمير البربر لوقته عبد المجيد الأوربي الصنهاجي وزوجه ابنته كنزة وتمت مبايعته إلى أن مات مسموما عام 177هـ. وخلف زوجته حامل، ولما وضعت ذكرا سمي إدريس الثاني، ولما بلغ بايعه البربر وتولى ملك أبيه من بعده، وخلف إدريس بضعة عشر ذكرا، تكاثروا، وانتشروا في أنحاء المغرب. أبو القاسم الزياني: التحفة، ص58، 59.

<sup>4</sup> - محمد بن علي الطرابلسي: العقد من المجموعة في أصل الطريقة الشاذلية. ص430.

<sup>5</sup> - "البستان": مخطوط. ص (1و).



الشريف على شاكلة ما وجدناه في المصادر السابقة المهمة بشجرات الأنساب. وأضاف الصباغ إلى النسب الراشدي لشيخه عبارة "الدار"، وتعني السكن والإقامة في هذا الموطن تحديداً، وتعني أيضاً الأصول الأولى لهذا الولي.

وقد جاء في كتاب "سلسلة الأصول في نسب أبناء الرسول" للقاضي حشلاف حول شرفاء غريس\*، ما أثبت به أصول بني راشد، وامتداد سلسلتهم إلى سيدنا إدريس الأول ابن عبد الله الكامل، "فمن شرفاء غريس عبد الرحمان بن عيسى بن عثمان بن عيسى بن عقيل بن أحمد بن محمد بن أحمد من أبناء أحمد بن راشد بن يحيى بن علي بن محمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل [...] وأضاف أن يحيى أبا راشد هذا مات قتيلاً وترك الحسن وإدريس وعلياً ويوسف وعامراً، ورشداً في بطن أمه، فلما وضعته بقرب موته وكبير، قسم المال مع إخوته، وانتقل هو وأخوه عامر إلى غريس، فسكن عامر مع البرابرة في "كرسوط"، وبه توفي عن أبناء يسمون الآن أبناء عامر. ونحا راشد نحو هواره وتزوج منهم بامرأة ولدت له أحمد وإبراهيم وانتقل إلى طنجة وبقي أحمد في موضعه إلى أن مات عن اثني عشر ولداً هم أصول بني راشد وبهم سميت معسكر وضواحيها الراشدية"<sup>1</sup>.

وقد فاق صاحب "الريح" -اجتهادا- جميع من ترجموا لسيدي أحمد بن يوسف بعد الصباغ، حيث حاول وسعه أن يصل نسب الشيخ أحمد بن يوسف بالشجرة الإدريسية الحسنية، وقد خصه بهالة من الأوصاف الجليلة ورفعها مكاناً علياً فقال: "هو الإمام الأسد الضرغام الولي المجذوب الكامل الكبير والقطب الغوث الواصل الشهير العارف بالله الرياني والمجذوب الروحاني أبو العباس سيدي أحمد المريني نسبا الهواري وطنا الراشدي منشئاً

\* - غريس "سهل من سهول الوطن الراشدي سمي غريسا لأنه كان مغروساً بأنواع الأشجار ذوات الأثمار، وسكانه هم بنو زروال وبنو توجين ومغراوة، والوطن الراشدي عاصمته معسكر غرب الجزائر، يحده شرقاً جبل المناور، وغرباً جبل كرسوط، وجنوباً جبل البنيان وشمالاً القلعة". ينظر: كعبة الطائفين لمحمد بن سليمان الجزولي، رسالة دكتوراه مخطوط، تح قيداري قويدر. جامعة تلمسان، 2014، ص 541.

<sup>1</sup> - عبد الله بن حشلاف: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929م. ص 110، 111.

الشريف الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الجليل بن يمداس ابن عبد الرضا بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن أحمد زين العابدين بن حمود بن علي بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عم رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم<sup>1</sup>.

ولتأكيد صحة نسب أحمد بن يوسف وربط حبله بالأسرة العلوية الشريفة، كان صاحب "الريح" قد رجع إلى مصادر الأنساب التي دونت كثيرا من الأخبار ذات الصلة بأحوال العائلات الشريفة الحاكمة لإقليم المغرب الإسلامي، وخصوصا ماتعلق بالأشراف الأدارسة بالمغرب الأقصى، وتوزعهم في هذا الإقليم، وأخبار حفتهم والمنتسبين إليهم، ومن خلال التقصي الذي قام به صاحب "الريح" وحرصه الشديد على تحري نسب الشيخ أحمد ابن يوسف خاصة، أمكنه بلوغ هذه النتيجة التي مفادها "أن سيدي أحمد بن يوسف رضي الله عنه إدريسي الشرف، حسني النسب، لاتصاله بمولانا إدريس الأكبر، الفاتح لأقطار المغرب الأقصى، وابنه الذي اختط مدينة فاس، وإنما تفرعت بنوه بالمغرب بعد موته رضي الله عنه [...] وبنو إدريس الأصغر المتفرقون في الأقطار المغربية إثنا عشر، وهم: عمار، ومحمد، وأحمد، وعبد الله، وعلي، وعمران، وعيسى، وداود، ويحي، وأبو القاسم، وحمزة، وكثير. ولما توفي أبوهم مولانا إدريس الأصغر قسم البلاد عليهم أخوهم عمران وأعطى تقاليت وأحوازها لعلي، وهو أصل جدود سيدي أحمد بن يوسف من أولاد مولانا إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر كما تقدم في ذكر نسبه. وكان عمران المذكور تزوج ست عشرة نسوة، وخلف من الإناث ستة، وذلك من أحد زوجاته المذكورين حليلة، كما خلف من زوجه زينب أربعة من الذكور وهم: محمد، وعون، ويحي، وعمر، فكان بنو عمران وبنو عون فرقة واحدة، وهم أهل جبل بني راشد [...]. وبه يتبين لك مما سبق من أن بني راشد من إخوة بني مرين، وتفرعت بالمغرب منهم بطون وفرق. فكون الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رضي الله عنه المريني نسبا

<sup>1</sup> - الريح. ص 126.

أو الفكيكي (الفجيجي) أو الدامودي أو الراشدي لا ينافي أحدهم الآخر، لأن المرجع واحد، وإنما اختلفت الألفاظ بحسب الاعتبار، إلا أن الجاري على الألسنة وصفه براشدي النسب، لأنهم مع كونهم إخوة بني مرين، كانت نشأته رضي الله عنه بوطنهم، وبه كانت داره ومقامه. وبعضهم يعبر بالأصل وبعضهم يعبر بالنسب، وهو تفنن في العبارة، إذ الأصل والنسب واحد، وأما كونه الهواري وطنا الراشدي منشئا، فاعلم أن هوارنة نسبة لهوار بن مازيغ بن برنس... فتبين بهذا كله أن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رضي الله عنه أصله من بني مرين التي من إختوتهم بنو راشد، وبعض حيهام من فكيك (فجيج) ونشأ بوطن بني راشد<sup>1</sup>. فإذا أخذنا هذا الخبر مأخذ الجد فمعنى ذلك أن إقليم بني راشد كان خاليا من السكان، قبل أن يعمره الأدراسة الأشراف وهذا مناقض لما أثبتته المؤرخون القدامى من أن المنطقة كانت مأهولة بالسكان قبل أن يحل بها عربي شريف أو غيره.

ولكن رغم هذا الحفر الذي مارسه صاحب الريح لوضع الدواء على الداء بشأن صحة نسب أحمد بن يوسف الراشدي، فإن هذا الانتساب ما تزال تعتمه غيوم، وتلازمه سحب غير منقشة عن سماء هذا الولي، ذلك أن المترجمين له يجعلون يوسف أبا له بالتبني، ومنهم FI.PHARAON - كما سبق وأن ذكرنا - وبعضهم يجعلونه (أي يوسف) أبا حقيقيا له، وغيرهم يعتبرون يوسف جدا قصيا له. وقد نسجت حول هذا الانتساب روايات، وحكايات يطول عنها الحديث، فيها الكثير من الخيال، والطرافة، على الرغم من أن صاحب "الريح" يؤكد بنوع من الاطمئنان صحة النسب الذي ذهب إليه قائلا: هذا نسبه رضي الله عنه، وإنما اشتهر بابن يوسف نسبة إلى جده الأول يوسف بن عبد الجليل، وكثيرا ما يقع الاشتهار بالجد الأول فما فوقه على ما هو المعروف في علم الأنساب. أما كون اسم والده السيد محمد فمما لا شك فيه فضع يدك عليه ودع ما يخالفه<sup>2</sup> - وأضاف صاحب "الريح". "أن أصله

<sup>1</sup> - الريح. ص 129.130.

<sup>2</sup> - لقد أشار إلى هذه النقطة M.Bodin في دراسة له بعنوان: ملاحظات وأسئلة Notes et questions. ينظر: ص 135.

رضي الله عنه من مدينة مراكش بالمغرب الأقصى رحل منها جده الأول سيدي أحمد أو أبوه سيدي عبد الله فاستوطن قلعة بني راشد، فانتشرت بها ذريته. ولذا وصف الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف في "بستان الأزهار"، بكونه "الراشدي النسب والدار"<sup>1</sup>. ثم ظهر بموضع منه يقال "رأس الماء"، بالقرب من أم العساكر، وبه تزوج السيدة "ستي"، وهي أولى زوجاته كما هو الظاهر، فكان راشدي المنشأ والدار، وقلعة بني راشد بإزاء أم العساكر بينها نحو الخمسة سوايع (ساعات). فقرية بني راشد هي التي كانت دار سكناه ومقامه، وبها حظَّ رحاله، وبها انتهت إليه رئاسة السالكين، وتربية المريدين، وهي التي بها زاوبته المباركة، التي قال في حقها "زاويتنا كسفينة نوح من دخلها أمن"، وأضاف [...] ثم إنه ارتحل مع أصحابه مشرقاً إلى موضع يقال له "ليل"، بوطن بني وغدو، من وطن هوار، فاستوطن به. فلذا كان هواري الوطن راشدي المنشأ والدار"<sup>2</sup>. وكان من قبل قد "رحل إلى بجاية وبها اجتمع مع شيخه سيدي أحمد زروق وعليه أخذ الطريق الشاذلية"<sup>3</sup>. كما رحل إلى تلمسان مرة أخرى بعد أن كانت مهد تعاليمه الصوفية الأولى على يد علمائها. ويبدو أن هذا التنقل كان في أواخر عمره، فأقام بها كثيراً وكان ينتقل بينها وبين وهران وغيرها من بلدات الإقليم الغربي للوطن. وبالعودة إلى استقراء ما جادت به المصادر السابقة، فإننا نجدتها تجمع جميعاً على الأصل الشريف لسيدي أحمد بن يوسف وتربطه مباشرة بالبيت النبوي الشريف عبر مختلف الشجرات الفرعية التي تم الوقوف عندها. فهل يمكن الوثوق بما ذهبت إليه تلك المصادر بشأن الانتساب الشريف لصاحب ضريح مليانة؟ أم أن ثمة شكوكاً تحوم حوله، ومن ثمة يجب الوقوف عند صحة ما جاء في تلك الشجرات، وعدم الاطمئنان إلى المعطيات التي توردها بشأن تنسيب هذا الشيخ. وبالأحرى ما الذي حمل بعض المؤرخين والنسابة القدامى

<sup>1</sup> - الريح: ص 126.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص 130.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه. ص 126. وسوف أخص رحلته إلى بجاية بشيء من التركيز في المبحث الموالي.

إلى رفع نسب بعض الشخصيات التاريخية والدينية إلى مصاف الشرفاء كأحمد بن يوسف الراشدي؟.

لقد سجل أبو القاسم الزياني ملاحظات جد هامة تتعلق بصحة شجرات الأنساب التي يزعم كثير من المهتمين بعلم الأنساب أن تحرياتهم لا يشوبها شك أو نقصان، وأن شجراتهم تلك تصل خلفا بسلف إلى آخر الشجرة التي تنتهي عادة إلى آل البيت عن طريق سيدنا علي وزوجه فاطمة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ.

يقول أبو القاسم الزياني في هذا الموضوع: "لكنك لا تكاد تجد رسما من رسوم أهل الدعاوي المكذوبة إلا وعليه خطوط العلماء، وأشكال الشهود، وثبوت القضاة، وإمضاء النقباء، وهم محكوم عليهم ببطلان شرفهم في القديم، منبه على ما بأيديهم من الرسوم المزورة، والشجرات المستعملة، والظواهر المفتعلة، وبعد أن ينزع ذلك من أيديهم وقت الأحكام يجددونه في زمن الفترة وخلو الوقت من المملكة، فبسبب ذلك فسدت الأنساب، وتساوت الأحساب"<sup>1</sup>. وبسبب هذا الخلط المقصود في الأنساب بين الأشراف وغير الأشراف ساد التوتر في العلاقة بين الحاكم والمحكوم في فترة الحكم الإسماعيلي بمدينة فاس، "فبجانب ماسجلته كتب الحوليات من مواجهات بين المدينة وممثلي السلطان، تفيد بعض الإشارات بأن الحكم المركزي قرر آنذاك إحكام المراقبة على مسألة الانتساب إلى الذرية النبوية، فكان على الأشراف أن يثبتوا صحة أصولهم من أجل الحفاظ على نفوذهم وامتيازاتهم المتوارثة"<sup>2</sup>. وقد كان عبد الرحمن بن خلدون قد فند الدعاوي المكذوبة من "أبناء زيان ملوك تلمسان من بني عبد الواد أنهم من ولد القاسم بن إدريس[...]" وإنما هو غلط من قبل اسم القاسم، فإنه كثير الوجود في الأدارسة، فتوهموا أن قاسمهم من ذلك النسب، وهم غير

<sup>1</sup> - أبو القاسم الزياني: تحفة الحادي المطرب في رفع شرفاء المغرب. ص 88.

<sup>2</sup> - عبد الأحد السبتي: أخبار المناقب ومناقب الأخبار، مقال ضمن كتاب "التاريخ وأدب المناقب"، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي. الرباط. 1989. ص 106.

محتاجين لذلك، فإن منالهم للملك والعزة إنما كان بعصبيتهم، ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية، ولا شيء من الأنساب، وإنما يحمل على هذا المتقربون إلى الملوك بمنازعتهم ومذاهبهم، ويشتهر حتى يبعد عن الرد. ولقد بلغني عن يغمراسن بن زيان أنه لما قيل له ذلك أنكروه وقال بلغته الزناتية ما معناه؛ أما الدنيا والملك فنلناهما بسيوفا لا بهذا النسب، وأما نفعه في الآخرة فمردود إلى الله. وأعرض عن التقرب إليه بذلك"<sup>1</sup>.

ولكن مع نفي "ابن خلدون" شرف ملوك بني زيان نجد "التنسي" الذي جاء بعده قد ألف كتابا لا يخلو من التملق لملوك المغرب الأوسط سماه "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" ومن خلال العنوان يتضح أن التنسي" قد جعل من بيان شرف بني زيان الهدف الأول للكتاب"<sup>2</sup>، دون أن يقدم براهين تثبت هذا الشرف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن ملاحظة أن سكوت الأمراء المتأخرين من آل زيان عن هذا الشرف المزعوم قد ترك "المتملقين لهم من المؤرخين والشعراء يلحقونهم بإدريس، مع أن يغمراسن بن زيان ملكهم الأول لم يرض فعلا بهذا التلفيق لنسبه، ورفض هذا الادعاء"<sup>3</sup> - كما سبق وأن قلنا - وأبقى نسبه موصولا بأصوله الأمازيغية الزناتية. ولكن رغم هذا التأكيد من بعض ملوك بني زيان أنفسهم، وكذا ما أكده "ابن خلدون" وبعده "المقري"<sup>4</sup>، من أن ملوك بني عبد الواد ويطونهم وفروعهم من أصول زناتية بربرية، فإن كثيرا من المؤرخين والنسابة قد سايروا بشكل عمدي أمزجة وأهواء السكان المغاربة لدواع أفرزتها أوضاع اجتماعية في مراحل تاريخية معينة، وقاموا بإلحاق كل من تظهر عليه مخايل التقوى والصلاح بآل البيت، ومن هنا نرى أن ماجاء في مصادر الأنساب السابقة بخصوص شجرة نسب الشيخ أحمد بن يوسف وإلحاق نسبه بآل البيت كان من فعل النسابة، وبعض المؤرخين لأن الشيخ أحمد بن يوسف نفسه لم

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، مج1، دار اللكتاب اللبناني، بيروت. لبنان1960. ص233.

<sup>2</sup> - محمد بن عبد الله التنسي: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح وتعم محمود آغا بوعباد. موفم للنشر. الجزائر2011م. ص63.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص66.

<sup>4</sup> - ينظر المرجع نفسه. ص65.

يَدْعُ هذا الشرف، ولم يشر إليه الصباغ في مؤلفه، كما أن حاج صادق من جهته قد استبعد صحة ما ورد في مختلف الشجرات السابقة بصدد نسب الشيخ أحمد بن يوسف وقدم بدوره روايتين بشأن هذا النسب بعد أن طرح سؤالاً وجيهاً مفاده إذا كان اسم أبيه محمداً فلماذا لا يُدعى هو إلا أحمد بن يوسف؟.

- الرواية الأولى شبيهة بما ذكرناه سابقاً إذ " قيل إنه من يوم ولادته كفله رجل اسمه يوسف ورباه بلبن بقرته وعامله كما لو كان من صلبه"<sup>1</sup>.

- الرواية الثانية "وقيل: إنه ابن رجل اسمه منصور الملقب (بوكركور) في بلاد قورارة، وقبره في تابلكوزة\*، يزوره الآن العطاونة أهل الساورة ويقال: إن منصور هذا كان يوم ولادة الطفل طاعنا في السن، بحيث كان موضوع المزاح ممن حوله، ولورد على ذلك رمى بالصبي على أعين الملا في كانون فكانت الكرامة بأن احترقت اللفائف ونجا الصبي. ثم إن الشيخ منصور رمى به ثانية في الهواء، فكانت الكرامة الثانية بأن سقط الصبي بعيداً في الشمال بمنزل يوسف الراشدي المذكور الذي رباه، كما سبق القول في هذا.

وقيل إنه أخو بوقدمة لأمه، وقبة بوقدمة هذه معروفة بمقبرة غرداية، يزورها بكل احترام بعض المتمسكين بالتقاليد في وادي ميزاب"<sup>2</sup>. والواقع أن هذه الروايات وما فيها من خلاف واضطراب كانت من مصادر تعتمد على الرواية الشفاهية ولم نجد لها أي ذكر في المصادر المكتوبة السابق ذكرها.

وقد أورد الصباغ في "البستان" في عديد من الصفحات معلومات جد هامة تتعلق بأصول نسب أحمد بن يوسف، حيث يجزم بأصوله الزناتية الأمازيغية، ويورد عدداً من الكلمات والتعابير باللغة الزناتية منها (عبارة مساطته) ويقصد بذلك فخذ<sup>3</sup>، وكان الصباغ

<sup>1</sup> - حاج صادق: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ص 76.

\* - يقع قصر "تبلكوزة" في شرق منطقة "تينركوك" على بعد حوالي 10 كم من زاوية الدباغ، وزاوية الدباغ هي مقر البلدية وتقع على بعد حوالي 77 كم من تيميمون، وقصر تبلكوزة هو أبعد نقطة جهة الشمال - الشرقي من قورارة ولاية أدرار.

<sup>2</sup> - حاج صادق: المرجع نفسه. ص 76-77.

<sup>3</sup> - ينظر "البستان": ص (28ظ)

يترجم إلى العربية العبارات الزناتية ويشير إلى ذلك، ومنه أن "الولي الصالح سيدي سعادة يحمل زقا على الأسد، ويسمونه بلغتهم الزناتية أبو "يديدن" ومعناه بالعربية أبو زقاق وهو جمع زق". وقد نوه سيدي أحمد بن يوسف بتلميذه عبد الله الفلالي وشهد له بالولاية ونص كلامه: "أَفْشِيْشُ أَرْيُوْرَانُ يُوَا غَيْرُ اللهُ أَطَّاسٌ". وجل كلامه باللسان الزناتي، ومعناه بالعربية: رجل قليل أعطاه الله مقاما عظيما"<sup>1</sup>.

وأما الكبير في السن فيلقب بعبارة (دَادًا) فيقولون: دَادًا سعادة لكبر سنه وعظم قدره، وهذه عادة زناتة يعظمون الكبير عندهم في الدين والصلاح بَدَادًا، كما يقول أهل وطننا دَادًا أبو عمران، ودَادٌ يحيى، "وَدَدَاكُ دَاكُ" ومعناه بالعربية أخوك هنا.

إذن نسب الشيخ أحمد بن يوسف أمازيغي زناتي لا يرقى إليه الشك بناء على مانبه عليه ابن خلدون وغيره من المؤرخين المحليين، وعلى ما جاء به الصباغ في البستان من التعابير المحلية باللهجة الزناتية، سواء ما تعلق بأسماء الأشخاص أو الأماكن أو أسماء بعض الوسائل المادية المستعملة في ذلك العهد، بالرغم من قيام الصباغ بترجمة الكثير منها إلى العربية على حد تعبيره.

### 3.2 تكوينه وسياحاته.

لم يهتم الصباغ بذكر المراحل الأولى التي مر بها أحمد بن يوسف في طلب العلم ولا الأماكن التي نزل فيها طالبا وزاول فيها تعليمه الأولي، كما لم يُولِ اهتماما بذكر أسماء معلميه، وشيوخه الأوائل الذين حفظ عنهم القرآن، ومبادئ علوم الدين واللغة. والمدمش حقا أن الصباغ استهل كتابة سيرة شيخه الراشدي بعد عودته من بجاية، حيث تتلمذ على الشيخ زروق، وأخذ عنه أصول ومبادئ الطريقة الزروقية. ومعنى هذا أنه اتخذ نهاية هذه المرحلة "نقطة البدء والانطلاق في تدوين سيرة شيخه"<sup>2</sup>، وأهمل بشكل كلي الحديث عن المرحلة

<sup>1</sup> - البستان. ص(106ظ).

<sup>2</sup> - عبد الله نجمي. ص 63.



السابقة التي كان من الممكن أن تمدنا بما يوضح لنا "معالم الطريق التي سلكها أحمد ابن يوسف السائح قبل أن يأخذ السمّت إلى بجاية، إذ لا يذكر لنا الصباغ المراحل التي قطعها شيخه طالبا للفقّه، ومتشوقا للتصوف، قبل أن يصبح زروقا، ولا يعيّن لنا اسما لفقّيه أجازّه في علم الظاهر، أو فقيرا سلك به سبيل أهل الباطن قبل زروق الذي عاد من عنده بحرا لا ساحل له من العلم ظاهره وباطنه".<sup>1</sup>

ويمكن أن نجد للصباغ عذرا في عدم إمّاطة اللثام عن المرحلة الأولى من حياة أحمد ابن يوسف لأنه ربما رأى أن الحديث عن هذه الفترة من حياته لا طائل من ورائه ولا علاقة له بما يروم الحديث عنه في مؤلفه وهو الجزء المتعلق بإبراز مكانته كمتصوف، عارف بالله بلغ مقاما عاليا، واكتسب شهرة ذائعة شرقا وغربا.

وحسب "حاج صادق" فإن سيدي أحمد بن يوسف يكون قد "تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن مثل أغلب معاصريه بجامع من جوامع رأس الماء أو قلعة بني راشد".<sup>2</sup> وبعد استكمال أشواط التعليم في مراحل الابتدائية والثانوية - كما تسمى اليوم - في البادية تُشدّ الرحال بعد ذلك إلى الحواضر الكبرى لاستيفاء بقية أشواط التعليم والدراسات العليا، "ولو حاولنا أن نقف على وجهة هذه الهجرة وقبلتها لما ألفينا جذبا في مثل قوة جذب الحاضرة الزيانية تلمسان، والتي كان إقليم بني راشد يعد من أعمال مملكتها"<sup>3</sup>. ومن غير شك أن تكون تلمسان في هذا العهد تمثل القطب الجاذب لقوافل من "طلبة البلاد الراشدية، كما أن الفئة القليلة من العلماء المعتبرين الذين عاشوا بها في النصف الثاني من القرن 9هـ/15م كانت بيدهم الإجازات العلمية التي تهفو إليها أفئدة هؤلاء الطلبة وتتشوف. وأحمد بن يوسف الذي قضى طفولته وشبابه طالبا بوطن بني راشد قد لا يشدّ عن أقرانه من الطلبة الراشديين،

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 63.

<sup>2</sup> - حاج صادق: مليانة ووليها. ص 82.

<sup>3</sup> - المرجع السابق. ص 64.

في اعتبار تلمسان أفق المعرفة الفسيح، والذي تهون دونه عناء الرحلة وهم الاغتراب<sup>1</sup>. ولا شك أنه عزم أخيراً على التنقل إلى حاضرة تلمسان المعروفة بشهرة علمائها وفقهائها، واستكمل هناك بقية حلقات المعرفة الفقهية والعقلية على يد شيوخ عصره كالإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي<sup>2</sup>، الذي جعله الصباغ "على رأس المنتصرين للشيخ أحمد ابن يوسف والحجة على ثبوت ولايته"<sup>3</sup>.

ولا يستبعد أن يكون قد اتصل أيضاً بالإمام العلامة أحمد بن محمد بن زكري<sup>4</sup>. وكذا ابن مرزوق الكفيف<sup>5</sup>، وقد أكد هذا الاتصال أحمد بن القاضي حين عرف به قائلاً: "أحمد ابن يوسف الملياني الولي الصالح المقطوع بولايته، يكنى أبا العباس، أخذ عن أعلام "تلمسان"، وعن أبي العباس أحمد زروق"<sup>6</sup>. وابن القاضي موسوم بالضبط والثقة والتدقيق"<sup>7</sup>، وشهادته هذه تثبت بما يقطع سبيل الشك أن أحمد بن يوسف الملياني قد تتلمذ على العلماء التلمسانيين في بداية عهده، وإن كنا نجهل تفاصيل هذا الاتصال والفترة الزمنية التي تغطي هذه المرحلة، لعزوف الصباغ عن إيلائها أهمية في مؤلفه، غير أن الشهرة التي تمتع بها علماء حاضرة تلمسان في ذلك العهد تجعلنا نطمئن إلى المحصول الوفير الذي

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي: المرجع السابق. ص 65.

<sup>2</sup> - سوف أخصه بترجمة وافية في ص 72 في البحث الخاص بشيوخ أحمد بن يوسف.

<sup>3</sup> - عبد الله نجمي. ص 65.

<sup>4</sup> - أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني (ت 899هـ/1493م) عالمها، ومفتيها، الحافظ المتقن، الأصولي، الفروع، المفسر، ناظم، ناثر بارع، ألف كتاباً في مسائل القضاء، والفتيا، وبغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، ورجزاً في علم الكلام في نحو ألف وخمسمائة بيت وغيرها، وله فتاوي كثيرة في المعيار، وأخذ عنه جماعة كالشيخ زروق، والخطيب ابن مرزوق، وغيرهما، وله منازعة مع السنوسي في مسائل". ينظر: أحمد بابا التتبكتي. كفاية المحتاج. ج 1. ص 125.

<sup>5</sup> - محمد بن مرزوق الكفيف، وهو الإمام محمد بن محمد بن أحمد ابن الخطيب بن مرزوق العجيسي التلمساني عرف بالكفيف، علم الأعلام وحجة الإسلام، آخر حفاظ المغرب، أخذ عن والده المعروف بالحفيد، وتفقه عنده وأجازه، وعن أبي الفضل العقباني، وأبي زيد الثعالبي، ومحمد بن قاسم المشدالي وأجازوه. نقل عنه المازوني في نوازل، توفي سنة 901هـ/1495م. ينظر: الكتاني: فهرس الفهارس. ص 523. ترجم له في شجرة النور، ج 1. ص 387. أحمد بابا التتبكتي (ت 1036هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح علي عمر، ج 2. ط 1. مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ / 2004م. ص 262.

<sup>6</sup> - ابن القاضي أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت 1025هـ/1616م): درة الحجال في أسماء الرجال، ج 1. مطبعة دار النصر، القاهرة، 1390هـ/1970م. ص 164، 165.

<sup>7</sup> - عبد الله نجمي: المرجع السابق. ص 66.

حصله أحمد ابن يوسف من لدن هؤلاء العلماء، وأن نجابته تُبينُ عن مواهبه، وكفاءته، مما يستدعي التفكير والبحث عن وجهات أخرى تروي غلته إلى علم الظاهر والباطن، ومن ثمة انصرفت همته وطموحه إلى السياحة العلمية عملا بالحديث "سيحوا تصحوا"، وبالقول المأثور "لا خير في رجل لم يجل"<sup>1</sup>.

والمنتبع لسيرة حياة أحمد بن يوسف يدهش ويستغرب من هالة الغموض والضباب الذي يكتنف هذه السيرة، نتيجة العطل الذي وقع فيه الصباغ في عدم تعيين التواريخ المصاحبة لمختلف رحلات شيخه وسياحاته مغربا ومشرقا، وأن خط السير الذي سار عليه صاحب السيرة لم يكن مستقيما البتة، بل طبعته التواءات وتعرجات من الصعب وضع اليد على مختلف الأمكنة والبقاع التي زارها أو استقر فيها، أو وضع كرونولوجيا زمنية دقيقة لمسار هذه الرحلة أو تلك، فالمصادر التي رجعنا إليها تشير إلى زيارة أحمد بن يوسف إلى عدد من المدن الواقعة بالجهة الغربية من المغرب الأقصى وبالأخص فاس وتازة وواد درعة. وينفرد "البستان" و"الريح" بذكر "بجاية" كمحطة نزول أحمد بن يوسف بها دون تعيين تاريخ ذلك. وبضيف صاحب "الريح" رحلة أخرى لأحمد بن يوسف إلى البلاد المشرقية قصد التتلمذ على كبار مشايخ التصوف الإسلامي والطواف بأهم مدارسه المشهورة، مع الحرص على أداء فريضة الحج. وهنا لا بد من تسجيل ملاحظة جد هامة تتعلق بخلو يدنا مما يعيننا على تحديد زمن الزيارة العلمية إلى المشرق، هل كانت بعد مغادرة بجاية ونهاية التتلمذ على الشيخ زروق؟ أم أن الرحلة المشرقية حدثت قبل الحلول ببجاية؟

المعطيات التي بحوزتنا تتجه صوب ترجيح الاحتمال الثاني الذي يميل "إلى الاعتقاد بأن أحمد بن يوسف قد عرج على بجاية في طريق عودته من الحجاز باعتبارها إحدى محطات الحجيج المغربي في الذهاب والإياب، وصادف نزوله بها مقام الشيخ زروق بها،

<sup>1</sup> - حاج صادق: مليانة ووليها. ص 83.

وقد طارت شهرته العلمية والصوفية في شرق البلاد الإسلامية وغربها<sup>1</sup>. ومن المفيد للشيخ أحمد بن يوسف الانتساب إلى هذا الشيخ الذي اختار الإقامة بهذه المدينة "بجاية"، أو "مكة الصغيرة" كما كانوا يدعونها في ذلك الزمان، فيها نزل واستقر كل من ابن تومرت، وابن خلدون، وزروق وغيرهم من الأعلام، ومن غير المستبعد أن يكون أحمد بن يوسف قد عرج عليها وهو عائد من الحجاز<sup>2</sup>.

ولا نخاله عائدا من هذه الرحلة خالي الوفاظ، بل عاد"وقد بلغ تطوره الروحي أوجه وعبّ من مدارس التصوف المشرقية ما حصل له بضاعة غير مزجاة، ويؤيد ذلك اعتراف شيخه زروق له أمام الملأ من تلامذته ببجاية بتفوقه في العلم والفهم كلما اختبره"<sup>3</sup>.

ولما كان الشيخ أحمد بن يوسف يرى نفسه في حاجة إلى شخصية أمينة تأخذ بيده وتصلق موهبته فقد "مثل بين يدي الشيخ أحمد زروق وطلب منه الصحبة والانتساب، وقبل الشيخ زروق طلبه وأخذ عنه "العهد" وهو نوع من التعاقد يربط بين المرید وشيخه"<sup>4</sup>.

وقد مرّ أحمد بن يوسف على جميع مراحل الذكر المفروضة على المریدين في مسلك الطريقة "واجتاز المرحلة الأخيرة في تنسيب المرید السالك إلى الطريقة الزروقية، وهي مرحلة "الخلوة" و"التفرد"<sup>5</sup> التي حدد مدتها أحمد زروق على مرّيته بعشرة أيام من الخلوة أو شهرا على أكثر تقدير [...] ثم يعود بعدها المرید إلى حياته اليومية العادية في مجتمعه وبهذا يكون أحمد بن يوسف المرید "قد قطع الخطوات الأولى اللازمة كإجراء لإشهار انتسابه إلى الطريقة الزروقية وَعَدَّه ضمن إخوانها ومرّيتها، ويسمى هذا الإجراء "بالتلقين". ويشمل المراحل الثلاث التي ذكرناها: "العهد" و"الذكر" و"الخلوة". ولعل تلقين أحمد بن يوسف لم يستغرق ردها من الزمان ذا بال لما نفترضه من تفوق درجته في العلم والتصوف قبل اهتدائه

<sup>1</sup>- عبد الله نجمي: المرجع السابق. ص 72.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه. ص 67.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه. ص 68.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه. ص 78.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه. ص 78.

إلى الشيخ أحمد زروق لكنه لم يتم في زمن وجيز [...] لما كان يوليه زروق من أهمية قصوى لمرحلة التلقين هاته<sup>1</sup>. وعلى كل فإن فرصة تتلمذ أحمد بن يوسف على شيخه قد أتاحت لهذا الأخير حسب الباحث عبد الله نجمي فرصة معاينة بضاعة مريده وقدرها ولذلك فقد تولاه "بالرعاية وخصه بالعناية وفضله على بقية تلامذته ومريديه"<sup>2</sup>.

ولم يلبث الشيخ زروق طويلا حتى أجاز مريده وأذن له بالعودة إلى مسقط رأسه لينشر علمه وينتفع به الناس. غير أن هذه العودة من بجاية إلى رأس الماء لم يكن خطها مستقيما، فقد ذكرت بعض المصادر مرور الشيخ أحمد بن يوسف بمنطقة القبائل بناحية "أزفون"، وتحديدًا بقرية "تيفزوين"، وتزوج امرأة من عائلة عريج، واستقر هناك ردحا من الزمن لا نعلم آجاله، وأنجب ذرية، وخلف أحفادا<sup>3</sup>، حسب ما ذهب إليه الأستاذ محمد أرزقي فراد في مقال له حول ذرية أحمد بن يوسف الملياني بمنطقة القبائل<sup>4</sup>.

ولكن بفرض استقرار الشيخ أحمد بن يوسف بهذه المنطقة لبعض الوقت لمدة تطول أو تقصر فإن المصادر المترجمة له بدءًا "بالبستان" تؤكد عودته إلى مسقط رأسه، وتأسيس زاويته، والشروع في بث أفكاره مع تلامذته ومريديه. وشيئا فشيئا بدأت هيمنته الروحية تتجسد على مستوى المنطقة وما جاورها، وصار له نفوذ قوي وتأثير سياسي كبير على الأحداث التي عاصرها في الإقليم الغربي عامة، ونواحي مدن فاس وما جاورها من الأقاليم الشرقية للمغرب الأقصى خاصة بعد تأسيس طريقتة الصوفية، فقد قضى بقية وقته خصما لدودا للسلطة الزيانية الغارقة حتى النخاع في مشاكل الحكم والسلطة، بتعاونها مع الإسبان لتثبيت العرش أو لخلعه، كما كان متعاونًا مع الإخوة بربروس "عروج وخيرالدين"، ومباركا مسعاهما في تحرير المدن التي وقعت تحت السيطرة الإسبانية آنذاك.

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 78.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 79.

<sup>3</sup> - سأحدث عن هذا الموضوع في المبحث الخاص بزوجات الشيخ أحمد بن يوسف بعد هذا، فراجعه هناك.

<sup>4</sup> - هذا المقال منشور بجريدة الشروق اليومي بعنوان "ذرية أحمد بن يوسف الملياني بأزفون" في 16-06-2007 في الموقع الإلكتروني

الخاص بالباحث Ferradrezki@yahoo.fr

وهكذا يمكن النظر إلى أن الجزء الاخير من حياة الشيخ أحمد بن يوسف تميز بعدم الاستقرار، وتشديد المضايقة عليه من لدن أمراء إمارة بني زيان الذين سعوا إلى قتله في أكثر من مناسبة. غير أن قدره كتب له أن يرحل إلى جوار ربه قبل أن يشهد سقوط عروش هؤلاء الحكام والأمراء التلمسانيين، وإن كانت محاصرة الإخوة ببروس لهم وتشديد الخناق عليهم عجل بسقوط إمارتهم في يد الأتراك سنة 1555م، بفضل التفاف الأهالي حولهم والذين سئموا من الولاء المخزي من قبل أمرائهم للنصارى الإيبانيين الذين عاثوا فسادا في الإقليم الغربي من الوطن المريض.

## 4.2 زوجاته وأبناؤه.

كان سيدي أحمد بن يوسف سنيا في موضوع الزواج، إذ تعددت أسماء زوجاته، وكثر أحفاده، حيث تذكر بعض المصادر التي ترجمت له<sup>1</sup> أن عددهن يفوق الأربع، مع أن هناك من يرى أنه لم يتزوج أبدا، ولم يخلف نسلا من صلبه، وأن الابن المسمى ابن مرزوقة ليس ابنا منه، بل ابنه بالتبني<sup>2</sup>. وذكر الصباغ في "البستان"، وعلي بن الحاج موسى في "الريح" بعضهن. كما خص "R.BASSET" جانبا من دراسته لهذا الموضوع، وأشارت هذه المصادر إلى زوجات سيدي أحمد بن يوسف وأسمائهن، وأسماء آبائهن، وظروف حدوث هذا الزواج وأولهن:

### 1.4.2 ستي بنت عمرو التري.

ستي ابنة الرجل الذي قال: أنا ذاهب أقتل هذا الرجل البدعي (يعني الشيخ أحمد ابن يوسف)، فقدم راكبا فرسه إلى أن قرب منه، وقفت فرسه فضربها بالقضيب والمهاميز فامتعت، ثم ردها إلى جهة أهله فرجعت، ثم من الغد فعلت مثل ذلك، ثم اليوم الثالث قال

1- يذكر حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي أن "لهذا الناسك الطيب الفقيه أربع زوجات وعدة إماء أنجب له أولادا ذكورا وإناثا، يرتدون جميعا لباسا أنيقا جدا، وقد تزوج الأبناء وأنجبوا كذلك أطفالا، فأصبح بيت الشيخ وبيوت أبنائه تضم أكثر من مائة وخمسين نسمة يعولهم جميعا". حسن الوزان: المرجع السابق. ص 29.

2 - Emille DERMENGHEM .Sidi Ahmed ben Youssef patron de Miliana. p6.

لفرسه: اذهبي بنا نخبره ليس إلا. فأطاعته وانقادت بقدرة الله عز وجل، فلما قدم ووصل إلى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف قال له: فرسك خير منك، هذا معنى كلامه الزناتي، فقبل يد الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، وتاب عما عزم عليه، وجلس عنده. وقدم سيدي عثمان ابن عمر راكبا حماره، ثم بعد ذلك قدم سيدي عبد الرحمن الغلامي، واجتمعوا عند الشيخ سيدي أحمد بن يوسف نفعاي الله بأجمعهم، فأختبروه في العلم فوجدوه بحرا لا ساحل له، ثم قالوا له: نزوجوك امرأة، فقال لهم: حبا وكرامة، فخطبوا ستي، وقالوا: شرط أهلها (كذا) مائة دينار وأمتين وخادمين وبغلتين في صداقها، فقال: قبلت. فقالوا له: هذا شيء كثير وأنت لاشيء عندك. فقال لهم: خزائن الله كثيرة ورحمته واسعة فعقد عليها، ثم أراد أن يبني بها فأتاه ابن ماخوخ الدشري بحوايج أهله قدرها أربعون دينارا، ثم أتته الهدايا والفتوح من كل مكان<sup>1</sup>.

وحسب "أندري بلوك ANDRE BLOCH"، فإن ستي" قد تكون أولى زوجات سيدي

أحمد بن يوسف، حيث ثبت عقد القران بها في معسكر<sup>2</sup>.

#### 2.4.2 كليلة بنت محمد الدرجي.

ابنة الرجل الذي أرغمه الشيخ مسعود العروني على تزويجها بالملياني، فقد ذكر الصباغ "أن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله أتى خاطبا عند التاجر محمد الملقب الدرجي القلعي ابنته المسماة كليلة فامتنع من ذلك، وحلف بأيمان الفساق لا أعطيتها له، فقال سيدي مسعود المذكور: قد أعطها الله له في السماء، وحضر لذلك جبريل، وسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الأربعة، والملائكة، فكان الأمر كما قال سيدي مسعود فتزوجها الشيخ سيدي أحمد رغما على أنف أبيها الدرجي المذكور بما سبق في سابق

<sup>1</sup> - "البستان" مخطوط. ص(3و).

<sup>2</sup> - أندري بلوك. 81.p Miliana saint tutelaire de SIDI AHMED BEN YOUSSEF ANDRE BLOCH

علمه جلَّ وعزَّ، فانقاد أبوها، ورجع عن يمينه، وأعطاهها برضاه بعد امتناعه وعناده لما قدره الله وقضاه. بهذا حدثني من يوثق به ممن حضر لذلك من كبار قلعتنا حماها الله<sup>1</sup>.

### 3.4.2 عائشة المدعوة الزغلة<sup>2</sup>.

بنت سيدي قادة بن مرزوقة، صديقه الحميم الذي زاره في السجن بتلمسان، حيث حبسه أبو حمو الثالث، فعرض عليه الزواج بابنته، فرضي سيدي أحمد بن يوسف بالزواج. ولما خرج من السجن بنى بها<sup>3</sup>. "انعقد هذا الزواج بمعسكر ونشأ من هذا القران ابن محمد ابن مرزوقة الذي أصبح أصل المرزوقية الذين يعيشون في وئام مع بني فرح شمال عين الدفلى"<sup>4</sup>. كان ابن مرزوقة هذا شبيها بأبيه "حزما وعزما وأنه تلقى منه قبيل وفاته الوصايا الأخيرة لصيانة أسرته وتسيير زاويته بالقلعة"<sup>5</sup>.

### 4.4.2 "خديجة بنت محمد المريني"<sup>6</sup>.

ولا يعرف عن هذا الزواج و ظروفه شيء ، حيث سكتت المصادر التي ترجمت للملياني عن الإشارة إلى هذا الزواج بدءا بالصباغ، ومرورا بالحاج موسى الجزائري في "الريح". وحسب الدكتور محمد أرزقي فراد فإن أحمد بن يوسف الملياني قد "استقر في منطقة القبائل بوادي تيفزوين (زرخفاوة) ولاية تيزي وزو، وتزوج هناك معقبا أولادا وأحفادا كثيرين عمروا قرى عديدة"<sup>7</sup>. ويضيف الأستاذ محمد أرزقي فراد أن استقرار الملياني "بعرش زرخفاوة التابع لبلدية أزفون حاليا تؤكد شهادة الباحث العصامي المرحوم جاعوط السعدي وهو من أحفاده، فقد تزوج بامرأة من قرية أزفون وهي من عائلة عريج[...] أنجب ولدين هما

<sup>1</sup> - البستان. ص(113و).

<sup>2</sup> - ينظر: حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ص79.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 79.

<sup>4</sup> - اندري بلوك:المرجع السابق. ص83.

<sup>5</sup> - حاج صادق: المرجع السابق. ص 79.

<sup>6</sup> -المرجع نفسه. ص 79.

<sup>7</sup> -محمد أرزقي فراد: ذرية أحمد بن يوسف الملياني بأزفون، مقال. جريدة الشروق اليومي جوان 2007. ص1.



عبد الرحمن وأحمد<sup>1</sup> اللذان خلفا بدورهما أولادا وأحفادا كثيرين، فقد خلف عبد الرحمن سبعة أولاد هم: سعيد/مسعود/بلقاسم/الجودي/سليمان/عيسى/اسعيد. أما أحمد فقد أنجب عشرة أولاد -حسب الروايات الشفوية- غير أن المخطوط المنسوب لابن فرحون والموجود في حوزة عائلة المرحوم الشيخ الطاهر عمارة(من قرية عشوية)، لم يذكر منهم سوى ستة أولاد وهم الفقيه أحمد مزيان/الصدیق/عبد الرحمان/علي/السعيد/سعد<sup>2</sup>. فقد توزعوا في قرى عديدة من منطقة القبائل "أهمها تيفزوين، أولخو، آث وندلوس. ولعل أشهر من برز من أحفاده في الساحة الثقافية المعاصرة الكاتب والأديب الكبير الراحل الطاهر جاعوط من قرية أولخو" ويضيف الأستاذ فراد محمد أرزقي أن "الضابط الفرنسي ( Rozet روزي ) الذي زار منطقة القبائل في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ذكر في كتابه "Algerie" اسم وادي تيفزوين باسم ( وادي سيدي أحمد بن يوسف ) مشيراً إلى أن قرى هذه المنطقة مأهولة بالدرجة الأولى بالمرابطين<sup>3</sup>، كما أشارت الكاتبة الفرنسية Camille Lacoste Dujardin في كتابها الموسوم بـ: "dictionnaire de la culture berbère en Kabylie" في سياق حديثها عن عرش زرخفاوة، إلى أن سكان حوض وادي تيفزوين هم من أحفاد المرابط سيدي أحمد ابن يوسف<sup>4</sup>. هذا "ومما يروى عن أحفاده في أزفون أنهم قبل الاستقلال دأبوا على المشاركة في الركب السنوي إلى مليانة لزيارة قبر جدهم أحمد بن يوسف<sup>5</sup> وتجدر الملاحظة

<sup>1</sup>-محمد أرزقي فراد: المرجع السابق. ص2.

<sup>2</sup>- ينظر: المرجع نفسه. ص 2.

<sup>3</sup>-Génie Rozet et Carette . Algerie par les capitaines.editions bouslama . Tunis 1980 p 27

نقلا عن مقال الباحث محمد أرزقي فراد المذكور .

<sup>4</sup>-camille lacoste DUjardin . Dictionnaire de la culture berbère en kabylie .Editions La découverte. Paris .2005 . p371.

نقلا عن الأستاذ محمد أرزقي فراد في المقال نفسه .

Editions La découverte paris 2005 . p371.

<sup>5</sup>- محمد أرزقي فراد: المرجع السابق. ص3.

أن هذه المعلومات المتعلقة باستقرار الملياني في منطقة القبائل وزواجه فيها لم يذكرها الصباغ في "البستان" كما لم يشر إليها من بعده علي بن الحاج موسى في "الريح".  
أبناؤه:

هذا وقد خلف الملياني من البنين ثلاثة أو أربعة ومن البنات اثنتين وأن من أولاده المعروفين نجد: - محمد بن مرزوقة وأمه عائشة وسمي باسم جده لأمه "مات بتاريخ غير مذكور، وقبره بأمر سلمون على بعد 17 كلم. غرب شرشال... وهو جد جميع المرزوقة"<sup>1</sup>.

- محمد الصغير الملقب أمزيان و أمه ستي<sup>2</sup>.

ويضيف المترجمون أن له ابنا ثالثا "اسمه منصور، خلف ذرية استوطنوا بلاد قورارة"<sup>3</sup>.

وذكر صاحب كتاب "العقد من المجموعة" محمد بن علي الطرابلسي أن له ابنا اسمه العنتري دون أن يعرف بأمه ولا بتاريخ وفاته ولا بنسله"<sup>4</sup>.

أما البنتان فهما:

- آمنة: والراجح أنها شقيقة أمزيان، توفيت بالصحراء [...] في مكان اسمه الشلالة الغربية (وهي الآن الشلالة الظهرانية)<sup>5</sup>.

عائشة: يذكر حاج صادق أنها من زواج سابق لسيدي أحمد بن يوسف حين إقامته "ببجاية وقبل زواجه بستي التي لم تكن زوجته الأولى"<sup>6</sup>. وينبغي أن نسجل هنا ما يثير الاستغراب حيال موضوع تعدد زوجات الملياني. فهل زواجه في بجاية منفصلا عن زواجه في تيزي وزو؟. فإذا كان الجواب بالإيجاب فمعنى ذلك أنه تزوج أكثر من أربع نساء.

<sup>1</sup> - حاج صادق: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ص 80.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 79.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 80.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ص 80.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه. ص 80.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه. ص 80.

والباحث أرزقي فراد لايشير إلى زواجه في بجاية. كما لم يذكر أنه خلف بنتا من زوجته التي من أزفون بمنطقة القبائل الكبرى ، وعليه فالموضوع يحتاج إلى مزيد من الإضاءة والتتوير لسد الثغرات والمناحي المظلمة المتعلقة بهذا الجزء من حياة الملياني، وإيجاد صلات الربط بين بعض المحطات المتناقضة، كما هو ظاهر في تكرار اسم عائشة التي لا تجيبنا عنها المصادر المتوفرة لدينا في هذه الساعة. إذ كيف يمكن التسليم بأن يقع هذا الاضطراب في التسمية فتصير عائشة مرة زوجة ومرة ابنة؟. هذا ويذكر عبد الله بن حشلاف أن سيدي أحمد بن يوسف خلف حفدة كثيرين وهم "فروع كرام وسادات فخام، منهم فرقة بمليانة بإزاء قبر جدهم وفرقة بحوز تلمسان، منهم فرقة بقصر اتيتوت دائرة العين... وفرقة بإزاء سور الغزلان"<sup>1</sup>. وفرقة أخرى هم المرازقة الذين هم في واد الحمول من عمالة المدينة تتسبب إلى نجله محمد بن مرزوقة<sup>2</sup>.

## 5.2 هيئة الملياني الخلقية والخلقية

لم يَخْفَ على الصباغ - الذي أدرك شيخه بثمانى سنوات قبل موته- أن يقدم لنا بعض الملامح التقريبية الخاصة بأوصاف شيخه معتمدا على ما علق بمخيلته - منذ كان طفلا صغيرا- من صور وأوصاف، وما أفاده به تلامذته ومريدوه الذين كان البعض منهم على اتصال دائم بالشيخ مرافقة وخدمة. فكان لبعضهم حظ المعاينة والمكاشفة عن قرب لما يظهر ويخفى من صفات وعلامات مميزة للملياني، كما كان الصباغ حريصا على نقل وسرد كل ما يتعلق بهذا الشيخ من خصال ومحامد، وما انفرد به عن غيره من أولياء عصره، فساق لأجل هذا أخبارا استقاها ممن عاشوا مع الملياني، وسافروا وأرحلوا معه وحضروا مجالسه ومقاماته، ومن ذلك ما حدثه به "بدوع الكثيري"<sup>3</sup> أنه قال: كنت في موضع يقال له

<sup>1</sup> - عبد الله بن سيدي علي حشلاف: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول. المطبعة التونسية. عدد57. تونس 1929م. ص 112.

<sup>2</sup> - ينظر: علي بن الحاج موسى. "الريح". ص 135.

<sup>3</sup> - من تلاميذ أحمد بن يوسف المخلصين وخدامه الأوفياء.

"الدخلا" من بطحاء هوارة حماها الله مع الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله... وكان في ناحية الخيمة، فصاح بي وقال أقَدِ النَّارَ، فصرت أحمي النار وأنظر إلى الشيخ فإذا هو يحل لحيته من الظفيرة فعابنت طولها تلك الليلة، وأنها تصل إلى صدره أو أكثر، وأنا أسرق النظر إليه فقال لي انظر أمامك واشتغل يا قادي النار... فلما فرغ من لحيته قال لي ناولني نعلي فناولته إياه فلبسه وخرج<sup>1</sup>. ونقل الصباغ عن "محمد أقبلي المصراتي" أنه قال: "كنا جلوسا مع الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله مع جماعة من أصحابه... وكان متكئا فجلس وشمر الكم عن ذراعه الأيمن وهزها، قال المصراتي المذكور: رأيت ذلك اليوم شرطة في ذراعه المباركة وهو يهزها"<sup>2</sup>.

وذكر الصباغ أن تلميذا آخر للملياني يسمى "محمد بن سعيد بن عبد الله بن عمر ابن جابر الصنهاجي" قال: "لقيت الشيخ سيدي أحمد بن يوسف مع جماعة من أصحابه وهو يمشي على قدميه، وكذلك أصحابه، فسلمت عليه وهو عليه ثياب بيض، وعلى رأسه عمامة بيضاء، وعليه برنوس أبيض لا يرى إلا في النوم من شدة بياضه"<sup>3</sup>.

وبالإضافة إلى الصباغ فقد ذكر هذه الأوصاف R.BASSET في البحث القيم الذي أنجزه حول "الأقوال الهجائية المنسوبة إلى سيدي أحمد بن يوسف"<sup>4</sup>. كما أشار إليها الباحث هوارى تواتي في بحث له بعنوان « approche semiologique et Historique d'un document hagiographique et Historique d'un document hagiographique »<sup>5</sup>. وباستقراء هذه الأوصاف تبدو لنا صورة الشيخ أحمد ابن يوسف في غاية الهيبة والوقار تتسجم مع الأوصاف الخُلقية التي خصه بها الصباغ، حيث قال: "كان رحمه الله موصوفا بأفضل الصفات وأحسن الأخلاق واليقين الراسخ، والقيام

<sup>1</sup> - البستان .مخطوط رقم 1707. ص (80ظ).

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص. (72و).

<sup>3</sup> - المصدر نفسه. ص (109و).

<sup>4</sup> - R.BASSET .les Dictons satiriques attribués à sidi Ahmed ben yousef journal asiatique tome xvi PARIS 1890.p220.

<sup>5</sup> - ينظر HOUARI TOUATI. Approche semiologique et Historique dun document Hagiographique .in .Annales Econmies.sociétés civilisations.44° année.n.5.1989.pp1205-1228.

بوظائف الشرع وأعلم الناس بطب القلوب"<sup>1</sup>. ويضيف الصباغ صفات أخرى لشيخه فقال: "كان رحمه الله ونفعني به متواضعا ورعا زاهدا محببا عباد الله في طاعة الله"<sup>2</sup>، وهو مع هذا الوصف المتصف بالزهد فإنه حسب الصباغ لا يتعارض مع ما يظهر عليه الملياني من أثر النعمة والرفاهة، وذلك "لبلباسه الرقيق من الثياب وجلوسه على الفرش الحسان ونحو ذلك ولكل شيء وجه"<sup>3</sup>. والصباغ بنقله هذا الخبر يحاول التخفيف من حدة التناقض الذي يكتنف حياة شيخه وساق من أجل هذا الموضوع أخبارا تتعلق بأحوال مالك بن أنس رضي الله عنه أنه "خلف حين مات مائة عمامة، فضلا عما سواه، وبيع ما في منزله من مضارب وبسط وفرش ومخايد محشوة بريش وغير ذلك، ما ينيف عن خمسمائة دينار، وقيل خلف مائة زوج نعل، وكان رضي الله عنه من الزهد والورع بمكان. وكان يلبس الحسن من الثياب ويأكل الطيب من الطعام، فليس ذلك قادحا في زهده وورعه"<sup>4</sup>.

لقد ساق الصباغ هذا الخبر لينفي عن شيخه ما اتهم به من إيثاره حب الدنيا وملذاتها، وأن السلف الصالح أيضا كانوا يأخذون بطرف من هذه الدنيا وأن شيخه بهذا متبع سنة الأولين من الصحابة وأئمة المسلمين ولا ينتقص ذلك من إيمانهم شيئا.

## 6.2 - شيوخه:

لم يذكر الصباغ في "البستان" من شيوخ الملياني إلا الشيخ أحمد زروق، اتصل به في بجاية، وأخذ عنه الفقه والتصوف وباقي العلوم الشرعية، وتعمق فيها حتى أجازها فيها وأذن له بالعودة إلى مسقط رأسه "رأس الماء"، حيث أنشأ زاويته فيما بعد .

ويقول محمد بن اسماعيلي: "إن سيدي أحمد بن يوسف ساح في الأرض من أجل العلم مدة تفوق 15 سنة"<sup>5</sup>، طاف خلالها بكثير من المدن والجهات في المغرب العربي ثم

<sup>1</sup> - البستان .مخطوط. ص(3و).

<sup>2</sup> - البستان مخطوط. ص(3ظ).

<sup>3</sup> - المصدر نفسه. ص (4و).

<sup>4</sup> - المصدر نفسه. ص (4ظ).

<sup>5</sup> - محمد بن اسماعيلي: مشايخ خالدون وعلماء عاملون. ص 123.

انتقل بعد ذلك في إطار السياحة العلمية الكبرى إلى مختلف المدن العربية في المشرق العربي بدءاً بالقيروان، وطرابلس، والإسكندرية، والقاهرة، وجدة، ومكة، والمدينة المنورة<sup>1</sup>. ومعلوم أن الرحلة إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج تعدّ فرصة ممتازة لطلاب العلم وشيوخهم ليلقى كل منهم الآخر، إما في الحجاز أو في المراكز الحضرية على الطريق إليها كالقاهرة، ودمشق وبغداد وغيرها. وكانت القاهرة المدينة التي يمر بها حجاج شمال إفريقيا، وهي منزل طبيعي وضروري لقوافل الحج بعد عبورها الطريق الطويل بالصحراء الليبية الشاسعة<sup>2</sup>. ولا يخفى على أحد أن القاهرة بفضل موقعها الجغرافي الذي يجعلها حلقة وسطى بين المشرق والمغرب العربيين كانت مركزاً مهماً جداً للدراسات الإسلامية والعربية بجامع الأزهر الذي أدى دوراً كبيراً في نشر المعرفة الدينية عن طريق شيوخه الذائعي الصيت. وطبيعي أن تجتذب طالب العلم الظمان بمناخها العلمي النشط<sup>3</sup>، وبما توفره من ظروف الإقامة المثلى بتخصيصها رواقاً خاصاً للطلبة المغاربة، ولانستبعد أن يكون الملياني قد التقى في بعض رحلاته إلى الحج ببعض الشيوخ الذين أشار إليهم صاحب "الريح"، ويكون قد أخذ عنهم على حسب ما نذكره بعد حين .

ومن المترجمين القلائل الذين أشاروا إلى شيوخ الملياني نجد "علي بن الحاج موسى" الذي ذكر عدداً من الشيوخ الفضلاء الذين يكون الملياني قد أخذ عنهم حسب، وذلك استناداً إلى تأكيد الملياني نفسه اتصاله بهؤلاء الشيوخ، وأخذه عنهم. ففي معرض إجابته عن بعض المسائل التي سأله بها أهل فاس في باب التوحيد حين سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، أجاب بنعم وقال للسائل: ويحك كيف يعجزني هذا وقد قرأت على جملة من الأشياخ منهم الزروق، والزيتوني، والبخاري، وأبي الفضل

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 123.

<sup>2</sup> - خشيم: أحمد زروق والزروقية. ص 42.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 43.

التونسي، وأبي عبد الله الأصبهاني، والشامي، وأبي موسى المصري<sup>1</sup>. وفي موضع آخر من "الريح" يشير الملياني إلى انتصار شيخه البخاري في بعض مسائل التوحيد وقال: "وقد انتصر شيخنا العارف بالله مولانا الشيخ سيدي محمد صالح البخاري، والعلامة الشهاب في تقسيم الرياض على شفاء القاضي عياض"<sup>2</sup>.

ولكن المفارقة تكمن في كون صاحب "الريح" لا يذكر تفاصيل اتصال الملياني بهم، وماذا أخذه عن كل واحد منهم؟. كما لم يذكر المدة التي قضاها عند هؤلاء الشيوخ، ولا الأماكن التي نزل بها، مع ملاحظة أن بعض أسماء الشيوخ الذين ذكرهم من العسير تحديد هوية بعضهم، لكونه يذكر الاسم وحده منسوبا إلى بلده، أو مسقط رأسه، وكان تحديده لهؤلاء الشيوخ على هذا النحو: "أخذ رضي الله عنه علمي الشريعة والحقيقة عن جماعة من الأئمة، وتفقه عليهم في العلوم الشرعية، والعلوم العقلية، كالإمام الزيتوني شيخ شيخه سيدي أحمد زروق، والإمام البخاري، وأبي الفضل التونسي، وأبي عبد الله الأصبهاني، والشامي، وأبي موسى المصري، كما يأتي ذلك في أثناء كلامه. ومن أجلهم وواسطة عقدهم شيخه في الطريق سيدي أحمد زروق رضي الله عنه، وإنما اقتصر الشيخ الصباغ في بستان الأزهار عليه لأنه الذي كان إليه ينتسب، وبقدوته يحتسب، وعليه في الأمور يلج، وبذكرة يلهج، إذ قال في وصفه له: هو الشيخ الأجل الأفضل، خليفة من مضى من السلف، وإمام من بقي من الخلف، تاج العارفين، ومصباح السالكين، وإمام المريدين، وموصلهم إلى حضرة رب العالمين"<sup>3</sup>.

فما عدا الشيخ الزيتوني، والشيخ زروق، فإن البقية غير معروفين، وأن أسماءهم حسبما وردت عليه في "الريح" تتسم بالتعمية، ونقصان التعيين، الأمر الذي أتعبني كثيرا في رحلة البحث عن هوياتهم، وتحديد أزمنتهم وأماكن إقامتهم، ثم إن طريقة عرض صاحب "الريح" للشيوخ الذين أوردتهم في مصنفه لا تخضع لضابط زمني، أو مجالي محدد

<sup>1</sup> - الريح: ص 71.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص 72.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه. ص 140.

كما أنه لا يشير دائما إلى هوية من يترجم لهم، لذلك كان من الصعب معرفة أصولهم الجغرافية، أو الإثنية، انطلاقا من معطيات ترجماتهم<sup>1</sup>. فقد اقتصر "علي بن الحاج موسى" في مؤلفه على ذكر اسم المترجم له من خلال الإفصاح على أصله الجغرافي دون الإفصاح عن انتسابه القبلي، وفي بعض الأحيان يذكر الانتماء الجغرافي فقط دون ذكر حتى الاسم، على هذه الشاكلة (الإمام البخاري، والشامي، وأبو موسى المصري... وهكذا). ربما لأنهم المؤلف الأساس هو إبراز الجانب العددي، أي كثرة الشيوخ المترجم لهم أكثر من محتدهم العائلي أو الجغرافي، لأن تعدد شيوخ المترجم لهم يعني غزارة العلم المكتسب، والتبحر في المعرفة الدينية مما يزيد في مقامه ورفعة شأنه. وثمة صعوبة أخرى تتعلق بتعدد أسماء من تبحت عنه. فعلى سبيل المثال تبحت عن الشيخ الشامي بهذا التحديد الوارد في "الريح" فتجد أمامك عددا من أسماء الأعلام كلهم بصيغة الشامي فتحتار أيهم كان شيخا للملياني، وهل حقيقة التقى به وأخذ عنه؟. لم أطمئن كثيرا إلى تراجم بعض هؤلاء الشيوخ وانتابني شك فيما إذا تم اتصال الملياني بهم حقا، ولذلك فقد قدمتهم بشكل عام كما تقدمهم مصادر التراث وفهارس المترجمين .

غير أن ثمة احتمالا واردا أن يكون الاتصال بالمشايخ لا يستدعي ضرورة البقاء عندهم لأزمنة طويلة، بل قد تتم استفادة المرید من الشيخ في فترة وجيزة حسب الظروف، وحسب حاجة المرید، ويحدث ذلك غالبا في مواسم الحج -كما سبق بيانه-، حيث يستثمر كثير من الطلبة هذه السفرية للاتصال بالعلماء والفقهاء ورجال الدين، والجلوس معهم، وحضور حلقاتهم، وقد أشار صاحب "الريح" إلى "أن المشيخة تحصل بأدنى جزء ولو بالسماع، والرواية عنه، أو العرض عليه، سيما ودأب الأقدمين رواية الأصاغر عن الأكابر"<sup>2</sup>. هذا

<sup>1</sup> - عبد العزيز بن عبد الله : مصادر التصوف المغربي: ديوان أصدقاء المغرب. موقع الكتروني في الأنترنت. 2011.

[/https://alantologia.com/page/19198](https://alantologia.com/page/19198)

<sup>2</sup> - عبد العزيز بن عبد الله: المرجع نفسه، ص 176.



وسوف أذكر هؤلاء الشيوخ حسب التسلسل الذي ذكره صاحب "الريح" مراعاة لسن الشيخ ودرجته العلمية وفضله على مريده، وأولهم:

## 1.6.2 الشيخ الزيتوني:

جاء في "جذوة الاقتباس" هو: "محمد بن عبد الله الزيتوني الإمام الفقيه الصالح، صاحب الكرامات، أخذ عنه "زروق"، قال دخول سنة سبعين وثمانمائة كنت في خدمته"<sup>1</sup>. فقد وصفه صاحب "السلوة" فقال: هو "من طلبة العلم يعتقد فيه، الولي الشهير، العارف بالله الكبير، بدل وقته، وإمام عصره، شيخ الشيوخ... خدمه تلميذه "زروق" بفاس سنين، وكان معه بزواية بوقطوط... ملازما له إلى أن ارتحل للمشرق"<sup>2</sup>. وهو رجل "أسود اللون أعمى مجاب الدعوة... وكان يحمل الأركاب من المغرب لحج بيت الله الحرام، وزيارة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وكانت عرب الزاب وإفريقية على جراتها وتمرداها لا تتعرض لركائبه بسوء لما رأوا منه من خرق العوائد التي أجراها الله سبحانه وتعالى على يده"<sup>3</sup>.

وتذكر بعض المصادر أن الزيتوني غضب غضبا شديدا على تلميذه زروق لما ظهر له أنه أفشى سرا قد استكتمه إياه يتعلق بموقف الزيتوني من الثورة، ويبدو أنه كان فيما سبق موافقا لتلميذه الزروق "موقفه السياسي إبان الثورة وأنبأه بهذا السر ثم غضب عليه حين أفشاه بطريقة أو بأخرى، ولعله كان خائفا على نفسه كذلك أو أن الأستاذ لم يوافقهم واتهمه بالتحيز لليهود الذين قامت الثورة بسببهم"<sup>4</sup>. ولكن القصة التي ذكرها زروق في "الكناش" خلاف هذه الحادثة وتعلق بالسر الذي أودعه الشيخ في مريده. وفي هذا يقول زروق: "وفي ما وقع

<sup>1</sup> - ابن القاضي أحمد بن إبي العافية المكناسي: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، ج1. دار المنصور، الرباط. 1974م. ص 240.

<sup>2</sup> - الكتاني الكتاني محمد بن جعفر الحسني الفاسي (ت 1345هـ/1926م): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1/ المطبعة الحجرية، فاس. 1900م، ص 205.

<sup>3</sup> - ابن عسك: دوحه الناشر. ص 67.

<sup>4</sup> - خشيم: أحمد زروق والزروقية. ص 41.

\* لعله يعني اليهوديين، هارون وشاول اللذين وليا الضرائب وجباية المكوس في أواخر أيام السلطان عبد الحق بن سعيد المريني.

للشيخ الزيتوني أن قال: (عبد بن سلطانين جديدين)\* ثم استكتمني إياه ، وكتمتها. ثم إنه قال لي: (سمعتك تقولها لفلان ) فحلفت بكل يمين، فلم يقبل مني فلم أقدر على تكذيبه، ولأصح عندي تصديقه، لما أعلم من نفسي. فكنت أجوز أن الله ابتلاني بشيطان أسمع ذلك<sup>1</sup>. وهذا ما دفعه إلى الهجرة نحو المشرق بعيدا عن شيخه إلى حين هدأت ثورته، وسكت الغضب عنه، فقرر زروق مرة أخرى العودة "إلى فاس في النهاية وتصالح مع أستاذه"<sup>2</sup>. وقضى على التوتر الذي نشب بينهما بطريقة أخلاقية نبيلة، واثر هذا الفعل "إزداد الزيتوني إعجابا بزروق حتى كان يقول عنه إنه رأس الأبدال السبعة"<sup>3</sup>.

وقد شهد الشيخ الزيتوني بولاية تلميذه أحمد بن يوسف الملياني واعترف له بالولاية والمكانة الرفيعة وكانت بينهما محبة كبيرة واحترام كبير متبادل، وقال الصباغ: "لما أتى سيدي محمد الزيتوني من المغرب ذاهبا إلى الحج ونزل بموضع بعيد من قلعتنا حماها الله فأتى إليه سيدي أحمد بن يوسف وسلم عليه ثم قال له الزيتوني أنت ابن الزروق وهو ابني وأنت تلميذ الزروق وهو تلميذي أو كلام هذا معناه"<sup>4</sup>. هذا ولم يذكر الصباغ وعلي بن الحاج موسى في مؤلفيهما المدة التي قضاها الملياني تلميذا عند الزيتوني ولا المكان الذي لقيه فيه. ولم يذكر أيضا أنواع العلوم التي أخذها عنه، واكتفى صاحب "الريح" بقوله إن الشيخ الزيتوني شيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني. هذا وقد ذكر في "السلوة" أن الزيتوني المذكور "توفي في العشرة الثانية من القرن العاشر ودفن بالمسيلة من بلاد الجريد"<sup>5</sup>.

**ومن شيوخه أيضا:**

<sup>1</sup>- أحمد زروق: الكناش ، تح علي فهمي خشيم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا. 1980م. ص28  
<sup>2</sup>- المرجع نفسه. ص 41 .  
<sup>3</sup>-المرجع السابق. ص 42.  
<sup>4</sup>- "البستان" 1مخطوط. (ص4).  
<sup>5</sup>-الكتاني : سلوة الأنفاس. ج1. ص 206.

2.6.2 محمد بن يوسف السنوسي<sup>1</sup>:

جاء في درة الحجال هو: "أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، الإمام المعقولي، الفقيه، المحدث، الفرضي، الحيسوبي، صاحب العقائد التي لم يأت أحد بمثلها من المتأخرين"<sup>2</sup>.

وقال في الدوحة: "كان من مشايخ المائة التاسعة، جدّد لهذه الأمة أمر دينها، تأليفه تدل على تحقيقه، وغازة علمه، وعقائده الخمس وشروحاتها من أفضل ما ألف في الإسلام"<sup>3</sup>. وتعتبر مؤلفاته في باب العقائد "المصدر المحلي لدراسة علم الكلام. وقد اصطبغت هذه المؤلفات بالصبغة الصوفية، وسيطرت سيطرة تامة على الدارسين لعلم التوحيد طيلة العهد العثماني"<sup>4</sup>. وقال عنه تلميذه الملاي: "نشأ خيراً مباركا فاضلا صالحا [...] أخذ عن جماعة منهم والده أبو يعقوب، والشيخ العلامة نصر الزواوي، وأبو العباس محمد الشريف الحسيني أخذ عنه علم القراءات، وعن أبي عبد الله الحباك علم الاسطرلاب [...] وعن الفقيه الحافظ أبي الحسن التالوني -أخيه لأمه- الرسالة... وعن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد الثعالبي الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث [...]، وعن الإمام العالم العلامة الولي الزاهد الناصح ابراهيم التازي ألبسه الخرقة وحدثه بها عن شيوخه وبصق في فمه [...]، وعن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض والحساب، وأجازه جميع ما يرويه"<sup>5</sup>.

ورغم أنه لم يكن من المعمرين طويلا كما سنرى إلا أنه كما قال تلميذه الملاي: "لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيما التوحيد والمعقول [...] ويضيف

<sup>1</sup> - ترجم له في الكتب التالية: - درة الحجال: ج2، ص141. - دوحة الناشر: ص 109. - نيل الابتهاج: ج2، ص251. تاريخ

الجزائر الثقافي: ج2، ص92 - كفاية المحتاج. ص 199. ولابن مريم ترجمة مطولة له في 'البستان'. ص237-248.

<sup>2</sup> - ابن القاضي: درة الحجال. ج2، ص141.

<sup>3</sup> - ابن عسكر: دوحة الناشر. ص109.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج2، ص92.

<sup>5</sup> - التتبعي: نيل الابتهاج. ج2، ص251.

الملاي: سمعته يقول: ليس علم من علوم الظاهر يورث معرفته تعالى ومراقبته إلا التوحيد، وبه يفتح في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته يزداد خوفه تعالى"<sup>1</sup>.

لقد تنوعت تأليفه وكثرت وامتازت كلها بإتقان العبارة وبتنوير الفكرة، وقد اتفق "فحول الأولياء وأكابر العلماء على فضله، وتلقي تأليفه بالقبول، وكان الشيخ أبو عمران موسى ابن عقدة الأغصاوي إذا ذكر علم الكلام يقول: ما رأيت من غريل هذا العلم مثل هذا الرجل يعني السنوسي"<sup>2</sup>. ومن أشهر مؤلفاته العديدة والقيمة نذكر بعضها لمكانتها وقيمتها، منها "عقيدته الكبرى سماها عقيدة التوحيد في كراريس من القالب الرباعي أول ما صنفه في الفن ثم شرحها، ثم الوسطى وشرحها في ثلاثة عشر كراسا، ثم الصغرى وشرحها في ست، وهي من أجمل العقائد، لا تعادلها عقيدة كما أشار إليه هو"<sup>3</sup>.

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته بالتحديد ويرجح أن يكون مولده بعد الثلاثين وثمانمائة. "وكان يقول عند موته نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحببتنا عند الموت ناطقين بالشهادة وعالمين بها"<sup>4</sup>. "وتوفي يوم الأحد ثامن عشر جمادي الآخرة عام خمسة وتسعين وثمانمائة، وفاح المسك بنفس موته [...] وذكر تلميذه الملاي قبل موته بنحو عامين أن سنه خمس وخمسون سنة [...] وفي موضع آخر عن الملاي أنه قال عمره ثلاث وستون سنة [...] ومن كراماته أن رجلا أتى بلحم من السوق فسمع الإقامة من المسجد فدخل واللحم في قبه\* وكبر كذلك فلما سلم دخل داره وطبخ اللحم إلى العشاء فإذا هو بحاله لم يتغير، فظنه لحما شارفا، فما زال يوقد عليه إلى الصبح وهو على حاله كما وضع. فتذكر وذهب

<sup>1</sup> - المصدر السابق. ج. 2. ص 252.

<sup>2</sup> - ابن القاصي : درة الحجال. ج. 2، ص 141 .

<sup>3</sup> - المرجع السابق. ج. 2، ص 259.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ج. 2، ص 257.

\*قبة بضم القاف وكسر الباء، قلنسوة الجلابة المغربية، ويستعمله الناس كوعاء.

للشيخ وأخبره فقال يابني أرجو أن كل من صلى ورأى لاتعدو عليه النار، ولعل هذا اللحم من ذلك ولكن اكنمه انتهى<sup>1</sup>.

وحسب ما ذكره الأستاذ حاج صادق في مؤلفه، فإن سيدي أحمد بن يوسف قد اتصل بعلماء تلمسان المعاصرين له<sup>2</sup>. وتتلذذ على العلامة الشيخ محمد بن يوسف السنوسي<sup>3</sup>، وغيره من علماء وقته، كالعلامة "ابن زكري المتوفى سنة (900هـ/1494م). وابن مرزوق الكفيف المتوفى سنة (901هـ/1495م). وابن مرزوق الخطيب المتوفى سنة (918هـ/1503م)<sup>4</sup>. ولكن المفارقة تكمن في أن لا أحد من المترجمين للملياني أشار إلى تفاصيل أخرى عن حياته، وكيف أخذ عن هؤلاء، وزمن ذلك. ويكتفون بقولهم "أخذ عن أعلام تلمسان"<sup>5</sup>. وعليه فإنني أجهل ما يطبع حياة الملياني التلميذ وعلاقته بشيخه السنوسي وبغيره من الشيوخ. وما قدمته لا يعدو أن يكون مقارنة خاصة بتلك المرحلة لاغير.

ومن شيوخه أيضا، شيخه في الطريق العمدة الوثيق:

### 3.6.2 أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي عرف بزروق (846-899هـ).

جاء في "ريح التجارة": "هو الشيخ الأجل خليفة من مضى من السلف وإمام من بقي من الخلف، تاج العارفين، ومصباح السالكين، وإمام المريدين، وموصلهم إلى حضرة رب العالمين"<sup>6</sup>. وقال في كفاية المحتاج: "أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي عرف بزروق، الإمام العلامة، الفقيه المحدث، الصوفي، الولي الصالح، القطب، الغوث، العارف بالله، الرحلة المشهور شرقا وغربا، ذو التآليف العديدة المفيدة، والمناقب العتيدة الحميدة، ولد كما قال يوم الخميس طلوع الشمس ثامن وعشرين من المحرم عام ستة وأربعين

<sup>1</sup>-التبكتي: كفاية المحتاج. ص 199.

<sup>2</sup>-حاج صادق: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ص 84.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 84.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص 84.

<sup>5</sup>- ابن القاصي: درة الحجال، ج 1. ص 164.

<sup>6</sup>- ربح التجارة. ص 140.

وثمانمائة[...], أخذ على القوري<sup>1</sup>، وقرأ عليه البخاري، وأحكام عبد الحق الصغرى، والترمذي، [...] ومن شيوخه عبد الرحمان الثعالبي، والمشدالي، وإبراهيم التازي، وحلولو، والرصاع، وأحمد بن سعيد الحباك، وأبي مهدي الماوسي، والسنوسي، والتتسي<sup>2</sup>، وأخذ عن شيخه الزيتوني كما أشرنا من قبل، وعن أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني، المتوفى سنة تسع وتسعين وثمانئة، وأخذ عن أحمد بن عبد الله الزواري الجزائري الفقيه الولي الصالح أبو العباس صاحب المنظومة الشهيرة في العقيدة. قال بعضهم هو نظير الشيخ عبد الرحمان الثعالبي علما وعملا، وقال الشيخ زروق كان شيخنا هذا من أعظم الناس اتباعا للسنة، وأكبرهم حالا في الورع، كان يشير إلينا بأنه ينبغي لمن وسع عليه دنياه أن يظهر أثر نعمة الله تعالى عليه باستعمالها على وجه يباح لا يخل بحق ولا حقيقة [...]. وأثنى عليه السنوسي علما وصلاحا في شرح منظومته. توفى سنة أربع وثمانين وثمانئة رحمه الله<sup>3</sup>.

أما عن شيوخه في المشرق فقد أخذ "عن السنهوري والحافظين الذهبي والسخاوي والولين شهاب الدين الأبيشي، وأحمد بن عقبة الحضرمي"<sup>4</sup>، الذي "إليه انتسب وعليه في الطريق والتحقيق اعتمد، وقال انتفعت منه انتفاعا لا يخفى على أحد"<sup>5</sup>. ويذكر زروق في "كناشه" أنه ممن لقيهم "بمصر الشيخ نور الدين التتسي حضرت عليه مجلسه وقرأت عليه بعض شيء، وكان حسن التقرير قوي الفهم، عظيم الإنصاف حميد الأوصاف توفي في سنة خمس وسبعين وثمانئة [...]. والشيخ شمس الدين الجوهري، الشافعي المذهب، فقيه نحوي

<sup>1</sup> - هو محمد بن قاسم القوري اللخمي المكناسي أبو عبد الله، العلامة المفتي الحجة الحافظ. أخذ عن أبي القاسم التازغدي، وأخذ عنه أحمد زروق، وقيل مات أواخر سنة اثنتين وسبعين وثمانئة. ترجم له: توشيح الديباج وحمية الإبتهاج، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي (ت 1008هـ). تح علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة، ط1. (1425هـ/2004م). ص 2002.

<sup>2</sup> - التتبكتي: كفاية المحتاج 1. ص 126-127.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ص 126.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه ص 127.

<sup>5</sup> - محمد طيب: الشيخ أحمد زروق. دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب. 2005. ص 98.

أصولي، له شرح على "الشذور" لابن هشام، وشرح "التنبيه"، وقرأت عليه بعض كتب المحلي. توفي سنة إحدى وتسعين وثمانمائة<sup>1</sup>.

وقد ذكر علي فهمي خشيم أنه لما قدم "زروق" مصر وسمعت بقدمه العلماء والفضلاء من أهلها، وفدوا عليه ومثلوا بين يديه، وكان يحضر درسه في الأزهر الشريف زهاء ستة آلاف نفس من مصر والقاهرة وأحوازها، وتولى إمامة المالكية، وصار أستاذ رواقهم، ونصبوا له كرسيًا عالي الأركان بديع الإتقان صار يجلس عليه للإفادة [...] وكانت له صولة ودولة عند أمراء المصريين، والقبول التام عند الخاص منهم والعام<sup>2</sup>.

أما تواليه فهي كثيرة ومفيدة<sup>3</sup>، فقد ذكر صاحب "نيل الابتهاج" عددا من المؤلفات القيمة التي جادت بها قريحة "زروق" وعكف على تأليفها منها "شرح الإرشاد لابن عسكر، وشرح مختصر خليل\* وشرح الوغليسية، وشرح القرطبية، وشرح الغافية، وشرح العقيدة القدسية للغزالي [...] وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي\* وشرح مشكلاته، وشرح الحقائق والدقائق للمقري، وشرح قطع الششتري، وشرح الأسماء الحسنی، وشرح المراد في التصوف لشيخه ابن عقبة، والنصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، ومختصرها، وإعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين، وكتاب القواعد في التصوف وهذه الثلاثة في غاية النبل والحسن سيما الأخير لا نظير له، وكتاب النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة، وكتاب عمدة المرید الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث

<sup>1</sup> - أحمد زروق : الكناش: تح علي فهمي خشيم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا. 1980. ص38.  
\* مدح ابن غازي مختصر خليل فقال: "إنه من أفضل نفائس الأعلام، وأحق ما رتق بالأحداق، وصرفت له همم الحذاق، عظيم الجدوى، بليغ الفحوى بين ما به الفتوى، وجمع مع الاختصار شدة الضبط والتهديب، واقتدر على حسن المساق، والترتيب، فما نسج على منواله، ولا سمع أحد بمثاله". نيل الابتهاج. ج1. ص186.

\* معنى الحزب عند الصوفية هو "الورد المعمول به تعبداً أو نحوه وهو في الإسلام مجموع أذكار وأدعية وضعت للذكر والتذكر والتعوذ من الشر وطلب الخير، وحصول العلم، مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك". مرآة المحاسن. ص205.

<sup>2</sup> - خشيم فهمي: أحمد زروق والزروقية. ص165-166.

<sup>3</sup> - من المفيد الإشارة إلى أن روني باسي قد ذكر شيوخ أحمد زروق وذكر أيضا طائفة من مؤلفاته. ينظر ذلك في:

الوقت<sup>1</sup>. وله أيضا تعليق على البخاري في ضبط الألفاظ، الجامع لجمل من الفوائد والمنافع، الدرّة المنتخبة في الأدوية المجربة، فتح المواهب وكنز المطالب في التشبيه على بعض ما يتعلق بصدور المراتب، [...] كتاب الأنس في شرح عيوب النفس، كتاب النصيحة وحتى القريحة، الكناش<sup>2</sup>.

وقال في الدوحة: "أخبرني شيخنا أبو محمد الهبتي رضي الله عنه أنه (يعني زروقاً) شرح الحكم لابن عطاء الله المعروف بتاج الدين ثمانية عشر شرحاً، وشرح رسالة ابن أبي زيد\* شرحاً عجبياً<sup>3</sup>. "وكتبه ورسائله في التصوف أكبر من أن تحصى، وكلها جليلة القدر كبيرة الشأن"<sup>4</sup>، وبالجملة فقدرة فوق ما يذكر وهو آخر أئمة الصوفية المحققين الجامعين لعلمي الحقيقة والشريعة، له كرامات عديدة، وحج مرات [...]، توفي ببلاد طرابلس الغرب في صفر عام تسع وتسعين وثمانمائة<sup>5</sup>.

وهو الشيخ الوحيد الذي تجمع جميع المصادر على تتلمذ الملياني عليه، وانتقاله إليه في بجاية، فقد ذكر الصباغ أن سيدي أحمد بن يوسف قال: "كنت أنا وسيدي أحمد بن خدة الراشدي ورجلاً فاسياً عند شيخنا الزروق في بجاية أعادها الله للإسلام إلى ذات مرة قال لنا شيخنا المذكور ليتمنى كل واحد منكم حاجته يعطاها بعون الله وبركة رسول الله ﷺ. أما ابن خدة فقال حاجتي أن يسهل الله علي في الحج. فقال له الزروق صاحبي يأتي إليه الحج لبيته أو كلام هذا معناه حتى أردت التعب فلك ذلك. وأما الفاسي فقال ادع الله أن يعطيني إجابة الدعوة في الظلمة والجباية، فقال له الزروق هذا مكانك حتى تموت ولم تخرج منه لأنك أردت هلاك عباد الله. وأما أنا فقلت ادع الله أن يجعلني كالأرض يمشي علي المسلم

<sup>1</sup> - التتبيكتي: نيل الابتهاج. ج. 1، ص 140.

<sup>2</sup> - اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: ج. 1. مطبعة المعارف استنبول 1955. ص 136

\* - رسالة ابن أبي زيد القيرواني، هي رسالة في الفقه والعقيدة على مذهب الإمام مالك بن أنس، المؤلف عبد الله بن أبي زيد القيرواني.

<sup>3</sup> - ابن عسكرو: الدوحة. ص 50.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ص 50.

<sup>5</sup> - التتبيكتي: نيل الابتهاج. ج. 1، ص 140.



والكافر والمطيع والفاجر والعبد والحر والأنثى والذكر، فقال يا أحمد أصبت ووقفت، قد أعطاك الله فهما وعلمنا لم يعطه لأحد من تلامذتي ودعا لي بالخير وقال اذهب ينتفع بك الناس<sup>1</sup>. فأخذ بوصية شيخه وقدم إلى رأس الماء وأسس زاويته المباركة التي أصبحت فيما بعد "حصنا منيعا وحرما رفيعا يأتي الناس إليها رجالا وركبانا من كل قطر يتبركون بالشيخ المبارك الولي السالك العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف نفعا الله به"<sup>2</sup>.

ويعتبر الشيخ زروق الأستاذ الوحيد "الذي أثر في تكوينه تأثيرا عميقا، فإنه ذهب إليه من رأس الماء إلى بجاية وأخذ عنه ما أمكنه الأخذ، وهو الذي أدخله الخلوة، وألبسه الخرقة، [...] لقد درس سيدي أحمد بن يوسف عند زروق:

(أ) - القراءات السبع أو الروايات السبع .

(ب) - السيرة النبوية على كتاب الشفاء للقاضي عياض .

(ج) - التصوف عن كتاب ابن عطاء الله تاج الدين المتوفي سنة 709هـ/1309م<sup>3</sup>.  
وغني عن البيان أن زروقا كان في بداية عهده شاذليا، وقد ظهرت تعاليم الشاذلية، وأصولها في تراثه الصوفي " كما تعرضها مؤلفات ابن عطا الله السكندري، وأقوال أبي الحسن الشاذلي نفسه. غير أنه [...] تأثر بأراء طرق صوفية أخرى، وفي مقدمتها القادرية، وكانت النتيجة مزيجا من هذه الطرق، في إطار الشاذلية أبرزت ما عرف بعدئذ بالطريقة الزروقية"<sup>4</sup>.

وحسب عبد الله نجمي: " فقد اشتهر الشيخ أحمد زروق بالنفور من العيش بالحواضر الكبرى المكتظة بالسكان، المليئة بالمفاسد، والآثام. فقد ملَّ فاسا، وضجرت نفسه من القاهرة، وفر من طرابلس"<sup>5</sup>. وقد عرف عنه شدة الميل نحو " الأمكنة الهادئة، والمريحة، والنائية عن

<sup>1</sup> - "البستان": ص (32و).

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص (32و).

<sup>3</sup> - مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ص (82-83).

<sup>4</sup> - أحمد زروق والزروقية . ص 161.

<sup>5</sup> - عبد الله نجمي: التصوف والبدعة بالمغرب. ص 74.

الحواضر بمقدار كاف بشرط ألا تخلو من مظاهر الحياة الثقافية والنشاط العلمي والجو الديني، فقد كانت قرية "تَامُفْرَة"<sup>1</sup> الواقعة عند "بني عِيدَل" بضواحي بجاية ضالته المنشودة [...] وكان ينزل بالضبط في "معهدا" الشهير، وبهذا المعهد جمع التلامذة والمريدين ونسبهم إليه.، وكان من أبرزهم: أحمد بن يوسف، وأحمد بن خدة الراشدي والصغير بن محمد الأخضر، والد المؤلف عبد الرحمن الأخضر، ومحمد بن علي الخروبي<sup>2</sup>، وهذا خلال سنة 892هـ/1487م على وجه التقريب.

لقد كان أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي خلال هذه الفترة تلميذا قريبا من زروق وعن طريقه وجدت "الزروقية" سبيلها إلى طرق أخرى ومارست تأثيرها في غيره من أهل التصوف<sup>3</sup>، وينبغي التذكير بأن "المدرسة الصوفية التي كونها الشيخ أحمد زروق بمعهد "تامقرة"، والتي كان الراشدي أحد تلامذتها، أحدثت بالمغرب الأوسط حركة سلفية أرست قواعد التصوف، وحاربت البدع التي تسلت إليه، وتصدت للدجل الفكري الذي خالطه وشابه. وقد كتب لهذه الحركة الانتشار والاستمرار على يد من ذكرنا من التلامذة والأتباع"<sup>4</sup>. هذا وقد خصه علي فهمي خشيم بتأليف قيم بعنوان "أحمد زروق والزروقية" فصل فيه القول وأحاط بزروق الصوفي إحاطة مستفيضة في سيرته وعلمه وطريقته.

#### 4.6.2 أحمد بن عقبة الحضرمي (824هـ-895هـ).

ومنهم - أي مشايخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي - الشيخ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عمر بن أحمد بن عقبة اليميني الحضرمي، قال صاحب المرأة: "ولد في إحدى الجمادين سنة أربع وعشرين وثمانمائة ولقيته بمصر سنة ست وسبعين

<sup>1</sup> - ثموقرة قلعة العلم والعلماء تقع بالقرب من أقبو ناحية بجاية عند بني عيدل كان بها زاوية مشهورة ألف فيها زروق كتابه "الجامع لجمال من الفوائد والمنافع" وتسمى زاوية سيدي بن محمد العيدلي . ينظر أحمد زروق والزروقية. ص 167.

<sup>2</sup> - عبد الله نجمي: التصوف والبدعة بالمغرب. ص 75-76.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 167.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ص 76.

وثمانمائة<sup>1</sup>، وكان يروي عن أبيه وأمه وعمه وكانت الولاية في آبائه منذ مائتي سنة، وقال رضي الله عنه لما سألته لمن تنتمي طريقته؟: قال نحن لا نعرف شيئاً من هذا، ولكن تتصل طريقة والدي بأبي مدين<sup>2</sup>، "بينما ما يخصه هو شخصياً فقد رفض التصريح له بأي الطرق كان يتبع"<sup>3</sup>، "وتوفي رضي الله عنه ليلة الجمعة السابع عشر من شوال سنة خمس وتسعين وثمانمائة ودفن بترية البرقوقة"<sup>4</sup>.

أبرز تلامذته أحمد زروق البرنسي الذي انتسب إليه وظل ملازماً له إلى أواخر حياته، وقد أخذ عنه سند طريق الإرادة وطريق الخرقه<sup>5</sup>، ومن المرجح أن يكون الملياني قد التقى هذا الشيخ في رحلاته العلمية نحو المشرق العربي وإن كنا لا ندري ماذا أخذ عنه من علوم على وجه التحديد، ولكن من غير المستبعد أن يكون قد أخذ عنه التصوف، وفي ظل غياب ترجمة حقيقية تتعقب هذه الرحلة أو تلك، وفي ظل سكوت الصباغ في "البستان" عن الإشارة إلى تفاصيل رحلات شيخه العلمية فإن معلوماتنا إزاء لقاء الملياني بالشيخ المذكورين في الريح وطبيعة العلم الذي تلقاه عنهم معلومات تقريبية تحاول أن ترسم معالم الرحلة، وتقرب وجهة نظرنا إزاء هذا الموضوع. وإذا كان الحضرمي - كما تقدمه كتب التراجم - صوفياً بالدرجة الأولى، فلا شك أنه قد مارس تأثيره الروحي على الملياني وأرشدته - كما قلنا - إلى عالم التصوف الذي سبقه إليه شيخه زروق قبله على يد الشيخ الحضرمي نفسه.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - من المفيد الإشارة أن المعلومات المتعلقة بلقاء صاحب المرأة بالحضرمي سنة ست وسبعين وثمانمائة غير صحيحة. لأن صاحب المرأة ولد سنة 937هـ، والحضرمي توفي سنة 895هـ. فيستحيل حدوث هذا اللقاء.

<sup>2</sup> - امرأة المحاسن. ص 440.

<sup>3</sup> - أحمد زروق والزروقية. ص 162.

<sup>4</sup> - امرأة المحاسن. ص 440.

<sup>5</sup> - ينظر: أحمد زروق والزروقية. ص 160.

<sup>6</sup> - ينظر: أحمد زروق والزروقية. ص 46.

## 5.6.2 الإمام البخاري:

قال صاحب الضوء اللامع: "هو علي بن نور الله بن عبد الله الزين المدعو مُلاً علي البخاري الحنفي نزيل مكة وحفيد العالم المدرس المفتي شمس الدين حسبما قاله لي، ولد تقريباً بعيد الأربعين وثمانمائة ببخارى، ونشأ بها، فأخذ الصرف عن مُلاً بدر الدين الصرافاني، والنحو عن درويش، ويسيراً في المنطق عن مُلاً محمد الكيلاني. ثم تحول منها وخدم السيد العلاء بن الصيد عفيف الدين، وقرأ بعض الكافية عليه، ثم اختص بولده السيد عبيد الله وأخذ عنه في المختصر وغيره ورافقه لمكة وغيرها [...] وكان دخوله مكة سنة ست وسبعين فدام بها إلى موسم سنة أربع وتسعين وأخذ فيها عن عبد المحسن الشرواني في شرح العقائد والمطول، وبعده لازم لطف الله في أشياء منها الطب، بل قرأ عليه فقه الحنفية [...] ويضيف صاحب الضوء قائلاً: أخذ عني أشياء وكتب الابتهاج من تصانيفي وقرأه، وفي غضون إقامته بمكة زار المدينة غير مرة، وهو إنسان خير كثير الأدب والسكون مديم الطواف، كتبت له إجازة هائلة، بل سمع عليّ قبل ذلك سنة ست وثمانين قطعة من أول البخاري ومن آخره، مع مصنفي في ختمه "عمدة القارئ والسامع"، و"ثلاثيات البخاري"<sup>1</sup>، والمجلس الأخير من "المشكاة" للخطيب ولي الدين أبي عبد الله التبريزي [...]. وجميع مسند الشافعي، ورياض الصالحين، ثم سافر بزوجه إلى الهند، ثم عاد لمكة فحج سنة ثمان وتسعين"<sup>2</sup>.

ولم يذكر صاحب الخبر تاريخ وفاته، وهناك كلام طويل اختصرته من الضوء اللامع على المنتخبات الأخرى التي ألم بها في المتون المختلفة وهو دليل تمكنه في علوم مختلفة مما سبق وأشرنا، ونحسب أن استقراره الطويل في مكة أتاح له القيام بمهام التدريس وإفادة الطلبة القاصدين مكة من علومه ومعارفه، ويكون سيدي أحمد بن يوسف واحداً من هؤلاء

<sup>1</sup> - تتحصر ثلاثيات البخاري في 22 حديثاً، ويراد بها ما اتصل من الأحاديث إلى رسول الله ﷺ بثلاثة رواة . اقتفاء الأثر، هامش ص

.119

<sup>2</sup> - الضوء اللامع ج 6 / ص 48.

الطلبة الذين جلسوا في مجلس هذا الإمام، ونالوا منه فصولا من علوم الدين أثناء زيارته مكة بقصد الحج، وهذا ترجيح منا لبيان إمكانية أخذ الملياني عن هذا الشيخ لأن المصادر التي أشارت إلى اتصاله به أعني ( البخاري ) ضربت صفحا عن مدنا بمعلومات تخص طبيعة هذا الاتصال وكيف حدث؟ ومتى كان؟ وأين تم؟، ما جعلنا نجد صعوبة في رسم معالم طريق الرحلة العلمية للملياني، ولقائه بهذا الشيخ تحديدا، وبغيره من الشيوخ المذكورين في الريح ذكرا عرضيا من غير تفصيل وتدقيق.

### 6.6.2 أبو الفضل التونسي: (ت 966 هـ / 1558م)

ومنهم: "أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المدعو خروف التونسي الأنصاري الملقب جار الله الإمام الفقيه الأصولي المحدث الأديب المشارك المتبحر"<sup>1</sup>. "نزىل فاس شيخ الجماعة بها، الشيخ الإمام الكامل واحد الزمان المنفرد بالمنطق والكلام وأصول الفقه والمعاني والبيان مع التحقيق والإتقان، أخذ بتونس عن المفتي الخطيب حسن الزنديوي، وبفاس عن أبي محمد عبد الرحمان سقين، وبمصر عن الشمس، والناصر اللقائين بسندهما وعن غيرهم، وعنه أعلام من أهل تونس وفاس منهم المنجور، والقصار وانتقعا به، وأبو المحاسن يوسف الفاسي، وسعيد المقرري بالسند المفرد في فهرسة الشيخ عبد القادر الفاسي، وفي خلاصة الأثر عند ترجمة الشيخ القصار المذكور كان سوق المعقول كاسدا في فاس فضلا عن سائر أقطار المغرب، فنفق في زمانه ما كان كاسدا من سوق الأصليين المنطق والبيان وسائر العلوم، لأن أهل المغرب كانوا لا يعنون بما عدا القرآن والفقه والنحو وما يوصل إلى الرئاسة الدنيوية إلى أن رحل "اليسيتي" إلى المشرق فأتى بشيء من ذلك ثم ورد عليهم الشيخ خروف التونسي، وكان إمام ذلك كله والمقدم فيه إلا أنه من غير كتب لابنته

<sup>1</sup> - محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي: الفكر السامي، ج4. مطبعة إدارة المعارف، الرباط. المملكة المغربية. 1340هـ.. ص 102. ترجم له أيضا الكتب التالية : الجذوة (ج1. ص322)، السلوة (ج3 ص281) ، زهر الآس (ج1 ص255). و فهرس الفهارس ( ج1 ص 279).

بالأسر<sup>1</sup> وذلك "حين استولى البرتغاليون على كثير من ثغور المغرب الأقصى"<sup>2</sup>. فأخرجه أبو العباس أحمد المريني بوساطة أبي عبد الله محمد اليسيتي لمكاتبة جرت بينهما، وكان يكتب في كتبه للمريني: معتق إيالتكم فلان. قلت واتفق لي مع عالم الأمراء وأمير العلماء أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين الشريف الحسني المنصور مثل ما اتفق لهذا: أخرجني من الأسر لما أسرت منذ كنت قافلا للديار المصرية لأجل أخذ العلم عن فاتي، لقيته في المرة الأولى فأخرجني وبذل من المال للعدة ما يكون له وقاية وجنة من غضب الله تعالى. وكم أخرج من الأسارى من يد العدو ما لا يدخل تحت حصر، أبقاه الله تعالى بمنه، ومما ألفت به بخط أبي عبد الله المذكور ما نصه هذه الأبيات الثلاثة، أولها: لا يعلم قائله، والبيتان الأخيران لكاتبهما نزيل محروسة فاس: محمد بن أبي الفضل: خروف التونسي: (الطويل).

أَعِدْ ذِكْرَ نُعْمَانَ لَنَا؛ إِنَّ ذِكْرَهُ هُوَ الْمِسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوُّعُ  
وَإِنْ جِئْتَ نُعْمَانًا؛ فَسَلْ عَنْ أَهْلِهِ فَقَلْبِي عَلَيْهِمِ بِالنَّوَى يَتَقَطَّعُ  
سَقَى اللَّهُ جِيرَانًا لَهُمْ صِيبُ الْحَيَا وَلَا زَالَتِ الْأَنْوَا بِهِ تَتَّوَعُّعُ

توفي سنة (966هـ/1558م) بمدينة فاس المحروسة<sup>3</sup>. وقد انتفع به المنجور، والقصار أيما انتفاع، وذكر المنجور في فهرسه ما أخذه عنه فقال: "أجزت له - حفظ الله ذاته العلية، وأحواله المرعية، وخصاله الحميدة، المرضية - جميع ما أخذته عن الشيخ الفقيه النحوي البياني، الأصولي، الكلامي، المفسر، الأديب، أبي عبد الله محمد بن خروف التونسي"<sup>4</sup>. وبضيف المنجور قائلاً: "لازمته قريباً من سنتين إثر قدومه وتجنبه أكثر الطلبة لوقفة كانت في لسانه شبه العجمة [...] وقرأت عليه تلخيص المفتاح، ومختصر السعد

<sup>1</sup> - شجرة النور: ج1. ص407.

<sup>2</sup> - الاستقصا: ج2. ص178.

<sup>3</sup> - ابن القاضي: درة الحجال. ج2. ص209.

<sup>4</sup> - فهرس المنجور، أحمد المنجور: تح محمد حجي، ط1. دار المغرب للنشر الرباط. 1396 هـ / 1976م. ص15.

التفتازاني، وإيساغوجي، والرسالة الشمسية في المنطق للكاتب، وبعض جمل الخنجي، وجمع الجوامع للسبكي [...]]، وعلى يده فتح الله بصيرتي في تلك العلوم<sup>1</sup>.

لا ندري متى التقى الملياني بهذا الشيخ، وما هي العلوم التي أخذها عنه لسكوت المصادر عن تغطية هذا الجانب، ولذلك فإن الشك سيظل يراودنا حيال ما جاء به صاحب "الريح" من أخبار حول شيوخ أحمد بن يوسف الراشدي إذ لا يعقل أن يكون ابن خروف المذكور المتوفي سنة 966هـ شيخاً لأحمد بن يوسف المتوفى سنة 931هـ، فبين وفاة الأول والثاني 35 سنة وهذا دليل قطعي على أن صاحب "الريح" يورد أخباراً من مصادر شفوية في الغالب بعيدة عن منطق الصدق، ويعوزها التحري والتوثيق العلمي الذي يحيل إلى مصادر استقاء المعلومات على غرار ما نجده في مصادرنا التراثية التي ظهرت في قرون سابقة بعيدة عن عصر صاحب "الريح" المولود سنة 1833م، وتوفي سنة 1913م، وقد ألف كتابه في حدود سنة 1880م. فكيف فانت هذه الأمور الشيخ "علي بن أحمد بن الحاج موسى" وقد تولى القضاء في الخامسة والعشرين من عمره في مليانة ثم في تنس وتلمسان؟.

## 7.6.2 الشيخ الشامي

ومنهم الشامي: ذكر صاحب الضوء اللامع فقال هو: "عمر بن داود أحمد الشامي ممن سمع مني بمكة"<sup>2</sup>، ولم يصف أكثر مما ذكرنا عن هذه الشخصية، ونفهم من هذا أن أحمد الشامي هذا تلميذ لصاحب الضوء اللامع (السخاوي) في مكة ولا نستبعد مشيخته للملياني فيما بعد وهو الذي قصده صاحب الريح لما قال من شيوخ سيدي أحمد بن يوسف الإمام الشامي ولم يصف إلى هذا شيئاً عن هذا الشيخ أيضاً. ولعل الملياني قد التقى به في الحرم المكي باعتباره محج العلماء ومقصد الصلحاء، تُقضى فيه الحاجات وتُنال به الغايات والمقاصد، ولم أقف على تاريخ وفاته.

<sup>1</sup> -المصدر السابق. ص 70.

<sup>2</sup> - الضوء اللامع ، السخاوي: ج2/ص85.

## 8.6.2 أبو موسى المصري (ت 947هـ):

ومنهم : أبو موسى المصري : "إمام فاضل فقيه من أعيان المالكية بمصر في وقته أخذ عن الشيخ سليمان البحيري<sup>1</sup>، والشمس اللقاني، وألف حاشية على مختصر خليل، اعتمد فيها على شرح المدونة للعوفي، وكان خطه جيدا. توفي يوم عرفة سنة سبع وأربعين وتسعمائة"<sup>2</sup>. والملاحظ أن تاريخ وفاة هذا الشيخ كانت بعد 16 سنة من وفاة أحمد بن يوسف الملياني (ت 931هـ)، فكيف يمكن قبول مشيخة أبي موسى هذا للملياني مع هذا الفارق الزمني في تاريخ الوفاة؟.

وبعد هذه الجولة في التعريف بهؤلاء الشيوخ يجدر بنا أن نلاحظ أن هؤلاء ممن وقع عليهم الذكر في "الريح" منفردا - عدا الشيخ زروق - ضمن جملة من يفترض أن الملياني أخذ عنهم وهم جميعا من أهل العرفان والولاية وكبير الشأن ، ولا ندري إن كان حقا قد أخذ عنهم جميعا بالمجالسة، والدراسة، والمصاحبة كما كان ذلك مع شيوخه أحمد زروق والزيتوني والسنوسي، أم أن البعض منهم لقيهم - كما قلنا - في رحلاته وحجاته على سبيل التبرك بهم والاستفادة منهم، والتعرض لنفحات الله من قبلهم، لأن المصادر التي بين أيدينا لا تغطي هذا الجانب ولا تحيط به عناية أو اهتماما.

وعليه فقراءة مؤلفات هؤلاء الشيوخ، ورواية كتبهم، وحفظ متونهم، واتباع طريق الإرادة عنهم، واقتفاء مذاهبهم، وتبني أفكارهم وآرائهم، كل ذلك يعتبر بمثابة مجالسة ودراسة وتلمذ عليهم. وهذا ما أشار إليه صاحب "الريح" من "أن المشيخة قد تحصل بأدنى جزء ولو بالسماع، والرواية، والعرض"<sup>3</sup>. وقد تحصل المشيخة عن طريق الإجازة لرواية كتب هؤلاء، ومن ثمة يحصل الاقتداء والتبرك.

<sup>1</sup> - هو سليمان بن شعيب بن خضر البحيري القاهري الفقيه العلامة المتفطن الفهامة أخذ عن النور السنهوري، لازمه وانتفع به وأخذ أيضا عن العلمي والسراج. له شرح للمع وحاشية الجلاب . مولده سنة 866هـ. لم أف على وفاته. ينظر شجرة النور: ج1، ص 391.

<sup>2</sup> - كفاية المحتاج : ص 207.

<sup>3</sup> - الريح : ص 176.



## 7.2 منهجه الصوفي

لما لاحظ الشيخ زروق علامات الولاية الباهرة جلية في تلميذه أحمد بن يوسف الراشدي في بجاية نصحه بضرورة العودة إلى مسقط رأسه لينتفع به الناس، وقد نقل الصباغ في "البستان" على لسان هذا الولي ما قاله له شيخه زروق قائلاً: قال لي شيخي "يا أحمد أصبت ووفقت قد أعطاك الله فهما وعلمنا لم يعطه لأحد من تلامذتي، ودعا لي بخير وقال اذهب ينتفع بك الناس"<sup>1</sup>. وكان هذا النصح بمثابة الإجازة من الأستاذ لمريده، والترخيص له بنشر الدعوة وهداية الناس، وتعليمهم، والأخذ بيدهم لفهم مقاصد الدين. وقد أخذ الشيخ أحمد ابن يوسف توجيهه شيخه الزروق مأخذ الجد فاتجه صوب بلدة رأس الماء وأنشأ زاويته المشهورة بها. ولم يمض زمن يسير حتى عرفت شهرة واسعة شرقاً وغرباً، وصارت مقصد الطوائف والمريدين والطلبة المتعطشين إلى المعرفة الروحية. وغني عن البيان أن "ذيوخ شهرة أحمد بن يوسف وانتشارها شرقاً وغرباً، إنما يؤول إلى صورته "كعارف" وكصاحب مذهب صوفي له نظرتة الخاصة إلى السبل الروحية القمينة بتحقيق الوصول إلى الله عن طريق المعرفة به، وله فهمه الخاص كذلك لأهم مشكلات المعرفة الصوفية والمتصلة بالله والوجود والإنسان"<sup>2</sup>. هذه الرؤية التأملية الفلسفية المستمدة من التراث الصوفي الذي عرف منه الشيخ أحمد بن يوسف، تتصل حلقاتها بالسلسلة الشاذلية الزروقية، التي كانت منتشرة في سائر بلاد المغرب.

وإذا كان الصباغ قد أحجم عن التصريح بطريقة شيخه الصوفية فإنه من جهة أخرى يكون قد ألمح إلى هذه الطريقة من خلال ذكره سلسلة السند الذي يصلها بحبل الطرق الصوفية السابقة لها. وأن كثيراً من الدارسين للتصوف الإسلامي بالمغرب يشيرون إلى الطريقة الصوفية التي أنشأها الشيخ أحمد بن يوسف على عهده، بل إن عدداً من المصادر

<sup>1</sup> - البستان : ص (32و).

<sup>2</sup> - عبد الله نجمي : التصوف والبدعة بالمغرب. ص 113.

المغربية تنعت أحمد بن يوسف "بشيخ الطوائف المغربية، ذلك لأن طريقته تعد الوساطة التي أوصلت حبل الزروقية بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف وزوايا بالمغرب في هذا العصر"<sup>1</sup>. ومما لاشك فيه أنه اشتغل بالتعليم والإفتاء كباقي ما تميزت به وظائف علماء وفقهاء ومتصوفة تلك العصور، خصوصا وأنه عمل أثناء إقامته بالمغرب على "نشر تعاليم شيخه الزروق بين العامة في تافيلالت وواد درعة بالمغرب"<sup>2</sup>.

وإذا كان الشيخ أحمد بن يوسف قد أبقى ارتباطه الروحي بشيخه زروق في بداية عهده وعمل على نشر مبادئ الطريقة الزروقية في المغربين الأوسط والأقصى، فإنه بمرور الوقت بدأت نفسه تحدثه بالاستقلال النسبي عن شيخه، وأن الدارس لتراثه الصوفي سوف يلاحظ "نزوع مناقب أحمد بن يوسف إلى جحود منة شيخه زروق عليه فيما حصل له من مواهب وحصل عليه من معارف"<sup>3</sup>. وتكاد المناقب التي أكبَّ الصباغ على جمعها تخلو من أي إشارة إلى الشيخ زروق وفضله على تلميذه الشيخ أحمد بن يوسف إلا ما كان من ذكر له حينما كان طالبا عنده في بجاية. وقد بلغ هذا الجحود والإنكار مداه حينما أسس الراشدي طريقته الراشدية الخاصة به يتصل من خلالها بالناس ويبث عبرها أفكاره وتعاليم طريقته الصوفية الناشئة.

وحتى يحافظ على ماء الوجه بينه وبين شيخه الزروق من وصال وامتنان خفف الوطء من شدة التكرر الكلي إلى الجزئي من "الاستقلال عن الطريقة الزروقية من حيث النحلة، إلى الارتباط بها من حيث السند، ولو كانت الطريقة الأم التي تعد الراشدية إحدى فروعها ويعتبر مؤسس -هذه الأخيرة- من زمرة أتباعها ومريديها وذلك لأن أحمد بن يوسف قد أصبح بدوره زعيم مذهب صوفي جديد، وشيخ طريقة صوفية جديدة. وإن أمكنه أن يخالف شيخه في نحلته فإنه لا غنى له عن سنده، والذي يؤيده ويوجد له علاقة بسلف

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 113.

<sup>2</sup> - محمد طيب: الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء، دار الثقافة للنشر والتوزيع. الدار البيضاء. المغرب. 2005م. ص 109.

<sup>3</sup> - عبد الله نجمي: المرجع السابق. ص 113.

التصوف الأسبقين من المشاركة والمغاربة، فالسند بمثابة شهادة الميلاد للطريقة<sup>1</sup>. فما هو السند الذي يصل حبل الطريقة الراشدية الناشئة؟ وما موقعها في خارطة الطرق الصوفية خلال ذلك العهد؟.

## 8.2 سلسلة سند طريقته الصوفية

لم يذكر الصباغ في البستان بلفظ صريح اسم الطريقة التي أنشأها شيخه الراشدي، ولكن كل ما نسب إليه في مضمار السند هو قوله "طريقتنا هذه من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>2</sup> دون التصريح بها. "وإذا كانت الطرق الصوفية - غالبا - ما تحمل أسماء مؤسسيها ومنشئها، فإن المتأخرين هم الذين ابتدعوا لطريقة الشيخ أحمد ابن يوسف التسميات التي اشتهرت بها، وهي "اليوسفية" و"الراشدية" و"الزروقية - الراشدية" نسبة إلى إقليم نسبه وداره[...] وهي تسميات متأخرة نشأت عن الحاجة إلى التصنيف ولا تعبر بحال عن الواقع التاريخي لهذه الطريقة على عهد مؤسسها ومنشئها"<sup>3</sup>الأول.

وإذا كان المتأخرون من منتسبي أحمد بن يوسف هم الذين وضعوا التسميات لطريقة شيخهم، فإن ذات الطريقة تعد فرعا "من الزروقية، ونسبتها إلى الشاذلية في نصوص البستان صريحة، ويمكن اتخاذ هذه النصوص حجة تؤيد هذا الاتفاق وتعضده، ولكنها في نفس الوقت تجعل للشيخ زروق سندا جديدا في الشاذلية، وتقول بأن واسطته فيه أستاذه محمد السخاوي عن أبي زيد القبابي، عن علي بن عبد الكافي، عن ابن عطاء الله أخص تلاميذ الشيخ أبي العباس المرسي مرید الإمام أبي الحسن الشاذلي"<sup>4</sup>، وقد أكد الصباغ هذه السلسلة من خلال ما جاء في مرثية عبد الحق المطهري التي يقول فيها:

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 114.

<sup>2</sup> - الصباغ : البستان. ص (72 و).

<sup>3</sup> - عبد الله نجمي. ص 120-121.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ص 114-115.

نسبته لإمام القوم سيدهم	الشاذلي <sup>1</sup> سليل خيرة الرسل
رواه عن شيخه الزروق <sup>2</sup> أحمدهم	عن السخاوي <sup>3</sup> شمس الدين والوجل
فعن أبي زيد القباب <sup>4</sup> وهو عن	علي بن عبد الكافي <sup>5</sup> ذي العمل
وهو عن ابن عطاء الله <sup>6</sup> سيدنا	وبالمرسي أبي العباس <sup>7</sup> يتصل

<sup>1</sup> - هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي (أبو الحسن) إمام الطريقة الشاذلية ولد بقرية غمارة القريبة من سبتة في بلاد المغرب سنة 593هـ / 1259م، وتوفي سنة 656هـ / 1322م. يتصل نسبه بالمولى إدريس . حفظ القرآن فيها ثم ارتحل إلى المشرق لطلب العلم وإشباع نهمه المعرفي. عاش معظم حياته في تونس حيث تتلمذ على شيخه عبد السلام بن مشيش الذي أخذ بيده وصاحبه واصطفاه، وتحققت ضالته المنشودة وهي عثوره على الرجل الذي سيحمل سره ويتقلد إرثه من بعده، وكان يقول ليس الشيخ من يدلك على تعبك إنما الشيخ من ذلك على راحتك. أنشأ بعد وفاة شيخه مدرسة صوفية متميزة بطريقتها البسيطة القريبة من تعاليم الكتاب والسنة. وتعتبر من أكثر الطرق الصوفية انتشارا في العالم الإسلامي. ينظر: بحار الولاية في مناقب أعلام الصوفية. جودة محمد أبو اليزيد المهدي. ص 474 وما بعدها. اقتفاء الأثر: هامش ص 146.

<sup>2</sup> - ترجمنا له ضمن شيوخ أحمد بن يوسف. ينظر ص 74 من هذا البحث.

<sup>3</sup> - هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، مؤرخ حجة وعالم بالحديث والتفسير والأدب، أصله من سخا من قرى مصر، ولد في القاهرة عام 821هـ / 1427م. صنف زهاء مائتي كتاب أشهرها : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع في 12 جزءا. عبد الله نجمي، هامش ص 115.

<sup>4</sup> - هو أبو زيد عبد الرحمان بن عمر يعرف بالقبابي "بكسر القاف" فقيه ومحدث ولد بببيت المقدس سنة 749هـ / 1348م، وتوفي سنة 838هـ / 1434م أجاز له مجموعة من العلماء منهم النقي السبكي الذي أجاز له رواية كتب ابن عطاء الله، وقد أخذ عنه السخاوي هذه الإجازة دون سماع، ولاعرض، ففي ترجمة السخاوي للقبابي ذكر: منورا حافظا على التلاوة والعبادة حريصا على ملازمة وظائفه في بيت المقدس . ينظر: عبد الله نجمي ص 115. السخاوي :الضوء اللامع ج 4. ص 114.

<sup>5</sup> - هو أبو الحسن علي بن عبد الكافي يعرف بتقي الدين السبكي ولد سنة 683هـ / 1284م و توفي 756هـ / 1355م. شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين. عبد الله نجمي: هامش ص 115 .

<sup>6</sup> - ابن عطاء الله الإسكندري تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم الجذامي الإمام المتكلم على طريقة الشاذلي كان جامعا لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه على مذهب مالك وصحب في التصوف أبا العباس المرسي، وكان أعجوبة زمانه فيه، أخذ عن النقي السبكي وألف التتوير في إسقاط التدبير، ولطائف المنن في مناقب شيخه المرسي والشيخ أبي الحسن. والمرقى إلى القدس الأبقى، ومختصر تهذيب البرادعي في الفقه، ويعتبر كتاب "الحكم" من أكثر كتب التصوف تداولاً واستعمالاً وهو يتضمن آداب هذه الطريقة نظريا، ومختلف الأساليب التي تدعو إلى العمل به. مات بالمدرسة المنصورية في القاهرة سنة 709هـ / 1309م. ودفن بالقرافة. ينظر: كفاية المحتاج، ج 1، ص 81/. اقتفاء الأثر: هامش ص 145.

<sup>7</sup> - أبو العباس المرسي احمد بن عمر الاندلسي الأنصاري الإمام العارف القطب خليفة أبي الحسن الشاذلي له مجلس عظيم في دقائق المعارف والرفائق وكان يقول هذا الأمر لا يكون إلا لوحد ولا يكون إثنان في وقت ومن عجائبه أنه ما تسبب في الدنيا بشيء حتى توفي فسئل عن ذلك فقال : نسينا الإيمان والتقوى وتلا : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا... ﴾ الآية 96 الأعراف . له كرامات عدة وكان يقول: والله ما ننظر لكتب القوم إلا لنرى فضله تعالى علينا. ومعتمده في الفقه التهذيب. وفي العقيدة الإرشاد، وفي الحديث المصابيح، وفي التفسير ابن عطية، والمهدوي، وفي التصوف الإحياء والقوت، ونوادر الحكيم الترمذي. توفي عام 685هـ. أخذ عن ابن عطاء الله، ونقل عنه فوائد في لطائف المنن، ومن كلامه :جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الرحمة، ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة. الشعراني: الطبقات الكبرى. ص 308/. كفاية المحتاج، ج 1. ص 80.

عن شيخه الشاذلي القطب سيدهم أبي الحسن علي أفضل بدل  
 وإذا كان الصباغ قد قصر اتصال شيخه بالشاذلية بسند واحد عن طريق الشيخ زروق  
 فإن المصادر التي ترجمت للطريقة الزروقية تجعل من الشيخ زروق صاحب أسانيد متشعبة  
 متصلة بعدة طرق أخرى في الاتصال بالشاذلية عن طريق سند السخاوي من جهة، وعن  
 طريق سند أحمد بن عقبة الحضرمي من جهة أخرى، وهو السند الذي لم يذكره الصباغ رغم  
 أن الحضرمي يُعدُّ شيخاً لأحمد بن يوسف الراشدي كما يذكر ذلك صاحب "الريح"، وقد  
 ترجمنا للحضرمي، وعددناه ضمن طائفة الشيوخ الذين تتلمذ عليهم الشيخ أحمد بن يوسف  
 انطلاقاً مما ورد في "الريح" كمصدر موثوق، استدرك على الصباغ ما فاتته من أخبار عن  
 شيخه الراشدي .

وعليه يمكننا رسم معالم خريطة اتصال سند أحمد بن يوسف بالشاذلية بواسطة الشيخ  
 زروق عبر مسارين متوازيين يلتقيان عند الإمام القطب ابن عطاء الله الإسكندري وذلك من  
 خلال الجدول التالي :



<sup>1</sup> - داود الباخلي شرف الدين أبو سليمان بن عمر، تلميذ القطب الكبير الإمام أحمد ابن عطاء الله الإسكندري، وهو شيخ سيدي محمد وفا الشاذلي، كان رضي الله عنه من أئمة الفقهاء المالكية وله دروس مشهورة في الفقه والتصوف وكانت له حلقة كبيرة بمسجد العطارين، له مؤلفات منها: شرح حزب البحر، وكتاب اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية، توفي رحمه الله سنة 733 هـ/1335 م. ينظر -اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر- ص 145. وقد أورد له الشعراني في طبقاته ترجمة موسعة في ص 271 وما بعدها.

<sup>2</sup> - أبو عبد الله محمد بن محمد بن وفا أبو الفضل الإسكندري المولد والنشأة، ويقال المغربي الأصل ثم المصري الشاذلي، شيخ الصوفية الإمام العارف صاحب التوشيدات التوحيدية التي لم ينسج على منوالها أحد من البرية، الشائع الذكر الجليل القدر، وهو من بيت الوفايين الشهير أخذ عن الشيخ "داود ماخلا" وغيره وأخذ عنه من لا يعد كثرة، ويعتبر مؤسس طريقة الوفايين الشاذلية، توفي سنة 765 هـ/1364 م، وقيل ولد سنة 702 هـ وتوفي سنة 760 هـ/1358 م. ترجم له ابن مخلوف في الشجرة ج. 1 ص 321، واقتفاء الأثر هامش ص 145. الشعراني، الطبقات الكبرى. ص 319.

<sup>3</sup> - علي بن محمد بن محمد بن وفا الشاذلي، الخطيب أبو الحسن علي ابن العارف بالله محمد وفا القرشي الشاذلي الشائع الذكر البعيد الصيت الجليل القدر الشيخ الكامل القطب الواصل، تركه والده صغيرا، وقال الشعراني عنه في طبقاته: كان في غاية من الظرف والجمال وله نظم شائع وموشحات ظريفة ومؤلفات شريفة، وله كلام عال في الأدب ووصية نفيسة في مجلدات من تأليفه: كتاب الباعث على الخلاص في أحوال الخواص، والكوثر المنزع في أحوال الأبحر الأربع، وديوان شعر، وتفسير، ومن كلامه قصيدة تزيد على الألفين ( وفي كفاية المحتاج ج. 1 ص 353، تزيد عن الأربعين بيتا ) قالها ارتجالا، منها: ( في البيت الأول "في المجال" وردت "في المحال"، في البيت الثاني "في التجالد" وردت "في التجادل"، كفاية المحتاج ص 353).

دع الحساد هلكى في المجال فقد وجبت لك الرتب العوالي

إلى أن قال :

توجه للحبيب بدون التفات وخل الغير في شغل الخيال

مولده سنة 761 هـ. وتوفي سنة 807 هـ/1404 م. ينظر شجرة النور ج. 1 ص 345. وقال السخاوي ولد سنة 759 هـ بالقاهرة، الضوء اللامع ج. 6 ص 21، ترجم له أيضا في اقتفاء الأثر هامش ص 145. وكذا في: البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي، أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني: تح أحمد محمد مرسي النقشبندي. ط 1. مطبعة السعادة، القاهرة 1969. ص 20. وفي طبقات الشعراني ترجمة مطولة له وذكر أنه توفي عام أحد وثمانمائة (801 هـ). ص 321.

وقد خص الصباغ فصلا كاملا في "البستان" بيّن فيه اتصال طريق شيخه بالشاذلية وفي ذلك يقول: "ومما كتبه سيدي عبد الحق منثورا في اتصال طريق الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف رحمه الله بطريق سيدي أبي الحسن الشاذلي نفعنا الله بهما ونصه. الحمد لله: يقول كاتب هذه الأحرف عبد الحق بن علي المطهري<sup>1</sup> أصلح الله حاله فقد ذكرت في قصيدي سند طريقة السيد الكامل العارف الرياني المكاشف المحقق المربي أبي العباس سيدي أحمد ابن يوسف الراشدي إلى أن وصلت بها أبي الحسن الشاذلي بوجه صحيح لا شك فيه نقلته من خط سيدي طاهر بن زيان الوارسي<sup>2</sup> بحضرة ابن سيدي أحمد زروق<sup>3</sup> رحمه الله وصححت ذلك من شرح سيدي أحمد زروق العاشر من شرحه على حكم ابن عطاء الله فطلب مني ابن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف وهو سيدي محمد الملقب "بالصغير"<sup>4</sup> أن أذكر هنا اتصالها برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسعفته معتمدا على نقل سيدي "طاهر" المذكور، وصححت ذلك من مختصر الإمام الساحلي في السلوك، فأقول: قال سيدي طاهر المذكور: أخذ أبو الحسن الشاذلي عن شيخه أبي عبد الله محمد بن علي بن حرزهم<sup>5</sup>، وهو عن عمه محمد صالح<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - ترجمنا له في المبحث الذي عقدناه لتلاميذ أحمد بن يوسف الراشدي، راجعه هناك ص 102.

<sup>2</sup> - طاهر بن زيان الوارسي القسنطيني الزواوي أحد تلامذة الشيخ زروق "كان مرافقا له يوم كان في بلدة "تموقرة" بضواحي بجاية وعندما انتقل إلى منطقة "برواقية" أنشأ زاوية أخرى هي زاوية "أولاد طريف" بضواحي المدينة (وينقل خشم عن المؤلفين DEPONT et COPPOLANI أن عدد إخوان هذه الزاوية في نهاية القرن التاسع عشر كان 112 في مجموعته). وكان طاهر بن زيان على صلة بهذه الزاوية، ألف في التصوف - نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد - في ثلاثة كراريس، ورسالة القصد إلى الله في كراسين، توفي سنة 940هـ/1533م، ممن ترجم له: علي فهمي خشم، أحمد زروق والزروقية. ص 187، وأحمد بابا التنبكتي في "كفاية المحتاج ج 1. ص 230. / شجرة النور الزكية ج 1. ص 401".

<sup>3</sup> - وهو أحمد الأكبر ويدعى أحمد الفقيه، وهو الابن الأكبر من زوجته الأولى فاطمة الفاسية، وله أخ يدعى أحمد الأصغر، لما توفي أبوهما سنة 899 هـ / 1493م غادرا مصراته واستقر بهما الأمر في قسنطينة، ويكون أحمد الفقيه قد ورث شيئا من علم أبيه وفقهه، وشهرته الصوفية، ولعل له صلة بزاوية أولاد "طريق" بالبرواقية التي نسبت لزروق ويكون هذا الآن قد ورث عن أبيه أيضا شيئا من النفوذ على أتباعه بالجزائر". ينظر تفصيل ذلك عند "علي فهمي خشم . ص 65-66.

<sup>4</sup> - سبقت الإشارة إليه في المبحث الخاص بأولاد الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي.

<sup>5</sup> - الشيخ محمد بن علي بن حرزهم من كبار مشايخ الصوفية في وقته أخذ عنه أبو الحسن الشاذلي طريق اللباس والتبرك، وقد أخذ هو بدوره عن عمه محمد صالح الذي كان تلميذا للشيخ أبي مدين شعيب، ينظر: "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر". ص 162.

<sup>6</sup> - أبو محمد صالح بن حرزهم وهو عمّ علي بن اسماعيل بن حرزهم، من أهل فاس، كان رجلا زاهدا ورعا متجردا رحل إلى المشرق وانقطع بالشام، وبالمشرق لقي شيخه "وجيه الدين"، فأخذ عنه وسلك على يده، ولما زار بيت المقدس عدل إلى قرية على قرب من =

وهو عن الشيخ أبي مدين<sup>1</sup> واسمه شعيب، وهو عن الشيخ أبي يعزأ<sup>2</sup>، وهو عن أبي الحسن علي بن حرازم<sup>3</sup>، وهو عن ابن العربي<sup>4</sup>، وهو عن أبي حامد الغزالي، وهو عن أبي المعالي<sup>5</sup>، وهو عن أبي طالب المكي<sup>1</sup>، وهو عن الجنيد، وهو عن السري السقطي، وهو عن

= بيت المقدس فالترجم الإمامة بأهلها وبها لقي أبا حامد الغزالي، وبعد ذلك عاد أبو محمد صالح إلى فاس فنشر بها طريقه وهدى الله به خلقا كثيرا. توفي رحمه الله أواسط القرن السادس الهجري. الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، ابن عيشون. تح. زهراء النظام، ط1. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء، المغرب. 1997. ص 57. وترجم له أيضا في التشوف للتادلي، ص 77. جذوة الاقتباس ص 358.

<sup>1</sup> - أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي قطب الأقطاب وشيخ الشيوخ العارف الشهير والغوث الكبير، تتلمذ على الإمام أبي الحسن بن حرازم ثم أخذ الطريق عن أبي يعزأ المغربي واستكمل لقاءه مع الغوث سيدي عبد القادر الجيلاني ولبس منه الخرقة وتقلد النسبة القادرية. ينظر بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية، جودة محمد أبو اليزيد المهدي، ط1. دار غريب للطباعة، القاهرة، 1998، ص 427. وذكر أحمد بابا التنبكتي تاريخ الوفاة سنة 594هـ/1165م. ولم يذكر تاريخ الميلاد، ترجم له في ج1. ص 219. ترجم له أيضا ابن عيشون في الروض العطر الأنفاس، ص 65. وترجم له الكثير من المؤلفين ممن لهم العناية بكتب الفهارس.

<sup>2</sup> - أبو يعزأ يلنور: قال أبو الصبر: لقيت الشيخ الزاهد الفاضل الرفيع آية وقته أبا يعزأ يلنور وكان أعجوبة في الزمان وعدة للإيمان، بلغ من مقامات اليقين مبلغا لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين، اشتهر عنه من الكرامات ما وقع موقع العيان، وشهد بشهرتها الكافة والأعيان، ينحدر من ناحية هزميرة إيروجان بالمغرب، وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين سنة حين مات، ودفن بجبل إيروجان أول شوال عام 572هـ. التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات يوسف بن يحيى التادلي. تح. على عمر. ط1. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2006. ص 173.

<sup>3</sup> - أبو الحسن علي بن حرازم: أصله جزهم بكسر الحاء وسكون الراء وبعدها زاي مكسورة حرّف اسمه إلى حرازم. عالم كبير وصوفي شهير ولد ونشأ في فاس، وتلمذ على القاضي أبي بكر بن العربي والشيخ أبي يعزأ، توفي سنة 559هـ/1164م (وقيل سنة 555هـ، مرآة المحاسن. ص 392). ترجم له محمد حجي "الزاوية الدلائلية". ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1998. ص 229، له ترجمة في المرأة. ص 392.

<sup>4</sup> - ابن عربي محي الدين رضي الله عنه هكذا يسمى في بلاد المشرق بالتنكير، ويعرف بابن العربي بالتعريف في بلاد المغرب ولد سنة 560هـ في مدينة مرسية ببلاد الأندلس من أسرة بلغت من الفضل والجود والعلم والتصوف منزلة سامقة، وكان ابن عربي معدودا من الحفاظ، ولما حج إلى بيت الحرام ألف ديوانه الشعري (ترجمان الأشواق)، كما كان له الفضل في تأليف أعظم موسوعة صوفية في الإسلام وهي (الفتوحات المكية). وقد بلغت مصنفاته زهاء خمسمائة كتاب، وقد نوقشت آراؤه الفلسفية شرقا وغربا، ودرست مؤلفاته الكثيرة، وتوفي سنة 638 هـ. ينظر: اقتفاء الأثر. ص 191.

<sup>5</sup> - أبو المعالي إمام الحرمين: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله ضياء الدين أبو المعالي الجويني الشافعي الشهير بإمام الحرمين، عالم فارسي الأصل، سُني، أشعري، من أعلم متأخري الشافعية، كان خيرا دينا، فاضلا، ورعا، زاهدا، متقشفا، ولد سنة 419هـ، قدم بغداد ثم سافر وجاور بمكة والمدينة وأفتى ودرس فيها، ثم رجع إلى نيسابور مدرسا وواعظا إلى أن توفي بها سنة 478هـ/1085م، اعتنى بدراسة أصول الدين والعقائد، له مؤلفات كثيرة درست في المغرب من بينها: تفسير القرآن، كتاب الإرشاد في العقائد والورقات في أصول الفقه، نهاية المطلب في دراية المذهب، مُغيث الخلق في إختيار الأحق، ينظر: هدية العارفين ج1. ص 626. والجذوة، ص 464. وترجم له أيضا اقتفاء الأثر، هامش ص 195.



معروف الكرخي<sup>2</sup> وهو عن داوود الطائي<sup>3</sup> وهو عن حبيب العجمي<sup>4</sup> وهو عن الحسن البصري<sup>5</sup> وهو عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عن رسول الله ﷺ وأضاف الصباغ قائلاً: وقد أخبرني من أثق به أن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف حدثه مشافهة وقال طريقتنا هذه من واحد إلى واحد إلى رسول الله ﷺ، وهذا القول قاله أبو العباس المرسي "طريقتنا إنما هي قطب عن قطب إلى النبي ﷺ"<sup>6</sup>. "وقال ابن عطاء الله: قال أبو العباس المرسي والله ما كان اثنان من هذا العلم في زمن واحد قط إلا واحداً عن واحد إلى الحسن". "وقال سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله فمن كذب بهذه الطريقة فعليه لعنة الله". وأضاف الصباغ: وطريقة سيدنا الشيخ أحمد بن يوسف رحمه الله، عن شيخه الزروق، عن السخاوي، عن أبي زيد القباب، عن علي بن عبد الكافي، عن السيد ابن عطاء الله، عن أبي

<sup>1</sup>- أبو طالب المكي: هو أبو طالب بن علي بن عطية الحارثي، الواعظ المكي، صاحب "قوت القلوب" كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة، وله مصنفات في التوحيد، ولم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل، فسكن مكة ونسب إليها. لقي جماعة من مشايخ =الحديث وعلم الطريقة وأخذ عنهم ودخل بغداد فوعظ الناس، وقد توفي في جمادى الآخرة سنة 386هـ. جامع الأنوار في مناقب الأخيار، عيسى صفاء الدين القادري. دار العربية للموسوعات. ط1. بيروت. 2002م. ص 727.

<sup>2</sup>-معروف الكرخي: هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ من موالى الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، كان من الزهاد الصالحين، صحب أبا سليمان داود الطائي وأخذ عنه، وتلمذ عليه السري السقطي، من كلامه في التصوف، قال: التصوف الأخذ بالحقائق والكلام في الرقائق والأباس مما في أيدي الخلائق، توفي رحمه الله تعالى سنة 200هـ، وقيل 201هـ، في بغداد ومرقده هناك مشهور بـتبرك به ويزار" ينظر تفصيل ترجمته في جامع الأنوار في مناقب الأخيار. ص 257 وما بعدها، الرسالة الششيرية. ص 38. وترجمته منشورة في كثير من كتب التراجم والفهارس.

<sup>3</sup>- داود الطائي: هو أبو سليمان داود بن نُصَيْرٍ بالتصغير، من علماء الكوفة وزهادها، كان كبير الشأن في الزهد والورع، أخذ عن جماعة من التابعين منهم عبد الملك بن عمير، وسليمان الأعمش، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وكان في مبدأ أمره يلازم حلقة أبي حنيفة رضي الله عنه، وكان كثير الانشغال بالعلم، ثم انقطع وتخلّى، وتزهد، وأقبل على العبادة، توفي روح الله في بغداد سنة خمس وستين وقيل سنة ست وستين بعد المائة، ودفن في الجانب الغربي بين تربة الجنيد، ومعروف الكرخي: جامع الأنوار في مناقب الأخيار لعيسى صفاء الدين البندنجي القادري. تح أسامة ناصر النقشبندي، ومهدي عبد الحسين النجم. ط1. دار العربية للموسوعات. بيروت 2002م. ص 392.399.

<sup>4</sup>- حبيب العجمي: هو أحد المشايخ المتقدمين وأحد السادة المتصوفين، صاحب الكرامات والخوارق، ومعدن العبادات والحقائق، وإليه تنتمي أكثر الطرائق. ونُقل أن الحسن البصري طُلب من قبل الحجاج ففرّ من شرطته واختفى في بيت حبيب فدخلوه وسألوا الحبيب عنه فقال: هو في داخل البيت فدخلوا وفتشوا عنه فلم يروا له أثراً فاستيأسوا ورجعوا، فرجع الحسن إلى الحبيب فعاتبه على أن أخبرهم به، فقال أيها الأستاذ قد نجوتُ أنا وأنت بركة الصدق والإخلاص، وتوفي في حدود سنة 140هـ. جامع الأنوار في مناقب الأخيار. ص 252.255.

<sup>5</sup>- الحسن البصري ( ولد سنة 21هـ ، وتوفي سنة 110هـ).

<sup>6</sup>-اقتفاء الأثر، هامش ص147.

العباس المرسي، عن أبي الحسن الشاذلي، عن ابن حرزهم، عن أبي محمد صالح، عن أبي مدين، عن أبي يعزأ، عن ابن حرازم، عن ابن العربي، عن الغزالي، عن أبي المعالي، عن أبي طالب المكي، عن الجنيد، عن السري السقطي، عن معروف، عن داود الطائي، عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري، عن سيدي علي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكيف يكذب بها المنكر لها مع هذه النصوص المصّرحة باتصالها بسيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين، وقد نقلها الخلف عن السلف نقل تواترٍ يستحيل تواطؤهم عن الكذب. وقد نظمها بعضهم على إيقاع بحر الرجز فقال:

[الرجز].

فهاكها جواهر شوامخ  
ابن يوسف الراشدي الأسعد  
وابن زيد رابع يا راوي  
مدمر الشيطان ثم النفس  
الذاكر بالقلب والجوارح  
عن شيخه الغزالي اللبيب  
عن سيدي السقطي السعيد  
عرف بالطائي رأس السعداء  
على بن أبي طالب الإمام  
المقتفي لمن مضى بالحق  
أعني بذاك ابن عطاء الله  
عن شيخه محمد بن علي  
عن شيخه المعروف بابن حرزا  
أبي طالب العالم التقي  
بالكرخي أعني به معروف

يا سائلا طريقة المشايخ  
أولها أبو العباس أحمد  
عن شيخه المعروف بالسخاوي  
عن شيخه أبي العباس المرسي  
عن شيخه أبي محمد صالح  
قد اقتدوا بقدوة ابن العربي  
عن الشيخ المعروف بالجنيد  
وقد روى عن شيخه داوود  
عن شيخه فارس الإسلام  
عن شيخه الملقب بالزرزوق  
عن الإمام العالم الأواه  
عن شيخه أبي الحسن الشاذلي  
عن الإمام المكنى بويعزأ  
وقد روى عن شيخه المكي  
ألقبه بالشيخ الذي موصوف

عن الحسن البصري المعظم

عن شيخه الحبيب العجمي

محمد ذي الفخر والمقام

وقد روى عن سيدي الأنام

وآله وصحبه تكرما

صلى عليه ربنا وسلمما

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كل "ما نسب إلى أحمد بن يوسف في مضمار السند هو قوله: "طريقتنا هذه من واحد إلى واحد إلى رسول الله ﷺ، ومبنى هذه المقولة من أسلوب الصباغ لأنها ليست في الأصل نصا مكتوبا وإنما هي مستقاة عن طريق التحديث الشفوي"<sup>1</sup>. وهذا واضح أن الصباغ لم يحصل على نص مكتوب - من جملة النصوص التي حصل عليها والتي شكلت قسطا كبيرا من مادة مؤلفه- يعين بشكل صريح اسم الطريقة التي أنشأها شيخه على عهده، ولكن بغض النظر عن غياب اسم الطريقة بشكل رسمي فإن الطريقة نفسها كانت موجودة، وقد وقع تعيينها من لدن مُنشئها بصيغة ضمير الانتساب الجمعي "طريقتنا"، كما تم استعمال صيغة ضمير الجمع أيضا عند إبراز دور الزاوية الراشدية "زاويتنا كسفينة نوح من دخلها فهو آمن من الخوف". فتأسيس الزاوية غالبا ما يتبع بتأسيس طريقة صوفية تنسب عادة إلى شيخ الزاوية. وكان من الطبيعي أن يظل الشيخ أحمد بن يوسف منضويا تحت لواء طريقة شيخه الزروق، ومدافعا عن مبادئها وأصولها، لكن ذلك لم يحدث، لأن التقيد الصارم بأصول الطريقة الزروقية يحول دون جذب أعداد كبيرة من المريدين إلى الزاوية ومنها إلى الطريقة، ومن هنا لا بد من شد العصا من الوسط، أي اعتماد أصول الطريقة الزروقية التي هي أصلا مبادئ الشاذلية، ولكن ذلك لا يعني اتباع الطريقة حذو النعل للنعل كما يقال، إنما ينبغي النظر في أحوال المريدين وطبائعهم وميولاتهم ومحاولة فهم نفوسهم وأهوائهم، لصياغة منهج عملي يستجيب لأذواقهم وتطلعاتهم، وقد استحدث الشيخ أحمد بن يوسف فعلا أسلوبا عمليا في الاتصال بمريديه عن طريق حلقات الذكر التي قررها والتي كانت تعتمد على الجذب والأناشيد والموسيقى وقد أضاف

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي. ص 117.

البعض إليها طقوساً أخرى كالرقص والشطحات التي انتقدها عليها فقهاء عصره واتهموه بالمروق.

وحاصل ما يمكن الوقوف عليه بشأن المنهج الصوفي الذي أوجده أحمد بن يوسف أنه كان يسير في اتجاهين متوازيين "أحدهما للخاصة وأهل العلم، ويتبع فيه منهج زروق وطريقته، والآخر للعامة ينشر فيه مبادئه، وأفكاره، ويزاول وسيلة اتصاله السهلة بالجمهور"<sup>1</sup>. بمعنى أنه أنشأ طريقتين صوفيتين، سمي الأولى "اليوسفية الراشدية"، وسمي الثانية "الراشدية الزروقية"، وهما فرعان من الشاذلية التي يعتبر سيدي أحمد بن يوسف مقداً لها ويحتل في سلسلتها الرتبة 20 مكرر<sup>2</sup> بعد شيخه الزروق مباشرة.

وبفضل هذين المدرستين الصوفيتين ذاع صيت أحمد بن يوسف الراشدي، وتعلق به كثير من المحبين والمريدين في عمالة تازة بالمغرب الأقصى، وغيرها من البلدات والمدن، مثل دبدو، وبوراشد، وبني ورين، وأولاد الحاج، وبني بوياحي، المتاخمين لمرتفعات نهر ملوية غرب واد الشرف في المغرب، وهؤلاء ما يزالون يقومون بالركب السنوي لزيارة ضريح سيدي أحمد بن يوسف، والالتقاء بإخوانهم في النحلة من سكان بني فراح مسقط رأس حفدة الولي<sup>3</sup>. وفي هذه البلدة التابعة لتيابة حالياً وفي وسط هذه القبيلة يوجد ضريح الابن الأكبر لسيدي أحمد بن يوسف وهو سيدي محمد مرزوقة الذي سمي باسم أمه مرزوقة كما سبق ذكره، والاحتفالية الخاصة بتخليد ذكرى مؤسس الطريقة الراشدية لا تزال إلى يومنا هذا في يوم معلوم مشهود يحضره المتعاطفون والمحبون في الولي ويرجون دوماً بركته.

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع السابق، ص 121.

<sup>2</sup> - ينظر:

L.RINN Marabouts et Khouans Etude de l'islam .Algerie.pp172.173.

<sup>3</sup> - ينظر: L.Rinn. P 27

## الفصل الثالث:

نشاطه العلمي والدعوي وموقفه من قضايا عصره

المبحث الأول: تلامذة الملياني وفقراؤه

المبحث الثاني: المذابيح السبعة

المبحث الثالث: مكانته العلمية وثبوت ولايته

المبحث الرابع: مؤلفاته

المبحث الخامس: نشاطه الدعوي

المبحث السادس: محنته مع ملوك بني زيان

المبحث السابع: علاقته مع الأتراك العثمانيين

المبحث الثامن: وفاته

## 1.3 تلامذة الملياني وقرآؤه

لقد تصدر أحمد بن يوسف الملياني - بعد عودته من بجاية- للتدريس والعمل الدعوي في الزاوية التي أنشأها في رأس الماء، ولم يمض زمن يسير حتى عرفت الزاوية توافدا غير مسبوق لقوافل الطلبة والمريدين للقراءة، وطلب العلم. وكانت ألوان العلوم والمعارف التي تدرس فيها هي نفسها التي تلقاها الملياني عن شيوخه في الطريق كالتصوف الذي اشتهر به، والفقه والعقائد والتوحيد وغيرها. وقد عرف عنه أنه "كثير التلقين فقال له "أبو عبد الله الخروبي"<sup>1</sup>: "لقد أهدت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامّة حتى النساء" فقال له: "قد دعونا الخلق إلى الله فأبوا، ففنعنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم - وهو اللسان - بالذكر"، وقال الشيخ أبو عبد الله الخروبي: "فوجدته أوسع مني دائرة"<sup>2</sup>.

فقد ذكر الصباغ أنه: "اجتمع عنده جماعة من أكابر المشايخ والعلماء والصالحين من تلاميذه الأخيار السادات الأبرار على ما أذكركم بعد هذا إن شاء الله، وانتفعوا بكلامه وخدمتهم له، ومحبتهم فيه، نفعني الله ببركتهم وبركة شيخهم أمين يارب العالمين"<sup>3</sup>. وكان في حياته شديد الحرص على هداية الناس "ويحرضهم على ذكر الله، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، ولقد تاب على يده خلق كثير وهداهم الله بسببه وبارشاده لهم، ولقد صارت العوام العصاة تائبين معجبين بالذكر بعد أن كانوا لصوصا قطاعا للسبيل"<sup>4</sup>.

هذا وقد خص الصباغ في "البستان" فصلا كاملا ذكر فيه تلامذة شيخه الملياني وهم يتفاوتون قريبا وعلماء، منهم سبعة يعرفون "بالمذاييح السبعة"، وسوف أخص بالذكر طائفة

1- أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي: نزيل الجزائر كان من العارفين، وله قدم بارع في فنون التصوف والمعارف الروحانية، مع تفننه في علوم الفقه والحديث، وله تصانيف عجيبة مثل "كفاية المريد"، و"رسالة ذي الإفلاس إلى خواص أهل مدينة فاس"... وقد المغرب مرتين في سبيل السفارة بين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، فاخذ عنه كثير من أهل المغرب الأقصى، وأخذ هو عن الشيخ أبي العباس زروق، وتوفي في حدود سنة ثلاث وستين وتسعمائة بالجزائر. ترجم له "ابن عسكر في الدوحة". ص 114. / "مرآة المحاسن"، ص 415. / "جذوة الاقتباس"، ص 322. / و"تحفة أهل الصديقية". ص 67.

2- مرآة المحاسن، ص 439.

3- البستان مخطوط. ص (3و).

4- المصدر نفسه، ص (3و).

منهم متبعا في ذلك الترتيب الذي سار عليه الصباغ في مؤلفه مع التركيز على البارزين منهم لأن عددهم كبير لا يسع حجم البحث لذكرهم جميعا.

وأول من ذكره: "السيد الولي الصالح المكاشف بالأسرار، الناطق بالحقائق والأنوار:

### 1.1.3 أبو عبد الله سيدي محمد الشريف"

الذي ضريحه الآن في بلدة الجزائر نفعني الله به وأنا لني شيئا من أنواره، وجعل البركة في عقبننا وذريتنا إلى يوم الدين، بجاهه وجاه جده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اشتهر ذكره في أقطار الأرض كلها، وله كرامات عديدة يكل اللسان عن حصرها، وهو من أعاجيب الزمان وكان أكثر حاله السكر والغيبة<sup>1</sup>. وقال الحافظ أبوراس الناصر في كتابه "الحاوي": "كان الشيخ سيدي محمد الشريف الزهار دفين الجزائر أحد تلامذة القطب سيدي أحمد بن يوسف الراشدي بالقلعة قبل مجيء الإسكندر والأتراك إليها، يدخل المسجد حافيا ويقول أنا أنجسه قبل أن ينجسه الكفار فلم يكن إلا قليل حتى قدم عروج والإسكندر والأتراك فذهبوا لتلمسان فبقي فيها عروج ورجع الإسكندر للقلعة وحُصر بها ودخل النصارى للجامع الأعظم ونجسوه كما قال: "وأن محمد الشريف الزهار المار الذكر قال للمرابط "عبد الله الملقب أخلال: النصارى يأخذون تلمسان، فقال له كيف وأبو مدين فيها؟. فقال يطوف<sup>2</sup> على بطنه، ونحو هذا الكلام، فكان كما قال، أخذها الكفار وأسروا حرمها وأفسدوها"<sup>3</sup>. وقبره الآن بالجزائر بداخلها في موضع بأعلاها مما يلي قصبتها تريقا يستشفى به من الأمراض والأوجاع والأسقام، وكذا إذا استغاث المكروب والمغموم به عند قبره فرج الله به وكشف كربه وغمه، وقد جرى ذلك عيانا، أما أنا فجننته فدعوت الله عند قبره فكشف الله همي وأزال غمي نفعني الله به"<sup>4</sup>. وقد صار ضريحه أيضا مقصد النساء العاقرات يطلبن بركته ويتوسلن إليه

<sup>1</sup> - "البستان" ص (101 ظ) .

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ والأصح: "يطوفون".

<sup>3</sup> - أبو رأس الناصر، نقلا عن كتاب "طلع سعد السعود"، يحيى بوعزيز. ص 70.

<sup>4</sup> - البستان مخطوط. ص (15ظ)

من أجل الإنجاب"<sup>1</sup>. "وقد توفي سنة 948هـ. ودفن في ضريحه المبارك"<sup>2</sup>. وقد تنبأ بسقوط بجاية في يد الإسبان وقال: "التواتي هذا مايواتي يشير إلى بجاية أعادها الله للإسلام فلم يكن إلا قليل حتى أخذ الروم بجاية"<sup>3</sup>. ومناقبه كثيرة استوفى الصباغ ذكرها في البستان يمكن الرجوع إليها في مواضعها<sup>4</sup>

ومنهم خادمه الأمين "الشيخ الإمام سيدي محمد بن أحمد بن علي بن حاج الحرمين

### 2.1.3 عبد الرحمان الصباغ القلعي :

المدعو باسم أمه ابن معزا<sup>5</sup> - والد صاحب البستان - من العلماء العارفين والأئمة الزاهدين ومن ذوي الأحوال والأسرار والأجلة الأبرار، لازم شيخه طيلة حياته منقطعا له قلبا وقالبا وعاش مقربا عنده إلى أن نال الشهادة في المعركة التي كانت بين الأتراك والإسبان قرب قلعة بني راشد سنة 924هـ/1518م بقيادة الإسكندر<sup>6</sup> صديق الإخوة اسحاق وعروج وخيرالدين بربروس . وسوف أخصه بمزيد من الإحاطة في المبحث الخاص بنسب الصباغ ونشأته فيما يأتي إن شاء الله.

ومنهم :

### 3.1.3 عبد الحق المطهري :

السيد العالم الحافظ المتقن في جميع العلوم وقد رثى شيخه الملياني رثاء أجمل فيه جميع أوصافه الحسنة بقصيدة فريدة فيها 126 بيتا - من بحر البسيط- أشاد فيها بخصال

<sup>1</sup>-ينظر SIDI AHMED BENYOUSSEF .saint tutélaire de Miliana , André BLOCH. édition de la commune de Miliana page 79.

<sup>2</sup>- الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2. ص322.

<sup>3</sup>- البستان مخطوط. ص (102و).

<sup>4</sup>- ينظر هذه المناقب في البستان. ص154 وما بعدها. و"الريح". ص155.

<sup>5</sup>- لم يتفق النساخ على رسم واحد لهذا الشخص. فقد جاء مرة "ابن معزا" بألف ممدودة. ومرة بتاء مربوطة " ابن معزة".

<sup>6</sup>- ينظر البستان مخطوط. ص10. و"الريح". ص156.



شيخه ومبلغ علمه وحلمه، ومناقبه وكراماته وذكر فيها سنة وفاته وما أصاب أتباعه من فجع وحزن لفقده، كما ذكر فيها أيضا سلسلة طريقته وكان ذلك كله على هذا النحو: (البيسط)

الحمد لله حمد كاتب خجل	قد افجعتة كبار الهم عن عجل
حمدا يليق على الأحوال أجمعها	مباركا دائما في الصبح والأصل
ثم الصلاة على محمد وعلى	أصحابه مع سلام طيب حفل
عيناى جودا بدمع لا نفاذ له	لفقد شيخ إمام العلم والعمل
قطب الأئمة ملجأ الناس أجمعهم	في كل خطب وكل حادث جلل

إلى أن قال :

ثم الصلاة على المختار سيدنا	محمد خير خلق الله والرسول
وآله والصحابة الذين لهم	ذكر كبير بكل الدهر يتصل
ثم الرضا عن جميع التابعين لهم	وآخر النظم حمد الواحد الأزل

وأضاف الصباغ: تمت على يد مؤلفها عبد الحق بن علي المطهري أصلح الله حاله سابع عشر من رجب لسنة خمس وثلاثين وتسعمائة نقلتها من خط المؤلف رحمه الله وأعطاه فوق ما يتمناه وجزاه على مدحه وقوله في شيخه سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله ونفعه بقصده، وبلغه بنيته، وحشرنا وإياه في زمرة الشيخ، وأماتنا على محبته<sup>1</sup>. وهي قصيدة لامية الروي أشاد بها صاحب الريح "البراعة ألفاظها وعذوبة معانيها وقد حاز صاحبها أسبقية بها فرثى شيخه بعد موته بها، ولم يرثه أحد بأوصافه الحسنة كما رثاه هو بها<sup>2</sup>. ومنهم :

### 4.1.3 أبو الحسن سيدي علي بن عبد الله الفلالي:

وهو التلميذ "الذي ورث الشيخ روحيا ومثله في المغرب الأقصى حيث نال صيتا عظيما في الطبقات الشعبية، لكنه اتهم أخيرا بالزندقة واعتناق مذهب الإباضية فأزعجه

<sup>1</sup> - "البستان". ص 71.

<sup>2</sup> - الريح. ص 184

عمال السلطان عبد الله الغالب صاحب فاس (982هـ/1574م)، وهو الذي نظم الطريقة اليوسفية<sup>1</sup>، وقد نوه سيدي أحمد بن يوسف بالفلاحي المذكور وشهد له بالولاية، ونص كلامه: "أَفْشِيْشُ أَرْيُوْرَانُ يُوَا غَيْرُ اللَّهِ أَطَّاسٌ". وجل كلامه باللسان الزناتي، ومعناه بالعربية: رجل قليل أعطاه الله مقاما عظيما<sup>2</sup> وله مناقب كثيرة مذكورة في البستان.

منها ما حدث بها الصباغ وقال: "حدثني السيد المكنى أبو الطرق<sup>3</sup> وفي لغة زناتة أبو بَيْرِيْدَنْ المصراتي وذلك أنه قال: اجتزت أنا وسيدي علي الفلاحي بأعلى جنانهم بعدوة مصراتة فدخلت وأخذت منه رمانة في وقت الخريف فأتيته بها ليأكلها فأخذها في يده وقال لي: قالت هذه الرمانة أنا مشتركة. فألقاها من يده فقلت له صدقت يا سيدي لأن الجنان بيني وبين أعمامي مشترك<sup>4</sup>. ومن مناقبه أيضا ما ذكره الصباغ وقال: "حدثني من أثق به أن سيدي عليا المذكور كان جالسا مع بعض أصحابه في مصراته فعطشوا فقال لهم أعطوني إناء أسقيكم به فبحثوا في البيت فلم يجدوا إناء فقال لهم والله لو أعطيتموني الإناء لأسقيتكم من - بئر زمزم -"<sup>5</sup>.

ومن تلاميذه أيضا:

### 5.1.3 محمد الغنري العربي:

الولي الصالح العالم له مناقب كثيرة ذكرها الصباغ في البستان<sup>6</sup>، وله في الشعر ميل حيث مدح شيخه الملياني في قصيدة مخمسة رحمه الله ونفعه بذلك وأعطاه فوق ما يتمنى ونصها بعد البسملة المفصلة: (القصيدة من الطويل الثالث).

فيا سادتي اصغوا لما مني قد بدا ولو كنت موصوفا في كله بالردا

<sup>1</sup> - مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف . ص90

<sup>2</sup> - "البستان". ص(106ظ).

<sup>3</sup> - ذكر الصباغ أن المكنى محمد أبو الطرق من خدام الفلاحي المذكور ومريديه. البستان، ص 159.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه. ص 159.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه. ص 159. وكذا الريح. ص 156.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه. ص160.

فها أنا أهدي باشتياقي منشدا  
سلاما دائما مترددا  
سلام يؤمكم من قلبي عليكم  
على الشيخ أبي العباس شمس ضحاها  
إلى أن يقول :

مدحتك مدحا ليس فيه أفاخر  
رجاء من الله الكريم بناصر  
وكل الذي تأتيني به الأقدار  
مديحك لا تحصيه عني دفاتر

انتهت القصيدة فرحم الله ناظمها وبلغه بقصده ومدحه في شيخه أعلى المنازل وهو الفردوس الأعلى<sup>1</sup>. انتهى من الصباغ، وقد ذكر له مناقب كثيرة: "كان من الأولياء المقربين والأجلة الواصلين، وممن جمع بين علم الظاهر والباطن، وقال يوما لرجل: تعالى تسمع لحمي وكل عظم وشعر مني يذكر الله تعالى، ودخل خديم له يوما عليه بطعام فوجده في بيت مظلم من غير مصباح فقال ياسيدي كيف تجلس في الظلام؟ فرفع أصبعه ونفخ فيه فصار مصباحا فاستضاء البيت، ودعا يوما بالبركة على طعام قليل فأكل منه خلق كثير"<sup>2</sup>. ومنهم :

### 6.1.3 محمد بن عبد الجبار الفجيجي المسعودي التلمساني:

"شاعر متصوف صاحب عدة قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، أسس زاوية في حدوش بتسالة<sup>3</sup> وبنى بجانبها مسجدا ومعه عين ومحل للضيافة، حيث كان أتباعه يجدون السكن والطعام حتى أنه اشتهر في سائر المغرب الأقصى والأوسط، وكثر أتباعه"<sup>4</sup>، وقد زار صديقه الملياني أثناء محنته مع بني زيان. وقد توفي الفجيجي سنة 950هـ<sup>5</sup>. ومنهم أيضا:

<sup>1</sup>- البستان. ص 10.

<sup>2</sup>- الريح. ص 157.

<sup>3</sup>- مدينة قديمة بناها سكان البلد الأصليون في سهل فسيح، وهي على ستة فراسخ من وهران، وهي منطقة خصبة كانت تمد تلمسان قديما بالقمح والشعير. ينظر: إفريقيا: مارمول كريخال، تر محمد حجي وآخرون. مطبعة المعارف الجديدة، 1989م. ج 2. ص 325.

<sup>4</sup>- مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ص 98.

<sup>5</sup>- تاريخ الجزائر الثقافي: ج 1. ص 465.

**7.1.3 الشيخ عبد الله الخياط (888-939هـ/1483-1533م).**

جاء في "السلوة": "الشيخ سيدي عبد الله الخياط من كبار مشايخ الصوفية، وأهل التربية الذين نفع الله بهم، وكثرت الهداية على أيديهم. وكانت له أحوال سنية، وشعائر مرضية، كثير الاتباع للسنة [...]. وكانت تظهر عليه الكرامات الكثيرة، والأفاعيل العجيبة، مع سلوك سبل الاستقامة، ومناقبه كثيرة شهيرة"<sup>1</sup>.

أخذ أولاً عن الشيخ أبي محمد سيدي الحسن بن عمر أجانا، أحد كبار أصحاب الشيخ الجزولي. صحبه سيدي عبد الله المذكور اثنتي عشرة سنة ثم قال له: "أنا طهرت فخارتك وسيدي أحمد بن يوسف الملياني هو الذي يعمرها"، فسار إليه فكان تكميله على يديه، واشتهرت نسبته إليه<sup>2</sup>. "توفي مسموما سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزوايته من جبل زرهون رضي الله عنه"<sup>3</sup>.

**ومنهم:**

**8.1.3 أبو عبد الله محمد بن علي الحاج الشطبي (882-963هـ/1476-1556م)**

جاء في الدوحة: "الشيخ الرحال الحائز لأوصاف الكمال، العالم المتقن ولي الله تعالى أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد الاندلسي المعروف بالحاج الشطبي بالتصغير، نزيل "تازغرة" من أحواز مدينة "فاس"، كان من العارفين بالله عز وجل، رحل إلى بلاد المشرق، وأقام يجول سائحا في نواحيها أعواما كثيرة، ولقي بها مشايخ عديدة، ولكن اعتماده في أخذ طريق القوم على الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني. وكان هذا الشيخ كبير الشأن زاهدا في الدنيا وأهلها، منقطعا في أكثر أوقاته عن الناس. ويضيف صاحب الدوحة على لسان الشيخ: لما قدمت من المشرق وأعملت الجواز على ضريح الولي العالم شيخ شيوخ أبي العباس أحمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق وآليت على

<sup>1</sup>- السلوة : ج 3 . ص 296.

<sup>2</sup>- المرأة : ص 438.

<sup>3</sup>- الدوحة : ص 77.

نفسي أن لا ننصرف إلا بإذن من الله، قال: فأقمت عليه مدة من ثلاثة أعوام والشيخ يترأى لي في النوم ويأمرني بالإنصراف إلى المغرب، فلم نعمل على رؤية النوم، حتى رأته في اليقظة هو مع النبي ﷺ، فقال لي: يا محمد إن النبي ﷺ يأمرك بالانصراف إلى المغرب وإلا فتسلب، فقلت: نعم.

عاد الشطبي إلى مسقط رأسه وسار بقية حياته "على سنن أحمد زروق، ولم يؤسس طريقة أو أقام زاوية، وانصرف إلى القيام بوظيفتي الإمامة والتدريس بمعهد بجامع تازغرة"<sup>1</sup>. وكان محسوباً على تيار الطريقة اليوسفية، وأحد المنتمين إلى الشيخ أحمد ابن يوسف الملياني الذي يواجه معارضة شرسة من فقهاء فاس وصوفيها، ووقوف الأمراء إلى جنبهم في موقف واحد يتجه صوب محاربة المذهب الصوفي الذي ابتدعه الملياني ومن انتسب إلى زمرة فكان التضييق شديداً على الطريقة الراشدية شيخاً وأتباعاً، وتجدر الإشارة إلى أن اقتصار الشطبي على ممارسة الإمامة والتدريس "قد جنبه كيد العامة وصرف عنه شرورهم وإذابتهم لكنه لم يكف عنه كيد الخاصة من الأقران والأكفاء والذين سلكوا في محاربه طرائق قدا"<sup>2</sup>.

وقد ظل الشطبي بعيداً عن الحكام الوطاسيين وبلاطهم، وكان يعيش حياة بسيطة، يمارس الأنشطة الفلاحية، ويتسوق مع عوام الناس، ولكنه مع هذا فقد تعددت مواهبه وتنوعت أنشطته. فبعد مرحلة الرحلة والتطواف التي سبقت استقراره بقبيلة "بني زروال" قسم أيامه بين التدريس والتأليف ونساخته الكتب"<sup>3</sup>.

فقد كانت حياته العلمية حافلة بالأعمال والتأليف، حيث ألف رحمه الله "في كثير من الفنون: في علوم القرآن، والتصوف، والتاريخ، والنوازل، والفلك، والفلاحة، والكيمياء، والخط،

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي: التصوف والبدعة. ص 241.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 241.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 242.

وغيرها"<sup>1</sup>. ومن تأليفه كتاب: "اللباب على آيات الكتاب"، و"شرح المباحث الأصلية لابن البناء السرقسطي [...] وغير ذلك"<sup>2</sup>. وحسب صاحب السلوة "كانت ولادته سنة اثنين وثمانين وثمانمائة وتوفي في ربيع الثاني سنة ثلاث وستين وتسعمائة"<sup>3</sup>.

### 9.1.3 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني (908-981هـ/1501-1574م)

جاء في جذوة الاقتباس: "هو محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني، فقيه خطيب بجامع القرويين بفاس المحروسة ومفتيها، أخذ عن محمد بن يوسف السنوسي، وأحمد ابن زكري المغراوي، وأحمد بن يوسف الملياني"<sup>4</sup>، الذي سبقت محبته في قلبه وأثر فيه "كثيرا في مناخ "البيئة الصوفية التي نشأ فيها، فاتجهت نظرته للحياة إلى الجانب الروحي، وكان اتجاهه إلى التصوف هو الغالب عليه في صباه وشبابه"<sup>5</sup>. "ولد بتلمسان سنة ثمان وتسعمائة، وتوفي في أوائل شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، لازمه الشيخ أبو المحاسن كثيرا، وقرأ عليه تفسير القرآن العزيز، وأصول الدين والفقه، وقرأ عليه "الكبرى" و"الصغرى"<sup>6</sup>، كان رحمه الله إماما فقيها عالما علامة نبيها.

وقد وفد ابن جلال على فاس "ولاقى كل العناية من السلطان محمد الشيخ المهدي وخليفته عبد الله الغالب ووجد رحابة الصدر من خاصة الحضرة الفاسية من الفقهاء والصوفية"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي. ص 243.

<sup>2</sup> - الدوحة: ص 23.22.

<sup>3</sup> - السلوة: ج 2، ص 344. وله ترجمة في "الدرة" ج 2، ص 203. ونشر المثنائي ج 1، ص 65. "طبقات الحضيكي" ج 2، ص 23.24. المرأة: ص 415.

<sup>4</sup> - الجذوة: ج 1، ص 324. وترجم له أيضا في الدوحة: ص 111. وفهرس المنجور. ص 69. و"الدرة" ج 2، ص 208. و"زهر الآس: ج 1، ص 25. و"الفكر السامي: ج 4، ص 102. وفهرس الفهارس: ج 1، ص 279.

<sup>5</sup> - عبد الله نجمي: مرجع سابق. ص 250.

<sup>6</sup> - المرأة: ص 108.

<sup>7</sup> - عبد الله نجمي: ص 248.

ولم تمر فترة طويلة على إقامة ابن جلال عند السعديين حتى حظي برعايتهم وثقتهم، فلوله خطط الفتيا، والإمامة، والخطابة والتدريس بالقرويين، وهي أرفع المناصب بالحضرة الفاسية بوجه خاص، والمغرب السعودي بوجه عام، والتي تكفل رضاء العيش وتوفر سعة الرزق<sup>1</sup>.

والحق أن ابن جلال - حسب "عبد الله نجمي" - "كان حبرا من أحبار الأمة، قد تزلع من أفانين العلوم، وشرب من صفو رحيقها المختوم، وتنافس الناس في علومه، والافتباس من فهمه، في المنطق، والعقائد، والبيان، والفقهاء، والحديث، والتفسير، وغير ذلك"<sup>2</sup>. ومنهم:

### 10.1.3 أحمد بن موسى الجزولي السملالي :

هو أبو العباس أحمد بن موسى الجزولي ثم السملالي وقد قال عنه أبو القاسم الحفناوي: "الشيخ الجليل الشهير الولي الكبير، العابد السائح، المجمع على ولايته، وعلو مقامه، وهو أشهر من أن يذكر، ومناقبه كثيرة، وكراماته شهيرة، وكان في بداية أمره سياحا طاف أكثر المعمورة، ولقي كثيرا من الأولياء [...]"، وكان كثير المكاشفة [...]"، وظهرت له العجائب من الكرامات<sup>3</sup>. وذكر "العباس بن إبراهيم المراكشي" أنه "ولد ببلدة سملالة، وبها درس ثم انتقل إلى منطقة تازروالت حيث أسس زاويته الشهيرة"<sup>4</sup>. لقد عرف عنه أنه كان "شيخا جليلا سنيا متواضعا زاهدا ظاهر الورع حسن الأخلاق باهر الكرامات واضح الطريقة جامعا لمحاسن الخلال والأوصاف"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع السابق. ص 249.

<sup>2</sup>- أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف. ص 257.

<sup>3</sup>- العباس بن إبراهيم المراكشي ( 1875م- 1959م): الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ط2، المطبعة الملكية الرباط. 1993م. ج 2/ ص 233.

<sup>4</sup>- محمد بن عيشون: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح. زهراء النظام. ط1. منشورات كلية الآداب بالرباط، 1997م. هامش ص 345.

<sup>5</sup>- المصدر السابق: ج 2/ ص 233.

أخذ عن الشيخ عبد العزيز التابع "وعلى يديه فتح له. ثم أمره بالمسير إلى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي، فأخذ عنه ولازمه عامين ثم أمره بالسياحة فراح سنين ثم رجع إلى مراكش سنة سبع وعشرين وتسعمائة وهي سنة الجوع الكبير، فأقام على قبر شيخه سيدي عبد العزيز التابع سبعة أيام، وكان قد عهد إليه بذلك، وانصرف إلى بلاده من السوس الأقصى<sup>1</sup>. وقد قضى بقية نحبه فيها إلى أن توفي ببلاده سنة إحدى وسبعين وتسعمائة وروضته ببلاده شهيرة<sup>2</sup>. ومنهم:

### 11.1.3 أحمد بن العباس البطحي :

السيد الفقيه العالم المحصل النبيه أحمد بن العباس البطحي، ذكر الصباغ أنه "مدح الشيخ سيدي أحمد بن يوسف نفعني الله به في رجز على ما أذكره بعد هذا إن شاء الله. وابن العباس المذكور من تلامذة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، ونص الرجز:

الحمد لله الذي خلقنا	ولم نكن شيئاً لذاك انبأنا
رب تعالى عن سمات البشر	ليس بذئ عرض ولا بجوهر
ولا يقال في الاله الماجد	أين وكم وكيف قول معتمد
ولا متى كان ولا أي مكان	بل صور الكون ودبر الزمان

إلى أن قال:

أبياتها مائة وإثني عشرة	منظومة في رجزها مجوهره
وبعد ذا سلامنا عليكم	يعمكم بجمعكم كم أنتم
ونختم الأبيات بالصلاة	على شفيعنا بعد الممات
والرضا عن أصحابه الأبرار	صفوة خلق ربنا الغفار <sup>3</sup>

<sup>1</sup> - المرأة . ص 296.

<sup>2</sup> - تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية: (مخطوط). موقع الكتروني للمخطوطات المغربية. foundation. ص 27.

<sup>3</sup> - البستان. ص (8 و).



والقصيدة كما نرى طويلة نسبيا، عدد أبياتها 112 بيتا منظومة على بحر الرجز، غير أنها ذات إيقاع غير منسجم إذ فيها اختلالات عروضية أخلت بجمال القصيدة جراء طغيان الزحافات والعلل بشكل أساء إلى الناحية الفنية لبنيتها الإيقاعية، ويضاف إليها تعدد حروف الروي البالغة واحدا وعشرين حرف روي مكررة بالتناوب على مدار القصيدة، فإذا استثنينا جانب المضمون من القصيدة فإن الجوانب الفنية الأخرى لا أثر لها، وعليه يمكن تصنيفها ضمن المنظوم البسيط من الشعر.

ومن تلاميذه أيضا :

### 12.1.3 الشيخ إبراهيم الزواري التونسي: (ت سنة 961هـ).

لم يذكره "الصباغ" في "البستان" ولم يشر إليه "علي بن أحمد بن الحاج موسى" في "الريح". وذكره صاحب "المرآة" في معرض حديثه عن شيوخ أبيه (أبي المحاسن). فقال عنه أنه "كان من أولياء الله تعالى [...] وكانت له سياحة، وحج ولقي الشيخ أبا العباس أحمد ابن عقبة وأخذ عنه. ولقي الشيخ أبا العباس أحمد المعروف بزروق وأخذ عنه. ودخل المغرب الأوسط فلقي الشيخ أبا العباس أحمد بن يوسف الراشدي وأخذ عنه. وكان حريصا على لقاء المشايخ، والأخذ عنهم. وطال عمره كثيرا حتى زاد على المائة بكثير. وتوفي بفاس سنة إحدى وستين وتسعمائة وقبره خارج باب الجيسة"<sup>1</sup>.

### 13.1.3 الشيخ أبو المحاسن: (937-1013هـ/1530-1606م).

لقد ذكر الإمام أبو حامد محمد بن يوسف الفاسي الفهري في مؤلفه "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن" الذي حققه "الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني" أن الشيخ أبا المحاسن تتلمذ على أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي، وهو آخر من أخذ عنه من المشايخ<sup>2</sup>، مع أن الفترة التي عاش فيها الشيخ أبو المحاسن تمتد بين عامي (937هـ-

<sup>1</sup> - مرآة المحاسن: ص 447\_448.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه: ص (116).

1013هـ/1530-1606م)، وأن الفترة التي عاش فيها المؤلف الشيخ أبو حامد تمتد بين عامي(988-1052هـ/1580-1644م) فكيف حصلت مشيخة الملياني للشيخ أبي المحاسن؟ هل تاريخ وفاة الملياني كانت بعد ميلاد الشيخ أبي المحاسن والمترجمون له أخطأوا في تقدير سنة وفاته وعلى رأسهم الصباغ؟ وعليه فيكون أبو المحاسن قد أدركه وتلمذ عليه مثلما يؤكد ذلك مؤلف "المرآة" أبو حامد محمد العربي الفاسي؟، أم أن مؤلف "المرآة" نفسه هو الذي فاته أن يتحرى سنة وفاة الملياني التي سبقت مولد والده الشيخ أبي المحاسن بست سنين، وعليه فمن المحال أن يكون "أبو المحاسن" المذكور المولود سنة 937هـ قد لقي سيدي أحمد بن يوسف المتوفي سنة 931هـ على ما ذكره الصباغ في "البستان".

ولكن الثابت في مصادر التراث الصوفي المغربي أن أحد تلامذة الشيخ أحمد ابن يوسف المدعو ابن جلال التلمساني السابق الذكر قد استقر بحاضرة فاس لمدة تفوق العشرين سنة وعلى الرغم من عدم إنشائه زاوية بها "لم يمنع من انتساب عدد من أعلام التصوف المغربي إليه، وأخذهم عنه، وعلى رأسهم الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي، مؤسس الزاوية الفاسية"<sup>1</sup>، وعليه فيكون مؤلف "المرآة" قد فاته فعلا إثبات تلمذ والده على تلميذ الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي وليس على الشيخ نفسه، اللهم إلا إذا كان تتلمذه عليه عن طريق التبرك به واقتفاء طريقه.

وهناك فرقة أخرى من تلامذة الملياني ومريديه عرفوا -كما سبق وأن قلنا- بالمذابيح السبعة، سوف أترجم لهم، وأذكر شيئاً من قصة الذبح التي عرفوا بها.

### 2.3 المذابيح السبعة

ذكر صاحب "الريح" أن من بين المحبين في الملياني والمنتسبين إليه جماعة من فحول تلاميذه، وأهل طريقته "المذابيح"، وهم أربعمائة وذلك أن الشيخ رضي الله عنه لما

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي: مرجع سابق. ص 251.

اجتمع عنده ما لا يحصى من المريدين اختبرهم يوما فقال لهم من كان منكم ولدي ومحبا في وفي طريقتي فليسلم لي نفسه أذبحه، وكان يوم عيد النحر، فقام أولهم من صدقت في الشيخ محبته، وكملت فيه نيته، وصفت طريقتة، وأدخله خلوة تركه فيها وذبح شاة وخرج إلى الباقيين والسكين في يده والدم يقطر منه، فقام الثاني ففعل به كذلك، والثالث والرابع وهكذا حتى أتى على جميع من رزقه الله النية الكاملة والمحبة الخالصة. ثم كشف عن الأمر للباقيين وأظهر لهم حقيقته وأخرجهم من خلوته وأراهم الشياخ المذبوحة ثم أطعمهم بها، هكذا تواتر عن غير واحد<sup>1</sup>.

ويذكر Emile.DERMENGHEM أنه لما اجتمع عند سيدي أحمد بن يوسف عدد كبير من أتباعه أراد أن يختبر المريدين لمعرفة الأكثر تصديقا واعتقادا فيه، ومحبة له، "أخبرهم برؤيا رآها في المنام، تأمره بذبح سبعة من خيرة أوفياءه. ويضيف DERMENGHEM أن سيدي أحمد بن يوسف سأل أتباعه وقال لهم: "من يريد إهداء رقبته للسكين؟. وبمجرد سماع هذا النبأ تفرق الحشد، ولم يبق في النهاية سوى سبعة من أتباعه الأوفياء، دخلوا واحدا تلو الآخر داخل بيت الولي، وتحت الباب نشاهد في كل مرة لون الدم الذي هو بطبيعة الحال دم الكباش"<sup>2</sup> التي أحضرها سيدي أحمد بن يوسف وذبحها، وكان "أول المذبوحين هو:

سيدي أبو الربيع سليمان بن أبي سماحة الذي يرقد في ضريح مهيب أعاد بناءه بوعمامة والمتواجد في بني عوف"<sup>3</sup>، ولكن حسب حاج صادق فإن "قبر سليمان بن أبي سماحة البكري في بني ونيف شرق فجيج وهو جد سيدي الشيخ بن الدين والسماحات"<sup>4</sup>.  
وثاني المذبوحين هو:

<sup>1</sup> - الربيع . ص 166.

<sup>2</sup> -Emile DERMENGHEM.SIDI AHMED BEN YOUSSEF.patron de MILIANA . Documents algériens - série culturelle n°72 . 10mars alger 1954. p 2.

<sup>3</sup> -IBID. p2

<sup>4</sup> - مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف . ص91.

**عبد الرحمن السهيلي**. وقبره شرق وادي السهول وهو شيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي صاحب الطريقة الكرزازية<sup>1</sup>.

ومن المذابيح أيضا:

**محمد بن عبد الجبار الفجيجي** الذي سبقت ترجمته.

ومنهم كذلك: سيدي يعقوب المدفون في ميسور<sup>2</sup> (?). وسيدي بودخيل القادري.

ومنهم - أعني المذبوحين-: سيدي أحمد بن موسى الكرزازي.

ومنهم أيضا: سيدي محمد نائل بن عبد الله بن علال، ولد بمنطقة فجيح بالمغرب الأقصى، ثم انتقل إلى شيوخ منطقة مليانة ومنها إلى زاوية سيدي أحمد بن يوسف برأس الماء، حيث أخذ عنه الفقه وتزود من المعارف الدينية ونال الحظوة من شيخه، ثم انتقل إلى بوسعادة<sup>3</sup>. "فكان رأس السبعة المذابيح وأكملهم، إذ لم يحصل له خوف أو تشويش [...] وقد ثبت أكثر من غيره فنال البركة والكرامة من شيخه وسمي بعد ذلك نائلا أي نال البركة والفضل من شيخه الذي دعا له ولنسله بالكثرة والبركة من بعده"<sup>4</sup>. ويضاف إلى هؤلاء ثلاث نسوة هن:

- ميمونة الجناوية الجزائرية.

- عائشة العدوية المكناسية.

- فاطمة ستي الجيلانية، وقبرها على الجبل المطل على تلمسان<sup>5</sup>. ويعتقد الناس أن

قمة هذا الجبل المسماة "لالة ستي" نسبة إلى زوجة سيدي أحمد بن يوسف فاطمة ستي.

### 3.3 مكانته العلمية وثبوت ولايته

لقد حرص الصباغ كل الحرص على إثبات ولاية الشيخ أحمد بن يوسف، واجتهد في

سبيل تحصيل نصوص إثباتية سنديّة يؤكد بها ما ذهب إليه من إبراز مكانة شيخه، وإظهار

<sup>1</sup> - مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ص 91. والزواوية الكرزازية تقع في بلدية كرزاز التابعة لولاية بشار الجزائر.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 91.

<sup>3</sup> - محمد بن اسماعيلي: مشايخ خالدون وعلماء عاملون. ص 233.

<sup>4</sup> - سيدي علي حشلاف. ص 46. سماه شيخه "نائلا" لأنه قبل التضحية من أجل شيخه محبة له، فنال البركة والرضى.

<sup>5</sup> - مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ص 91.

منزلته بين فقهاء عصره ومتصوفيه، ومما قاله في شأن إثبات هذه الولاية للملياني ما ذكره في البستان في أماكن متفرقة منها قوله: "بما صح واشتهر شهرة تقطع السنة الزائغين وتصد في وجوه الحاسدين له والجاحدين واستفاض التحدث بذلك وشاع وذاع على السنة الأئمة المهتدين من فحول علماء المسلمين المشهود لهم بدرك الحقائق، وطول الباع في فنون العلوم والعدالة والدين، من السادات الأفاضل من العلماء المتأخرين، على ما أذكرهم واحدا بعد واحد إن شاء الله تعالى، فمن ذلك ما حكى أن السيد الفقيه العالم الصدر الحجة الأوحد العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف السنوسي رحمه الله ونفعني به أمين أن سيدي موسى الزنداري رضي الله عنه كان يقرأ على السنوسي المذكور، إلى ذات يوم وقع يغتاب في سيدي أحمد بن يوسف مع بعض الجهلة، فلما أن أتى إلى مجلس شيخه السنوسي المذكور بادره الشيخ بالإنكار، وقال له: تتقول في سلسلة الذهب سيدي أحمد بن يوسف، اذهب إليه الساعة واطلبه في الاستغفار، وأن يجعلك في حل من الغيبة التي اغتبتة بها، وخذ عليه من الأسرار التي منحها الله بها، فذهب وفعل ما أمره شيخه به. انظر يا أخي لتعظيم سيدي محمد بن يوسف السنوسي للشيخ سيدي أحمد بن يوسف نفعني الله بجمعهم، مع ما اتصف به السنوسي المذكور من فنون العلوم، وقد حاز السبق في جميعها في عصره، وخصوصا علم الكلام"<sup>1</sup>. إلى أن يقول: "فكيف ينكر الجاحد الأعمى ولاية من شهد له بها فحل الفحول ومن به تضرب في العلوم المثل سيدي محمد بن يوسف السنوسي رحمه الله ونفعني به أمين"<sup>2</sup>. ومن المعترفين بثبوت ولاية سيدي أحمد بن يوسف "الشيخ أحمد بن الحاج البيدي"، الذي رأى منقبة للشيخ سيدي أحمد بن يوسف وأتى إليه من "بيدر" في زمن الصيف فوجده في "رأس الماء"، فلما أن قدم عليه قال له مبادرا له ومخبرا له بما رأى من منقبة وكرامة:

<sup>1</sup> - البستان مخطوط ص [3ظ].

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص [4و].

\* - أبو العباس أحمد بن الحاج البيدي التلمساني. توفي نحو سنة 930هـ/1524م. له مؤلف بعنوان "أنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس".

سأقتك إلينا العبرة. فأقرّ بذلك سيدي أحمد بن الحاج البيدي وجلس عند الشيخ سيدي أحمد ثلاثة أيام وانصرف فرحا مسرورا سالم الضرر مما كان في نفسه. وانظر يا أخي لهذا الشيخ كيف أذعن وأقرّ واعترف بولاية الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، وهل حفظ أحد من العلوم ما حفظه سيدي أحمد بن الحاج من أهل زمانه!. ولقد رمز سيدي أبي عبد الله سيدي محمد ابن غازي الفاسي في أبيات، فلم يقدر له على فكها من علماء المغرب حتى انتهت إليه فحلها وبسطها في بيت واحد ونص الرمز:

وميتٌ قَبْرٍ طعمُهُ عند رأسه      إذا نال من ذاك الطعام تكلما

يقوم فيمشي صامتا متكلما      ويأوي إلى الرمس الذي قيم

فلا هو حي يستحق زيارة      ولا هو ميت يستحق ترحما<sup>1</sup>

وحل الرمز هو "القلم". فكيف يشك الجاهل في ولاية الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله بعدما شهد له هذا الحبر الذي فاق أهل عصره في جميع العلوم؛ وهو سيدي أحمد ابن محمد بن الحاج البيدي نفعنا الله به<sup>2</sup>.

وقد اعترف بثبوت ولاية هذا الولي أيضا السيد الفقيه المدرس الحافظ سيدي محمد ابن عبد الجبار الفجيجي، الذي "أتى من "فجيج" يزور الشيخ سيدي أحمد بن يوسف فوجده بموضع يقال له "الأجراف الحمر" من وطن "الشلف"، وطلبه في الدعاء وتكلم مع الشيخ في العلوم ورجع لأهله في نعمة وسرور<sup>3</sup>.

ويستفاد من هذا الخبر إقرار الفجيجي بولاية أحمد بن يوسف ما دام قد طلبه في الدعاء، كما اعترف بولايته أيضا الإمام العالم القاضي سيدي أبو العباس سيدي أحمد ابن عبد الواحد قاضي بني راشد حينه رحمه الله الذي "قال لجلسائه وطلبتة قد تحقق عندي ولاية الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، ومن جملة ماحدثهم به أنه قال أخذ مني قائد الوطن

<sup>1</sup> - "البستان": ص[4و].

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص[4و].

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص[4و].

(خطية)<sup>1</sup>، فأتيت إليه شاكياً به، فطلب الله فيه فأهلكه<sup>2</sup>. وكان يرد على سيدي [ابن]<sup>3</sup> أقدار<sup>4</sup> في اعتراضه على سيدي أحمد بن يوسف ويقول له الشيخ وليّ بلا شك ولا ريب لأنّي ثبتت عندي ولايته<sup>5</sup> مع أن القاضي المذكور أعلم من ابن أقدار ومن غيره من جميع علماء المغرب في زمانه<sup>6</sup>.

ويذكر الصباغ في "البستان" أن محمد الزيتوني وهو من شيوخ سيدي أحمد بن يوسف "حين أتى من المغرب ذاهباً إلى الحج ونزل بموضع بعيد من قلعتنا حماها الله فأتى إليه سيدي أحمد بن يوسف وسلّم عليه ثم قال له الزيتوني أنت ابن الزروق وهو ابني<sup>7</sup>، وأنت تلميذ الزروق وهو تلميذي [...] ثم طلب الزيتوني سيدي أحمد أن يدعو له فدعا له ثم قال أعطني رجلك أقبّلها فامتنع سيدي أحمد بن يوسف حياءً من الزيتوني فأقسم عليه أن يفعل وأعطاه رجله فقبلها، ثم قال له الزيتوني هات اليسرى لئلا تغضب على اليمنى فأعطاه اليسرى فقبلها، فقال له يا أحمد بن يوسف قد أعطاك الله من قاف إلى قاف فقال له سيدي أحمد بن يوسف هذا قليل بل أعطاني أكثر من هذا ويضيف الصباغ قائلاً أنظر لتعظيم هذا الشيخ العالم العلامة سيدي محمد الزيتوني مع جلالته قدره في العلم والدين لسيدي أحمد بن يوسف مع أنه شيخ شيخه يختص برحمته من يشاء والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء"<sup>8</sup>. وقد روي "أن بعض أصحاب الشيخ قالوا سيدي عبد الرحمان الثعالبي قال: من رأى من رأني لا

<sup>1</sup> - في النسخة: 243 ك. وردت "خطية". ص 8.

<sup>2</sup> - في النسخة: 2625 د. وردت "فأهلكه الله". ص 6.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من النسخة (ب).

<sup>4</sup> - في النسخة: 243 ك وردت "ابن أقدار". ص 8.

- ينظر أيضا: -MARCEL BODIN; Notes Et questions Sur sidi Ahmed ben yousef. Revue Africaine.vol.66. Année1925.p158.

<sup>6</sup> - "البستان": ص [4و].

<sup>7</sup> - في النسخة 243 ك. أنت أخي.

<sup>8</sup> - "البستان". ص [4و].

تأكله النار إلى ثلاثة. فقال الشيخ سيدي أحمد بن يوسف كذلك من رأى من رأني لا تأكله النار إلى عشرة"<sup>1</sup>.

وقد أثبت الصباغ ولاية شيخه مستعرضا بعض الروايات والأخبار التي ينتصر فيها الملياني على خصومه، وإرغامهم على الإذعان له، ومن ذلك أنه قال: "حدثني الولي الصالح سيدي يحي المغراوي القاطن الآن بقرية مصراتة أن رجلا يسمى سيدي علي الندرومي بلغ منزلة في الولاية وتأتيه الناس في ندرومة بالهدايا والتحف ويتبركون به، فاعترض علي سيدي أحمد بن يوسف فسلب حاله حتى صار كأنه حجر لا يعرفه أحد؛ نعوذ بالله من التعرض على أولياء الله[...]. وحدثني سيدي يحي المغراوي عن رجل آخر تعرض للشيخ فسلب حاله حتى صار والعياذ بالله تضحك به العامة لكونه يبول ويغوط على رجليه"<sup>2</sup>.

ومن دلائل ولايته أيضا ما ذكره صاحب "الريح" أن تلميذ سيدي أحمد بن يوسف المسمى "سيدي عبد الجبار بن أفنيش القلعي قال: أتيت الشيخ ولم أكن رأيت قط. فقلت له: هل تعرفني؟. فقال: أنت الذي لا تعرفني، وأما أنا فسميتك في بطن أمك في الظلمات الثلاث. وذلك أن أمه كان لا يعيش لها ولدًا، فجاءت إلى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رضي الله عنه واشتكت له ذلك، فدعا لها وقال: في بطنك ذكر اسمه عبد الجبار. فكان كما ذكر لهم. وهو مما يؤيد ما تقدم أن الله قد أطلع أوليائه على عظام غيبه ومواهب سره"<sup>3</sup>. ويذكر صاحب المرآة أن "الشيخ عبد الله بن محمد الهبتي (ت 963هـ) من عمالة طنجة وهو من أكابر أهل العلم والعرفان ورفعة القدر الواضحة البرهان[...]. كان شديد التعظيم للشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف؛ رأيت في مواضع من كلامه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - "البستان": ص[50].

<sup>2</sup> - "البستان": ص[50].

<sup>3</sup> - ربح التجارة. ص178.

<sup>4</sup> - مرآة المحاسن: محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري. ص117.118.



هذا وقد أورد الصباغ فصلا عن العلماء الذين أجمعوا على ولاية سيدي أحمد ابن يوسف قائلا: "وقد قدمنا أن علماء السنة أجمعوا على تعظيمه وأثنوا عليه وشهدوا بولايته؛ كسيدي أحمد بن الحاج، وسيدي محمد بن يوسف السنوسي، وسيدي محمد بن عبد الجبار الفجيجي، وسيدي أحمد بن عبد الواحد الورغي، وسيدي محمد الزيتوني"<sup>1</sup>. وغيرهم من الفقهاء والمتصوفين الذين تكرر ذكرهم في مظان المخطوط، والذين تعمد الصباغ عن طريقهم إثبات ولاية شيخه، ولم يكتف بذلك بل ساق بعض الأحاديث الشريفة التي تعزز ولاية الولي وتخصه دون غيره من خلق الله حتى ولو كان هذا الولي قليل الحظ من العلم والفقه، لأن مدار محبة الله لوليه تتحصر في صدق الإيمان المستودع في قلوب الخلق، وفي ذلك يقول الصباغ: "ليست الولاية بكثرة العبادات والطاعات، وإنما هي بفضلها ورحمته لمن سبقت له العناية؛ ودليله قوله ﷺ: "ما فاتكم<sup>2</sup> أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام، إنما فاتكم بشيء وقر في صدره وهو الإيمان"<sup>3</sup>.\*

وقد اختبره شيخه زروق يوما في مجلس له مع مريديه في بجاية يوم كان طالبا عنده على ما نقله الصباغ مشافهة عن السيد الأجل محمد بن عثمان البوعمراني "أن الشيخ حدثه مشافهة وأنه قال: كنت أقرأ على شيخي الزروق في بجاية إلى ذات يوم قال لنا الشيخ زروق في المجلس: أيها الطلبة من يعطيني خبر ولدي بفاس عند أمه؟. فسكتوا فقلت له: أنا، هاهو مع أمه أمام القرية ترجل رأسه. فقال لي: بقي لك شيء. قلت له: ظفرت أمه رأسه بخيط حرير إلى جهة رقبته، وفي الخيط شرابة حرير. فقال لي: بارك الله فيك. وقال لي<sup>4</sup>:

<sup>1</sup>- "البستان": ص[41] ظ.

<sup>2</sup>- في النسخة 243 ك ما فاقكم .

<sup>3</sup>- "البستان": ص[42] و

\*- قال الحافظ العراقي في: "تخريج الإحياء" (ج1/رقم30، ص105. طبعة الحلبي: رواه الترمذي الحكيم في النوادر من قول بكر ابن عبد الله المزني، ولم أجد مرفوعا وأقره الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة. رقم970.

<sup>4</sup>- في (ب) و(د) ورد: "ودعالي".

كان الأمر على ما وصفت. يضيف الصباغ قائلاً: "انظروا إلى هذه المكاشفة العظيمة في ابتداء حاله"<sup>1</sup>.

وهكذا يكون الصباغ قد قطع الشك باليقين بإثبات ولاية شيخه واشتهاره على معاصريه من خلال الانتقاء الجيد لجملة تلك النصوص الواردة في البستان.

### 4.3 مؤلفاته

يتفق الباحثان محمد حاج صادق صاحب "كتاب مليانة ووليها سيدي أحمد ابن يوسف"، ومحمد بن اسماعيلي صاحب كتاب "مشايخ خالدون وعلماء عاملون" على أن أحمد ابن يوسف لم يخلف أي مؤلف ذا بال، وهو في هذا ككثير من رجال الدين في عصره شبيهه "بأبي الحسن الشاذلي" القائل كتبي أصحابي ومريدي"، وبالشيخ بيوض العالم المصلح بوادي ميزاب (ت1400هـ/1981م) الذي كان يقول: "دروسي مقيدة في الرؤوس لا في الطروس"<sup>2</sup>، لكن ماجاء به الصباغ في "البستان" وما أضافه بعده علي بن الحاج موسى في "الريح" يفند رأي الباحثين السابق ذكرهما، وأن أحمد بن يوسف قد خلف عددا من المؤلفات أغلبها في التصوف الذي أشتهر به، وبعضها في العقيدة والتوحيد والفقہ ومسائل أخرى متفرقة.

وما ذكره صاحب "الريح" بشأن مؤلفات الملياني أنه قال: "وقد وقفت على مجموع في ذلك اشتمل على عدة كراريس في ذكر بعض رسائله لتلامذته الأخيار ومكاتبته لأهل مشارق الأرض ومغاربها من أقاصي البلدان وللعرب والعجم ما يعجز عنه الفهم ويجف دونه القلم مما فرق فهمه وينفذ دركه[...]. أثبت الشيخ الصباغ في "بستان الأزهار" نبذة يسيرة من ذلك لكني أثبت منه هنا طرفا قليلا مما يعضد ما سبق في عدة مواضع حسبما أشرنا إليه هناك تبركا بحلي كلامه، وعذب نظامه، أعاد الله علينا من بركاته[...]"<sup>3</sup>، وهذه الرسائل تتميز بالقصر والاختصار والتركيز. وقد "راسل بها الملياني كثيرا من الجهات أفرادا وجماعات من

<sup>1</sup> - "البستان": ص[23ظ].

<sup>2</sup> - حاج صادق: مليانة ووليها سيدي احمد بن يوسف. ص 86.

<sup>3</sup> - علي بن الحاج موسى: ربح التجارة ومغرم السعادة، ص 168.

أهل العلم والفقهاء من بشار، وتوات، وتافيلالت، وجرية بتونس، وإلى أهل فجيح، وفاس، وتادلة، وتازة، ومراكش، ومصر، والشام<sup>1</sup>. وغيرها من الجهات. والصباغ في مؤلفه لا يذكر رسائل شيخه كاملة بل يشير إلى بعض منها إشارة يسيرة ينقل منها سطرا أو فقرة موجزة يلم بموضوعها ومدار فكرتها، ثم يمضي إلى مواصلة الحديث عن بقية كلام شيخه، وربما يعود ذلك إلى طول هذه الرسائل نسبيا وكثرتها، مما يجعل إيرادها في "بستان الأزهار" غير ممكن لأن ذلك يثقل المخطوط على ضخامته بمزيد من الصفحات والأوراق وسوف أورد بعضا من هذه الأقوال لاحقا.

وقد قادنا البحث والتنقيب عن مؤلفات الملياني وتحري عناوينها وأماكن وجودها إلى العثور على بعض العناوين موزعة هنا وهناك، بعضها في زوايا العلم والقرآن في الجزائر كزاوية الهامل ببوسعادة وزاوية علي بن عمر بطولقه ببسكرة، وبعضها الآخر في مكتبات المغرب الشقيق وخصوصا في فهارس مكتبة الخزانة العامة بالرباط، وسوف أذكر هذه المؤلفات وأماكن وجودها وأرقام ترتيبها إن وجدت.

أولى هذه الرسائل رسالة بعنوان:

**"رسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الأسواق".**

"مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 2792 د، كما توجد نسخة أخرى بمكتبة الشيخ محمد بن عزوز القاسمي الحسني الهاملي، "وتوجد نسخة أخرى في زاوية الحاج المختار الحدباوي بحاسي بحبح، الجلفة، وهي منسوبة إليه"<sup>2</sup>. وقد تضمنت هذه الرسالة عدة مسائل في التوحيد والعقيدة والتصوف، تناول بالحديث فيها مايلي:

1- طريقة الأشياخ، 2- الفرق بين العلم والمعرفة، 3- العقيدة، 4- المكاشفة والمنازعة، 5- طريقة معرفة الله، 6- العلم الظاهر والعلم الباطن، 7- ما علم اليقين؟،

<sup>1</sup>- محمد بن اسماعيلي: مشايخ خالون وعلماء عاملون. ص 139.

<sup>2</sup>- بشير ضيف، فهرسة معلمة التراث الجزائري، ط1، منشورات ثالة.الجزائر، 2002. ص 225.

8- وما عين اليقين؟، 9- وما حق اليقين؟، 10- ما المجاهدات؟، 11- ما المراقبات؟، 12- ما طريقة البلوغ إلى الولاية<sup>1</sup>.

### "رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق:"

- وهذه الرسالة لم يذكرها الصباغ في "البستان" ولم يذكرها أيضا علي بن الحاج موسى في "الريح" وقد عثرنا على هذه الرسالة في موقع مركز القاسمي للدراسات والأبحاث الصوفية بزواوية الهامل ببوسعادة، وقد قام بتحقيقها الشيخ عبد المنعم القاسمي سنة 2009، وأثبت نسبتها إلى الملياني لمجموعة من الأدلة التي ساقها منها على الخصوص عثوره على نسخة أخرى من هذه الرسالة في مكتبة الأسرة العثمانية بطولقة، وبنفس العنوان ونسبتها إلى الشيخ الملياني<sup>2</sup>، وتوجد نسخة مصورة عن النسخة الأصل الموجودة في زاوية الحاج المختار الحدباوي بحاسي بحبح ولاية الجلفة حسب السيد "بشير ضيف" في فهرسة معلمة التراث الجزائري الذي أكد ذلك بنفسه، وقد انتقلت شخصيا إلى زاوية الأسرة العثمانية بطولقة لغرض الحصول على هذه الرسالة وطلب مني القائمون بشؤون مكتبتها إفادتهم ببريدي الإلكتروني ورقم هاتفي ووعدوني بالاتصال بي حالما يجدونها ولكني لم أتلق منهم أي رد.

كما تنقلت لنفس الغرض إلى زاوية الهامل واستقبلت بحفاوة من قبل القائمين على المكتبة ووعدوني بمراسلتي على عنواني الإلكتروني وإفادتي بما طلبت، ولكني إلى يوم الناس هذا لم أتلق أي مراسلة منهم وقد راسلتهم عدة مرات عبر البريد الإلكتروني لأحد الموظفين المكتبيين الذي أفادني به شخصيا ولكن للأسف لم أحصل على أي رد إيجابي منهم، وعليه سوف أتناول هذه الرسالة انطلاقا من المقال الذي نشره الشيخ عبد المنعم القاسمي حول هذه الرسالة في موقع مركز القاسمي السابق الذكر، يقول صاحب المقال: "تم الحصول على هذه النسخة من الرسالة من مكتبة الشيخ بن عزوز القاسمي[...]" ويبدو لي

<sup>1</sup> محمد بن اسماعيلي - ص 138.

<sup>2</sup> ينظر: عبد المنعم القاسمي، موقع مركز القاسمي للدراسات والأبحاث الصوفية.

أنه حصل عليها عن طريق الإهداء من طرف أحفاد الشيخ أحمد بن يوسف الملياني بمليانة في إحدى زيارته إليهم. ويقع المخطوط في عشرين ورقة، أوله: هذه رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق [...] وآخره: تمت الرسالة والأرجوزة بحمد الله وحسن عونه، ولا يوجد تاريخ للتأليف، أو إشارة تساعد على تحديد ذلك، أما تاريخ النسخ فهو أوائل ذي القعدة 1283هـ، كما جاء في آخر المخطوط، والناسخ هو محمد المنور بن محمد الخديم نجل الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة، أما بالنسبة للمعلومات الأخرى المتعلقة به فهي كالتالي: الخط: نسخي عادي، المداد: صمغ، أحمر عادي، كتبت به العناوين، عدد الأوراق: 20، الأسطر: 26 سطرا، الورق: عادي، المقاس: 225/160 سم. قسم الشيخ أحمد بن يوسف الملياني رسالته إلى مقدمة وعشرة فصول:

المقدمة: وتناول فيها سبب كتابته هذه الرسالة، وهو تنبيه أخ له من ضلالتة وجهله ثم لخص هذه الرسالة في أرجوزة من 220 بيت منظمة سهلة الحفظ جاءت في نهاية الرسالة أما الفصول فهي:

- 1- الفصل الأول: في مسألة توحيد الله، وظهوره واختفائه عن الأبصار بنوره.
- 2- الفصل الثاني: في المعرفة وبيان أصولها.
- 3- الفصل الثالث: في علوم البشر [...] فجميع العلوم انقسمت إلى ثلاثة أقسام: ضروري، نظري، واضطراري. ومن وجه آخر: جوهر، عرض.
- 4- الفصل الرابع: في خلق بني آدم تناول فيه بدء خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين.
- 5- الفصل الخامس: في معرفة النفوس والأرواح: أرواح الأدميين ملك، وأرواح الملائكة قدس، والأولى أشرف وأعلى من الثانية.
- 6- الفصل السادس: في مستقر الأرواح والنفوس: وأن مصيرها الجنة بالنسبة للأرواح الطاهرة، أما الكافرون فمصيرهم جهنم.

- 7- الفصل السابع: في اختلاف العلماء في الروح والنفس: قال بعضهم إن الروح والنفس بمعنى واحد وقال آخرون إن الروح معار من الله وأن النفس من مني الرجل.
- 8- الفصل الثامن: في الاستواء والتوبة: الأولى مسالة عقيدية والثانية عملية.
- 9- الفصل التاسع: في إثبات رؤية الرب وإخلاص النية وإفراغ القلب.
- 10- في معرفة أصول آيات نزل بها الكتاب بأمر الملك الوهاب أن للأشياء ظاهرا وباطنا، وكتاب الله له ظاهر وباطن [...] تضمنت الفصول التي شرحها في الرسالة مجموعة كبيرة من النصائح والتوجيهات، والدعوة إلى محاسن الأخلاق، من التواضع والحلم، والصبر، والتقوى<sup>1</sup>. ويشير بشير ضيف في فهرسته إلى أنه يملك منها "نسخة مصورة والأصل موجود في زاوية الحاج المختار الحدباوي بحاسي بجبج، الجزائر، وتوجد نسخة أخرى في مكتبة الشيخ بن عزوز القاسمي الحسيني"<sup>2</sup> بعين وسارة، الجلفة، وقد ضمن مؤلفه بنسخة مصورة عن الورقة الأولى من المخطوط وسوف أجعلها في الملحق ضمن النسخ المصورة عن كل مخطوط محل التحقيق، تعميما للفائدة وتوثيقا للعمل المقدم.

### "المنهج الحنيف في معنى الاسم اللطيف":

وهو عبارة عن رسالة تقع في 14 صفحة، وموضوعها هو تفسير وشرح اسم اللطيف من أسماء الله الحسنى، وهي موجودة بمكتبة الشيخ بن عزوز القاسمي الحسني الهاملي حسب صاحب فهرست معلمة التراث الجزائري<sup>3</sup> ضمن مجموع.

### "الرموز والإشارات":

مخطوط بالمكتبة القاسمية بالهامل يقع في 27 ورقة تم الانتهاء من نسخه سنة 1325هـ، أوله: "هذا كتاب الرموز والإشارات"<sup>4</sup>. وقد أشار إليه بشير ضيف في فهرست

<sup>1</sup> عبد المنعم القاسمي: مقال تضمن "رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق، موقع مركز القاسمي للدراسات الصوفية.

<sup>2</sup> بشير ضيف: فهرست معلمة التراث الجزائري، هامش ص 226.

<sup>3</sup> بشير ضيف: هامش ص 226.

<sup>4</sup> ينظر موقع مركز القاسمي للدراسات والأبحاث الصوفية، <http://www.kacimisoufisme.org>

معلمته وذكره في مستدركه وهو موجود في "فهرس مخطوطات خزانة زاوية الهامل" إعداد محمد فؤاد القاسمي الحسني<sup>1</sup>، وقد أشار الصباغ إلى بعض هذه الرموز في "البستان"، وهي نصوص جميلة رائقة عن هذه الرموز، ولا بأس من إيراد نماذج منها .

فمن الرسائل التي تضمنت رموزا ما راسل بها أمير فاس حيث يقول: "المولى جل جلاله مدني بمدده ووصفني بأوصافه، فصرت أنا هو وهو أنا، يا أمير المؤمنين لاتقهر الفقراء حتى يعمل لك العلماء برونسا من الثلج ويلبسوه في السمايم، ومن الماء عمامة ويشدوها شدا مائلا، ومن الريح قنديلا ويعملوا فيه فتائل، فوصل هذا الرمز للأمير فأحضر العلماء فسلموا لذلك"<sup>2</sup>. وقد شرحه الورثياني(1125-1193هـ/1713-1779م) في رحلته "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، وعد هذا الشرح ضمن الأعمال الجليلة والفريدة، واحتل مكانة خاصة من بين تصانيف الورثياني<sup>3</sup>.

ومن كلامه الذي تضمن رموزا قوله: "جعلت من الماء عمامة فشددتها شدا مائلا، وجعلت من الثلج برونسا أغطيه إلى السماء، وجعلت من الريح قنديلا، ومن الضباب فتائل"<sup>4</sup>. وقد علق الصباغ على هذه الرموز قائلًا: "انظر يا فقيه ما تحت هذا الرمز من العلوم التي لا يفهمها إلا من هو مثل هذا الشيخ العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف الذي غزل غزلا رقيقا لا ينسجه إلا هو وأنشدوا:

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد له ناسجا غيري فكسرت مغزلي.<sup>5</sup>

"جواب لمن سأل عن ذات مولانا هل حسية أو مغنوية"؟:

<sup>1</sup>- ينظر بشير ضيف، ص250.

<sup>2</sup>- "البستان": ص[72ظ].

<sup>3</sup>- ينظر الحسين بن محمد الورثياني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر. 1908، ص132.

<sup>4</sup>- البستان ص [72ظ].

<sup>5</sup>- نفسه: ص [72ظ].

وهو مؤلف في التصوف عثرت عليه في فهارس مكتبة الخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع [186ص-188ص] تحت رقم 1141 مسطرته 21. كمل نسخه في 05 ذي الحجة سنة 1243هـ، أوله: "قال للسائل عن ذات مولانا هل حسية أو معنوية؟".

### "القول في الاجتماع للذكر":

ذكره بشير ضيف في مصنفه السابق الذكر وأشار إلى وجوده في فهرس مكتبة الخليل ابن مصطفى القاسمي الحسيني الهاملي، إعداد نجله محمد فؤاد الخليل<sup>1</sup>، ولم أتمكن من الحصول عليه بعد.

### رسالة في أحكام الخرقاة الشريفة:

عبارة عن أقوال وحكم ورسائل الشيخ الملياني جمعها أحد تلامذته، جمع فيها رسائله إلى أهل فجيح، فاس، تافيلالت، وحتى بلاد الهند [...] وغيرها، مخطوط في 45 ورقة ضمن مجموع بمكتبة الأسرة العثمانية بطولقه.<sup>2</sup>

### "حكم في التصوف":

عبارة عن حكمه التي سجلها عنه بعضهم، وهو مخطوط موجود في الخزانة العامة للمخطوطات بالرباط بالمملكة المغربية، تحت رقم 1066د، ضمن مجموع من الصفحة 265 إلى 268. عدد سطور الورقة 22 سطرا، وجاء في مطلع الورقة الأولى: "ومن كلامه رضي الله عنه أنه قال: وجدت في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا ثبت الود سقط التكليف، قالوا ما معناه يا رسول الله، قال: الود حلاوة المذكور في قلب من ذكره [...] إلخ، وقد وقفت عليه وعابنته عن طريق شريط ميكروفيلم غير أنني لم أتبين لون الحبر الذي كتبت به الرسالة وكانت العناوين تظهر بلون أبيض باهت على الورق الشفاف، تصعب قراءتها وهو دليل على أنها مكتوبة بلون أحمر في أصل المخطوط، أما المتن فيبدو

<sup>1</sup> - ينظر: بشير ضيف، هامش ص 226.

<sup>2</sup> - موقع مركز القاسمي للدراسات والأبحاث الصوفية. <http://www.kacimisoufisme.org>



أنه مكتوب بحبر أسود وبخط مغربي عسير القراءة، وقد حاولت الاطلاع على المخطوط الأصلي إلا أن القائمين على تسيير المكتبة رفضوا ذلك بحجة الخوف من التلف الذي يتعرض له المخطوط جراء الملامسة المتكررة من الباحثين، هذا ولم يذكر فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

ويمكن تقسيم أقوال ورسائل الشيخ أحمد بن يوسف إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** عبارة عن أقوال قصيرة وجيزة العبارة، أثبت فيها مكانته كولي عارف بالله، فيها طعم التحدي لخصومه وأعدائه من أولياء عصره وفقهائه، وبعض هذه الأقوال حكمي تأملي.

**القسم الثاني:** عبارة عن رسائل قصيرة نسبياً موجهة إلى تلامذته، وأصحابه داخل الوطن، وترتكز مضامينها حول القضايا الكبرى المتعلقة بالله والوجود والإنسان، وأغلب هذه الرسائل وجهها إلى تلميذه وأخيه وحبيبه في الله سيدي موسى بن منصور البلاداوي وقد أثبت الصباغ في "البستان" الرسائل الثمانية التي شكلت محور العلاقة التواصلية بين الشيخ وتلميذه.

**القسم الثالث:** يضم رسائل بعثها إلى علماء ومتصوفي مراكش، وفاس، وتازة، ودبدو بالمغرب، وإلى علماء جربة التونسية، ومصراتة الليبية، وأغلب هذه الرسائل تشكل أجوبة عن أسئلة وجهها إليه علماء ومتصوفي حوض المغرب العربي الكبير. وللاشارة فإننا عثرنا على بعض الرسائل ولم يذكرها الصباغ في البستان واستدركها عليه علي بن الحاج موسى في "الريح"، وكذا احتواء مؤلف بعنوان "مناقب سيدي أحمد بن يوسف" للمؤلف مجهول على عدد من الرسائل هي أطول بكثير من تلك التي في "البستان" و"الريح" وصيغت بلغة بعيدة عن اللغة التي صيغت بها في كل من "البستان" و"الريح" على الرغم من إقرار صاحبها بأنه أخذها من "البستان" إلا أن المقارنة التي أجريناها بين هذه الرسائل أفضت بنا إلى القول بأن الرسائل المجهولة المؤلف لا تتطابق مع التي في "البستان" تمام التطابق، وأن صاحبها قد

تصرف فيها كثيرا الأمر الذي جعلنا نصرّف النظر عنها. وفيما يلي نماذج من أقواله: - قال له شيخه الزيتوني بعد أن قبل رجليه: "يا أحمد بن يوسف قد أعطاك الله من قاف إلى قاف، فقال له الملياني: "هذا قليل بل أعطاني أكثر"<sup>1</sup>.

وحكى بعض أصحابه أن سيدي عبد الرحمان الثعالبي قال: "من رأى من رأي لا تأكله النار إلى سبعة". فقال الملياني: "كذلك من رأى من رأي لا تأكله النار إلى عشرة"<sup>2</sup>. وقال أيضا: "دعوت الله في ثلاثة فأعطانيها في ليلة واحدة، طلبته أن يبلغني مبلغ الرجال فبلغني فوقهم، وطلبته أن يريني المصطفى صلى الله عليه وسلم في النوم، فرايته في اليقظة، وفتح الله علي في علوم ببركته لم يطلع عليها غيري"<sup>3</sup>.

ومن كلامه أنه قال: "علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك لأحد غيري"<sup>4</sup>.

وقال: "جميع من أكل معي أو شرب أو جالسنى أو نظر فيّ لا أسلم فيه غدا يوم القيامة"<sup>5</sup>.

ومن كلامه أيضا: "أنا جالس في حجر الحق سبحانه يفعل بي ما يشاء"<sup>6</sup>. وقال أيضا: "والله وثم والله من عرفني حتى يندم، ومن لم يعرفني حتى يندم"<sup>7</sup>. وقال: "انما ألمح بعض أصحابي لمحة فيبلغ بها مقام الأولياء"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - "البستان": ص[20]. ومعنى قول الزيتوني أن الله عز وجل يطلعه على جميع ما في الكون من ابتداء خلقه يكن إلى مقام وقوفهم أنهم مسؤولون.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص[5].

<sup>3</sup> - المصدر نفسه. ص[11ظ].

<sup>4</sup> - المصدر نفسه. ص[12و].

<sup>5</sup> - المصدر السابق. ص[100ظ].

<sup>6</sup> - المصدر نفسه. ص[78ظ].

<sup>7</sup> - المصدر نفسه. ص[80ظ].

<sup>8</sup> - المصدر نفسه. ص[81و].

وقال لبعض أصحابه: "يا ولدي من ذلك على الدنيا فقد أتعبك ومن ذلك على العبادة فقد أشقاك ومن ذلك على مولاك فقد نصحك"<sup>1</sup>.

ومن كلامه أنه قال: "من قال عليّ ما لم أقل ابتلاه الله بالقلّة والعلة والموت على غير ملة"<sup>2</sup>.

وقال أيضا: "والله ثم والله لولا خفت أن أعبد من دون الله لأظهرت لكم الحق عيانا"<sup>3</sup>. وقال أيضا: "لا يكون الشيخ شيئا حتى يكون مع تلميذه في ثلاثة مواطن: عند الفزع حتى يلقنه الشهادتين، وفي القبر حتى يثبته الله بالجواب للملكين، وعند العقبة وأنا فارس العقبة"<sup>4</sup>.

وقال أيضا: "اعلم أيها الأخ الكريم أن الدنيا بحر، والتقوى سفينة، وشهوات النفس عواصف، والآخرة ساحل، والناس في سفر، فمتى هال البحر بالعواصف وخيف على السفينة الغرق وجعل الناس يرمون المتاع لتخف السفينة فأول ما ترمي أنت من السفينة نفسك، فإن فعلت سكنت العواصف، وطاب البحر، واستقام جريان السفينة، فتخرج إلى الساحل برأس مالك سالما"<sup>5</sup>.

وقال: "إذا سألك أحد بماذا تعرف الله فقل الله واحد موجود له أسماء وصفات وذات أسمائه لا تشبه الأسماء وصفاته لا تشبه الصفات وذاته لا تشبه الذوات وأنه أوجد المخلوقات وهو موجود لا يعلم أحد أين هو ولا كيف هو لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

<sup>1</sup> - "البستان". ص [87و].

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص 113.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه. ص 124.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه. ص 117.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه. ص 109.

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>1</sup> كل ما يخطر في عقلك ووهمك فإله بخلاف ذلك، لا يعلم الله إلا الله، والعجز عن الإدراك إدراك<sup>2</sup>. ومن كلامه أيضا أنه قال: "الهمم ثلاثة: همة أبناء الدنيا، وهمة أبناء الآخرة، وهمة العارفين بالله، فهمة أبناء الدنيا دنياهم، وهمة أبناء الآخرة أخراهم، وهمة العارفين بالله مولاهم، ثم قال: لأن خديم الدنيا أسير، وخديم الآخرة أجير، وخديم الحق تعالى أمير"<sup>3</sup>.

وقال: "الذكر ينقسم على ثلاثة أقسام، ذكر اللسان، وذكر القلب، وذكر الجوارح. فذكر اللسان بعشر حسنات، قال الله العظيم: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»<sup>4</sup> وذكر القلب بسبعين حسنة، وذكر الجوارح لا يعلم ثوابه إلا الله قال عز من قائل: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾<sup>5</sup>. هذا كلامه على جبل جامد فما بالك باسم الله إذا نزل على قلب متحرك شائق مشتاق هائم، في بحر محبة محبوبه، أحاط به الوجد، وذهب عقله، كيف لا يهتز ويرقص؟، كيف يسكن قلب قد أحاط به الوجد؟ وكذلك الجوارح؟، فاتق الله يا أخي فبحر جوده يعم من في البحر والبر"<sup>6</sup>.

ومن كلامه في العقيدة قال: "العقل يطلب إدراك الأشياء من علها، والوهم يطلب إدراك الأشياء من صورها، والحس يطلب إدراك الأشياء من حيث إحاطة الأماكن بها، فإله تعالى ليس له علة فيدركها العقل، ولا له صورة فيدركها الوهم، ولا تحيط به الأماكن فيدركه الحس، وإنما يقال تقريبا لأذهان المخلوقين، والعجز عن الإدراك إدراك"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> -سورة الشورى: الآية 11.

<sup>2</sup> - "البستان": ص 107.

<sup>3</sup> -المصدر نفسه. ص 108.

<sup>4</sup> -سورة الأنعام الآية 160. وتكملة الآية: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.  
<sup>5</sup> -سورة الحشر: الآية 21. وتكملة الآية: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

<sup>6</sup> - "البستان": ص 108. وينظر أيضا: "مناقب سيدي أحمد بن يوسف لمؤلف مجهول، مخطوط رقم 1457 د. ص 36.

<sup>7</sup> -المصدر نفسه. ص 123.

وقال أيضا: "الحب في الله والبغض في الله، الحب حب الواصلين، والبغض بغض العارفين، أما حب الواصلين فهو الاجتماع بالتلذذ في معرفته، بتحقيق مشاهدتهم في وجوده، على قدر ما وهب لهم من فضله وإحسانه، أبى المحققون أن يشاهدوا غير الله، كن له يكن لك، ومن كان لله كان الله له، وأما بغض العارفين فهو التسليم"<sup>1</sup>.

وقال أيضا: "النفس والشيطان والهوى كلاب الله، إن اشتغلت بمولك صرفهم عنك برفق، وإن غفلت عن مولك سلطهم عليك، ومن أراد النجاة فليزم ذكر الله، والتوجه إلى أمر الله في كل شيء، قال الله العظيم: «وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا»<sup>2</sup>، فعليك بذكر الله، تتجو من الأشرار"<sup>3</sup>.

ومن كلامه أنه قال: "التفكر يشهد لصاحبه بالولاية، والذكر يشهد لصاحبه بالأمانة، والتعرض يشهد لصاحبه بالحرمان، قال الله العظيم: «وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ»<sup>4</sup>.

### "أقوال مقذعة منسوبة إليه": Les Dictons Satiriques

ومن مؤلفاته أيضا أقوال منسوبة إليه قالها على كل المدن التي زارها بعضها هجائي مقذع، وبعضها لها طابع حكيم. وقد انفرد بذكرها مستشرقون فرنسيون غداة الاحتلال الفرنسي للجزائر، مع الإشارة إلى خلو المصادر الأولى التي اختصت بترجمة أحمد ابن يوسف الملياني بدءًا بالصباغ في "البستان"، ومرورا بعلي بن الحاج موسى الجزائري في السيرة المسماة "ريح التجارة". فالسيرتان لم تشيرا إلى هذه الأقوال مع أن مؤلف الأولى (البستان) كان معاصرا لصاحب السيرة ومعاصرا أيضا لتلامذته وأصحابه، فكيف يغفل عن ذكر هذه الأقوال أو الإشارة إليها؟. وقد حاول صاحب "الريح" جهده لاستدراك ما

1- المصدر نفسه. ص 108.

2- سورة الكهف. الآية 28. وتكملة الآية: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا».

3- "البستان": ص 109.

4- سورة الزخرف الآية 36. ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾.

فات الصباغ في "البستان" من أخبار مما له علاقة بصاحب ضريح مليانة الشيخ أحمد ابن يوسف، غير أنه لم يقف عند هذه الأقوال ولم ينقل لنا نماذج منها، الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن سبب إجماع المؤلفين (الصباغ وعلي بن الحاج موسى) عن ذكر هذه الأقوال، هل لأنها ليست من بنات أفكار الشيخ أحمد بن يوسف وليس هو من أبدعها؟. ومن ثمة فهي من تأليف غيره ونسبت إليه عمدا لتكتسب شيئا من بركته وشهرته؟ أم أنها من إبداع الشيخ حقيقة ولكن المؤلفين (الصباغ وعلي بن الحاج موسى) استكفوا ذكرها لما فيها من سوء سمعة، وطابع التجريح الصريح الذي طال سكان المدن والبلدات التي كانت محل سخط أحمد بن يوسف عند نزوله بها؟. لانملك الجواب الحاسم حول السؤالين مع الميل إلى إبعاد الكثير من هذه الأقوال عنه لما عرف عنه من ورع وتقوى.

إنّ الفضل في ظهور هذه الأقوال يعود إلى الدراسات المهمة بالفولكلور الجزائري والتي قام بها باحثون فرنسيون ممن استهواهم الأدب الشعبي الجزائري ابتداء من سنة 1840م، حيث افتتح الباحث "walsin Esterhazy" هذا العهد بدراسة حول "الهيمنة التركية على العاصمة القديمة للجزائر" وخص جانبا من اهتمامه بالحديث عن سيدي أحمد بن يوسف المرابط المشهور في مليانة الذي ترك حكما تحولت إلى أقوال شعبية قالها على كل المدن الجزائرية التي زارها، والتي اكتسبت فيما بعد طابعا شعبيا يتداولها عامة الناس<sup>1</sup>. وقد أمكنه الاتصال بالرواة من تسجيل 12 قولاً أودعاء عن طريق الرواية الشفوية. وتبعه في نفس التوجه الباحث "FL.PHARAON" سنة 1854م بدراسة حول سيدي أحمد بن يوسف ودعاويه وجمع حوالي 16 دعاء أو قولاً. أما "C.DUVERNOIS" فقد ذكر نفس الأدعية التي جمعها "FL.PHARAON"<sup>3</sup> دون أن يشير إلى ذلك وقام بهذه الدراسة سنة 1863م. وتواصل اهتمام الباحثين بسيدي أحمد بن يوسف وخصه "E.DAUMAS"<sup>4</sup> سنة 1869م

<sup>1</sup>-WALSIN ESTERHAZY. De la domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger.paris 1840 .p 164. <sup>1</sup>

<sup>2</sup>-PHARAON.FLORIAN le marabout si-AHMED BEN YOUSSEF et ses Daaoui.revue de l'orient de L'ALGERIE et des colonies. T15 .paris 1854.pp 118-119.

<sup>3</sup>-CLEMENT DUVERNOIS. L'ALGERIE PITTORESSQUE.paris.1863.p102.

<sup>4</sup> -Eugène.DAUMAS .La vie arabe et la société musulmane. Librairie nouvelle .paris1869.p 232.

ببحث جمع فيه ما يقارب 31 دعاء أو قولاً من خلال الرحلات التي قام بها إلى عديد من المدن الجزائرية. ويفتخر "R.BASSET" بالعمل الذي أنجزه حول الشيخ أحمد بن يوسف وبالإضافة التي جاء بها، بعد أن اطلع على مدونات نظرائه السابقين قائلاً: "بينما المدونة التي أقدمها اليوم لاتقل عن 115 قولاً أو دعاء، وتجب الإشارة إلى أنني قدمتها باللغة التي رويت بها، وأن وجود عبارات فضة خشنة دليل على أصالتها الشعبية التي تعكس المستوى الفكري للأهالي"<sup>1</sup>. ويمكن الوقوف على طبيعة هذه الأقوال من خلال تقديم بعض النماذج التي احتوتها مدونات هؤلاء الباحثين مع ملاحظة أن هذه الدعوي لم تستثن حتى مدينة مليانة حيث دفن الشيخ أحمد بن يوسف.

قال الشيخ أحمد بن يوسف عن مليانة التي بها ضريحه:

إذا صبت الملياني يبيع لاتشري منه

ida sobt le Melyani ibéaa. la techri mennou

وإذا صبت الملياني يشري اشر معه.

ou ida sobt le Melyani yecheri. icheri maaou

Si tu trouves le Miliani vendant N'achète rien de lui

Et si tu le trouves achetant Ne manque pas d'acheter avec lui.

وقال عنها أيضا:

اللّي تشوفه قصير (ا) ولحياني، قل هو ملياني

Celui que tu vois petit et barbu . Dis : « C'est un Miliani »<sup>2</sup>

وقال عنها أيضا:

<sup>1</sup>-RENNE BASSET .les dictons satiriques Attribués a sidi AHMED BEN YOUSSEF. journal asiatique (sep.oct) 1890.p205.

<sup>2</sup>- RENNE BASSET .op.cit.P281.

Milianah, de l'eau et des amandes	!	مليانة ما ولوز
Le jeune homme y épouse la vieille		الشاب ياخذ العجوز
Ils aiment dans la sécurité		يعشقو في الغافلة
Et ne disent pas à l'hote		ما يقولو للضيف
passe(ton chemin)		جز <sup>1</sup> .
		إلى أن قال:
A Milianah, les femmes sont des ministrers		في مليانة النساء وزرا
Et les hommes sont des esclaves		والرجال يسرا <sup>2</sup>
		وقال عن تنس:
Ténè		تنس
Batie sur du fumier (des ordures)		مبنية على دنس
son eau est du sang !		ماها دم
son air est du poison !		هواها سم
Par Dieu !ben-youssef ne .		والله بن يوسف ما يبات ثم <sup>3</sup>

<sup>1</sup> -ibid. P281.

<sup>2</sup>- Walsin,ESTERHAZY.Op.cit.P164

- Florian,PHARAON.op.cit.P122.-

- Clement,DUVERNOIS.op.cit.P127.

- Eugène,DAUMAS.op.cit.P235.

- R.,BASSET.op.cit.P281.

<sup>3</sup>- عند روني باسي أضاف عبارة: "صب يا القط Dehore o chat" في آخر القول. ينظر كل من: R.BASSET .P.288

- Florian,PHARAON.p120.

- Walsin,ESTERHAZY .p164

- Clement,DUVERNOIS.p102.

- Eugène,DAUMAS .p 232.

<sup>2</sup> - ينظر:



Passera pas la nuit ici.

وقال عن المدينة:

Médéah !Cadeau(du siel)

المدينة المهدية

le malheur y entre le matin

يدخلها الشر الصباح

Il en sort le soir

ويخرج منها العشية

Si c'était une femme

لوكانت هي مرآة

Je n'épouserais qu'elle<sup>1</sup>

ماناخذ إلا هي

ولما مرَّ بقسنطينة وشاهد علوَّ الصخر الشاهق الذي بنيت فوقه علق عليها

وقال:

يا اللي الغريان تحتكم

ô vous qui êtes au dessus des corbeaux

ينعل (يلعن) من بنا بلادكم.

Maudit soit celui qui a bâti votre ville.

Les oiseaux fientes sur nous

الطيور يزكوا<sup>2</sup> علينا

Et vous fientez sur les oiseaux<sup>3</sup>

وانتم تزكوا على الطيور.

- R.BASSET. op.cit.p277-Walsin ESTERHAZY op.cit.p185.- C.DUVERNOIS op.cit.p.134.-E.DAUMAS. P234.

<sup>2</sup> - ورد هكذا بالألف في الأصل، والصواب بدونه.

R.BASSET.ibid.P292.

<sup>3</sup> - تم نقل القول كما ورد في المرجع (بنا=بنى -يزكوا=يزكو)

وهناك أقوال أخرى وردت في المراجع المذكورة لا تسع مساحة البحث لذكرها جميعاً، وسوف أخصص لها في مستقبل الأيام دراسة مستقلة خاصة بها. ومن أراد المزيد من الضوء عليها فليراجعها هناك في المراجع السالفة الذكر.

### 5.3 نشاطه الدعوي.

لم يكن ذكر الإطار التاريخي لأحداث سيرة أحمد بن يوسف الراشدي مما يهّم الصباغ، ولذلك فقد صرف النظر عن العناية بتاريخ النشاط الدعوي الذي اضطلع به هذا الشيخ، إلى جانب إغفاله ذكر الأماكن التي حل بها، والفترات الزمنية التي مكث فيها. فهل أسس أحمد بن يوسف زاوية واحدة واستقر فيها إلى غاية وفاته؟. أم أن المضايقة الشديدة التي تعرض لها من جانب الأمراء الزيانيين الذين ظلوا يطاردونه على طول المنطقة الغربية الواسعة من الوطن جعله يؤسس زاوية كلما حل بموضع أحسّ فيه بالمنعة والأمن من خطر الزيانيين؟ .

لا يجيبنا الصباغ عن هذه الأسئلة في سيرته المبكرة عن الشيخ أحمد بن يوسف، ولا يذكر من زواياه إلا زاوية رأس الماء التي اضطهده عنها أمراء بني زيان، وأبعده عنها لتعاضم خطره على مستقبل العاصمة الزيانية تلمسان.

فقد ذكرت بعض المصادر أن الشيخ أحمد ابن يوسف قد تخلى "عن زاوية رأس الماء في تاريخ قريب من عام 911هـ/1505م، فهجرتها نهائياً وقضى العقدين المتبقين من عمره في التنقل بين مختلف جهات المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، فنزل بـ "ليل" من وطن "بني وغدو" من شمال "القلعة"، وانتقل منه إلى "مصراته" التي لا تبعد عن "القلعة" كذلك، ثم إلى "تانصرت" القريبة من "مازونة"، وألقى عصا التسيار أخيراً في سهل "شلف"، وقد أسس الشيخ أحمد بن يوسف في هذه المواضع جميعها زوايا تصدر بنفسه لمشيختها"<sup>1</sup>.

وقد كان الصباغ شديد التركيز على زاوية رأس الماء، وبيان أهميتها، ومكانتها،

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي. ص 89 .

ودورها العلمي والاجتماعي، فقال عنها: " إن نساء القواد والأشياخ وغيرهم من جميع الباغضين فيه ألجأهم الله فتحصنوا من الخوف بزوايته المباركة، وتمنعوا بحرمة، وبجاهه عند الله، وقد كانت الزاوية المباركة حصنا منيعا، وحرما رفيعا، يأتي الناس إليها رجالا وركبانا من كل قصر، يتبركون بالشيخ المبارك، الولي السالك، العارف بالله، سيدي أحمد ابن يوسف نفعنا الله به، وما ذاك إلا من كرامة الله له، وفضله، ورحمته"<sup>1</sup>.

ولا شك أن هذا المقتطف من سيرة الصباغ سوف يطلعنا على مختلف الوظائف التي اضطلعت بها الزوايا التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف على عهده، على المستوى الاجتماعي - كالإشفاء، والإيواء، والإطعام - وعلى المستوى العلمي والأمني.

فقد اضطلعت هذه الزوايا بوظيفة الإشفاء من الأمراض والأسقام والأوبئة التي تفشت في ذلك العهد، فقد ذكر الصباغ على مدار صفحات البستان أن الشيخ أحمد بن يوسف قد تصدى للأوبئة والأمراض التي عانى منها كثير من عامة الناس وخاصتهم، وقام بمعالجة عدد من الحالات الخطيرة، وأنقذ المصابين وهم في حالات ميؤوس منها. ومعلوم أن الإشفاء الذي مارسه الشيخ أحمد بن يوسف كان - حسب الباحث عبد الله نجمي - "على صلة بالأوبئة المتفشية على عهده وفتكها بالبوادي، حيث كانت كل الأبواب توصل في وجه المصابين بها إلا أبواب الزوايا. ودور الإشفاء هذا لاينعدم بخفوت سورة الأوبئة وفتور وطأتها، لأنه دور كان يمارسه الشيخ أحمد بن يوسف يوميا، سواء كان المرض وباءا متفشيا أم حالة مرضية عادية يشكو منها زائر أو تابع أو عابر سبيل"<sup>2</sup>. وكان إلى جانب هذا يعالج حالات المس بالجن والعقم والإصابة بالعين وغيرها من الأمراض<sup>3</sup>.

والى جانب وظيفة الإشفاء هذه كانت الزوايا التي أسسها الملياني مراكز لإيواء عابري السبيل، وظلت أبوابها مفتوحة في وجه الزوار القاصدين لها خاصة في السنوات التي تشهد

<sup>1</sup> - "البستان": ص [32].

<sup>2</sup> - عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص 90.

<sup>3</sup> - ينظر: "البستان": صفحات: 6.55.78.86.81.125.189.

القط، وانتشار المسغبة على نطاق واسع. ويذكر الحسن الوزان أن السهل الذي أقيمت فيه الزاوية الراشدية كان خاليا تماما من السكان في عهود سابقة، "إلى أن جاء أحد النساك (يقصد أحمد بن يوسف) على طريقة أهل البلاد، فأقام به مع عدد من أتباعه الذين يرون فيه وليا صالحا، فأمر هذا الرجل بحرث الأرض. وتكاثر بقره وخيله وغنمه، إلى حد أن أصبح هو نفسه لايعرف عدد رؤوس تلك الماشية، إذ لا يؤدي هو ولا ذوهه أية إتاوة للملك، ولا للأعراب، لأنه يعد كما قلت من الأولياء. وقد أخبرني كثير من أتباعه أن عشر أراضيّه يصل إلى 8000 كيل من القمح في السنة، وأن له زهاء خمسمائة من الخيل ذكورا وإناثا، وعشرة آلاف من الغنم، وألفين من البقر، وإنه يتوصل سنويا من مختلف الجهات بمبلغ يتراوح بين أربعة آلاف وخمسة آلاف مثقال نذورا وصدقات من أناس مختلفين، لأن صيته انتشر في آسيا وإفريقيا بأكملها، وتزايد عدد مريديه إلى حد أن الذين يعيشون منهم معه يبلغ عددهم حوالي خمسمائة مريد، وبذلك أخذ يتقاطر عليه جمهور غفير من الناس يطعمهم جميعا [...] يملك هذا الشيخ مائة خيمة بعضها مخصص لإيواء الغرباء، وبعضها لرعاته، والبعض الآخر لعائلته"<sup>1</sup>. ويبدو أن الحسن الوزان قد رغب في التعرف أكثر على هذا الشيخ الذي حل ضيفا عنده وهو في ركب الحجيج الفاسي عام 921هـ/1516م، ونقل إلينا صورة حية عما شاهده من الشيخ، وفي ذلك يقول: "أقمت عنده ثلاثة أيام كاملة كنت أخلو به كل ليلة وأتناول معه طعام العشاء في حجرة خاصة، ومن الأشياء التي أطلعني عليها بعض الكتب الخاصة بالسحر، والكيمياء، محاولا أن يبرهن لي على أن السحر علم لدرجة أنني جعلت أتهمه بأنه ساحر، وذلك لاني رأيت الناس يبالغون في تقديسه وتعظيمه، دون أن يفعل أو يقول أو يخترع شيئا آخر غير ما وصفته من دعاء الله بأسمائه الحسنی"<sup>2</sup>.

ومهما كانت حقيقة الصورة التي نقلها إلينا الوزان عن الشيخ أحمد بن يوسف، فقد وقف عيانا عن صورة الشيخ كقائد زاوية، لها دورها الاجتماعي الرائد في إيواء الناس، وإطعامهم، وأنه أوقف جميع ما تملكه الزاوية في سبيل إقراء الضيوف، وعابري السبيل، والأخذ بيد الفئات المحرومة من الفقراء، والمحرومين في ذلك العهد.

<sup>1</sup> - الحسن الوزان: ص 29 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص 29 .

وإذا كان هذا هو حال الزاوية الراشدية في الشأن الاجتماعي، فإن دورها العلمي لا يقل أهمية عن دورها الاجتماعي "فقد ساهمت بنصيب الحركة الفكرية في هذا الطور الخامل من أطوارها في تلمسان خلال الربع الأول من القرن 10/هـ 16م"<sup>1</sup>.

وبالنظر إلى سعة عمرانها ووفرة مواردها على ما تم ذكره، فإنها بحق تعد مركزا علميا بارزا في المنطقة الغربية "بما تيسره من أسباب العيش للأساتذة والطلبة، ولما توفره من دعة واطمئنان في هذا الزمان المتمسم بثوران الفتن، ولا ينبغي أن يعزب عن بالنا أن الشيخ أحمد ابن يوسف متصدر مشيخة هذه الزاوية كان شخصية ذات خطورة واعتبار في مضمار العلم ظاهره وباطنه، وهذا بشهادة واعتراف معاصريه، من العلماء المعترين "كعبد الله الهبتي" من غمارة غربا و"محمد بن علي الخروبي" من طرابلس شرقا، وأنه كان يصرف جزءا من يومه في عقده مجلس الدرس في زاويته، كما يصرف الجزء الآخر في حضور مجلس الذكر والورد، وعليه ينبغي أن ينزل الشيخ أحمد بن يوسف المكانة العلمية التي يستحقها في هذه الفترة، وإن لم يكن من أعلام تلمسان وإنما من أعلام محيطها الفكري، والثقافي. وقد اجتذبت الزاوية الراشدية عددا من العلماء والأساتذة الذين انتصبوا للتدريس فيها، إلى جانب الشيخ أحمد بن يوسف، وغالبيتهم من تلامذته من أهل المغرب الأوسط، ونعرف من العلماء الذين وفدوا على هذه الزاوية من المغرب الأقصى "محمد بن عبد الحبار الفجيجي"، و"عبد الله الخياط"، و"محمد بن علي الحاج الشطيبي"، ومن طرابلس "محمد بن علي الخروبي"، وقد استقر هؤلاء الأعلام في هذه الزاوية مدة. ولا شك في اشتغالهم بالتعليم والإفادة زمن نزولهم بها، وهذا يظهر لنا الدور الذي لعبته الزاوية الراشدية في مضمار التعليم، وأنها قد بزت تلمسان في هذه الفترة وفاققتها"<sup>2</sup>، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما أصاب تلمسان من اشتداد التنافس على عرشها من قبل الحكام الأشقاء من آخر سلالة بني زيان، وقتال بعضهم

<sup>1</sup>- عبد الله نجمي: ص 93.

<sup>2</sup>- المرجع السابق. ص 93.94.

بعضاً. وقد أثر ذلك العهد أيما تأثير على الوضع الداخلي العام، فكثرت الفتن، وانتشر الخوف، وغاب الأمن، وانطفأ نور المعرفة الذي عرفت به تلمسان بسبب هجرة علمائها خارجها، وانتشرت اللصوصية، وتفشيت ظاهرة السرقة، في محيط الناحية الغربية للمغرب الأوسط، موازياً مع موجات القحط التي أصابت المنطقة، وتداعي أسس المملكة الزيانية، وفقدان سيطرتها على الأمن الداخلي. كل هذا أدى إلى بروز عصابات، وقطاع طرق، يعيشون على النهب، والسلب، فتعرضت القوافل التجارية، وكذا قوافل الحجاج، للسرقة، والسلب على يد هذه العصابات، وكان الشيخ أحمد ابن يوسف قد تعرض هو نفسه إلى خطر هذه العصابات، وسعى إلى مواجهتها وقتالها، حفاظاً على أمنه وأملاكه وموارد زواياه. وإلى جانب خطر العصابات وجماعات الأشرار الذين خاض الملياني حرباً ضدهم فقد وقفت القبائل الهلالية ضد نفوذه، وحاولت الحد من امتداد سلطته على إقليم شمال القلعة، من وطن "هواره" حينما هاجر إلى منطقة يقال لها "يلل" من "بني وغدو" هرباً من ملاحقة الزيانيين له. وباستقراره بهذه المنطقة سوف يدخل الشيخ أحمد بن يوسف "مجال نفوذ أعراب سويد، الممتد من هضاب وسهول السرسو إلى وادي مينا، وسيتأثر تاريخ الزوايا التي أسسها في هذا المجال بأحداث الحركة القبلية الكبرى التي كانت تتم في هذا التاريخ، والتي ستنتهي باستقرار القبائل الهلالية بين قبائل بني راشد الزناتيين، وقبائل بني توجين المستقرين في جبال الونشريس، وستصبح هذه الزوايا طرفاً في الصراع المحلي الدائر بين معاشر "هواره"، وهذه القبائل الهلالية، وهو صراع كان سجالاتاً بين مستقرين ومشتغلين بالفلاح والرعي، وبين بدو ديدنهم الغارة وقطع الطريق، وسيقوم الشيخ أحمد بن يوسف بدور قيادي فيه"<sup>1</sup>.

وقد أطلعنا الصباغ على ظروف رحلة شيخه فقال: "ارتحل مشرقاً إلى موطن يقال له "بني وغدو" من وطن "هواره" حماها الله، فعرض له بعض سويد، ورأوا بغالا وخيلاً وغنماً وبقراً فتحدثوا بأخذها فيما بينهم، وأطلع الله على ذلك فأخذ الشيخ حجرين صليدين أملسين

<sup>1</sup>-المرجع السابق: ص94.95.

في يده وقال للأعراب الذين أضمروا له الخديعة والسوء: انظروا لهذين الحجرين، فحكهما بيده فصارا ترابا كالدقيق المغرل، فنفخ فيه الشيخ والأعراب ينظرون، فقال: هكذا يفعل الله بكل من أضمر لنا سوءا، فنزلوا عن خيلهم، وقبلوا يد الشيخ ورجليه وانصرفوا<sup>1</sup>.

وإذا كانت هذه المواجهة قد أسفرت عن توبة هذه الطائفة من القبائل الهلالية وخضوعهم تحت سلطة الشيخ أحمد بن يوسف، فإن المواجهة مع فصائل أخرى من بني هلال من بطون "سويد" ورؤسائها، اتسمت بالعداء، إذ لم يتورعوا عن مداهمة قافلته، والإغارة على مسارحه، وسلب أنعامه ونهب مطامير حبوبه، وكانوا يلقبونه بأبي الخوص\*. وعلى الرغم من تواضع الإمكانيات الدفاعية لأهل الاستقرار، وتفوق الإمكانيات الهجومية لأهل الترحال والإغارة، من رباط الخيل، والدربة على الفروسية، وامتشاق السلاح، فإن الشيخ أحمد ابن يوسف كان يرد غاراتهم بالافتتال، وحمل السلاح، ويقف في وجه من اعترضه منهم ويتعقب من طمع من ماله منهم<sup>2</sup>.

هذه إذن مجمل الأدوار والوظائف التي اضطلعت بها الزوايا التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف على عهده وهي أدوار ووظائف ما كان ليقوم بها لولا الفراغ السياسي والاجتماعي والأمني الذي خيم على ربوع المنطقة الغربية، وسائر مناطق الوطن الجزائري المريض إذ ذاك. وقيام أحمد بن يوسف بهذه الأدوار أكسبه شهرة واسعة، وتعلقت به أفئدة العامة لما وجدت فيه، وفي دعوته من سند قوي، في الأخذ بيد الضعفاء، والذود عن حمى الوطن، ومقومات الدين الإسلامي ضد الحملات التنصيرية، التي تقودها الإمبراطورية الإسبانية إذ ذاك.

<sup>1</sup> - "البستان". ص[11و].

\* الخوص معناه ضيق العين مع غورها، وهو عيب خلقي.

<sup>2</sup> - عبد الله نجمي : المرجع السابق. ص95.

### 6.3 محتته مع ملوك بني زيان.

شهدت المرحلة الأخيرة من عمر مملكة بني زيان أوضاعاً اجتماعية ساخنة، وأحداثاً سياسية دامية، كان أبطالها الإخوة الأشقاء الثلاثة: أبو عبد الله الثابتي، وأبو حمو الثالث، وأخوهما المسعود، هؤلاء الأشقاء دخلوا في صراع ناري، وحرب لا تعرف هودة حول زعامة المملكة وقيادتها، وتم استغلال هذه المرحلة على ضعفها واضطرابها من قبل الإسبان الذين تمكنوا من احتلال المرسى الكبير عام 911هـ/1505م، وبعدها وهران، ثم بجاية، في أقل من عقد من الزمن، حدث هذا وأمراء بني زيان يتفرجون على التمزق الذي يشهده الوطن. ونتج عن الموقف المخزي الذي شهد فترة حكم أبي عبد الله الثابتي لمملكة تلمسان ما بين 910هـ-923هـ/1504-1517م غضب السكان ورجال الدين، وكان الشيخ أحمد بن يوسف قد تزعم حركة التمرد على هذا الحاكم رغم أن بعض المصادر تشير إلى أن الخلاف بين أبي عبد الله والشيخ أحمد بن يوسف يعود إلى تاريخ سابق لاحتلال الإسبان المرسى الكبير، وعزت هذه المصادر الخلاف إلى "معارضة إخوان الطريقة الراشدية إطلاق الأمراء الزيانيين يد اليهود في السياسة المالية"<sup>1</sup> للإمارة، وكانت هذه المعارضة سبباً في ما تعرض له الشيخ أحمد بن يوسف من متاعب فيما بعد.

وقد أورد الصباغ خبراً يؤيد هذه الحقيقة من إطلاق يد اليهود وتوليهم مناصب سياسية حساسة في إمارة تلمسان، وفي ذلك يقول: "قدم سيدي أحمد بن يوسف من رأس الماء إلى وهران فتقدم قائدها فلم على الشيخ، ثم إن رجلاً من أصحابه يسمى سعيد أعراب قال له هذه السلطنة ليست كسلطنة اليهود أو كلام نحو هذا فغاضه ذلك وأسره في قلبه، ثم إنه كتب للأمير أبي عبد الله في تلمسان يخبره . فقيل للشيخ إن القائد كتب لأميره يخبره بما قال صاحبك، فأتى الشيخ لأهله برأس الماء، ثم إن الأمير أبا عبد الله مع مزواره كتب لقائد وهران وقال له: احبسه وابعثه إلينا، وإلا فاقطع رأسه، ثم إن قائد وهران بعث الكتاب إلى قائد بني راشد "أحمد بن أبي غانم". ولما بلغه أطلع الشيخ عليه وقال له ارتحل من وطنهم، فدعا

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 98.



الشيخ على ملوك بني زيان، وقال في دعائه: شوشونا شوش الله عليهم في البر والبحر<sup>1</sup>. وفضل نصيحة قائد بني راشد "تمكن شيخ الطريقة الراشدية من الإفلات من قبضة الأمير أبي عبد الله الذي أهدر دمه باللجوء إلى مواطن هوارة الخاضعة لنفوذ سويد"<sup>2</sup>. وخلال هذه المدة كان الأمير أبو عبد الله قد ارتقى في أحضان الإسبان، وتحالف معهم ضد القوات التركية التي حررت قلعة بني راشد، غير أن الحصار الذي فرضه عليها أبو عبد الله بمعية الإسبان أدى إلى سقوطها واستشهاد البطل إسحاق الأخ الأصغر لعروج وخير الدين وصديقه الأسكندر مع عدد كبير من المجاهدين.

وكان الأخوان أبو حمو والمسعود قد فرا إلى فاس خوفا من ملاحقة أخيهما أبي عبد الله فمكثا هناك مدة وعادا مرة أخرى فتوجه أبو حمو إلى وهران في حين دخل المسعود "في عمالة خير الدين وبعث إليه يستألفه ويستعين به على ملك تلمسان، فركن خير الدين إليه ووافق على ما أراده منه لما كان في قلبه على صاحب تلمسان (الأمير أبي عبد الله) من الأحقاد المتواصلة، فبعث إلى أشياخ العرب كتابا يدعوهم فيه إلى خلع صاحب تلمسان وبيعة أخيه هذا وكان اسمه المسعود، فأجابه كافة العرب إلى ذلك، واجتمع مع المسعود المذكور العشرين ألفا منهم، وبعث إليه خير الدين بطائفة من العسكر، فذهب مسعود بمن معه من العرب والعسكر الذي وجهه إليه خير الدين إلى تلمسان ففر صاحبها، ودخلها مسعود وأقام بها سلطانا تحت نظر خير الدين،

فلما رجع عسكر خير الدين إلى الجزائر حدثته نفسه الاستقلال بالمملكة، والخروج عن طاعة خير الدين، فبعث إلى أهل وهران من النصارى يصل يده بيدهم، ليكونوا يدا واحدة على حرب أهل الجزائر من طائفة الأتراك ونزعها من يدهم، فسمع بذلك خير الدين فوجه إليه كتابا يلومه فيه على ما فعل ويخوئه عاقبة أمره، ويقول له فيه: إنك إن تماديت على موالات النصارى، والانحياز إليهم، فلا بد لي أن أنتقم منك غاية الانتقام، وأجعلك حديثا

<sup>1</sup> - "البستان". ص(11).

<sup>2</sup> - سويد إحدى قبائل بطون بني هلال، كان لها شبه استقلال عن إمارة تلمسان. عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص98.

بين الأنام، فانظر لنفسك، وجدّد إسلامك، وثبّت أقدامك، وثبّ إلى الله عز وجل من هذا الذنب العظيم، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات<sup>1</sup>.

وكان خير الدين قد أمهل المسعود ليتوب عما فعله وإلا أجهز عليه ليخلص تلمسان من يده، وفي هذه الأثناء سمع الأمير المخلوع أبو عبد الله المقيم عند النصارى في وهران بما جرى بين خير الدين وأخيه المسعود، فاغتمت هذه الفرصة واتصل بالشيخ أحمد بن يوسف ليتوسط له مع خير الدين لعلمه بمكانته عنده قصد تملك تلمسان مرة أخرى .

وقد نقل صاحب المخطوط السابق "غزوات عروج وخير الدين" هذا الخبر حرفياً وجاء فيه أن الأمير أبا عبد الله طمع في العودة إلى ملك تلمسان "فبعث إلى رجل صالح من صلحاء الوطن (أحمد بن يوسف الراشدي) يتشفع به إلى خير الدين، وكان ذلك الرجل حضياً عند خير الدين لا يريد له أمراً، وكان من جملة ما قال صاحب تلمسان المستقر عند النصارى إن خلصني خير الدين وردني إلى ملكي أكون عبداً من عبده [...] كيف يشاء يتصرف وأنا تائب إلى الله من مخالفته والخروج عن أمره، فتوجه ذلك الرجل الصالح (يقصد أحمد ابن يوسف) إلى خير الدين بالجزائر لرسم الشفاعة لصاحب تلمسان، فلما قدم على خير الدين أجلّ لقاءه وأكرم نزله وبالغ في تعظيمه. وعرض عليه الشيخ شفاعته في صاحب تلمسان المخلوع، فكان من جملة ما قال له خير الدين: أيها الشيخ إن ذلك الرجل قد رسخ الكفر في صدره، وهذا القبيل من ملوك تلمسان لا يُقَرُّون بخير، ولا يشكرون على نعمة، ولا يقابلون الجميل إلا بالقبح، انظر إلى أخيه المسعود كيف أعنته على الملك، وبعثت إلى أشياخ العرب بطاعته والانحياز إليه، ووجهت إليه بطائفة من العسكر إعانة على ملك تلمسان، فلما حصل عليها واستقر بها ونشبت مخالفته في الوطن أنكر الإحسان الذي أسلفته إليه، وقابل الجميل بالقبح، وصار يستعين بالنصارى على حربنا، ويحثهم على الإجلاب علينا، وأنت أيها الشيخ تعلم هذا وحاشى أهل الإسلام أن يكون منهم هؤلاء القوم. ولكن لأجلك أيها

<sup>1</sup> - غزوات عروج وخير الدين: مخطوط رقم 1623. المكتبة الوطنية الحامة. ص 35.

الشيخ أقبل هذا العذر الذي اعتذر به هذا الخائن وأتجاوز عما فرط منه، ثم إن خير الدين بعث إليه ليقدم عليه بالجزائر ويتفاوض معه في أمر تلمسان...<sup>1</sup>.

ثم إن المسعود لما سمع بحملة خير الدين على تلمسان فر من المدينة مع مائة فارس من خواص أتباعه حين داهمته القوات التركية، ولما استولى العسكر بصفة نهائية على مدينة تلمسان "بعثوا بخبر فتحها إلى خير الدين، وطيروا إليه الكتاب، فسر به سرورا عظيما، ووجه إليهم كتابا يقول فيه: إني قد جعلت مولاي عبد الله سلطانا على أهل تلمسان فاخلعوا عليه الخلعة الملوكية بشرط أن تكون السكة والخطبة لمولانا السلطان الأعظم "سليمان خان"، ولأمدخل له هو في شيء من ذلك، فرضي بذلك مولاي "عبد الله" وألبس خلعة الملك وجلس في القصر"<sup>2</sup>.

ونستفيد من هذا الخبر أن الشيخ أحمد بن يوسف كانت له اليد الطولى في إرجاع مولاي عبد الله إلى سدة الملك، وعلى الرغم مما سبق له من مضايقة وتهديد بقتله تجاوز عن ذلك وصفح عنه ومكنه من جديد من الملك، وهذا دليل قوي على أن معارضة الشيخ أحمد بن يوسف للأمراء الزيانيين ليست معارضة من أجل مزاحمتهم في الحكم، وتولي سدة عرش مملكة تلمسان، بل كانت معارضته لسياستهم الاستسلامية، وارتمائهم في أحضان النصارى، والاستعانة بهم لتثبيت حكمهم، ومحاربة القوات التركية الإسلامية التي جاءت لتتفد الوطن من مخالب النصارى الإسبانيين.

فالملاحظ أن العلاقة بين الأمير أبي عبد الله والشيخ أحمد بن يوسف عادت إلى مجراها الطبيعي بمجرد توبة الأمير المذكور واعترافه بخطئه، هذا ولم ينته مسلسل المضايقة والتشديد على نشاط الشيخ أحمد بن يوسف مع الأمير أبي عبد الله حتى جاء عهد الأمير أبي حمو سنة 922هـ/1516م بدعم من النصارى الإسبانيين، وقد أخذ هذا الأمير عهدا

<sup>1</sup> - غزوات عروج وخير الدين. ص36.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص36.

بمحاربة الأتراك العثمانيين وربط وصاله بالنصارى، الأمر الذي أغضب الشيخ أحمد بن يوسف ورجال الدين بصفة عامة، وكان وقوفه إلى جانب خير الدين سببا في دخوله "سجن تلمسان على يد الأمير أبي حمو"<sup>1</sup>.

وقد أورد كل من الصباغ وعلي بن الحاج موسى تفاصيل وقوع الشيخ أحمد ابن يوسف في سجن تلمسان، وكيف أن الأمير أباحمو اختبر مواهبه وقدراته "بأن جعل له على الطعام دجاجة ميتة وأخرى مذكاة وأتوه بالطعام والدجاجتين، فقال هذه حلال مذكاة وهذه حرام ميتة، واختبره أيضا بأن بعث الذبائح فدخل في البيت الذي فيه الشيخ فلم يجد أحدا قال الشيخ وأنا أنظر إليه ثم رجع للأمير وقال له لم أجد أحدا، فرده ثانيا وثالثا فلم يجد أحدا ثم أتى الأمير بنفسه فلم ير أحدا، والشيخ ينظر، وقد أخذ الله أبصارهم عنه، فبعد ساعة قال الأمير للشيخ اذهب قد سرحتك فقال الشيخ للرسول قل له لا أخرج حتى تخرجوا جميعا لأن الله سجنني ها هنا أو كلام يقرب من هذا. ثم بعد أيام قدم الأمير التاشفيني مسعود حاركا إلى أخيه فهرب أبو حمو إلى وهران ودخل مسعود لموضع أخيه في تلمسان وخرج الشيخ ولم يطلقه أحد لتوكله على مولاه"<sup>2</sup>.

وعلى كلِّ فإن حاصل ما أورده الصباغ بشأن علاقة الشيخ أحمد بن يوسف بالأمرء الزينيين لم يكن شافيا وافيًا، ولم يوضح لنا الصورة الحقيقية التي طبعت تلك المرحلة القاتمة من تعاقب الأمرء الأشقاء على سدة الحكم وزحزحة بعضهم بعضا بالقوة على العرش، ذلك لأن الصباغ اعتمد على الروايات الشفوية ولم يكن قد عايش تلك الأحداث لصغر سنه فلم يكن يهيمه تأريخ الأحداث بتفاصيلها وتعاقبها، ولم يكن يهيمه أيضا صراع هؤلاء الأمرء ضد بعضهم إلا من جانب إظهار كفاءة شيخه وقدرته الخارقة على مغالبتهم، وتحديدهم وإقرارهم العجز أمام مواهبه وكراماته، وكان لزاما علينا الاستعانة ببعض المصادر التاريخية المهمة

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي. ص 99.

<sup>2</sup> - "البستان". ص (4 ظ).

بتلك المرحلة لمعرفة مصير هؤلاء الأمراء في الحرب الطاحنة ضد بعضهم البعض ووقوعهم فريسة بين النصارى الإسبانيين والقوات التركية، فكانت المصلحة الذاتية سمة سياستهم تجاه ظروف ذلك العهد، فكانوا يميلون حيث تميل موازين القوة بين القوتين المتصارعتين على عرش تلمسان ونعني بهما الأسطول الإيبيري والأسطول العثماني .

فالمصادر التاريخية تُميط اللثام عن المناحي التي سكت عنها الصباغ في البستان وتبرز بكثير من الدقة الظروف التي تم فيها اعتقال الشيخ أحمد بن يوسف وتقول هذه المصادر إن "الأمير أبا حمو بعث إليه بالأمان حتى تمكن منه فأودعه سجن تلمسان، ولم تترك المنون فرصة للأمير أبي حمو لينفذ حكمه من الشيخ أحمد بن يوسف إذ عالجتة في نفس العام (924هـ/1518م)، وفشلت بوفاته الفئة التلمسانية التي وصلت حبلاً بالإسبانيين. ذلك أن أخاه وخليفته على عرش تلمسان الأمير عبد الله كان يرى في أول الأمر وجوب سلوك سياسة الحياد بين الإسبانيين والعثمانيين، ثم ما لبث أن فكر في الاعتماد على خير الدين فأبقى على الشيخ أحمد بن يوسف لعلمه بمكانته عنده وكان هذا الأمير قد أبعد شقيقاً له يدعى المسعود عن تلمسان\*، بعد تسنمه عرشها، فسبقه هذا الأخير إلى خير الدين الذي أعانه في قيامه على أخيه واحتلاله لتلمسان عام 925هـ/1519م. وبإيع الأمير المسعود السلطان سليمان العثماني، وبذلك يكون الشيخ أحمد بن يوسف قد قضى في سجن تلمسان الشهور الأخيرة من حكم أبي حمو ومدة حكم شقيقه عبد الله بأكملها، ولم يفرج عنه إلا بعد دخول أخيهما المسعود تلمسان محمولاً على أكتاف الأتراك"<sup>1</sup>

هذه إذن هي الصورة التي كشفت عن طبيعة العلاقة المتوترة بين الشيخ أحمد ابن يوسف والملوك الزيانيين، والمصاعب الجمّة التي تعرض لها، والمحن المختلفة التي مرّ بها

\* - يورد علي بن الحاج موسى في "الريح" نصاً آخر يذكر فيه سوء العلاقة بين الأمير عبد الله وبين ولد الشيخ سيدي محمد ابن مرزوقة إذ عزم على قتله [...] فلما سمع الشيخ بما جرى لابنه مع الأمير المذكور قال الشيخ في غير حال أبذل الله ملكهم من غير تعب بمن لا يعرف لغتهم وجعل عليهم الظلم كما ظلموا إلى يوم الدين ...

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي . ص 101.102.

في فترة حكمهم، وكشفت هذه الصورة أيضا عن دور الزاوية الراشدية في تعديل موازين القوى في ذلك العهد، وترجيحها لصالح التمكين للأتراك الذين وضعوا ثقتهم في رجال الدين والتصوف، وعلى رأسهم الشيخ أحمد بن يوسف عشية تألق نجمه في سماء المنطقة الغربية من الوطن.

### 7.3 علاقته مع الأتراك العثمانيين

هذا وقد بلغت شهرة أحمد بن يوسف الراشدي الآفاق وتعدت مبادئ طريقته حدود المنطقة الغربية للمغرب الأوسط، ووصل تأثيرها الى الإقليم الشرقي للمغرب الأقصى، وصار نفوذه يتقوى مع مرور الوقت، وأضحت زاويته في رأس الماء كعبة المريدين، وقبله الطلبة المتعطشين لطلب العلم، واتسعت رقعته، وكثرت أملاكه وأرزاقه، وكان هذا مدعاة لأن ينظر إليه أمراء بني زيان بعين السخط والريبة، فقد أقلقتهم مواقفه العدائية ضدهم وخروجه عن طاعتهم، خاصة بعد أن لاحظ الملياني وغيره من العلماء ورجال التصوف فساد مملكة بني زيان وركون أمرائها إلى النصارى الإسبانيين واللجوء إليهم لحماية عروشهم التي أخذت تتهاوى تحت أقدام الغزاة الإسبانيين.

لقد سجل معظم العلماء ورجال الدين تخاذل ملوك تلمسان عن الذود عن الوطن والدين، ورد العدوان المسيحي الجاثم على أراضيهم، ولذلك كان الرأي العام الداخلي لأهالي المملكة مستعدا لإعلان عصيانه ضد سلطة الإمارة التي أثقلت كاهله بالضرائب المرتفعة التي كانت تدفع إلى الإدارة الإسبانية المتواجدة بإقليم المرسي الكبير ووهران. وفي نفس الوقت كان الانتداب التركي قد حل على مدينة الجزائر وضواحيها وبدأت سيطرته على المدن الساحلية القريبة من العاصمة تعطي ثمارها، وتطرد فلول النصارى الإسبانيين المحتلين لها، فكانت هذه الانتصارات قد أفرحت رجال الدين والعلماء وأثلجت صدورهم، ورحبوا بصفة رسمية بالتواجد العثماني على أرض الجزائر، وفي الوقت نفسه فقد أحس الأتراك بقيادة عروج وخير الدين أن "أقرب الناس إليهم هم رجال الدين والتصوف، ومنذ بداية

العهد لاحظنا أن العثمانيين كانوا يطمئنون إلى المرابطين أكثر من غيرهم، فيلجأون إليهم ويتبركون بهم، ويطلعونهم على خطتهم، ونحو ذلك مما يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين<sup>1</sup>.

وهناك روايات تؤكد تعاضم التأثير الروحي لأحمد بن يوسف الملياني على أتباعه مما جعل أمراء بني زيان "يخشون دعوته بعد أن اشتهر أمره والتف حوله الناس كقطب من أقطاب الطريقة الشاذلية، فحاولوا الحدّ من نشاطه ووضعته تحت نفوذهم، فدعا عليهم دعاء يذكرنا بدعاء محمد الهواري على أهل وهران"<sup>2</sup>. فقد ذكر الصباغ وقوع أحمد بن يوسف في قبضة أمراء بني زيان وقضائه سنوات في سجونهم، وقد دعا عليهم بخراب مملكتهم وقال: "شوشونا شوش الله عليهم في البرّ والبحر" ويذكر الصباغ أن الملياني قد سعى إلى التحالف مع الأتراك بعد خروجه من السجن. فجاءته فرصة لقائه "بعراج التركي (عروج) بكرشطل" ناحية وهران، وكان مع عراج التركي رجل مراكشي قد حبسه معه في البحر لشجاعته، فقال ذلك الرجل المراكشي لعراج سر بنا لهذا الشيخ نتبرك به لأن له بركة عظيمة، فقال له عراج إن خرج على ما في ضميري فأنا أتبرك به، فذهب عراج وأصحابه فسلموا على الشيخ (أحمد بن يوسف) ففرح بهم وقال لعراج قبل أن يتكلم أنت عزمت على العدو بأصحابك، فعقد عراج يديه وقبل رجلي الشيخ [...]. ثم طلب منه الدعاء فدعا له، ثم قال له إن أصابك هول أو عدو أو ريح في لجج البحر فقل ثلاث مرات يا أحمد بن يوسف فأنا أغيتك بعون الله"<sup>3</sup>.

ويذكر الصباغ أن الأتراك تحالفوا فعلا مع أحمد بن يوسف الملياني ضد أمراء بني زيان، واستعانوا به كحليف لهم، وأطلعوه على خطتهم للاستيلاء على تلمسان، وتذكر

<sup>1</sup>- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي. ج1. ص 464.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه. ج1، ص464.

<sup>3</sup>-ينظر البستان. ص (10ظ).

الروايات: "أن عروج قد زار الملياني واتفق معه سرا على عدة أمور منها إعلان الملياني وأتباعه تأييدهم للعثمانيين بينما تعهد عروج بعدم التعرض للملياني ونسله ولمن تعلق به"<sup>1</sup>. وفعلا فقد تحققت مساعدة الملياني وأتباعه للأتراك، ووقوفه إلى جانبهم طيلة العهد التركي، وقد ذكر الصباغ أن والده قد استشهد في المعركة التي وقعت بين الأتراك وجيش أبي حمو المدعوم بالنصارى الإسبانيين عام 924هـ<sup>2</sup>، وقد اعترف الأتراك بقيادة خير الدين بربروس بالدور الكبير الذي لعبه الملياني وأتباعه لصالحهم.

وتذكر المصادر أنه بعد نجاح الخطط العثمانية واستقامة أمر الجزائر تولى خير الدين زمامها "وأصلح شأنها وسدَّ خللها جعل هدية تزيد على الأربعة آلاف دينار سوى الأثاث ومايناسب الملوك، كما يهدي العامل لسيدته وبعثها للشيخ أحمد بن يوسف مع أخيه عروج فقبلها الشيخ منه ودعا له، فعند ذلك كتب له الشيخ وقال له إن حكمك لا يجري علينا ولا على نسلنا ولا على من تعلق بنا وبنسلهم، فإن وفيتم أحسنتم وإن خالفتم عوقبتم، فلما بلغ الكتاب لخير الدين المذكور بعث مكتوبا للشيخ رضي الله عنه حين كان في مزهران بالقرب من مستغانم فلما توفي الشيخ انتشر حكم الترك في جميع المدن، وقبائل العرب، فذهب ابن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف وهو السيد عرف بـ"ابن مرزوقة" إلى خير الدين باشا فأكرمه غاية الإكرام، وفرح به غاية الفرح، ودفع له ما يكفيه من المال، وبعثه أميرا على ركب الحج ليلبغ أمانة بيت الله الحرام مكة والمدينة

وكان خير الدين باشا جعل هدية للشيخ سيدي أحمد بن يوسف في الجزية ما قدرها ثمن صاع جزائري من المال لطلوع ركب الحج فطلع كما ذكر مع السيد محمد المذكور ثلاثة أعوام وبقيت الإمارة في ذريته إلى أن انتقلت إلى المرازقة الذين هم في واد الحمول من

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج1، ص 465.

2- ينظر البستان . ص (6).



عمالة المدينة من ذرية سيدي محمد بن مرزوقة المذكور وبقيت الهدية عليهم مجرية<sup>1</sup> ودام التحالف بينهم وبين الأتراك إلى غاية الغزو الفرنسي للجزائر<sup>2</sup> سنة 1830م. ويذكر "بودان BODIN". "أن الداوي حسين وهو آخر دايات الجزائر قد تزوج بإحدى حفيدات الملياني في بداية القرن 19<sup>3</sup> وذلك عرفانا بالدور السياسي الكبير الذي لعبه الولي القطب أحمد بن يوسف الملياني وذريته وأحفاده من بعده، وتعاونهم المطلق مع الأتراك العثمانيين في سبيل التمكين لهم على أرض الجزائر والقضاء على فلول الاحتلال الإسباني لمختلف الثغور البحرية لشمال الجزائر. وأن الأتراك العثمانيين مازالوا مقتنعين بقدرة حفدة سيدي أحمد بن يوسف "على إعانتهم في توطيد سلطتهم على القبائل، ومن أجل هذا بذلوا جهودهم في الحفاظ على ذكراه، وتقوية نفوذه روحيا حتى يكون كالقطب الجاذب المساعد على تهدئة الفتن بين سكان الجبل، وعلى كبح الفوضى المزمنة في قبائل السهل. ولأجل هذا شيّدوا على قبره الحقير ضريحا ومسجدا، كلاهما فاخر بناهما من مالية باي وهران محمد الكبير المتوفى سنة 1213هـ/1799م أحد حفدة سيدي أحمد بن يوسف اسمه الخلافي<sup>4</sup>. ولكن حسب ما هو مدون في اللوح الرخامي المثبت على الضريح فإن تاريخ بناء الضريح والزاوية في سنة 1774م، بأمر من محمد الكبير باي وهران.

### 8.3 وفاته

اختلف المترجمون لأحمد بن يوسف الراشدي في تحديد سنة وفاته، كما اختلفوا في ضبط تاريخ ميلاده - كما رأينا - واضطرت أراؤهم، وذهبوا في ذلك طرائق قديدا، وعلى الرغم مما يتميز به المستشرقون من الدقة والانضباط فيما يقدمونه من معلومات، فإن البعض منهم ممن ترجموا للراشدي قد وقع فيما وقع فيه المترجمون المحليون من مجانبة

1- الريح . ص 135.

2-BODIN. P183.

Ibid P134.

3- ينظر أيضا سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي. ج1، ص470.

4- حاج صادق: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ص 108.109.

الدقة، والضبط، فيما يقدمونه من أخبار وخاصة ما تعلق بتاريخ الوفاة. ويظهر جليا من هذا الاضطراب الحاصل لدى هؤلاء عدم اطلاع كثير منهم على مخطوط الصباغ، ومالوا إلى نقل ماتعلق بحياة الملياني وأخباره من مصادر غير أصيلة، تعتمد على الظن، والتخمين، والأخذ بالروايات الشفوية التي يعوزها التدقيق والتحقيق. فقد ذكر أبو القاسم الحنفاوي أنه توفي سنة 927هـ، وقد نقل ترجمته من كتاب "مرآة المحاسن"<sup>1</sup>. أما صاحب "دوحة الناشر" فقد ذكر أنه توفي في العشرة الثالثة<sup>2</sup>.

ومن الغريب أن نجد حاج صادق نفسه قد ساق أكثر من تاريخ لوفاة الملياني ولم يستقر رأيه عند تاريخ معين على الرغم من اطلاعه على مخطوط "البستان" وإفادته منه بشكل يجعل العمل الذي قام به حول "مليانة ووليها" يتكئ بشكل أساسي على هذا المخطوط. وبشأن تحديد تاريخ وفاة الملياني يقول: "لا خلاف في مكان وفاة سيدي أحمد ابن يوسف ببلدة براز التي سميت من بعد بالخربة، وبالعامة حاليا الواقعة على بعد 16 كلم شمال غرب عين الدفلى. توفي يوم الأربعاء، ودفن يوم الخميس، قيل في صفر 931هـ/1524م. وقيل في العاشر من رمضان 934هـ/1527م، وقيل إنه عاش 91 سنة"<sup>3</sup>. ويذكر DERMENGHEM أنه "كان قبيل وفاته عند بني راشد في الظهرة شمال وادي الفضة، ولما أحس بقرب الخاتمة أوصى أتباعه بأن يجعلوا جثمانه بعد خروج الروح على ظهر بغلته، وأن يدعوها تسير حرة، ففعلوا ذلك، وسارت البغلة شرقا وما وقفت إلا بمليانة، حيث بركت به في قمامة اليهود، وماتت هي أيضا، فدفنه المليانيون في نفس المكان، ودفنوا بغلته بقربه"<sup>4</sup>. وبذلك تحققت نبوءة شيخه الزروق الذي قدر له بالدفن في زوبية اليهود عند موته. وكان الملياني قد أخبر بعض أصحابه في حياته "أنه قال: قلت للشيخ الزروق<sup>5</sup> أين

<sup>1</sup> - ينظر أبو القاسم الحنفاوي . تعريف الخلف برجال السلف . ج.1. ص 357.

<sup>2</sup> - ابن عسکر: دوحة الناشر. ص 113.

<sup>3</sup> - حاج صادق: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ص 78.

<sup>4</sup> - المصدر السابق. ص 84.

<sup>5</sup> - هكذا أورده الصباغ بالتعريف

أدفن إذا مت؟. فقال لي: في زوبية، فكان كذلك، فالموضع الذي فيه القبة الآن بالمدينة المذكورة كان مزبلة<sup>1</sup>، فصار الآن حوضاً موروداً وعيداً مشهوداً<sup>2</sup>.

وعودة إلى ضبط تاريخ وفاة هذا الولي الذي خيم عليه الشك وعدم الضبط من قبل المترجمين المحليين والأجانب على حد سواء، خاصة من المتكئين على المصادر الشفوية في المراحل المتأخرة عن الفترة التي عاش فيها الملياني، والذين لم يعتمدوا "البستان" كأقدم مصدر يمكن الوثوق به باعتبار صاحبه كان معاصراً للفترة الأخيرة من حياة شيخه، وشرع في تأليفه بعد انقضاء عقدين من الزمن على وفاته، أي في ( 952هـ / 1545م - 962هـ / 1555م ) .

وخلصت جل التراجم المهمة بهذا الموضوع إلى تقديم تواريخ مختلفة لوفاة أحمد ابن يوسف الملياني محصورة بين 927هـ و 934هـ. وينفرد المستشرق "FL.Phaaron" بتقديم تاريخ متأخر جداً معتمداً على الروايات الشفوية التي جمعها، ورأى أن سيدي أحمد ابن يوسف توفي نحو عام 1099هـ<sup>3</sup>. واستقر Louis Rinn على تاريخ الوفاة سنة 931هـ/1524م<sup>4</sup>، وهو نفس التاريخ الذي وقف عليه M.BODIN، حيث أشار إلى أن الولي أسلم روحه بين يدي عزرائيل ملك الموت في 18 صفر 931هـ، 27 ديسمبر 1524م<sup>5</sup>. ويذكر من جهته R.BASSET طائفة من تواريخ وفاة سيدي أحمد بن يوسف لعدد من المترجمين الأجانب غير أنه خطأً الكثير منها على غرار ما ذهب إليه "FL.Phaaron" -

- ينظر<sup>1</sup> : E-DERMENGHEM .le culte des saints dans l'islam Maghrébin. Paris 1954. page 16.

فقد ذكر أن سيدي سميان الولي الصالح في ناحية بني مناصر من ولاية تيبازة قد التقى سيدي أحمد بن يوسف و تنبأ له بالدفن في زوبية اليهود".

<sup>2</sup>- البستان مخطوط . ص (32و).

<sup>3</sup>- FL. PHARAON. le Marabout si Ahmed Benyoussef et ses Daaoui. revue de lorient de lalgerie et des colonies. Bulletin de la societé orientale de France. Tome.xv.Paris 1854.p 122.

L.RINN. Marabouts et khouans. p272.

<sup>4</sup>- ينظر

M.Bodin . Notes et questions p 185.

<sup>5</sup>-

كما سبق وأن أشرنا - وأيضا الخبر الذي ساقه TRUMELET عن مرور سيدي أحمد ابن يوسف بالبليدة في السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر<sup>1</sup>، وينقل R.BASSET تاريخ الوفاة من كتاب لأبي راس الناصر في حدود 931هـ. ومع ذلك يسجل ملاحظة شكه من هذا التاريخ حيث قال : هذا التاريخ متبني ولا نعرف مصدره<sup>2</sup>. والواقع أن هؤلاء المترجمين جميعا لو عادوا إلى مخطوط الصباغ لكفاهم الشطح، والقفز وراء الحصول على المعلومات المتعلقة بهذا الجانب من حياة الملياني. وهذا أبو القاسم سعد الله - رحمة الله عليه - يقف على تاريخ الوفاة بصفة مؤكدة، وذلك برجوعه إلى المخطوط، وذكر أنه توفي سنة 931هـ.<sup>3</sup> وأخيرا لا بد من طي صفحة السراب الذي اكتنف تاريخ وفاة هذا الولي وذلك بالرجوع إلى "البستان" أقدم مصدر يؤرخ لسيرة صاحب ضريح مليانة، وعليه فإننا نجد بما لا يدع مجالا للشك والتخمين تاريخ وفاة سيدي أحمد بن يوسف محددًا بشكل دقيق تطالعنا به مريثة تلميذه المخلص السيد العالم الحافظ المتفنن في جميع العلوم سيدي عبد الحق المطهري في

قصيدة له يقول فيها : من البسيط

الحمد لله حمد كاتب خجل	قد أفجعته كبار الهم عن عجل
عيناى جودا بدمع لا نفاذ له	لفقد شيخ إمام العلم والعمل
يا لوعتي حين قيل الشيخ مرتحل	عن أهله أبدا وليس بالقفل
لما فشى نعيه في الناس لست ترى	في المؤمنين سوى المحزون والوجل
أصحابه فجعوا في الحين وأذهلوا	بموت من كان شبه الحصن في جبل
أوائل تلو إحدى والثلاثين مع	تسع لهجرة خير الخلق والرسل
أتاه حقا رسول الموت يخبره	برحلة مع نفاذ الرزق والأجل
في صفر الفرد صار القلب منقسما	لفقد شيخي محب الواحد الأزل <sup>4</sup>

<sup>1</sup> - هذا الكلام أخذه R.BASSET من دراسة لـ TRUMELET بعنوان: p764, 2 Vol.In .8 e , 1887 . « BLIDAH . Alger ».

<sup>2</sup> - R.BASSET . les dictons satiriques. p 226.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ص 9.

<sup>4</sup> - البستان : ص 47.

ومن خلال هذه القصيدة المطولة يكون تاريخ وفاة شيخ الصباغ في شهر صفر سنة 931هـ/1524م من غير شك أو غبار. لأن الصباغ نفسه يشير إلى قرب هذه القصيدة من زمن الوفاة بفترة قصيرة جدا وفي ذلك يقول: "تمت القصيدة على يد مؤلفها عبد الحق ابن علي أصلح الله حاله سبع عشر من رجب لسنة خمس وثلاثين وتسعمائة (17 رجب 935هـ) نقلتها من خط المؤلف رحمه الله وأعطاه فوق ما يتمناه، وجزاه خيرا على مدحه وقوله في شيخه سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله، ونفعه بقصده، وبلغه بنيته، وحشرنا وإياه في زمرة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، وأماتنا على محبته، آمين يارب العالمين"<sup>1</sup>. وليس يخفى على أحد أن القدر قد قدر لهذا الشيخ "أن يستريح في مليانة، بعيدا عن مسقط رأسه، وفضاء عيشه، ومسرح معاناته، وإذا كان جثمانه قد استقر في مليانة البلدة الصغيرة فإن تأثيره الروحي قد أبقاه حيا يقاوم الانحلال في التربة، وصار ضريحه معلما دينيا تهفو إليه أفئدة جموع غفيرة من المهاجرين المحبين له كل سنة، آتية من أماكن قسية، من المغرب، وتونس، وطرابلس، من أجل الصلاة حول ضريحه، والتبرك به وهم في كل ذلك يرجون من الله أن يجعل صاحبه شفيعا لهم يوم القيامة"<sup>2</sup>. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه القصيدة تشكل مع قصائد أخرى لأحمد بن العباس البطحي، ومحمد بن العنتري العربي المصدر الأساسي المكتوب الذي اعتمده الصباغ في تأليف البستان إلى جانب مصادر أخرى سبق وأن أشرنا إليها.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص72.

<sup>2</sup> - M.BODIN :notes et questions sur Sidi Ahmed ben Youssef.revue Africaine.V66 .Année 1925.p127.

## الفصل الرابع:

ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي

مؤلف الكتاب

المبحث الأول : نسبه

المبحث الثاني : مولده

المبحث الثالث : نشأته

المبحث الرابع : حياته العلمية

المبحث الخامس : المناصب التي تولاها الصباغ

المبحث السادس : تدينه ومذهبه

المبحث السابع : شيوخه

المبحث الثامن : آثاره

المبحث التاسع : وفاته

**1.4 نسبه:**

بداية أشير إلى شح المصادر التاريخية، بل أقول انعدام المصادر التي كان يمكن أن تمدني بمعلومات وافية وأخبار كافية تتعلق بشخصية الصباغ القلعي مؤلف كتاب "البستان" حول شيخه أحمد بن يوسف الملياني، وما وجدته هنا وهناك لايفي بحاجة البحث، وعليه فحياته تكاد تكون مجهولة. ورغم ما بذلته من جهد في سبيل الحصول على معلومات حول هذه الشخصية في عديد من المصادر التراثية التي عاصرتها أو جاءت بعده<sup>1</sup>، فإنني لم أدرك غايته، وبقيت جوانب كثيرة من حياة هذه الشخصية الصوفية والأدبية مجهولة بالنسبة لي ولكثير من الباحثين الذين أقرأوا بهذه الحقيقة قبلي.

وجدير بالملاحظة أنني ترددت على عدد من المكتبات والمؤسسات العلمية هنا وهناك في المغرب الشقيق، وأخص بالذكر الخزنة العامة للمخطوطات بالرباط، والخزنة الحسنية، ومكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس الرباط، وخزنة المخطوطات بتطوان، ومكتبة جامع القرويين بفاس، إضافة إلى مكتبة كلية الآداب بجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، ومؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، وغيرها من المكتبات، غير أنني لم أعثر على شيء ذي بال يسد الفراغ الذي يكتنف حياة الصباغ، وكل ما ألممت به من معلومات حول هذه الشخصية يبقى غير كاف

<sup>1</sup> - لم أجد في المصادر التي ترجمت للملياني شيئاً ذا بال عن حياة الصباغ القلعي مؤلف البستان وهي:

- سلوة الأنفاس للكتاني.
- درة الحجال لابن القاضي.
- مرآة المحاسن لأبي حامد العربي بن يوسف الفاسي.
- شجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف.
- كفاية المحتاج لأحمد بابا التتكتي.
- نيل الابتهاج لنفس المؤلف.
- دوحة الناشر لابن عسكر الشفشاوني .
- ربح التجارة ومغرم السعادة لأحمد بن موسى.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض.

ولا يفي بالغرض على الرغم من حاجة الدراسة إلى الإمام بعصر هذه الشخصية ومكانتها العلمية والدينية والأدبية، فهو أول "من عرّف بالملياني حتى أصبح كتابه عنه مصدر كل الدراسات، وعن الحياة الصوفية عموماً في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري، ونعني به "بستان الأزهار"<sup>1</sup>.

والصباغ القلعي كما عرّف نفسه في مقدمة كتابه "البستان" هو "الشيخ الفقيه العالم النزيه، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي النسب والمنزل لطف الله به لطفاً جليلاً"<sup>2</sup>. فهو ينسب نفسه مرة إلى القلعة، كما ورد ذلك في كتاب آخر له بعنوان "شفاء الغليل والفؤاد في شرح النظم الشهير بالمراد"، وفيه يقول: "قال الشيخ: يقول العبد الحاني الفقير الرياني محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي النسب والمنزل"<sup>3</sup>. وينسب نفسه مرة أخرى إلى هوارة \* في مؤلف آخر له وهو شرح "الأجرومية" حيث يقول: "يقول محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ الهواري"<sup>4</sup>. "نسبة إلى قلعة هوارة القريبة من تلمسان، فهو إذن من بلد الملياني"<sup>5</sup>. ويضيف صاحب معجم أعلام الجزائر عبارة "التلمساني"<sup>6</sup> عند تعريفه بهذه الشخصية، ذلك أن هذه الناحية كانت فيما مضى -أي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وما قبله- تابعة لإقليم مملكة بني زيان التي كان مقر عاصمتها تلمسان آنذاك.

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص114.

<sup>2</sup> - "البستان" مخطوط. ص(1و).

<sup>3</sup> - الصباغ القلعي : شفاء الغليل والفؤاد، مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة، رقم 2221.

\* - هوارة منطقة جبلية تقع في الجنوب الشرقي لمدينة مستغانم تضم مدينتي قلعة بني راشد وبلل بقرب معسكر من جهة، وغليزان من جهة أخرى.

<sup>4</sup> - الصباغ القلعي: الدرر الصباغية، مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة. رقم 2325.

<sup>5</sup> - تاريخ الجزائر الثقافي: ج2، ص114.

<sup>6</sup> - عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1983م. ص195.



**2.4 مولده:**

لم يكن من السهل تحديد تاريخ مولد الصباغ ذلك أن بعض كتب التراجم التي ذكرت بعض المعلومات القليلة عنه ضربت صفحا عن ذكر تاريخ ولادته، وإن ورد اسم الصباغ في صفحات هذه التراجم يكون مصحوبا دوما بذكر مؤلفه حول شيخه الملياني، فالتركيز كان ينصب حول شخصية الملياني التي يُعرّفها كتاب البستان أفضل تعريف ويقدمها أحسن تقديم، وعليه فاهتمام المترجمين كان على المترجم له لا على المترجم (بكسر الجيم). وقد أشار إلى هذه النقطة شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله حين أكد بأن "حياة الصباغ تكاد تكون مجهولة"<sup>1</sup>. وحسب ما ذكره الصباغ في "البستان" عن نفسه يكون تاريخ ميلاده بالتقريب سنة 923 هـ - 1517م، فقد ذكر أنه كان ما يزال رضيعا لم تثبت أسنانه عندما انهزم الأتراك أمام جيش أبي حمو الذي كان يسانده الإسبان، وذلك سنة 924 هـ - 1518م<sup>2</sup>. وإلى هذا ذهب "M.BODIN" حيث ذكر "بأن الصباغ تولى قضاء القلعة وهو من مواليد هذه المدينة"<sup>3</sup> في التاريخ الذي أورده أبو القاسم سعد الله، ومنه يكون مولده قبل هذه المعركة بقليل.

**3.4 نشأته:**

يذكر الصباغ في "البستان" أنه نشأ في أسرة شريفة عريقة النسب عمادها الطهر والعفاف، متعلقة بالعلم والعلماء، ويؤكد ذلك في قوله: "أما نحن والحمد لله خلف عن سلف

<sup>1</sup> - تاريخ الجزائر الثقافي. ج2. ص114.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ج2، ص114.

<sup>3</sup> - M.BODIN. Notes et questions sur sidi Ahmed ben youcef. Revue Africaine 1925., p130.

ويضيف « BODIN » « بأن محمد الصباغ ينتمي إلى الجيل الذي يلي مباشرة جيل سيدي أحمد بن يوسف، وكان يسكن في القلعة، وعلى علاقة مباشرة مع كثير ممن كان معاصرا للولي أحمد بن يوسف ويعتبر مؤلفه عن شيخه سيرة حقيقية أمدنا من خلالها بصورة واقعية، لاعت الجانب التاريخي فحسب ولكن بأسطورة سيدي أحمد بن يوسف كما بدأت تتكون وتتأسس لدى الجيل الذي يلي وفاة الولي ". ينظر: M.BODIN. ibid. p131.

فمن المحبين لأولياء الله، وقد سبقت دعوة الخير والصلاح من الشيخ الولي الصالح سيدي عبد الحميد المغربي لجدنا السيد الحاج بن حاج الحرمين الشريفين الفقيه العالم القاضي العدل سيدي علي بن سيدي عبد الرحمن الصباغ، وكذلك ذريته من بعده، ثم كمل الله علينا بالبركة العظيمة بخدمة أبي رحمه الله لرأس العباد وقطب الأوتاد سيدي أحمد بن يوسف أفاض الله علينا من بركاته وأنواره، وجعل البركة في ذريتنا إلى يوم القيامة، وخدمته أبي خدماً تحقيقاً، وصار عنده أفضل من الأب والأخ الشقيق، ورافقه، وجالسه مجالسة بالأدب والتصديق، حتى قيل من رأى الشيخ ولم ير معه ابن معزا فلم يره لكثرة مجالسة أبي له وخدمته الناصحة له، بنيتة الخالصة فيه، ومن جملة نية أبي في شيخه نفعا الله به إذا غسل ثوب الشيخ يغمسه في الماء، ويعصره ويشرب وسخه، نفعه الله بذلك، وجعل البركة في عقبه، بمحبته لهذا الشيخ المبارك آمين.

وقال في الشيخ أشعاراً يمدحه بها ويرد على من ينكر ولايته لكني لم أقف عليها<sup>1</sup>، ونال أبي الدنيا والآخرة لخدمته للشيخ سيدي أحمد ابن يوسف والحمد لله، ومن خير الآخرة أن مات أبي شهيداً في الملحمة التي وقعت في قلعتنا حماها الله بين الأتراك والنصارى وقت حلول الإسكندر بالقلعة المذكورة، وتاريخ الملحمة على ما نقلته من خط عمنا السيد الفقيه العالم النبيه القاضي سيدي أبي عبد الله رحمه الله شهر جماد الثانية عام أربعة وعشرين وتسعمائة، ومات أبي حينئذ وأنا دون الأثغار<sup>2</sup>. "وبعدها من الله علينا بالعلم والفهم والمحبة لأهل الفلاح، والصلاح، وهذا من فضل الله علينا، ومن بركة خدمة أبينا لشيخه سيدي ومولاي سيدي أحمد بن يوسف نسأله سبحانه ببركة سيدنا ومولانا وعنايتنا ووسيلتنا سيدنا

<sup>1</sup> - ذكر "M.BODIN" أن الولي سيدي أحمد بن يوسف كان في حياته يلاقي معارضة شديدة من قبل الكثيرين من أعدائه المعاصرين له، ولذلك عكف تلميذه ابن معزا على الدفاع عنه بأشعار مقدعة ومصعقة غير أن الصباغ ينفي وصول هذه الأشعار إليه وأنه لم يحصل عليها رغم إلحاحه في طلبها. وحسب "BODIN" تكون هذه الأشعار المقدعة قد آلمت أعداء الشيخ وأقلقتهم فعمدوا إلى التخلص منها والقضاء عليها نهائياً حتى لا يبقى لها أثر. ينظر: M.BODIN.Notes et questions.p 130.

<sup>2</sup> - ينظر البستان: مخطوط. ص10. /- ربح التجارة: مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة تحت رقم 928. ص156

محمد صلى الله عليه وسلم أن يجعل البركة في ذريتنا وأن يلحق خلفنا بسلفنا إنه سميع مجيب وأن يجعلهم من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>1</sup> 2.

لاشك أن هذا الجو المفعم بالتدين والصلاح في ظل التأثير الروحي لشيخ والد الصباغ قد أثر فيه تأثيرا كبيرا ورسم له أفق المستقبل الواعد نحو السير في خط أبيه ابن معزا الخادم الأمين لسيدي أحمد بن يوسف الملياني، وتلميذه المخلص، فمن المؤكد أنه لازم شيخ أبيه بعد موته في زاوية رأس الماء، وحفظ القرآن على يده وبعض المتون علاوة على أخذه مبادئ علم التصوف والسلوك .

وقد ذكر الصباغ كرامة من كرامات شيخه تتضمن حادثة تزوج أبيه بأمه نقلا عن أحد تلامذة الشيخ الملياني وساقها في معرض تأكيد تعلقه بشيخه، وإظهار تحقق كراماته في حياته فقال: "حدثني سعيد أعراب القاطن بمسراتة أن أبي رحمه الله استشار الشيخ في تزويج أمي فقال له تزوجها وستلد لك ذكرا يخرج منه شأن عظيم، فكان الأمر كما قال الشيخ والحمد لله والمنة له. وكيفيك أني أحب أولياء الله، وخصوصا الشيخ القطب المستغاث به عند الشدائد سيدي أحمد بن يوسف نفعني الله به، وقد ظهرت بركته علينا من لدن عرفه أبي إلى هلم جرا".<sup>3</sup>

#### 4.4 حياته العلمية

لقد كان للبيئة الدينية والعلمية التي نشأ فيها الصباغ دورها الحاسم في رسم معالم شخصيته الروحية وتوجهها العام الذي يجمع بين التدين والتأدب وتحصيل نصيب من علوم ومعارف الوقت، كالشريعة، والفقه، والتفسير، والتصوف، والتوحيد، إلى جانب التمكن من

<sup>1</sup>-سورة الطور. من الآية 21. وتتمتها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ

أمرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ (21)﴾. فالملاحظ أن الصباغ لم يأخذ الآية كاملة بل أخذ جزءا منها فقط.

<sup>2</sup> - "البستان". ص 108.

<sup>3</sup>-"المصدر نفسه. ص 34.

علوم اللغة والأدب. لقد كان أبوه المدعو "ابن معزا" بتشديد الزاي من أهل العلم والفضل والصلاح، صواما قواما ذا صوت رخم منقطعا لشيخه الملياني قلبا وقالبا، تأثر به وصار من أتباعه. كما كان جده من قبل السيد القاضي علي بن عبد الرحمان الصباغ، وكذا عمه السيد الفقيه العالم النبيه القاضي أبو عبد الله من المترددين على الصلحاء والأولياء، ولاشك أن في مثل هذا الوسط العائلي الدافئ، المتسم بالميل نحو حياة الزهد، والتصوف والمتصوفين، يكون الصباغ القلعي قد فتح عينيه وبدأ أولى خطواته التعليمية. ولا يمكن أن نغفل عن تسجيل ملاحظة أساسية أن تنامي الاهتمام الكبير للعائلة كلها قد انصب حول توجيه هذا الابن توجيهها دينيا صرفا من خلال الحرص على إحاطة الزاوية الراشدية به والتي على رأسها الشيخ أحمد بن يوسف الذي تنبأ لأبيه بمولده وبمستقبله المشرق.

ففي حرم هذه المؤسسة التعليمية الدينية الذائعة الصيت، يكون الصباغ القلعي قد تلقى أولى تعاليم "أدب تعظيم الأولياء والصلحاء وتوقيرهم"<sup>1</sup>. يدل على ذلك ما نعتثر عليه في متن المخطوط من كثرة ترديده المقولة الموجبة "باحترام الأولياء وتعظيم شأنهم والتصديق بكراماتهم"<sup>2</sup>. ويأتي على رأس هذه النحلة شيخ أبيه أحمد بن يوسف الراشدي.

وقد سلك الصباغ طريق أبيه فحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، ولاشك أن قربه من شيخ أبيه قد دفعه إلى التحصيل والاجتهاد واكتساب المعارف الأولى التي تُرسخ قدمه على أرضية صلبة تمكنه من مواصلة رحلة طلب العلم لاستكمال التحصيل وبلوغ المقصود.

كانت حياته كلها اجتهادا وتحصيلا، لم تثن الظروف السياسية والاجتماعية المضطربة في وقته من عزمته، بل أكبَّ على التلمذ على شيوخ وقته، والنهْل من علوم عصره، بحثا، وتنقيا، ودراسة وشرحا، وتأليفا، وكانت رحلته العلمية في البداية من مسقط

<sup>1</sup> - أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي (ت 603هـ، أو 604هـ-1206م): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها

من البلاد، تح ودراسة محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ط1. الرباط. 2002م. ص 97.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 97.

رأسه رأس الماء بوطن بني راشد، ثم ما لبث أن انتقل إلى مستغانم حيث قصد مسجد الخندق، ونال قسطاً من العلم على يد الشيخ أبي العباس سيدي أحمد البسكري أولاً، ثم لازم الشيخ أبا عبد الله سيدي محمد بن منصور المستغانمي مدة حيث استكمل عنده بقية حلقات التلقي المعرفي وأطوار التحصيل العلمي، وهناك عرض على شيخه تقييم مؤلف له سماه "الدرة الصباغية في شرح الأجرومية"<sup>1</sup>، وقد أجاز فيه ودعا له بالخير والتوفيق، وقد حصل لدى الصباغ علم غزير نتيجة اطلاعه الكبير على أقوال العلماء في مختلف العلوم، وتجلّى ذلك في مؤلفه الضخم "البستان" عن شيخه أحمد بن يوسف، حيث مزج فيه علوماً عدة؛ من حديث، وفقه، وتوحيد، وتصوف، وتاريخ، وتراجم وسير، وأدب، وغيرها من المجالات المعرفية والفكرية التي ازدانت بها صفحات الكتاب. وهذا المؤلف "وحده كاف للتعبير عن مدى تبحر هذا الإمام ورفعة شأنه"<sup>2</sup>. وقد أثنى عدد من الأئمة والصلحاء على هذا المؤلف الضخم، وعدّوه عملاً فريداً للغاية.

وبناء على هذه المعطيات الاجتماعية، والتكوينية، المتميزة بالخصوصية الدينية، والثقافية، المرتبطة برجال التصوف والصلاح، يمكن فهم ذلك الاهتمام الكبير<sup>3</sup> الذي سيوليه الصباغ للشيخ أحمد بن يوسف، ولعامة الصوفيين، من خلال تخصيصه لمؤلفه "البستان" لإبراز معالم مسلكهم الصوفي، وكراماتهم، ومناقبهم.

ويستخلص مما سبق أن المنزلة التي بلغها الصباغ إنما بفضل بركة شيخ أبيه عليه، وخدمته له في حياته، وقد أكد هذا الفضل صاحب الريح فقال: "إن الولد حسنة أبيه، وقد أظهر الله بركة ذلك فيه، فإنه من الأئمة المهتدين، والعلماء العاملين، والمستمسك بأذيال الصالحين، ومن صدقه في ذلك، ومحبته، وظهور سرّ الشيخ سيدي أحمد بن يوسف عليه وبركته، تأليفه "بستان الأزهار" المذكور، فقد ذكر فيه طرفاً وافراً من ترجمة الشيخ سيدي

1- مخطوط في النحو يقع في 56 ورقة تحت رقم 2325.

2 - مرآة المحاسن. ص 62.

3- المستفاد من مناقب العباد: للتميمي. ص 99.

أحمد بن يوسف، ومناقب الصالحين، وذكر أخبارهم، وله شرح عجيب على المرادية، وشرح على الأجرومية، فما هذا إلا من بركة شيخ والده عليه الذي هو بمنزلة ولد ولده رحمه الله تعالى وشكر سعيه وأنالنا بركته"<sup>1</sup>.

#### 5.4 المناصب التي تولاها الصباغ:

على الرغم من شح المعلومات المتعلقة بحياة محمد الصباغ القلعي -كما سبق وأن قلنا- فإننا نقف على شذرات مما ألم به أبو القاسم سعد الله ومنه "تعرف أنه تولى بعض الوظائف، منها قضاء القلعة، وهي وظيفة هامة لا يشغلها عادة إلا من كان من الفقهاء"<sup>2</sup>. وممن يعدون من ذوي النهى الكبار الحائزين على العلم والتمكين، فقد كان على درجة عالية من العلم والمعرفة، والفقهاء المالكي خصوصا، أهله لتولي مثل هذه الوظيفة الخطيرة. ويمكننا أن نلاحظ أنه إلى جانب توليه القضاء، فقد اشتغل مدرسا لعلوم الدين واللغة، كما خصص جزء من حياته للكتابة، حيث سدَّ فراغا في هذا الحقل فألف كتابين واحدا في التصوف شرح فيه "نظم المرادية" لإبراهيم التازي الوهراني"<sup>3</sup>. والثاني في النحو شرح فيه "الأجرومية"، وسوف أخص المؤلفين بالعناية لاحقا. ويتبين من هذا أنه جمع بين حياة التصوف التي تقتضي الاشتغال بالآخرة، والعزوف عن الدنيا وملذاتها، وبين وظيفة القضاء كقاض يسهر على الاطلاع على أحوال الناس، ومتابعة تنفيذ الأحكام القضائية.

والحق أن شخصية الصباغ بهذه المواصفات تتميز بسعة العلم والمعرفة والقدرة على إثبات الحضور في معترك الحياة العقلية، والاجتماعية، والدينية، في عصره. غير أننا لا نعرف أي معلومات وأخبار تتصل بوظيفة الصباغ كقاض ممارس لأخطر مهنة-أعني وظيفة القضاء- لانعدام المصادر والمراجع التي تمدنا بتفاصيل تلك المرحلة من حياة قاضي

<sup>1</sup>- ربح التجارة ومغرم السعادة، ص 156 .

<sup>2</sup>- تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2. ص 115.

<sup>3</sup>- مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة. تحت رقم 1856.

القلعة الراشدية آنذاك، قصد الاطلاع على أحوال الناس، ومواقفهم، وانعكاس ذلك على العصر.

#### 6.4 تدينه ومذهبه:

لقد ذكرنا فيما سبق أن الصباغ نشأ في بيئة العلم والطهر والعفاف، وأخبرنا عن حياة أبيه وكيف قضى نحبه في خدمة شيخه الملياني، ومما ذكره عن أبيه في البستان "أنه الولي التقي سيدي ووالدي محمد بن معزى القلعي سمي بأمه رحمه الله، فقد أخبرني من أثق به أنه كان صوّاماً قوّاماً من عظماء الأولياء وكبار الأتقياء، ممن خدم الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف رحمه الله بالقلب والجوارح[...]. ومن محبة أبي وخدمته لشيخه عاش سعيداً ومات شهيداً [...]. لقد كان أبي عالماً ورعاً، زاهداً، ممن له أحوال وأسرار، ليس له معرفة إلا بأهل الله، وأما أهل الدنيا فمُجانِب لهم مُباعد عنهم، بهذا أخبرني الفضلاء من قلعتنا وغيرهم"<sup>1</sup>.

إننا لانشك البتة أن الابن الذي يحكي سيرة حياة أبيه الروحية، وعلاقته بشيخه سوف يحدد هو نفسه عن هذه الطريق، ذلك أن الإعجاب والانجذاب نحو شيخ والده لَتَشَم رائحته في كل خبر ينقله عنه، وأن عبارات التعاطف والامتنان للشيخ الملياني لا تكاد تخلو منها صفحات المخطوط. فهو كأبيه يعظم الشيخ أحمد بن يوسف، ويعتقد في ولايته، ويحذر من ينكرها عليه في أكثر من موضع في "البستان". فحياة الصباغ الروحية من حياة شيخه، لا يحدد عن خطه قيد أنملة، فهو بهذا وليه وصفيّه. ومن ثمة "فمذهبه في التصوف هو اتباع الطريقة الشاذلية، وسلوك علم الباطن، ونقد الفقهاء الذين اعتبرهم أعداء للصالحين والأولياء"<sup>2</sup>. ومعروف أن الشاذلية مصدر جَلّ الطرق الصوفية المتفرعة عنها خصوصاً في المغرب الإسلامي، ونجد على الخصوص الطريقة الزروقية لأحمد زروق البرنسي شيخ

<sup>1</sup> - البستان. ص 108.

<sup>2</sup> - تاريخ الجزائر الثقافي. ج 1. ص 479.

الملياني. واليوسفية لأحمد بن يوسف الملياني، وهي أيضا فرع من الزروقية لاتصال الملياني بشيخه، وعمدته في الطريق.

وقد أورد الصباغ طائفة من الأقوال والحكايات التي تعضد سبب تعلقه بشيخه وبسائر الأولياء والصلحاء، مبنوثة في ثنايا المخطوط، وأذكر هنا بعضا منها على سبيل الاستئناس لبيان مذهبه الروحي، وسر تعلقه بالأولياء، وفي هذا يقول: "وإنما جلبت حكاية الصالحين تبركا بهم لعل الله أن ينفعني بحبي فيهم في دنياي وآخرتي، فقد روي أن من علامة الخير حب الأفاضل والعلماء. وقد جاء من أحب قوما حشر معهم. وقال سيدي إبراهيم التازي: حب الأولياء ولاية. وقال سيدي موسى بن عيسى المذكور: والتعلق بأذيال أولياء الله قائد لكل خير، فإنهم وإن غابوا عنا بأشباحهم فأرواحهم وسرائرهم معنا، فإن المرید إذا وقع له شيء من حكاية القوم وعقد قلبه على العمل به فعمل صار حكمة في قلبه لآخر عمره، فينتفع به بذلك في دنياه وآخرته، وينتفع بها من سمعه منه. قيل للجنيد ما للمريدين في مجارات الحكايات، فقال إنها جند من جنود الله يُدَوَّبُ بها قلوبهم. قيل له هل في ذلك مستند؟ قال نعم قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾\*<sup>1</sup>.

ومن فوائد حب الأولياء والصالحين والتعلق بهم ما نقله سيدي موسى بن عيسى ولفظه: "عن أبي يزيد البسطامي نفعتني الله به وبأمثاله على ما نقله سيدي موسى المذكور ولفظه عن أبي يزيد أن رجلا قال له دلني على عمل أتقرب به إلى الله فقال بحب الأولياء، وتحبب إليهم يحبوك، فإن الله ينظر لقلوب أوليائه كل يوم سبعين مرة، فلعله ينظر إلى اسمك في قلب ولي من أوليائه فيحبك ويغفر لك"<sup>2</sup>. ويضيف الصباغ قائلا: فأى فائدة أعظم من

<sup>1</sup> - البستان: مخطوط. ص (19 و)

\* - سورة هود. الآية 120.

<sup>2</sup> - البستان مخطوط. ص (20 ظ)



هذه نسأله سبحانه أن يجعلنا من المحبين لأوليائه، المصدقين بكرامتهم، وأن يحشرنا في زميرتهم بجاه الصادق المصدوق القائل: "من أحب قوما حشر معهم"<sup>1</sup>.

وقد أورد الصباغ عدة نصوص تحذّر من يعترض على أولياء الله، أو ينكر على أقوال الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، منها ما قاله موسى بن عيسى: "فالواجب على كل فاضل متدين أن لا يعترض لأهل الطريقة في طريقتهم، بل يسلم لهم، ولا ينازعهم، ولا ينكر أحوالهم ولو بقلبه، فإنهم جواسيس القلوب، يرون الغيب من ستر رقيق، وقد خصوا بما لم يخص به غيرهم، فالسلامة في ترك الاعتراض" [...]. وقد جاء رحم الله امرأً أصلح من لسانه، وكفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع في الصالحين، فأياك والقول في الصالحين، فإنه قد جاء أن الله تعالى يقول: "من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة"<sup>2</sup>.

وقد دافع الصباغ عن شيخه الملياني بعد موته ضد خصومه من المعترضين على مذهبه، والمنكرين على طريقتهم، ووظف كل ما لديه من وسائل الإقناع والدفاع التي تمكنه من إبعاد التهم الموجهة إلى إليه وإلى أتباعه، والمذهب الصوفي الذي ابتدعه، وكان يحرص على تبرئة ذمة شيخه مما اتهمه به صوفيو عصره وفقهاؤه، وفي ذلك يقول: "فأياك يا فقيه والتعرض على قطب زماننا سيدي أحمد بن يوسف الذي شهد له الزيتوني وغيره من فحول علمائنا وساداتنا" [...]. نفعنا الله بجمعهم، وحشرنا في زميرتهم، فإن لم تنته فيخاف عليك سوء الخاتمة نعوذ بالله من القول في أولياء الله. قال سيدي موسى بن عيسى رحمه الله: فمن أطلق لسانه في عالم أو عابد أو فقيه بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب"<sup>3</sup>، وساق نصاً آخر يبرئ ساحة شيخه الملياني مما نُسب إليه، وقيام الشيخ نفسه بمحاربة من أساءوا إلى طريقه الصوفي قائلاً: "فأياك يا أخي والتعرض على الفقراء الذاكرين الله من تلامذة الشيخ

<sup>1</sup> - المصدر نفسه . ص (20ظ)

<sup>2</sup> - "البستان". ص (13و).

<sup>3</sup> - "البستان". ص (42و).

سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله، أما أهل البدع فيجب التغيير عليهم وينهون عن فعلهم القبيح من مخالفة السنة، فقد حكى الشيخ الشطنوفي أن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف أحرق عليهم بيوتهم، وأمر بضربهم ونفيهم، وأدبهم غير ما مرة. وكان يقول لأصحابه عليكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. كيف يتقول أو يعترض على هذا الشيخ المبارك وتلامذته الأخيار المتبعين لسنة النبي المختار مع ما منحه الله له من العلم والعمل به، وقد قدمنا أن علماء السنة أجمعوا على تعظيمه وأثنوا عليه وشهدوا بولايته<sup>1</sup>.

ويجب التذكير بأن الصباغ قد أشار في صفحات عديدة من البستان إلى "حدوث (الغلوّ) و(الانحراف) في مذهب شيخه في حياته، ومن بعده، وصرح في مناسبات عدة بإقصائه لطائفة من أتباع الراشدية عن دائرة من رام الذود عنهم من الإخوان. وقد ذهب إلى حد تعيين بعضهم بأسمائهم، وفيهم من ينتمي إلى القلعة داره كالمرابط سليمان بن حفصة القلعي. وحال هذا المرابط تعتبر عينة ممثلة للتيار الذي نشأ في الطريقة الراشدية في حياة مؤسسها، والذي يسميه الصباغ "أهل البدع". وقد حرض الصباغ فقهاء بني راشد ضد أتباع هذا التيار ودعا إلى وجوب التغيير عليهم ونهيه عن فعلهم<sup>2</sup> كما سبق وأن ذكرنا.

"وإذا كان الصباغ يروم من تأليفه (البستان) تبديد النفرة مع خصوم إخوانه من فقهاء البلاد الراشدية، فلا ينبغي أن نتوهم أنه يبيت التساهل في مذهب شيخه أو المساومة مع هؤلاء الخصوم. ذلك أنه قد انتصر لفكر شيخه ومذهبه بالكلية، ودافع عنه دون كلل، ولم يتساهل فيه قيد أنملة"<sup>3</sup>

ولم يفت الصباغ أن أجمل مختلف الأدوار التي قام بها الأولياء إذ "صان الله بسببهم الدماء والجرائم وكفَّ بسببهم أيدي الظلمة عن أخذ أموال الناس، وبسط حرمتهم على قرابتهم

<sup>1</sup> - "البستان". ص(41ظ.).

<sup>2</sup> - التصوف والبدعة بالمغرب، ص 203، 204.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 205.

وذرياتهم وجيرانهم، وكم ذلّت لهم من الرقاب، ولانت لهم من الصعاب لا يلقاهم جبار بسوء  
إِلَّا قُصِمَ...<sup>1</sup>

ويستمر الصباغ على مدار صفحات المخطوط في سرد أقوال وحكايات أخرى تؤكد  
سر تعلقه بهؤلاء الأولياء وتوقه إلى بلوغ منزلتهم. وبهذا يتضح لنا بجلاء حقيقة المذهب  
الروحي الذي يتصل به طالما أعلن عن ذلك الانتماء بشكل صريح ينم عن قناعة واعتزاز.  
وكان الصباغ صاحب خلق كريم وقد عرف عنه التواضع والسماحة، ولا يخوض في  
القضايا التي يرى فيها غيره أقدر وأهلا للخوض فيها، وكثيرا ما يصرف الناس عنه ويوجههم  
إلى غيره من فقهاء عصره إذا قصدوه في مسألة لم يُعَرَفْ لها جوابٌ، وفصل، وقد ذكر في  
المخطوط حادثة في هذا الموضوع هذا نصها: "وقد اعترض بعض الفقهاء من بني راشد على  
بعض الفقراء الذاكرين الله في قلوبهم الله الله في حلق الذكر، وقال لم يثبت عنه صلى الله  
عليه وسلم هذا اللفظ في اجتماعه مع الفقراء والصحابه، وإنما ورد عنه عليه الصلاة والسلام  
لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله وغير ذلك، ولم أحفظ نصا في ذلك فتحير الفقراء من  
ذلك وقالوا إن لم يكن هذا الاجتماع ثابتا عنه عليه الصلاة والسلام فمخالف السنة وطلبوا  
مني إزالة الإشكال في الذكر باسم العظيم ذي الجلال. فقلت لهم اسألوا غيري من فقهاءنا  
لأنني لست لذلك بأهل.

فذهبوا فلم يجدوا عند أحد جوابا ثم رجعوا إليّ وألحوا عليّ في الجواب مع تقصيري  
في ذلك. فاستعنت بالله وبرسوله عليه الصلاة والسلام، فقلت في الجواب والله المستعان: أما  
قول الفقيه لم يثبت اجتماعه صلى الله عليه وسلم على الذكر بالاسم المشرف ومع فقراء  
الصحابه رضي الله عنهم فقصور منه لأنه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه جلس مع  
الفقراء أهل الصفة يذكرون الله في المسجد على الحالة المعهودة بخضوع وسكينة ووقار،  
فمن ذلك ما روي عنه "أنه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد فوجد مجلسين أحدهما

<sup>1</sup> - ينظر "بستان": ص(21ظ).

يذكرون الله والآخر يتفقهون في الدين، فقال عليه الصلاة والسلام: كلا المجلسين على الخير<sup>1</sup>. ومعلوم قطعاً أنهم لا يجتمعون ويذكرون سرا، بل يذكرون جهراً وإلا فلا فائدة في اجتماعهم. قال أبو العباس القسطلاني إن المنتهي يذكر الله الله لأنه قد تحقق وتخلق وانتفت عنه النقائص فلم يبق إلا التعلق باسم المذكور وهو الله<sup>2</sup>. وبهذا الأسلوب الأخلاقي الهادئ أبان الصباغ عن مكانته العلمية وجدارته بتولية منصب القضاء والإفتاء، محققاً بذلك مركزاً يشرفه وأهله وشيوخه وكل المحبين له.

#### 7.4 شيوخه :

لم يذكر لنا الصباغ مسار حياته العلمية، وكيف درس، ومن هم الشيوخ الذين جالسهم، وأخذ عنهم العلم. اللهم إلا اثنين من هؤلاء ذكرهما أكثر من مرة في المخطوط إضافة إلى شيخه في الطريق وعمدته وصفيه وخليته أحمد بن يوسف الراشدي الذي خلده بهذا المجلد الضخم. ومن هؤلاء الشيوخ الأجلاء ذكر الصباغ أنه درس علوم اللغة العربية نحوها، وبيانها، على يد شيخه الموقر أبي العباس أحمد بن عيسى البسكري الذي فصل في مسألة نحوية كانت محل خلاف بين علماء اللغة في ذلك الوقت، تتعلق بعامل النصب في "الله الله" عند الدعاء، ولا بأس من ذكر ذلك الخلاف وما استقر عليه رأي شيخ الصباغ ونصه:

"قال أبو العباس القسطلاني: وروينا من حديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض الله الله"، ثم قال وهذا الاسم شريف وجامع لما يراد من معنى التوحيد، فالذاكر له به مستمد من معنى المزيد وقد اعترض على هذا الذكر بأنه غير واف بالمقصود، فإن قولك الله اسم، والاسم لا بد له من الخبر عنه بنفي أو إثبات ولم يوجد، فلا يعد ذاكرة قائلاً. والجواب أن المذكور معلوم في الذهن مستقر حضوره عند الذاكر، فكأنه قال المذكور الله، فيكون مبتدأ والخبر محذوف للعلم به، أو يكون

<sup>1</sup> - الحديث ذكره ابن ماجة في سننه.

<sup>2</sup> - "البستان". ص (35ظ).

مفعولاً به منصوباً بفعل مضمر، التقدير أعظم الله، أو أذكر الله، فنبت صحة هذا الذكر واستقامته وعظمة المذكور في الصدور [...]. قلت وقول القسطلاني مفعول بفعل مضمر صوابه منصوب على العظمة، كذا قرره لنا شيخنا أبو العباس سيدي أحمد بن عيسى البسكري رحمه الله في جميع أسمائه تبارك وتعالى تأدبا مع مولانا عز وجل، وكذا قرر لنا في الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قولك صلى الله على محمد وأنها فعل دائم لأن الصلاة عليه دائمة صلى الله عليه وعلى آله حين قراءتي عليه بجامع الخندق من مستغانم عمرها الله بالذكر<sup>1</sup>

وكان الصباغ يعظم هذا الشيخ ويجلّ شأنه وينوّه بدوره الرائد في التعليم والتكوين. وصلاح نهجه. فقد ذكر بعضاً من مواقفه وآرائه الفقهية التي كانت محل جدال ونقاش حول بعض المسائل الفقهية، وبيان الحكم الشرعي فيها، كالدعاء دبر الصلاة المفروضة. فقد كان للصباغ موقف حازم ضد بعض الفقهاء الذين لا يعملون بسنة الدعاء إثر الفراغ من الصلاة، مع ما يحدثه ذلك السلوك من تشويش على الناس، واجتهد كثيراً من أجل إقناع هؤلاء بمساءلة العلماء الذين يفوقونه علماً لمعرفة رأيهم في الموضوع، فما قاله الصباغ في هذه المسألة كان خلاصة ما قال به فقهاء عصره، وما قاله شيخه المذكور على الخصوص، وفي ذلك يقول: "قال سيدي موسى المذكور: وبين المتأخرين كلام في كراهية الدعاء إثر الفراغ من المكتوبة بهذه الصورة الاجتماعية، فمنهم من كرهه، ومنهم من أجازه، قلت وقد صليت مع بعض فقهاء بني راشد فلم يدع بعد الفراغ من الفريضة، فقلت له ولم لا تدعو بعد الفريضة، فقال: الدعاء بعدها بدعة. فأتيته بجواب الإمام الفحل "ابن عرفة"<sup>2</sup> حين سئل عن

<sup>1</sup> - البستان. ص (35ظ).

<sup>2</sup> - "محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي إمام المغرب، وشيخ الإسلام، العلامة المحقق، القدوة النظار، العالم المبعوث على رأس المائة الثامنة، لازم جلة الشيوخ كأبي عبد الله بن عبد السلام الهواري شارح ابن الحاجب، وأخذ عن والده وعن أبي عبد الله محمد ابن حسن بن سلامة الأنصاري، وعن أبي عبد الله الوادياشي. فابن عبد السلام أخذ عنه الفقه والحديث والقرآت العشر، وعن علي السطي الفرائض [...]. ويقال إنه بلغ درجة كثير من التابعين في جده، وفي العبادات، له تاليف عجيبة، كمختصره الفقهي، وتأليفه في المنطق وأماليه الحديثية، والحكم الشرعية، وكان ولياً صالحاً ذكياً قدوة سنيا عارفاً محققاً، نهاية في المعقول والمنقول، تولى إمامة الجامع الأعظم سنة خمسين وسبعمائة، وخطابيته عام اثنين وسبعين والفتوى عام ثلاث وسبعين [...]. قال تلميذه ابن القنفذ: كان إماماً حجة، قرأت عليه بعض مختصره الكبير سنة سبع وسبعين وهو على حال اجتهاد في العلم، ثم لقيته قبل وفاته وبه ضعف وبعض

خطيب لا يدعو بعد الصلاة فأجاب بأن الدعاء عبادة شرعية إلى آخر جوابه لأهل سلا، ونص السؤال والجواب ما يقول سيدنا امتنع الله به الإسلام في إمام الصلاة إذا فرغ منها هل يدعو ويؤمن المأمومون أم لا؟. فإنه قد اشتهر ببلاد المغرب في بعض نواحيه كراهية هذه الصفة فقد يصلي الإمام في بعض المواضع ولا يدعو فتشتمز قلوب المأمومين، فالهدف من سيدنا بيان الحكم في ذلك، وإزالة الإشكال بما أمكن والسلام عليكم. فأجاب: مضى عمل من يقتدى به في العلم والدين من الأئمة على الدعاء بأثر الذكر الوارد تمام الفريضة، وما سمعت من ينكره إلا جاهل غير مقتدى به، ورحم الله بعض الأندلسيين فإنه لما أنهى إليه ذلك ألف جزءاً في الرد على منكره. وخرّج عبد الرزاق عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الدعاء أسمع؟، قال شطر الليل الآخر وأدبار المكتوبة. وصحّحه عبد الحق وابن القطان، وذكر الإمام الراوية المحدث أبو الربيع في مصباح الظلام عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: من كانت له إلى الله حاجة فليساله دبر كل صلاة مكتوبة<sup>1</sup>، والله حسيب أقوام ظهر بعضهم ولا يعلم لهم شيخ، ولا لديهم مبادئ العلم الذي يفهم به كلام العرب، والكتاب، والسنة، يفتون في دين الله بغير نصوص. انتهى من "توازل مازونة". فقلت له أما اكتفيت بهذا؟. فتمادى على إنكاره، ثم قلت له: ولقد رأيت شيخنا الإمام الحجة أبا العباس سيدي أحمد بن عيسى البسكري رحمه الله يدعو بعد الفريضة، بعد أن يسبح ثلاثاً وثلاثين، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويكبر مثل ذلك، ويختم المائة بلا اله إلا الله وحده لا شريك له<sup>2</sup>، مدة قراءتي عليه بمسجد الخندق، من بلد مستغانم حرسها الله، وكذلك غيره من علمائنا وقتئذ، فلم يلتفت إلى جميع ذلك، ثم بعد مدة وجدت بخط من يوثق به أنه نقل عن السيد الإمام

نسيان، وقال البسيلي: ولد ليلة سبع وعشرين من رجب سنة ست عشرة وسبعمائة، وتوفي في يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادي الأولى عام ثلاث وثمانمائة، عن سبع وثمانين عاماً. كفاية المحتاج، مخطوط. ص. 179. - ترجم له أيضاً السخاوي في الضوء اللامع = ج 241/9. وقال: لم يكن ببلاد المغرب من يجري مجراه في التحقيق، ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له، وكانت الفتوى تأتيه من مسافة شهر.

<sup>1</sup> - " البستان": ص 187. ن م

<sup>2</sup> - وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر". صحيح مسلم: بشرح النووي، تح محمد سيد عبد رب الرسول، ط 1. ج 5. رقم الحديث 597. مكتبة أبو بكر الصديق للنشر والتوزيع. القاهرة، مصر. ص 84.

العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي نفعا الله به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى استقبل القوم بوجهه وبسط يديه ودعا<sup>1</sup>2.

والشيخ أبو العباس البسكري هذا هو أحد الشيوخ المتمرسين الراسخين في علوم الدين، وأحد الذين حازو القدرة والتمكين من فنون اللغة والبيان، وكان دأب المساجد وزوايا العلم والقرآن فيما مضى تمكين الدارسين وطلاب العلم من الإمام الجيد بقواعد اللغة العربية، ولذلك كانت ألفية ابن مالك مصدرا أساسيا من مصادر أخذ اللغة العربية والتمكن منها، خاصة فيما يخص باب الإعراب، الذي صار الطلاب يتنافسون فيه، ويتبارون في مختلف المسائل النحوية التي كانت محل خلاف بين مدرستي البصرة والكوفة. فكان الطالب لا يجازى إلا إذا برهن عن جودة إلمامه بقواعد اللغة، وقدرته على تبليغها، وإفادة الناس بها، إلى جانب حفظ القرآن الكريم، وامتون أخرى في الفقه، والحديث، وغيرها مما يعتبر مدونة التكوين بهذه المؤسسات العلمية والدينية.

وإلى جانب فضيلة الشيخ البسكري المذكور فقد حصل للصباغ شرف التتلمذ وطلب العلم على أحد أعلام وقته، ومشايخ زمانه، المشهود لهم بالعلم، والتمكين، فقد قال عنه الصباغ في مقدمة مؤلفه "الدرة الصباغية" بأنه "الإمام المحقق، المدقق، الجامع المانع، الأرض، الضابط، المحصل، أبو عبد الله سيدي محمد بن منصور المستغانمي"<sup>3</sup> فهو فقيه، وأديب، ضليع في فنون اللغة والأدب، وقد مدح الفقيه العالم الصدر الحجة الأوحد العارف بالله سيدي محمد بن يوسف السنوسي رحمه الله بقصيدة رائعة أشاد فيها بما بلغه السنوسي المذكور من فنون العلوم، وحيازته السبق في جميعها في عصره، وخصوصا علم الكلام. فقد

<sup>1</sup> وفي صحيح مسلم، قال: حدثنا داود بن رشيد، حدثنا الوليد عن الأوزاعي عن أبي عمار (اسمه شداد بن عبد الله) عن أبي أسماء عن ثوبان، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا، وقال: "اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام". صحيح مسلم: رقم الحديث 591. ج. 5. ص 80.

<sup>2</sup> - البستان. ص 187.

<sup>3</sup> - مخطوط تحت رقم 2325. سبقت الإشارة إليه

أوضحه وبينه وجمعه بألفاظ موجزة نافعة وانتفع الكل بذلك على يده، وبسببه، والقصيدة من بحر الطويل يقول فيها:

لقد من ذو الفضل العظيم بطوله	علينا بنجم آخر الدهر لائحا
فأبدا لنا التوحيد عذبا مخلصا	وبالغ في التبيين للخلق ناصحا
وذاك السنوسي الذي عمَّ فضله	وحاز فخارا في البرية واضحا
فخار تلمسان عليك بكتبه	فإنها كالتبر المخلص طافحا <sup>1</sup>

فقد استكمل الصباغ على يد هذا الشيخ بقية أشواط طلب العلم، وحصل له شرف الإجازة على مؤلفه، وهو ما يعني نيل رضا شيخه فيما بلغه من نضج علمي، ومعرفي يؤهله لاعتلاء مرتبة الأستاذ المجازي، يخوله ذلك لممارسة التدريس وخوض غمار الحياة العلمية، والدينية على نطاق واسع، في شتى مناحي الحياة في ذلك الوقت.

#### 8.4 آثاره:

لقد تولى الصباغ- كما رأينا- وظيفة القضاء في القلعة إلى جانب مهام التدريس، والعجيب أن الجمع بين وظيفتين يبدو صعبا خاصة إذا تعلق الأمر بإدارة شؤون القضاء، وما فيه من مشاغل، وتداعيات تتعلق بحياة الناس، والنظر في أحوالهم وقضاياهم، بشكل مستمر ودائم، إذ يتطلب ذلك من القاضي التفرغ التام، وعدم الاشتغال بأي مهام أخرى قد ترهقه أو تثنيه عن القيام بهذه الوظيفة على أكمل وجه .

غير أن الصباغ يبدو أنه يملك من الأهلية وكمال العافية ما مكنه من القيام بوظيفة التدريس في المؤسسات والمدارس الدينية في عصره، وأكثر من هذا فقد وفق بين هذه المهام الصعبة واستطاع أن يخصص جزءا من وقته للبحث والتأليف، حيث خلد حياته بمؤلفات قيمة سدّت فراغا مما كان يعانيه عصره من نقص في بعض مناحي الحياة الفكرية في ذلك

<sup>1</sup>-البستان: ص (3).



الوقت، فحياته كما تبدو لنا حياة بعيدة كل البعد عن الترف، والاشتغال بالدنيا، حياة علمية خالصة سادها نشاط علمي حثيث، وجهاد فكري دؤوب، أبرز صورته مؤلفاته القيمة التي خلفها لنا رغم إقراره بتريدي أوضاع عصره.

#### 1.8.4. بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار

أبرز مؤلفات الصباغ كتابه الضخم "بستان الأزهار" موضوع التحقيق، خلد فيه سيرة شيخه الملياني، ضمته تراجم عدد جم من الأولياء والصلحاء، والمتصوفة، في مختلف العصور، "لا نعلم بالضبط تاريخ تأليف "البستان" غير أنه يمكننا حصر هذا التاريخ بين عامي 952هـ/1545م و962هـ/1555م، أي بعد مرور عقدين من الزمن على وفاة الشيخ أحمد بن يوسف (ت931هـ/1524م)"<sup>1</sup>. ويوجد منه نسخ متعددة بعضها في خزائن مكتبات المغرب الشقيق، وبعضها متفرقة هنا وهناك، منها نسختان في المكتبة الوطنية بالحامة وأخرى في مليانة عند القائم بشؤون ضريح الولي، ونسخ أخرى عند أفراد خواص. وإذا ربطنا بين تاريخ ميلاد الصباغ عام (923هـ) وتاريخ تأليف البستان (952هـ) يكون الصباغ قد "استوفى العقد الثالث من عمره وبلغ مبلغ الرجال"<sup>2</sup>. وبفضل هذا الكتاب ذاع صيت الملياني وأصبح فيما بعد "أكبر شخصية صوفية خصها المؤلفون بالتقاييد، والتأليف، والأشعار، فأنت لا تكاد تجد عملا في التصوف لا يشير إلى ترجمة الملياني وحياته الروحية"<sup>3</sup>، اعتمادا على ترجمة الصباغ هذه.

وقد أشار الورثيلاني في الرحلة في سياق حديثه عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني إلى أن "الصباغ ألف تأليفا حسنا في نحو الثلاثين كراسا في كراماته وخوارق عاداته"<sup>4</sup>، ولم يصف الورثيلاني عن الصباغ أكثر من هذا غير أنه ذكر أن "الصباغ هذا ليس الصباغ

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي: التصوف والبدعة بالمغرب، ص23.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، هامش ص 23.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 114

<sup>4</sup> - الحسين بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1. مركز الإمام الثعالبي للدراسات والنشر. الجزائر، (1432هـ-2011م). ص245.

الذي شرح الوغليسية<sup>1</sup>. وهو يقصد به الولي الصالح التقي الورع الشيخ عبد الرحمن الصباغ المشهود له بالعلم الظاهر والباطن، شارح الوغليسية، والبردة، بأن اختصر شرح الإمام ابن مرزوق التلمساني عليها بعلوم سبعة، ورثاه عند موته بقصيدة عظيمة، وأن له كرامات عظيمة، وهو من علماء بجاية في القرن التاسع الهجري<sup>2</sup>. فالملاحظ على الورثيلاني عدم معرفته بالصباغ القلعي لذلك لم يخبرنا عنه مثلما فعل مع الصباغ البجائي.

ولم أجد في المؤلفات التي ترجمت للملياني من أضاف شيئاً عما خصه به الصباغ لأنه - كما قلت - ينفرد بمعرفة شيخه معرفة جيدة على الرغم من قصر المدة التي عاشها معه، على خلاف والده الذي عرف الملياني أكثر ولازمه، وتأثر به، "فالصباغ إذن قد تأثر بالملياني مباشرة وعن طريق السيرة المحكية عن والده كخادم أمين لهذا الشيخ أيضاً. وقد كتب عمله "بستان الأزهار" موسوعة عن حياة الملياني، فيها الغث، والسمين، الحقيقي والأسطوري، المقبول والمرفوض علمياً، فجاء كتابه وكأنه نوع من الذكريات، والحكايات المتفرقة عن الملياني، وهو على كل حال مصدر أساسي عن هذا الشيخ الذي كثرت حوله الأساطير والأقوال"<sup>3</sup>. وسيكتشف المطلع على هذا الكتاب أن الصباغ قد رجع عند تأليفه "إلى مصادر مكتوبة وشفوية، كما رجع إلى كتب الصوفية القديمة"<sup>4</sup> وغيرها من المصادر.

<sup>1</sup>- المصدر السابق. ص 245.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه. ص 72.

<sup>3</sup>- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق. ج 2، ص 359 .

<sup>4</sup>- المرجع نفسه. ج 2 . ص 360 .

\*- إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي : نزيل وهران ، كان إماما في علوم القرآن مقدما في علم اللسان حافظا للحديث، بصيرا بالفقه وأصوله، من أهل المعرفة التامة بأصول الدين، وكان ناظما بليغا، له قصائد رائقة بديعة. وكان معروفا بجودة النظر، والفهم الثاقب، ولد حوالي بداية القرن 9 هـ / 15م بتازة في المغرب الأقصى، وأثناء عودته من الحج استقر في وهران. عرف عنه أنه يتقن الخط الرائق، والتجويد الفائق، ترك أثارا أدبية في التصوف، والمدائح النبوية. أخذ عنه جماعة من الأئمة، كالحافظ التنسي، والإمام السنوسي، والإمام أحمد زروق، وغيرهم . توفي يوم الأحد 09 شهر شعبان 866هـ، ودفن بزوايته في مدينة وهران قرب ضريح شيخه الولي الصالح سيدي الهواري. ولما احتلها الإسبان نقل تلامذته رفاته إلى القلعة ( قلعة هواره ببني راشد) حيث أعيد دفنها وأقيمت له قبة، ولا يزال الضريح مزارا يستقطب الزائرين إلى يومنا هذا. ترجم له كفاية المحتاج 167/1 - نيل الابتهاج . ج 49/1. - نظم الدر

وقد ألف الصباغ مؤلفات أخرى إضافة إلى كتاب "البستان" في مجالات فكرية مختلفة، كالتصوف الذي اشتهر به، وفي النحو أيضا. ومن هنا يمكن لنا أن نتعرف على بعض ملامح شخصية الصباغ العلمية والدينية، من خلال طبيعة المؤلفات التي خلفها، سواء أكانت هذه المؤلفات من تأليفه شخصيا أم التي ألفها غيره فتصدى لها بالشرح والتفسير، على غرار ما ساد ذلك العصر من موجات الشروح، ووضع الحواشي لعدد من المؤلفات، والمنظومات، سواء بشرحها وتفسيرها، أم اختصارها إذا كانت مطولة، وسوف أقف عند أول عمل قام به الصباغ في هذا المنحى حين شرح قصيدة "إبراهيم التازي" \* "المعروفة بالمرادية، وهي قصيدة في التصوف، وسميت بذلك لأنه افتتحها بقوله: "مرادي"<sup>1</sup>. وسوف أعود إلى هذا المؤلف بشيء من التفصيل لاحقا.

هذا وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى مؤلفات أخرى للصباغ، غير أنني لم أقف عليها رغم إصراري على العثور عليها في تنقلاتي إلى عدد من زوايا العلم والقرآن: كزاوية الهامل ببوسعادة، وزاوية الأسرة العثمانية بطولقة ولاية بسكرة، وكذا زاوية الحاج المختار الحدباوي بحاسي بحبح ولاية الجلفة، وفي سفرياتي المتكررة إلى المغرب الشقيق. فقد حاولت جهدي أن أصل إلى هذه المؤلفات وهي تحديدا -"شرح في أسماء الله الحسنى، و شرح آخر في الأذكار"<sup>2</sup>. في الخزانة العامة للمخطوطات بالرباط والخزانة الحسنية ومركز آل سعود للدراسات الإسلامية بالدار البيضاء، ومكتبة جامع القرويين بفاس وغيرها، غير أنني لم أعثر لها على أثر.

#### 2.8.4. شفاء الغليل في شرح النظم الشهير بالمراد

ومن مؤلفات الصباغ التي أمكنني العثور عليها في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة مؤلف بعنوان "شفاء الغليل في شرح النظم الشهير بالمراد" في نسختين تحت رقم

والعقيان. ص 13. /- وفيات الونشريسي، ص 100./- تعريف الخلف برجال السلف. ج 1/ 249. وجميعهم نقلوا الترجمة عن ابن سعد في النجم الثاقب.

<sup>1</sup>- تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1. ص 100.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه. ص 115.

2221 و1856، شرح فيه قصيدة ابراهيم التازي المعروفة بـ"القصيدة المرادية"، وقد اطلعت عليه وهو يقع في 20 ورقة بخط مغربي، عدد أسطر الصفحات يتراوح ما بين 32 و38 سطرا باللونين الأسود والأحمر. وقد اتبع المؤلف في هذا التأليف نفس الأسلوب المتبع في عهده وهو شرح الألفاظ شرحا وافيا للوصول إلى إجلاء المعاني، وبيان المقاصد، وهو في ذلك يستعين بشواهد من القرآن، والسنة النبوية، وأقوال الفقهاء والعلماء. يبدأه بالبسملة والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه و سلم .

يقول "بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم" قال الشيخ : "يقول العبد الحاني، الفقير الرباني: محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي النسب والمنزل لطف الله به، وحاز له في الدار والمقام والرحيل، وجعله من أهل العلم العاملين، أمين يا رب العالمين: لما رأيت بعض أهل الخير والفلاح من المتوسمين بالصلاح تولعوا بقراءة "النظم الشهير بالمراد" المنسوب للشيخ العالم بعلم الشريعة والحقيقة، سيدي أبي إسحاق: سيدي إبراهيم التازي" النسب، الوهراني المسكن، نفعنا الله به وبأمثاله أمين. أردت أن أجمع لهم تقييدا عليه، كان كثير منهم يلحنون فيه، ولا يعرفون معانيه. وسميته "شفاء الغليل في شرح النظم الشهير بالمراد"، جعله الله خالصا لوجهه الكريم، وابتغاء ثوابه الجسيم، فنقول والله المستعان، وعليه التكلان. قال الناظم رضي الله عنه :

مرادي من المولى وغاية آمالي      دوام الرضا والعفو عن سوء أعمالي

وتنوير قلبي بانسلا سخيمة      به أخلدتني عن ذوي الخلق العالي

واسقاط تدبير وحولي وقولي      وصدقي في الأحوال والفعل والقال.

فقوله: مرادي، أي قصدي. قال بعض العارفين: يا مراد المرید أنت مرادي وعلى

فضلك العميم اعتمادي .

أما قوله: من المولى: أي المالك، والسيد، والناصر، ورب العباد، ورب أعمالهم .

قوله: وغاية آمالي: أي أنني مشتاق له والغاية من كل شيء، قاله سيدي عبد الرحمان الثعالبي في تقييد له في اللغة قوله أملي: الأصل هو تعلق القلب بمطموع يحصل في المستقبل. قاله الإمام ابن مرزوق في شرحه على البردة.

وقوله: دوام الرضا: أي البقاء والاستمرار، ومنه قوله تعالى: "مادمت حيا"<sup>1</sup>، أي مدة بقائي حيا ... إلخ.

العفو عن سوء أعمالي: أي التجاوز، قال العارف بالله السنوسي: هو تأخير العقوبة عن يستحقها. قوله عن سوء: أي الذنب، ومنه قوله تعالى: "إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء"<sup>2</sup>.

وهكذا يستمر في تناول أبيات هذه القصيدة البالغ عددها 23 بيتا بالشرح والتفسير مستعينا في ذلك بأقوال طائفة من العلماء، والمفسرين الذين سبقوه: كالثعالبي، والسنوسي، والإمام ابن مرزوق صاحب كتاب شرح الشقراطيسية<sup>3</sup>، التي تكلم فيها على الحمدة، والبسمة، وأقوال الغزالي، وابن مسعود. فقد ذكر أقوال هؤلاء، ودعم بها آراءه في الشرح، والتفسير. والقصيدة منظومة ابتدأها كما رأينا ببيت مصرع، ساوى فيه بين تفعيلتي العروض والضرب، لإحداث إيقاع منسجم، يعمل على لفت انتباه القارئ، واستمالاته إلى جو القصيدة المنظومة على بحر الطويل، النموذج الأول.

#### 3.8.4. شرح الأجرومية

ولما كانت الأجرومية التي ألفها ابن أجروم محل اهتمام كثير من المهتمين بعلم النحو فقد حذا الصباغ حذوهم فألف مؤلفا سماه "الدرة الصباغية في شرح الجرومية" وهو مخطوط موجود في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة في نسخ متعددة اعتمدت الأكمل منها

<sup>1</sup> - سورة مريم. الآية 31.

<sup>2</sup> - سورة النساء. الآية 17.

<sup>3</sup> - الشقراطيسية هي القصيدة اللامية في السير والمدائح النبوية للشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن يحيى بن علي بن زكريا الشقراطيسي المولود في توزر (جنوب القطر التونسي) سنة 429هـ، المتوفى سنة 466.

تحت رقم 2325، مكتوبة بخط مغربي واضح باللونين الأسود والأحمر. جاء في أول الورقة: يقول محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ الهواري بعد بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على المصطفى يقول عبد الله سبحانه محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ الهواري وفقه الله أمين: أردت أن أضع تقييدا على مقدمة الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي عرف بابن أجروم<sup>1</sup> لنفسه ولمن هو مبتدئ مثلي من أبناء جنسي، وتكلمت على إعرابها، ولم أر أحدا أعربها قبلي، لكن لم أدر هل سبقني أحد بإعرابها أم أنا السابق لإعرابها، وقرأت إعرابها على شيخنا الإمام المحقق المدقق الجامع المانع الضابط المحصل أبي عبد الله سيدي محمد بن منصور المستغاني من أوله إلى آخره وأجازني فيه، ودعا لي بخير، وسميته "الدرة الصباغية في شرح الأجرومية"<sup>2</sup>. جعلها الله خالصة لوجهه الكريم، بجاه سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبدته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه. قال الشيخ رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم: "فإن قيل لم لم يُصدر المؤلف في هذه المقدمة بالحمد كما فعل غيره إلخ [...]". وقد قسمته إلى أبواب منها باب مخفوضات الأسماء، باب المفعول معه. وباب المفعول لأجله وهكذا. وقد ختمه بأن قال جامع المتقدم اسمه أول الكتاب قد تم الغرض من وضع هذا المختصر المفيد مع شغل البال، وتراكم الهموم والأهوال، في زمان كثير شره، وقليل نفعه، وخيره، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وقد تم الشرح المبارك على الأجرومية للشيخ الإمام الأستاذ الهمام أبي

1- ابن أجروم: هو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن أجروم، ومعناها بلغة البربر: الفقير الصوفي، الإمام العالم العلامة الهمام، الأستاذ المقرئ، النحوي، البركة الشيخ الكامل، الولي الواصل. ولد رحمه الله بفاس - المغرب الأقصى - سنة 672 هـ/1273م. وتوفي رحمه الله في صفر سنة 723 هـ/1323م. من مصنفاته: - المقدمة الأجرومية. - فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى. - شرح الشاطبية. ينظر شرح المقدمة الأجرومية لأبي عبد الله بن أجروم. شرح مجموعة من العلماء. ط1، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007. ترجم له دة الحجال 110/2. شجرة النور ج1/312. جذوة الاقتباس، ص138. بغية الوعاة. ص102. وفيات الونشريسي. ص22.

2- لقد قام الباحث: عطية هزريش بتحقيق مخطوط "الدرة الصباغية في شرح الجرومية" ونال به درجة الماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها جامعة يوسف بن خدة - الجزائر -، السنة الجامعية 2005/2006.

الفضل الشيخ الصباغ على يد العبد الفقير إلى المولى القدير محمد بن محمد (...). غفر الله له، المُقَرَّرَ بالعجز والتقصير، والحمد لله والصلاة والسلام<sup>1</sup>.

هذه هي المؤلفات التي أمكنني البحث، والتتقيب المستمرين على العثور عليها، وقد قدمت صورة مختصرة عنها، ليأخذ القارئ الكريم فكرة إجمالية عن طبيعتها، ومضمونها، وأماكن وجودها، وأرقامها، وأجهل إلى حد كتابة هذه السطور إن كانت للمؤلف مؤلفات أخرى غير التي أشرت إليها.

هذا ويلاحظ على مؤلفات الصباغ - عموماً باستثناء "البستان" - أنها تنزع منزع ما شاع في عصره من كثرة الشروح<sup>2</sup> على مؤلفات ذلك العصر. ومن خلال إطلاعي على هذه المؤلفات وقفت على كثرة أسماء المؤلفين الأعلام المذكورين في متونها وذلك دلالة على رجوعه إليها، واستفادته منها، بنقل أقوالهم، وشروحهم. ومن هنا يتبين لنا مما لا يدع مجالاً للشك مدى موسوعية ثقافة هذا الرجل، وغزارة علمه، وإحاطته بعلم عصره وما قبله، كما أن ممارسة القضاء، والتدريس، والتبحر في علوم الشريعة، والتمكن من ناصية اللغة، ليس بالأمر الهين لما يتطلب ذلك من إجهاد نفسي، وإنفاق الوقت في زمان كما قال كثير شره، قليل نفعه، كثرت فيه الهموم والأهوال.

وبعد هذه الجولة القصيرة في محاولة الاقتراب من حياة الصباغ برغم شح المعلومات المتوفرة لدينا عنه، يمكننا القول أنه ظل طول حياته يسبح في تيارين متوازيين، امتزجت فيهما معارفه العامة بسلوك الصوفية، فهو من أولياء الله الزاهدين، وعباده الصالحين، المخلصين، إمام في علوم اللسان، حافظ للحديث، بصير في الفقه المالكي وأصوله، من

<sup>1</sup> - الدرّة الصباغية: مخطوط رقم 2325. ق 1، و 3.

<sup>2</sup> - من الشروح التي شاعت في ذلك العصر:

- شرح عقائد السنوسي: الصغرى، والوسطى، والكبرى. /- شرح مختصر خليل. /- شرح الوغليسية. /- شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي. /- شرح الحقائق والدقائق للمقري. وقد كثرت الشروح على رسالة أبي زيد القيرواني حتى قال بعضهم: فما أعلم كتاباً في الفقه المالكي - بعد الموطأ والمدونة - حظي بمثل ما حظيت به رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

أهل المعرفة التامة بأصول النظر، والفهم الثاقب. كان رحمه الله جامعاً لمحاسن العلماء في وقته، متحلياً بآداب الأولياء، له معرفة واسعة في عقائد التوحيد، ولكنه مع كل هذا فإن ما يمكن استنتاجه من خلال ما ورد في هذه السيرة فإن الصباغ - حسب عبارة فرج ابن رمضان - قد بلغ " به الإيمان الأعمى بالأولياء وبركاتهم حد الذهول التام عما يساق إليه في الكلام عليهم من ضروب التمويه والتخليط والتخريف"<sup>1</sup>، فلم يطعن في صحة ما وصله من أخبار مروية عن طريق التحديث والمشافهة، ولم يعلق عليها على وجه التحفظ والتقية، كما لم يستنكف من إيراد نصوص كرامية تتجاوز حدود العقل والمنطق.

وبحسب المؤلفات التي خلفها فإن شخصيته دينية اجتماعية محضة، تجنح إلى تحقيق التصوف الاجتماعي الذي يندمج فيه الصوفي في المجتمع ويعيش بالقرب منه لمعرفة أوضاع الناس وهمومهم وأحوالهم، ومن ثمة العمل على الأخذ بأيديهم إحساناً وتعليماً ودعوة ونصحا وإرشاداً، فكان يعمل على إحداث نقلة علمية نوعية لمجتمعه وترقية مستواه الثقافي والديني، ولذلك كنا نراه يردد عبارة "لما رأيت أهل قلعتنا مولعين ومحبين" للشيخ فلان، أو مولعين بقراءة أي مصدر غير متوفر في وقته يسارع إلى الكتابة والتأليف فيما يكثر الطلب عليه من أبناء مجتمعه، خدمة لهم، وإحساناً إليهم، ورغبة منه في تمكينهم من العلم، والمعرفة، اللذين هما سبيل الرقي الاجتماعي، والتمدن الحضاري.

وهذا الخط الذي سار فيه الصباغ لاشك أنه هو نفس خط شيخه كما قلنا، وأن الملياني قد طبعه باتجاهه الصوفي الذي ظل يسبح في فلكه طيلة نحبه. كما كان تأثير شيخه المذكورين ظاهراً عليه، لأنهم جميعاً من أهل الصلاح والفلاح، أهل عقيدة، وفقه، وتوحيد، غير أن تأثيره بالملياني كان عميقاً إلى درجة التقديس لشخصه، ولعامّة الأولياء. وهذا ماجعله يترسم نهجه الصوفي، ويعمل على نشر فضائله، وينسج أقواله بخط يده، ويجمع متفرقاتها هنا وهناك، في هذا المخطوط الذي نقوم بتحقيقه.

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان. ص 134.



## 9.4 - وفاته:

لقد قلنا عند الحديث عن مولد الصباغ ونشأته أن المعلومات المتعلقة بهذا الجانب تكاد تكون مجهولة، وجُلّ المراجع التي عدنا إليها لم تقدم شيئاً ذا بال فيما يخص هذه النقطة إلا ما أشار إليه هو نفسه في "البستان" إشارة عابرة من غير تحديد دقيق إلى سنة ميلاده بالتقريب والتي ربطها كما رأينا بحادثة انهزام الأتراك أمام جيش أبي حمو سنة 924 هـ- 1518م. وإذا كانت هذه الإشارة إلى تاريخ ميلاده محسومة بهذا التحديد فإن وفاته تبقى غير معروفة، ولا يوجد لدينا سند نعود إليه لتحديد سنة الوفاة .

وقد استبشرت خيراً حين انتهى إلى علمي وجود بحث حول إحدى مؤلفات الصباغ تقدم به الباحث "عطية هزريش"<sup>1</sup>، ونال به درجة الماجستير، وقلت في نفسي لعل هذا العمل سيفيدني على الأقل في الجزء الخاص بحياة المؤلف، وعصره، وهو الجانب الذي ظل مستعصياً عليّ. غير أن أمني قد خاب كون الباحث لم يقدم إضافة عن الصباغ عما اجتمع عندي من أخبار وتوفر لدي من معلومات حول هذه الشخصية، بل على العكس من ذلك فقد فات الباحث المذكور بعض التدقيق والتأكيد في تاريخ وفاة الصباغ، إذ ذكر أنه توفي سنة 936 هـ- 1530م عن عمر لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة إذا أخذنا بعين الاعتبار سنة الميلاد وهي 923 هـ- 1517م، كما أخبر بذلك الصباغ نفسه في مؤلفه.

فإذا قبلنا هذه المعلومات وأخذناها مأخذ الثقة والاطمئنان فإن الصباغ يكون قد عاش ثلاث عشرة سنة فقط، ومعنى ذلك أن هذا الفتى العبقري قد أُلّف في هذه الفترة المبكرة من عمره عدة مؤلفات وعمره لا يتجاوز 13 سنة، وهذا محض خيال محال حدوثه، ذلك أن الباحث "حاج صادق"<sup>2</sup> أشار في كتابه "مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف" إلى السنة التي

<sup>1</sup>- تمت الإشارة إلى هذا البحث في ص 24.

<sup>2</sup>- ينظر: حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ص 73.

ألف فيها الصباغ كتاب "بستان الأزهار" وقدرها ما بين سنة 952 هـ / 1545م وسنة 962 هـ / 1555م.

وعلى هذا يكون الصباغ حسب رأي شيخ المؤرخين أبي القاسم سعد الله قد عمّر طويلاً، وعاش إلى أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، ويكون بلا شك قد شهد تحقيق دعاويه الصادقة، وأمانيه المرجوة، بعودة جميع الثغور البحرية الجزائرية التي احتلها الاستعمار الإسباني إلى سابق عهدها، يدوي في ربوعها وأقاليمها صوت الحق "الله أكبر"، مؤذنا باندحار الكفار، وبذهاب زمن الذل والعار، وذلك في العهد التركي الزاهر بقيادة خير الدين بربروس وابنه حسن باشا، وغيرهم من القادة التاريخيين الشرفاء الذين ارتوت بدمائهم الزكية سواحل مدن الجزائر المحروسة. وللتذكير فإن الصباغ كان مثل شيخه أحمد ابن يوسف كلما ذكر ثغرا من ثغور الجزائر محتلا من قبل الإسبان توجه إلى الله متضرعا بالدعاء الصادق أن يعيدها دار إسلام قائلاً: "بجاية أعادها الله دار إيمان"<sup>1</sup>، وهران أعادها الله دار إسلام، وهكذا مع بقية الثغور. ويقدر أبو القاسم سعد الله تاريخ وفاته في سنة 985 هـ / 1579 م. غير أننا نرجح أن يكون الصباغ قد عاش إلى ما بعد هذا التاريخ وأنه لقي ربه في حدود سنة 990 هـ.

<sup>1</sup> - "البستان". ص (11و).

## الفصل الخامس

### الكتاب "بستان الأزهار"

المبحث الأول : نسبة الكتاب للمؤلف

المبحث الثاني : عنوان الكتاب

المبحث الثالث : تاريخ تأليف الكتاب

المبحث الرابع : دوافع تأليفه

المبحث الخامس : مضمون الكتاب

المبحث السادس : مصادر الكتاب

المبحث السابع : القيمة العلمية للكتاب

المبحث الثامن : منهجه في تأليف الكتاب

المبحث التاسع : الأسلوب

المبحث العاشر : الاستشهاد

- بالقرآن

- بالحديث الشريف

- بالشعر

## 1.5 نسبة الكتاب للمؤلف:

بعد تصفح النسخ المعتمدة في التحقيق، والمقارنة فيما بينها، تأكد لنا بصورة لاسبيل فيها إلى الشك، أن الكتاب محل التحقيق صَحَّتْ نسبته إلى مؤلِّفه " محمد بن علي الصباغ القلعي"، بناءً على الاتفاق الحاصل بين النسخ الأربع التي تمكنا من الحصول عليها، وذلك واقع ومتحقق في الورقة الأولى (1و) من كل نسخة. وفيها أفصح الصباغ بلسانه أنه هو مؤلف الكتاب، وذلك في قوله: "لما رأيت أهل قلعتنا [...] مُحَبِّين في الشيخ الولي الصالح [...] أردت أن أقيد لهم مجموعاً في ذكر شيء من مناقبه، ممزوجاً بأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

كما تحققت هذه النسبة من لدن عدد من المترجمين للشيخ أحمد بن يوسف، من خلال اعتمادهم على مخطوط الصباغ بصفة أساسية، باعتباره المصدر الوحيد الذي عرّف بالشيخ الملياني تعريفاً شاملاً، ومن هؤلاء المترجمين: الشيخ علي بن الحاج موسى الجزائري<sup>1</sup>، وقد ترجم للشيخ أحمد بن يوسف الملياني معتمداً بشكل أساسي على مؤلف الصباغ "بستان الأزهار" وهو المصدر الثاني للتعريف بهذا الشيخ بعد الصباغ القلعي.

كما قام الشيخ محمد حاج صادق بتأليف كتاب بعنوان "مليانة ووليها سيدي أحمد ابن يوسف" ألمّ فيه بترجمة واسعة لهذا الشيخ، اعتمد فيها على مؤلف الصباغ، وعلي بن الحاج موسى الجزائري "في الريح" بشكل أساسي، ومن ثمة يمكن اعتباره مصدراً ثالثاً هاماً للتعريف بالشيخ أحمد بن يوسف، ويضاف إلى هذه التراجم محاولة أبي القاسم الحفناوي<sup>2</sup> الذي نقل ترجمته من مصادر مغربية سابقة له سأشير إليها لاحقاً. أخذ الحفناوي منها الفقرات التي تخص ترجمة الملياني. وأخيراً قدم أبو القاسم سعد سعد الله<sup>3</sup> ترجمة لأعيان التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري، ولم يفته أن يشير إلى الشيخ أحمد بن يوسف الملياني.

<sup>1</sup>- علي بن الحاج موسى الجزائري: "ريح التجارة. مخطوط سبقت الإشارة إليه.

<sup>2</sup>- أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف . مرجع سبقت الإشارة إليه.

<sup>3</sup>- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. مرجع سبقت الإشارة إليه.

كما ترجم للشيخ أحمد بن يوسف الملياني مؤلفون مغاربة منهم صاحب كتاب "دوحة الناشر" لابن عسكر الشفشاوني<sup>1</sup>، وصاحب كتاب "مرآة المحاسن" للشيخ أبي المحاسن<sup>2</sup>، وصاحب "سلوة الأنفاس"<sup>3</sup>، وكذا مؤلف "دليل مؤرخ المغرب الأقصى"<sup>4</sup>. وقد أخذوا جميعاً تراجمهم من كتاب الصباغ بحسب ما صرحوا به في مؤلفاتهم.

وأخيراً لم يفت فريق من الباحثين الفرنسيين الاهتمام بشخصية الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف وكتب العديد منهم حول هذه الشخصية ، منهم مارسيل بودان ، وروني باسيه ، وإميل دار منغم وغيرهم ، وكلهم أشاروا إلى مؤلف الصباغ كمصدر أساسي لترجماتهم حول هذه الشخصية الصوفية، وقد أشرنا إلى هؤلاء المستشرقين في المبحث الذي خصصناه للتعريف بنسب هذا الشيخ. هذه إذن جملة من الأدلة والوسائط الموثقة نسبة المخطوط إلى الصباغ القلعي في اتفاقها وانسجامها .

## 2.5 عنوان الكتاب :

عنوان أي كتاب "هو علامته البارزة التي تميّزه عما سواه، وتتبيّ بمضمونه سواء بشكل ضمني أو صريح، وهو ما يفسّر العناية التي حظيت بها هذه العلامة عند القدامى، سيّما أولئك الذين اهتموا بقواعد التصنيف، ولعلّ أهم ما يثير في كتب المناقب التي يزخر بها تراثنا الصوفي هو ما تنطوي عليه عناوينها من قوّة في الدلالة، تهَيّ القارئ نفسياً لولوج عالم القداسة"<sup>5</sup>. فعنوان من قبيل: "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن

<sup>1</sup> - محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: دوحة الناشر. ط3. دار البيضاء. 1424هـ/2003م. ص112.

<sup>2</sup> - سبقت ترجمته.

<sup>3</sup> - سبقت ترجمته.

<sup>4</sup> - ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان، ط1. 1418هـ. 1997م. ص124.

<sup>5</sup> - ينظر: محمد اسموني: الخطاب المنقبي وصناعة القداسة الصوفية. مقال. مؤمنون بلا حدود للدراسات والنشر. يوليو 2007م. ص2. موقع في الأنترنت.

الأنوار... "يثير المتلقي ويستدرجه" لقبول ما يعرض عليه من أفكار ومواقف، حتى وإن جاوز بعضها حدود الواقعي"<sup>1</sup>.

فقد استهل الصباغ مؤلفه بمقدمة فخمة وضع فيها الشيخ أحمد بن يوسف الملياني في مصاف الرسل، ودرجة الأنبياء، لما خصه به من عبارات الإجلال، والتعظيم، والإكبار، باعتباره وتد الأوتاد، وقطب الأقطاب، وصاحب الكرامات الخارقة، والأفعال الظاهرة، والهمم السامية، والمواهب الربانية، والأسرار الملكوتية، والحضرة القدسية[...]<sup>2</sup>.

هكذا استهل الصباغ مقدمة كتابه قاصداً بذلك -كما صرح في المقدمة- تخصيص هذا المؤلف للتعريف بالشيخ أحمد بن يوسف، غير أنه أثناء الكتابة والتأليف فاضت معارفه وجادت قريحته بما هو أكبر وأوسع دائرة من ذكر أحوال شيخه الملياني ومناقبه، وراح يسترسل في الحديث في ضروب شتى من فنون القول، وفي ألوان مختلفة من العلوم والمعارف، ضاقت بها مساحة الكتاب، وانتهى به الأمر إلى أن وجد نفسه في عمل موسوعي ضخم متعدد المشارب، لم يقصر فيه الحديث على التعريف بشيخه فحسب، بل وجد نفسه قد ألم بعدد جمّ من أقطاب التصوف الإسلامي، وذكر مناقبهم وما اقتصوا به من الأحوال والمقامات، وأطنب في ذكر حكاياتهم، وما نُسبَ إليهم من الكرامات، وخوارق العادات، وظهر له في الأخير أن عنوان الكتاب يجب ألا يتوقف عند مناقب الشيخ أحمد ابن يوسف بل يتجاوزه اعتباراً لتنوع مادته، ولذلك فكر في عنوان أوسع يلم بألوان المعارف التي صبها فيه. فاهتدى إلى مصطلح "البستان" لأنه الأقدر على احتواء مضامينه والأنسب إلى الإحالة على طبيعة مادته، فكان جديراً به لمطابقة الاسم للمسمى.

<sup>1</sup> - محمد اسموني: مرجع سابق. ص2.

<sup>2</sup> - الصباغ: "البستان". ص[2و].

**3.5 تاريخ تأليف الكتاب:**

صرح الصباغ أثناء تأليفه هذا الكتاب ببعض المحطات التاريخية التي يمكن اعتمادها كمؤشرات يمكن الوثوق بها للوقوف-ولو بالتقريب- على الفترة التي بدأ فيها تحرير مؤلفه. فقد أشار إلى سنة ميلاده 923 هـ، لما حدثنا عن المعركة التي استشهد فيها والده عبد الرحمان بن معزى القلعي في المعركة الواقعة بين النصارى الإسبانيين المتحالفين مع الملوك الزيانيين ضد القوات التركية سنة 924 هـ. وقال: "لما استشهد أبي في هذه المعركة لازلت صغيراً دون الأثغار" أي لم تثبت أسنانه بعد .

وأضاف الصباغ محطة تاريخية أخرى هامة وهي تأريخ وفاة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي سنة 931 هـ. استناداً إلى القصيدة المراثية التي خصه بها تلميذه عبد الحق المطهري، وقد كتبها سنة 935 هـ. إلى غاية هذا التاريخ فالصباغ لا يزال فتى صغيراً وشاباً يافعاً ينفق جل وقته في طلب العلم، وتحصيل المعرفة، في مسقط رأسه أولاً، ثم التنقل إلى مستغانم لاستكمال المعارف والتعمق فيها حسبما صرح بذلك في المؤلفات الأخرى التي ألفها<sup>1</sup>.

وإذا افترضنا نهاية رحلة طلب العلم بعد العشرين من عمر الصباغ، وأن التأليف عموماً لا يبدأ فور نهاية مرحلة الدراسة وتحصيل المعرفة، بل يأتي عادة بعد الاستقرار والتوظيف، والإلمام بمطالعة الكتب المختلفة، وتعميق المعرفة، أمكننا أن نقدر نسبياً زمن تأليف "البستان" استناداً إلى هذه المعطيات، ونحدده بعد 950 هـ، حيث يكون عمر الصباغ إنذاك قد تجاوز الثلاثين بقليل وهو سن مناسب للتأليف، ويقدر "حاج صادق" و"أبو القاسم سعد الله" زمن تأليف "البستان" في حدود سنة 952 هـ، نقول هذا لأننا لم نعثر على النسخة الخطية الأصلية التي كتبها الصباغ بخط يده، وكل ما لدينا من نسخ، منسوخة بأقلام كتاب آخرين يدونون عادة أسماءهم وتاريخ إنهاءهم نسخ المخطوط في آخر الورقة.

<sup>1</sup> - من مؤلفاته: الدرر الصباغية، وشرح الأجرومية، وقد أشرنا إليها في المبحث الخاص بمؤلفات الصباغ .

**4.5 دوافع تأليف الكتاب:**

يمكننا تقسيم دوافع التأليف إلى ثلاثة أنواع بحسب ما نفهمه من مقدمة الكتاب وهي دافع ذاتي، ودافع غيري، وآخر موضوعي.

**1.4.5 الدافع الذاتي:**

لا يخفى علينا الميل الواضح للصباغ إلى للشيخ أحمد بن يوسف، ورغبته في تخليد ذكره من خلال تقييد سيرته، وهو يرجو من الله الثواب والنفعة، ويبلغه ما يريد، وقد عبر في أكثر من موضع من هذا الكتاب عن مدى حبه له، ولعامة أولياء الله، وفي ذلك يقول: لما رأيت أهل قلعتنا[...]. أردت أن أقيد لهم [...].، لعل الله أن ينفعني بما قصدت ويبلغني ما أردت".

**2.4.5 الدافع الغيري:**

من الدوافع التي حملت الصباغ على تأليف مؤلف يخلد به سيرة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي هو الاستجابة للرجبة الملحة من المحبين للشيخ والمتعلقين به من أهل القلعة، وسائر قرى هواره، ومدامر بني راشد، وغيرهم من المتعاطفين معه. فقد ذكر في مقدمة الكتاب أنه ألف هذه السيرة نزولاً عند رغبة هؤلاء المحبين له، فتعلق المحبين بالشيخ من أهل القلعة وبني راشد يتحول إلى دافع قوي لدفع الصباغ إلى تأليف "البستان".

**3.4.5 الدافع الموضوعي :**

ويتعلق بولوع الصباغ بالحكايات الصوفية، وما وقع من خوارق الكرامات للشيخ أحمد بن يوسف، ولسائر أولياء الله، فلا شك أن مادة المناقب، ومظامين الكرامات الخارقة، وثناء خيال الحكايات الصوفية، هو الدافع الآخر للصباغ من أجل تأليف البستان، وفي ذلك يقول: "لما رأيت أهل قلعتنا وسائر مجامر هواره وبني راشد، وغيرهم يحسن الظن في الشيخ الولي الصالح، القطب الغوث، [...] أردت أن أقيد لهم مجموعاً في ذكر شيء من مناقبه، ممزوجاً بأحاديث المصطفى ﷺ، وحكايات الصوفية، وما وقع من الكرامات، وخوارق العادات له، ولأولياء الله، [...] لعل الله أن ينفعني بما قصدت، ويبلغني ما أردت".



فالدوافع إذن تتجلى في تحقيق مطلب جماعي لأهل هوار، وبني راشد خاصة، واستجابة لرغبة محبي الشيخ، والمتعاطفين معه عامة. ودافع شخصي يبرز ميل الصباغ إلى شيخه ومحبته له، ودافع موضوعي يتلخص فيما حوته المناقب، وحكايات الصوفية من مادة فريدة، وأثيرة لدى العامة والخاصة من المتعلقين بالشيخ ومن ثمة قيامه بتخليده بهذا المؤلف.

### 5.5 مضمون الكتاب:

كتاب "البستان" المؤلف من قبل الصباغ في الفترة ما بين عامي 952هـ/962هـ 1545م/1555م يعتبر من بين كتب التراجم والسير المطولة، المؤلفة على هذا العهد، وقد قسمه مؤلفه إلى قسمين رئيسيين:

- القسم الأول منه جعله في مناقب الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي وألم فيه بكل ما يتعلق بحياته العلمية، والدينية، والسياسية، والاجتماعية. وقدم الصباغ الشيخ أحمد ابن يوسف كشخصية روحية، وزعيم طريقة صوفية، له قدم راسخة في علمي الظاهر والباطن. ويشكل هذا القسم ثلثي مادة الكتاب.

- القسم الثاني: جعله الصباغ لأقوال الشيخ، ومراسلاته، وتلامذته، ومريديه، ويغطي الثلث الباقي منه.

ولكن ما تجدر الإشارة إليه أن الصباغ لم يلتزم تقسيما منهجيا واضحا لأقسام الكتاب، بحيث يستوفي الحديث في كل مجال معرفي في قسمه الخاص به ولا يتعداه إلى القسم الذي يليه. هذا ما لم يفعله الصباغ أبدا، بل صال وجال في رحاب متن الكتاب بكل حرية وعفوية، وزاوج في القسمين معا بين تاريخ الطريقة الراشدية، وتاريخ التصوف الإسلامي المشرقي والمغربي. وسيج مناقب الشيخ أحمد بن يوسف وكلامه بمناقب وكلام أعلام هذا التصوف وسلفه، ونهل من مشربين: مشرب خاص بموضوعه الرئيسي وهو سيرة شيخه أحمد ابن يوسف، ومشرب عام يهتم الإطار الذي حوط به هذه السيرة والمتعلق بأخبار الصوفية في الإسلام.

ويمكن لقارئ الكتاب أن يلاحظ أن الصباغ قد تحدث فيه عن كل شيء، وأفرغ علمه في هذا المجلد الضخم، وضمنه ألوانا شتى من العلوم والمعارف. فهو كتاب تاريخ، وفقه، وعقيدة، وتوحيد، وهو أيضا كتاب في التصوف وأحوال المتصوفين، ومقاماتهم، ومناقبتهم، وكراماتهم وحكاياتهم، وقد زينه بنخبة من آيات القرآن الكريم وبطائفة من الأحاديث الشريفة وباقية من الأشعار.

والكتاب أيضا نافذة حول واقع الحياة العقلية في مغرب القرن العاشر الهجري، وقد عكست رسائل الملياني المختلفة لتلامذته، وفقهاء عصره، طبيعة المسائل الفكرية، والفقهيّة، التي شغلت بال الرأي العام المحلي، والجهوي، وأفادنا الكتاب بمحتوى النقاش العلمي الذي دار بين الشيخ أحمد بن يوسف وبين علماء ذلك العهد، وصلحائه. وقد وقف الصباغ منتصرا لشيخه أحمد بن يوسف ومؤيدا له في مواقفه، وردوده المقتنعة، حول ما يصله من مسائل وفتاوى.

وشكلت أقوال أحمد بن يوسف في قضايا الفقه والعقيدة والتوحيد إطار فهم جديد لكثير من المفاهيم التي ظلت مبهمّة، والتي لم يتمكن من فهمها الكثير من العلماء والصلحاء في عصره. وتضمن الكتاب أيضا حشودا من مناقب الأولياء، والمتصوفين استقاها الصباغ من مصادر التراث الإسلامي الصوفي، من مثل ما ذكره ذو النون المصري، والجنيد العراقي، وأبو يزيد البسطامي، وابن عطاء الله السكندري، وما روي عن سمنون المحب، وغيرهم كثيرون أفاض الصباغ من بحر معارفهم.

وخص الأولياء بعناية خاصة فأحاط بعالمهم، وأبان عن كثير مما يميزهم عن غيرهم من خلق الله، فحسب الصباغ فهم مكن السرّ الإلهي الرباني، وأن صفات الولي من صفات الله تبارك وتعالى، ونعوته من نعوته، وأنهم كثيرون في الأرض باقون إلى يوم القيامة، بهم يرحم الله العباد والبلاد، وبهم ينصرون على الأعداء، وبهم يرزقون. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>1</sup>. وهكذا يستعين بالقرآن الكريم لتوثيق صحة ما ذهب إليه مرة، ويورد أقوال أرباب التصوف مرة أخرى.

فقد نقل قول الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي في شرحه على الرسالة أن "مقامات الأولياء مئة ألف وثمانية وأربعون ألف مقام، وكل مقام يعبر عن المقام الذي انتقل عنه، وفوق كل ذي علم عليم". ويحدد عددهم ومراتبهم ومقاماتهم فيقول: "فأعلى المقامات الغوث، وتحتة القطب، وحوله الأوتاد الأربعة، وبعدهم البدلاء، وهم سبعة في الدنيا، ثم النجباء، ثم بعدهم النقباء، ثم بعدهم الأولياء، ثم بعدهم المریدون، ثم بعدهم المرابطون، ثم بعدهم الصالحون، ثم بعدهم المحبون، فإذا مات واحد منهم من الطبقة العليا رفع واحد منهم".

وانتقل بعدها إلى الحديث عن اسم الله الأعظم، ونقل أقوال العلماء، ووجهات نظرهم في هذا الموضوع، وأشار إلى المواضع التي ورد فيها في القرآن الكريم، وحدده بأنه المقصود به هو "الحي القيوم".

وتضمن الكتاب قضايا مختلفة من التاريخ السياسي للعهد الذي عاش فيه الشيخ أحمد ابن يوسف، وأشار إلى الوضع الحرج الذي آل إليه مصير الوطن الجزائري عشية سقوط الأندلس، وتعرض الثغور الشمالية للجزائر لحملات الغزو الإسباني. وكشف الصباغ عن موقف أمراء بني زيان السلبي إزاء التواجد الإسباني على أراضي المملكة خاصة المرسى الكبير، ووهران. وأبرز بوضوح الموقف المعارض للشيخ أحمد بن يوسف، وعامة الطبقة الصوفية، والفقهاء، من صمت هؤلاء الأمراء، وتقاؤسهم عن الدفاع عن الوطن وثغوره المحتلة. كما أشار الصباغ إلى مباركة الشيخ أحمد بن يوسف والفقهاء عامة بالتواجد التركي على التراب الجزائري، وقد أعلن عن تأييد الإخوة عروج وخير الدين بريروس وبارك جهادهما لتحرير الثغور البحرية المحتلة من قبل الإسبانيين. وكان هذا الموقف المساند للأتراك سببا

<sup>1</sup> - سورة يونس، الآية 62.

في غضب السلطة الزبانية على الشيخ أحمد بن يوسف وقيامها بتضييق الخناق عليه، وسجنه، ومحاولة قتله.

وفي الكتاب أيضا تراجم كثير من أرباب التصوف الإسلامي، وذكر عدد هام من تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف وما تميزت به حياتهم، كمريدين، ورواة لكثير من الأخبار المتعلقة بالشيخ أحمد بن يوسف من خلال معاشتهم الحية له.

وقد تضمن الكتاب أيضا حشودا من الأدلة التي سعى الصباغ الى جمعها لتأكيد علو كعب الشيخ أحمد بن يوسف، وتربعه على عرش ولاية الأولياء في عصره، وأنه هو الولي الأعلى، المخصوص بالسرّ الإلهي، المؤيد بالعناية الربانية، فهو حسب الصباغ نائب عن رسول الله ﷺ فقد حجه عن رؤية الأمير أبي حمو. فقد كان له مع الأمير أبي حمو في السجن مثلما حدث للرسول ﷺ مع قريش حين اجتمعت على قتله ليلا فأغشى الله أبصارهم. فقد أخذ الله ببصر أبي حمو وكذلك الذابح فلم يروه، ونجا من كيدهم .

وهو أيضا الولي الذي تكشف له الحجب ويخبر بالغيبات. فقد أخبر شيخه زروق بحال ولده بفاس. وكثيرة هي الصور التي أبرز فيها الصباغ شيخه منتصرا على أعدائه ومعارضيه، بفضل العناية الربانية له، وسرد طائفة من الكرامات التي تحققت له في مواطن كثيرة، وفي مواقف مختلفة، حتى انتشر ذلك بين الناس من العامة والخاصة، وحصلت له المهابة والوقار، ونال التعظيم والتبجيل، وبلغ الأمر بالناس أن صاروا يحلفون باسمه.

هذه الصورة التشكيلية الحاصلة لصاحب ضريح مليانة هي نقطة اهتمام الصباغ ومركز ثقل جهده وسعيه، وأن كل المناقب والكرامات التي ساقها في مؤلفه والمتعلقة بأرباب التصوف الإسلامي إنما ذلك كله لغاية تأكيد ما نسب إليه من أوصاف، وأفعال، وكرامات، وكأني بالصباغ يريد أن يقول إذا كان الناس يصدقون بما تحقق من كرامات وخوارق عادات لكثير من أقطاب التصوف الإسلامي فما المانع أن تكون للشيخ أحمد بن يوسف أحوال، ومقامات، وكرامات. على غرار ما تحقق لهؤلاء؟.

إن مضمون "البستان" متنوع حقا، لكن همَّ الصباغ كان مركزا حول تحقيق هذه الغاية وهي إثبات ولاية الشيخ أحمد بن يوسف، واعتلائه عرش القطبانية على سائر الأولياء، والصلحاء، والعلماء، بما أمكن وبما هو غير ممكن في مغرب القرن 10هـ.

إلى جانب موضوع المناقب اهتم الصباغ بموضوع الولاية وخصص مبحثا خاصا في ثبوت ولاية الشيخ أحمد بن يوسف تتويجا لسلسلة المناقب المنسوبة إليه، والكرامات المتحققة له. والواقع أن الصباغ قام بعمل إضافي وجد أرضيته مهينة وطريقه معبدا نحو ترسيم ولاية الشيخ أحمد بن يوسف التي تم تعيينها وإقرارها من قِبَل شخصيات سابقة عليه، وتحديد تلامذة الشيخ، والمحبين له، فالقصائد المؤلفة حوله في المدح والرثاء حوت كثيرا من الإشارات، والإيحاءات الصريحة إلى ما اتصف به من صفات، وأحوال، تختزل مكانة الشيخ وثبوت ولايته، فالصباغ إذن أقرَّ ما أثبته تلامذته من رموز الولاية وعضده بالروايات الشفوية الداعمة التي صبت جميعها في نفس الاتجاه .

واهتم الصباغ بذكر ما تميز به الأولياء الصالحون، وما حازوه من فضل، وما خصهم به الله من معرفة أسرار الخلق، والمكاشفة، والقدرة على الطيران، والمشي على الماء، إلى غير ذلك مما نسب إليهم من كرامات، وخوارق عادات، كالشيخ أبي يعز، وأبي سعادة، وسيدي أيوب السارية وغيرهم.

وفي الكتاب أيضا فصل خاص بالمحبة، فعرفها وذكر أقوال المتصوفين حولها، وفصل أقسامها، وأسماءها، فهي أولا المقت، ثم المودة، ثم الخلّة، ثم المحبة، ثم الشوق، ثم التوق، ثم العشق، ثم الرمق، ثم النزاع، ثم الصبابة. واستعان في بيانها بأشعار تناسب المقام.

وخص فصلا قصيرا تحدث فيه عن آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبما تمتاز به عن آيات الأولياء، وقد مثل أبو يزيد البسطامي الفرق بينهما فقال: مثل ما حصل للأنبياء

كمثل زُقِّ فيه عسل ترشح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء، وما في داخل الزق هو مقام الأنبياء.

وتحدث أيضا عن مسألة شغلت فقهاء عصر أحمد بن يوسف الملياني تتعلق بحكم قراءة القرآن في المسجد جهرا وما دار حولها من نقاش. وخص في الكتاب فصلا آخر تحدث فيه عن حقيقة الزهد، وساق حوله آراء عدد من المتصوفين والعلماء. كما تحدث أيضا عن صفة نَعَيْهِ صلى الله عليه وسلم. وكذا حب الفقراء والمساكين، وأتى بأحاديث شريفة، وأبيات شعرية، في محبة الفقراء، وبيان فضلهم.

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن عدد الفرق التي افتقرت عليها أمة موسى وعيسى عليهما السلام وعددها إثنان وسبعون، أحد وسبعون في النار وواحدة في الجنة. وانقسمت أمة محمد ﷺ إلى ستة: الزنادقة، والرافضية، والقدرية، والحرورية، والجهمية، والمرجئة، وقد فصل أصل كل فرقة وما ترتكز عليه عقيدتها.

وفي الكتاب أيضا ذكر سلسلة سند طريقة الشيخ أحمد بن يوسف المتصلة بطريق سيدي أبي الحسن الشاذلي. وتحدث أيضا عن العلم، وأقسامه، ومن تولاه الله تعالى بهذه العلوم من خاصة عباده من الأنبياء، والرسل، والأولياء، وقال علي رضي الله عنه: "علمني رسول الله سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك لأحد غيري". وقال أبو هريرة بشأن علم الباطن بأنه لباب الشريعة وهو من العلم المخزون اللدني الذي اختزنه الله عنده ولم يؤته إلا لمخلص من الأولياء، وقال الجنيد: "علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ". وقال بعضهم: هي أسرار الله تعالى يبيدها إلى أمناء أوليائه والسادات النبلاء من أصفیائه من غير سماع ولا دراسة وهي من أسراره التي لم يطلع عليها إلا الخواص وأفاض الصباغ في هذا الباب كثيرا.

## 6.5 مصادر الكتاب:

اعتمد الصباغ في تأليف كتاب البستان على مصادر متنوعة يمكن تصنيفها في

صنفين رئيسيين:

## 1.6.5 مصادر شفوية:

وهي مجمل الروايات الشفوية المختلفة التي اعتمد عليها لملء الفراغ الذي اكتنف جوانب من حياة الشيخ أحمد بن يوسف مما لم تذكره المصادر المدونة. فقد وجد الصباغ في تلامذة شيخه وكذا أعيان منطقة قلعة بني راشد، وبلاد هوار، والتخوم المجاورة لها مصادر أساسية استقى منها الينايبع الأولى من مادة كتاب "البستان"، لأن الصباغ في الواقع لا يعرف عن شيخ أبيه إلا النزر القليل من المعلومات نظرا لصغر سنه آنذاك، فلم يتعد عمره عقدا من الزمن حين وفاة الشيخ أحمد بن يوسف، وهذه الفترة الزمنية القصيرة لا تكفي البتة لمعرفة الشيخ معرفة وافية تغنيه عن اللجوء إلى غيره لاستقاء الأخبار المتعلقة بقطاع واسع من حياة هذا الشيخ الذي تعدت شهرته سماء المنطقة الغربية من الوطن، وعليه أمسى اللجوء إلى الروايات الشفوية ضرورة ملحة لا معدى منها لكتابة ترجمة متميزة تليق بقامة الشيخ أحمد بن يوسف، وتحيط به كولي صالح، وشخصية دينية، وصاحب طريقة صوفية.

وقد وردت صيغ النقل الشفوي متنوعة تؤكد في مجملها حرص الصباغ على تأمين قناة نقل المسموع وتوثيقه، وتأكيد صحته، ويظهر ذلك من خلال العبارات الموظفة الدالة على النقل الأمين، وذلك في مثل قوله: وقد أخبرني من أثق بنقله. وقوله: ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف ما أخبرني به من أثق به. وقوله: ومنها ما حدثني به بعض أكابر قلعتنا. وقوله أيضا: ومن ذلك ما حدثني به غير واحد أن الأمير أبا حمو[...] وقوله: وحدثني سيدي يحي عن رجل آخر. ومن ذلك ما حدثني به السيد محمد المكنى أبو زينة الورغي. وقد نقل عن أخيه قائلا: وقد حدثني أخي السيد الفقيه العالم القاضي حينه سيدي علي ابن محمد بن معزى مشافهة وقال لي... وهكذا.

ويختم الروايات الشفوية بقوله: "وإنما أتيت بهذا القدر اليسير الذي هو كنقطة من بحر ردا على من يعترض أو ينكر على قول الشيخ سيدي أحمد بن يوسف نفعنا الله به آمين". هذه جملة من صيغ الروايات التي ذكرها الصباغ، وحرص على اختيارها بعناية

كبيرة، دفعا لأي شك فيها أو قذعا في مصداقيتها. وقد جمعها من التحديث الشفوي وصاغها بأسلوبه الخاص، وقد حوت مادة غزيرة نفيسة، شكلت ما يفوق ثلث مادة الكتاب.

### 2.6.5 مصادر مدونة:

وهي المصادر المكتوبة التي يمكن اعتبارها روافد أساسية في بناء مادة الكتاب، وقد اعتمد عليها الصباغ بشكل أساسي، سواء في أخذه نقولا مطولة منها أو مقتطفات وجيزة، ولكنها حاضرة في محيط الكتاب، ويمكن تعيين هذه المصادر كما أشار إليها الصباغ فيما يلي:

مصادر مدونة متعلقة بحياة الشيخ أحمد بن يوسف وبتراثه العلمي وتتمثل في:

- أقوال الشيخ أحمد بن يوسف ورسائله التي كتبها بخط يده وراسل بها عددا من الشخصيات الفكرية والدينية، والجهات المختلفة داخل الوطن وخارجه، وقد أشرنا إلى هذه الرسائل في المبحث الخاص بمؤلفاته، فقد شكلت هذه الأقوال والرسائل مادة علمية هامة، وضع الصباغ يده عليها، وكان له الفضل في دفع أيادي الإيتلاف عنها، وحفظها من الضياع.

- السيرة التي كتبها الطالب علي بن العباس التمزغراني حول الشيخ أحمد بن يوسف بعنوان "مناقب تاج الأوتاد ومصباح البلاد". وتبدو هذه السيرة في مناقب الشيخ سابقة على كتاب "البستان" للصباغ. بمعنى أن الصباغ لم يكن السباق إلى الكتابة حول هذا الولي .

- القصيدة الخمسة التي مدح بها محمد العنتري العربي شيخه أحمد بن يوسف وعدد أبياتها 114 بيتا. فقد وقف عليها الصباغ، واعتمدها كمصدر أساسي من مصادر تأليف الكتاب.

- القصيدة الرجزية التي مدح بها أحمد بن العباس البطحي شيخه أحمد بن يوسف وعدد أبياتها 112 بيتا.



- القصيدة اللامية التي رثاه بها تلميذه عبد الحق المطهري وعدد أبياتها 126 بيتا، وقد انتهى من نظمها في سابع عشر من رجب سنة خمس وثلاثين وتسعمائة هجرية نقلها الصباغ من خط يد المؤلف، وهي من القصائد الفريدة المهمة في معرفة كثير من الجوانب المتعلقة بحياة الشيخ أحمد بن يوسف.

- النص المنثور الثابت في اتصال طريق الشيخ أحمد بن يوسف بطريق الشيخ أبي الحسن الشاذلي وهو من تقييد عبد الحق المطهري أيضا.

-النظم الخاص باتصال طريقة الشيخ أحمد بن يوسف برسول الله ﷺ لمؤلف مجهول. هذه المصادر في جملتها تهم حياة الشيخ أحمد بن يوسف وقد استطاع الصباغ الحصول عليها من مالكيها وأغلبهم من تلامذة شيخه، ومن الرواة المتعددين الموزعين في محيط الإقليم الغربي للجزائر، وقد استقى منها الصباغ مادة وفيرة نادرة عزيزة المنال لا تقدر بثمن.

### 3.6.5 مصادر عامة:

إلى جانب المصادر التي ذكرناها والتي لها علاقة مباشرة بحياة الولي الصالح الشيخ أحمد بن يوسف والمعتبرة في خانة المصادر المخطوطة التي لم يسبق نشرها. وظف الصباغ مصادر أخرى مدونة أخذ منها نقولا مطولة في بعض الأحيان وغطى بها مساحة واسعة من حجم المخطوط مما تعلق بقضايا الفكر الإسلامي، ومختلف المشارب التي تغذى منها التصوف الإسلامي عموما، في المشرق والمغرب، وما أفرزه من تيارات فقهية، وتلونات مذهبية، ومدارس صوفية، وجدت مناخا ملائما في سماء المغرب الإسلامي.

وقد ألم الصباغ بمطان مصادر هذه التيارات والمذاهب، واستقى منها مادة متنوعة بحسب الحاجة، وخصوصا موضوع المناقب، والكرامات، وحكايات الصوفية، ومختصرات أخرى في فهوم مختلفة، وحاول توثيق المقتطفات والشواهد المعضدة لأفكاره وآرائه في مسائل

الفقه، والشريعة، والعقائد، والتصوف، وأحوال المتصوفين، ولذلك تنوعت مصادره، وتعددت، وكانت على الشكل الآتي:

- الدرر المكنونة في نوازل مازونة لموسى بن عيسى المازوني وهو عمدة المصادر التي اتكأ عليها الصباغ في مختلف نقوله.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للعلامة عبد الرحمن الثعالبي.

- عقائد السنوسي: الصغرى، والوسطى، والكبرى. لأبي عبد الله محمد بن يوسف

السنوسي.

- تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين. لأبي الفضل قاسم الرصاع.

- القبس، والسراج، والقانون، لمحي الدين بن العربي.

- الإحياء، والفرق، لأبي حامد الغزالي.

- قوت القلوب، لأبي طالب المكي.

- زهر الأكمام في قصة يوسف عليه السلام، سراج الدين بن عمر الأنصاري

الأوسي.

- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، نور الدين الشطنوفى.

- الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري.

- التتوير في إسقاط التدبير، لابن عطاء الله السكندري. وغيرها من المصادر التي

أشار إليها الصباغ واستفاد منها في نقوله المختلفة.

## 7.5 القيمة العلمية للكتاب:

يكتسي المخطوط أهمية كبيرة من زوايا كثيرة، ففيه وفرة وافرة من التراجم المطولة

لعدد كبير من الشخصيات العلمية، والأعلام الصوفية اشتهرت بهم الجزائر وباقي أقطار

المغرب العربي والعالم الإسلامي، من بداية الدعوة المحمدية إلى زمن المؤلف في القرن

العاشر الهجري. فقد حشد فيه الصباغ عددا كبيرا من تراجم الفقهاء والصلحاء والأولياء

وأرباب التصوف الإسلامي، وأسماء الصحابة، ومناقبهم، وأسماء أساتذة شيوخه، وتلامذته وبعض القادة العسكريين في العهد التركي إضافة إلى أسماء الزعماء، والخلفاء، والأمراء، الذين حكموا الجزائر والمغرب بصفة عامة.

إن المخطوط بالحلة التي ورد فيها هو محصلة ثقافة المؤلف، فقد أفرغ فيه خلاصة ما انتهى إليه من علوم وقته، فقه، تفسير، حديث، عقيدة، توحيد، تصوف، شعر، وهلم جرا. وهو يدل على مدى سعة الاطلاع الذي تميز به صاحبه، وكذا حسن استيعابه للأحداث والتطورات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وعرف كيف يؤرخ لأحوال المغرب الأوسط، والتقلبات التي لازمته طيلة عهد المؤلف، ويشخص طبيعة الصراعات السياسية المحلية والإقليمية من أجل الحفاظ على الإمارات والنفوذ الدائم بين زعماء القبائل المختلفة من جهة وبين أمراء مملكة تلمسان أنفسهم حول تولي إمارتها وما صاحب ذلك من عدم استقرار، وضعف هوية الدولة من جهة أخرى، مما جعل الصليبيين يتكالبون عليها بقيادة إسبانيا والبرتغال، فقد أشار صاحب المخطوط إلى ألوان المحن التي تعرض لها الوطن المجروح والانتكاسة التي عاشتها أجزاء مختلفة منه عشية سقوط الثغور الشمالية منه تحت الغزو الإسباني كجاية، ومدن المنطقة الغربية كوهران، والمرسى الكبير، ومستغانم، وتنس، وشرشال، ومحاصرة خليج الجزائر العاصمة عبر حصن "البينيون" لعدة سنوات.

إن المخطوط يشير إلى تفكك وحدة الوطن وانقسامه إلى إمارات ضعيفة، يؤثر أمرؤها الاستعانة بالنصارى لقتال بعضهم البعض، من أجل تثبيت ملكهم، أو استرداده إن انتزع منهم، كما فعل ملوك بني عبد الواد الزيانيين، وأحمد بن القاضي أمير إمارة جبل كوكو بالقبائل الكبرى، وعبد العزيز الحفصي أمير إمارة قلعة بني عباس بالقبائل الصغرى، وأحمد العبد أمير إمارة تنس، وسليم التومي أمير إمارة الثعالبة بمتيجة، وغيرهم من شيوخ الإمارات الجزائرية الضعيفة الراضة الانضواء تحت حكم الخلافة العثمانية آنذاك.

وإلى جانب المعلومات التاريخية التي حواها المخطوط فإن أحوال التصوف والمتصوفين والصلحاء قد نال القسط الأكبر من اهتمام الصباغ.

### 8.5 منهجه في تأليف الكتاب:

لم يعتمد الصباغ منهجا معيناً في تأليف كتابه ولا تَقَيَّدَ بموضوع واحد محدد يريد فصل الحديث فيه، بل سلك في مؤلفه طريق السلف، وأسلوب الأقدمين في التأليف، حيث راح يتحدث فيه عن كل شيء خطر بباله، أو اطلع عليه أو بلغه من طريق الروايات الشفوية التي استقاها ممن سبقوه.

وقد استهل عمله بترجمة مستفيضة حول شيخه أحمد بن يوسف الراشدي حيث قدمه بطريقته الخاصة فيها سيرة الشيخ وحياته، وأعماله، وفضائله، واستعان بالأشعار التي قيلت فيه، والكرامات التي تحققت على يده، كما ذكر مواقفه المختلفة إزاء قضايا عصره الدينية، والفكرية، والسياسية. منها على الخصوص موقفه من أمراء بني زيان المتخاذلين على الدفاع عن الوطن ضد الاحتلال الإسباني، وموقفه من الوجود التركي. إلى جانب مواقفه مع فقهاء عصره. كما ذكر كثيرا من أخبار الأولياء، والصلحاء، وعامة الطبقة الصوفية، ووقف على جانب من مراسلات الشيخ مع عدد من أقطاب التصوف محليا وجهويا وقطريا.

فالملاحظ على الصباغ أنه لم يقف عند الترجمة الشخصية لشيخه بل أفرغ علمه وثقافته في هذا المجلد الضخم. إذ يكاد قارئه يتعجب من تنوع قطوف المعارف والعلوم وكذا الأخبار والحكايات التي ضمن بها الصباغ مؤلفه، ولذلك فقد جعل تسميته لا تتعلق بالملياني وحده، ولا بغيره من صلحاء عصره، بل استعار لفظ "البستان" وأطلقه على مؤلفه لما في ذلك من قرابة شبه بينهما، أي البستان الحقيقي والبستان "الكتاب".

فالبستان الحقيقي غزير النبات متعدد الأزهار والألوان، وكذلك محتوى كتاب الصباغ، تتوعدت مواده، وتعددت مواضيعه، وتشعبت أخباره، وفاضت جنباته بأسماء الأفراد والأعيان

ومن المتصوفين، والزهاد، وعدد جمّ من أسماء المؤلفات، وجواهر الكتب، وضروب من المناقب، والكرامات، والحكايات، مما يطول المقام بذكرها وهي مذكورة في المتن حاضرة. وقد اجتهد الصباغ كثيراً من أجل تلميع صورة الشيخ أحمد بن يوسف والدفاع عنه، وجعله قطب الأقطاب، وغوث زمانه، وسخر لهذا المسعى جميع ما أمكنه من وسائل التأكيد، ووسائل الدعم، والتوثيق والإسناد، فلجأ إلى ملء متن الكتاب بطائفة من الاقتباسات الكثيرة من آيات القرآن الكريم، ومتون مختلفة من الحديث الشريف، ومنتخبات مختلفة من الشعر الصوفي، وهو في ذلك لا يلتزم بذكر الآيات مكتملة أثناء الاستشهاد في كثير من المواطن، إذ ينقل جملة من الآية مهما كانت مرتبتها من أول الآية أو في وسطها أو في آخرها. وفي بعض الأحيان يذكر معنى الآية دون لفظها، كما لا يعين العلامات الفارقة بين كلام الله عز وجل، وكلامه، ولا يقوم الناسخ بتشكيل آي القرآن الكريم .

وإلى جانب هذا الاستشهاد والاقتباس من القرآن نجد حضوراً معتبراً من نصوص الحديث النبوي في متن المخطوط، غير أن الصباغ لا يحفل بطبيعة الحديث الذي يورده صحيحاً كان أو ضعيفاً في كثير من المواضع من الكتاب، كما لا يهتم ذكر الحديث مكتملاً أو موثقاً بربطه بمصدره وسنده، فهذا كله لا يدخل ضمن دائرة اهتمام الصباغ . وهكذا يمتزج كلام المؤلف مع هذه الوسائل بلا علامات تنصيص أو إشارات معينة للفصل بين نصوص الدعم والاقتباس، وكلام المؤلف، فهل هي من فعل النساخ؟ أم مما وقع فيه تقصير الصباغ قصداً أو بغير قصد؟. ومن ثمة يمكن اعتبار ذلك مما هو شائع في مناهج المؤلفين وأساليب كتاباتهم في ذلك العهد.

وقد اعتمد المؤلف على السرد والرواية الشفوية وأكثر من النقل الكثيرة من مصادر متعددة ومتنوعة، ولكنه نادراً ما يشير إلى هذه المصادر، ويبين طبيعتها، مكتفياً بقوله: انتهى من سيدي موسى المذكور، انتهى من نوازل مازونة... وهكذا، ونادراً ما يدلي برأيه حول طبيعة المادة التي ينقلها من تلك المصادر، أو يعلق عليها إلا حينما يتوجه بالتهديد

والوعيد لمعتزضي شيخه ومنكريه فيقول: "إياك إياك أن تعترض على قول سيدي أحمد ابن يوسف"، أو يستعمل عبارة التحذير "إياك وإياك يافقيه من المبادرة بالإنكار على قول سيدي أحمد ابن يوسف"، أو يقول: انظر يافقيه لهذه القضية وصدق بقول سيدي أحمد بن يوسف وإياك والتعرض على أولياء الله، نعوذ بالله من التعرض على أولياء الله.

ومما هو جدير بالملاحظة أن المخطوط يفتقر إلى منهجية دقيقة في العنونة، تُرتب المعارف، وتُنظّم المباحث، وتُنيسر على الباحث سبل الوصول إلى غايته من غير مشقة وعناء. لقد قسم الصباغ مؤلفه إلى فصول عامة غير أنها ليست دقيقة، إذ كثيرا ما يشرع في الحديث حول موضوع معين ثم يتركه قبل أن يستوفي المقصود فيه، ثم ينتقل إلى موضوع آخر وقبل إنهائه يتركه ويعود إلى الموضوع السابق، موظفا عبارة "ولنرجع إلى ما نحن بصدد الحديث عنه، أو يقول: ولنعد إلى ما سبق ذكره من مناقب وتد الأوتاد، وقطب الأقطاب سيدي أحمد بن يوسف. وهكذا يجعل فصوله مفتوحة، يرجع إليها متى عاد إليه تيار التذكر، فيضيف ما لم يستحضره في أوانه، أو في فصله. ولذلك نجد عبارة "ولنعد إلى ما سبق الحديث عنه" في قضية أو مبحث، أو فرع من المعرفة كثيرة الورد، حيث يكمل باقي الفصل السابق في الفصل اللاحق وهكذا...

كما يمكننا تسجيل تقصير بالغ الأثر وقع فيه الصباغ في المخطوط وهو إهمال العناية بالتواريخ المصاحبة للأحداث التي ذكرها في الكتاب، ولمختلف المراحل التي مر بها الشيخ أحمد بن يوسف منذ نشأته إلى وفاته، فالكتاب جاف من ناحية تأريخ الأحداث والوقائع، بحيث لم يعن الصباغ على مدار صفحات الكتاب إلا بذكر السنة التي وافت فيها المنية والده، ويبدو أنه متأثر بالحدث، وحرص على تعيين تاريخه بدقة قائلا: "ومن خير الآخرة أن مات أبي شهيدا في الملحمة التي وقعت في قلعتنا \_حماها الله\_ بين الأتراك والنصارى وقت حلول الإسكندر بالقلعة المذكورة، وتاريخ الملحمة على ما نقلته من خط عمنا السيد الفقيه العالم النبيه القاضي سيدي أبي عبد الله \_رحمه الله\_ شهر جماد الثاني من عام

أربعة وعشرين وتسعمئة. ومات أبي حينئذ وأنا دون الإثغار"<sup>1</sup>، والملحمة كما نرى محطة تاريخية هامة وعظيمة بالنسبة لتاريخ الجزائر في العصر الوسيط. وإذا أرخ لوفاة والده فإنه أهمل ذكر تاريخ ميلاده لولا إشارته العابرة إلى ذلك في عبارته "دون الإثغار". ولو اهتم الصباغ بالتواريخ لكفى كثيرا من الباحثين الشطح والتخمين حول مقاربة تاريخية لبعض الأحداث، والمراحل، والمحطات الهامة من حياة الشيخ أحمد بن يوسف على غرار ما أشرنا إليه في اختلاف هؤلاء الباحثين حول تحديد تاريخ وفاته، ولولا القصيدة المرثية التي رثاه بها عبد الحق المطهري لتعذر علينا معرفة تاريخ وفاة صاحب ضريح مليانة.

### 9.5 الأسلوب:

من أهم مميزات كتاب البستان اللغة التي كُتبت بها والأسلوب الذي اعتمده الصباغ في صياغة أفكاره وتقييد مضامينه، والواقع أن أسلوب الكتاب يمكن ملامسة معالمه من خلال المقدمة التي دَبَّج بها الصباغ كتابه، والذي حدد فيه دواعي تأليف هذه السيرة نزولا عند تحقيق رغبة شريحة واسعة من محبي الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، فالكتاب إذن موجه لعامة المتعلقين بالشيخ المذكور اعتبارا لما أفصح عنه الصباغ حين قال: "فإني لما رأيت أهل قلعتنا، وسائر مجاشر هواره، وبني راشد وغيرهم، يحسنون الظن في الشيخ الولي الصالح، القطب [...]. أردت أن أقيّد لهم مجموعا في ذكر شيء من مناقبه، ممزوجا بأحاديث المصطفى ﷺ، وحكايات الصوفية، وما وقع من الكرامات، وخوارق العادات، له

<sup>1</sup>-"البستان": ص(6). أي قبل أن تنبت أسنانه. وفي معنى آخر في لسان العرب: "ثغر الغلام ثغرا سقطت أسنانه الرواضع فهو منثور فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط قيل: ائْتَعَرَ، بتشديد الثاء. وقيل: الإثغار يكون في النبات، والسقوط، ومن النبات حديث الضحاك: أنه ولد وهو منثور، ومن السقوط حديث إبراهيم: كانوا يحيون أن يعلموا الصبي الصلاة إذا ائْتَعَرَ، الإثغار: سقوط سن الصبي ونباته". ابن منظور: لسان العرب. ج.3. ص.23.

ولأولياء الله [...] وذكر شيء من كلامه، وذكر تلامذته الأخيار لعل الله أن ينفعني بما قصدت ويبلغني ما أردت"<sup>1</sup>.

إن أسلوب الكتاب تميزه هذه المقدمة الصريحة التي حددت الجهة المستقبلة للكتاب، والمعتبرة في الفئات الواسعة من عشاق الشيخ أحمد بن يوسف، ومحبيه، والذين ينتزلون منازل ثقافية يمكن وسمها بالبسيطة. وعليه فإن الصباغ قد أخذ في الاعتبار هذا الواقع وصاغ مادة الكتاب صياغة لغوية نثرية مرسلة ومبسطة اعتمد فيها المباشرة، والبعد عن كل شكل من أشكال التعقيد اللفظي، والغموض الدلالي، وتحاشى التعابير المسجوعة إلا في بعض الجمل المتصدرة مقدمة الكتاب، عند التعريف بالشيخ أحمد بن يوسف، حيث قال: "كان رحمه الله من أعيان مشايخ مغربنا، وعظماء العارفين، وأئمة المحققين، صاحب الكرامات الخارقة، والأفعال الظاهرة، والهمم السامية، والمواهب الربانية، والأسرار الملكوتية، والحضرة القدسية،..."<sup>2</sup>. فباستثناء هذه المقدمة المتميزة فإن سائر مادة الكتاب تُوشحها لغة قريبة من لغة العامة، نسجها الصباغ في أسلوب توخى فيه البساطة عموماً، والتي لاتعود إلى محدودية الرصيد اللغوي لديه، بل هو ضليع في علوم اللغة العربية وآدابها، كما اشتغل قاضياً في مسقط رأسه بني راشد، وتشهد مؤلفاته التي خلفها على علو كعبه، وسمو مواهبه اللغوية الراقية، وأن اختياره البساطة في عرضه مادة الكتاب يعود إلى طبيعة الموضوع المتعلق بالمناقب والكرامات من جهة، وإلى المستوى المعرفي لمن يوجه إليهم من عامة الناس من جهة أخرى.

فالقارئ للكتاب يقف على حضور مكثف لمادة المناقب، وتكاد تشكل ثلثي الكتاب، وهذا كاف لتبرير الأسلوب الذي اعتمده الصباغ في التأليف. فالمناقب موجهة أساساً للعامة من الطبقة المتوسطة، أو المحدودة الثقافة الأمر الذي يستلزم أسلوباً يتناسب والمستوى

<sup>1</sup>- ينظر: مقدمة الكتاب. ص(1ظ).

<sup>2</sup>- ينظر: نفسه. ص (1ظ).



الثقافي والمعرفي للجمهور الواسع المتلقي لهذه السيرة. وقد تجلت مظاهر هذا الأسلوب في جنوح الصباغ نحو الإطناب في التعبير، والمبالغة في الوصف، خاصة حين تعيين أسماء الشخصيات الصوفية من أساتذة الشيخ أحمد بن يوسف الفضلاء، وتلامذته الأخيار، حيث لا يستتكمف الصباغ من شحن الشخصية المترجم لها بهالة من الأوصاف والألقاب الفخمة ونسبة مظاهر الأفعال الخارقة لها، مما يمجبه الذوق، ويرفضه العقل، خصوصاً في ما يتعلق بعالم الأولياء والصلحاء ومحيطهم الروحي.

وقد أورد الصباغ في هذا الشأن روايات غريبة نذكر منها واحدة على سبيل التمثيل وفيها يقول: "ولقد أخبرني من أثق به أن الشيخ الغوث طبيب هواره - جدّي من أمّي - سيدي أبي عمران المذكور أنه كان بموضع قريب من ضريحه الآن يُتعبّد فيه، وهو مشهور الآن معلوم ببناء قديم هنالك. وكان للشيخ سيدي أبي عمران أجباح نحل. فأخذ من العسل من أجباحه، وجعله في زقاق، وجعله على حمارة، ودفعها سيدي أبو عمران بيده من الموضع المنعوت فوقه، باعناً بها، وما عليها من العسل لقطب الأولياء والصالحين، والوسيلة لرب العالمين سيدي عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني - نفعنا الله به -، فوصلت الحمارة بغداداً بقدرة الله بالعسل لسيدي عبد القادر في طرفة عين، فأخذ العسل، وردّ الحمارة في طرفة عين لسيدي أبي عمران في الموضع المذكور. ثم إن نحلة من نحل سيدي أبي عمران ذهبت مع العسل لسيدي عبد القادر، فصارت تدور بالشيخ سيدي عبد القادر، فقال لها: "أردت أن أرك لأخوتك في موضع أجباح سيدي أبي عمران؟"، فقالت له: "نعم"، فقال لها: "اصعدي على أصبعي"، فصعدت، فأدخلها في الأجباح مع أخواتها في "تلوانت بغداد" بقدرة الله. وهذا قليل في حقهم نفعنا الله بحبنا فيهم»<sup>1</sup>.

فالطابع العام لأسلوب الصباغ في البستان يتسم بالتقليد، ولم يأت فيه بجديد، بل سار في عمله على خطى ونهج من سبقوه من مؤلفي السير، والتراجم المطولة وأكثر فيه من

<sup>1</sup>-ينظر: "البستان". ص (54ظ).

الحشو، والاستطرادات، والأقوال، والاقتراسات عن سبقه. واتسمت لغته بالبساطة حتى قاربت لغة العامة في جل المواطن التي كانت اللغة من إنشائه، ونعثر على مدار الكتاب على طائفة من المفردات الدارجة المحلية وأخرى باللسان الزناتي (الأمازيغي). لأن في الكتاب أقوالاً كثيرة واقتراسات متنوعة من مصادر متعددة لغتها تشكل الاستثناء من حيث مستواها الفني، وجمال عباراتها، ودقة معانيها.

### 10.5 الاستشهاد :

سبق أن قلنا إن المخطوط ضخم، وضخامته دليل كثافة مواده، وتنوع مضامينه، وكثرة مفاهيمه، ومحتوياته، وكل هذا فرض على الصباغ الالتزام بمنهج السلف، في تأليف الكتب، وتقديم الشروح لأخرى، وما يتطلب ذلك من الإعداد العلمي والمعرفي، بحيث يستعرض المؤلف بصفة عامة طاقته الذهنية والعلمية وقدرته على عرض الأفكار ومناقشتها، وتبسيط المفاهيم وتحليلها، وهذا لا يتم في فراغ من الأمر بل يتجند المؤلف بكل ما أوتي من إرث علمي وزاد معرفي من أجل إقناع الآخرين بصواب آرائه، وصحة أقواله، ورسوخ قدمه، فيعتمد إلى مختلف أساليب الدعم والتوثيق لإثبات حججه، بالدليل الساطع، والبرهان القاطع على ما يقول.

### 1.10.5 الاستشهاد بالقرآن الكريم :

لم يشذ الصباغ عن منهج غيره من مؤلفي عصره، بل سار على هداهم، واستضاء بنورهم، واقتفى آثارهم، فقد لجأ كغيره من مؤلفي عصره - من أجل تعزيز آرائه وأقواله - إلى القرآن الكريم باعتباره أوثق المصادر وأصحها، حيث كُتف من صور الاستشهاد بمختلف آي الذكر الحكيم، لتوثيق أقواله، وتأكيد آرائه، ودعم أفكاره، وفهومه، وقد وقفنا على ما ينيف على مائة وثلاثين موطن استشهاد بالقرآن الكريم، من مختلف السور. وجاء نمط الاستشهاد في شكلين مختلفين:

- الاستشهاد بصريح الآية أو جزء منها لفظاً ومعنى.

الاستشهاد في شكل اقتباس معنى الآية دون التقييد بلفظها. وبذلك تتوعد صور الاستشهاد في المخطوط بحسب السياق والموقف وطبيعة المضمون.

### 2.10.5 الاستشهاد بالحديث الشريف :

شكل الحديث الشريف المصدر الثاني بعد القرآن الكريم من حيث نسبة وروده في المتن. وقد فاق عدد نصوص الحديث المستشهد بها في متن المخطوط أكثر من مائتي حديث في مختلف المضامين الدينية المتصلة بالشريعة، والعقيدة، والعبادات، وغيرها. والمتتبع لطبيعة هذه الأحاديث يلاحظ على الصباغ تساهله في ضبط أصولها، وتحري مصادرها، مما يحقق صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ. ولذلك كثرت في المتن أحاديث ضعيفة، وموضوعة، وبعضها غير مذكورة في مصادر الحديث التي عدت إليها.

### 3.10.5 الاستشهاد بالشعر:

ولم يكتف الصباغ بتوظيف أي القرآن الكريم و متن الحديث النبوي الشريف في الدفاع عن آرائه وأفكاره لإقناع خصومه ومعارضيه، بل لجأ إلى ثالث مصدر هام وهو الشعر. فقد أخذ الاستشهاد بالشعر في المخطوط نصيبه من الحضور بحيث نوع الصباغ من النصوص الشعرية ذات الطابع الصوفي في الغالب، وأورد قصائد مطولة أحيانا يفوق عدد أبيات بعضها مائة وستة وعشرين بيتا، بعضها في مدح الشيخ أحمد بن يوسف، وبعضها في رثائه بعد موته من قبل أحد تلامذته، إضافة إلى حضور قطع شعرية متوسطة الحجم مختلفة المضامين، ولكنها في الغالب توظف لتعزيز الرأي، أو لتأكيد المعنى، وتوضيح الفكرة، وهو في كل هذا يتميز بحسن اختيار الشاهد من جهة، وبسعة حافظته الشعرية من جهة أخرى.

### 4.10.5 الاستشهاد بأقوال العلماء والفقهاء :

كما كان حضور أقوال العلماء والفقهاء ورجال التصوف الإسلامي مكثفا في المخطوط، فقد ساح الصباغ سياحة علمية طويلة جاب خلالها مساحات واسعة مما ألف في مضمار منظومة الفكر الديني الإسلامي، وَعَبَّ من مختلف مصادرها، وحقولها المعرفية،

فكان يصب في مؤلفه أفضل الأقوال، والشواهد العلمية التي احتوتها الكتب والمصنفات العلمية في عصره وما قبله. وكانت النتيجة أن ازدحمت فصول المخطوط بهذه الأقوال وشكلت أغلب مواده ومضامينه.

وفي سياق ذكر صيغ النقل المختلفة لتلك الأقوال يستعمل الصباغ عبارات متنوعة منها على سبيل التمثيل: ومما نقلته عن فلان...، وقد ذكر لي من أثق به...، ثم قال سيدي موسى بن عيسى...، وفي كتاب الإحياء للغزالي ما نصه...، ومثله قريب ما حكاه سيدي أبو الفضل قاسم الرصاع ونصه...، وقال ابن عطاء الله...، قال سيدي واضح...، قال القشيري...، وذكر صاحب زهر الأنيق... إلخ مما يطول ذكره في هذه المساحة من صور النقل، وصيغ الاستشهاد، التي ذكرها الصباغ وهكذا. ويجب أن نشير إلى أن منقولاته من هذه المصادر لا يعقبها بتحليل عقلي، أو تأويل نظري، فمهمته تنتهي عند انتهاء القول، مما يدل على اطمئنانه المطلق إلى ما حوته تلك المصادر، وتسليمه بصحة ماورد فيها.

## الفصل السادس

### وصف النسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق

المبحث الأول : وصف النسخة الأولى (أ) رقم: "1707 a"

المبحث الثاني : وصف النسخة الثانية (ب) رقم "1708"

المبحث الثالث : وصف النسخة الثالثة "243 ك" المغربية

المبحث الرابع : وصف النسخة الرابعة "2625 د" المغربية

## وصف النسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق

لقد كان أول عمل قمت به بعد ضبط خطة البحث مع المشرف والمشرف المساعد هو البحث عن نسخ المخطوط، ومحاولة العثور على النسخة الأم أو النسخة الأقرب إليها، وبعد القيام بعمليات البحث في مكتبات الجزائر، وسلسلة من الزيارات إلى المملكة المغربية في إطار الرحلات العلمية تم العثور على أربع نسخ من المخطوط. ففي فهارس المخطوطات في المكتبة الوطنية الحامة بالجزائر وحدها عثرت على نسختين وهما على التوالي: النسخة رقم "1707a". والنسخة رقم "1708". في مجلدين ضخمين.

كما أسعفني البحث في الخزائن المغربية ومكتباتها أثناء رحلاتي العلمية على العثور على نسختين أخريين من المخطوط، في فهارس الخزنة العامة للمخطوطات في الرباط بالمملكة المغربية، الأولى تحت رقم "243 ك". والثانية تحت رقم "2625د". وقد حصلت عليهما في شكل نسخ ميكرو فيلم مرسله إلي عبر بريدي الالكتروني بعد القيام بإجراءات تسديد حقوق التصوير الالكتروني للنسخ الورقية في مقر الخزنة العامة بالرباط.

تعتبر النسختان الجزائرية رقم "1708"، والمغربية رقم "243 ك" من أجود النسخ الأربع من حيث جمال الخط ووضوحه وسهولة قراءته وسلامتهما من التصحيف والتشويه مع تكامل أجزاءهما وصفحاتهما. غير أن ناسخ النسخة المغربية تخطى عمدا عن ذكر عدد من تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي في آخر المخطوط ، معللا ذلك بكون تلامذته كثيرين لا يمكن إحصاؤهم. وكذا صفة وصف القبور الثلاثة: قبر الرسول ﷺ وقبر الخليفين أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق رضي الله عنهما. وقد أفصح عن ذلك بحجة الاختصار، وهو السبب الذي جعلنا لم نتخذها عمدة في التحقيق. ولكن استفادتنا منها كبيرة في المقارنة وفي تعويض بعض الصفحات المحذوفة من النسخة "1707a"، وفي مواطن البياض التي أصادفها فيها من حين إلى آخر. وتجدر الإشارة إلى أن ثمة نسخا أخرى للمخطوط موجودة

في أحضان بعض الأسر الجزائرية، وملكية بعض الأفراد ممن لا سبيل إلى الوصول إليهم للحصول عليها.

هذا وقد اخترت واحدة ضمن هذا المجموع واعتمدها أصلا في ظل عدم وجود النسخة الأم المكتوبة بخط يد الصباغ من جهة، ولكون هذه النسخة تتميز بوضوح خطها وجمال شكلها. مع ملاحظة أن جميع النسخ التي تم العثور عليها تم نسخها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين. وأن تاريخ تأليف الكتاب محدد بين 952هـ/962هـ. والفرق بين تاريخ تقييد النسخة الأصلية التي لم أعثر عليها والنسخ التي تم العثور عليها يزيد على قرنين من الزمن اعتبارا لتاريخ تقييد النسخة "1707a" المحدد في سنة 1146هـ.

وقد تم ترتيب النسخ اعتبارا لقدم العهد وتاريخ النسخ

## 1.6 النسخة الأولى: أ " 1707 "

### المقدمة والعنوان:

نسخة المكتبة الوطنية الحامة-الجزائر - توجد تحت رقم "1707a" رمز لها برمز الحرف اللاتيني (a) على يمين الرقم. وقد احتفظت بهذا الرمز بما قبله في حروف أبجدية اللغة العربية وهو الألف وهكذا أصبح رمزها في التحقيق: "النسخة" (أ) وتقع في 114 ورقة (228 صفحة) مع ملاحظة أن هذا الرقم غير صحيح باعتبار نقصان عدد معتبر من الأوراق في أكثر من موضع في المخطوط من غير أن يتغير ترتيب الأوراق في المخطوط. فقد ضبطت عدد الأوراق المحذوفة بالاعتماد على النسخ الأخرى حيث قدرت ب14 ورقة (28 صفحة). وهكذا يصير مجموع أوراق المخطوط 128 ورقة (256 صفحة). وقد أشرنا إلى هذا الحذف في مواضعه، في المتن المحقق من أن القائمين على تصوير المخطوط ربما يجهلون نقصان الأوراق فيه بل من المؤكد أنهم يجهلون ذلك حيث وضعوا ترقيما لصفحاته

دون الأخذ في الاعتبار ما نقص منه من صفحات. وعليه فالترقيم الذي هو عليه المخطوط الآن ليس صحيحا.

إن حجم المخطوط ضخم جدا حيث يبلغ عدد أسطر كل صفحة أي مسطرتها 31 سطرا، وعدد كلمات كل سطر خمس عشرة كلمة. ومقياسها بحسب المعلومات المدونة على واجهة غلاف المخطوط 30,5 سم طولاً/ و 21,3 سم عرضاً .

الناسخ حسب ما هو مدون آخر المخطوط هو: الحسين بن أحمد بن محمد الذوادي نسبا البسناسي دارا ومنشأ الأشعري اعتقادا ، وقد فرغ من نسخ الكتاب ضحوة الأربعاء من شهر الله المعظم صفر عام ستة وأربعين ومائة وألف (1146هـ) وهو أقدم تاريخ نسخ بالنسبة للنسخ الأربع، الأمر الذي جعلنا نتخذها عمدة في التحقيق.

رَسْمُ خط هذه النسخة مغربي، شكله جميل وأنيق، وهو لم يتغير من بداية النسخة الى نهايتها. وهي مقسمة إلى فصول معنونة بلون أحمر مغلظ بارز وكبير. كما كتبت الكلمات المفتاحية وأسماء الشخصيات الأعلام بهذا اللون أيضا. تميزت الصفحات بكبر الحجم، وكثرة السطور، وكانت تخلو من مظاهر التزيين بالرسوم والألوان، وكان الأسود والأحمر يتناوبان على مدار الصفحات .

اعتمدنا على هذه النسخة باعتبارها الأقدم نسخا حسب التاريخ المدون في آخرها. غير أن بها نقصان عدد معتبر من الصفحات في مواقع مختلفة من المتن، الأمر الذي جعلنا نتخذ النسخة "1708" عمدة ثانية على الرغم من غياب تاريخ نسخها، فلا نعلم إن كانت الأقدم من "1707a" أو نسخت بعدها. اتخذناها عمدة ثانية لسلامتها من الحذف والتصحيف وكمال متنها. وعليه فقد استدركنا منها ما نقص من الصفحات في النسخة العمدة "1707a" وأشرنا الى ذلك في مواضعه. كما كان لنا نفس العمل مع باقي النسخ من حيث الرجوع اليها قصد المقارنة والتصحيح.

يبدأ المخطوط بالبسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ



قال الشَّيْخُ الفقيه، العالمُ النَّزِيهُ أَبُو عبدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ الصَّبَّاحِ القلعيِّ النَّسَبِ والمنزِلِ لَطَفَ اللَّهُ به لُطْفًا جَلِيلاً، آمينَ.

الحمدُ لِلَّهِ العَظِيمِ الحميدِ، ذِي العرشِ المَجدِ، الفَعَالِ لما يَريدُ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرضِ، وهو عَلَى كلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ.

نَحْمَدُهُ حمداً يوجبُ بفضلهِ المَزيدَ. وأصليَّ عَلَى رَسولِهِ سَيِّدِنَا ومولانا مُحَمَّدِ الَّذِي أَهَانَ اللَّهُ بِهِ الكُفْرَ وأَظْهَرَ التَّوْحِيدَ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ما غَنَّتِ الأَطيَارُ في الأوكارِ بالتَّغْرِيدِ. أمَّا بعدُ:

فإني لَمَّا رأيتُ أهلَ قلعَتِنَا وسائِرِ مجاشيرِ هَوارةِ وبنِي راشِدٍ وغيرِهِم يَحسِنُ [الظَّنَّ] في الشَّيْخِ الواليِّ، الصَّالِحِ، القُطْبِ، الغوثِ، الزَّاهدِ، العارِفِ بِاللَّهِ، الدَّالِّ إلى اللَّهِ، العالمِ، المَحْصِلِ لِكُلِّ عِلْمٍ، الفاتِحِ لِكُلِّ فِهْمٍ، السَّالِكِ، النَّاسِكِ، المَغْتَرِفِ بِجَمِيعِ المَعَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ، المَقْرِيِّ بِالقِراءَةِ السَّبْعِيَّةِ، المَحْقِقِ، الحَجَّةِ، [المَرِيِّ، قَائِدِ المَقْتَدِينِ]، [و]عَلِمَ المَهْتَدِينَ، وَحُجَّةَ رَبِّ العالَمِينَ، سَيِّدِي [أَبُو العَبَّاسِ] أَحْمَدُ بنِ يوسُفَ الرَّاشِدِيِّ، \_أَعادَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِن بَرَكَاتِهِ، [وَأَنالنا شَيْئاً مِن أنوارِهِ]، \_ [أردتُ] أن أَقَيِّدَ لَهُم مَجموعاً في ذِكرِ شَيءٍ مِن مَناقِبِهِ؛ مَمزُوجاً بِأَحاديثِ المَصطَفِيِّ ﷺ، وَحِكاياَتِ الصُّوفِيَّةِ، وما وَقَعَ مِن الكِراماتِ وَخوارِقِ العاداتِ لَهُ ولِأولِيائِهِ اللَّهُ مِثْلَ ما وَقَعَ لِلشَّيْخِ [زُرُوقِ]، وَ[ذِكرِ] شَيءٍ مِن كِلامِهِ، وَذِكرِ تلامذَتِهِ الأَخيارِ؛ لَعَلَّ اللَّهُ أن يَنفَعَنِي بما قَصدتُ، وَيَبْلِغَنِي ما أَرَدتُ، إِنَّهُ هُوَ الفِتاحُ الكَريمُ، الوَهَّابُ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. وَسَمَّيْتُهُ "بِستانِ الأَزهارِ" في مَناقِبِ زَمزمِ الأَخيارِ وَمَعَدِنِ الأَنوارِ سَيِّدِي أَحْمَدَ ابنِ يوسُفَ الرَّاشِدِيِّ النَّسَبِ وَالدَّارِ"، نَفَعنا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِ، وَأَفاضَ عَلَيْنَا مِن أنوارِهِ، [آمِينَ].

وتتفق هذه النسخة مع نسخة المغرب رقم "243 ك" في العنوان إذ تشتركان في كلمة

"الأخيار" بدل "الأبرار"، كما أمكننا ملاحظة وجود كثير من وجوه التطابق والاتفاق بينهما إلى حد اعتبار النسخة المغربية منسوخة عن النسخة الجزائرية للانسجام الموجود بينهما من جهة رسم حروف الكلمات وضبط معالمها، ويمكننا التدايل على صور الاتفاق بذكر بعض

منها مثل: عبارة "الشيخ الفقيه العالم النزيه" فهي واردة في النسختين المذكورتين ولم ترد في غيرهما كما هو الشأن في النسخة رقم "1708" الجزائرية " والنسخة "2625د" المغربية. وكذلك عبارة "زمزم الأختيار" وردت هكذا في النسختين السابقتين (243/1707ك) ووردت "زمزم الأبرار" في النسختين الأخيرتين (2625/1708د). كما يحدث الاتفاق في الحذف والإضافة بين كل نسختين بالشكل الذي أشرنا. فقد حدث حذف العبارة مابين المعقوفين "فاتهم الناس ابن هند الزجراري [بالسرقة] في رقم "a"1707" وكذا في "243ك" وتم إثباتها في النسخة رقم "1708" والنسخة المغربية "2625د".

من العيوب التي سجلناها على هذه النسخة كثرة الحذف الذي طال صفحاتها حتى كاد يفقدها قيمتها لولا قدم تاريخ نسخها. وينبغي الإشارة إلى أن نهايتها تختلف عن نهاية باقي النسخ الأخرى بمعنى غياب الانسجام البيني بينها وبين باقي النسخ فلم نعثر على رسم القبور الثلاثة التي تضمنتها النسخة "1708" وكذلك رسم النعلين الخاصين بالرسول ﷺ.

## 2.6 النسخة الثانية (ب) رقم "1708":

في البطاقة الفنية الموضوعة على واجهة غلاف النسخة كتب عنوان المخطوط:  
بستان الأزهار للصباغ،

- عدد الأوراق 172 ورقة.
  - عدد الصفحات 344 صفحة .
  - مسطرتها: 27 سطرا.
  - مقياسها 25.0سم طولا/و17.9سم عرضا.
  - تاريخ نسخه القرن 12هـ.
  - المكان المكتبة الوطنية بالحامة الجزائر.
- المقدمة والعنوان:

يبدأ المخطوط بالبسملة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ. وتحتها إطار مستطيل بلون ذهبي غليظ، منقوش بخطوط منحنية سوداء، مكتوب فيه بخط أحمر مايلي: يقول العبد الذي على مولاه توكلُّه، وبالمصطفى إليه توَسَّلُه، وعلى لطفه الخفي في الأمور مُعَوَّلُه، عُبَيْدُ اللَّهِ وَأَقْلُ عبيده، محمد بن محمد، قاضي القلعة، وفَّقَه اللهُ آمين، آمين يارب العالمين.

الحمد لله الغني الحميد ذي العرش المجيد الفعال لما يريد ... إلى أن يقول، وسميته "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار".

تعتبر هذه النسخة من أجود النسخ المعتمدة خطأ، وأدقها رسماً، وأسلمها شكلاً، وأكملها مادة، اعتنى بها الناسخ عناية كبيرة فكانت بحق من أجمل النسخ إخراجاً، خالية من التشويه، والتصحيف، والحذف في كامل نواحيها، ولولا أنها جاءت بعد النسخة "1707a" من حيث ترتيب تاريخ النسخ لاتخذناها عمدة أساسية أولى في التحقيق، وهي النسخة الوحيدة التي حرص فيها ناسخها على إيراد رسوم تخطيطية لصورة هيئة نعلي الرسول ﷺ بجودة رسم عالية، واختيار ألوان باهية زاهية، إضافة إلى حرصه على نقل صورة أقرب إلى الواقع لهيئة القبور الثلاثة: قبر الرسول ﷺ وصاحبيه الخليفين الوزيرين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

الحبر المستعمل في كتابة هذه النسخة متعدد الألوان، يشكل فيها الأسود مساحة واسعة من مادتها، وهو لون يتميز بالسواد الداكن حيناً، وبالميل إلى البني الداكن أحياناً كثيرة. وفي الجزء الأخير من النسخة وظف الناسخ اللون الأسود للعناوين والكلمات المفتاحية البارزة، وتمت كتابة الباقي منها باللون البني الفاتح. وكان اللون الأحمر الزاهي حاضراً بكثافة على مدار النسخة، وكتبت به أغلب العناوين والكلمات المفتاحية وحتى بعض الأبيات

الشعرية، وزينت به بعض الرسوم الوردية الحافة بالأبيات الشعرية. هذا وقد حافظ على طابع الحمرة القوية فيه ولم يتغير إلى آخر ورقة من النسخة.

ويشكل اللون الأصفر الذهبي اللون الثالث من الألوان المستعملة في كتابة هذه النسخة، فهو حاضر في كل مفاصل وأجزاء المخطوط، وقد وظفه الناسخ لإضفاء المسحة الجمالية للنسخة، من حيث تزيين الحواشي، وخواتم الأبيات، برسوم وردية، يتحد فيها هذا اللون مع اللون الأحمر، لتجميل صورة المقطوعة الشعرية، أو بعض الأبيات المختارة للاستشهاد بها. ولتجميل صورة المخطوطة وجعلها جميلة جذابة حرص الناسخ على إضافة لون رابع اختاره بعناية، وقصد، وهو اللون الأخضر وقد وظفه في كتابة الكلمات المفتاحية، وأسماء الشخصيات الأعلام، وكذا تلوين حوافي الرسوم، والأزهار الصغيرة المحيطة بالأبيات الشعرية المتضمنة في المتن. وهكذا انفردت هذه النسخة بطابعها الجمالي الخالص بتألف هذه الألوان، وتناسقها، لتشكيل الصورة النهائية لها.

وقد قسم الناسخ الكتاب إلى جزأين كبيرين، يبدأ الجزء الأول منه من بداية أول الورقة وينتهي عند الورقة رقم (98 ظ). وقال فيها: انتهى الجزء الأول من سيدي الصباغ رحمه الله على مناقب الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي نفعنا الله به، وبأمثاله آمين يارب العالمين. ويتلوه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى ومنه سبحانه أطلب الإعانة.

يبدأ الجزء الثاني من بداية الورقة رقم (100) وينتهي بنهاية الكتاب. ويستهل هذا القسم وكأنه أول الكتاب بالبسملة والصلاة والسلام على النبي ﷺ وباللون الأحمر المؤطر بأزهار صغيرة مذهبة، كتب فيه: الجزء الثاني من الشيخ الصباغ رضي الله عنه على مناقب الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي نفعنا الله به آمين. ويبدأه هكذا: فصل ومما نقلته من خط الطالب علي بن العباس التمزغراني في مناقب تاج الأوتاد، ومصباح البلاد، سيدي أحمد بن يوسف الراشدي نفعني الله بنيتي وبحبي فيه آمين إلى آخر الورقة

حيث يقول: انتهى الكتاب المبارك في مناقب الشيخ الولي الصالح العارف بالله الرباني سيدي أحمد بن يوسف نفعنا الله به.

وبالعودة إلى محتوى النسخة نجد تقسيما بديعا لهيكله مواد الكتاب على الأقل بالشكل المنهجي الذي يسوغ ترتيب المادة على منوال معين، فقد اجتهد المؤلف من أجل تفصيل مضامين الكتاب وعرضها عرضا متدرجا منسجما تتناسب فيما بينها بحسب ما يربطها من علائق مفهومية وروابط معرفية، فارتأى أن يجعلها فصولا كبرى دالة على التقسيم المتخصص لمواد الكتاب، تسهила لضبط إطار المعرفة المقصودة، والسيطرة على مجالها، وتقاديا لتقاطع مجال معرفي مع آخر، فيؤدي ذلك كله إلى تداخل المفاهيم، وتكرارها.

حاول الصباغ أن يلتزم بهذه الخطة ويتقيد بها بالصرامة المطلوبة في بداية الكتاب، فاستحدث عناوين كبرى لأهم محتويات الكتاب في فصول هي أهم أقسامه، مثل فصل خاص في مناقب الشيخ أحمد بن يوسف، وفصل في ثبوت ولايته، وفصل في المحبة وماهيتها، ودرجاتها، وأقسامها، وأقوال أرباب التصوف بشأنها، أمثال عبد القادر الجيلاني، وابن عطاء الله السكندري، والشبلي، والسري السقطي، والجنيد، والشيخ أحمد الرفاعي، وغيرهم. وفصل في الزهد، وفصل في الكرامات، وفصل في آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام، وفصل في اعتراض بعض الفقهاء من بني راشد على الفقراء الذاكرين الله في حلق الذكر، ثم العودة مرة أخرى إلى الحديث عن مناقب الشيخ أحمد بن يوسف، فصل في اتصال طريق الشيخ أحمد بن يوسف بطريق سيدي أبي الحسن الشاذلي، فصل في إنكار علم الباطن، فصل خاص بالتعريف بنسب الشيخ عبد القادر الجيلاني، فصل في بعض كلام الشيخ أحمد بن يوسف، فصل في تلامذته الأخيار السادات الأبرار.

يمكن أن نلاحظ أن الصباغ قد التزم بهذا التقسيم إلى حد بعيد، وصباً مادة علمية ومعرفية ثرية، في كل حقل من تلك الحقول التي حددها. غير أننا نجده يخرق هذه القاعدة في عدة مواطن، فلم يكن له بد من أن يحدثنا عن مناقب شيخه بين كل فصل وفصل آخر،

فتجده يقول في كل مرة ولنرجع إلى ما نحن بصدده من ذكر مناقب الشيخ أحمد بن يوسف. فكان هذه المناقب حلقات وصل تربط تمفصلات باقي الفصول.

ما يمكن ملاحظته أيضا على هذه النسخة أنها تقل فيها أشكال التهميش، وتخلو من الحواشي والتعليقات إلا في حدود قليلة، وقد ختم هذه النسخة بأبيات قالها في سيد أهل الأرض والسموات سيدنا محمد ﷺ وبعث بها إلى السيد عمر التزاري فلما تأملها جاوبه عنها بأبيات ذكر الصباغ أنه يذكرها هنا تبركا بها، ولكن خيبتنا كبيرة حيال عدم وجودها هنا فثمة بياض عوض حضورها مع كل أسف. وهذه من الهنات التي سجلناها على هذه النسخة، يضاف إليها إغفال تسجيل تاريخ نهاية النسخ، فرغم إشارة المؤلف إلى ذلك بقوله: انتهى الكتاب عشية السبت التاسع من أيام الشهر المعظم جمادى الآخرة عام [...] فإننا لم نعثر على السنة بل عم باقي الصفحة بياض أخفى باقي المعلومات الممكن وجودها قبل الحذف.

### 3.6 النسخة الثالثة "243 ك" المغربية:

رمزها "ك" وقد تركناه كما هو واعتمدناه في إبقاء تميز النسخة عن غيرها من باقي النسخ.

رقمها "243 ك".

عدد صفحاتها 322 صفحة.

مسطرتها: 25 سطرا.

مقياسها 218.3 ملم طولاً/ و 313.4 ملم عرضاً.

الناسخ عبده محمد بن عمر.

تاريخ النسخ 1208 هـ.

مكان وجودها الخزانة العامة للمخطوطات بالرباط، المملكة المغربية.

تعتبر هذه النسخة من أجود النسخ من حيث جمال الخط، وجودة الرسم، وصحة العبارة، وتناسق الألوان المستعملة في الكتابة، كما تعتبر أقصر النسخ حجماً بالنظر إلى

اختصار الناسخ الحديث عن تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف، حيث اقتصر كلامه على عدد قليل منهم، معللاً ذلك بقوله بأن تلامذة الملياني لا يحصي عددهم إلا الله .

**الشكل الخارجي:** النسخة في مجلد بني، وعلى الورقة التي تلي الواجهة يوجد اسم الجهة المالكة لها، مكتوب بخط غليظ "المكتبة الوطنية للمملكة المغربية"، وأسفلها إلى اليمين قصاصة ورقية بيضاء ملصقة، مكتوب عليها مايلي:

ع.م. : مناقب سيدي أحمد بن يوسف. (ع.م) تعني عنوان المخطوط

ر. م. : 243 ك. تعني رقم المخطوط.

أ.ت. : \*

وبعدها الورقة الأولى وفيها إطار مستطيل مسطر بأربعة خطوط رقيقة على طول مساحة الصفحة وفي أعلاها اقتطع الناسخ إطارا كتب فيه بالأحمر المغلظ ما يلي :

#### المقدمة والعنوان:

تبدأ النسخة بالبسملة والصلاة على النبي ﷺ كما هو في باقي النسخ المعتمدة. قال الشيخ الفقيه، العالم النَّزِيه أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّبَّاحُ القَلْعِيُّ النَّسَبِ والمَنْزِلِ لَطَفَ اللَّهُ بِهِ لُطْفًا جَلِيلًا، آمِينَ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ الْحَمِيدِ، ذِي الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، الْفَعَّالِ لِمَا يَرِيدُ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إلى آخره... وقد انفردت هذه النسخة عن غيرها في العنوان بإضافة عبارة [العارفين] بعد البستان. وجاء العنوان هكذا : "بستان العارفين الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار".

الخط مغربي مفتوح الرقعة جميل وواضح قراءته ممكنة ببسر وسهولة لم يتغير رسمه على مدار الكتاب مما يدل على أن الناسخ واحد. وقد اقتصر في نسخه لمادة الكتاب على لونين بارزين هما الأسود الشديد السواد للعناوين والكلمات المفتاحية والأسود العادي الأقل تركيزا لكتابة المتن. ورافقه اللون الأحمر في كتابة عناوين الفصول وأسماء الشخصيات

الأعلام وبعض الكلمات المفتاحية من غير تخصيص مما يدل على أن توظيفه لإضفاء مسحة فنية جمالية لشكل المخطوط لا أكثر. كما يمكن الإشارة إلى أن الصفحات مؤطرة بإطار مستطيل بثلاثة خطوط رقيقة، الأول أسود والخطان المواليان حمراوان، وهذا على مدار صفحات الكتاب.

التزم الناسخ نفس التقسيم المنهجي المتبع في النسخ المعتمدة في كتابة عناوين الفصول والكلمات المفتاحية وبقي ترتيب مواد الكتاب على ما هو عليه في باقي النسخ. على أننا نلاحظ خلو جوانب صفحات الكتاب من الحواشي والتهميش والتعليقات المختلفة إلا ما كان نادرا.

ومن حسنات هذه النسخة وضوح خطها ونظافة صفحاتها وخلوها من أي شكل من أشكال التعمية والتشويه، والتمزيق، والحذف، إلا ما كان مقصودا من الناسخ كما فعل في نهاية المخطوط بتخليه عمدا ذكر طائفة من تلامذة شيخ الصباغ. وتجدر الإشارة إلى وجود تطابق كلي بين هذه النسخة والنسخة العمدة "1707a" الجزائرية في كل تفاصيلها وأجزائها على مستوى الحروف والكلمات وعلى مستوى الحذف والإثبات والإضافة، ومن ثمة يمكن القول بالنظر إلى أسبقية تاريخ النسخ بالنسبة للنسخة الجزائرية العمدة أن النسخة المغربية "243" ك تكون منقولة عنها بما يقطع الشك باليقين. وقد ختمها الناسخ بذكر اسمه على عادة نساخ المخطوطات، وتاريخ نهاية النسخ آخر الكتاب، ووقع الفراغ منه أواخر شهر رجب سنة ثمانية ومائتين وألف على يد كاتبه "عبد محمد بن عمر الجزائري". فهل تم نسخ المخطوط في الجزائر أولا ثم انتقل إلى المغرب الشقيق لاحقا؟ أم تم نسخه هناك في المملكة المغربية على يد الناسخ الجزائري المذكور؟. لانملك الإجابة عن هذين السؤالين إلى زمن كتابة هذه الأسطر.

وأخيرا يمكن إضافة ملاحظة أخرى على هذه النسخة تتعلق بقصرها وعدم تطابق نهايتها مع نهاية غيرها من النسخ وذلك لعدم ذكرها جزء يسيرا من المضمون ويتعلق بما



حكاه في الكتاب المسمى "بزهرة الأكماء في قصة يوسف عليه السلام"، ونصه: «جهز عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشا من المسلمين تجاه العدو في بلاد الشام، فحاصر المسلمون حصنا من حصون الكفار حصارا شديدا. وكان في المسلمين رجالان أخوان قد أتاها الله نجدة وجرأة على العدو. وكان أمير ذلك الحصن يقول لأخيه وأبطاله لو أن هذين المسلمين قتلوا لكفيتم من سواهما من المسلمين. فما زال الكفار يستعملون الحيل والمكايد إلى أن أسروا واحدا وقتلوا الآخر. فاحتلم المسلم إلى أمير ذلك الحصن. فلما أن نظر إليه قال: "إن قتل هذا لمُصيبة، وأن رجوعه للمسلمين لكبيرة. وددت لو دخل في ديننا، ولو من مالي كذا وكذا فإنه يكون لدين النصرانية عونا وعضدا" إلى آخرها...، هذه القصة غير واردة في هذه النسخة، وكذا عدد آخر من تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني لم يتم ذكرهم في آخر الكتاب. كما لم يذكر أيضا صور القبور الثلاثة والأبيات المصاحبة لها، وذكر بدلها أبياتا مطولة من متن ابن عاشر في فقه العقائد والعبادات.

#### 4.6 النسخة الرابعة رقمها "2625 د":

عدد صفحاتها 234 صفحة.

مسطرتها: 33 سطرا.

اسم الناسخ : كاتب هذا التأليف عبده بن محمد العربي بن أويس بن محمد بن عبد القادر بن المختار بن أحمد المعروف بابن خدة الراشدي التجاني ويقابله نفس الكتابة بالفرنسية

تاريخ النسخ : غير مذكور.

الشكل الخارجي للمخطوط:

المخطوط يبدو مجلدا بلون بني داكن، عليه عبارة مغلظة بالحروف اللاتينية BNRM تختصر الجهة المالكة له، وهي المكتبة الوطنية المتواجدة بالرباط بالمملكة المغربية. تليها الورقة الموالية مكتوب عليها بحبر تقليدي، مصنوع من الصوف المفحم غليظ

بلون أسود مائل إلى البني عنوان المخطوط: "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار". وأسفله كتبت بالبسمة والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأسفله كتبت الآية ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾<sup>1</sup>. وعلى اليسار كتب بخط مائل مايلي:

### المقدمة والعنوان :

وفي الصفحة الرئيسية من بداية المخطوط وفي أعلاها بالبسمة والصلاة على النبي وتحتها إطار مستطيل مطرز بألوان زاهية، مشكلة من أربعة ألوان فاتحة، وهي الأزرق، والأحمر، والبني، والأبيض، تشبه إلى حد كبير لوحة المنمنمات. يحوي هذا الإطار تقديم صاحب المخطوط:

يبدأ المخطوط بالبسمة والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ.

"يقول العبد الذي على مولاه تَوَكَّلُهُ وبالمصطفى إليه تَوَسَّلُهُ وعلى لطفه الخفي في الأمور مُعَوَّلُهُ عَبْدُهُ وَأَقْلُ عَبِيدِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ مُحَمَّدٍ قَاضِي القلعة الشهير بالصباغ وفقه الله أمين.

الحمد لله الغني الحميد ذي العرش المجيد الفعال لما يريد...الى أن يقول: وسميته "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار<sup>2</sup> ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار".

هذه المخطوطة تمثل النسخة الرابعة. وقد عثرت عليها في إحدى رحلاتي العلمية إلى المملكة المغربية الشقيقة، وتحديدا في الخزنة الوطنية العامة للمخطوطات بالرباط، وتوج

<sup>1</sup> - سورة مريم. الآية 59. وتتمتها : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾.

<sup>2</sup> - تتفق هذه النسخة مع النسخة الجزائرية 1708 في هذه العبارة: أعني "زمزم الأبرار". في حين وردت "زمزم الأخيار" في النسختين رقم 1707a الجزائرية. و 243 ك المغربية.

بحثي في فهارسها بالعثور عليها. فهي إذن مخطوطة مغربية ومكان وجودها الخزانة العامة بالرباط تحت رقم "2625 د"، وحرف الدال هو الرمز الذي يميزها عن غيرها.

**حبرها:** الحبر المستعمل في الكتابة متعدد الألوان. أسود (يميل إلى البني) وهو

الحبر المستعمل في الكتابة العامة للمخطوط.

الحبر الأحمر: كُتبت به العناوين، واسم الجلالة، والرسول ﷺ وأسماء الصحابة والتابعين، وأسماء الشخصيات الأعلام. وأما اسم الشيخ أحمد بن يوسف فقد أبرزه بلون أحمر حيثما ذكره، إضافة إلى كلمات مفتاحية أخرى كقوله: أنظر، ونصه، وروى عنه. وذكر، وحكى، وفي الحديث، وعنه ﷺ، وقال الله، فمن ذلك، وقد سئل، وقال، وقلت، ومنه، اللهم، محمد، آل محمد، ولفظه، وجاء، ومما... الخ .

هذا وقد حضر اللون الأزرق الفاتح في صفحات المخطوط واقتصر على بعض الكلمات المفتاحية، حيث ناب هذا اللون عن اللون الأحمر، ولكن بشكل أقل استعمالاً وحضورا من اللون الأحمر، وتجلى ذلك في مثل : قال، قلت، وبيروى، وقال القشيري، وقال سيدي واضح، حكاية في المعنى. نلاحظ أن الأزرق لم يستعمل ليميز به جانبا من الجوانب الشكلية للمخطوط، بل استعمله لإضفاء الطابع الجمالي والفني لصفحات المخطوط، ذلك أن اللون الأزرق ينوب عن الأحمر في بعض الكلمات فقط، وعليه فإننا نقول إن توظيف الأزرق إلى جانب الأحمر إنما ليؤدي وظيفة جمالية لا أكثر، وفي الثلث الأخير من المخطوط يغيب الأزرق تماما، وينوب عنه الأصفر، لكن بأقل حدة، وقد تميز بعدم وضوح ما كتب به من عناوين، إذ يصعب قراءتها، ولذلك فقد تخطى عنه الناسخ في أخريات المخطوط، واحتفظ بالأحمر فقط إلى جانب الأسود عمدة لون المخطوط.

**منهج النسخ:** اتبع الناسخ نفس المنهج والخطة التي في النسخة 1708 في تقسيم

المخطوط إلى فصول، وهي نفسها في عناوينها وتحديداتها مثل: فصل في التعريف بالشيخ أحمد بن يوسف، فصل في ثبوت ولايته، فصل في مناقبه، فصل في التعريف بنسب القطب

سيدي عبد القادر الجيلاني، فصل في حقيقة الزهد، فصل في جواز معرفة الولي أنه ولي، فصل في تلامذته، وهكذا...

وفي موضوع ذكر نعلي الرسول ﷺ وجدت صفحتين فارغتين مزينتين بإطار من الألوان كانتا مهياتين لاحتواء رسم النعلين المذكورين، ولكن الناسخ لم يفعل ما وعد بفعله. وَكُتِبَ على كل صفحة بالبند العريض ختم المكتبة الوطنية للمملكة المغربية.

ما سجلناه على هذه النسخة هو اختلاف بدايتها عن نهايتها من حيث عدد أسطر الصفحات، فهي أقل من 30 سطرا، كما نسجل أيضا اختلافا في جودة الخط ووضوحه، فقد تميزت في البداية والتمت بوضوح الخط، وجمال رسم العبارة، وسلامتها من التصحيف، مما سهل علينا جانب المقارنة بينها وبين النسخ الأخرى، غير أننا وجدنا عسرا وصعوبة في قراءة الثلث الأخير منها، ويكاد المحقق يجزم أن هذه النسخة قد تداول عليها أكثر من ناسخ لاختلاف الخط شكلا، ورصما، إلى جانب التشوه الذي ميز الصفحات الأخيرة منها، والبياض المنتشر فيها مما جعل قراءتها عسيرة، وغير ممكنة لبعضها، ولذلك لم نتخذها كنسخة عمدة أساسية في التحقيق واعتمدنا عليها في المقارنة فقط حين تسمح حالتها بذلك.

فإذا استثنينا تشوه بعض الصفحات وسوء رسم الخط في الثلث الأخير منها فإن المخطوطة عموما متكاملة في جوانبها المختلفة وتتميز بزيادة عدد من الصفحات على نسخة المغرب رقم "243 ك" ونسخة الجزائر رقم "1707a"، وتكاد تتطابق مع النسخة الجزائرية رقم "1708" في العنوان من حيث تشتركان في عبارة "رمزم الأبرار". وفي عدد الأوراق، وحجم المعلومات، إذ نجد في المخطوطتين زيادة ذكر عدد آخر من تلامذة الملياني مما لم يتم ذكرهم في مخطوطة المغرب رقم "243 ك"، وكذا نسخة الجزائر رقم "1707a".

ولا نجانب الصواب إن قلنا إن ناسخ المخطوطة اعتمد على نسخة 1708 الجزائرية اعتمادا كليا وذلك بالنظر إلى تطابقهما الكبير، كما سبق وأن قلنا. ونرجح ذلك بالنظر إلى قدم النسخة 1708 زمنيا. كما خص الناسخ بالحديث وصف القبور الثلاثة: قبر الرسول

وقبري صاحبيه أبي بكر، وعمر، وفضل أصحابها عند جميع المسلمين، وفي ذلك يقول :  
ونختم كتابنا هذا بأبيات قلتها في صفة قبري الشيخين الكريمين السيدين الفاضلين الصالحين  
الوزيرين الخليفيتين المختارين على جميع أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ وهما: سيدنا ومولانا  
أبوبكر الصديق، وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ونفغني بحبي فيهما، وفي جميع  
أصحاب المصطفى ﷺ، وفي كيفية الوضع لهما في القبرين مع صاحبهما، ومن حثَّ على  
محبتهما ومحبة سائر المهاجرين والأنصار، وأنه لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق،  
وهو سيدنا ومولانا، وحبيبنا وعنايتنا، وملجأنا وركننا، ووسيلتنا، سيدنا ومولانا محمد ﷺ على  
ما ذكره عروة بن الزبير ﷺ منثورا في صفة القبور الثلاثة في القبة المشرفة المطهرة، المرفعة  
على ساكنها الصلاة والسلام، وأن وجه سيدنا أبي بكر عند ظهر النبي ﷺ ورأس سيدنا عمر  
عند رجلي سيدنا أبي بكر، وهذه صفة القبة والقبور الثلاثة جعلني الله من المحبين فيهم،  
ببركتهم حيا وميتا وبعثا، أي على ذلك أحياء، وعليه أموت، وعليه أبعث، آمين يارب  
العالمين، على ما وصفها ابن سبع، وأما غيره فوصفها بأحسن من هذا، رحمهم الله ونفعهم  
بقصدهم، وحبهم في سيدهم، وسيدنا، ومولاهم، ومولانا محمد ﷺ، ونصه، وصفة قبر النبي  
ﷺ ووزيره أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهي هذه انتهى<sup>1</sup>.

لم أجد رسم القبور كما وعد الناسخ بذلك بل وجدت بياضا في مكانها، وانتقل بعد  
ذلك ناسخ المخطوط إلى ذكر قصيدة من اثني عشرة بيتا. وفيها يقول: وها أنا أذكر الأبيات  
التي قلتها في سيد أهل الأرض والسموات سيدنا محمد ﷺ وعلى أولاده وذرياته وأصحابه

<sup>1</sup>- في (ب): يوجد رسم إطار مربع الشكل يحوي في داخله ثلاثة قبور متجاورة مرتبة وفق الترتيب المذكور في المتن : قبر الرسول ﷺ من أعلى، يليه قبر سيدنا أبي بكر، ثم بعده قبر سيدنا عمر الفاروق. وقد ميز الناسخ بين القبور بأن جعل قبر الرسول ﷺ بارزا بواسطة الحبر الداكن المغلظ الخطوط المحيطة به. أما في (د): فيوجد بياض ولا أثر لرسم القبور الثلاثة.

الفضلاء السادات، وإن كنت قاصرا في عروض الشعر فلا اعتراض عليّ في خلل يوجد فيها، ورحم الله ابن بزينة<sup>1</sup> القائل:

وإن تجد عيبا فسدّ الخلل فجلّ من لاعيب فيه وعلا.

ولفظ الأبيات: [طويل]

يَا قَاصِدًا بِاللَّهِ بَلَّغْ تَحِيَّتِي      إِلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مُحَمَّدِ الْهَادِي  
فِيَأَيَّتْ قَلْبِي كَانَ أَرْضًا لِقَبْرِهِ      أَضْمُ أَعْظَمَهُ يَفُورُ مَسْعِدِي  
فَأَفْتَخِرُ عَلَى الْبِقَاعِ بِأَسْرِهَا      وَأَنْجُو مِنَ النَّارِ الْعَظِيمَةِ مَوْقِدِي  
وَأَبْلُغُ سَلَامِي لِلْمُضْطَجِعِينَ<sup>2</sup> مَعَهُ      فِي قُبَّتِهِ الْغَرَاءِ عَالِيَةِ الْمَجْدِ.

وها أنا اقتصرت على هذا العدد من الأبيات وتتمتها مذكور في نهاية المتن من النسخة المحققة.

ثم يختم الناسخ المخطوطة بذكر دعاء مطول يبدأه بالبسملة قائلا: اللهم إني أسألك باحتياط قاف، بهول يوم تخاف، بعلم القلم، بحجاب العرش، باتساع الكرسي، بضوء النهار، بظلام الليل، بجري الماء، بعلوم السماء، بشعاع الشمس، بنور القمر، بخلق الإنس، بالطور، بحج الكعبة، بشدة الحديد، ببيت المقدس، بقوة الجبال، بعدد الملائكة، بمدد الرزق، بحمالة العرش، بضياء النجوم، بعلم الأنبياء، بنزول المطر، بعلم الخضر، ببدء الأمر، بيوم الحشر، إلى أن يقول بالقرآن العظيم، بالذكر الحكيم، بالفرقان، والقبلة، والإسلام، والفرض، والسنة، والحج، والإحرام، والزمزم، والمقام، والمشعر الحرام، وبفضيلة الصيام، وبحق نبيك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. كمل الدعاء المبارك بحمد الله، وحسن عونه، وتوفيقه الجميل، ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل. اه اه اه...

<sup>1</sup> - كذا في (د). وفي (ب): "ابن فرقد". وبدلها كتب: "إلى آخره". وابن بزينة: هو عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي عرف بابن بزينة (600هـ - 673هـ) الإمام العلامة المؤلف المحصل، كان حيرا صوفيا، وعالما فقيها جليلا، له مؤلفات كثيرة. ينظر: ترجمته في نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتبكتي، ج1، ص295.

<sup>2</sup> - في (ب): "للضجيعين".

انتهى الدعاء. وبنهايته تنتهي النسخة، ولا أثر عن تاريخ نهاية النسخ في هذا الجزء. غير أنني عثرت على تعليق من الناسخ على الهامش الأيمن من الصفحة رقم 19 يمكن أخذه على أهميته كمؤشر مهم يحيلنا إلى تقدير تاريخ نسخ الكتاب حيث ذكر الصباغ : أن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف ذهب لوهران أعادها الله دار إسلام. وعلق الناسخ على كلام الصباغ قائلاً : فهي الآن دار إسلام والحمد لله من سنة 1203 هـ إلى يومنا هذا وهو سنة 1232 هـ فقوله إلى يومنا هذا يحتمل جدا أن يكون هذا التاريخ هو تاريخ نسخ المخطوط. ما يمكن ملاحظته أن المخطوطة محاطة بالحواشي، غنية بالتعليقات والهوامش على اليمين وعلى اليسار، وكان الناسخ يعلق من حين إلى حين على أقوال الصباغ حين يجنح إلى الاختصار في بعض المواطن كالذي قال فيه: "وقد عصم الله نبيه عليه الصلاة والسلام في مواطن من كفار قريش وأخذ بأبصارهم عنه، كما هو في كتب السير ونحوها، تركته خشية الإطالة"...، فقد علق الناسخ على هذا القول في الهامش قائلاً: "ولو ذكر شيئاً من ذلك على وجه التبرك لكان أحسن، مثل ما وقع لحمالة الحطب وهي أم جميل امرأة أبي لهب، ومثل قصة الغار حيث لحقته قريش بالعدة والعدد، حيث قال لصاحبه: لَا تَحْرَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا".

وثمة نموذج آخر من التهميش انفرد به الناسخ وهو تحديده سنة وفاة شيخ الصباغ حيث قال: ومما وجدته مقيدا ما نصه : توفي ولي الله سيدي أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانة سنة 930 هـ، وتوفي سيدي موسى يوم الأحد عند صلاة الظهر ودفن يوم الإثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة 1045 هـ، وحضر جنازته أهل تلمسان كلهم رجالا ونساء. هذان نموذجان من نماذج التهميش المتعدد الوجوه المنتشر عبر كامل صفحات المخطوط مما لا تسعه مساحة هذا الفصل في تفصيله. وقد ذكر فيهما الناسخ معلومات لم يذكرها الصباغ في المتن. وهنا نسجل اختلافا في تحديد سنة الوفاة. إذ ذكرنا في غير هذا

الموضع<sup>1</sup> من البحث أن تاريخ وفاة الشيخ أحمد بن يوسف قد فصل فيه القول تلميذه المخلص السيد العالم الحافظ في جميع الفنون سيدي عبد الحق المطهري في القصيدة التي رثاه بها حيث قال: [البسيط]

لما فشى نعيه في الناس لست ترى      في المؤمنين سوى المحزون والوجل  
أصحابه فجعوا في الحين وأذهلوا      بموت من كان شبه الحصن في جبل  
أوائل تلو إحدى والثلاثين مع      تسع لهجرة خير الخلق والرسل  
أتاه حقا رسول الموت يخبره      برحلة مع نفاذ الرزق والأجل  
في صفر الفرد صار القلب منقسما      لفقد شيخي محب الواحد الأزل

هذه القصيدة تعين شهر صفر في سنة 931هـ من جهة الضبط والتحديد لزمن الوفاة وهو الشهر الثاني ترتباً في رزنامة الشهور القمرية، وقد استحسن الصباغ هذه القصيدة وأثنى على قائلها، ودعا له بالخير والفلاح، ولم يطعن في تاريخ الوفاة المذكور وهو الذي كان حيا آنذاك.

هذه بصفة عامة حوصلة مفصلة للنسخ الأربع، حاولنا من خلالها تقديم صورة وافية، تستقصي أهم أقسامها، وأجزائها، ومضامينها، وما تميزت به كل نسخة من ميزات تختلف عن غيرها من النسخ الأخرى، ذلك أن النص المحقق لا يمكنه بحال من الأحوال أن يكون صورة مطابقة تمام التطابق لنسخة واحدة متفردة، بل هو جماع النسخ الأربع المعتمدة في التحقيق في انسجامها، وتكاملها، وتضافرها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أميل إلى اليقين التام بأن النسخ كلها نسخت في إقليم الغرب الجزائري، وفي قلعة بني راشد تحديداً، وبواسطة نسّاح جزائريين، قبل أن ينتقل بعضها خارج الوطن، وتحديداً إلى المملكة المغربية.

<sup>1</sup> - ينظر المبحث الخاص بوفاة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي في الفصل الثاني من هذا البحث. ص 150.



## الباب الثاني

"أرب المناقب وخصائمه"

## الفصل السابع

### المناقب ومسألة الأجناس في الثقافة العربية

المبحث الأول: المنقبة كجنس نشأتها وتطورها

المطلب الأول: دلالة مصطلح الجنس في المعاجم اللغوية العربية

المطلب الثاني: معالم الجنس الأدبي وحدوده في التراث الأدبي العربي

المطلب الثالث: التصوف والمناقب

المبحث الثاني: منزلة المناقب في حركة التأليف في الثقافة العربية

## 1.7- المنقبة كجنس نشأتها وتطورها

## توطئة.

لا مناص من الإشارة إلى تأثير العديد من الأدباء والنقاد العرب بالآداب الغربية والحركات التجديدية التي شهدتها الغرب اليوم والتي انعكست بشكل أو بآخر على الإبداع الأدبي والفني في الأقطار العربية، ومن ثمة كان من الطبيعي أن يتعرف العربي بالحضارة الأوروبية، وأن يطل بواسطتها على آفاق عديدة في مجالات الحياة المختلفة من خلال الاطلاع المباشر على ما نشر في لغات الغرب من ضروب العلوم والفنون والآداب، فكثرت البعثات العلمية إلى مهاد أوروبا، وانتعشت الترجمة، وكان من نتائج هذا الاحتكاك أن استلهم عديد من النقاد والأدباء العرب روح النهضة الإبداعية الغربية، وعكسوها في إنتاجاتهم الفنية والأدبية على مستوى الشعر والقصة والرواية والمسرح وسائر الفنون الأخرى. وبمرور الزمن صار بمقدور النقاد العرب النظر فيما لديهم من أشكال فنية وأجناس أدبية، حيث نجد طائفة منهم "قد اهتموا بتاريخ الأجناس والفنون والأنماط الأدبية بشكل من الأشكال عن طريق تعريفها بنية ودلالة ووظيفة، وتحديد مرتكزاتها البنيوية والشكلية واستجلاء مكوناتها الرئيسية وسماتها الثانوية"<sup>1</sup>.

وإذا كانت منهجية الدراسة قد اقتضت البحث عن موقع المنقبة في حقل الأجناس الأدبية في الثقافة العربية فإننا مضطرون إلى الإقرار بصعوبة المسعى لما يكتنف هذا الموضوع من تعقيدات جوهرية تتعلق أساسا باختلاف وجهات النظر لدى النقاد العرب القدامى منهم والمحدثين إزاء مفهوم الجنس الأدبي، إذ أنتجوا عبر مراحل تاريخ النقد العربي تراثا نقديا غزيرا من العسير العودة إلى كل ما أُلّف في الموضوع والاطلاع عليه. ولكن رغم

<sup>1</sup> - جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية. أليات التجنيس الأدبي في ضوء المقاربة البنيوية والتاريخية، ط1. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء. المغرب. 2015م. ص17.

ذلك فإن مجرد التنقيب عن أدب المناقب في التراث الأدبي العربي يلزمنا العودة إلى تصفح بعض مناحي ما قيل حول تصنيف الأجناس الأدبية والوقوف بشكل موجز عند أهم الدراسات النقدية التي حاولت وضع تصنيف أجناسي لمختلف مظاهر الخطاب السردي وتجلياته المتنوعة في الثقافة العربية قديماً وحديثاً.

وقبل الخوض في المسألة خامرتنا مجموعة من الأسئلة الموضوعية، نستعرضها مفصلة فيما يلي:

- ماهي وضعية الأجناس الأدبية في الثقافة العربية؟.
  - هل ثمة ثبات واستقرار للأجناس الأدبية التي عرفها العرب منذ تاريخهم الأدبي؟. أم أن خارطة هذه الأجناس عرفت حركية ومدا وجزرا انتهى بها الأمر إلى اختفاء بعضها وظهور أخرى على أنقاضها؟.
  - كيف كان رد فعل النقاد العرب المعاصرين إزاء عملية تجنيس الآثار الأدبية؟
  - ما موقع جنس المنقبة كنمط سردي في تصانيف النقاد العرب القدامى منهم والمحدثين؟ بل وحتى المعاصرين؟.
  - هل حضرت المنقبة في تصانيفهم؟.
  - وإذا لم تكن واردة فتحت أي جنس أدبي يمكن إلحاقها؟.
- وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة سوف نعود إلى الوراء لنقف عند مختلف الدلالات التي انتهى إليها مصطلح الجنس في المعاجم اللغوية العربية واستعراض ما انتهت إليه تحديدات النحاة وبعض الفلاسفة في الموضوع.

### 1.1.7 دلالة مصطلح الجنس في المعاجم اللغوية العربية:

إن البحث عن دلالة لفظي الجنس والنوع في المعاجم اللغوية العربية القديمة سوف يساعدنا على الوقوف عند أهم ما قيل في الموضوع، وما استقر عليه علماء اللغة القدامى من شروح وتوضيحات لتحديد ماهية "الجنس" و"النوع" كمصطلحات معجمية قبل أن تصل

إلى الحقل النقدي. والمطلع على ما انتهت إليه تلك المعاجم يدرك أنها تكاد تتفق جميعاً على معنى واحد للفظتي "الجنس" و"النوع" كما ورد ذلك عند كل من "ابن فارس" و"الزبيدي" وكذا "ابن منظور".

فقد جاء تعريف الجنس عندهم بأنه "الضرب من الشيء" <sup>1</sup>، و"الضرب من كل شيء" <sup>2</sup>. ويوسع ابن منظور القول في الجنس ويفصله زيادة على التعريفين السابقين يقول: "الجنس الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة" <sup>3</sup> ويضيف ابن منظور بأن "الجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس إذا لم يكن له تمييز ولا عقل" <sup>4</sup>.

وإذا كان هذا التحديد يخص لفظة الجنس فإنه "لا تكاد لفظة النوع تختلف في تعريفها الأول عن تعريف الجنس إذ تتفق المعاجم على أن النوع - ولئن كان أخص من الجنس فإنه - يقصد به كذلك "الضرب من الشيء أو "الصنف منه، أما دلالاتهما المختلفة حسب الاشتقاق فيمكن حصرها في معنى "التمايل" أو "التذبذب"، وهو ما يوحي بضرب من الانحراف عن الجنس، والاختلاف عنه بوصفه الوضع الأصلي لذلك يقال: ناع الغصن ينوع، واستناع وتنوع: أي تمايل وتحرك" <sup>5</sup>. أي بمعنى أن الحركة الناتجة عن التمايل توحى "ضمنياً بمزيد من الابتعاد عن نقطة الانطلاق التي يمثلها الأصل والجنس" <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ابن فارس. أبو الحسن أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة. تح عبد السلام هارون. ط1، دار الجيل. 1991م. ج1. ص486.

<sup>2</sup> - الزبيدي. محمد مرتضى الحسيني الواسطي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج17. دار الفكر. د.ت. ص123.

<sup>3</sup> - ابن منظور. جمال الدين بن محمد بن مكرم: لسان العرب. ط3. ج3 دار صادر، بيروت. 2004م. ص215.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه. ص215.

<sup>5</sup> - عبد العزيز شبيل. المرجع السابق. ص144.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه. ص145.

ومن خلال الشروح اللغوية المختلفة للفظتي "الجنس" و"النوع" بحسب ما جاءت به المعاجم اللغوية السابقة، يقول عبد العزيز شبيل إنه "يمكن أن نستخلص نتيجة أولى تتعلق بالدلالة العامة للفظتي "الجنس" أو "النوع" وتتمثل في ملاحظتين:

1- في شروح لفظة "جنس" إشارة إلى فكرة محورية تحوم حولها كل الدلالات هي فكرة التشابه أو التماثل ولعل هذه الفكرة تشير ضمناً إلى مبدأ الثبات الذي يفرضه الإطلاق والتعميم.

2- أما شروح لفظة "نوع" فتدور حول فكرة الانحراف والاختلاف أو التنوع وهي فكرة توحى بمبدأ التحول والتغير المرتبط بمبدأ التعيين والتخصيص<sup>1</sup>.

وإذا كان هذا هو المعنى اللغوي للفظتين فإن الإحاطة بالدلالة الاصطلاحية كفيلة بتتوير المعنى وإجلائه بشكل يمكن من خلاله فهم المعنى العام لمصطلح "الجنس" و"النوع" كما يقدمهما الفقهاء والنحاة والفلاسفة في مجالات اشتغالهم. فقد قاموا ببحث دلالة اللفظتين لتعلقهما بمجال الأحكام ومجال المنطق.

فالجرجاني(740هـ- 816هـ) مثلاً يعرف الجنس بأنه "اسم دال على كثيرين مختلفين بأنواع، وكل مقل على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو من حيث هو كذلك، فالكلي جنس، وقوله: "مختلفين بالحقيقة" يُخرج النوع والخاصة والفصل القريب"<sup>2</sup>. ويخص الجرجاني النوع بالتعريف بقوله: كل مقل على واحد أو على كثيرين متفقين بالحقائق في جواب ما هو. فالكلي جنس، والمقل على واحد إشارة إلى النوع المنحصر في الشخص، وقوله: "على كثيرين" ليدخل النوع المتعدد الأشخاص، وقوله: "متفقين بالحقائق" ليخرج الجنس

<sup>1</sup>- المرجع السابق. ص145.

<sup>2</sup>- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، تح ودراسة، محمد صديق المنشاوي. ط 1. دار الفضيلة، القاهرة 2004 م. ص 70.

فإنه مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق<sup>1</sup>. أما النوع فيحدد بكونه أخص كليين مقولين في جواب ما هو، وهو اسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص.

وأما الجنس في تصور الفقهاء فيعتبرونه "لفظا عاما، لذلك فكل لفظ عم شيئين فصاعدا فهو جنس لما تحته سواء اختلف نوعه أم لم يختلف"<sup>2</sup>. وفي دائرة المعارف الإسلامية جاء تعريف الجنس بأنه "لفظ كلي أعلى في الماصدق من النوع، وهو أول الكليات الخمس في المنطق وهي: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، ويشترك في الجنس أنواع عدة"<sup>3</sup> وقد ميز "ابن يعيش" بين الكلم والكلام، فاعتبر "الكلم جمعا مفردا كلمة يقع على ما كان جمعا مفيدا أو غير مفيد أما الكلام فعبارة عن الجمل المفيدة وهو جنس لها لذلك فكل واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له يصدق إطلاقه عليها، كما أن الكلمة جنس للمفردات"<sup>4</sup>.

ولا يكتفي ابن يعيش بما ذهب إليه في تحديد مفهوم الجنس بل يعزز رأيه بما ذكره "سيبويه" في هذا الشأن ناقلا تعريفه للكلمة بأنها "هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف"<sup>5</sup>، وبعد هذا العرض الموجز لمختلف التحديدات المتعلقة بمصطلحي "الجنس و"النوع" كما وردت عند الفلاسفة والفقهاء واللغويين، نختم القول بما أضافه التهانوي إلى الموضوع من خلال تحديد مداه الأعلى والأدنى، فالأجناس تترتب متصاعدة، بينما تترتب الأنواع متنازلة وبالإضافة إلى ذلك لتساعد الأجناس في الترتيب حد تنتهي إليه، إذ لا تذهب إلى غير نهاية. بل تنتهي الأجناس في طرف التصاعد إلى جنس لا يكون فوقه جنس آخر، وإلا لتركبت الماهية من أجزاء لا

<sup>1</sup> - المرجع نفسه. ص 207.

<sup>2</sup> - عبد العزيز شبيل: مرجع سابق. ص 147.

<sup>3</sup> - دائرة المعارف الإسلامية: مج 7. دار المعارف، لبنان، د.ت. نقلا عن عبد العزيز شبيل. ص 157.

<sup>4</sup> - ابن يعيش: شرح المفصل. ج 1. ص 21 نقلا عن عبد العزيز شبيل. ص 149.

<sup>5</sup> - ابن يعيش: شرح المفصل. ج 1. ص 18. نقلا عن عبد العزيز شبيل. ص 148.

تنتاهي وهذا محال، وكذلك تنتهي مراتب الأنواع في تنازلها إلى نوع لا يكون تحته نوع وإلا لم تتحقق الأشخاص إذ بها نهايتها فلا تتحقق الأنواع<sup>1</sup>.

ونخلص بعد تصفح مصادر هذه الدراسات إلى أن الجنس يمثل الأصل الأول في كل شيء وعنه تأتي الفروع والأنواع والأقسام وما إلى ذلك من المصطلحات المستعملة في هذا الشأن، ولعلنا بهذه الإضاءة الموجزة لمفهوم الجنس والنوع على المستوى اللغوي والاصطلاحي ما يساعدنا على فهم فكرة التصور الأجناسي في النثر العربي القديم والبحث في وجودها وخصائصها ومميزاتها<sup>2</sup>.

### 2.1.7 معالم الجنس الأدبي وحدوده في التراث الأدبي العربي .

قبل الخوض في هذا الموضوع لا بد من الوقوف على ما نبه عليه كثير من النقاد والدارسين للأدب العربي القديم وما أجمعوا عليه بشأن غياب أي أثر مكتوب لنثر عربي يمت بصلة لعصر ما قبل الإسلام "ولعل المظهر الشفوي لما وصلنا من ذلك الأدب هو السبب في كون المصادر - على اختلافها - لم تنقل إلينا كمية ذات شأن من الأدب المنثور الخاص بعصر ما قبل الإسلام"<sup>3</sup>. ولعل الجاحظ خير شاهد على قلة النصوص النثرية التي وصلتنا عن الجاهليين قياساً إلى ما وصلنا من كم كبير من شعرهم مستندا في ذلك إلى قول الفضل الرقاشي الذي أكد أن "ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - التهانوي محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح علي دحروج، ج1، ط1. مكتبة لبنان. ناشرون. بيروت. 1996م. ص 597.596.

<sup>2</sup> - عبد العزيز شبيل. ص 177.

<sup>3</sup> - المرجع السابق. ص 181.

<sup>4</sup> - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين. ط1. ج1. دار ومكتبة الهلال، بيروت. لبنان 1988م. ص 239.



ومع هذا الحضور القليل للنثر العربي القديم فإن عناية الدارسين به مكنتهم "من إدراك خصائصه الفنية، ما سمح لهم بتمييز جنسين هما الخطب والأمثال"<sup>1</sup>، ولكنه رغم ذلك يبقى تمييزاً قاصراً - حسب الباحث عبد العزيز شبيل- "على الإحاطة بجميع الفنون النثرية التي عرفتھا فترة ما قبل الإسلام"<sup>2</sup>. فثمة من أحصى عدة أجناس نثرية كانت تمثل أدب هذه المرحلة "منها الأمثال والحكم والوصايا والخطب وسجع الكهان والرسائل، والأخبار"<sup>3</sup>. وحسب محمد غنيمي هلال فإن همَّ النقاد انحصر في كون المنثور "لا يخلو من أن يكون خطابة أو ترسلاً أو احتجاجاً أو حديثاً"<sup>4</sup> ولكنه رغم ذلك لم يضيف إلى التصنيف السابق ما رآه متحققاً في منتخبات النثر القديم من فنون أخرى لم ينتبه إليها غيره من الدارسين بل ركز جل جهده على الخطابة واعتبرها "الأهم من أجناس النثر"<sup>5</sup>.

وقد أسفرت محاولة "عزالدين إسماعيل" في بحث مسألة الأجناس الأدبية في النثر العربي القديم عن فكرة تقوم على أن الجاهليين "لم يفرقوا بين نثر فني وآخر عادي، فربما لم يخطر لهم أن النثر فن كلامي كفن الشعر ولكن المحتمل أنهم كانوا يدركون بعض الفروق التي تميز كلاماً نثرياً عن كلام آخر"<sup>6</sup>.

وقد قاده النظر في مكونات النثر الجاهلي إلى تمييز أجناس أدبية نثرية حصرها "في سجع الكهان والأمثال التي يلحق بها الأمثال الخرافية، ثم الخطابة التي يلحق بها المواعظ والوصايا، ثم الصحف والرسائل الكتابية... إثر ذلك يفسح حيزاً واسعاً لدراسة القصص

<sup>1</sup> - عبد العزيز شبيل. ص 181.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 182.

<sup>3</sup> - ينظر المرجع نفسه. ص 182.

<sup>4</sup> - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث. ط6، نهضة مصر للطباعة 2005 م. ص196. ويقصد بالحديث ما يجري بين الناس في مخاطبتهم. ومنه الجد والهزل، والحسن والقيح، والفصيح والملحون، والصدق والكذب، وكلها اعتبارات لا تجعل من الحديث جنساً أدبياً قائماً بذاته.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 197.

<sup>6</sup> - عز الدين إسماعيل: المكونات الأولى للثقافة العربية. ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد. العراق 1986. ص 67.

ويفرعها إلى أنواع عدة يحشر ضمنها الأسطورة والحكاية وأيام العرب"<sup>1</sup>. ولا ننسى ما قدمه إحسان عباس من دراسات خصصها لمجموعة من الفنون والأجناس الأدبية منها فن الشعر وفن السيرة.

ولكن المحاولات الجادة في بحث مسألة الأجناس الأدبية في النقد الأدبي العربي بالمفهوم النقدي المعاصر لا يمثلها إلا فئة قليلة من الدارسين العرب الذين حاولوا أن يحصوا ما يعج به الأدب العربي من زخم أجناسي في شقيه القديم والحديث وفق نظرة حديثة متسلحة بمفاهيم نظريات الأدب لما بعد الحداثة خلال فترة السبعينات والتسعينات من القرن العشرين وأخص بالحديث منهم: عبد الفتاح كليطو، وسعيد يقطين، ورشيد يحيياوي، وجميل حمداوي، والتونسي الأمين بن مبروك وآخرين... ، وقبل هؤلاء كان المستشرق رجب بلشير قد أنجز دراسة قيمة في الموضوع نفسه.

غير أن الدراسة التي يمكن اعتبارها فريدة في طرحها وشموليتها هي دراسة عبد العزيز شبيل في مؤلفه السابق الذكر والذي اعتمدنا عليه في هذا الجزء من البحث، إذ شكل رافدا هاما لهذه الدراسة بما حواه من مادة ثرية ومتنوعة. غير أن الذي أجمع عليه هؤلاء النقاد هو حجم الصعوبة المنهجية التي تتسم بها مسألة الأجناس الأدبية ، إذ رأوا "أن تصنيفها مجرد تصنيف للموضوعات التي تتغير عناصرها اللغوية حسب الزمان والمكان"<sup>2</sup>. ومع ذلك فإن التصنيف الذي اقترحه عبد الفتاح كليطو يشي بنوع من الثبات والاستقرار إذ يعتمد على تحليل لعلاقة المتكلم بالخطاب ويعنى على الخصوص بمسألة إسناد الخطاب وبما يترتب عن الإسناد من أنماط خطابية"<sup>3</sup>. وقد قرر كليطو "أن الأنماط الخطابية لا تتعدى أربعة (من وجهة النظر هذه طبعا):

<sup>1</sup> - عبد العزيز شبيل. ص 182.183 نقلا عن عز الدين إسماعيل. ص 81.

<sup>2</sup> - رشيد يحيياوي: مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1994. ص 120.

<sup>3</sup> - عبد الفتاح كليطو: ص 29.

- 1- المتكلم يتحدث باسمه : الرسائل، الخطب ، العديد من الأنواع الشعرية التقليدية...
- 2 - المتكلم يروي لغيره: الحديث ، كتب الأخبار...
- 3- المتكلم ينسب لنفسه خطابا لغيره.
- 4- المتكلم ينسب لغيره خطابا يكون هو منشئه. ويضيف بأن النمط يلم عدة أنواع<sup>1</sup>.
- أما سعيد يقطين فقد لاحظ غياب تصور محدد للأجناس الأدبية في النقد العربي رغم المحاولات العديدة من قبل الدارسين والمشتغلين في الحقل النقدي والتي اتسمت بحسبه بتعدد الأحكام والتصورات، فنتج عن ذلك تشتت في المواقف والرؤى واختلاف في المفاهيم والمصطلحات المحددة للنوع أو الجنس، واقترح لتجاوز هذه المشكلة اصطلاحا جديدا رأى أنه جامع لكل الأشكال والأنواع والأصناف الأدبية، وهو مفهوم "السردي العربي بوصفه بديلا من كل المسميات الأخرى على أساس أن الجامع بينها هو السرد، بل إنه يرى في مصطلح السرد الذي يقترحه اسم الجنس الجامع لمختلف الأنواع التي استعملت في الأدبيات العربية قديمها وحديثها والتي يتجلى فيها البعد السردى بمختلف أشكاله وصوره"<sup>2</sup>.
- وقد نهضت دراسة رجب رجب بلشير للنثر العربي القديم بما لم تنهض به الدراسات التي أشرنا إليها، وذلك راجع إلى ما تميزت به هذه الدراسة من طموح كبير، إذ سعى صاحبها من خلالها إلى الإحاطة بكل ما ينهض به أدب عصر ما قبل الإسلام وما بعده وكذلك المنهج الذي وظفه في تناوله للمسألة. من حيث اعتماده على إجراء مسح تاريخي لحياة العرب وبيئاتهم المختلفة ورجوعه إلى جل ما كتب حول الموضوع من آثار ووثائق وأخبار وروايات ورسائل ومقالات في القديم والحديث، ومن ثمة تميزت دراسته بالشمول والعمق مكنته من وضع تصور عام لمجمل ما أنتجه العرب من أشكال أدبية وقوالب فنية في ذلك العصر.

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 30.29.

<sup>2</sup> - سعيد يقطين: الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط1.الدار البيضاء . المغرب، 1997. ص122.

وقد لاحظ بلاشير منذ الوهلة الأولى هيمنة جنس الخطابة على سائر الأجناس النثرية للفترة المدروسة<sup>1</sup> واعتبره "سلطان الكلام في القرن السادس للميلاد<sup>2</sup>، أو لعله دون ريب قبل ذلك، وأداة قوية للتأثير على قبيلة أو جمهور"<sup>3</sup>. وكان إلى جانب فن الخطابة كان العرب أيضا يملكون "أداة تعبيرية هي النثر المسجع الموقع الذي تجاوز من نحو آخر الفن الخطابي مجاورا الكلام المقدس"<sup>4</sup>، وكان هذا السجع يعتبر "أداة طبيعية تعبيرية عند العرافين أو الكهان"<sup>5</sup> على حد سواء، وموازية مع هذين الفنين لاحظ بلاشير حضور أدب شفهي ملاء فراغ حياة البدو العرب تمثل في الحكايات وهي إشارة إلى "أن الشعر لم يكن يمثل ثقافة العالم العربي كلها"<sup>6</sup> إذ كانت الحكايات التي كانت تروى "في حفلات السمر قد أسهمت منذ ذلك العهد في إبقاء حماسة موروثه للقصص والأساطير"<sup>7</sup>.

وإذا بحثنا عن المَعِين الذي تأخذ منه مادتها وجدناها "تتعلق بالتاريخ والتقاليد الشعبية (الفولكلور)، فهي تتيح استحضار تنوع ردود فعل العالم العربي في القرنين السادس والسابع للميلاد تجاه أسرار الطبيعة واللامنظور والموت وطرحت قضية الخير والشر... وأن كلا عالمي الأسطورة والواقع يبدوان باستمرار مختلطين في هذا الأدب"<sup>8</sup>، غير أنه بمرور الزمن

<sup>1</sup>- ذكر بلاشير مجموعة من العوامل ساعدت على نمو فن الخطابة عند العرب، كعلاقة قبيلة بأخرى، والجدل من أجل أراضي الرعي، والخطب المعدة لإنهاء النزاع، أو مناقشة الديات، وثنم الدم، وكان الخطيب يحتل مكانا رفيعا في قبيلته، وكانت القبيلة تفتخر بوجود خطباء مشهورين فيها... وفي الواقع فقد كانت المصالح، وحياة القبيلة، ومستقبلها كله، معرضة أحيانا للخطر". ينظر بلاشير: ج2. ص 839-842.

<sup>2</sup>- وقد وقف الجاحظ على عناصر فنية في الخطابة فذكر بعضا منها فقال: قال أبو داوود بن حريز: "تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق من غير أهل البادية بغض، والنظر في عيوب الناس عي، ومس اللحية هلك، والخروج مما بني عليه أول الكلام إسهاب وقال: "رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه"، البيان والتبيين، ج1 ص59.

<sup>3</sup>- بلاشير: ج2، ص 833.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه. ص 834.

<sup>5</sup>- عبد العزيز شبيل. ص 185.

<sup>6</sup>- بلاشير: ج 2. ص 853.

<sup>7</sup>- المرجع نفسه. ص 853.

<sup>8</sup>- المرجع نفسه. ص 854.

باتت ملامح الحكاية غائبة عن أصلها القديم بفعل تعدد الرواية وتداخل عناصر ثقافية جديدة إلى البيئة الحاضنة لهذا النوع من الأدب ، ونظر بلاشير إلى الحكاية باعتبارها جنسا جامعا تتفرع منه أنواع مختلفة من الحكايات والقصص، النوع الأول منها يشمل القصة الخرافية التي تتميز بحضور الغيلان والجن والكائنات الخرافية والسحرة القادرين على القيام بأعمال خارقة للعادة كالانمساخ على وجه الخصوص<sup>1</sup> وحسب بلاشير فإن الحكاية الخرافية بطابع الجانب الخرافي فيها الذي هو الخرف وفساد العقل لم تكن أبدا مادة أدبية صالحة للعقول الرصينة غير أنه يستدرك هذا الحكم معتبرا "الجزء الأكبر من القصص الخرافية كنزا تغرف منه النساء والمرضعات لإمتاع الأطفال بنين وبنات"<sup>2</sup>. كما يشمل هذا النوع أيضا الأسطورة البطولية وهو نوع يغلب فيه البطل المحارب الساحر وتضم في عالمها شخصيات شهيرة "كالإسكندر ذي القرنين وسليمان ولقمان الحكيم"<sup>3</sup>.

وأخيرا الأسطورة التعليلية: لاحظ بلاشير أن "هذا النوع من الأساطير قد اختلط في العديد من النقاط بالقصة الخرافية أو البطولية، وتتخذ من الطبيعة مادة لها كالأودية والصخور والجبال، ومذبح سيدنا إبراهيم وتمائيل إساف ونائلة<sup>4</sup>، وقبر لص يدعى أبا رغال<sup>5</sup>، وفيها مظاهر مختلفة تتعلق بمسخ الإنسان في شكل حيوان، وتحاول تفسير سبب ذلك. وثمة نماذج أخرى عن هذه الأساطير كأسطورتى طوق الحمامة، وطوق الهدد، وقد تثير الحكايات التعليلية أحيانا عظمة أعمال الإنسان في الماضي، كالصرح الذي بناه هامان،

<sup>1</sup>- المرجع السابق . ص857.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه . ص858.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه. ص867.

<sup>4</sup>- ذكر ابن هشام المعافري في السيرة النبوية أنه "كان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم هو: إساف بن بغي ونائلة بنت ديك، فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين". ينظر ابن هشام المعافري : السيرة النبوية. ج1/دار الإمام مالك. باب الوادي- الجزائر (1429هـ/2008م). ص79.

<sup>5</sup>- كان هذا الشخص سيذا مبغضا لسوء سريرته وجشعه، وكان قائد الفيل ودليل الحبشة لما غزوا الكعبة. بلاشير. ص868.

وقصور ثمود، وسد مأرب، وقلاع غمدان في اليمن، وقصر الخورنق المنيف<sup>1</sup> في الحيرة، والقصر اللامح الأبلق في تيماء<sup>2</sup>.

ويشمل الفرع الثاني القصص الطريفة والمضحكة وهي توظف لإلقاء الضوء على عقلية الشعب العربي وفيها يمتزج الهزلي واللامعقول كما تعكسه القصص "المعروفة بأكاذيب العرب"<sup>3</sup>، وأما القصص المضحكة فتتعلق "بأشخاصها المؤلفين كالحمقى والأذكىاء والزوج المخدوع والمرأة الخائنة"<sup>4</sup>، وتكون مرتبطة بقول مأثور أو مثل أو اسم شخص مثل هبنقة<sup>5</sup>. ولا بد من الإشارة إلى أن هذا النوع من القصص يلتقي أحيانا كثيرة "بالقصة التعليلية التي تتصف بغياب العنصر الخرافي وغلبة الطرافة"<sup>6</sup>. ويضاف إلى هذا النوع قصص الشطار والأذكىاء التي تختلف عن حكايات الحمقى والمغفلين، وتعتمد على شخصيات أسطورية ذات مقاييس إنسانية كما لو كانت شخصيات تاريخية أو حكماء أو رؤساء قبائل، ومن أشهر ما يمثل هذا النوع الحكاية المصنوعة عن زرقاء اليمامة<sup>7</sup> والأمثال المتصلة بها، وكذا حكاية شق وسطيح، وأسطورة "أولاد نزار" ويضاف إلى هذا النوع القصص الغرامية التي تنتشد المثل الأخلاقية العليا، وتحت هذا النوع حكايات كثيرة أبطالها مشهورون في الأدب العربي القديم كعنترة في علاقته بعبلة ابنة عمه و"جميل بن معمر" و"عروة بن جذام"، وابن عجلان النهدي<sup>8</sup> الذي قال عنه قيس بن الملوح:

وفي عروة العذري إن مت أسوة \* \* وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند

<sup>1</sup> - هذا القصر بناه المهندس سنمار فجراه المنذر برميه من أعلاه ومنذ ذلك الوقت صار مثلاً.

<sup>2</sup> - بلاشير: المرجع السابق. ج.2. ص 868.869.

<sup>3</sup> - ينظر بلاشير: ج.2. ص 872.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه: ص 872.

<sup>5</sup> - شخصية معقدة تتميز بالحماسة. ينظر بلاشير. ص 873.

<sup>6</sup> - بلاشير: المرجع السابق. ص 873.

<sup>7</sup> - زرقاء اليمامة امرأة عرافة وعرفت بالمثل المعروف: "أبصر من زرقاء اليمامة" وهي التي أثار تحذيرها قومها هزهم وسخريتهم.

الميداني: مجمع الأمثال. ج.1. ص 120.

<sup>8</sup> - بلاشير المرجع السابق. ج.2. ص 879.

أما الفرع الثالث فيضم الأقوال المأثورة والأمثال والحكم، وهي أشكال تعبيرية موجزة ذات "المغزى الأخلاقي والقيمة التهذيبية"<sup>1</sup>. وإلى جانب هذا النوع نجد القصة على لسان الحيوان، وتختص بكونها حكايات معدة لإشهار مثل أو تفسيره أو الإعلام عن ظروف إطلاق عبارة مثلية يقينية<sup>2</sup> وهي تعتمد موضوعات تضادية تقوم على صفات ثابتة للحيوان فنجد تجاه ابن آوى أو الثعلب رمز المهارة، والتيس أو الضبع الذين يجسدان السداجة ويمثل الهدهد الألمعية، والغراب الحيلة، في حين أن الديك والنعامة يمثلان الأغبياء والمخدوعين<sup>3</sup>. وثمة فرع رابع يضم حكايات البدو شبه التاريخية وتتعلق باستحضار أخبار الأمم السائدة "كطسم وجديس وجرهم"<sup>4</sup> وهجرة الجنوب نحو الشمال والشمال الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وتعتبر الحكايات المندرجة ضمن هذا النوع "صدى لماض انقضى وأصبح غريبا"<sup>5</sup>، وتتصل بهذا النوع "أيام العرب"<sup>6</sup> التي تقدم لنا أبطالاً موسومين بالطابع الإنساني المبالغ في إنسانيته صاعدين في الوقت ذاته في السلم الاجتماعية متميزين من عامة الناس متسلسلين فيما بينهم ودون أن يصبحوا مع ذلك أبطالاً خرافيين، إن السمو المنسوب إلى بعض الشخصيات يفصلهم بالبداهة عن التاريخ ويعيدهم إلى الأسطورة الملحمية كما يظهر ذلك في مآثر حاتم الطائي أو عنتره العبسي<sup>6</sup>.

الفرع الأخير من تفرعات بلاشير للأجناس الأدبية يتمثل في "الحديث" الذي "جلب للأدب القصصي عنصراً جديداً فاق العناصر القديمة ولكن دون أن يقضي عليها وهو كتلة من القصص في طور التكوين والرواية قبل تثبيتها في مدونات في القرن الثالث الهجري

1 - بلاشير المرجع السابق. ج. 2. ص 883 .

2 - المرجع نفسه . ص 890 .

3 - المرجع نفسه ، ص 892 .

4 - المرجع نفسه. ص 903 .

5 - عبد العزيز شيبيل. ص 187 .

6 - بلاشير. ج. 2. ص 114 .

التاسع الميلادي<sup>1</sup> ولكن بلاشير ظل يتأرجح بين معنيين لمصطلح الحديث" الذي أقر باللبس الذي شابهه فهو خبر في شكل القصة الشفوية تعالج حوادث سبقت وجود محمد عليه الصلاة والسلام<sup>2</sup>، ولكنه في نفس الوقت لا يقيم معنى واحدا لهذا المصطلح بل يدرج تحته الحديث التاريخي السيري ( نسبة إلى السيرة أو الترجمة) للجيلين الإسلاميين الأول والثاني<sup>3</sup> بمعنى أنه يشير إلى الحديث على أنه الخبر المتعلق برواية كل ما هو شفوي من أخبار وحوادث حدثت في الماضي قبل الإسلام وفي الآن نفسه يقصد به الحديث النبوي الشريف وهو ما يمكن اعتباره مفارقة منهجية، لأن الحديث العام الذي يشمل كل ما هو روائي قصصي يتعلق بالماضي أوسع وأعم من الحديث المنسوب إلى الرسول(ص) وصحابته الكرام.

فالملاحظ على بلاشير كثرة التفريعات على التقسيم الذي اتبعه في تحديد الأجناس النثرية ولعله اعتمد في هذا التقسيم على مضامين الأنواع النثرية التي أحاط بها ومحتوياتها المختلفة ووظائفها الأخلاقية والنفسية مما جعله يقع في تنويعات وتفريعات لا نجد لها مبررا. لقد علق "عبد العزيز شبيل على التقسيم الذي اعتمده بلاشير لتحديد الأجناس النثرية بكونه مغريا بتفريعاته وتفصيله ومنبئا عن إمام شامل بالإنتاج النثري الذي عرفته فترة ما قبل الإسلام<sup>4</sup> وما بعدها بقليل، لكنه مع ذلك يعيب عليه اعتماده المضامين كمؤشر لتحديد الأشكال النثرية. ويضيف عبد العزيز شبيل إن اختلاف المضامين وغاياتها لا يمكن في رأينا أن يفسر بمفرده مختلف البنى التي تقوم عليها هذه الأشكال، فلا ندرك - بسبب ذلك - لم امتازت الأمثال والحكم بالإيجاز والتكثيف، ولا الفارق المميز بين القصص الطريفة والمضحكة، وقصص الشطار والأذكىاء، فضلا عن القصص الغرامي، ولن يكون بوسعنا كذلك إدراك أوجه التمايز بين الأسطورة البطولية، والأسطورة التعليلية، ومدى اتصاله بالقصة

<sup>1</sup> - بلاشير. ص 916.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 916.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ص 918.

<sup>1</sup> - عبد العزيز شبيل، ص 188.



الخرافية وامتزاجه بها فضلا عن عدم دقة المصطلحات ذاتها والخلط بين القصة والأسطورة أو بين الحديث والخبر"<sup>1</sup>، ومع ذلك فإن عبد العزيز شبيل يقرّ بأن هذه الملاحظات لا تقلل من شأن العمل المنجز من قبل بلاشير ويقول بأن تقسيمه السابق "يبقى في نظرنا أقرب التصنيفات إلى الشمول والدقة، وذلك ما يبرر اطمئناننا إليه من جوانب عدة، وانطلاقا منه في اقتراح تصنيف مغاير أشد اختزالا"<sup>2</sup>. ولكن يبقى في رأبي أن التصنيف على مستوى النثر القصصي ليس بالأمر الهين ذلك أن كثافة المادة القصصية وتنوعها أوقعت كثيرا من الدارسين في مزالق منهجية، ومع هذا لا بد من التنويه بالعمل الذي قام به عبد الحميد بورايو في هذا المجال والإضافة التي تميز بها طرحه لمسألة التصنيف الأجناسي للقصص الشعبي الجزائري حيث اعتمد في تصنيفه "على العناصر الثابتة في أشكالها القصصية مع مراعاة الخصائص الشكلية التي يمكن أن تميز نمطا قصصيا عن نمط آخر، أخذا بعين الاعتبار محتوى هذه الأنماط في علاقته بالشكل لوصف طبيعة كل نمط، ورصد مسار تطوره، من خلال دراسة النصوص دراسة خارجية وداخلية بغية الكشف عن بنيتها التركيبية لبيان ما إذا كانت هذه الأنماط تتمايز فيما بينها في بنائها الداخلي، وإذا ما كانت العناصر المكونة لمختلف الأنماط تخضع لعلاقات تختلف من نمط لآخر، وقد ميز الباحث في المادة التي بين يديه بين ثلاثة أنماط رئيسية هي :

1- القصص البطولية.

2 - الحكايات الشعبية.

3- الحكايات الخرافية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد العزيز شبيل، ص 118.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 188.

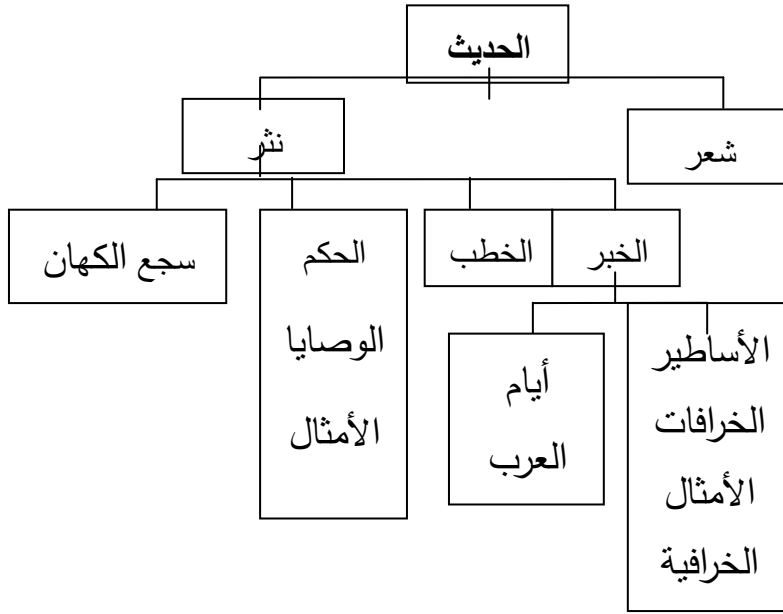
<sup>3</sup> - عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986. ص 67.

وهو تصنيف وجيه فيما نرى ذلك أنه يختزل مختلف التفريعات والتتويجات التي يمكن اعتبارها مجرد تنويع لأصل واحد كما فعل ذلك بلاشير وغيره<sup>1</sup>.

وإذا كانت طبيعة الدراسة التي قام بها الأستاذ عبد الحميد بورايو تتحصر في مجال أدبي محدد وأن التصنيف المعتمد فيها لا يتعدى حقل الأدب الشعبي. فإن عبد العزيز شبيل الذي استعرض جهود بعض الدارسين لمجموع مكونات النثر الأدبي العربي والتصنيف الأجناسي الذي قدموه - كما رأينا - قد اقترح تصنيفا مغايرا أشد اختزالا لما سبق من محاولات في شكل رسم تخطيطي يستقصي أهم الأجناس الأدبية النثرية للعصر الجاهلي إلى غاية العصر الراشدي، شارحا وجهة نظره فيما ذهب إليه حيث قال: "عمدنا إلى المزج بين فنون قد يعتبرها البعض أجناسا مستقلة متميزة مثل الأساطير والخرافات، لكن هاجسنا في هذا المزج يتمثل خاصة في اعتبار تشابهها من حيث احتوائها على عناصر سحرية، ومن ثم اختلافها عن "أيام العرب" التي تستند إلى الوقائع التاريخية والبشرية رغم تلوونها بألوان الخيال والمبالغة إضافة إلى التعمّل والتحريف. لكننا من جهة نعتبر أن هذه الفنون جميعا تندرج ضمن جنس الخبر لأنه الأقدر - في رأينا - على استيعابها وتحقيق وحدتها ضمن تنوعها، وعمدنا كذلك إلى إدراج الأمثال الخرافية ضمن الأساطير والخرافات لتميزها عن الأمثال - بمعناها الدقيق - أي تلك التي تتصل بالحياة اليومية والتجربة المعيشة، وضمن نفس الرؤية أيضا ألحقنا الوصايا بالحكم والأمثال لأن قيامها على الإيجاز واعتمادها اللغة الفنية تجعلها - في رأينا - أقرب إلى الإنجاز الفني منها إلى اللغة العادية، وفي ضوء ذلك يكون الرسم كما يلي"<sup>2</sup>:

<sup>1</sup> - اعتمدت روزلين ليلي قريش التفريعات نفسها في تصنيف القصة الجزائرية ذات الأصل العربي في كتابها الموسوم "القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي". ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1980.

<sup>2</sup> - عبد العزيز شبيل. ص 195.194 .



لا نلاحظ في خارطة التصنيف الأجناسي هذه للنثر العربي القديم على مدار العصر المدروس أي أثر لجنس المناقب سواء كفن أدبي أو ضرب من ضروب الكلام الأخرى. فهل تبقى هذه الخريطة الأجناسية مستقرة وثابتة بعد هذا العصر؟ أم ثمة تغيير حاد سيشهد موت أجناس معروفة وظهور أجناس أخرى تماشياً مع ظهور مؤثرات ثقافية جديدة في ظل التوسع الذي ما فتئ يشهده مجتمع صدر الإسلام ومجتمع الخلافة الإسلامية لاحقاً في طوره الأموي والعباسي وما بعدهما؟.

الحقيقة التي لا مراء فيها أن ثمة "مجموعة من الأجناس الأدبية قد ظهرت في عصر ما، ثم اختفت في عصور أخرى"<sup>1</sup>، ولا أدل من ذلك من فن المقامة الذي ظهر في القرن الرابع الهجري كجنس أدبي غير مسبوق يضم في ثناياه "إشارات غزيرة إلى عديد الأجناس والأنواع الأدبية النثرية [...] حفلت بها المقامات على اختلاف نصوصها، وتنوع مضامينها، ولعل الباحث في مدونة المقامات سوف يلاحظ أن المقامة الصيمرية قد تحقق فيها فعلاً عدد من تلك الفنون، حيث أشارت إلى ذلك على لسان بطلها، إذ يقول: فجمعت من النوادر

<sup>1</sup> - جميل حمداوي: المرجع السابق، ص. 55.

والأخبار والأسمار والفوائد والآثار، وأشعار المتطرفين، وسخف الملهين، وأسمار المتيمين، وأحكام المتفلسفين وحيل المشعوذين ونواميس المتمخرقين، ونوادر المنادمين، ورزق المنجمين، ولطف المتطبيين، وكياد المخنثين...<sup>1</sup>.

ولاشك أن المتأمل في هذه القوالب الفنية سوف يلاحظ أنها مجرد تنويعات قولية وأدائية ولا يمكن بحال اعتبار كل نمط منها جنسا في حد ذاته. "وبناء على ذلك، فإن الهمداني يشير إلى ثلاثة فنون هي: النوادر والأخبار والأسمار"<sup>2</sup>بالإضافة إلى حضور جنس الأمثال، وفن القصة كما في المقامة الكوفية، وفن الخطبة كما في المقامة الوصية.<sup>3</sup>

وباعتبار هذا الثراء الفني المدهش الذي تتميز به المقامة يمكن النظر إليها على أنها تمثل "اختزالا لكل الأجناس الأدبية العربية وتمرينا تطبيقيا لنماذج مختلفة منها، ومزجا طريفا بين البعض منها، مثل المزج بين الخطبة والوصية والبخل، أو المزج بين المثل والخبر والتشبيه والحكاية وتأتي المحاكاة الساخرة لنتوج الجميع بما يكسب المقامة لونا عجيبا ومظهرَ جدّةٍ وطرافةٍ تبدو معها جنسا جديدا لم ينسج على منوال، بل إن جدتها تتجلى من خلال المزج بين الشعر والنثر وخصوصا في تطويع النثر للشعر واستبدال أحدهما بالآخر"<sup>4</sup>.

وخلاصة القول فإن المقامة منذ ظهورها طمحت "أن تكون جنسا جامعا فريدا مميز الخصائص والسمات يستوعب كافة فنون الأدب العربي"<sup>5</sup>. غير أنه بالرغم من هذه البراعة الفنية والهيمنة الشكلية الكاسحة فإن المقامة لم تكد تظهر إلى الوجود ويستقيم عودها "حتى انتهت، ولم تكد تولد ناضجة مكتملة في شكل نموذجها الأمثل حتى ضمرت وغابت"<sup>6</sup>وعرفت المصير نفسه الذي عرفه قبل هذا العهد "شعر النقائض الذي ظهر في العصر الأموي عند

<sup>1</sup> - عبد العزيز شبيل: المرجع السابق. ص 403.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 404.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 406.407.

<sup>4</sup> - المرجع السابق. ص 412.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه. ص 413.

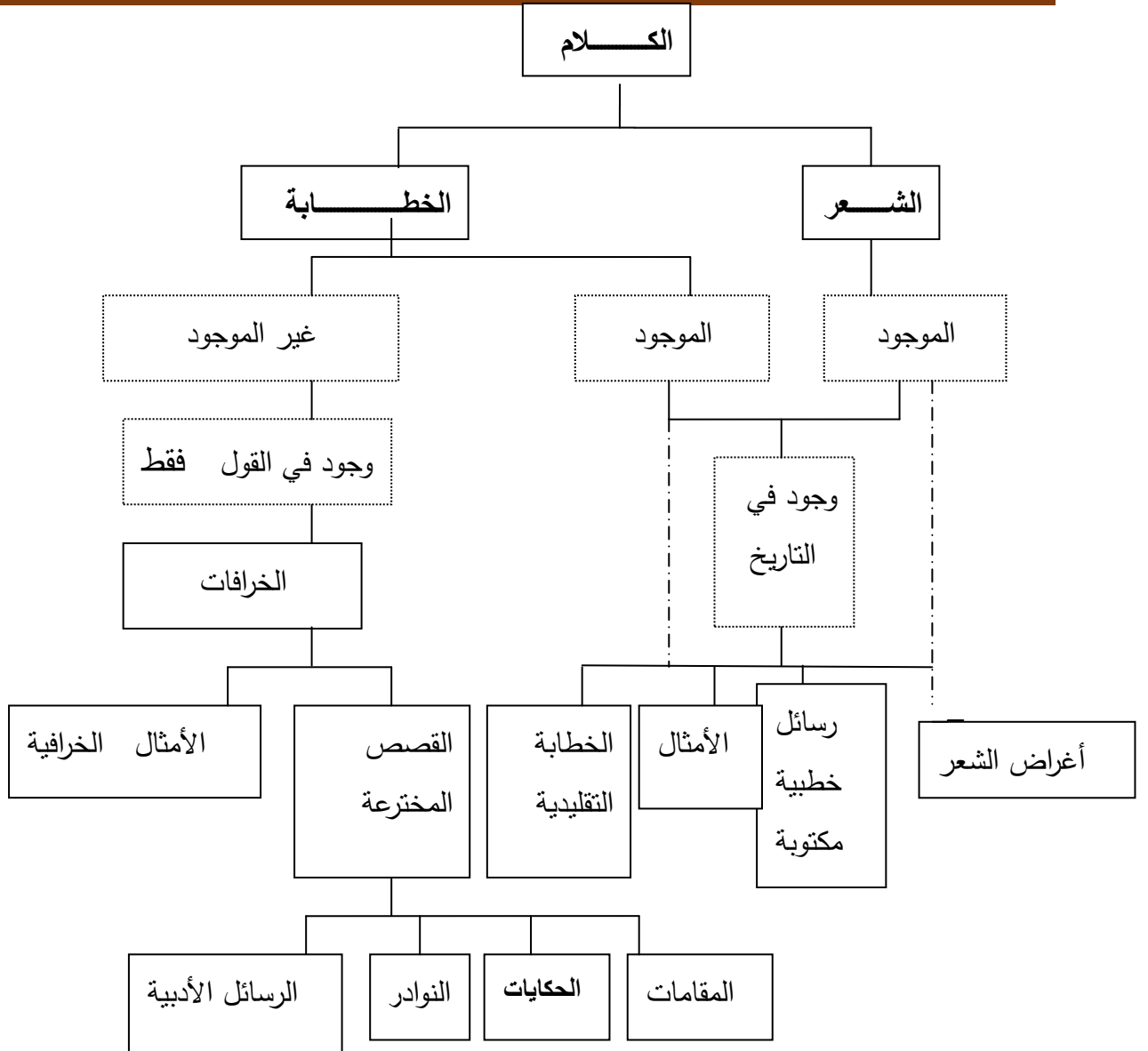
<sup>6</sup> - المرجع نفسه. ص 413.

جرير والفرزدق والأخطل، ولكنه لم يعد له وجود الآن في أدبنا الحديث والمعاصر. وقد اختلف شعر الزهد والعتاب والاعتذار والمدح في أدبنا الحديث، بعد أن انتشر انتشارا كبيرا في العصر العباسي كما اختلف شعر الموشحات في عصرنا هذا بعد أن حل محله أجناس أدبية جديدة لم تكن معروفة في العهود الماضية، كشعر التفعيلة والقصيدة النثرية...<sup>1</sup>

- إن الحد الذي بلغناه في رحلة الاستقصاء والبحث عن موقع المنقبة ضمن الأجناس الأدبية هو نهاية القرن الرابع الهجري وقد لاحظنا ميلاد أجناس جديدة واختفاء أخرى غير أننا لم نعثر بعد عن أي أثر لمصطلح المناقب في تصنيف الأجناس الأدبية لهذا العهد الذي صار فيه الكلام جنسا أعلى يتفرع في مستوى أول- إلى جنسين رئيسيين هما: "الشعر"، و"الخطابة". ويمكننا ملاحظة اختفاء مصطلح النثر الوارد في التصنيف السابق واستبداله بالخطابة وذلك حسب التصور المستوحى من كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري وفق المخطط التالي<sup>2</sup>:

<sup>1</sup>- جميل حمداوي: المرجع السابق، ص 56.55 .

<sup>2</sup>- ينظر عبد العزيز شبيل : المرجع السابق، ص 356.



في التصنيف السابق ضم جنس النثر جنسين فرعيين مختلفين: جنس الخبر، وجنس الخطابة جنبا إلى جنب. وتم التخلي عن جنس الخبر في صنفه أبي هلال العسكري وجعل الخطابة كجنس أعلى مقابل الشعر. فهل تتضمن الخطابة جنس الخبر في تصور العسكري؟.

لا يمكننا إثبات ذلك، أو نفيه لأنه يمكن إدراج الخبر في جنس الحكايات. وإذا ما افترضنا صحة هذا التخمين كان بالإمكان أن يتضمن الخبر جنس المناقب باعتبارها أخبارا من نوع خاص تتميز بسميات مميزة. وإذا لم تكن ضمن جنس الخبر فإنها تكون ضمن

جنس التراجم أو السير فكلاهما يمكنه احتواء المناقب باعتبار طبيعة مادتها، كون المنقبة هي أقرب أن تكون سيرة مطولة للشخص أو ترجمة له أو إيراد أخبار عنه من نوع خاص. غير أن هذا التصنيف أغفل هذه الأجناس ولم يشر إليها ومن ثمة لا نطمع في العثور على مصطلح المنقبة في غياب أجناس أقرب إليها من الناحية الموضوعية.

ونخلص بعد هذه الرحلة التقييمية العسيرة عن موقع جنس المناقب في التراث الأدبي العربي إلى خلو الوفاض من أي أثر لجنس المنقبة وهذا يؤكد رأي كثير من النقاد والباحثين من أن المناقب والكرامات كانتا تتمحوران حول سؤال الحقيقة. حقيقة الكرامة ومدى جدارتها بالتصديق أو الإنكار، ومجالها التصوف الذي هو علم من العلوم الدينية، ولذلك عدت الكرامة "شعار التصوف، ودلالة نجاحه ومحك صدقه"<sup>1</sup>. ومن ثمة فقد أدار نقاد الأدب ودارسوه ظهورهم إلى طبيعة هذا الخطاب بالكامل، وحسب الباحث عبد السلام المنصوري فإن هذا الخطاب قد "ظل منسياً ومقصياً خلال عقود طويلة، من بداية نشأته إلى منتصف القرن الماضي، إذ تم النظر إليه بكثير من التحقير والتهوين، ولم يجد سوقاً نافقة إلا ضمن دائرة المعتقدين والمؤمنين"<sup>2</sup>.

ويؤكد الباحث "محمد علي كندي" أيضاً هذا الواقع المجحف في حق الكتابة الصوفية عموماً والكتابة المنقبية خصوصاً بقوله: "تعد النتاجات الصوفية من أخصب أنماط الكتابة في اللسان العربي، وتتوفر على عمق وثراء قلّ نظيره في الكتابات العربية، بل لعلها الأسبق في تشكيل النص المتمتع، وفتح آفاق الاحتمال، وقابلية النص الأدبي لقراءة متوالية ولا نهائية، وعلى الرغم من ذلك فهي الأقل حظاً - في حدود ما أعلم - من الدراسات البلاغية والنقدية وهو ما يراكم حالة الكبت والتهميش والإقصاء التي مورست في حق الخطاب

<sup>1</sup> - عبد السلام المنصوري: بنية الخطاب المنقبي، طلاق العقل وأوهام التاريخ، ط1. مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع. الرباط. المملكة المغربية. 2017م. ص20.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص21.

الصوفي بكامل مكوناته وهو ما أدى إلى مزيد من الغموض والرهبنة التي تقف حائلا أمام كل محاولة للاقترب من هذه المساحات النائية القابعة في غياهب الانزواء وعلى تخوم الضباب"<sup>1</sup>.

وهكذا تتفق كل هذه الآراء لتؤكد استمرار غياب جنس المناقب في خارطة الأجناس الأدبية طيلة حقبة تاريخية طويلة من عمرها، ولم يلتفت إليها الدرس النقدي العربي- باعتبارها شكلا خطابيا، والاشتغال عليها كنص يوثق بكل إصرار إلى طرق باب الأدب بكل ما يتوفر عليه من المقومات، والخصائص الشكلية، والفنية والدلالية - إلا في النصف الثاني من القرن العشرين حيث شهدت المناقب لحظة ميلادها الأدبي وانضوت تحت سقف الفنون الأدبية، أو إن شئنا الأجناس الأدبية من خلال احتفاء الدرس النقدي العربي المعاصر بها، واستدعائها للنظر في بنيتها الشكلية، وإخضاعها إلى الدراسة والتحليل، بتجريب مناهج البحث الأدبي المعاصرة، لتأتي النتائج سريعة تكشف عن إنشائية المنقبة، وأدبيتها، بما توفّر فيها من مقومات: كالخطابية، والشعرية، والتخييلية، والحكي، والإخبار، وما إلى ذلك من مقومات وعناصر.

### 3.1.7 التصوف والمناقب

لم ينضج فكر الناقد العربي بعدُ لتكون له القدرة على تصنيف المعارف والعلوم. ذلك أن العالم العربي ذو معرفة موسوعية أخذ من كل علم بطرف، مقتطف من كل بستان زهرة أو ثمرة، فالفيلسوف هو طبيب وشاعر وفلكي ومفسر ومحدّث... الخ. وهذا واقع يتلمسه المثقف مع ابن سلام الجمحي، والجاحظ، وابن رشد، وابن سينا... فالتفكير في مسألة (التخصص) في علم معين غير وارد لعدم تبلور العلوم ونضجها، الأمر الذي يجعل لها مناهج خاصة، وحدودا خاصة لمديات كل علم"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محمد علي كندي: في لغة الفصيحة الصوفية، دار الكتاب الجديد المتحدة. ط1، بيروت. لبنان. 2010م. ص17.

<sup>2</sup> - ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفية. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق 2003م. ص 53.



والمطلع على التراث العربي يقف على نقص ملحوظ في العناية بأنواع السرديات النثرية مقارنة بما حظي به الشعر من العناية والاحتفاء "ولعل تأخر الاهتمام بالقصص والحكايات وقلة المصنفات الحكائية المستقلة يعود إلى أن قريحة العربي وذائقته شعرية بالدرجة الأولى، وظل النثر متأخرا عن الشعر في الاهتمام والتطور والرواية، بل حتى عُدت الحكايات هي من شأن المسامرين، والدهماء من العامة، أو لتسلية الحكام وولاة الأمور. لذا لم يحظ هذا الفن بالعناية المطلوبة ذلك أنه من حيث الوظيفة لم تستطع القصص والحكايات أن تتنافس الشعر في بلاطات الأمراء والخلفاء والقادة... ولعل التطور الحضاري الذي سرى في مفاصل الدولة العربية الإسلامية وعُلُو قيمة الكتابة بعد أن تصنفت العلوم وبدأت تميل نحو الدقة والتحديد، هو الذي خَفَّف من حدة الهيمنة التي كان يمارسها الشعر على الذائقة العربية... لهذا ظهرت بوادر قصصية أخذ البعض منها شكل المهارة اللفظية والعرض اللغوي والبراعة في امتلاك أزمة البلاغة كما هو أمر المقامات التي بلغت أوج تطورها ونضجها الفني عند (الهمذاني والحريري)- كما سبق أن أشرنا إلى ذلك - فضلا عما ذكره صاحب الفهرست في ثبته الخاص بأسماء المضحكين، والندماء، وأصحاب الحكايات العجيبة، وأخبار الفساق، وحكايات الجن"<sup>1</sup>. وغيرها من ألوان الفنون النثرية، ولا يستبعد أن تكون هذه الظروف التي هيأت التربة الملائمة للنهوض بهذه الأنواع المذكورة قد ساهمت في نشأة الحكايات المنقبية في ظل هذا الانفتاح الذي تعيشه الحضارة العربية الإسلامية، وامتداد أطرافها مشرقا ومغربا .

وغني عن البيان أن شخصية الرسول (ص) كانت ما تزال تطفو في أذهان الناس وعقولهم باعتبارها مثلا نابضا بالمعاني المقدسة طيلة القرن الأول الهجري، الأمر الذي أحرر مؤقتا ظهور مصطلح التصوف نتيجة استشعار المسلمين هاجس الخوف من أن يلتبس سلوكهم الصوفي بما عرف في ذلك العهد من بقايا "الرهينة في الديانة النصرانية والتي عدها

<sup>1</sup>-ناهضة ستار. ص45.

القرآن الكريم بدعة ابتدعوها"<sup>1</sup>، ويضاف إلى هذا هاجس آخر تمثل في خشية المسلمين من أن يتسلل بعض الأدعياء والمضللين إلى التصوف فيدخلوا فيه ما لا يمت إليه بصلة<sup>2</sup>. وينبغي أن نشير إلى أن الإرهاصات الأولى للتصوف الإسلامي ظهرت في أوائل قيام الدولة الأموية، غير أن التصوف كفكرة لم تنتج بما يكفي لبروزها واشتهارها قبل القرن الثاني الهجري، ذلك أن العهد الأخير للدولة الأموية وبداية العصر العباسي الأول تميز بالركود، والهرم، ويعود ذلك حسب الباحثة "ناهضة ستار" إلى "انشغال الدولة الأموية بانتصاراتها في الفتوحات، واتساع رقعتها، بصرف نظر الناس عن الفساد الاجتماعي، وضعف الروح الأخلاقية، حتى بلغ الأمر في العصر العباسي حدًا تفتت فيه مظاهر المجون، والفساد، بسبب انفتاح الدولة العربية على البلدان المجاورة والمفتوحة، وتكدس رؤوس الأموال، وظهور الطبقة الاجتماعية، والامتزاج الحضاري، والاجتماعي، أدى إلى امتزاج ثقافي وأخلاقي، فأنتج هذا الامتزاج فكريا هجيناً، وقف منه الحائرون على شفا جرف هاور، إما الانغماس، وإما الانعزال، وبدا لهم طريق الخلاص في ضربين من الممارسات: الأول تمثل في التخلع والمجون. والثاني الذهاب إلى أقصى الجهة المقابلة حيث الانعزال والتصوف والنقاء"<sup>3</sup>. ومع استمرار العنف والبطش جراء ملاحقة بني العباس لفلول بني أمية واضطهاد المخالفين لسياستهم، استقال العلماء، والصلحاء، والزهاد عن هذه الحياة الصاخبة، واختاروا طريق الحب الإلهي، فنشط التصوف، وتطور مفهومًا، ودلالة، وفكرًا، إلى معانٍ فلسفية، وتجربة روحية، فيها وجدٌ، واستغراق، وتقلُّ بين أحوال، ومقامات، ومواقف. وطبيعيٌّ جدًّا أن "يقف الزهد والتشف والرقبة في التطهير والنسك في طليعة سمات التصوف في أدواره الأولى منذ القرنين الأولين للهجرة، حيث أفاد التصوف فيها من سيرة

<sup>1</sup> - ناهضة ستار. ص 32 .

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه. ص 33.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 33.

الرسول (ص) وصحابته الكرام والتابعين. وسجل هذا العهد بروز شخصيات صوفية كان لها الدور الرائد في تعبيد طريق التصوف، وكان للمعتزلة دور كبير في تأصيل مفهومه في إطلاق الحرية للعقل في التفتيش عن الجانب الغيبي من الحقيقة الدينية<sup>1</sup>.

وشهد القرن الرابع الهجري العصر الذهبي للتصوف وانتعشت المحاورات والمناقشات وسجل المعتزلة والفلاسفة حضوراً قوياً، وصار التصوف فلسفة إسلامية أخلاقية على يد ابن سينا، وابن رشد، والفارابي، وغيرهم من رموز التصوف الإسلامي آنذاك. وبمجيء القرن السابع الهجري حل عهد جديد اتسم بالصراع بين الفقهاء والمتصوفة، أدى إلى تكفير المتصوفين من قبل الفقهاء، لاسيما العداء الذي بلغ أوجه على يد ابن تيمية (ت728هـ)، ونتيجة لهذا الصراع الحاد بين التيار الصوفي والحملة الشرسة التي تزعمها الفقهاء والتي ما فتئت أوارها تشتعل، وتنتج مزيداً من أشكال التهديد، والتضييق على المتصوفة "انحدر الوعي الصوفي إلى مرحلة الهرم وليس فيه إلا اتكاء على تعاليم السابقين، وارتدى التصوف رداء الطرق الصوفية التي انصرف جهد زعمائها وشيوخها إلى كشف حجاب الحس الذي هو نهاية المراتب الصوفية"<sup>2</sup>. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل شهد آخر القرن (9هـ) تحولا جذريا في مفهوم التصوف واتخذ طابع الطقوس الشعبية خلال القرن (10هـ) وتغلغل في الأوساط الاجتماعية وكثر الأولياء<sup>3</sup>، والمريدون والأتباع، وصار لكل شيخ زاوية، وطريقة تميزه عن غيره من أصحاب الطرق الأخرى.

ويمكن تبعا لهذا الاستعراض التاريخي الموجز في تتبع مراحل التطور التاريخي للتصوف أن نصل إلى تمييز ثلاث مراحل زمنية هامة لهذا التطور :

<sup>1</sup> - ناهضة ستار: مرجع سابق: ص 34.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه: ص 39 .

<sup>3</sup> - يقول ابن قنفذ القسنطيني في كتابه "أنس الفقير وعز الحقيير": "إن أرض المغرب تنبت الصالحين كما تنبت الكلاً". الكتاب نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور. مطبعة ، أكادال. الرباط. المملكة المغربية. 1965م. ص63.

امتازت المرحلة الأولى من مراحل نشأة التصوف "بكونها فترة إثبات الهوية والصراع من أجل الوجود، انحصرت في القرون الثلاثة الأولى من الإسلام .

تطورت الثانية في محاولة التوفيق بين التصوف وخصومه من الفقهاء، حتى توجت هذه المحاولات بتفوق عقلية ذكية أصيلة هي شخصية الإمام الغزالي في القرن الخامس الهجري في الوصول إلى منظور متوازن ومعتدل لقضية التصوف فضلا عن محاولة أبي طالب المكي والقشيري.

أما الفترة الثالثة فقد عنيت بالتأريخ لهذه الحركة ولمفاهيمها ورجالاتها فاشتهرت بتصنيف أهم المؤلفات الصوفية التي حفظت لنا هذا التراث الخالد وتمتد هذه الحقبة بين القرن السادس والتاسع الهجريين<sup>1</sup>.

وقد برزت خلال المراحل الثلاثة السابقة شخصيات صوفية هامة كان لها الفضل في نشأة التصوف، وتطوره فكراً ودلالة، والوصول به إلى مرتبة عليا من حيث هو حسب الباحث منصف عبد الحق: "مقامات، ولكل مقام حال يلبسه الصوفي، ويعايش خفاياه وأسراره، ويتلون بألوانه كما يتلون الماء بلون الإناء الذي يشغله"<sup>2</sup>، وهو بالجملة "علم الأعمال الباطنة أي أعمال القلوب أو علم الحقائق وباطن الآيات، ينكشف للخواص من عباد الله الذين اختصوا بهذا الفضل وهو التأويل"<sup>3</sup>. وعليه فإن حقيقة الصوفي حسب الباحث عبد الحق منصف "هي التقلب من حال إلى حال ومن معيش إلى آخر"<sup>4</sup>.

ومن أبرز أعلام العهد الأول لبروز التصوف، أي القرون الثلاثة الأولى نجد رأس سلسلة السند الصوفي "الحسن البصري" (21هـ\_110هـ) الذي يعتبره المشتغلون في التصوف بأنه كان يغرف من معين بيت النبوة، وأخذ هذا العلم عن سيدنا علي رضي الله عنه، عن

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 39\_40.

<sup>2</sup> - منصف عبد الحق: أبعاد التجربة الصوفية، "الحب - الإنصات - الحكاية" مطبعة أفريقيا الشرق. المغرب. 2007م. ص 6.

<sup>3</sup> - ناهضة ستار: مرجع سابق. ص 35.

<sup>4</sup> - منصف عبد الحق: ص 6.

رسول الله ﷺ. ثم جاء بعده مالك بن دينار (ت 127هـ). وداود الطائي (ت 166هـ). ورابعة العدوية (ت 185هـ). وبشر الحافي (ت 227هـ). والحارث المحاسبي (ت 243هـ). وذو النون المصري (ت 245هـ). وأبو يزيد البسطامي (ت 261هـ). والإمام الجنيد (ت 297هـ). ويضاف إلى هؤلاء شخصية الحلاج (ت 309هـ) القائل بالحلول. وتميز تصوف هؤلاء بالزهد "وبالمبالغة في أداء الفرائض والاجتهاد في العبادات وصولاً إلى رقي أخلاقي ورياضة روحية تعرج بالنفس إلى العلا<sup>1</sup>".

وتواصل عطاء المتصوفة في القرنين الرابع والخامس الهجريين وبرز خلال هذا العهد شخصيات صوفية ذائعة الصيت ساهمت في تأصيل هذا العلم وجعله علماً مداره بواطن القلوب وأسرار النفوس، ونهض بهذا الدور ثلثة من أئمة التصوف الإسلامي، اختلفت طرقهم ومناهجهم في إظهار مبادئ التصوف إلى عامة المسلمين ودعوتهم إلى الانخراط فيه، ذلك أن التعريض بالمتصوفة من قبل الفقهاء في هذا العهد قد بلغ حدوداً لا تطاق انتهى الأمر إلى تسخير أدوات السلطة الحاكمة للبطش بالمتصوفين والتكيل بهم.

وقد تنبه إلى هذا الخطر الجسيم رائد التصوف العرفاني محمد بن عبد الجبار الحسن المعروف بالنفري (ت 354 هـ) صاحب مؤلف رائع "المواقف والمخاطبات"، وهو شخصية صوفية لامعة تميزت بالتفرد في رؤيتها للكون والوجود، وفي طريقة تعبيرها عن طبيعة العلاقة بين الإنسان والله. وقد اعتمد النفري في بث أفكاره على منهج خاص يرتكز على "تأسيس لغة باطنية... فيها إضمار وإخفاء خوفاً من اعتراض الفقهاء وبتش السلطة"<sup>2</sup>. وقد ارتقى النفري في فهم القرآن مستوى لم يبلغه غيره من المتصوفين مكنه من تأويل خاص لمعاني القرآن الكريم قصد الوصول إلى معرفة الله وإدراك حقيقته عن طريق "الكشف" الذي

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 34.

<sup>2</sup> - سعيد الدراجي: فاعلية السياق وحركية التأويل في مواقف النفري ومخاطباته، رسالة دكتوراه مخطوط. جامعة الجزائر 2 يوسف ابن خدة. 2014. ص 13.

هو بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي العين"<sup>1</sup>، "حتى يجد بواسطتها عالم صفات الربوبية، وهذا ما يقال له المكاشفة الصفائية فتبدو له من جنس العلم اللدني"<sup>2</sup>. من خلال "رفع الحجاب والاطلاع على كل ما وراءه من معان وأسرار"<sup>3</sup>.

وجاء بعده أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت 378 هـ) وألف كتابا هاما في التصوف "اللمع في التصوف" وبعده بقليل خلف أبو بكر الكلاباذي (ت 380 هـ) كتاب "التعرف على مذهب أهل التصوف". وأبو طالب المكي (ت 386 هـ) وخلف لنا كتابا هاما سماه "قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد"، ويضاف إلى هؤلاء عبد الكريم القشيري (ت 465 هـ) في كتابه: "الرسالة القشيرية في علم التصوف". وهذه الكتب وغيرها مما ألف في هذا العهد اتجه فيها أصحابها إلى وضع نظريات في الوجود قائمة على دعائم من الذوق... والمجاهدات، والكشف، ومعرفة الحقيقة المدركة من عالم الغيب، مثل الصفات الربانية، والعرش، والكرسي، والملائكة، والوحي، والنبوة، والروح، وحقائق كل موجود غائب، أو شاهد... والتصرفات في الأكوان والعالم بأنواع الكرامات، وخوارق العادات"<sup>4</sup>. ويلخص القشيري بصفة خاصة طريقته في التصوف بتربية النفس وتزكيتها "لترتفع عن شهوات الحس ويكون ذلك بمداومة التأمل والانقطاع إلى المجاهدة الروحية التي تقوي رغبة النفس في التخلق بالأخلاق الإلهية التي تسمو بها إلى الفناء في الذات الإلهية بعد أن تنال مقام القربى"<sup>5</sup>. وبصدد تأصيل نظرية التصوف عند القشيري وتحديد معناه يقول: "واعلم أن السفر على قسمين: سفر بالبدن وهو انتقال من بقعة إلى بقعة

<sup>1</sup>-السراج الطوسي : اللمع . ص 442.

<sup>2</sup>-التهانوي :معجم كشاف اصطلاحات الفنون. ج 2 . ص 1366 .

<sup>3</sup> - سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة. دندرة للطباعة والنشر. ط1، بيروت. لبنان. (1401هـ -1981م). ص 664.

<sup>4</sup>-سعيد الدراجي : المرجع السابق. ص74.

<sup>5</sup>-المرجع نفسه. ص 55 .

وسفر بالقلب وهو الارتفاع من صفة إلى صفة فترى الكثيرين يسافرون بأجسامهم والقلائل يسافرون بقلوبهم<sup>1</sup>.

ويعد الغزالي أبرز شخصية صوفية عرفها القرن الخامس الهجري وعلى الرغم من قصر طول عمره (450 هـ\_505 هـ) فإنه نهض بالتصوف وجعله صورة للحياة الروحية في الإسلام "وطريقاً إلى الله وصفاء النفس ونيل السعادة"<sup>2</sup>. وعلى الرغم من قيامه في كتاب "إحياء علوم الدين" بإمطة اللثام عما اعتبره الفقهاء من أن عمل المتصوفة هو مروق عن الإسلام وبدعة في الدين، وعلى الرغم من الموقف الشجاع الذي تميز به والصبر الذي تحلى به وهو "يردُّ على المنكرين، ويفحم الخصوم والمعترضين، وينزه التصوف مما قد ينسب إليه، أو يلحق به، ويعكر تبعاً صفو مائه، ونقاء صفحته، وقويم صراطه"<sup>3</sup> فإن صوت الفقهاء كان أقوى إذ سموا "المتصوفة آنئذٍ بأهل البدع والضلالات والمحدثات"<sup>4</sup>. ولعل أبرز النماذج من هؤلاء الفقهاء المتكالبين على القدح في أهل التصوف "أبو بكر الطرطوشي" من خلال مؤلفه «الحوادث والبدع»، و"ابن الحاج التجيبي" في كتابه «الفصول المقتضبة في الأحكام المتخذة»، هذا التعنيف عرف أحياناً قساوة في العبارة، وأخرى إخراجاً من الملة واتهاماً بالزندقة، مع تأليب السلطة على المتصوفة.

وعرفت نهاية العصر المرابطي وبداية الموحيدي إحراق كتاب "الإحياء" للغزالي سنة 508هـ، وذلك بسبب فتوة فقهية، واتسمت هذه المرحلة (الموحدية) بالقضاء على التراث الصوفي وبخاصة المكتوب منه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup>- عبد الكريم أبو القاسم القشيري : الرسالة القشيرية في علم التصوف. تح وتعد عبد الحليم محمود. ط1. طبعة دار الخبير للطباعة والنشر. بيروت، 1423هـ/2003م. ص79.

<sup>2</sup>- ناهضة ستار: ص 39.

<sup>3</sup>- عبد السلام المنصوري: بنية الخطاب المنقبي. ص27.

<sup>4</sup>- حكيم الفضيل الإدريسي: التصوف المغربي، التاريخ والخصائص. ندوة علمية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك - الدار البيضاء، يومية وسط. عدد2862 سنة.2010. موقع الكتروني في الأنترنت.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه.

على الرغم من أن الغزالي كان قبل وفاته قد نشط في الرد عليهم بما يطفئ لهب هذا الصراع ويضع الحد لمزاعم الفقهاء ويجلي حقيقة التصوف في أعلى مراتبه حيث قال: "وأشرف أنواع العلوم هو العلم بالله، وصفاته وأفعاله فيه كمال الإنسان، وفي كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الجلال والكمال"<sup>1</sup>. وهو صورة ناصعة لحقيقة التصوف السني الذي يستمد إشعاعه من سيرة الرسول (ص) وصحابته الكرام.

وإلى جانب الغزالي وتصوفه السني نشط فريق آخر من المتصوفة وحذوا بالتصوف نحو الأفق الفلسفي وعلم الكلام، واشتهر من رواد هذا الاتجاه ابن رشد (ت 395 هـ)، وابن سينا (ت 428 هـ)، وابن ماجة (ت 533 هـ)، واستمر عطاء فلاسفة التصوف الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بدءاً بالسهوردي (ت 586 هـ) في حكمته الإشراقية، وابن الفارض (ت 632 هـ) في قوله بالوحدة الشهودية، وابن عربي (ت 638 هـ) في قوله بوحدة الوجود، وابن سبعين (ت 668 هـ) في الوحدة المطلقة .

والناظر في النتائج الصوفي لهؤلاء الفلاسفة يدرك النقلة النوعية الكبيرة التي أحدثها الفكر المتمازج مع فكر الأمم والحضارات الأخرى مع حضارة العرب المسلمين<sup>2</sup>. وإذا كان هذا هو حال التصوف في أوج ازدهاره وتطوره خلال هذه الفترة، فإن نهاية القرن 9 هـ وخلال القرن 10 قد تميزت بتدهور التصوف السني الذي عرف انحداراً رهيباً على مستوى الوعي، وبلغ مرحلة الهرم والركود. وتمثل تيار التصوف في هذه المرحلة بظهور الطرق الصوفية وانتشارها بشكل واسع في شتى أقاليم العالم العربي والإسلامي بدءاً بالطريقة القادرية المنسوبة إلى عبد القادر الجيلاني (ت 561 هـ)، والطريقة الرفاعية التي أنشأها أحمد الرفاعي (ت 578 هـ)، وكلاهما تعتبران من الطرق الصوفية، المشرقية، المبكرة في تاريخ

<sup>1</sup> - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3. المكتبة التوفيقية. القاهرة. مصر. د.ت. ص8. لقي هذا المؤلف قبولاً كبيراً عند صوفية المغرب، إذ جعلوه معتمدهم في هذا العلم.

<sup>2</sup> - ناهضة سنار: المرجع السابق. ص39.



التصوف الإسلامي التي تفرعت عنهما فيما بعد باقي الطرق الصوفية المستحدثة في سماء المغرب الإسلامي خصوصاً.

إذن فقد شهد المغرب الإسلامي شهرة واسعة للطرق الصوفية خلال هذا العهد وما بعده، أعني القرن 6 و7 الهجريين وصولاً إلى القرن 10 هـ، وتميز بظهور طائفة من أقطاب التصوف انتسبت إليهم أهم الطرق الصوفية المعروفة آنذاك والتي ما تزال آثار البعض منها قائمة إلى اليوم. ومن أشهر هذه الطرق نذكر الطريقة المدينية المنسوبة إلى القطب الغوث أبي مدين شعيب (ت 594 هـ)<sup>1</sup>، والطريقة المشيشية لعبد السلام بن مشيش (ت 625 هـ)، والطريقة الشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (593-656 هـ)، والطريقة الزروقية لأحمد زروق البرنسي<sup>2</sup> (846-899 هـ)، والطريقة اليوسفية التي أسسها أحمد بن يوسف الراشدي (ت 931 هـ)، تلميذ الشيخ أحمد زروق، وغيرها من الطرق...

وهناك طرق أخرى لايسع المجال لذكرها منتشرة في محيط المغرب الإسلامي<sup>3</sup>، والمشرق العربي، والعالم الإسلامي. وقد قام أحمد زروق بتحديد مناهج المتصوفين الكبار وأركان دعوتهم، وماتقوم عليه أفكارهم، ونظرياتهم، ولخصها في إحدى قواعده حيث قال: "تَعَدُّ وَجْهَ الْحُسْنِ يَقْضِي بِنَعْدَدِ الْإِسْتِحْسَانِ، وَحُصُولِ الْحُسْنِ لِكُلِّ مُسْتَحْسِنٍ، فَمَنْ ثَمَّ كَانَ لِكُلِّ فَرِيقٍ طَرِيقٌ:

- فالعامي تصوف حوته كتب "المحاسبى" ومن نحا نحوه.

<sup>1</sup> - ابن مريم: "البيستان". ص 114. وذكر أنه دفن في موضع بالعباد في تلمسان. وهو مدفن الأولياء.

<sup>2</sup> - يفوق عدد الطرق الصوفية في العالم العربي والإسلامي خمسين طريقة، بعضها ما تزال تعاليمها وقواعدها إلى اليوم، كالتيجانية، والرحمانية، والقادرية وغيرها...

<sup>3</sup> - وجدير بالملاحظة أن اسم الطريقة قد يتغير من اسم إلى آخر بتغير السند، أو الوفاة، بل إن تسمية الطرق الصوفية بأسماء شيوخها تعتبر من السمات المميزة لكثير من الطرق الصوفية المغاربية، وعلى سبيل المثال الطريقة القاسمية في مدينة "الرديف" في الجنوب التونسي، سميت باسم الشيخ أبي القاسم الذي خلف الشيخ اسماعيل بعد وفاته... وكانت تسمى الطريقة الإسماعيلية وكان تابعا للطريقة المدانية نسبة إلى شيخها محمد القصيبي المديوني الذي كان منتبها بدوره إلى الطريقة العلوية للشيخ أحمد العلوي المستغانمي. ينظر حسن مرزوقي: الإسلام الطريقي ومستويات التأصيل، دورية محكمة. عدد 2. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2012م. ص 18.

- وللفقيه تصوف رامه "ابن الحاج" الفاسي المالكي في مدخله .
  - وللمحدث تصوف حام حوله "ابن العربي" في سراجيه.
  - وللعابد تصوف دار عليه "الغزالي" في منهاجه .
  - وللمتريّض تصوّف نبّه عليه "القشيري" في رسالته.
  - وللناسك تصوف حواه القوت، والإحياء .
  - وللحكيم تصوف أدخله الحاتمي في كتبه
  - وللمنطقي تصوف نحا إليه "ابن سبعين" في تأليفه .
  - وللطبايعي تصوف ، جاء به البوني في أسراره.
  - وللأصولي تصوف قام "الشاذلي" بتحقيقه، فليعتبر كل بأصله من محله"<sup>1</sup>.
- هذه نبذة مختصرة عن نشأة التصوف الإسلامي حرصنا على الوقوف عندها كمحطة لا يمكن فصلها عن موضوع المناقب الذي نحن بصدد تحديد مفهومه، ونشأته، وخصائصه ذلك لارتباط المفهومين ببعضهما ارتباطا عضويا، إذ لا يمكن الحديث عن نشأة المناقب في معزل عن التصوف والمتصوفين بالنظر إلى أن جل التراث المنقبي في الثقافة العربية هو تراث صوفي في المقام الأول، وبتعبير آخر فإن التصوّف يُعدُّ أقرب الحقول المعرفية للمناقب، لأن البيئة الصوفية مثّلت أرضا صالحة لنشأة هذا الصنف من الأشكال التعبيرية، لذا شاع في أدبياتنا ارتباط المناقب بالعلوم الدينية، وبالمتصوّفة، والزّهّاد، والصالحين والأولياء، في مواقفهم، وأحوالهم ومقاماتهم، إما بصفتهم مبدعين لهذا التراث المنقبي، أو بصفتهم موضوع تأليف وإبداع من قبل غيرهم. وعليه فإن عدم إدراج مصطلح المناقب في خريطة الأجناس الأدبية العربية إلى غاية عصر متأخر جدا يعود - حسب رأي الباحث فرج ابن رمضان- إلى أن "العرب تواضعوا على إدراج الكرامة في باب المعرفة الصوفية

<sup>1</sup>- أحمد زروق البرنسي: قواعد التصوف، ضبط وتق. أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبه. ط1. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. 2006م. ص 41-42.

وأدبياتها، وسلموا ثمة في ضوء سؤال الحقيقة، فإما أنها موضوع للاعتقاد، وإما أنها للإنكار لاغير<sup>1</sup>.

### 1.3.1.7. تعريف المنقبة:

#### 1.1.3.1.7. المنقبة لغة:

توسع ابن منظور في معجمه عند تحديد مادة "نقب" حيث أحاط بجميع المعاني والدلالات التي وردت في لغة العرب، غير أننا نورد فقط من الدلالات ما هو مرتبط بمصطلح المنقبة في مجالها الدلالي المحايث لموضوع البحث، ومما جاء في ذلك: "نَقَبَ: النَّقَبُ: النَّقْبُ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ، نَقَبَهُ يَنْقُبُهُ نَقْبًا، وَقِيلَ الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ فِي الْجَبَلِ، وَالْجَمْعُ أَنْقَابٌ وَنِقَابٌ وَأَنْشَدَ ثَعْلَبُ لَابِنِ أَبِي عَاصِيَةَ:

تطاول ليلي بالعراق ولم يكن عليَّ بأنقاب الحجاز يطولُ

والمَنْقَبُ والمَنْقَبَةُ، كَالنَّقَبِ والمَنْقَبِ والنَّقَابِ: الطَّرِيقُ فِي الْغَلْظِ. وَالمَنْقَبَةُ: الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ بَيْنَ دَارَيْنِ، لَا يُسْتَطَاعُ سَلُوكُهُ، وَالنَّقِيبَةُ: النَّفْسُ؛ وَقِيلَ: الطَّبِيعَةُ وَقِيلَ: الْخَلِيقَةُ. وَنَقَّبَ عَنِ الْأَخْبَارِ وَغَيْرِهَا: بَحَثَ؛ وَقِيلَ: نَقَّبَ عَنِ الْأَخْبَارِ: أَخْبَرَ بِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: إِنْ لَمْ أَوْمَرَ أَنْ أَنْقَبَ عَن قُلُوبِ النَّاسِ أَيِ أَفْنَسَ وَأَكْتَشَفَ"<sup>2</sup>.

وقيل "النقيبة النفس، وقيل: الطبيعة، وقيل الخليفة. والنقيبة: يُمنُ الفعل. ورجل ميمون النقيبة: مبارك النفس، مظفر بما يحاول. قال ابن السكيت: إذا كان ميمون الأمر ينجح فيما حاول ويظفر. وفي حديث مجدي بن عمرو: أنه ميمون النقيبة أي مُنجحُ الفِعالِ، مُظْفَرُ المَطَالِبِ"<sup>3</sup>. ويضيف ابن منظور شروحا أخرى لمعنى مادة نقب قائلا: النقيب الرئيس الأكبر. وقولهم: في فلان مناقب جميلة أي أخلاق. وهو حسن النقيبة أي جميل الخليفة.

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان: الدراسة الأدبية للكرامة الصوفية، أسسها، إجراءاتها، رهاناتها. ج1. الكرامة من التصوف إلى الأدب. ط1. مطبعة سوجيك، صفاقس، تونس. 2007م. ص212.

<sup>2</sup> - ابن منظور: لسان العرب، ج14. مادة "نقب"، ص330-331.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج14، ص331.

وإنما قيل للنقيب نقيب لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم<sup>1</sup>. و"المناقب جمع منقبة وهي مشتق اسمي يتعلق بجذر ثلاثي مجرد (ن، ق، ب). وجل المشتقات الفعلية والاسمية المتصلة بهذا الجذر تنتظمها حقول دلالية متعددة حجر الزاوية فيها معاني الخرق والسير والطريق والنفاز في الأمور"<sup>2</sup>. هذه باختصار بعض الدلالات المتعلقة بهذه اللفظة حاولت أخذ الأقرب منها إلى ما يضيء لنا سبيل النفاذ إلى عالمها الدلالي المرتبط بسياقها الديني والتاريخي والفكري.

### 2.1.3.1.7. المنقبة اصطلاحاً:

جاء في لسان العرب في باب النون: "المنقبة كرم الفعل، يقال: إنه لكريم المناقب من النجدات وغيرها، والمنقبة ضد المثلبة... وقولهم في فلان مناقب جميلة أي أخلاق، وهو حسن النقيبة أي جميل الخليفة"<sup>3</sup>، والمنقبة تعني ذكر الفضائل والخصال الحميدة للشخص وأوصافه وكراماته وشمائله، وتدل إجمالاً على نبل المكارم والأخلاق الحسنة. وهي ترجمة لفرد أو لمجموعة من الأفراد تميزوا بميزات معينة كأن يكونوا شخصيات دينية كالصحابه والتابعين، أو أولياء صالحين، أو مجموعة من الشخصيات الأعلام عرفوا في مجال من المجالات المعرفية أو التاريخية أو غيرها. وإجمالاً فهي حسب خديجة السمعلي "المفخرة والفعل الكريم وما عرف الإنسان من الخصال والأخلاق الحميدة، فهي نماذج القدوة القيمية والسلوكية التي يسعى الإنسان دوماً إلى اتخاذها مثلاً علياً يهتدي بها"<sup>4</sup>. وتختص الكتابة المنقبية بأنها "تعنى بالتعريف برجال التصوف، وشيوخ الطريق، وذكر أحوالهم وأخبارهم، والتتصيص على شمائلهم ومفاخرهم، وبصفة خاصة التأكيد على "كراماتهم الظاهرة"،

1 - المرجع السابق. ص332.

2 - خديجة السمعلي: الفكر الصوفي من خلال مناقب أبي سعيد الباجي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. الرباط المملكة المغربية، دت. ص3.

3 - ابن منظور: مرجع سابق. ج 14، ص331-332.

4 - خديجة السمعلي: المرجع نفسه. ص3.

و"آياتهم الباهرة"، من أجل أمثلتهم وتنصيبهم في مقام القدوة والنموذج. ومادتها في ذلك "الكشف، والكرامة، والرؤية، والتأثير، والتوجيه. والهدف والوظيفة: "الحض على إنتاج نموذج أسمى"<sup>1</sup>. وازدهرت الكتابة المنقبية بشكل لافت للنظر حسب حسن حنفي "في العصور المتأخرة في المرحلة الطرقية عندما تحول التصوف من التصوف النظري إلى التصوف العملي"<sup>2</sup>.

وقد لاحظ كثير من الباحثين صعوبة تدجين مصطلح المنقبة في جنس سردي معين ذلك لأن الكتابة المنقبية أساساً "تحاول أن تقدم نفسها على أنها تاريخ خالص، تستند إلى الأخبار والمرويات، وتتكى على الأسانيد والرجال الثقات، إلا أنها لا تعكس من التاريخ سوى شكله، ولا تأخذ من الواقع سوى رسمه، إذ سرعان ما تفارق الدنيوي نحو القدسي، والتاريخي نحو المثالي، والمتناهي نحو المطلق، لترسم لنفسها صورة نمطية مكررة"<sup>3</sup>.

وقد التبس مصطلح المنقبة بالكرامة في جل المؤلفات الصوفية التي كان موضوعها المناقب، ذلك لأن "الكتابة الترجمية المنقبية لا تحفل بالشواغل المعرفية، أو بالهموم النظرية بل شغلها الأساسي التعريف بالرجال، والتأكيد على مفاخر الأعمال، إنها ترصد المواقف، وتتبع الآثار، وتصنع النموذج، وتبني القدوة والمثال. من أجل هذا كله يتم تغليب الجانب الأخلاقي العملي على الجانب العلمي المعرفي في شخصية المترجم له. بل إن هذا الوصف هو الذي يبرر هيمنة الكرامات على مضمون التراجم، وعلى ضروب المناقب، حتى لتكاد تكون الكرامة هي المعادل الموضوعي للمنقبة"<sup>4</sup>. وقد تنبه عبد الأحد السبتي إلى مركزية

<sup>1</sup> - عبد السلام المنصوري: المرجع السابق. ص 30.

<sup>2</sup> - حسن حنفي: من الفناء إلى البقاء. ج 1، الوعي الموضوعي. ص 617.

<sup>3</sup> - عبد السلام المنصوري: المرجع السابق. ص 31، 32.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ص 46.

الكرامة في الترجمة المنقبية<sup>1</sup>قائلا: "تمثل الكرامة أهم عنصر يميز الكتابة المنقبية، مثلما تتميز كتابة التراجم بإلحاحها على موقع الفقيه أو العالم داخل سلسلة النسب والشيوخ والرواية. ولا تخص الكرامة مايسمى بـ "التصوف الشعبي"، في مقابل تصوف "عالم" يستغني عن موضوع خرق العادة"<sup>2</sup>، فهي موجودة في كليهما.

أما لطفي عيسى فقد أكد أن الخطاب المنقبي في جل التراث الصوفي هو خطاب كرامي في المقام الأول، حيث سخر مؤلفوه كل الأدوات والأساليب لإعلاء سلطة الكرامة قائلا: "إن نصوص المناقب تستند إلى حجة الكرامة التي طغت تدريجيا على مضمون هذه المرويات أو السير، وحولتها إلى مجرد تعلقة الاستفاضة في استعراض هذه الجوانب الخارقة، التي ضمنت لقرون عدة تواصل الاعتقاد في الصلاح، وتعظيم أربابه"<sup>3</sup>. وقد لاحظ شارل بلا ( Charles Pellat ) أن كلمة مناقب تطورت من الدلالة على الفضائل والأعمال المحمودة التي يمكن أن تتجسد في سيرة شخص من الأشخاص إلى الدلالة على الخوارق والكرامات التي تنسب إلى الأولياء، وذلك بحكم ازدهار التصوف، والاهتمام بالمظاهر العجيبة، وقد صارت التآليف التي تهتم بتلك الموضوعات تبعا لذلك، تحمل تسمية مناقب في الغالب الأعم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أورد عبد الأحد السبتي نصا لمحي الدين بن عربي حول علاقة الكرامة بشكل معين من أشكال التقوى حيث ذكر أن ابن عربي صنف الكرامات حسب علاقتها بتقوى مختلف أعضاء الجسم. فمن كرامات تقوى البصر، "رؤية الزائر له قبل قدومه على مسافة بعيدة أو من خلف حجاب كثيف"، و "رؤية الكعبة عند الصلاة حتى يتوجه إليها". ومن كرامات تقوى اليد "تبع الماء من بين الأصابع كما كان هذا لمحمد صلعم". ومن كرامات تقوى البطن "أن يشبع القليل من الطعام الرهط الكثير". ومن كرامات تقوى القدم "المشي على الماء وطي الأرض والمشى في الهواء". ابن عربي: مواقع النجوم، ص 58 - 126 نقلا عن عبد الأحد السبتي: بين الزطاط وقاطع الطريق، أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار. دار تويقال للنشر، ط1. الدار البيضاء، المغرب. 2009م. ص147.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 146.

<sup>3</sup> - لطفي عيسى: كتاب السير مقاربات لمدونات المناقب والتراجم والأخبار. دار المعرفة، ط1، تونس. 2007م، ص30.

<sup>4</sup> - Pellat(Charles)E.I(n.e)TomeVI-Manàkib-p333 نقلا عن أيوب بن حوّد، بلفاسم مالكية:أدب المناقب : المفهوم والجذور ، مقال، مجلة مقاليد .العدد 10 جامعة قاصدي مرباح ورقلة .الجزائر 2016م. ص14.

وبناء على ما تقدم فإنه لابد من الإشارة هنا إلى أن الصباغ القلعي لم يفرق في "البستان" بين مصطلحي المنقبة والكرامة بل جعلهما مصطلحا واحداً، وبدلان معاً على معنى واحد، وإن كان مصطلح المنقبة سائداً لفظياً على حساب مصطلح الكرامة الذي هو عين المقصود. فمناقب "البستان" كلها كرامات، ولذلك فإنني سوف أقدم تعريفاً للكرامة بحسب ما تتميز به من خصائص من الناحية الاصطلاحية حتى يظهر الفرق بينها وبين المنقبة من الناحية الدلالية، ثم أسوّي بينهما كمصطلح واحد إجرائياً وهو الكرامة كما قصده الصباغ في "البستان".

### 2.3.1.7. تعريف الكرامة:

تجمع جُلّ مصادر التصوف الإسلامي على أن الكرامة في عرف المتصوفة تعني "ظهور ووقوع خوارق العادات على يد الأولياء"<sup>1</sup>. واختصرها ابن عربي في مصطلح جامع هو "خرق العوائد"<sup>2</sup>. وقد عرفها العزفي بأنها: "كل فعل خارق للعادة ظهر على يدي عبد ظاهر الصلاح في دينه، مستمسك بطاعة الله في أحواله، مستقيم الطريقة في تصرفاته، إذ قد حصل الإجماع على أن الكرامة لا تحصل إلا على يد متمسك بطاعة الله تخصيصاً له وتفضيلاً، كما أجمعوا أنها لا تظهر على يدي فاسق"<sup>3</sup>.

وقد خصها أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي بالاهتمام فبين الفرق بينها وبين المعجزات قائلاً: "اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادات. غير أن الفرق بينهما من وجهين: أحدهما تسمية ما يدل على صدق الأنبياء معجزة، وتسمية ما يظهر على الأولياء كرامة للتمييز بينهما. والوجه الثاني أن صاحب المعجزة لا يكتف

<sup>1</sup> - محمد حلمي عبد الوهاب: ولاية وأولياء، السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط . ص102.

<sup>2</sup> - وتتخصر الخوارق عنده في المعجزة، والكرامة، والسحر. ينظر: سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة. ص962.

<sup>3</sup> - أحمد بن محمد بن أحمد العزفي: دعامة اليقين في زعامة المتقين، مناقب الشيخ أبي يعزى، تح أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط 1989م. ص23.

معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه... وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ولا يدعي فيها... وفرق ثالث وهو أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه. وصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله... فالمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، والمغوثات (والمعونات) لسائر العباد<sup>1</sup>. وحسب الميلودي شغوموم فإن "الكرامة لها مرجعية قدسية بمعنى أنها ترتبط بالفوق طبيعي أو الخارق الذي يعبر عن حضور القدسي في الطبيعي والعادي والذي يوجد في كل الديانات"<sup>2</sup>. فهي حكاية "تروي حضور القدسي في شخص معين وانبثاقه فيه"<sup>3</sup>.

والخارق أو الفوطبيعي في الكرامة حسب الباحثة "هدى التونسي" يطلق "على كل ما يخالف نظام الطبيعة المتعارف عليه، فالكرامة تنتمي إلى جنس المتخيل الذي يشير إلى دلالات الظن والوهم والتوقع، فهي قوة خفية لا يملكها إلا أشخاص معينون، هم أولياء الله تتحقق عبر قالب فني هو الحكاية"<sup>4</sup>.

### 1.2.3.1.7. ظروف نشأتها وتطورها:

لاشك أن الصراع المذهبي الناشئ عقب ظهور الفرق الإسلامية أدى إلى نشوء الفتنة الكبرى بين السنة والشيعة، وانقسام المسلمين فنتين متنافرتين، والتحول السياسي الكبير الذي حدث إثرها في دواليب الدولة الإسلامية الناشئة من خلال انتقال الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، وما عرفه هذا الانتقال من انفتاح على العالم الخارجي، والاحتكاك بالثقافات والحضارات الأخرى، وما طبع هذه الخلافة من مظاهر الأبهة، والميل التدريجي إلى الترف

<sup>1</sup> - أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت 429هـ): أصول الدين. ط3. دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان (1401هـ/1981م). ص 174-175.

<sup>2</sup> - الميلودي شغوموم: المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي، الحكاية والبركة. ط1، منشورات المجلس البلدي بمدينة مكناس، مطبعة فضالة، المغرب. 1991م. ص 54-55.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 55.

<sup>4</sup> - هدى التونسي وآخرون: الكرامات الصوفية المغربية. دراسات سيميائية. جذور للنشر. ط1. الرباط. المملكة المغربية. 2006م. ص 26.



الحضاري غير المسبوق في حياة الصحابة والتابعين الذين كانوا ينظرون إلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأربعة إلى أنها النموذج الذي ينبغي الاقتداء به في كل مظاهر الحياة، من الاقتصاد في المعيشة، والزهد في الحياة، والتركيز على قيم الإيمان الصحيح، والدعوة إلى الله بالإخلاص والتقوى.

فلما تفتت مظاهر زينة الحياة والترف الحضاري في هذا العصر، استنكر كثير من الصحابة والتابعين انقلاب الأمويين على نهج الرسالة المحمدية، والابتعاد عن مبادئها، وقيمها، وتوسلوا منهاج يدعو إلى الزهد في الحياة، تماشياً مع ما كان في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من الوسطية والاعتدال في كل مظاهر الحياة، واعتُبرت الفترة الأولى من البعثة وما تلاها من الخلافة الراشدية فترة مثالية، وما جاء بعدها انحرافاً عن خط السلف، "فالمجتمع الإسلامي مجتمع ديني يسعى إلى الالتزام بالنص [القرآن الكريم والحديث الشريف] والاقتداء بالنموذج، [النبي والخلفاء الراشدين ومن صلح من التابعين]، وهذا كان يقتضي ضرورة الحفاظ على كلا النمطين [النص والنموذج] ليستطاع العودة إليهما دائماً بعدَهُمَا المنهاج الذي يفترض بالمسلم اتّباعه، وقد استحدث للنص ما يلائمه من شروط من خلال تدوين القرآن الكريم، واعتماد نسخة موحدة منه في سائر الأقطار، وكذلك الأمر مع الحديث الشريف [...]. أما النمط الآخر وهو [النموذج] فقد كانت السبيل إلى المحافظة عليه هي التأليف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسير الخلفاء الراشدين والتابعين وصالحي الأمة لتبقى هذه السير نماذج أصلية ذات قيمة مقدّسة تقاس عليها أفعال المسلمين"<sup>1</sup>، ومن هنا بدت الحاجة ملحّة إلى "إعادة إنتاج نموذج أسمى أو في سنّة التقليد، إذ ينبغي لكل مقلّد

<sup>1</sup> - لؤي علي خليل: الكرامات في التراث العربي الإسلامي (النموذج الأندلسي)، مقال، مجلة التراث العربي. اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد 97، السنة الرابعة والعشرون، 1425هـ - 2005م، ص4.

إمام أن يعرف حال إمامه الذي قلده، ولا يحصل ذلك إلا بمعرفة مناقبه وشمائله وفضائله وسيرته وصحة أقواله، ثم إنه لابد من معرفة اسمه وكنيته<sup>1</sup>.

إن النموذج المقصود بالافتداء هنا "هو الإنسان الكامل، الذي تحقّق في النبيّ الخاتم صلى الله عليه وسلم، ثم تحقّق في الصّفوة من الأولياء السائرين على قدمه"<sup>2</sup>. والقصد المستهدف من استدعاء النموذج هو "الافتداء، والتقليد، والاتباع إكمالا للمسيرة التاريخية المثالية على سُنّة الأولين من الأنبياء، والأولياء، والصالحين، فبانتهاؤ دورة النبوة تبدأ دورة الولاية، وهي دورة تحقّق الاتصال حيث يُظنّ الانفصال، وتُحقّق الاستمرار حيث يُظنّ الانقطاع"<sup>3</sup>. وعليه يمكن اعتبار هذه المرحلة وهذه الظروف نقطة البداية لنشأة المناقب والكرامات استدعاءً للنموذج والقدوة، ثم تطورت فيما بعد على الشكل الذي سنوضحه في المبحث الموالي.

## 2.7. منزلة المناقب في حركة التأليف في الثقافة العربية:

### 1.2.7. مرحله التأليف المنقّي في التراث العربيّ:

لاتتفق الكتابات المهمة بتاريخ موضوع المناقب والكرامات على تحديد تاريخ محدد بشكل دقيق لبدايتها، أي بداية ظهور المناقب والكرامات كمدونات، ويظلّ الإمساك بالخيط الأول الموصل إلى اليقين باللحظة التاريخية الأولى لميلاد هذا الجنس من السرد العربيّ مطلباً مستعصياً على الدارس، غير أن المجامع الكرامية التي أُلّفَتْ في حقب زمنية مختلفة والتي احتوت على جمٍّ كبير من أسماء الشخصيات الأعلام، وضمتّ عددا كبيرا من أسماء الأولياء، يعود الكثير منهم إلى الماضي البعيد، وإلى الفترة المبكرة من بداية الدعوة الإسلامية، حيث يرجع الكثير من الدارسين والمهتمين بمجال التصوف والولاية زمن ظهور

<sup>1</sup> - التوفيق أحمد : التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي. دار عكاظ، الرباط. المغرب. 1988م. ص82.

<sup>2</sup> - عبد السلام المنصوري: بنية الخطاب المنقّي. ص 136.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 136.

المناقب والكرامات إلى العهد الأول من زمن الصحابة وتحديدًا إلى الفترة التي عاش فيها "الحسن البصري(21 هـ / 110هـ)" الذي ينسب إليه الوعاء الأول للتصوف الإسلامي، وعنه انتقل تيار التصوف صعودًا عبر سلسلة من الأعلام المعروفين في هذا المجال، والملاحظ أن هذه الفترة التي عاشها "الحسن البصري" هي فترة الخلافة الأموية التي أشرنا إلى ما ميّزها سابقًا.

وعليه يمكن أن تكون هذه الفترة المحطة الأولى لظهور المناقب والكرامات الصوفية بعد الاطمئنان إلى تدوين القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث "وقع التأليف في مناقب الخلفاء الراشدين ومناقب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ومناقب الأئمة كأحمد وأبي حنيفة"<sup>1</sup>. ثم تلت مؤلفات أخرى طالت أعلام التصوف والفقهاء والشخصيات الإسلامية التي يشهد لها بالبطولة والتقوى والصلاح. "وتبعًا لهذا المعنى كثرت كتب مناقب الصالحين، فهي تعد بحق تجسيدًا لمبدأ أساس يحكم طريقة التفكير داخل المجتمع الإسلامي ألا وهو مبدأ القياس على النموذج الأصل"<sup>2</sup>.

ونعتقد أن التأليف في المناقب الصوفية قد انطلق بالتوازي مع حركة تدوين التراث العربي الإسلامي عموماً؛ أي مع نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة . وحسب ما بلغنا من مادة منقبية مدونة فإن أولى المؤلفات التي ظهرت في موضوع المناقب تعود إلى "زائدة بن قدامة"<sup>3</sup> الثقفي الكوفي(ت 161هـ - 778م) في كتاب "المناقب".

<sup>1</sup> - التوفيق أحمد: التاريخ وأدب المناقب. ص82.

<sup>2</sup> - لؤي علي خليل: الكرامات في التراث العربي الإسلامي(النموذج الأندلسي)، ص5.

<sup>3</sup> - قال ابن النديم في فهرسته في فقهاء أصحاب الحديث: زائدة بن قدامة الثقفي من أنفسهم يكنى أبا الصلت الكوفي، مات بالروم في غزاة الحسن بن عطية سنة 61 أو 60هـ، يعني بعد المائة، وله من الكتب كتاب السنن يحتوي على جميع أبواب الفقه، وله: كتاب القراءات. كتاب التفسير. كتاب الزهد. كتاب المناقب. ينظر: ابن النديم، الفهرست، تح/أيمن فؤاد سيد. دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان د، ت. ص227. وفي تهذيب التهذيب: زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي روى عن أبي إسحاق السبيعي، والأعمش، وروى عنه جماعة كثيرة. قال عثمان بن زائدة: قلت للثوري ممن أسمع، قال عليك بزائدة، وقال أبو أسامة كان من أصدق الناس وأبرهم، حكى أنه مات بأرض الروم غازيا، وحكى الخلاف في تاريخ وفاته انه سنة 160 أو 161 أو 162هـ. ينظر ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب (ت856هـ). ج3. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة، 1993م. ص306.

ويليه كتاب "مناقب العباد من صلحاء أهل البلاد" الذي ألفه "عبد الله بن المبارك" ولد في سنة 118 هـ، في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وكانت أمه خوارزمية. توفي سنة 181 هجرية، في خلافة هارون الرشيد، في مدينة هيت، بمحافظة الأنبار، بغرب العراق. من مؤلفاته. كتاب الزهد والرفائق، وكتاب الجهاد<sup>1</sup>.

ثم كتاب "الإشراف في مناقب الأشراف" الذي ألفه "ابن أبي الدنيا" في القرن الثالث الهجري (208 - 281 هـ / 823 - 894 م). ويعتبر من أوائل الكتب التي تصدت لجمع أخلاق الأشراف ومناقب النبلاء، ويضم (520) نصا، تشتمل على أخلاق الأشراف، وصفاتهم K وسماتهم، وأخبارهم.

وفي نفس الفترة تقريبا ألف الجاحظ رسالة في "مناقب بني العباس" ألفها ما بين (227-232هـ/841-846هـ) في خلافة "الواثق بالله"، وربما وجهها الجاحظ إليه تقريبا وتزلفا[...]. واقتصر على تعداد صفاته النفسية، وخصاله السلوكية الحميدة<sup>2</sup>. وغير بعيد عن هذه الفترة ألف الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي كتابا بعنوان "كرامات أولياء الله". لقد حفل هذا الكتاب بذكر كرامات أولياء الله من غير الأنبياء<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - اسمه عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي. عن العباس بن مصعب قال: كانت أم عبد الله بن المبارك من خوارزم، ووالده من الترك، وكان يعمل لدى رجل من التجار من همدان من بني حنظلة. وقد قيل في حقه: انتهى العلم إلى رجلين، إلى عبد الله بن المبارك ثم من بعده إلى يحيى بن معين. ينظر ترجمته في "تاريخ بغداد تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة 463هـ، دراسة وتح مصطفى عبد القادر عطا، ج/10، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1، (1417هـ / 1997 م). صفحات من 153 إلى ص166.

<sup>2</sup> - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: مناقب بني العباس. تح محمد محمود الدروبي. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. عدد22. مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت. (1423هـ/2002م). ص24.

<sup>3</sup> - أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي: كرامات أولياء الله. تح. أحمد سعد حمدان. ط1. دار طيبة للنشر، الرياض. السعودية. (1412هـ/1992م). ص51.

ثم "كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية" للإمام المحدث أبي سعيد أحمد بن محمد بن أحمد الماليني<sup>1</sup> (ت412هـ). وقد ضمنه "جملة طيبة من حياة هؤلاء الزهاد أئمة التصوف الإسلامي الذين كانوا أقرب الناس إلى الله عزّ وجلّ، وقد استهل ترجمته بمناقب معروف الكرخي، ثم السري السقطي، ثم الجنيد<sup>2</sup> وهكذا ...

وكتاب "طبقات الصوفية" لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (325هـ - 412هـ)، وقد ترجم فيه لأكثر من مائة شيخ من شيوخ الصوفية إضافة إلى ترجمة أربع وثمانين من النسوة المتعبدات الصوفيات أولهن رابعة العدوية.<sup>3</sup>

وكتاب "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" لأبي نعيم الأصفهاني (ت430هـ) وهو مؤلف من الحجم الكبير اشتمل على 800 ترجمة، ابتدأها المؤلف بال خليفة أبي بكر ثم بقية الصحابة العشرة، ثم من جاء بعدهم من زهاد الصحابة [...] ثم التابعين، ثم من يليهم.

كتاب "مناقب أبي إسحاق الجبنياني" لأبي القاسم اللبيدي المتوفى عام (440هـ - 1048).

كتاب "المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد" لأبي عبد الله محمد ابن عبد الكريم التميمي الفاسي (ت 603هـ، أو 604هـ - 1206م)، ويعتبر من المصادر الأولى التي اهتمت بموضوع المناقب والتراجم لعدد جمّ من الأعلام والصالحين، ورصد حركات تنقل العلماء والفقهاء للتحصيل والتدريس من المراكز العلمية والزوايا المنتشرة هنا وهناك، وفي تراجمه يفصل القول في المترجم له بذكر أحواله ومقاماته وأساتذته ومريديه والمناصب التي تولّاها، وغير ذلك من الإفادات في جوانب مختلفة متعلقة بالحياة الدينية

<sup>1</sup> - الماليني: مالين مدينة من مدن خراسان، تقع بين أفغانستان وإيران وتركمنستان. ينظر أبو سعيد أحمد بن محمد بن أحمد الماليني: "كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية". تح عامر حسن صديري، دار البشائر الإسلامية. ط1. بيروت. لبنان (1417هـ/1997م). ص 30.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 50.48.

<sup>3</sup> - أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي: طبقات الصوفية. تح، وتغ مصطفى عبد القادر عطا. ط2. دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. 2002م.

والاجتماعية وذلك بالإشارة إلى بناء المساجد والرباطات والقناطر وحفر الآبار وما إلى ذلك من الإشارات والإفادات التي حاول فيها التميمي نقل صورة حقيقية لما تميز به عصره<sup>1</sup>، فهو يعد بحق مصدرا لكثير من الكتب المناقبية التي جاءت بعده، المغربية منها خاصة. كتاب "التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي" لأبي يعقوب يوسف ابن يحي التادلي المعروف بابن الزيات (ت 627 أو 628 هـ/1229 أو 1230 م)<sup>2</sup>. وقد ترجم فيه لما يربو عن مائتين وسبعين من العباد والزهاد معظمهم من أهل مراكش والقبائل المجاورة لها. كما تناول فيه ماجاء في الولاية من آثار وما يعزز جواز الكرامات من أحاديث وأخبار وذلك اقتداء بمؤلفات مشرقية سابقة في الموضوع، وسلوكا لطريق المجتهدين من الصوفية السنيين في الحرص على تأصيل حياة الزهد والتصوف وما يتعلق به من خصائص وأحوال الزمن الإسلامي الأول، وفي السيرة المرضية للصحابة والتابعين وربطها بمتأول نص الكتاب والسنة.

كتاب "دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى)" لأبي العباس أحمد العزفي، (توفي عام 633 هـ - 1236 م)<sup>3</sup>. يقول محقق الكتاب أنه يقع في جزأين، غير أن الجزء الأول لم يتم العثور عليه، واحتوى الجزء الثاني منه على ثمانين ترجمة مرتبة حسب سنة الوفاة متفاوتة الطول قليلا. فقد قصد به أبو العباس العزفي إلى ذكر أخبار الشيخ الشهير أبي يعزى يُلنور بتوسع، وجعلها واسطة عقد كتابه، وحرص على نقل كرامات أبي يعزى نقل تواتر. فقد جاء كتابه بما لم يأت به "التشوف" و"دعامة اليقين" مجتمعين. "فهو أجلّ

<sup>1</sup> - ينظر محمد المنوني: لقطات دفيئة من كتابين في المناقب. مقال ضمن كتاب "التاريخ وأدب المناقب، ص 9 وما بعدها.

<sup>2</sup> - أبو يعقوب بن يحي التادلي بن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد التوفيق، ط 2. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط 1997م.

<sup>3</sup> - أحمد بن محمد بن أحمد العزفي: دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى)، تح أحمد التوفيق، مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. 1989م. ص 84.

الثلاثة قدرا وأغزرهم علما وأكبرهم صرامة، محتويا على كثير من الأخبار التي وردت عند التميمي والتادلي مع زيادة أتاحها التوسع والاستقصاء"<sup>1</sup>.

كتاب "المنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد صالح" لأحمد بن إبراهيم الماجري (توفي في صدر المائة الثامنة الهجرية 700هـ). ففي الكتاب "لائحة مطولة ومنتثرة بأسماء فقهاء وعلماء أصحاب أبي محمد صالح، وهم يتوزعون بين داخل المغرب وإلى بجاية، وصعيد مصر والإسكندرية والقاهرة والشام والحجاز، وفي المنهاج أيضا صورة مشرقة عن طبيعة العلاقات الروحية بين المغرب والمشرق خلال القرن السابع الهجري"<sup>2</sup>.

كتاب "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف"<sup>3</sup> لعبد الحق ابن إسماعيل البادسي، (كان حيا سنة 722هـ - 1322م)، "وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام مسبوقة بمقدمة استعرض فيها أسباب التأليف ودواعيه. وتناول في القسم الأول الحديث عن الولاية والولي والفقير والفقير، وبيان مفهوم التصوف، وإثبات كرامات الأولياء. وخصّ القسم الثاني بالحديث عن حياة الخضر عليه السلام، وبسط في القسم الثالث وهو المقصود بالذات الحديث فعرف فيه بالمشايخ من صلحاء الريف وأورد لهم حوالي 46 ترجمة من القرن السادس إلى أوائل القرن الثامن الهجري. وتتجلى قيمة الكتاب في كونه حلقة مفقودة في تاريخ التصوف بالمغرب. كما يعتبر وثيقة تاريخية أرخت لبعض الأحداث الواقعة في زمانه وهو إلى ذلك معجم جغرافي لقبائل الريف بأسمائها ومواطنها"<sup>4</sup>.

كتاب "روض الرياحين في حكايات الصالحين" لعفيف الدين أبو محمد عبد الله ابن أسعد اليافعي اليمني (ت768هـ - 1322م)، وقد صبّ اليافعي في هذا الكتاب نحو من

<sup>1</sup> - التوفيق أحمد: التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى. ص84.

<sup>2</sup> - محمد المنوني: لقطات دفيئة من كتابين في المناقب. ص14.

<sup>3</sup> - في دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة: ورد "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف". وذكر أنه كان حيا سنة 722هـ. الكتاب طبع في دار الفكر. ط1. بيروت. لبنان 1997م. ص36.

<sup>4</sup> - عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف. تح سعيد أعراب. المطبعة الملكية، الرباط. المغربية. 1414هـ 1993م. ص7،8.

"خمسمائة حكاية وخمسة فصول في فضائل الأولياء والصالحين والفقراء والمساكين وإثبات كرامات الأولياء والسادات الأصفياء"<sup>1</sup>.

كتاب "طبقات الأولياء" لابن الملقن (723-804 هـ/1323-1401 م) وهو من أشهر مؤلفات الكاتب التي سار بها رُواة الأخبار، وانتشر ذكرها في الأقطار، وهو في تراجم مشايخ الصوفية منذ منتصف القرن الثاني للهجرة إلى أوائل القرن الثامن؛ أولهم: إبراهيم ابن أدهم (ت 161 هـ) وآخرهم معاصره الشَّهاب القُونُوي (ت: بعد 787 هـ). وقد ذكر في مقدمة الكتاب سبب قيامه بتأليف الكتاب قائلاً: "فهذه جملة من طبقات الأعلام الأعيان وأوتاد الأقطاب في كل قطر وأوان، جمعتهم لأهتدي بآثارهم، وأقنفي بآثارهم، رجاء أن أنظم في سلكهم، فالمرء مع من أحب"، وأحيا بذكرهم، ويزول عني النصب"<sup>2</sup>.

كتاب "طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص" لأبي العباس أحمد الشرجي الزبيدي (توفي عام 893 هـ - 1487 م)، الكتاب من فئة الطبقات، وقد ذكر الأسباب الداعية إلى تأليفه معزياً ذلك إلى خلو الكتب المصنفة في ذكر الأولياء والصلحاء من ذكر صلحاء اليمن، ككتاب الرسالة القشيرية، وكتاب العوارف، وكتاب طبقات الصوفية للسلمي. وفي هذا يقول: "فلم أر أحدا منهم تعرض لذكر أحد من أهل اليمن من السادة الصوفية الصادقين والعلماء العاملين الزاهدين وإنما يذكرون أهل الشام والعراق والمغرب ونحو ذلك وهذا ربما يوهم عند من لا معرفة له بأحوال هذا الإقليم المبارك أنه ليس فيه من هو مستحق للذكر ولا من هو متصف بصفات الأولياء، وأنى يكون ذلك وغالب أهل اليمن أهل إيمان صادق وقلوب واعية رقيقة وصلاح ظواهر وصفاء بواطن"<sup>3</sup>. وقد أرجع عدم احتواء الكتب السابقة

<sup>1</sup> - عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني: "روض الرياحين في حكايات الصالحين"، مطبعة أحمد البابي الحلبي، مصر 1307هـ، ص 11.

<sup>2</sup> - ابن الملقن: طبقات الأولياء. تح نور الدين شريية. ط 4. مكتبة الخانجي. 1415هـ/1994م. ص 4.

<sup>3</sup> - أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي: طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، دار المناهل، ط 1. بيروت، لبنان. (1406هـ - 1986م). ص 35.



على أعلام أهل اليمن لبعدهم عنهم لذلك نراه يقول: "فلما كان ذلك كذلك أحببت أن أجمع كتاباً أفرد به ذكر الأولياء من أهل اليمن وأبين فيه أحوالهم وأقوالهم ومناقبهم وكراماتهم لعل الله أن ينفعني بهم وأن يشملني ببركتهم إن شاء الله"<sup>1</sup>. فالكتاب يضم عدداً كبيراً من المترجم لهم معرفة بهم ذكراً أحوالهم ومناقبهم وكراماتهم وتتفاوت الترجمات طولاً وقصراً.

كتاب "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر" لابن عسكر محمد الحسني الشفشاوني (ت 986هـ - 1578م). وقد ضمنه المؤلف عدداً كبيراً من التراجم الخاصة بمناقب الأولياء والصلحاء والعباد من الذين عاشوا خلال هذا القرن، حيث ينيف عددهم عن مائة وخمسين علماً من أعلام هذا القرن من الفقهاء وشيوخ التصوف ولاسيما أعلام شمال المغرب وقرى الريف سواء لقيهم أم لم يلقهم<sup>2</sup>.

كتاب "المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"، لأحمد التادلي الصومعي (توفي عام 1013هـ/1604م)<sup>3</sup>.

"كتاب السلسل العذب والمنهل الأحلى" لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي (توفي عام 1015هـ).

وألّف أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي (ت 1025هـ - 1616م) كتابين في تراجم الأعلام أولهما كتاب "درة الحجال في أسماء الرجال" في ثلاثة أجزاء. وكتاب "جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس". وكلاهما يضم عدداً كبيراً من أسماء الشخصيات الأعلام في مضمار التصوف حيث نعثر فيهما على مناقب وكرامات المترجم لهم من الأولياء والصلحاء.

<sup>1</sup> - المصدر السابق. ص 36.

<sup>2</sup> - ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. ص 8.

<sup>3</sup> - الصومعي أحمد التادلي: "المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى". تح علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المملكة المغربية. 1996م.

كتاب "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن" لمحمد العربي الفاسي الفهري (ت1052هـ).

كتاب "نور الأرماس في مناقب القشاش"<sup>1</sup> للمنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي (كان حيا عام 1056هـ - 1647م)<sup>2</sup>.

كتاب "الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس" لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط (توفي عام 1109هـ - 1697م). والكتاب "مصدر هام لتأريخ الحركة الصوفية بالمغرب، وكتاب تراجم ومناقب جمع فيه مؤلفه تراجم لأشهر الصالحاء الذين دفنوا بمدينة فاس"<sup>3</sup>.

كتاب "صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر" لمحمد الصغير الإفرائي (ت1140هـ - 1728م) والكتاب "من المراجع المهمة، يزودنا بتراجم أعلام بارزة وأخرى غابرة قد يترجم لها في سطر أو سطرين في مراجع أخرى ثم يمر عليها"<sup>4</sup> وحسب ما أشار إليه صاحبه فقد جعله "ذبيلا وتكملة لكتاب محمد بن عسكر الشفشاوني (دوحة الناشر). وقد قال: "إن في مناقب الصالحين فوائد كثيرة، وفي جمع كراماتهم أمورا أثيرة، وأضاف بأن أحد العارفين قال: "إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة"<sup>5</sup>.

كتاب "منتهى العبارات في بعض ما لشيخي من المناقب والكرامات" للحسن الشماع (توفي عام 1176هـ - 1763م).

<sup>1</sup> - المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي: "نور الأرماس في مناقب القشاش". دراسة وتح: لطفي عيسى وحسين بوجرة. المكتبة العتيقة. تونس. 1998م.

<sup>2</sup> - ينظر الهاشم أسمهر: عتبات المحكي القصير. ص 209.

<sup>3</sup> - أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس. تح زهراء النظام. مطبعة النجاح الجديدة، ط1. الدار البيضاء. المغرب 1997م. ص 13.

<sup>4</sup> - الإفرائي محمد الصغير (ت1140هـ - 1728م): "صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر". تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي، المغربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب (1425هـ - 2004م). ص 23.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 39.

كتاب "الضياء المستبين بكرامات الشيخ محمد الفاضل بن الشيخ محمد الأمين" لمحمد فاضل اليعقوبي (كان حيا عام 1281هـ - 1876م).

كتاب "تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان" لمحمد الكناني القيرواني (توفي عام 1292هـ - 1876م).

كتاب "تفريج خاطر في مناقب تاج الأولياء وبرهان الأصفياء والقطب الرباني والغوث الصمداني السيد عبد القادر الكيلاني قدس الله سره" لعبد القادر الأربيلي (توفي عام 1315هـ - 1879م).

كتاب "جامع كرامات الأولياء" ليوسف بن إسماعيل النبهاني، (توفي عام 1350هـ - 1932م).

"كرامات الصحابة" لأسعد محمد الطيب. مازال حيا يرزق حسب ما وجدته مدونا في كتاب "الهاشم أسمهر": عتبات المحكي القصير المطبوع سنة 2008م.

"المطرب بمشاهير أولياء المغرب" لعبد الله التليدي. وقد ذكر المؤلف: الهاشم أسمهر أنه لم ينته إلى سمعه نبأ وفاته إلى زمن تأليفه هذا الكتاب سنة 2008م.

وثمة مصادر أخرى تعج بالمناقب والكرامات مثل كتاب "التعرف لمذهب أهل التصوف" للكلاباذي (ت380هـ - 990م). و"الرسالة القشيرية" لعبد الكريم القشيري (ت465هـ). وكتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي (ت505هـ)، وكتاب "الفتوحات المكية" لمحي الدين بن عربي (ت638هـ)، وكتاب "الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية" للإمام عبد الوهاب الشعراني (828هـ - 1424م)، وكتاب "المستطرف من كل فن مستظرف" لشهاب الدين محمد الإبيشي (ت850هـ). فقد حوت هذه الكتب جميعها على مدونات منقبية تختلف كما ونوعا من مؤلف لآخر.

هذه باختصار شديد نبذة عن أهم المؤلفات التي كان موضوعها مناقب وكرامات الأولياء والصالحين في التراث العربي المشرقي منه والمغربي مع ملاحظة أننا تجاوزنا ذكر

كثير من المؤلفات التي كانت محل ذكر المناقب والكرامات خاصة في المغرب الأقصى الذي يعتبر موطن المؤلفات المنقبية بدون منازع، ونظرا لكثرتهم اكتفينا بمن ذكرناهم لضيق مساحة الكتاب، واستثنينا منهم من كانوا من الجزائر وذلك لوضع صنفه مستقلة لهم لبيان ما إذا كان الوطن الجزائري غاية العلماء وقبلة الصالحين من جهة، وللوقوف أيضا على مدى مساهمة هؤلاء في الحركة العلمية والثقافية من خلال اهتمامهم بكتابة تاريخهم، ومآثر أعلامهم، وتدوين تراثهم الثقافي، الديني منه والأدبي من جهة أخرى. فهل خلف الجزائريون مؤلفات في مناقب الأولياء والصلحاء كما فعل إخوتهم في المغرب والمشرق؟.

لاشك أن الباحث في التراث الثقافي للجزائر سوف يقف على ما خلفه أبناؤها من ذخائر نفيسة ومؤلفات قيّمة، تعدّت شهرتها حدود الوطن، فلم يتخلفوا عن ركب جيرانهم من أهل المغرب وإخوانهم من أهل المشرق في تدوين مناقب أعلامهم وأوليائهم وقادتهم. وإذا كان المغاربة يحتفون بكتاب "المستفاد" المنسوب لابن عبد الكريم التميمي (ت604هـ) كأول باكورة في التأليف المنقبي، فإننا بدون شك نحتمي بكتاب "عنوان الدرّاية في من عُرفَ من علماء المائة السابعة ببجاية" لأحمد الغُبريني (644-704 هـ)، كأقدم كتاب منقبي ألف في الجزائر فيما نعلم، وهو قريب العهد نسبيا بكتاب "المستفاد" وقد ذكر مؤلفه أنه ألفه لغاية معرفة "طالب العلم الأئمة الذين بهم يقتدي وبسلوك سننهم السوي يهتدي. [ويضيف]... وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة... أذكر منهم من اشتهر ذكره، ونُبِّل قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته"<sup>1</sup>، وقد ضمّن تأليفه ذكرَ ثلاثة من أجلّ العلماء في وقته وهم "الشيخ أبو مدين، والشيخ أبو علي المسيلي، والشيخ أبو محمد عبد الحق الإشبيلي رحمهم الله ورضي عنهم، لقرب عهدهم بهذه المائة لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة للتبرك بذكرهم، ولانتشار فخرهم... ثم أتلوهم

<sup>1</sup> - أبو العباس أحمد الغُبريني: عنوان الدرّاية في من عُرفَ من علماء المائة السابعة ببجاية، ص55.

بذكر مشيختي وأعلام إفادتي، ثم أتلوهم بمن سواهم"<sup>1</sup>. وقد بلغ عدد المترجم لهم 108 شيخ أولهم: أبو مدين شعيب، وآخرهم أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالجتان. ويليه كتاب "أنس الفقير وعز الحقيير" لابن قنفذ أحمد بن حسن الخطيب القسنطيني (740هـ/1340م - 809هـ/1406م). درس بقسنطينة على شيوخها، وشيخ تونس، وبجاية، وتلمسان، ودخل المغرب الأقصى عام 759هـ - 1358م، فقرأ على أعلام فاس، ومراكش، وسبتة، واستقر في مدينة سلا في صحبة الشيخ ابن عاشر، والأديب الأندلسي لسان الدين بن الخطيب، وتولى خطة القضاء في دكالة، قبل أن يرجع إلى مسقط رأسه حيث أسند إليه الحفصيون مناصب القضاء، والإفتاء، والخطابة، إلى أن أدركته الوفاة عام 809هـ<sup>2</sup>، ألف كتباً كثيرة، منها هذا الذي بين أيدينا، حيث "خصّ فيه بالترجمة الوافية لرائد التصوف السلوكي أبي مدين الغوث، وأعلام القرن الثامن الهجري بقسنطينة وتونس وسفاس والقيروان وبجاية. وخلف عديد الكتب منها "شرف الطالب في أسنى المطالب"، وفيه ترجم لكثير من أعلام التصوف، وخصهم بذكر مناقبهم وأخبارهم"<sup>3</sup>. وكتاب "الوفيات"، وكتاب "تحفة الوارد"، وكتاب "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"<sup>4</sup>. ويفوق عدد مؤلفاته العشرين في مشارب معرفية مختلفة.

وكتاب "المناقب المرزوقية" لأبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (ت781هـ) وفيه قدم ابن مرزوق ترجمة ذاتية له ولأجداده، ويعتبر كتابه هذا من أغنى مصادر القرن الثامن الهجري، فهو إذن مؤلف غزير المادة حوى كثيراً مما تعلق "بحياة سلفه والوقوف على

<sup>1</sup> - المصدر السابق. ص 55.

<sup>2</sup> - محمد بن الطيب القادري وآخرون: موسوعة أعلام المغرب، تح محمد حجي، ج1. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت، لبنان. 1417هـ/1996م. ص 10.9.

<sup>3</sup> - نور الهدى الكتاني: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. 2008م. ص 143.

<sup>4</sup> - سمي هذا الكتاب بالفارسية نسبة إلى الأمير الحفصي "أبو فارس عبد العزيز" هدية له. ينظر ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقيير، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور. مطبعة، أكادال. الرباط. المملكة المغربية. 1965م. مقدمة الكتاب. ص "د".

أحوالهم وكراماتهم العاكسة لزهدهم ولتدينهم ولصلاحهم، ولم يغفل عن الإحاطة بكل من عاصروهم من العلماء والأولياء والسلطين وأرباب الدولة بالمغرب في العصر الوسيط"<sup>1</sup>.  
 الشيخ موسى بن عيسى بن يحيى المازوني (ت 833هـ / 1478 م)، له تأليف عظيم القدر كبير الفائدة حول أولياء الله الأخيار اقتصر فيه على مناقب المشيخة المشتهرة بالصلاح في أوطان الشلف ومازونة وما حولها من المنطة الغربية سماه "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار"، وقد عبّ منه الصباغ القلعي مادة غزيرة واعتمد عليه كثيرا في مؤلفه "البستان"

وكتاب "في مناقب الأربعة رجال المتأخرين"، لمحمد بن يوسف السنوسي (895 هـ) والأربعة المتأخرين هم: محمد بن عمر الهواري (842 هـ)، والحسن أبركان (858 هـ)، وإبراهيم بن علي التازي (ت 866 هـ)، والحسن الغماري (ت 874 هـ)<sup>2</sup>.  
 كتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب"، لمحمد بن سعد التلمساني الأنصاري (توفي عام 901هـ - 1586م). فقد ذكر أنه قام بتأليفه وجمعه وتصنيفه بإشارة من أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين، المبرور والمنعم، المقدس المرحوم مولانا أبي عبد الله محمد الثابتي التاشفيني، أمير مملكة بني زيان تلمسان. وفيه ترجم لكثير من أعلام التصوف الإسلامي مشرقا ومغربا، مع تخصيص ترجمة وافية لأبي مدين شعيب، والعلامة إبراهيم التازي الوهراني<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، دراسة وتح سلعى الزاهري. ط1. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. المملكة المغربية. 1429هـ/2008م. ص123.

<sup>2</sup> - أيوب بن حود، بلقاسم مالكية: أدب المناقب: المفهوم والجذور، مجلة مقاليد. العدد 10، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة. الجزائر 2016م. ص10.

<sup>3</sup> - محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعد الأنصاري التلمساني: كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب. مخطوط، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء. المملكة المغربية. ص3.

كتاب "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار"، لمحمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي (توفي حوالي 990هـ - 1582م)، وهو كتاب موضوع التحقيق والدراسة .

كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لأبي عبد الله محمد بن محمد بن مريم التلمساني (توفي عام 1014هـ). وهو مؤلف قيم زاخر بذكر تراجم الشخصيات الأعلام من العلماء والفقهاء والمتصوفين وكراماتهم في عصره وما قبله.

كتاب "كعبة الطائفين" لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني، حققه الباحث قيادي قويدر ونال به درجة الدكتوراه في الأدب الشعبي من جامعة تلمسان، سنة 2013م. ويفيدنا المحقق بأن المؤلف محمد بن سليمان من مواليد سنة 1014هـ/1605م. أما تاريخ وفاته فغير محدد على وجه التحقيق إذ يستنتج المحقق أن مؤلف "كعبة الطائفين" كان حيا إلى سنة 1066هـ/1656م، ويضيف أنه من المحتمل أن يكون المؤلف قد عاش إلى أواخر القرن 11هـ/17م. ويشير المحقق من جهة أخرى أن "كعبة الطائفين" يقصد بها المؤلف قصيدة شيخه "موسى اللاتّي" في التصوف المسماة "حزب العارفين". أما محتوى الكتاب فهو سجل ضخم للتراث الشفوي (الأدب الشعبي). ففيه كثير من قصائد الشعر الشعبي الصوفي، وشعر المناقب. وفيه أيضا حشد من الأمثال الشعبية، والحكايات الشعبية الصوفية (كرامات، مرئي، أساطير).<sup>1</sup>

ونجد أيضا مناقب احتوتها كتب أحمد المقرّي التلمساني (983 - 1041 هـ / 1575 - 1631م) التالية :

كتاب "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب"، وهو كتاب موسوعي غزير المادة، متنوع المشارب، احتوى القسم الأول منه على

<sup>1</sup> - محمد بن سليمان الصائم التلمساني: "كعبة الطائفين"، تح قيادي قويدر، "مخطوط" جامعة تلمسان، سنة 2013م. ص 48.47.3.2.

"وصف جزيرة الأندلس، ومعالمها الجغرافية، وأخبار المسلمين فيها منذ الفتح الإسلامي، ومن رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق ومن وفد إليها"<sup>1</sup>. وخص القسم الثاني للتعريف بلسان الدين بن الخطيب، وذكر أنبائه وأسلافه، ونشأته وترقيته ووزارته، وذكر أحواله وتقلباته، ومصنفاته في الفنون ومؤلفاته [...] وحكايات الأولياء الذين طيبُ زهرِ مناقبهم فائح"<sup>2</sup>. وقد ألفه استجابة لطلب أهل الشام الذين رغبوا في معرفة مناقب الوزير "لسان الدين ابن الخطيب"، وأخبار حاضرة الأندلس من منطلق أن الفاتحين الأوائل لهذه الجزيرة هم شاميون وأن تلك الحضارة القائمة هناك هي امتداد لحضارة الأمويين بالشام.

وكتاب "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، والذي ألفه تلبية لطلب سكان تلمسان، الذين رغبوا في تأليف جمع أخبار ومآثر قاضي المغرب الشهير القاضي عياض، وكتاب "روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس"<sup>3</sup>.

وأخيرا نختم سلسلة أعلام مؤلفي المناقب الجزائريين بالقائمة العالية والشخصية العلمية المتميزة وهو "أبو القاسم محمد الحفناوي (1852 - 1942م)" مؤلف كتاب: تعريف الخلف برجال السلف" في مجلدين:

"أولهما: في تراجم العلماء المكتوبة أسماؤهم في المدرسة الثعالبية.

وثانيهما: في تراجم غيرهم من علماء البرّ الجزائري، وما يليه من الأقطار كالسودان ونحوه. ويعتبر كتابه المذكور موسوعة شاملة للسير الذاتية لمشاهير أقطاب العلم في الجزائر، وببليوغرافية لمشاهير العلم، والدين، والأدباء، والفقهاء، والأتقياء، والأولياء [...] بين القرن العاشر الميلادي وبداية القرن العشرين"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المقري أحمد بن محمد التلمساني: نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. ج1. دار صادر، بيروت. لبنان 1388هـ/1968م. ص113.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه. ص 116-121.

<sup>3</sup> - أيوب بن حوّد، بلقاسم مالكية: أدب المناقب : المفهوم والجذور. مرجع سابق. ص11.

<sup>4</sup> - أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف. ج1. ص7.



ويمكننا أن نميز فيما بين أيدينا من كتب المناقب بين أنواع ثلاثة:

- 1- نوع من الكتب يهتم بذكر مناقب شخص مفرد يستوفي فيه حياة المترجم له رسماً صورة بانورامية شاملة لكل مكونات الشخصية المترجم لها مثل مناقب "أبي يعزى"، وكتاب "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض".
- 2- نوع من الكتب يهتم بالترجمة لعدد معين من الأولياء والصلحاء والشخصيات التاريخية والسياسية.
- 3- نوع من الكتب يتسم بالموسوعية في التراجم لعدد جمّ من الصلحاء. ويغطي فترات زمنية متعاقبة ككتب الطبقات، والمدونات الجماعية، كطبقات السلمي، وابن الملّقن، وطبقات اسماعيل النبهاني وغيرهم.

### 2.2.7. مرحلة الدراسات:

بعد أن استوفينا البحث في موضوع نشأة المناقب الصوفية في الثقافة العربية من خلال معرفة ظروف نشأتها وتتبع مراحل تأليفها وتدوينها، وتحديد طبيعة مادتها، ننقل إلى تقصي مرحلة أخرى أكثر أهمية حيث شهدت انطلاق الدراسات النقدية في مختلف التخصصات متخذة المدونة المنقوبة نقطة ارتكازها، ومحور اهتمامها. وذلك وفق تصورات منهجية مختلفة، حاول فيها النقاد والدارسون إعادة النظر في محتوى هذه المدونات انطلاقاً من ممارسة قراءة جديدة تفضي إلى فهم جديد، وتأويل مغاير لمحتوى منظومة الفكر الديني السائد، ومكونات المشهد الثقافي العربي للوقوف على مسببات الحدث التاريخي المتمثل في الهزيمة العربية سنة 1967م، ذلك لأن كثيراً من الباحثين المعاصرين يربطون هذه الانتكاسة بما تعكسه الذات العربية من تشظي في أعماق طبقات لا وعيها، وبدت المناقب والكرامات الصوفية لهؤلاء الباحثين - منهم على الخصوص زيور علي - "بمثابة تلخيص بطريقة غير مباشرة لخصائص الذات العربية أو لميزاتها، ولنمطها الفكري الاجتماعي إبان عصور مديدة، نظمت المجتمع وطبقاته، وصورته المثالية، لقد قدمت البديل الخيالي عن الظروف

المجتمعية القاسية والأوضاع السياسية التي قمعت وقهرت الشخصية العربية العادية أو السوية، وظهرت الكرامة نتاجاً يجسد آمالاً فردية، ورغبات خاصة في تحقيق الذات، وإقامة - بطريقة لاواعية - للتوازن بين الأنا والحقل، وتوفير الشعور بالأمن، لكنها من جانب آخر تحقيق إسقاطي لأمانى الجماعة، فهي المكمل لما يجري في الواقع وفي الوعي، فما لم يتوفر للفرد وللأمة أيضاً على الصعيد العملي والعياني والواعي كانت توفره الكرامات بطرائق غير مباشرة أي على المستوى الخيالي والرمزي واللاواعي، إذن هي الجانب الكامن من الذات العربية، إنها القطاع المقنع، المختفي، المنسي، المهمل، والمضمر في التاريخ والذات، إنها النشاط المكبوت في الفكر والإرادة والسلوك<sup>1</sup>.

لقد انصبت جهود جملة من الدارسين العرب المعاصرين إلى العودة إلى التراث العربي بشقيه الديني والأدبي، ومساءلته من الداخل للكشف عن العوامل والأسباب التي أنتجت وضعاً اجتماعياً وسياسياً مهيباً لتلقي هزيمة 67 ضد العدوان الإسرائيلي، وأن بعض الباحثين شنوا هجوماً على منظومة الفكر الديني السائد في هذه المرحلة وما قبلها واعتبروه من العوامل التي أوصلت الأمة العربية إلى ما وصلت إليه من النكوص والارتداد. وفق نظرة نقدية لكل ما له علاقة بمنظومة الفكر الديني والدعوات الإصلاحية منذ بداية عصر النهضة والتي أطرها محمد عبده في كتابه "الإسلام دين العلم والمدنية"، وكذا كتاب محمد عمارة "الصحو الإسلامية والتحدي الحضاري"، وعبد المجيد الشرفي "الإسلام والحدائث"<sup>2</sup>، وغيرها من الأقسام والمؤلفات التي أطرت هذه المرحلة من تاريخنا الفكري والحضاري، هذا التيار إذن اتهم من قبل تيار آخر مناوئاً له فحمل الأول تبعات السقوط والهزيمة جراء "انحلال أو تفكك المعادلة الإصلاحية التوفيقية التي عليها تأسس فكر النهضة مشروعاً مستقبلياً أولاً ثم

<sup>1</sup> - زيعور علي: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللاواعي في الذات العربية. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، لبنان. 1984م. ص 9،8.

<sup>2</sup> - عبد المجيد الشرفي ولد في 23 يناير 1942 في صفاقس، هو جامعي تونسي مختص في الفكر والحضارة الإسلامية. يشغل منصب أستاذ فخري في جامعة تونس، ويحاول تحليل النص القرآني من الداخل بنظرة وأدوات فكرية معاصرة.

تجربة تنمية مكرسة في ظل الدولة الوطنية ثانياً. إن هذا الانحلال أو التفكك هو الوجه الفكري والحضاري العميق لهزيمة 67، وهو العامل الأساسي الذي جعلها في الوعي والذاكرة تتجاوز الجانب العسكري والسياسي لتصيب بشظاياها جميع المجالات وعلى شتى المستويات مشكلة على هذا النحو حالة أزمة تاريخية شاملة، وإن تكن في الحقيقة أزمة الفكر الإصلاحية التوفيقية، بخاصة من حيث أن هذا الفكر على امتداد قرن من الزمن أو أكثر عنوان المرحلة والقوة الفاعلة في توجيه التاريخ. إن هزيمة 67 كحدث تاريخي وأزمة الفكر الإصلاحية التوفيقية، وأياً تكن العلاقة بينهما سببية حقا أو تزامنية لا أكثر، إنما يعبران عن بلوغ مشروع النهضة فكرا وممارسة سقفة الأعلى أو مداه الأقصى أو لحظة استنفاد طاقاته، وممكناته القابلة للتفعيل في شتى المجالات وكلها، وهذا المهم قائم على مبدأ المعادلة، توفيقا أو تلفيقا أو تمويهها أو تغليظها، بين طرفي الثنائية الجذرية المركبة الماثورة: الدين/العلم، التراث/التاريخ، الأنا/الآخر إلخ... إن أبلغ تعبير عن الأزمة من هذه الجهة هو أن مبدأ التوفيق فقد فاعليته وإجرائيته من حيث أفضت المرحلة التاريخية التي تأسست عليه إلى كارثة<sup>1</sup>، ومن ثمة لم يبق أمل يُرتجى في العودة من جديد إلى تلك المرحلة في ظل قيام نفس العوامل المنتجة لكارثة السقوط.

ومن الدراسات التي حاولت إعادة قراءة التراث ونقده نذكر مؤلفات محمد عابد الجابري "الخطاب العربي المعاصر"، وغالي شكري "النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث"، وجورج طرابيشي: من النهضة إلى الردة"، ومحمد أركون "نقد العقل الإسلامي"، وأيضا إبراهيم بدران وسلوى خماش "دراسات في العقلية العربية"<sup>2</sup>، هذه عينة من بين عديد

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان. ص 87.

<sup>2</sup> - يحدد إبراهيم بدران وسلوى الخماش الذهنية الخرافية في كتابهما المشترك «دراسات في العقلية العربية - الخرافة»، بأنها «تلك الذهنية التي تسيطر على الفرد أو الجماعة بحيث يكون للخرافة فيها مكان بارز سواء في نقل المعلومات أو تمثيلها، وفي تفسير الأحداث أو تعليلها». تزخر المجتمعات العربية بأنماط واسعة من التفكير الخرافي، وتتنوع بين مجتمع وآخر، وبين طبقات وفئات اجتماعية، وطوائف ومذاهب سائدة، بحيث تحمل كل واحدة ثقافتها الشعبية أو المحلية، وتعبّر عن موقعها الاجتماعي، وعن رؤيتها =

الدراسات والبحوث في هذا المجال لا يسع المجال للإشارة إليها جميعاً ولكنها لا تخرج عن إطار البحث عن عوامل السقوط والانحزام في مدونة التراث الثقافي العربي الفكري، والأدبي، والديني، بالخصوص على مستوى التصوف، والظاهرة الولوية الكرامية.

وبرزت إلى الوجود في هذه الفترة - ما بعد 67 - معارك نقدية سجالية بين المدافعين عن فكر النهضة الإصلاحية ومعارضيهما شكلاً ومضموناً ومنهجاً بزعامة صادق جلال العظم<sup>1</sup>، في كتابه "نقد الفكر الديني"، حيث أرجع عوامل السقوط إلى فشل مشروع فكر النهضة الإصلاحية، وهو النقد الذي رفضه أصحاب التيار الديني بزعامة الأزهرى "جابر حمزة فراج"<sup>2</sup> الذي رد على جلال العظم في مؤلفه "البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر

=الخاصة لمجريات الحياة في بلدها. على رغم أن العقود السابقة سجلت تطوراً هاملاً على الصعيد العلمي والتكنولوجي في العالم قاطبة، وعلى رغم التحديث الكبير الذي شهدته المنطقة العربية على صعيد إدخال منتجات الثورة العلمية إلى العالم العربي، إلا أن المظاهر الخرافية على صعيد الممارسة ظلت تحتل مكانها المتميز في كل الأقطار وعلى أكثر من صعيد، وهو أمر يعكس الانقسام العربي في علاقته بالثورة العلمية ومنتجاتها، حيث نأخذ المنتجات المادية الحديثة، وننحّي جانباً العقل الذي كان وراء إنتاجها. كما أن العقود الماضية شهدت ازدهاراً لتجليات الخرافة من خلال التنجيم والتبصير وقراءة الكف وتحضير الأرواح... بل يمكن القول إن بعض هذه الممارسات اخترق العقل العربي أكثر بما لا يقاس عن مراحل سابقة في تاريخ تطور المجتمعات العربية، وإن بعض منتجات الثورة العلمية قد جرى توظيفها في خدمة وسائل عمل الخرافة. بعد 5 حزيران (يونيو) 1967م. ينظر: دراسات في العقلية العربية ... الخرافة - إبراهيم بدران، سلوى الخماش، ط3/ دار الحقيقة، بيروت، لبنان. 1988م. ص13 وما بعدها.

<sup>1</sup> - صادق جلال العظم: نقد الفكر الديني. ط9، دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت 2003م. الكاتب من مواليد دمشق سوريا عام 1934م. ألف هذا الكتاب في بيروت سنة 1969م، وضمنه مجموعة مقالات أهمها: مقال حول "الثقافة العلمية ويؤس الفكر الديني". ومقال آخر بعنوان: معجزة ظهور العذراء وتصفية آثار العدوان". والباحث ينتمي إلى التيار العلماني ويتصدى في كتاباته إلى نقد التيار الديني الذي يتهم فيه الواقفين خلفه بالرجعية العربية خاصة بعد الهزيمة العربية في حزيران عام 1967م. حيث يندد بالذهنية الغيبية الاتكالية والإيمان بالغيبيات والأساطير والحلول العجائبية، ويناشد الشعب العربي وقادته الأخذ بالأسلوب العلمي والمنهج العقلاني في معالجة الأمور ومداراتها، وفي بناء الدولة العصرية التكنوقراطية. ويرى أن بعض الأنظمة العربية قد وجدت في الدين عكازاً تتكى عليها في تهدئة الجماهير العربية وفي تغطية العجز والفشل الذي فضحته الهزيمة، والنظر إليها على أنها قدر محتوم لا قبل للأمة بصرفه، ولذلك وجدوا في قصة معجزة ظهور العذراء في مصر في العام الذي تلا الهزيمة وسيلة لتزييف الواقع وتزوير الوعي لحقائقه... لمزيد من الاطلاع على الموضوع ينظر : ص7.6. وما بعدها من المرجع نفسه.

<sup>2</sup> - جابر حمزة فراج : "البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني". ط 3 . منشورات دار الأفق الجديدة. بيروت. 1402هـ - 1982م. والمؤلف مندوب الأزهر الشريف في مدينة طرابلس بلبنان، وقد كتب هذا الكتاب في هذه البلدة رداً على كتاب صادق جلال العظم أعلاه ، وقد تصدر على تحرير فاتحة الكتاب الشيخ محمد فهم أبو عبيد رئيس بعثة الأزهر بلبنان. وتلاه الأديب الأستاذ سعد الدين مطر بتمهيد أثنى فيه على تفضل مندوب الأزهر للرد على افتراءات العظم وتناوله على المساس بالدين والتتويبه بمحتوى الرد وقيمه وشكله وأسلوبه وقوة حجته في الإقناع وإبطال مزاعم الخصم الذي وصفوه بالملحد والكافر. ومما سطره المؤلف من كلمات =

الديني" وقد صدر كلاهما في بيروت بين عامي 1969-1970م. الكتابان يؤسسان لمرحلة جديدة ساخنة اتسمت بسجال عنيف وعنيد في آن واحد بين التيار الإصلاحى التوفيقى والتيار الحداثى العلمانى الذى ركز جهوده فى سبيل تعرية التيار السلفى وتحميلة تبعات المرحلة الارتدادية إلى الوراء "بدلاً من الاندفاع إلى الأمام، ولا سبيل إلى الاندفاع إلى الأمام عند العظم فى غير النقد العلمانى الجريء للفكر الدينى"<sup>1</sup>.

ورغم الصدى الكبير الذى أحدثته الدراسات السابقة فى مجال نقد العقل الإسلامى والعربى بواسطة ألمع الأعلام العربية فى هذه الفترة، وبالرغم من التراكم الهام الذى سجل فى رصد حركة الحداثة العربية أو النهضة الجديدة أو التنوير الجديد [...] فإن صوت جابر حمزة فراج وأصوات معسكره من الصفع إلى الطعن والذبح، وإثارة النقع تبقى هى الطاغية على المشهد [...] وذلك بفعل ما توفر لها من مقومات وأجهزة من جهة وما تتطوي عليه اللحظة التاريخية عموماً من قابلية للإصغاء لها والتأثر بها من جهة أخرى، وليس من شك فى أن من أهم الأسباب الكامنة وراء هذا الوضع هو أن أصوات "فراج" وأحلافه وأسلافه وأحلافه جميعاً على اختلاف طبقاتها ونبراتها وإيقاعاتها إنما تشتغل منشأً وبنيةً ومقصداً [...] فى مجال المتخيل وما يتحكم فيه من قوى رغبية ورهيبية<sup>2</sup> مهيمنة على العقل والوجدان العربى الجريح تحت وطأة الصدمات العنيفة التى تعرض لها كيانه عبر الزمن، وفى غمرة هذه الظروف المتردية احتلت المنقبة "والظاهرة الولوية الكرامية عامة مكانة حساسة ودورا هاما جدا فى هذا النسق العودى [...] للتيار الدينى المحافظ، وفى مسلسل السجال ضد قوى الحداثة والتقدم وما اقتضاه من افتتان فى أساليب التعبئة وأسلحة المواجهة، ومنها فى مثل هذه الأحوال التسخين، والتشغيل العفوى أو المدبر لمساحات التقاطع، والالتباس بين الثقافة

=التعنيف والزجر والتحذير قوله: "ألا فليعلم هؤلاء الضالون بأن كل رجل يسمح لنفسه ولأهله بالسير فى هذه الأرجاس فهو جانح فى سلوكه، مقصر فى تربيته، مجرد من رجولته، ونخوته... ثم ليعلم هؤلاء الكتاب دعاة التحرر وتجار الفساد بأنهم أضُرُّ على مجتمعنا ووطننا من الاستعمار آلاف المرات... وهؤلاء هم الأعداء حقاً. ينظر: الكتاب صفحات 23.24.25.26.27.

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان. ص 91.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 94.

العامّة، والثقافة الشعبية، وصولاً إلى تحريك الوجدان وتنشيط المتخيل الشعبي وتوظيفه. في هذا السياق عاد التصوف عودته القوية وعاد في ركابه المشهد الولوي الكرامي بكل مكوناته وطقوسه ورموزه وأعوانه، وبحسب الأوضاع والمراحل والخصوصيات المحلية والقطرية والإقليمية، تتوّع وتكيّف، ووقّع نبرته وسجّل حضوره، كتب، مجلات، كتيبات، منشورات ملصقات [...] وفي كل مكان حضرة خرجة، مهرجانات، طرق وأحزاب، وسماع، وإنشاد على كل نوع، وذوق، أولياء وصلحاء، وزعماء، أموات وأحياء. كله مطلوب، صالح، نافق، نافع في ابتعاث وتجديد وتحديث هذه المنظومة العنكبوتية الأخطبوطية الهلامية الحاضرة الغائبة في كل آن<sup>1</sup>.

ولكن مع تواصل معركة السجال واستمرارها بين الخصوم - أنصار الإسلام هو الحل، وأعدائهم نقد الفكر الديني - ظهر في الثلث الأخير من القرن العشرين اتجاه جديد في الدراسات المعاصرة لأدب المناقب، والظاهرة الولوية الكرامية، على يد جيل جديد من الجامعيين، والأكاديميين، وابتعد هؤلاء عن طابع السجال، والجدال العقدي العقيم، الذي ميّز أعمال من سبقوهم، وتغيّر الروح والمنهج والرهانات جميعاً من سجال العقيدة إلى سؤال العلم، انتقلت الولوية الكرامية باختصار من مجال وسلاح في ساحة المعارك الإيديولوجية القديمة والجديدة إلى موضوع للمعرفة يدرس دراسة ضافية دقيقة متأنية تتوسل مفاهيم ومناهج وأدوات حديثة تضافرت على بلورتها واختبارها شتى الاختصاصات في ميدان العلوم الإنسانية<sup>2</sup>، ذلك لأن النص المنقبي لا شك أنه نص أدبي من وجوه كثيرة وهو بذلك قابل للتحليل والتأويل عبر تشغيل مختلف المناهج الأدبية النقدية الحديثة، من مناهج ألسنية، وبنوية وتفكيكية وتأويلية<sup>3</sup>.

1 - فرج بن رمضان. ص 95.

2 - المرجع نفسه. ص 96.

3 - عبد السلام المنصوري: بنية الخطاب المنقبي، طلاق العقل وأوهام التاريخ. ص 100.

وصارت المناقب والكرامات مجالا من مجالات علم الاجتماع والتاريخ، وعلم النفس والأنثروبولوجيا. وخاض الباحثون أفرادا ومجموعات ضمن فرق بحث جامعية متخصصة في موضوعات شتى لها علاقة بالطرق الصوفية والزوايا والرباطات وفي كيفية اشتغال هذه المؤسسات وطبيعة تأثيرها على المجتمع من خلال تركيز الاهتمام على دراسة مختلف النشاطات والممارسات والطقوس الاجتماعية والثقافية.

وشكلت المناقب والكرامات موضوع اهتمام المؤرخين، وصارت ميدانا للمساءلة التاريخية، ونهض بهذا العمل فريق من الباحثين المغاربة بتأطير الباحث المقتدر أحمد التوفيق<sup>1</sup> ضمن مشروع علمي جاد بعنوان: "التاريخ وأدب المناقب"، وخاض الباحثون في شتى النصوص المنقبية والكرامية التي احتواها كتاب "التشوف" لابن الزيات التادلي كل حسب زاوية تفكيره، غير أن إطار الدراسة قد غيب في منهجه البعد الرمزي والتخييلي في خطاب المناقب وكرامات الأولياء التي تم انتقاؤها من كتاب التشوف، وتم تركيز الاهتمام على الطابع الولوي للظاهرة الكرامية، ومدار اشتغالها، وكيفية انتشارها وتأثيرها في المجتمع، من حيث تأطير المناقب لمختلف المراحل والحقب التي عرفت مختلف أنواع الحراك الاجتماعي والسياسي على الخصوص لتثبيت دعائم السلطة أو تقويضها، ومن ثمة فإن خطاب المناقب والكرامات ليس إنتاجا فكريا خارجا عن المؤسسات الدينية (الزوايا والرباطات) بل هو جزء من هذه المؤسسات وأداة من أدواتها التي توظف لضمان الاستمرارية عبر صيانة متعددة لرموز المشروع الموروثة. فالملاحظ على الدراسة أن جهد أصحابها قد انصب على ما هو تاريخي بشكل خاص، ذلك لأن طابع التخصص لدى هؤلاء قد فرض عليهم منهجا صارما، لا يحدد عن الحقيقة التاريخية، الأمر الذي أنقص من قيمة جهود هؤلاء الباحثين من الناحية الأدبية.

<sup>1</sup> - التوفيق أحمد : التاريخ وأدب المناقب من حلال مناقب أبي يعزى، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي. دار عكاظ، المغرب.1988م.

ووجدت المناقب والكرامات متسعا لها في مجال الدراسات الأنثروبولوجية وشكل بحث "علي زيعور" الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم" عملا نموذجيا رائدا في هذا الباب<sup>1</sup>، حيث ركز في منهجه على تشخيص الذات العربية لمعرفة عللها وأسقامها، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة وصف الدواء المناسب لها، ومن ثمة يتحقق الجواب عن السؤال الذي طرحه "صادق جلال العظم" منذ البداية إزاء الهزيمة والتزدي الشامل. ما العمل "الارتداد إلى الوراء أم الاندفاع إلى الأمام"<sup>2</sup>؟.

وإذا كانت عقلانية "العظم" وعلمانيته جعلته يقطع الصلة بالماضي والعودة إليه، وي طرح مبدأ الاندفاع إلى الأمام مشروعاً بديلاً للنهضة الحداثية "فإن زيعور ي نهج نهجا آخر، عقلانية تفهّمية، الارتداد إلى الماضي في ضوءها ليس نكوصاً ولا انكفاءً ولا بديلاً عن الاندفاع إلى الأمام [...]. وإنما هو عملية لا معدّى عنها من أجل الاندفاع الثابت إلى الأمام"<sup>3</sup>. وقد وصل زيعور إلى قناعة حقيقية تأكد لديه "أن الذات العربية مريضة وعلة العلل في أمراضها الكثيرة المستعصية إنما تكمن أساساً في التركيبية النفسية الجمعية والفردية وتحديدًا في أعماق طبقات النفس: اللاوعي وما يؤثته من صور وما يحنثد فيه من مخزونات أسطورية، دينية، خرافية، أدبية، وحلمية وما يشتغل بمقتضاها من آليات دفاعية نكوصية، ارتدادية، اندفاعية أو غيرها بحثًا عن توازن مفقود عسير التحصيل بفعل مراكز الضغط الآتية من شتى المشارب والمجالات، وإذا كان ثمة حقل يمكن أن يتخذ موضوعاً وسبيلاً إلى سبر أغوار اللاوعي في الذات العربية فإن الكرامة الصوفية تتصدر لوحة الإمكانيات جميعاً"<sup>4</sup>. يقول زيعور بهذا الصدد: "إن القطاع اللاوعي في الذات العربية أوسع من أن ينحصر في الكرامات وحدها فقط. هو أوسع وأغنى لكنه إن شاء أن يتعين في منطقة

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان، ص 102.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 102.

<sup>3</sup> - زيعور علي، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللاوعي في الذات العربية. ص 16.

<sup>4</sup> - فرج بن رمضان، ص 103.



متجانسة، أو في قطب جاذب لما وجدنا أفضل من الكرامات منطقة تحتويه وقطبا يستدعي ويأخذ وينادي"<sup>1</sup>. وإذا كانت الدراسة التاريخية والاجتماعية لموضوع المناقب والكرامات قد غيبت في منهجها البعد الرمزي في خطاب المناقب وكرامات الأولياء وركزت جهودها واهتمامها أكثر -كما سبق وأن لاحظنا- على الطابع الولوي للظاهرة الكرامية الصوفية ومدار اشتغالها وتأثيرها في الأوساط الاجتماعية، فإن الدراسة الأنثروبولوجية للمناقب والكرامات قد وضعت في حسابها البعد الرمزي في الكرامات الصوفية ومناقب الصالحين باعتباره "موضوع البحث والمساءلة والتأويل في اتجاه إدراك الدلالة أو الدلالات النفسية وما تتطوي عليه من دلالات أخرى اجتماعية ثقافية سياسية وغيرها، والرمز الكرامي إنما في اللغة وباللغة يتحقق ومن هنا بالذات ينعقد اللقاء الحميم إلى حد التماهي أحيانا بين الدراسة الأنثروبولوجية النفسية، والدراسة الأدبية للكرامة باعتبارها... جنسا من النشاط الرمزي اللغوي"<sup>2</sup>، وباعتبارها على حد قول زيعور: "مملكة كلامية"<sup>3</sup>. وهي حسب: "تصوير أدبي يعوض قلة التصوير بالألوان والرسم"<sup>4</sup>. ويستمر زيعور في مسلسل تأكيده على أدبية الكرامة الصوفية مرة أخرى حيث يقول: "نحن نرى الكرامة تعبيرا تصويريا، أدبيا رمزيا استعاريا عن الصراع بين التطلع للقيم الروحية وبين طاقات المتصوف ونزوعاته الأرضية"<sup>5</sup>. ومن الوجهة الإقرار بأن عمل زيعور يشكل مدار السبق في التنبيه بمشروعية انتماء المناقب وكرامات الأولياء إلى الأدب وأنه من الباحثين الأوائل الذين وضعوا اللبنة الأولى لإرساء منهجية أساسية نحو الدراسة الأدبية لها وتمهيد السبيل إليها.

<sup>1</sup> - زيعور علي، المرجع نفسه، ص 15-16.

<sup>2</sup> - فرج بن رمضان. ص 103.

<sup>3</sup> - زيعور علي. ص 167.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ص 108.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه. ص 192.

وبجانب عمل زيعور صادفنا دراسات هامة وجادة في هذه اللحظة المعاصرة في تاريخ الفكر والثقافة العربية في مجال المناقب وكرامات الأولياء والصلحاء شدّ انتباهنا دراستان جديرتان بالوقوف والتنويه باعتبارهما تنتميان إلى المشتغلين في الأدب والتصوف: الأولى يتزعمهما "جمال الغيطاني" في مقال له بعنوان "كرامات الأولياء: رؤية أدبية"<sup>1</sup>. والثانية بقلم الباحث المصري "يوسف زيدان" بعنوان "كرامات الصوفية: نص أدبي مضاد للتصوف"<sup>2</sup>. فإذا أضفنا إليهما دراسة علي زيعور السابقة أمكننا القول أنها مجتمعة تشكل نقطة البدء في تحول الكرامة من مجال التصوف إلى مجال الأدب باعتبارها أدخل إليه. هذا ولقد أشرنا سابقا بصدد استعراض بعض الدراسات المهمة بالمناقب والكرامات ولاحظنا أنها في مجملها دراسات في غير مجال الأدب بل إنها حسب فرج بن رمضان "لا تكاد تذكر على أي نحو عند عامة دارسي الأدب العالم منه والشعبي على السواء، فدارسوا الأول على اختلاف مشاريعهم وتنوع مواضيع اهتمامهم، وبمن فيهم الذين اقتصوا الأدب الصوفي مثلا أو القصص العربي القديم بتأليف قائمة الذات كلهم في ذهول تام تقريبا عن الكرامة الصوفية مع أنها جديرة بدخول حقل الأدب على أي حال، وكذلك الأمر عند دارسي الأدب الشعبي [...]. فالكرامة هنا أيضا مغيبة بالرغم مما يؤثر عن هؤلاء الدارسين من فنون الحرص على إثبات سعة المدونة الأدبية الشعبية وثرائها مما لا حاجة إلى عناء كبير لإثبات توفره في الكرامة"<sup>3</sup>.

على أن الدراسات التي اهتمت بالمناقب والكرامات في غير مجال الأدب ظلت أسيرة توجهها الإيديولوجي، وفي هذا السياق يرى الباحث فرج بن رمضان "أن روح السجال وخطابه وأفانيه هي الطاغية غالبا بحكم أن حديث الكرامة ظل أسير سؤال الحقيقة، حقيقة

<sup>1</sup> - مقال منشور في مجلة الهلال، عدد جوان 1985. ص 89.

<sup>2</sup> - مقال منشور في مجلة فصول، عدد XIII. خريف 1994م، ص 223-233.

<sup>3</sup> - فرج بن رمضان. ص 105.

الكرامة ومدى جدارتها بالتصديق أو الإنكار. ومن حيث ظل فرقاء السجال على وثوقيتهم إيجابا وسلبا لا همَّ لأي منهم إلا الاستئثار بالقول الفصل، وإفحام الخصوم، وإبطال حججهم. ورغم أن وتيرة هذا السجال قد تفاوتت من عصر إلى آخر بحسب ما تدخله أوضاع التاريخ وتحولاته من تعديلات، وتغييرات على شتى المستويات أطراف السجال، ومرجعياته، أساليبه، رهاناته، فإن الحاصل في نهاية المطاف كان هو المتوقع والواقع أيضا، لم يحسم السجال القضية لا بمطلق التصديق، ولا بمطلق الإنكار،... وأما الكرامة، بنية متخيلة ونصوصا وطقوسا وقوى ورهانات معلنة وخفية فلم يزد لها السجال والنزال إلا استقواء، واستحكما واستفحالا، مهما أوحى المظاهر هنا وهناك بخلاف ذلك أو ضده<sup>1</sup>.

إن وفي ظل هذه الأوضاع المتسمة بالتشنج في الرؤى والمواقف وطغيان الفكر الأحادي المتعصب كان لابد من ظهور أفق جديد يبشر بعهد مشرق مع مطلع الثلث الأخير من القرن العشرين هذا الأفق الذي يصنع القطيعة مع رهانات الماضي ويؤسس لمرحلة جديدة في رحاب الدراسات العلمية والأكاديمية لمدونة المناقب والكرامات على عاتق هؤلاء الباحثين الذين ذكرناهم في مقدمة هذا الموضوع وأعني بهم: "علي زيعور"، و"جمال الغيطاني"، و"يوسف زيدان" في الأعمال التي أنجزوها حول مشروعية الدراسة الأدبية للمناقب الصوفية وكرامات الأولياء، فقد كرس الغيطاني حياته مشتغلا وباحثا في مجال التصوف الإسلامي وألف في هذا المجال كتاب "التجليات بأسفاره الثلاثة" وكذا "هاتف المغيب". وقد اغترف الغيطاني من التصوف واستوحى منه الكثير في مؤلفاته، ووقف أخيرا على ما يطرحه التراث الصوفي الإسلامي من قضايا وأفكار وفي هذا يقول: "وبعد صحبة عميقة لكبار المتصوفة العظام[...]. [بتُّ مقتنعا أن دراسة الأدب العربي لا يمكن أن تكتمل إلا بتوجه جديد إلى هذا التراث الروحي الفني. ويعبر في موضع آخر من المقال عن أسفه لأن ما يراه في النص الصوفي من عناصر القوة والطرافة لم تلق دراسة واهتماما من قبل

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان، ص 115 - 116.

المهتمين بالأدب العربي أو التراث الصوفي نفسه"<sup>1</sup>، وعلى كل فإن محاولة الغيطاني تعد أيضا من بواكير الدراسات الآخذة على عاتقها اقتحام مجال التراث الصوفي وفق رؤية أدبية جريئة. فهي إذن دراسة تشكل لبنة أخرى على درب تأسيس مشروع طموح لاكتشاف ما في عالم التراث الصوفي من جواهر كامنة ولآلئ مضيئة تسبح في كون المتخيل والعجيب والخارق، مما يتعين حضورهما تحديدا في كرامات الأولياء، ومناقب الصالحين التي هي مظهر من مظاهر التعبير عن أثر المتخيل الفردي والجمعي.

ومن الدراسات الأولى أيضا في سبيل تأسيس توجه جديد نحو دراسة التراث الصوفي من منظور أدبي نذكر مقال الباحث يوسف زيدان "كرامات الصوفية نص أدبي مضاد للتصوف"، وفيه اعتمد المؤلف في العمل التطبيقي على مدونات صوفية قديمة للبحث في نصوصها عما له علاقة بالبحث الأدبي مثل كرامات "عبد القادر الجيلاني" (ت 561هـ)، وكرامات "نجم الدين كبرى" (ت 618هـ)، وبعد المعاينة والفحص المركز لهذين المصدرين خلص "يوسف زيدان" إلى أن ثمة تشابها كبيرا بين نصوص ألف ليلة وليلة، ونصوص الكرامات الصوفية، ذلك أن "كلا النصين يبرز بقوة في أزمنة القهر الاجتماعي والسياسي بالذات، كأنه يحقق الأمنيات المستحيلة عن طريق الحكايات، وكلاهما حكايات دونت بصيغ متعددة تبرز قدرة الجماعة على الخلق المستمر، وكلاهما نبع من مخزون الخيال"<sup>2</sup>. وحسب "زيدان" فإن الظروف التاريخية المتدهورة التي مر بها العالم العربي في لحظة السقوط والتراجع، والانهييار الحضاري إثر سقوط بغداد سنة 656هـ، تحديدا على يد المغول، هيأت المناخ الاجتماعي لانتعاش الكرامة الصوفية لأنها حسبه "تقدم حلولا خيالية أو حلمية لمشاكل وأوضاع حياتية فرضها واقع تاريخي متدهور مأزوم"<sup>3</sup>. هذا الظرف التاريخي الدقيق

<sup>1</sup> جمال الغيطاني: مجلة الهلال. جوان 1985م. ص 89. نقلا عن فرج بن رمضان، المرجع نفسه. ص 106.

<sup>2</sup> يوسف زيدان "كرامات الصوفية: نص أدبي مضاد للتصوف: مقال منشور في مجلة فصول، عدد XIII. خريف 1994م، ص 223-233.

<sup>3</sup> فرج بن رمضان: المرجع السابق. ص 112.

نقل المسلمين من واقع سيء إلى واقع أسوأ، أنتج انكسارا للذات النفسية العربية التي لم تعد تثق في النظر إلى الواقع بأدواته ورهاناته على أمل حصول لحظة رآب الصدع، وإحداث بعث جديد، ومن ثمة "انفسح المجال لرؤية الواقع من نافذة الحلم الذي تجسده الكرامة، ولم يعد المستحيل بعيدا عن متناول اليد العاجزة عن تناول الأشياء في الواقع، فناولتها الكرامات كل شيء في الخيال"<sup>1</sup>. ومن هنا تتأكد لحظة الحسم عند "قرج بن رمضان" من أن النص الكرامي نص أدبي، "خرج من مجال التصوف ليدخل مجال الأدب، وأنه يملك جميع المقومات الأدبية بوصفه منجزا لغويا وكيانا نصيا متحققا<sup>2</sup>، وبنية سردية متخيلة في المقام الأول.

إن مقال "زيدان" بالشكل المختصر الذي قدمناه يعدُّ خطوة مبكرة ومتميزة في سبيل الدراسة الأدبية لنصوص المناقب وكرامات الصوفية وهي من المحاولات القليلة الرائدة في هذا المجال حيث أبان فيها عن مدى جدارة النصوص المنقبية والكرامية بالدراسة الأدبية من حيث شكلها وبنيتها وجنسها.

ومن الدراسات الجادة في رحاب خطاب الكرامات الصوفية ما يجعلنا نقرّ بالعمل المتميز الذي قامت به الباحثة "ناهضة ستار" في بحثها الموسوم "بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات والوظائف والتقنيات"، وقد اعتمدت الباحثة "منهجية الدرس البنيوي الشكلائي مسبارا يكشف عن القيمة البنائية والهيكلية للقصة الصوفية من خلال فحص مكونات البنية السردية للقصة، ومثالها الوظائف، وأنماط الشخصيات فيها، وبنية الزمن وصيغ السرد، ووظائف السارد"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه. ص 110.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 114.

<sup>3</sup> - ناهضة ستار : بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات والوظائف والتقنيات. ص 8.

كما أنجز الباحث المتميز " لؤي علي خليل" عملا نقديا جادا في موضوع "عجائبية النثر الحكائي، أدب المعراج والمناقب" تناول فيه بالدراسة والتحليل "علة التلازم بين العجائبي ونصوص التراث الإسلامي ممثلة في أدب الكرامات من حيث وقوع كل منهما على حافة الحقيقة، بين الممكن والمستحيل، أو بين الحقيقي وغير الحقيقي، ففي العجائبي ثمة حيرة أمام الحدث الخارق، بين تفسيره بما يلائم نظم الحقيقة الواقعية أو تفسيره بما يخالفها"<sup>1</sup>. وفي نصوص الكرامات أيضا يحضر الحدث الخارق بقوة مما يولد الحيرة لدى المتلقي بين التسليم بحدوثه "على اعتبار أنه لا يعجز القدرة الإلهية، وبين المستحيل الذي يجعله خيالا فحسب لعدم وجود برهان يلزم وقوعه على الحقيقة، ويبدو ذلك [...] في احتواء النصوص على الجن والملائكة، واختراق السماوات والمشي على الماء، والطيران في الهواء"<sup>2</sup>. كما درس أيضا موضوعات تحقق العجائبي في نصوص المناقب وكذا مختلف الوظائف التي ينطوي عليها هذا الخطاب من حيث كونه يحمل رسائل مشفرة يسمح للصوفية بالنفوذ إلى عمق المجتمع لتمرير خطابها<sup>3</sup>.

ولا يمكن إغفال جهد عدد من الباحثين المغاربة سواء في إطار عمل فردي كالذي قام به كل من "محمد مفتاح"، و"عبد الفتاح كيليطو" و"الميلودي شغوم" و"عبد السلام المنصوري" وآخرون، أو في إطار عمل جماعي كالذي قام به فريق بقيادة "حسن مسكين" والذين انصببت اهتماماتهم حول دراسة الكرامات الصوفية المغربية التي تضمنها كتاب "التشوف إلى رجال التصوف" لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات، في إطار "وحدة التكوين والبحث في الصورة"، فقد أخضع فريق البحث عينة من كرامات كتاب "التشوف" إلى التحليل عبر تجريب أدوات المنهج السيميائي لما لاحظوه "فيها من

<sup>1</sup> - لؤي علي خليل: عجائبية النثر الحكائي، أدب المعراج والمناقب. التكوين للنشر، دمشق، 2007. ص 7.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 7.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه. ص 201.

إمكانات هامة قد تسمح بفك شفرات هذا الخطاب والدخول إلى عوالمه لتأسيس تصور يكشف أسراره الخاصة وتصوراته العجيبة، بعيدا عن أي إسقاط قد يفقده روحه أو يحد من طاقات الغرابة التي هي مكن سره<sup>1</sup>.

لقد نظر هؤلاء النقاد الباحثون إلى خطاب المناقب والكرامات الصوفية على أنه نوع من الكتابة السرديّة عانت التهميش والإقصاء، وظلت خارج حلقة الأدب الرسمي وبقيت بعيدة عن الدرس النقدي زمتا طويلا، واعتبرت - كما سبق وأن قلنا - "وثيقة تاريخية مع إغفال قيمتها الفنية كنوع يندرج ضمن جنس عام هو السرد"<sup>2</sup>. فقد فند هؤلاء الباحثون تلك النظرة القاصرة عن فهم طبيعة خطاب المناقب والكرامات الصوفية، وتوصلت مجموعة الأعمال والبحوث التي أنجزوها في إطار وحدة التكوين إلى الوقوف على الخصائص الناظمة للخطاب «الكراماتي» عامة، ولتشييد قوانين «شعرية» هذا الخطاب بصفة خاصة<sup>3</sup>، والذي يتميز بكونه يخرق "منطق الزمن والمكان الطبيعيين والتأثير لبنية شخصيات تتميز بالتصادم"<sup>4</sup>.

من الباحثين المغاربة الأوائل المتميزين الذين اهتموا بالنص المنقبي الكراماتي نجد "محمد مفتاح" في كتابيه (دينامية النص) و(التلقي والتأويل)، حيث استفاد مفتاح من التراكم النقدي الغربي، ومن فتوحات المناهج الغربية الحديثة، الأمر الذي مكنه من محاولة مساءلة النص المنقبي، ومحاولة النفاذ إلى أعماقه، وفك مغالقه، من خلال الدرس والتحليل لنماذج من الكرامات المبنوثة في كتاب التشوف للتادلي، فقد تنبه الباحث بذكاء وحذق إلى أن أخبار الكرامات لا تأخذ صيغا مستقرة، بل غالبا ماتتعرض للزيادة، والتضخم، والتحويل عبر آليات

<sup>1</sup> - حسن مسكين وآخرون: الكرامات الصوفية المغربية. دراسات سيميائية. جذور للنشر. ط1. الرباط. المملكة المغربية. 2006م. ص6.

<sup>2</sup> - عبد الواحد الغندوري، وآخرون: الكرامات الصوفية المغربية، دراسات سيميائية. تنسيق حسن مسكين. ص 89.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص6-7.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ص 89.

ثلاث: "التمطيط"، و"التكثيف"، و"التزيّد"، وهو ما يتكشف بجلاء عند تتبع أخبار الكرامة الواحدة في مصادر مختلفة، وروايات متعددة، وقد أكد مفتاح ذلك بقوله: "إن الكرامات تكون نواة واحدة، ولكن النواة مُطِّطت لضرورة جنس الكرامات، أو بطريق التزيّد، أو كُنِّفَت لبعض عناصرها أو حُذِفَت تبعاً لمقاصد الحاكي، ولهيئة المخاطبين بالكرامة، ومكان الحكيم وزمانه، وقبل كل ذلك مقاصد جامع الكرامات"<sup>2</sup>.

ويعتبر كيليطو عبد الفتاح أشهر الشخصيات الأدبية التي استطاعت الدخول إلى النص المنقبي من باب النقد الأدبي. فتجربته النقدية ليست مجرد قراءة سطحية متسرعة للنصوص الإبداعية وإصدار أحكام عامة بشأنها، بل تغدو بذاتها عملاً إبداعياً متميزاً يغري بدوره بالقراءة إذ يثير ذهن القارئ، ويستفز ذكاءه، ويدخله في متاهات حقيقية... فهو يحاور النص حواراً إبداعياً منطلقاً سبباً لا دون قيود ولا ضوابط، فينقاد مع النص حيث يقوده، عدته في ذلك ذكاء حاد، وثقافة واسعة، وقريحة مشتعلة"<sup>3</sup>. ولا يغيب عن بالنا الإمام الواسع لعبد الفتاح كيليطو بالمنهج الغربية وحسن استفادته منها وتوظيفها في حدود ماتسمح به طبيعة بنية الخطاب المنقبي خصوصاً.

وكغيره من النقاد المغاربة اعتمد على مدونة كتاب التشوف لدراسة بعض النماذج والنصوص المنقبية التي خلص في النهاية إلى أن هذه النصوص تلتقي جميعها في تيمة أساسية واحدة وهي تيمة العودة. عودة الشخصية المحورية في المنقبة إلى منبتها، عودة الولي أو الصوفي أو المرید أو أي شخصية تكون محور خطاب المنقبة .

<sup>1</sup> - يقصد مفتاح بالتمطيط: توسيع نواة معينة باعتبارها رحماً لما ينسج حولها من حالات وأعمال. والتكثيف: يقصد به تركيز ما كان موسعاً بالإشارة إليه أو بالإحالة عليه. والتزيّد: معناه الإتيان بمعلومات جديدة لم تذكر في الكرامة السابقة. ينظر: مفتاح محمد: التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان 2001م. ص178.

<sup>2</sup> - مفتاح محمد: المرجع نفسه. ص178.

<sup>3</sup> - عبد السلام المنصوري، المرجع السابق. ص101.



أما الباحث الميلودي شغموم فيبدو أنه قد استفاد من تجربة "زيحور علي" ومن وجهة نظره إزاء موقع الكرامة الصوفية من الذات العربية ولنمطها الفكري، حيث قام بحثه الموسوم "المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي، الحكاية والبركة"، على الرؤية نفسها لزيحور من حيث اعتبار الكرامات "هي الجانب الكامن من الذات العربية، إنها القطاع المقنع، المختفي، المنسي، المهمل، والمضمر في التاريخ والذات. إنها النشاط المكبوت في الفكر والإرادة والسلوك، وهي نواة السلوك المجهولة، والبنية اللاواعية، ومخزن الأنماط الأساسية، ومستودع أنماط العلائقية الآثارية العدوانية التدميرية، والانفعالية المتطرفة"<sup>1</sup>. ويخلص إلى أن القصة التي ترويها الكرامة واحدة لا تتغير. وهي ما أسماها القصة الأصلية أو البركة التي تحاكي أربعة أنماط أساسية أصلية وتغترف منها وهذه الأنماط هي:

- النمط السحري - الأسطوري.
- النمط النبوي.
- النمط الإبليسي.
- النمط النعيمي<sup>2</sup>.

إذن فالبركة عند الميلودي شغموم هي هذه "الحكاية الأصلية التي تتحقق على الدوام في أشخاص ومناسبات مختلفة، أي في حكايات فرعية، وليست هذه الحكايات الفرعية سوى تنويعات على الحكاية الأم، حكاية البركة وبالتالي القدسي المستمر الظهور أو التحقق"<sup>3</sup>. وبتوجه منهجي مغاير وزاوية رؤية مخالفة عالج الباحث القدير "عبد السلام المنصوري" عملاً قيماً في الفكر الصوفي بعنوان "بنية الخطاب المنقبي طلاق العقل وأوهام التاريخ"، خلص من خلاله إلى أن الخطاب المنقبي ضرب من ضروب الكتابة الصوفية الإبداعية حافل

<sup>1</sup> - زيحور علي. ص 9.

<sup>2</sup> - الميلودي شغموم: المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي، الحكاية والبركة. ص 254 - 255.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 281.

بالكرامات والخوارق وأنماط من المواقف والسلوكات، علاوة على مظاهر التقديس والتأليه للأشخاص. وقام التأليف المنقبي على خلفية جعل الكرامة هي القلب النابض لهذا الخطاب "ذلك أن الصوفي لا يحظى بشرف الحضور في المدونة المنقبية إلا بنصاب الكرامة، فإذا غابت الكرامة غاب هو تبعاً، وطوته ذاكرة النسيان، وبما أن الكرامة هي وريثة المعجزة، وأختها من الرضاعة، فقد عدت دوماً برهان الولاية كما عدت المعجزة برهان النبوة"<sup>1</sup>.

والكرامات التي اتسعت بها دائرة المؤلفات المنقبية "هي مجرد نسخ وظلال لمعاجز الأنبياء المذكورة في القرآن والمفصلة في التراث اليهودي والمسيحي، أي: محاكات لهذه الخوارق والمعاجز"<sup>2</sup>. فقد بين عبد السلام المنصوري أن مؤلفي المدونات المنقبية من أجل ترسيخ بنية "النموذج الخضري" القائمة على ثلاثية "الفعل المنكر" و"الإنكار" و"التسليم"، قد استعملوا سلاح الترغيب والترهيب لتحسين هذا النموذج ضد المنكرين [...] وفي سبيل ذلك أوردوا عشرات القصص والأخبار التي تنبئ بحسن عاقبة من سلم للشيخ، وبخع له، ولم يُنكر في جميع الأحوال والأفعال، وبالمقابل أوردوا عشرات القصص والأخبار التي تشير إلى سوء خاتمة المنكر والمكذب وقبح مآل المعترض. والسلاح المستعمل في الترغيب والترهيب كليهما هو سلاح الكرامة، والنموذج الغائب الحاضر هو دوماً النموذج الخضري"<sup>3</sup>.

وما من شك أن مجرد الإمعان في نصوص الكرامات وتقليبها على وجوهها شكلاً وبنية سوف يكشف عن طبيعة هذه التجربة، ونمط الكتابة المرتبطة بها، وحسب عبد السلام المنصوري فإنه من خلال نماذج النصوص المنقبية المختارة للدراسة والتحليل "فقد استطاع الصوفي المبدع تفجير اللغة العادية وتوسيع أفقها الدلالي والخروج بها عن أصل المواضعة، بل الخروج بها عن حدود الدرس البلاغي التقليدي، لتتفتح على آفاق من التأويل، والاحتمال

<sup>1</sup> - عبد السلام المنصوري: بنية الخطاب المنقبي، طلاق العقل وأوهام التاريخ. ص 392.

<sup>2</sup> - عبد السلام المنصوري المرجع نفسه. ص 393.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 273.

غير مسبوقه<sup>1</sup>، مستعينة بذلك حسبه "بالخيال المطلق في خرقها المستمر لعالم الواقع، ولمعطيات الظاهرة المباشرة المحسوسة، وفي تعديها واستبدالها الفاضح على مبادئ العقل، وقواعد المنطق، وقوانين الطبيعة، ونواميس الكون، لتنتفتح على عالم المرئي، والأحلام، والاتصال الروحاني، والعروج بين السماء والأرض، ورفع حجاب الغيب، وإشهار سلاح الكشف"<sup>2</sup>. إنها أدوات وعناصر، وسمات تمنح خطاب الكرامة الصوفية تقاليد الجنس الأدبي بامتياز.

وأنجزت الباحثة التونسية "أسماء خوالدية" عملاً قيماً تناولت فيه بالدراسة والتحليل موضوع "الفكّه في قصص كرامات الصوفية بين التقديس والتحميق"<sup>3</sup> وقد انطلقت من فكرة توفر القصص الصوفي على الفكّه، "ومن مسلمة مدارها أن الكرامة قصة فكّه"<sup>4</sup>. وقد مكنتها التحليل من الوقوف على كون الكرامة قصة مسرودة من خلال "توفرها على أدبية واضحة تغذت بصنوف سردية جمّة، من مثل الخرافات، والأيام، والأساطير، فجمعت على نحو عجيب بين الغريب، والعجيب، والمدهش، والمبهر[...] انصاغ ذلك كله في حدث متفجر هو أس الكرامة، وعمادها، وبه تحديداً وحصرًا انمازت عن النوادر، والقصص، والأخبار. فاستبطنت أبعاداً تمثيلية لمختلف ما يترسخ في الذاكرة، والوجدان العربيين ناهيك عن مختلف أنماط التخيل والإدراك"<sup>5</sup>.

1 - عبد السلام المنصوري. ص 28.

2 - المرجع نفسه. ص 35.

3 - أسماء خوالدية: الفكّه في قصص كرامات الصوفية بين التقديس والتحميق، منشورات ضفاف، ط1. بيروت 1436هـ/2015م. اختارت أربع مدونات للاشتغال عليها وهي: - الرسالة القشيرية: لأبي القاسم القشيري. - التشوف إلى رجال التصوف: لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي. - اللّمع: لأبي نصر السراج الطوسي. - نفحات الأنس من حضرات القدس: لأبي البركات عبد الرحمان الجامي.

4 - المرجع نفسه. ص 16.

5 - المرجع السابق. ص 16.

وحتى تتمكن الباحثة من وضع اليد على جماليات الفكه في الكرامة الصوفية اهتمت بالمستوى التعبيري فيها لتكون منطلقاتها "أدبية وبلاغية وجمالية وتحديدًا مادة الحكى ومحتواها، سواء أكانت على لسان الولي، أم الشخص الحافة به، مشاركة في الأحداث أو راوية لها"<sup>1</sup>. وعليه فقد عاينت الباحثة في النصوص الكرامية المعتمدة احتواءها على عناصر أدبية وفنية متنوعة من قبيل التمثيل والمجاز والتخييل والإغراب والسخرية والمبالغة والتعجيب، تضافرت كلها بشكل أو بآخر لتصنع منها "نصا سرديا قصصيا له آلياته ووجوه دلالاته، ومسحته القدسية الحافة بشخصية الولي بدءًا ومآلًا"<sup>2</sup>. وتخلص في الأخير إلى نتيجة تعبر "عن إقرار تام بأدبية قصص الكرامات، وما تزخر به من خصائص سردية كثيرا ما غفل الدرس النقدي عنها، محولا اهتمامه إلى المنتج الشعري للصوفية"<sup>3</sup>.

وحسبنا أن نختم هذا الموضوع بالإشادة والتنويه بالدراسة المتفردة للباحث المقتردر التونسي "فرج بن رمضان" في منهجها وأدواتها ورهاناتها وآفاقها، والتي شكلت بالنسبة إلى قسم هام من هذا المبحث رافدا خصبا، فتغذى منها واستنار بضوئها بشكل أو بآخر، والدراسة في عنوانها "الدراسة الأدبية للكرامة الصوفية أسسها إجراءاتها، رهاناتها" في قسمين: نظري، وآخر تطبيقي، وإن لم تسعفنا الظروف في الحصول على القسم التطبيقي فإن القسم النظري منها أفادنا كثيرا، وبسط لنا مفاهيم كثيرة وقضايا وروى لم نجدها في غيرها من المصادر التي رجعنا إليها.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى وجوب إعادة النظر في مفهوم الكرامة الصوفية عبر مساءلتها من الداخل، قصد تحليلها، وتفكيكها، ومن ثمة تصنيفها. وانطلق صاحبها من حيث انتهت الدراسات السابقة متخذا إياها قاعدة الخطو في سبيل تحصيل المزيد من الدعائم

<sup>1</sup> - المرجع نفسه. ص 16-17.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 110.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 65.

والأسس النقدية، والمنهجية، الداعمة لوجهة النظر السابقة، حول مشروعية اعتبار نصوص المناقب، وكرامات الصوفية، نصوصاً أدخل في مجال الأدب منها في مجالات فكرية وثقافية أخرى، واعتبر فرج بن رمضان أن مساءلة الكرامة يبدأ أولاً من النص العتبي باعتباره يتنزل من مساحة الكتاب في المرتبة الأولى، متقدماً النص الكرامي أو المدونة الكرامية التي تحتل المرتبة الثانية في مساحة الكتاب، رغم أولية نشأتها زمنياً، بمعنى لا يتم الوصول إلى قراءة المدونة "إلا بعد اختراق حواجز النص العتبي وحُجُبِهِ، مما يعني من جهة أخرى أنه على أُولَيْيَتِهِ في زمنية النشأة فإنه ثانٍ تالٍ في زمنية القراءة"<sup>1</sup>. ثم انتقل إلى مساءلة مضمون النصوص الكرامية وكذا أهم المصطلحات الواردة فيها فوجد فيها من الكثرة والتنوع ما يقرب الكرامة من حقل الأدب، ويؤسس مشروعية انتمائها إليه.

من جملة المصطلحات والشواهد التي تؤكد انتماء النص الكرامي إلى الأدب حسب ما انتهى إليه بحث "فرج بن رمضان" حضور مصطلح الخبر فيها، فالكرامة هي خبر، وجاء هذا المصطلح ليؤصل الطابع الإخباري في المناقب والكرامات الصوفية بصيغة إيراد وقائع ومعلومات متعلقة بحادثة ما، أو ما يتصل بولي من الأولياء من أخبار واقعية، أو تخيلية، مما يندرج ضمن مسار حياته، فغاية الإخبار في الكرامة إذن هو عمادها الأول، وأُسُّها الذي أنشئت من أجله.

مصطلح آخر وقف عنده "فرج بن رمضان" وهو مصطلح حكاية، فالكرامة هي حكاية، وهذا المصطلح في نظر النقاد والدارسين أدخل في الأدب منه إلى جنس آخر، ذلك أن الحكاية في المقام الأول "نص لغوي سردي متخيل كلياً أو جزئياً بحيث يشمل العجيب على منوال حكايات ألف ليلة وليلة، كما يشمل الواقعي"<sup>2</sup> في آن واحد، وحضور العجيب في الحكاية دليل تخيليتها، ودليل خرق العادة فيها، وكذلك حضور مصطلح حديث: فالكرامة

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان. ص 126.

<sup>2</sup> - المرجع السابق. ص 142.

حديث متخيل، بما هي حدث خارق، ووجود الخارق فيها لا يتحقق من غير طريق الخيال. وهي أيضا قصة، بتوفرها على مقومات القصة. وإلى جانب هذه المصطلحات لاحظ الباحث حضور معطيات وشواهد في متن النص العتبي والكرامي من قبيل: اللغوية، الخطابية، التخيلية، الإسناد، إلى جانب حضور متون شعرية في نصوص الكرامات.

وحاصل هذه المصطلحات والمعطيات "هي جميعا شواهد ماثلة، ناطقة، متعينة، لم يستوجب الوقوف عليها أكثر من الرصد الممنهج، والملاحظة الدقيقة، ولم تستدع مساءلتها تجاوز الحد الأدنى من تقليب النظر، وإعمال الفكر، بمقتضى المنهج المتوخى لحد الآن، في قراءة كل من النصين العتبي والعتبي، في المدونة الكرامية "النبهانية"، نظرة خارجية، تمارس بصفة "خبرية" في طلب أوفر ما يمكن وأدلّ من الشواهد، والعلامات المؤكدة لقابلية انتماء الكرامة إلى الأدب"<sup>1</sup>. وحصريا يمكن إدراجها ضمن "جنس القصة لتوافرها على مقومات النوع القصصي: الحكاية، والسرد، والخطاب، وتكاملت مكوناتها من حيث البنية القصصية من راو ومروي ومروي له"<sup>2</sup>.

هذه إطلالة خاطفة حاولت من خلالها الاقتراب من أهم البحوث والدراسات - وليس كلها - التي اهتمت بموضوع المناقب وقد حاولت استقراءها، والنظر فيما قدمته من أفكار وأراء وملاحظات، ومحاولة الاستفادة ما أمكن من طروحاتها، وخطوات تحليلها، والوقوف على النتائج التي آلت إليها، وقد خلصت هذه الدراسات مجتمعة إلى اعتبار خطاب المناقب والكرامات نوعا من الكتابة السردية عانت التهميش، والإقصاء، وظلت خارج حلقة الأدب الرسمي، وبقيت بعيدة عن الدرس النقدي زمنا طويلا، واعتبرت وثيقة تاريخية مشكلة مادة ثرية للبحث التاريخي، مع إغفال قيمتها الفنية، كنوع يندرج ضمن جنس عام هو السرد.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه. ص 186.

<sup>2</sup> - ناهضة ستار: المرجع السابق. ص 251.

تتميز نصوص المناقب بكونها خطابا مكتفا، يتميز بكونه يخرق منطق الزمن، والمكان الطبيعيين، يستدعي التحليل من أجل الكشف عن البنيات الثاوية خلف هذا النوع من السرد، ومن ثمة قابليته على الانفتاح على آفاق أخرى من مناهج التحليل: الأنثروبولوجي، النفسي، السيميائي، التي كشفت عن خصوصيته الفنية، وأبعاده الجمالية، بما يمتلكه من خصائص السرد الأخرى، من نمط التخيلي، والعجائبي، والواقعي، والسحري، وتوفره على مقومات النوع القصصي، من قبيل الحكيم، والسرد، والحبكة، والعقدة، والخطاب، والتمثيل، والمجاز، والسخرية، والمبالغة، والإغراب، والمدهش، والمبهر، والمرائي، والأحلام،... هذه العناصر كلها وغيرها حاضرة وماثلة في خطاب المناقب، والكرامات الصوفية، مما يجعلها جديرة بالولوج في رحاب عالم الأدب الفسيح بكل جدارة واستحقاق.

# الفصل الثامن

## طبيعة خطاب المنقبة

المبحث الأول : الإسناد في المنقبة

المبحث الثاني : وظائف خطاب المنقبة في المجتمع



## توطئة:

يجدر بنا قبل بحث موضوع السند في التراث المنقبي الإسلامي أن نشير إلى شيوع هذا المفهوم في فترة من فترات تدوين التراث الديني للدولة الإسلامية الناشئة، واختصاصه المحض في علم مصطلح الحديث النبوي الشريف، إذ استدعت حاجة قيام الدولة آنذاك إلى جمع القرآن الكريم، وكل مظاهر التراث الشفوي بتجلياته المختلفة، الديني منه أولاً: وينحصر أساساً في سور القرآن الكريم ونصوص الحديث الشريف. ثم اللغوي ثانياً: ويتعين في منتج العرب الشعري والنثري. وعلى الرغم من المصاعب الجمة التي صادفها القائمون على جمع هذه المتون مجتمعة، فإن المصاعب التي لاقاها المشتغلون في جمع نصوص الحديث الشريف مفردة لا حصر لها، سواء من ناحية الشكل أم من ناحية المضمون، ذلك أن كثيراً من الرواة الحاقدين على الإسلام آنذاك قد أغرقوا سوق الحديث بروايات زائفة، ونصوص متنية موضوعة، غير متورعين في نسبتها إلى الرسول ﷺ، خاصة في فترة الخلافات السياسية بين المسلمين وتحديدًا "في خلافة عثمان وفي خلافة علي رضي الله عنهما، فكانت بيئة العراق أول بيئة نشأ فيها الوضع من لدن غلاة الشيعة، وقد أشار إلى هذا أئمة الحديث حيث كان "الزهري"<sup>1</sup> يقول: "يخرج الحديث من عندنا شبراً فيرجع إلينا ذراعاً"، وكان الإمام "مالك" يسمي العراق (دار الضرب) أي تضرب فيها الأحاديث وتخرج إلى الناس كما تضرب الدراهم الزائفة وتخرج للتعامل"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، أبو بكر القرشي الزهري، أحد الأعلام من أئمة الإسلام، تابعي جليل، سمع غير واحد من التابعين وغيرهم. ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية، وكان قصيراً قليل اللحية، له شعرات طوال، خفيف العارضين. وقال الواقدي: ولد الزهري سنة ثمان وخمسين، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله بثلاث بشعب زيدا، فأقام بها فمرض هناك ومات وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق، وكانت وفاته لسبع عشرة من رمضان في هذه السنة، وهو ابن خمس وسبعين سنة. وقد قال عنه عمر بن عبد العزيز: ما رأيت أحداً أحسن سَوْقاً للحديث إذا حدث من الزهري. ينظر: ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية. ج 5/ط 1. دار الإمام مالك، الجزائر. (1427هـ/2006م). ص 599 وما بعدها.

<sup>2</sup> - عزالدین بلیق: موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، دار الفتح للطباعة والنشر. ط 2، بيروت. لبنان. 1406هـ - 1986م. ص 40.

وفي هذه الظروف الدقيقة من عمر الخلافة الإسلامية، "بدأ العلماء من الصحابة والتابعين، يتحرون الدقة في نقل الأحاديث، ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقه ورواته، واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم[...]. وقد أبلوا فيه بلاء حسنا، وتتبعوا الرواة، ودرسوا حياتهم، وتاريخهم، وسيرهم، وما خفي من أمرهم، وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائم[...]. وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها في من يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب"<sup>1</sup>. ومن هؤلاء: الكذابين وأصحاب البدع والأهواء، والزنادقة، والفساق، والمغفلون. ولقطع دابر هؤلاء من أن يدسوا في السنة النبوية سمومهم، وضع علماء الحديث ضوابط صارمة لحفظ مدونة السنة النبوية الطاهرة، من خلال ضبط سند رواية الحديث، وقبول ما تميز منه بإسناد صحيح حسن، ورفض ما لا يتوفر فيه هذا الشرط. فما المقصود بالسند لغة واصطلاحاً؟ وكيف تحقق في نصوص المناقب والكرامات التي أوردها الصباغ في "البستان"؟.

## 1.8 الإسناد في المنقبة

### 1.1.8 مفهوم السند لغة

جاء في لسان العرب "السند ما ارتفع من الأرض في قُبل الجبل أو الوادي، والجمع أسنادٌ، لا يُكسر على غير ذلك، وكل شيء أسندت إليه شيئاً فهو مُسندٌ... ويقال ساندته إلى الشيء فهو يتساند إليه أي أسندته إليه، وما يسند إليه يسمى مسنداً (بكسر الميم) ومسنداً (بضمها) وجمعه المساند. الجوهري: السند ما قبالك من الجبل وعلا عن السفح، وساندت الرجل مساندة إذا عاضدته وكانفته، وسند في الجبل يسند سنوداً وأسند رقي، وسند في الخمسين مثل سنود الجبل أي رقي، وفلان سند أي معتمدٌ، وأسند الحديث أي رفعه.

<sup>1</sup> - المرجع السابق. ص 45 - 46.

الأزهري: والمسند من الحديث ما اتصل إسناده حتى يسند إلى النبي ﷺ والمرسل والمنقطع ما لم يتصل، والإسناد في الحديث رفعه إلى قائله<sup>1</sup>.

ونخلص إلى أن جُلَّ المعاجم تتفق في المعنى اللغوي العام للسند من أن المقصود منه ما قابلك من الجبل وعلا من السفح أي ارتفع من الأرض وصعد وركي، ففيه إذن معنى العلو، والارتفاع، والركي، والصعود، وهي جميعا معانٍ مشتركة تفيد عموم الارتفاع.

### 2.1.8 السند اصطلاحاً

أول ما شاع مصطلح السند كان في الحديث الشريف، ويعني "الخبر المتواتر، وهو الذي اتصل بك من رسول الله ﷺ اتصالاً بلا شبهة حتى صار كالمعائن المسموع منه، وذلك أن يرويه قوم لا يحصى عددهم، ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب، لكثرتهم وعدالتهم، وتباين أماكنهم، ويدوم هذا في وسطه وآخره كأوله"<sup>2</sup>. هذا التواتر هو الذي يوجب اليقين بثبوت الخبر وصدقه عن رسول الله ﷺ، "وإذا روى الخبر واحد أو عدد يسير ولو في بعض طبقاته فإنه لا يكون متواتراً مقطوعاً بنسبته إلى رسول الله ﷺ وإنما يكون أحادياً، في اتصاله بالرسول شبهة فلا يفيد اليقين"<sup>3</sup>. وبين الأحاد وكثرة رجال السند يقف علماء السند في الحديث موقفاً وسطاً إذ يفضلون الإسناد العالي الذي يتميز بقلة "عدد رجاله مع الاتصال وهو فضيلة يغتبط الرواة لبلوغها، إذ كلما قل عدد الوسطاء بين الراوي والنبي ﷺ في الحديث تحقق القرب منه، وكانت إمكانيات الخطأ أو الخلل قليلة"<sup>4</sup>.

فالسند إذن في الحديث هو طريق المتن أي معرفة سلسلة الرواة المتواترين على نقل المتن من مصدره الأولي، بمعنى يتصل إسناده حتى يسند إلى النبي ﷺ. والسند في الطرق الصوفية، والمنقبة والكرامة الصوفية شبيه به كما سنوضحه بعد.

<sup>1</sup> - ابن منظور: لسان العرب. مادة سند. ج.7. ط1. دار صادر، بيروت. لبنان. 2004م. ص271 - 272.

<sup>2</sup> - عزالدین بلیق : موازين القرآن والسنة مرجع سابق. ص 30.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه. ص 30.

<sup>4</sup> - نفيسة الذهبي: اقتفاء الأثر. ص100.

## 3.1.8 السند في الطرق الصوفية

بداية يمكن النظر إلى الإسناد على أنه آلية تقنية لتأسيس الحقيقة عبر جسر متين من التسلسل المتواتر الموصل إلى سدره اليقين ومنتهى الوثوق، ولذلك كانت الإجازة أحد أشكال تحقق السند في الطالب المتأهب لولوج عالم المشيخة والتدريس، وهي المهمة التي لا يمكن الوصول إليها إلا عبر هذه الواسطة، أعني واسطة السند التي يقول بشأنها صاحب كتاب "البرهان الجلي": "لا يخفى على ذوي البصائر والعقول أن الفنون كلها لا بد فيها من واسطة، ومن لا واسطة له في فنه لا بركة له فيه، ولو حصل فيه على الغاية القصوى، فبركة الفن وسره وروحه وجود الواسطة فيه، فمن رزقها رزق الفن وبركته، ومن حرّمها حرم الفن وبركته، [...] ولما كان التصوف أولها بذلك وأحقها بما هنالك، وكان من لا شيخ له فيه لا يعبأ به ولا يلتفت إليه، بل هو عندهم لقيط، لا أب له وسقيط لا طعم فيه"<sup>1</sup>. ويذهب جلال الدين الرومي إلى أبعد من هذا قائلاً: "من لم يعرف شيخه (بمعنى الإنسان الكامل وقطب الزمان) فهو كافر"<sup>2</sup>. "فالعالم لا يمكن أن يقوم من غير وجود القطب، بل حتى لو فرض أن شيئاً من المعارف والأذواق حصل لأحد على سبيل خرق العادة بلا واسطة، فالمتعين عليه أن يستند إلى الواسطة أدباً مع الشريعة المطهّرة، إذ جاءت باعتبارها وأمرت بشكرها"<sup>3</sup>.

وتتحقق في السند مزايا كثيرة تزيد صاحبه علو الهمة، وكمالاً، ورفعته قدر، وجلالاً "لأن فيه خروجاً من رعونات النفس والأناثية إلى رفعة التواضع والعبودية، وناهيك بها عزاً وشرفاً، ورفعاً، وفخراً [...] ولو صح لأحد شيء بلا واسطة لما كان لمولانا رسول الله ﷺ

<sup>1</sup> - أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني: البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي، تح أحمد محمد مرسي النقشبندي. ط1. مطبعة السعادة القاهرة، مصر 1969م. ص2.

<sup>2</sup> - جلال الدين الرومي: مثنوي، ج3. نقلا عن "أنا ماري شيمل": الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف. تر: محمد إسماعيل السيد، ورضا حامد قطب. ط1، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا) - بغداد. 2006م. ص 230.

<sup>3</sup> - المصدر السابق. ص2.

جبريل عليه السلام واسطة، مع أنه عليه الصلاة والسلام أجل منه، وأفضل وأعلى وأعز وأكمل [...] وقد قال الجنيد سبق في علم الله القديم ألا يدخل أحد لحضرته إلا على يد عبد من عباده"<sup>1</sup>.

وقد أدرك المتصوفة منذ ظهورهم أهمية الارتباط بحبل السند بينهم وبين مشيختهم، وسلسلة الصحابة الأوائل، وصولاً إلى بيت النبوة. فقد قال الإمام الشعراني<sup>2</sup> في فوائد النسبة العامة: إن المنتسب يكون كالحلقة في السلسلة لا يتحرك في أمر إلا تحركت السلسلة كلها معه إلى مولانا رسول الله ﷺ بخلاف غير المنتسب فإنه يتحرك وحده ويسكن وحده"<sup>3</sup>. ولذلك يمثل "السلف والانتساب إلى الرسول وعترته الشريفة مصدراً دينياً مهماً لبروز أي جسم سياسي أو اجتماعي في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وهو سمة أساسية في تأسيس الطرق والظاهرة الأوليائية، والأجسام السياسية أيضاً في المغرب العربي، لذلك كثيراً ما يرد المتصوفة علومهم إلى بعض الصحابة وخاصة علي بن أبي طالب، ومنهم من يردها إلى الرسول ﷺ"<sup>4</sup>، عن طريق ابنته فاطمة "سيدة نساء أهل الجنة وهي أول الأقطاب على الإطلاق"<sup>5</sup>.

ويعد السند في عرف المتصوفة أحد الأركان الأساسية الأولى "في مضممار الأصول التأسيسية لكل طريقة صوفية، إذ تُوصَلُ سلسلة السند الشيخ الحالي وصاحب الوقت بسُلطان الشيوخ الذين نقلوا الطريقة إليه وأخذ عنهم الطريق، وكل شيخ لا يملك إسناداً صريحاً من الشيخ الذي قبله بوصية أو شهود، مشكوك في مشيخته. يقول الشيخ اسماعيل الهادفي شيخ

<sup>1</sup> - أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني: البرهان الجلي. ص 2 - 3.

<sup>2</sup> - هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري، المشهور بالشعراني، العالم، الزاهد، الفقيه، المحدث، المصري، الشافعي، الشاذلي، الصوفي، يسميه الصوفية بـ: "القطب الرياني (ت 898هـ - 973 هـ).

<sup>3</sup> - أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني: المرجع السابق. ص 3.

<sup>4</sup> - حسن مرزوقي: الإسلام الطريقي ومستويات التأويل، مقال. دورية محكمة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات. العدد 2، سنة 2012م. ص 7.

<sup>5</sup> - المرجع السابق. ص 23.

الطريقة الإسماعيلية في توزر من الجنوب التونسي: "لا تنال الإمامة في هذا الشأن إلا من كان حصل له إذن من شيخه في هداية العباد وإرشاد الناس، ونشر الطريقة بصفة لا غموض فيها ولا التواء، بالإذن الموروث بالسند، واحد عن واحد إلى رسول الله ﷺ"<sup>1</sup>.  
والإسناد يكون في الطريقة كما يكون في الرواية، على أن الإسناد في الطريقة متعدد الأشكال والوجوه، غير أن شخصية سيدنا علي ﷺ تشكل حبل الوصال كون "جميع الطرق تنتهي إليه، إلا ما لا يصح سنده، وكان من طريق الاتصال الروحاني وكونه أول من تكلم في التصوف ومعارف القوم"<sup>2</sup>.

وبالعودة إلى قراءة مدونة الفكر الديني، وتصفح تاريخ التصوف الإسلامي، تبدو لنا ظاهرة تجمع المريدين حول كبار رجال التصوف واضحة منذ مراحلها الأولى، حيث "كان شيوخ الصوفية مركز تحلقٍ قد يكبر أو يصغر، يلتف حولهم أتباعهم ومريدوهم فيكونون جماعات متميزة داخل المجتمع الإسلامي يحيون طبقاً لتعاليم هؤلاء الشيوخ، وإرشاداتهم، ويعيشون في عالم روحي خاص بهم، تبعاً لمنحى كل شيخ منهم"<sup>3</sup>.

ولا يمضي زمن يسير حول هذا التجمع أو ذلك حتى يشهد بروز شيخ من الصوفية ويذيع صيته لثقاه أو لكرامته، تتحلق حوله جماعة من المريدين والمحبين تتلقى تعاليمه، وتطيع أوامره، وتستجيب لتوجيهاته، وتتخذ منه قائداً وهادياً لها في طريق الخلاص الروحي، ثم تتحول هذه التعاليم والتوجيهات - بمرور الأيام - إلى مُسَلَّمات مقدّسة، تُحِيطُهَا شعائر وطقوس، وتجذب الأتباع يوماً بعد يوم، وبهذا تنشأ طريقة جديدة أخرى تضاف إلى ما قبلها من عشرات الطرق، طريقة تحمل في العادة اسم مؤسسها أو شيخها، ذات طابع خاص بها

<sup>1</sup> - حسن مرزوقي: ص 6.

<sup>2</sup> - أحمد بن محمد بن الصديق الغماري: المرجع السابق. ص 23.

<sup>3</sup> - علي فهمي خشيم: أحمد زروق والزروقية. ص 151.

ومبادئ تعرف بها وتشتهر، وإن اتفقت في بعض الأصول مع طريقة سابقة لها كان الشيخ الجديد أحد أتباعها، إما بتبديل يسير في هذه الأصول أو بإضافة أصول أخرى إليها. على أنه لا بد في كل الأحوال من الاحتفاظ بخيط يربط بين مؤسس الطريقة الجديدة، وبين أحد مشاهير الصوفية السابقين، أو بجماعة منهم ممن كان قبله، يصله بمصدر الإشعاع الروحي الأول في الإسلام أعني رسول الله ﷺ عن طريق واحد أو أكثر من الصحابة الأكرمين. هذا الخيط الرابط هو ما يطلق عليه الصوفية اسم "السلسلة"، وهي لاغنى عنها لأي منشئ طريقة جديدة كي يمكنه من ممارسة سلطته ونفوذه على أتباعه، وتتوجب عليهم طاعتهم له واحترامهم لأوامره ونواهيه<sup>1</sup>.

فالصوفيون "يرون أن السند كلما كثر رجاله عظم الاستمداد منه والافتخار، خصوصا مع تباعد الأقطار في ذلك الوقت"<sup>2</sup>. وهكذا فإننا نجد عبر مسار تطور التصوف الإسلامي استمرار ميلاد الطرق الصوفية واستمرار تواصل السند فيها من لاحق إلى سابق عليه، مع ملاحظة أن جميع الطرق الصوفية الفرعية الناشئة في المغرب الإسلامي خصوصا تستقي تعاليمها وتوجيهاتها من أصول الشاذلية الذين حرصوا كل الحرص عبر مسارهم التاريخي "على إبقاء صلتهم بالقادرية في سلسلتهم التي تربطهم بالنبي ﷺ عن طريق علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين"<sup>3</sup>، وذلك عبر سنيين أحدهما سند "الإرادة" والثاني سند "التبرك" الذي يصل أبا الحسن الشاذلي بالحسين بن علي بن أبي طالب عن طريق "ابن مشيش، الزيات"<sup>4</sup>، أبي مدين، فعبد القادر الجيلاني"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - علي فهمي خشيم: مرجع السابق. ص 155 - 156 .

<sup>2</sup> - نفيسة الذهبي: اقتفاء الأثر. ص 80.

<sup>3</sup> - علي فهمي خشيم. ص 159 - 160.

<sup>4</sup> - هو عبد الرحمن بن الحسين الشريف العطار المدني الشهير بالزيات. ينظر نفيسة الذهبي: اقتفاء الأثر. ص 146-147.

<sup>5</sup> - علي فهمي خشيم: ص 160.

ولنا أن نقف عند هذه الحقيقة من أن كل شيخ مبتدئ في مضمار التصوف يسعى بجدّ لتوثيق صلته بالشيخ الذي يأخذ عنه بالمجالسة، أو الصحبة، أو الإرادة أو التبرك، أو بلبس الخرقة<sup>1</sup>، أو المشابكة<sup>2</sup>، أو حتى بالدعاء، كما حصل لأبي سالم العياشي الذي حرص على الانتساب إلى الشيخ العالم العلامة عبد الكريم الفكون القسنطيني حيث قال: "صحبتُه إلى المشرق وترددت إليه مرارا لزيارته والتماس بركاته، وطلب الدعاء منه فلما كنا بمدينة طرابلس طلبت منه أن أقرأ عليه شيئا في الحديث والتصوف، وكان ﷺ كثير النفور عن الخلق مؤثرا للخمول وترك القراءة وتعاطيها لما طعن في السن وضعف، فلما سألته ذلك استعذر فقال قد ضعفتُ ولم تبق فيَّ قابلية لذلك، وقد ذهب ذلك الزمان، ولكن مرادك الانتساب إلينا، فأنت ممّا وإلينا، منسوب إلينا، لك مالنا، وعليك ماعلينا، كما قال الإمام الشاذلي، وسررت بذلك، ورأيتُه غنيمة فزت بها، وقرأ لي فاتحة الكتاب ودعا، وجرى في المجلس ما فيه إشارة إلى بلوغ المراد، فله الحمد على صحبة أوليائه ومعرفتهم، والانتساب إليهم، إن لم أكن منهم فلي بمحبتهم عزٌّ وجاه"<sup>3</sup>.

وطبيعي أن تكون أشكال السند متعددة في الانتساب إلى الطرق الصوفية وإلى ربط حبل الوصال بمنشئها الأوائل ذلك أن "المريد لا بد له من الصحبة حتى يكون له مثل من الذين سبقوه في الطريق، ويجد العون في عبوره فيمضي فيها وهو يشعر أن ثمة من يرافقه

<sup>1</sup> - الخرقة عبارة عن طاقية أو قلنسوة أو ثوب أو عمامة، سواء كان الثوب للملبس أو للباس، ويكسو الملبس أو نائبه اللباس بيده قائلا: باسم الله كسوتك، وألبستك خرقة التصوف. ينظر: محمد مفتاح: الخطاب الصوفي، مقاربة وظيفية. ط1. مكتبة الرشاد. المملكة المغربية (1417هـ/1997م). ص153. فالخرقة: هي ما يلبسه المريد من شيخه الذي دخل في إرادته. ويرى الصوفية أن في لبسها معنى المبايعه، وأنها تمثل عتبة دخول المريد في صحبة الشيخ الذي يتولى تربيته، وتهذيب أخلاقه، وتقويم سلوكه. ينظر: عبد الحميد مدكور: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة. ص257. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. مصر. المكتبة الشاملة الحديثة. موقع الكتروني في الأنترنت. <https://al-maktaba.org/book/31586/272#p4>

<sup>2</sup> - المشابكة أو التشبيك تتم بأصابع اليد، "فأبو إسحاق إبراهيم الشاطبي الشهير شبك بأصابع أبي بكر بن عمر القرشي الذي شبك بأصابع أبي محمد عبد الله بن سلمون". ينظر: محمد مفتاح، المرجع نفسه. ص154.

<sup>3</sup> - نفيسة الذهبي: اقتفاء الأثر. ص 164.



ويشاركه همومه واهتماماته<sup>1</sup>. وهو في هذه الحال عليه أن يحسن اختيار الرفيق الذي يأخذ بيده ويوصله إلى بر الأمان، إذ سلوك الطريق ليس سهلاً في كل الأحوال، بل تتخلله الصعاب والمخاطر. "ولكي يكون المرید السالك في مأمن من نفسه وأهوائها آمنة من عثراته لا بد له من مرشد أو دليل خَبَرَ الطريق قبله وعلم مصاعبه وهو الشيخ الذي لاغنى عنه للسالك"<sup>2</sup>.

والشيخ بالنسبة للمريد السالك ك"الطبيب الذي تُعتمد معرفته بخواص المواد والأعشاب الدوائية على التجربة تماماً كما تُعتمد تجربته على علمه بها"<sup>3</sup>. ولذلك كان الشيخ زروق شديد الحرص على تنبيه المرید السالك إلى حسن اختيار قائده الروحي الذي يسميه "شيخ الحقيقة"، وهو لا يحتاج لشيء لأن صدقه يشمل كل شيء وهو الشيخ بمعناه الحقيقي، وهو يعامل المحب بالقبول، والمنتسب بالرعاية، والمرید بالاهتمام، مؤدياً حقه بعد أداء حقوق الله ورسوله<sup>4</sup>. وقد سار الشيخ أحمد بن يوسف الملياني على خطى شيخه زروق مؤكداً "في العديد من أقواله على أهمية دور الشيخ الذي لاغنى للسالك عنه في الاستعانة به على بلوغ القصد وإدراك الإرب"<sup>5</sup>.

وكان ابن عطاء الله السكندري أفضل من أبرز أهمية دور الشيخ في الأخذ بيد المرید ومنحه فضل الانتساب إليه، وفي بيان صفاته يقول: "ليس شيخك من سمعت منه وإنما شيخك من أخذت عنه، وليس شيخك من واجهتك عباراته إنما شيخك من سرت فيك إشارته. ليس شيخك من دعاك إلى الباب، إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب. وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك من نصر بك حاله. شيخك الذي أخرجك من سجن الهوى

1 - علي فهمي خشيم: المرجع السابق. ص 257.

2 - المرجع نفسه. ص 259.

3 - المرجع نفسه. ص 260.

4 - المرجع نفسه. ص 260.

5 - عبد الله نجمي: المرجع السابق. ص 141.

ودخل بك على المولى. شيخك الذي مازال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيها أنوار ريك. نهض بك إلى الله فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه ، ولا زال لك محاديا حتى ألقاك بين يديه ، فزجَّ بك في نور الحضرة وقال:ها أنت وريك!<sup>1</sup>.

فلا شك أنه عن طريق مثل هذا الشيخ تكتمل الصحبة الحقة بينه وبين مريده، ويحصل العهد الوثيق بينهما عن طريق الذكر بصورة المختلفة، بالقرآن الكريم، وبأسماء الله الحسنى، وبالشهادتين، والصلاة على النبي ﷺ وبالأوراد المعروفة في كل طريقة من الطرق الصوفية. وقد وقفنا على حياة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي مريدا من مريدي شيخه في الطريق أحمد زروق في بجاية وأنه كان ينشر مذهبه الصوفي في الإقليم الغربي للجزائر وحاضرتي فاس ومكناس في المغرب، قبل أن يستقل بطريقته الصوفية فيما بعد، هذه الطريقة ظلت تستمد بقاءها من تعاليم الزروقية، ولم تَحِدْ عنها إلا في بعض الجزئيات الشكلية التي استحدثها الشيخ أحمد بن يوسف في اتصاله بالعامّة، ومن المتعلقين به.

#### 4.1.8 الإسناد في المنقبة

يمكن الإشارة أولا إلى أن "الصباغ" لم يول أي اهتمام بالفصل بين المناقب والكرامات بل يكاد مصطلح الكرامة يختفي عنده تحت جناح المنقبة بمعنى تصبح المنقبة عنده رديف الكرامة وعنوانا لها، حيث نجد أن معظم المناقب التي ساقها حول الشيخ أحمد بن يوسف هي كرامات متحققة، وقد بينا سلفا أن كل كرامة صوفية تعد منقبة في اصطلاح كثير من النقاد والدارسين للخطاب الصوفي، مع العلم أنه ليس كل منقبة هي كرامة بالضرورة، وعليه فإنه نظراً لشيوع ورود مصطلح المناقب في المخطوط الدال على المفهومين معا سوف يجعلني أنظر إليهما من زاوية المعالجة التحليلية كمصطلح واحد في بعده الدلالي، وعليه

<sup>1</sup> - علي فهمي خشيم : المرجع السابق. ص261. وقد نقله من مصدر مخطوط للشيخ زروق بعنوان "عدة المرید الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت. مخطوط/الرباط. رقم 1157د.

فإن حديثي حول الإسناد في المنقبة هو عينه في الكرامة لا فصل بينهما، ذلك أن الصباغ ووظف مصطلح المنقبة للدلالة على الكرامة.

فالإسناد في المنقبة معناه ربط سند المنقبة بقائلها ربطا متسلسلا، أي إيصال السند إلى المصدر حتى لا يبقى في ذلك شك. وهو اتصال المنقبة بسلسلة المخبرين وضبط تراجمهم ونقل أخبارهم، وصفاتهم، وأحوالهم، وأزمانهم. ومن هنا فالإسناد هو اتصال الرواية أو انقطاعها. وبعبارة أكثر وضوحا هو عبارة عن تتابع رجال الإسناد، وتواردهم فيه واحدا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة، وهدفه التثبت والتأكد من الأخبار التي تُروى، والأخبار التي تُنقل، وربطها بمصادرها الصحيحة الموثوقة، وعليه فصيغة الإسناد أو (العنعنة) تمنح النص المنقبي مزيتين:

الأولى: قيمة الحدث المروي تكتسب مصداقيتها حين تعرف الجهة المنقولة عنها وتذكر بالاسم، ذلك دليل على أمانة السارد الذي نقل القصة عن الراوي فيقترب بذلك نمط القصة من نمط الأخبار والمرويات والأحاديث التي يعتبر فيها التوثق والإسناد وسلسلة الرواة.

الثانية: إن السارد حين يصرح بمصادره إنما يعلن عن (براءة) غير متحقة من مضمون القصة أو سمات أبطالها أو أسلوب السرد<sup>1</sup>. ذلك أن الراوي في كل مظاهر حضوره يروم اكتساب الثقة والقبول ضمن أفق معرفي قوامه الإخبار الرصين "متحريا في ذلك الصدق وموافقة الحق"<sup>2</sup>، إذ ليس فيه أدنى احتمال - حسب أحد الباحثين - "للتقول والاختلاق وللكذب والتزييف [...]" ولكل ما من شأنه أن يضرب صدقية الحكي ومصداقيته في الصميم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي. ص90.

<sup>2</sup> - الهاشم اسمهر: عتبات المحكي القصير في التراث العربي الإسلامي: الأخبار والكرامات والظرف. ص267.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص267.

إن مسألة السند عند الصباغ ليست مجرد ديباجة شكلية تنصدر مقدمة المنقبة وتشكل خط عبور نحو متنها، بل يبدو السند عنده أجل وأخطر من حيث هو آلية تأسيس للحقيقة المطابقة للواقع المحكي، وها هنا يلتقي الصباغ مع غيره من مؤلفي المناقب في توحيد الغاية والتصور المفضي - حسب عبارة فرج بن رمضان - "إلى تعزيز تواتر الكرامات، وتوسيع دائرة الإجماع حولها، مما لا يتحقق إلا بانخراط القارئ في التعريف الصوفي للكرامة بما هي حدث خارق للعادة وانتهاجه في قراءة نصوصها منهج المؤلف ومن يعرفه أو يعترف به من جمهور أهل المعرفة، أي اعتبارها من حيث الوظيفة المرجعية صحيحة خاضعة بالتالي لمبدأ الحقيقة"<sup>1</sup>.

والقراءة المتأنية لنصوص المناقب التي ذكرها الصباغ تكشف القناع عن إدراكه العميق لفاعلية السند، ودوره الكبير في التمكين للكرامة من وجدان الناس بغرض التأثير، والتوجيه، وحمل المتلقي على التصديق بها، ومن ثمة تمهيد السبيل نحو بلوغ الولي عرش الولاية. وبالعودة إلى استقراء نماذج المناقب التي انتخبها "الصباغ" في "البستان" نكتشف مدى تنوع صيغ السند فيها ومحاولته إضفاء طابع الصدق في منشئها ومحتواها، وعلى مدار 64 منقبة تم سردها تتعلق بالشيخ أحمد بن يوسف، وقع فيها جميعا التحديث عن طريق الرواية الشفوية والمعينة الشخصية من الصباغ للرواة الذين أمدوه بهذه المادة العزيزة المنال، فقد ذكر أسماءهم، ووصف درجات صدقيتهم في المحكيات التي نقلها عنهم بصيغ مختلفة، حصرها في أربعة أنماط هي: التحديث، والإخبار، والحكي، والرواية. وتشكل الصيغتان "حدثني وأخبرني" النسبة الغالبة ضمن صيغ السماع المعتمدة، وتليهما صيغة "حكى" وقد وردت ثلاث مرات في المناقب رقم 13.12.6، ثم صيغة "روي" مرة واحدة فقط في المنقبة رقم 3. والباقي من المجموع المقدر بـ 60 منقبة تتقاسمه صيغتا "حدثني"، و"أخبرني"، وتنفرد صيغة التحديث بحصة الأسد بمجموع 53 منقبة، وتليها صيغة "أخبرني" بـ 7 مناقب. وتتسم

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان. ص 178.

المناقب المنقولة بواسطة الحكي والرواية بطابع المجهولية أي عدم معرفة الحاكي أو الراوي على شاكلة المنقبة رقم 3، حيث قال الصباغ: "ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف ما "رُوي" أن سرقة...، فالملاحظ أن الراوي مجهول التعيين وهو ما يدخل في صيغة العموم وما يتناقله الناس في أحاديثهم اليومية، ويضاف إلى هذه الصيغة صيغة الحكي المجهول الراوي في المناقب المشار إليها أعلاه بقوله في المنقبة 12: ومنها ما "حُكي" أن رجلاً يقال له علي ابن أحمد الكثيري...، إن هذه الصيغة والتي قبلها تتدرجان ضمن ثقافة العامة وحديثهم اليومي وهو ما يفتح المجال للتقوّل والزيادة والتحوير في شكل المروي من جهة، ومن جهة أخرى تكشف هذه الصيغ عن افتقار الصباغ للسند الحقيقي لمصدر الرواية، ولعل استدراكه بذكر شخص "علي بن أحمد الكثيري" ما يقلل نسبياً من الطعن في مصداقية الرواية، كون هذه الشخصية معروفة لدى العامة وينطبق عليها من حسن الخلق وطيب السمعة ما يجعلها بمثابة السند وهو ما يكسب المنقبة مصداقيتها.

أما القسم الأكبر من مناقب الصباغ وعددها 60 منقبة كما أشرنا سلفاً، فإنه يعتمد على إبراز السند فيها بشكل قوي من خلال صيغتي "حدّثني"، و"أخبرني"، وإن كانت الثانية أقل وروداً من الأولى، إذ لا يتعدى عددها سبع مناقب من المجموع السابق، إن وقوع فعل التحديث والإخبار على المؤلّف "الصباغ" بلا واسطة يعضد من مصداقية الرواية ويقويها، إذ كلّما قلّ عدد الوسطاء بين الراوي والمروي له في التحديث الشّفوي تحقّق القرب من المصدر، وكانت احتمالات الخطأ أو الخلل فيه قليلة. ورغم ذلك فقد احتاط الصباغ لهذا الجانب أكثر وعوّل على إبعاد أي مظنة بالسوء لما ينقله من روايات وأخبار من خلال تعزيز صحّة السند بلواحق إضافية داعمة من قبيل "الثقة"، "العدول"، "الولي الصالح"، "بعض أكابر القلعة"، "غير واحد". والمتحدّثون المتّصفون بالثقة عنده في مستويين :

1- مستوى الثقة الذاتية للصباغ في الراوي والتي عبّر عنها في قوله: ومن مناقب

سيدي أحمد بن يوسف ما حدّثني به من "أثق" به، أو ما أخبرني به من "أثق" به.

2- مستوى الثقة الغيرية في الراوي والتي عبّر عنها بقوله: ما حدثني به من "يُوثَّق" بقوله في المنقبة 42، وكذا ما أخبرني به من "يُوثَّق" بقوله في المنقبة 47، والفعل في كليهما مبني للمجهول ولكنه غير مستغرق في المجهولية لتصدره باسم الموصول (مَنْ) وهو من المعارف في عرف النحاة، ومفاده أن حصول ثقة الناس بالراوي كافٍ لأن يُعدَّ صاحبَ ثقةٍ في نظر الصباغ، ومعلوم أن الثقة بالشخص لا تحصل إلا بالمجالسة والمصاحبة والعشرة الطويلة، ولا يلبس الشخصُ ثوبَ الثقة إلا إذا كان أهلاً لها، ومتصفاً بها، بشهادة العامة من الناس وخاصتهم.

وثمة نمط آخر من السند يصنف في دائرة الصحيح والصريح وذلك بذكر اسم الراوي بالذات مثل قوله: "حدثني محمد الهواري المصراتي" في المناقب 1 . 20 . 21 . 22 . 23 . 24 . وما حدثني به أخي "سيدي علي" في المنقبة 25، وكذلك قوله: أخبرني بهذا المرابط "عبد الله" في المنقبة 30، وما بعدها. إن ذكر هؤلاء الرواة بأسمائهم سبيل إلى دفع مظنة الشك فيما يرويه من أخبار عن هذا الولي وَيُسَوِّغُ لمصداقية الرواية

وجاء السند في مناقب أخرى بصيغة "العدول" على لسان "الصباغ" بقوله في المنقبة 8: ما أخبرني به "العدول" من أهل قلعتنا، وردت جمعا ومفردها عدل وعادل<sup>1</sup>، هذه الصيغة نابت عن ذكر أسماء هؤلاء العدول، وكأني بالمؤلف على يقين كامل بمعرفة الناس هؤلاء العدول معرفة يقينية تغنيه عن تعيينهم وتخصيصهم بالتسمية، ولا يتصف بالعدل إلا من صحت عقيدته، وحسنت أخلاقه، وظهر حلمه، وورعه، والعدول إشارة إلى الكثرة والتعدد مما يدفع أي احتمال إلى حصول الريبة، والظن، في مصداقية الرواية والخبر المنقول، إذ لا يتواطأ الجمع على الكذب.

<sup>1</sup> - جاء في لسان العرب: العدل ضد الجور، وعدل الحاكم في الحكم يعدل عدلا وهو عادل من قوم عدول، والعدل الحكم بالحق. لسان العرب، ج 10. ص 61.

وقد تنوع السند عند المؤلف بصيغ أخرى بما يبدو للقارئ العادي بمظهر التكرار وعدم التعيين في قوله في المنقبة 4: ما حدثني به "بعض أكابر قلعتنا"، حيث ينسحب عليه ما فصّلناه في صيغة العدول من الدلالة على التخصيص والتعيين المتحقق في العبارة "بعض أكابر"، فالبعضية هنا تحتمل التعدد الذي يتعدى الفرد الواحد، وعند إسناده إلى "أكابر القلعة" تحصل مزية التعريف بالراوي وتقوي مصداقية سند الرواية بما يضيفه لفظ "أكابر" من دلالات حافة من قبيل الصدق، والأمانة، والموضوعية والثقة، إذ يحصل الاطمئنان إلى حضور هذه الصفات في الكبار دون الصغار وهو ما يحمل المتلقي على قبول ما يُروى له، بل ربما يعمل على ترويجه وإشاعته لاحقاً.

وينسحب الأمر نفسه على مصطلح "غير واحد" فدلالته الكثرة المتواترة على رواية الخبر الواحد في قوله في المنقبة 10: ومن مناقبه ما حدثني به "غير واحد" إنه تلميح إلى أن ما سيورده من أخبار قد تمّ بالمعينة وتحصّل عليها بالمخالطة عبر قناة السماع المباشرة من مصادر متعددة، وأنه ليس مجرد ناقل أو حامل لها كما قد يُظنّ، والهدف من كل هذا التحوُّط هو إسقاط التّهيب من الإقبال على المحكي، إذ لا يمكن أن يتواطأ الجميع على الكذب، وما على المتلقي إلا أن يحذو حذوه، وأن يأخذ ما يرويه محمل الصدق.

مصطلح آخر وظفه الصباغ قاصداً به تحقيق السند في المنقبة وتعزيز اعتقاد المعتقد فيها وهو "الولي الصالح" إذ لم يكتف بذكر اسمه فحسب على غرار ما فعله مع رواة آخرين، بل عمد إلى ذكره بصيغة السموّ والتمجيد في قوله في المنقبة 17: ومنها ما حدثني به "الولي الصالح" سيدي يحي المغراوي، فالولي هو الشخص المحب لربه المطيع له المتقرب إليه بالفروض والنوافل، ولذلك خصه بالتشريف ورفع مقامه وكشف الأسرار له ومنحه مزية خرق العوائد، فهو من أهل الثقة والأمانة والخير والصلاح، فكيف يتسرب الشك إلى الأخبار التي يرويها الولي؟. يقول ابن مريم المديوني: "الاستماع إلى قصص الصالحين، وحبهم،

واحترامهم مع نية الاقتداء بهم عبادة وكفارة للذنوب"<sup>1</sup>. وأن الشخص الذي "ليس له فيهم اعتقاد لا يفيد فيه الإسناد، وأن من اعتقدهم فإنه ينتفع بما سمع عنهم"<sup>2</sup>. وقد مرَّ بنا أن الصباغ مؤمن بقدرات الأولياء ومعتقد في كراماتهم إلى حدّ جعله يتوعد المنكرين لهم ويتنبأ لهم بسوء العاقبة على حد قول الياضي: "أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم"<sup>3</sup>.

وعلى هذا التوجه حاول الصباغ عبر سلسلة رواته إقناعنا بأمانتهم، لأن حصول الثقة بهم يؤمّن طريق السند، ويعزّز من مصداقية المرويات الشفوية، بل وكأن هذه المرويات يجب أن تروى عن الغير لاكتساب شرعيتها حسب عبارة فرج بن رمضان "إذ على تلك الهيئة يبدو الراوي الأخير في موقف المحايد فإن هو إلا ناقل لما بلغه، مما يعزز من مصداقية المروي ويحمل المروي له على ما قد يكون من استغرابه وحتى استنكاره، على الإسهام قليلا أو كثيرا وبأي وجه كان، في ترويجه وإشاعته، ثم بالترويج والرواج والإشاعة والتواتر عبر المكان والزمان لا تعزز مصداقية الراوي فحسب وإنما يتأكد صدقه بل يقينيته بحيث لا تشوبه شائبة من شك أو تحفظ"<sup>4</sup>، فما يرويه هؤلاء حسب محض صدق، فليس أمام المتلقي إذن حسب عبارة الهاشم أسمهر "سوى التصديق الفوري والقبلي والمطلق، والنأي عن كل مشاكسة وامتناع عن تقبل الحكي بوصفه لا يأتيه الباطل ولا يعتريه الفساد، إنها معادلة أخرى في السرد الإسلامي العربي: الحكي مقابل الانقياد"<sup>5</sup>.

1 - ابن مريم المديوني : البستان. ص 15.

2 - الهاشم أسمهر : عتبات المحكي القصير. ص 269.

3 - الياضي عفيف الدين: روض الرياحين في حكايات الصالحين. ص 5.

4 - فرج بن رمضان: مرجع سابق. ص 178.

5 - الهاشم أسمهر: المرجع السابق، ص 275.

\* - يركز التمثيل على استحضار سلوك بعض الصحابة الذين يشكلون النماذج العملية للصدور عن تعاليم الإسلام في حطهم وترحالهم. ينظر: الهاشم أسمهر، المرجع نفسه. ص 284.



نخلص مما تقدم ذكره من تبيان ألوان السند الوارد في المناقب والكرامات التي ذكرها "الصباغ" في البستان وتعدد المصطلحات المبيّنة له، أن الهدف من ذلك كله واضح جلي، وهو إضفاء الشرعية، وتلمّس أسباب القبول للمحكيات المدرجة ضمن هذا الكتاب من خلال تجسيد كل ألوان الخارق وفوق الطبيعي فيها، وذلك من أجل تسريبها إلى الوعي الجمعي بوصفها إحدى دعائم الإيمان الصحيح. وهو ما يضمن استمرارية مشروع سلطة الولاية.

## 2.8 وظائف خطاب المنقبة في المجتمع:

لاشك أن مؤلفي المناقب والكرامات الصوفية ليسوا أشخاصا موضوعيين، بمعنى ليسوا مجرد كتاب مبدعين فحسب، بل إلى جانب خاصية الكتابة الإبداعية في جنس سردي متميز "كالمناقب"، ثمة خاصية أخرى تميز بها هؤلاء المبدعون وهي خاصية الحذق. إذ من أجل تحقيق غاية وهي "تعبيد الطريق وجعلها واطئة أمام المحكيات الكرامية التي تعج بأفعال تصدم العقل وتخرق المألوف، شمر أصحاب هذه الخطابات عن سواعدهم وقد وضعوا نصب أعينهم هدفا واحدا: إدخال الكرامة إلى الحقل الديني وزرعها فيه بما يضمن لها المشروعية والشرعية على حد سواء، ولم يسع هذا الخطاب التأثيلي إلى تشغيل الآليات الحجاجية والأدوات البرهانية، إنما كان يبني أساسا ويستند إلى التمثيل\* والنصوص النقلية، ولربما يعود السبب إلى عدم الرغبة في إثارة الأذهان واستفزازها قبل التمكين للكرامة في الوجدان"<sup>1</sup>.

وتكاد تتفق معظم المدونات المنقبية على إحصاء ما ينيف عن - خمسة وعشرين نوعا من الكرامات<sup>2</sup>، منها: إحياء الموتى، والمشي على الماء، وتكليم الجمادات، والحيوانات، وطي الزمان، وإمساك اللسان عن الكلام وإطلاقه، والصبر على عدم الطعام، والشراب لمدة طويلة، والقدرة على تناول الكثير من الغذاء، والهيبة المؤدية إلى الموت عند رؤية بعض الأولياء، وسبر نخائر الأرض، والاطلاع على أسرار الغيب، وإشفاء المرضى، ورد السرقات، وإطعام عدد كبير من الفقراء بقليل من الطعام، ورفع المظالم، والاقتصاص من ظالم، وتحرير الأسير من الأسر، وتأمين الناس ضد جور السلطان، وإغاثة المسافرين، والتنبؤ بما سيقع قبل وقوعه. "وإن من أهم المعالم في سيرة الأولياء عند الصوفية هي المقدرة

<sup>1</sup> - الهاشم أسمهر: المرجع نفسه. ص 287.

<sup>2</sup> - يقول القشيري: "هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة، وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر، أو حصول ماء زمن عطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليصا من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة". ينظر: الرسالة القشيرية. ص 522.

على "الفراسة"، "انقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله". وهناك روايات كثيرة عديدة عن كيفية كشف الشيخ عن خوالج قلوب أتباعهم واكتشاف ما إذا كان المرید به آثار من العجرفة الروحية أو النفاق بمجرد أن يقف أمامه"<sup>1</sup>. وغيرها من الكرامات.

لقد رفع خطاب المناقب من وتيرته التأثيرية وكثف من أجهزته التبليغية قاصداً بذلك إلى إحداث نوع من التعبئة المفضية إلى تحقيق الوظيفة "الإقناعية لاستساغة الكرامة، فانشغل بالتوجه إلى العقول بما بدا له قميماً باستمالتها"<sup>2</sup>، ومن ثمة سعى إلى "الزج بالمتلقي في أتون عالم تنتقي فيه أبسط مقومات النظر العقلي، فالعقل مغضوب عليه مدحور، وتستأسد الغرابة والخارق للذان لا يراد ممن يصادفهما سوى التسليم"<sup>3</sup>. وعليه فقد حققت استراتيجية خطاب المناقب أهدافها من خلال أجهزة الكرامة وآلياتها التأثيرية من حيث الزج بالمتلقي في أتون المغالاة "والاعتقاد في الأولياء والمجاذيب والتماس بركاتهم والتفاؤل بكلماتهم والتشاؤم بإشاراتهم، وقد كانت النفوس مقروحة والقلوب مكلومة"<sup>4</sup>، جراء ما نالها من ويلات، وحروب، وفتن، وانقلابات سياسية، وانعدام الأمن، وانتشار اللصوصية، وتفشي الأمراض، والمجاعات.

لقد استبطن مؤلفو المناقب في مدوناتهم عدداً من الوظائف والأبعاد المختلفة غير أننا يمكننا أن نسجل طغيان حضور الوظائف الاجتماعية بشكل لافت للنظر في نصوص المناقب والكرامات بوصفها مرآة تعكس هموم المجتمع وانشغالاته وطموحاته، وتضطلع بإيجاد حلول لمشاكله وهواجسه. وعلاوة على الوظائف الاجتماعية للخطاب المنقبي ثمة وظائف أخرى يمكن معاينتها بقليل من التركيز كالوظيفة السياسية، والوظيفة النفسية، والوظيفة التنبؤية، والوظيفة الأدبية الجمالية. وسنعالج كل صنف من هذه الوظائف بشيء

<sup>1</sup> - أنا ماري شيميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف. ص 234.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 296.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه. ص 239.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه. ص 298.

من التركيز محاولين التدليل عليها بالنصوص الواردة في "البستان" ولتكن الوظائف الاجتماعية أول ما نخص بالتعيين والتحليل.

### 1.2.8 الوظيفة الاجتماعية للمناقب

تعددت صور الوظائف الاجتماعية وأشكال تحقُّقها في المناقب التي أوردها "الصباغ" في متن "البستان" إذ تلخص إجمالاً مختلف الأدوار التي اضطلع بها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي في علاقته بأتباعه ومريديه، وعامة الناس، ذلك أن تلك الأدوار ما كان ليقوم بها من غير أن يربطها بغايات ومقاصد تخدم في الصميم استراتيجيته البعيدة الأمد المتمثلة في تحقيق الهيمنة الروحية والبقاء، وتسويغ فلسفة وجوده القائمة على ممارسة سلطة كاريزماتية تتجلى في سلسلة الأفعال والأقوال ومختلف آليات التأثير المفضية إلى تكريس سلطة الولي تحديداً.

ولكي تتحقق سلطة الولاية على الأتباع يجب أن تخضع لمبدأ المقايضة، بمعنى أن التسليم بالطاعة يمر عبر تحقيق المصلحة التي يقول بشأنها "ماكس فيبر": "إن أية علاقة حقيقية للسيطرة تشتمل على حد أدنى من إرادة الطاعة، وبالتالي على مصلحة خارجية، أو داخلية في الطاعة"<sup>1</sup>. وتؤكد إحدى الباحثات هذا الرأي بقولها: "لا سيطرة كاريزماتية بدون إرادة في الطاعة، ولا إرادة في الطاعة بدون مصلحة في الطاعة. أما هذه المصلحة فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقدرة الأولياء على قضاء حوائج الناس، وبالاعتقاد والإيمان أن قضاء حوائجهم إنما هو بفضل تلك القدرة، ويتدخل مباشرة منها مهما تكن الأسباب الفعلية أو الموضوعية لقضاء هذه الحاجة أو تلك، وبالتالي تصبح السيطرة الكاريزماتية واستمرارها رهن هذه النجاحات المادية التي يحققها الولي لفائدة معتقديه، ووفقاً على المنافع التي يجنونها من

<sup>1</sup>-M.WEBER: Economie de Societé. نقلًا عن: نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع. دار الفارابي. ط1. بيروت،

طاعتهم"<sup>1</sup>. فهل تستمر السيطرة الكاريزماتية على الأتباع في حال توقف النجاحات المادية التي يحققها الولي؟.

يجيب "ماكس فيبر" عن هذا السؤال قائلاً: إذا لم يأت ما يثبت الكاريزما وإذا بدا صاحب النعمة الكاريزماتية وكأنه مودع من طرف ربه (أو من طرف قوته السحرية أو قوته البطولية)، وإذا بقي مدة طويلة دونما تحقيق نجاح، وإذا لم تأت خاصة سلطته أو سياسته بأي ازدهار للذين يسيطر عليهم، فإن سلطته الكاريزماتية توشك أن تزول"<sup>2</sup>. ذلك لأن اعتقاد الأتباع بأن تحقق هذه المنافع إنما هو بفضل بركة الولي، وتدخله في الأمر، فإذا توقف عطاء الولي وتوقف الاستمداد من بركته، هجره الناس، وربما انضوا تحت لواء ولي آخر، لذلك كان التنافس شديداً بين الأولياء من أجل تكريس الغلبة على بعضهم، ومن ثمة إبقاء الهيمنة الروحية على الأتباع، والمريدين، وعامة الناس.

وبالعودة إلى "مخطوط الصباغ" وملاحظة مختلف المناقب الواردة فيه يمكن إدراك أهمية ما يسمى بالكرامات الاجتماعية المتصلة بشؤون الحياة اليومية المادية من أمور معيشية تشكل عصب الحياة الاجتماعية للإنسان كإطعام الطعام، ونجدة المستغيثين به، وتأمين الأمن لهم في حياتهم، ومعاشهم، وإشفاء المرضى من الأمراض المستعصية، ورد المظالم عن المستضعفين، وإيواء الناس، والفصل في النزاعات، والخصومات بين الناس، وغيرها من الأدوار التي اضطلع بها الولي في الإقليم الغربي من الوطن.

من الكرامات المتعلقة بإحلال البركة في القليل من الطعام وتكثيره ليكفي عدداً كبيراً من الناس ما ذكره "الصباغ" في "البستان" حيث قال: "ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله ما حدثني به محمد الملقب القبيني بن السيد محمد الملقب الحاج القلعي: ذهبنا لزيارة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله ونحن خمسة عشر رجلاً، وقد أضر

<sup>1</sup> - نللي سلامة العامري: الولاية والمجتمع. بتصرف. ص 287.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 287.

بنا الجوع، فلما وصلنا إليه وسلمنا عليه إلى الليل بعث لنا قسعة فيها طعام يأكلها اثنان لا زايد<sup>1</sup>. فدعا فيها الشيخ وكذلك تلميذه الولي الصالح على ما أذكره بعد هذا \_إن شاء الله\_ عند ذكرنا لتلاميذه الفحول وهو سيدي محمد العنتري الواضح، فأكلنا من الزلافة على صغرها، بأجمعنا وهي كأنها لم يؤكل منها شيء<sup>2</sup>.

ولم يتوقف دور الولي عند إطعام الطعام كما جرت عادة غيره من الأولياء، بل نراه يتدخل في مجالات اجتماعية أخرى يطلبه فيها الناس من قبيل نجدة المستغيثين به وقت الشدة، مثل تعرض البعض لعصابات قطاع الطرق واللصوص، فقد ذكر "الصباغ" مناقب في هذا المجال حيث قال: "ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف ما حدثني به عمارة بن عبد الله ابن عيسى القلعي أنه قال: "أتيت بحمير عليها تلاليس قمحا، فعرض لي بعض اللصوص فأخذوها ورفعوني معهم، ثم ألهمني الله فاستغثت بالشيخ سيدي أحمد بن يوسف، فسخرهم الله ببركة الشيخ فردوها وأطلقوني وبلغوني لمكان الأمن"<sup>3</sup>.

وبركة الولي تعم عموم المجتمع، وتحيط بكل شريان حياة الناس، فهو المخلص لهم من كل نائبة تحل بهم، وبمجرد الاستغاثة به يُغاث المستغيث به في الحال، كما حدث لرجل عجز عن اجتياز واد حمل حملة عظيمة هو ودابته في ليلة شديدة البرودة فكانت نجاته على يد الولي الذي أغاثه وقطع به الوادي سالما. وقد ذكر "الصباغ" هذه المنقبة قائلا: "ومنها ما حدثني به عطية بن خنانس العربي أن الشيخ حدثه مشافهة وأنه قال: أتى رجل بدابة عليها حمل ثقيل من الجزائر إلى نهر "مينة" فوجده حاملا بماء الأمطار حملة عظيمة، وهو وحده في ليلة شديدة البرد، فخاف على نفسه وماله ودابته، فاستغاث بي، قال الشيخ: "حملتني الملائكة وجعلتني كالقنطرة على الوادي من العودة إلى العودة، واجتاز الرجل بدابته، وإني لا

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ. والصواب: "زائد". وظاهرة الميل إلى تخفيف النطق بالهمزة إلى الياء شائعة في هذا المخطوط.

<sup>2</sup> - "الصباغ": "البستان" المنقبة السادسة والخمسون. ص [32ظ].

<sup>3</sup> - المصدر نفسه: المنقبة السابعة والخمسون. ص [32ظ].

أحس بحافر الدابة في جوازها علي، ثم إلى الغد قدم الرجل وأخبرني بالقصة". فقلت له: "دَادَاك"، أو كلام نحو هذا، واختصرت القصة لطولها<sup>1</sup>. وعبارة "دَادَاك" الزناتية تقرُّ بالعجب والغرور الذي بلغه الشيخ أحمد بن يوسف في إشعار الناس بقدراته، حيث يتنافى ذلك مع حقيقة الولاية في العرف الصوفي من وجوب كتمان سرِّ الولاية عن الناس خشية الافتتان وفساد العقيدة، ولكن حب المكاسب الدنيوية أعمى كثيرا ممن ادعوا الولاية. والصباغ لم يتوقف عند ذكر كرامات شيخه وتحققها في مجال الاستغاثة، بل عضدها بكرامات من سبقوه من الأولياء من أجل ترسيم ولايته وجعلها امتدادا لولاية قطب الأولياء "عبد القادر الجيلاني"، وكأني بالصباغ يحسُّ بأنه لا "يمكن الاطمئنان إلى صدق المبشر به إلا إذا تحققت الكرامة للأتباع المتميزين<sup>2</sup> من قبله، من أمثال سيدي يحي وأبي عمران، ولذلك فقد أورد مناقبهم استئناسا بهم، ودعما لولاية الشيخ أحمد بن يوسف، حيث قال: "أخبرني من أثق به أن رجلا أتى بتليس قمحا من البادية لهوارة، حتى إذا كان بموضع يقرب من هوارة وقع له التليس على ظهر الدابة، والموضع خال لا أحد فيه، وضافت العشية، قال الرجل: وخفت اللصوص والسباع، فاستغثت بالوسيلة عند الله سيدي عبد القادر الجيلاني، فإذا بفارس عليه ثياب بيض على فرس أشهب فقال لي: "الرجال الفحول بقربك وأنت تستغيثني من بغداد؟!"، فقلت: "وأين الرجال يا سيدي؟ لكوني لم أر أحدا؛ لخلاء المكان المخوف". فقال: "يحيى وأبو عمران بقربك". ثم رمى التليس على الدابة، وأخذه، فالتفت فلم أجده. تأمل يا فقيه في تعظيم سيدي عبد القادر الجيلاني لجدنا سيدي أبي عمران، وفرعه سيدي يحيى \_أفاض الله علينا وعلى عاقبنا من أنوارهم، وألحق خلفنا بسلفنا بجاههم عند الله، أمين يارب العالمين.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه : المنقبة التاسعة والخمسون.ص [32ظ].

<sup>2</sup> - الهاشم أسمهر : مرجع سابق.ص285.

وبركة هؤلاء وصدق ولايتهم أرغمت الزعماء والأمراء على التصديق بكراماتهم والاعتراف بقدراتهم. فهذا أمير تلمسان المتجبر يذعن لسلطة الأولياء، ويصدق بكراماتهم، وقد أورد الصباغ في البستان ما يثبت ذلك في قوله: ومن كرامة سيدي أبي عمران ما أخبرني جماعة من حفدته أن سيدي عبد الرحمن بن علي حفيد الشيخ سيدي أبي عمران، كان مشرفاً لأمير تلمسان، رفع له مرة ذهباً من الجبايا المخزنية، فقلب الأمير الذهب فوجده زائفاً فرده للحفيد المشرف المذكور فقال له: يا أمير المؤمنين، ننظر من يسلفني من أهل تلمسان، ثم إن المشرف ركب فرسه، وأتى لقبر جده سيدي أبي عمران في هوارة في الحين، فوضع الذهب عند قبر الشيخ، وبات عنده إلى غد، ورد له لوعائه، وذهب به مسرعاً لتلمسان، فأعطاه للأمير من غير أن يخبر بذلك أحداً، فقال له الأمير: "هذا هو الذهب الجيد، وليس كالأول الرديء"، فقال له الحفيد المشرف المذكور: "يا أمير المؤمنين، لي الأمان إن أخبرتك؟"، قال له: "لك ذلك"، فقال المشرف: "هذا هو الذهب الأول الذي رددت لي، فقال: "وكيف ذلك؟"، قال: "ذهبت لضريح الشيخ سيدي أبي عمران ووضعت على قبره، فزينه الله بين عينيك، فتعجب الأمير من ذلك، وتحققت عنده ولاية سيدي أبي عمران، وأكرم الحفيد وعظمه؛ رَعِيًّا لجده سيدي أبي عمران؛ وما ذلك إلا من فضل الله ورحمته في أسراره التي جعلها في أوليائه".

إن حرص الصباغ على إيراد مثل هذه الحكايات التي تثبت قوة شوكة الأولياء هدفه التمكين للشيخ أحمد بن يوسف في مضمار الولاية الصوفية من خلال تأصيل مصدر الكرامات بكونها من روح الإسلام وسرّ من أسرار الدين، يهبها الله لمن يريد من خلقه ويجعلها باقية فيهم إلى يوم الدين يرثها خلف عن سلف من خواص الناس مثلما تحقق ذلك عملياً.

وإلى جانب كرامات الإغاثة والنجدة ثمة أمثلة عن المناقب التي تحققت فيها كرامة إشفاء المرضى وذلك ما ذكره "الصباغ" في المنقبة الستين حيث قال: "حدثني عطية ابن



خنانس أن الشيخ قال له: أنا راحل من رأس الماء من وطن بني راشد ولم يبق غيري وأنا ألبس المهاميز، وإذا برجلين أتيا بنعش ووضعاه بين يدي فإذا بامرأة مريضة بالداء العضالي، فقال لي زوجها: "اطلب الله أن يشفيها". ثم إنه ذهب مع صاحبه وتركها بين يدي كالميتة فقلت: "إلهي وسيدي ومولاي بحق نية هذا الرجل وقصده إلا شفيتها". ودعوت الله وابتهلت إليه، ثم إن المرأة قامت كأنما أطلقت من عقال. فقلت لها: "الحقي بزوجك"، فذهبت تجري في إثر زوجها وصاحبه وتشير إليهما إلى أن وقفا، ولحقتهما كأنها لم تمرض قط<sup>1</sup>.

وفي موضوع الإشفاء أيضا يورد الصباغ منقبة أخرى تُبين تَمَكُّن الشيخ أحمد بن يوسف من الاضطلاع بهذه الوظيفة وتصدره لها "قائلا": "حدثني الطالب محمد عرف بالهوارى البومنجلي أن رجلا أتى بزوجه للشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ وبها داء عظيم في جسدها، فقال الزوج للشيخ: "أحب أن تجعل يدك على الداء"، فامتنع الشيخ، فحلف عليه الزوج بيمينه، وغلظ عليه فيها، قال الشيخ عند ذلك: "قتلت نفسي قتلة حتى صارت المرأة والجماد سواء، فمسحت يدي على الداء فعافاها الله في الحين، وانصرفت فبقيت رائحة الداء في يدي مدة طويلة"<sup>2</sup>. إن مثل هذه المناقب تعج بها المدونات المنقبية في تراثنا الصوفي وتكاد النصوص ذاتها تتكرر في كل حقبة وظرف تاريخي معين، مع تغير أسماء الشخصيات الولائية، وأن الأهداف والمقاصد هي نفسها، وهي إحكام السيطرة، وإثبات الذات، وفرض مشروع الولاية عن طريق سياسة ملء الفراغ السياسي الذي أفرزه ضعف نفوذ السلطة السياسية، ولعب الولي دور المنقذ والمستجيب للحاجات المختلفة للناس.

### 2.2.8 الوظيفة النفسية

لايزال التخصيص والتشريف الذي حظي به عبد القادر الجيلاني في زمانه مستمرا في باقي الأزمنة، حيث يجد جدواه في تربة الأولياء من بعده من حيث يُستدعى مرة أخرى

<sup>1</sup> - ينظر البستان: المنقبة الستون. ص [33و].

<sup>2</sup> - ينظر المصدر نفسه: "المنقبة الواحدة والستون. ص [33و].

كنموذج مستنسخ لتجربة سابقة تُعاد صياغتها بألف صورة وطريق، "والغاية واحدة والقصد متحد، والهدف مشترك، وهو خصوصية الولي وفرادته، وتنزيهه عن الشبيه والمثيل، ورفع عن الند والمضارع. ولقد تفننت كتب المناقب في التعبير عن هذا التوجه، وفي إعادة صياغة هذا النمط"<sup>1</sup>.

ونصوص المناقب التي أوردها "الصباغ" لم تشذ عن سنة من سبقوه من مؤلفي المناقب الذين رفعوا من شأن مترجميهم والسمو بهم إلى مقام النبوة. فهو لا ينفك "ينظر إلى شيخه بعين التقديس والتعظيم، وبعين التمجيد والتفضيل"<sup>2</sup>، متأثراً بمنهج من سبقوه وطريقتهم في تقديم شيوخهم. ففي ترجمته للشيخ أحمد بن يوسف نقراً: "كان رحمه الله من أعيان مشايخ مغربنا، وعُظماء العارفين، وأئمة المُحقِّقين. صاحبُ الكراماتِ الخارقة، والأفعالِ الظاهرة، والهممِ السامية، والمواهبِ الربانية، والأسرارِ الملكوتية، والحضرةِ القدسية. له القوةُ الشديدةُ في أصولِ النّهاية، واليدُ البيضاءُ في أحكامِ الولاية. وهو أحدُ أوتادِ المغرب، وأحدُ أركانِ هذا الشأن، وأعظمُ الأئمةِ البارعين، وساداتِهِ المُحقِّقين، وأفضلُ العلماءِ العاملين. وهو أحدُ من أظهرَهُ اللهُ تعالى للوجود، وصرفَهُ في العالم، ومكَّنَهُ في الأحوال، وملَّكَهُ الأسرار. وأظهرَ على يدهِ العجائب، وأنطقَهُ بفنونِ الحِكم، وأجرى على لسانِهِ لطائفَ الأسرار، وأوقعَ له القبولَ العظيم، والعطفَ الجسيم، والرأفةَ الوافرة، والمحبّةَ الكاملةَ في قلوبِ الخلق. وقصدَهُ الزوّارُ من كلِّ جانبٍ. وتتابعَتُ كراماتُ اللهِ عليهم، وظهرتْ أنوارُ لطائفِهِ عليهم. واشتهرَ ذكرُهُ في الآفاقِ شرقاً وغرباً. وهو أحدُ من جمَعَ اللهُ له بين عِلْمِ الحَقِيقَةِ والشَّرِيعَةِ. ولقد انتهتْ إليه رياسَةُ السَّالِكِينَ، وتربيةُ المُريدِينَ بالبلادِ الرَّاشِدِيَّةِ، والمَغْرِبِ بأسرِهِ، وغير ذلك من سائرِ البلادِ"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد السلام المنصوري. ص 223.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 226.

<sup>3</sup> - ينظر: "البستان". مخطوط. ص (2 ظ).

إن هذا الولي الموصوف بهذه الصفات (العظمة، الإمامة، السّموّ، القداسة، التحقيق، المعرفة، الموهبة الربانية، التصريف في العالم، التمكن في الأحوال، تملك الأسرار، الحكمة، الإتيان بالعجائب، الجمع بين علم الحقيقة والشريعة،...) لا يمكن النظر إليه إلا في هيئة نبي أوتي من القدرات والمواهب ما أوتي به الأنبياء قبله. ومن خلال كثافة حضور هذه الصفات في شخص الولي يتحقق البعد النفسي الذي تجسده خاصية الإغراء التي "تتضح بمقاصد وجدانية، إذ راهنت على الأثر والوقع المضمون حصولها لدى المتلقين، ويصبان في الانسراح والاطمئنان وما شاكلهما"<sup>1</sup>. ومن هنا يحصل الإقناع بالترغيب، ويستبعد كل ظنّ بالسوء بالولي، ومن ثمة تتشكل صورته المثالية في شعور الناس، ووجدانهم، ويطمئنون إليه، ويزداد إحساسهم بحاجتهم إليه كمُخْلِصٍ لما يعانون منه من شتى أنواع العوز المادي والظلم الاجتماعي.

ونصوص "البستان" لا تخلو من الإشارات المباشرة وغير المباشرة إلى اضطلاع الشيخ أحمد بن يوسف بحاجة أتباعه والمتعاطفين معه إلى الإحسان إليهم، وإلى الإحساس بالأمن والسكينة ضد المخاطر المحدقة بالمجتمع وممارسة الأقوياء سلطتهم على الضعفاء من فلول أمراء مملكة بني زيان من خلال إجبار الناس على دفع الضرائب والمكوس المختلفة التي أثقلت كاهل المستضعفين دون أن يروا فائدة ترجى من لدن هذه السلطة الفاشلة العاجزة حتى على توفير الأمن والطمأنينة لهم. هذا من جهة ومن جهة أخرى انتشار اللصوصية وقطاع الطرق وسلب الناس ممتلكاتهم ظلماً وعدواناً. يضاف إلى هذه الظروف حضور الجيش التركي الذي استشعر منه الناس الخوف واللاأمن خاصة وأن الأخبار قد وصلتهم عما أحقوه من هزائم بجيوش مملكة تلمسان وإعمال السيف في رقاب الموالين لهم من الجند والسكان. هذه الأحوال المضطربة أنتجت وضعاً مأساوياً لم يجد إزاءه المستضعفون ملجأً يأوون إليه.

<sup>1</sup> - الهاشم أسمر: عتبات المحكي القصير. ص221.

وفي ظل غياب الأفق الأمين المُفضي إلى الاستقرار، اضطلع الولي أحمد بن يوسف بتأمين الجانب الأمني والنفسي للناس فهو الملاذ الوحيد والخلص الأوحى، إليه يهرعون وبه يحتمون، فكان المنقذ لهذه الفئات التي ضاق بها الأفق الأمني، وقد نوه الصباغ بدور زاوية الشيخ أحمد بن يوسف باعتبارها الملاذ الوحيد الآمن لكل من استشعر الخوف، أو الظلم من السلطان، أو من أي جهة تمارس التضييق على المستضعفين من الفئات المحرومة، حيث قال: "زويتنا كسفينة نوح من دخلها فهو آمن"<sup>1</sup>. وامتدت سلطة الولي أيضا لتكون سداً منيعاً ضد بطش الأتراك للرعية والتضييق عليهم، حيث كان الاتفاق بين الشيخ أحمد بن يوسف والسلطة التركية بعدم جريان الأحكام العرفية لهذه السلطة على أتباعه والمتعاطفين معه. وقد خفف الشيخ من هول الحكام الأتراك وهون من قدرتهم قائلاً: "إن الترك إذا رأونا يذوبون كما يذوب الملح في الماء".

### 3.2.8. الوظيفة السياسية

لاشك أن كتب المناقب قد ساهمت بشكل أو بآخر في ترسيخ عقيدة الولي عند الأتباع والمريدين، وفي صيانة مشروع الولاية واستمرار آلية السيطرة الكاريزماتية، وجدير بالملاحظة أن نفوذ سلطة الولي لا تتوقف على المريدين وعامة الناس من ذوي الحاجات، بل امتدت إلى طبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين الولي والسلطة السياسية، وذلك ما أخبرتنا به كتب المناقب التي تشير إلى علاقة الوفاق القائمة بين السلطان والولي طالما ظلت مصالح الطرفين مقضية، ومراعاة كل طرف حدود الطرف الآخر. غير أن ثمة مناقب تخبرنا بحالات عديدة يظهر فيها "تعاضم نفوذ الأولياء لدى الحكام ورجال السلطة، وبالتالي تنفيذهم لطلبات الأولياء وقضاء حاجاتهم وتعاضم نفوذهم لدى العامة"<sup>2</sup>. وتبعاً لهذا الموقع المتعالي للأولياء فقد كانوا محل استشفاع أهل السلطة بهم، حيث تتفرد نصوص المناقب بذكر أخبار

<sup>1</sup> - ينظر: "البستان". مخطوط. ص [78ظ].

<sup>2</sup> - نللي سلامة العامري. مرجع سابق. ص 291.

عن وقوف السلاطين والأمراء والوزراء على عتبات الأولياء على أمل أن يحصل لهم شرف الدخول إليهم، وأن يغنموا بنيل بركتهم والانتفاع بدعائهم<sup>1</sup>. وقد ذكر التادلي محنة يغمراسن ابن زيان مع الولي الصالح "سيدي واضح" وكيف أذله ورفض الخروج لرؤيته طيلة يوم كامل رغم التوسلات والوساطات حتى أشعره بالذل والانكسار تماما كما يحس الناس الذين يقفون بباب قصره وهو محجوب عنهم<sup>2</sup>.

وهكذا فإنه يمكننا أن نلاحظ أن "النفوذ الذي يمارسه الأولياء على الأتباع تحت طائلة تحقيق المآرب، وقضاء الحاجات، تحول إلى سيطرة مطلقة، بفعل امتداد سلطتهم، ونفوذهم الروحي، بواسطة الكرامات وغيرها من القدرات الخارقة التي يتمتع بها الولي، ولذلك فقد استشعر الحكام الخوف من هذه الفئة وصاروا يلجأون إليهم لتلطيف الجو بينهم، وطلب الدعاء لهم. وتقدم نماذج من المناقب صوراً مختلفة عن كيفية "تحول الدعاء إلى سلاح بيد الأولياء في علاقتهم بالسلطة، علماً بأن لا فعالية لهذا الدعاء إلا لوجود اعتقاد وإيمان بهذه الفعالية وبالتالي بالقدرة الخارقة للأولياء... وباصطفائهم واستجابة الله لدعائهم"<sup>3</sup>. فوجودهم في الكون بمثابة استمرار لرسالة النبوة، "وليس في مقدور أي سلطة بشرية أخرى مهما كانت، أن تتنازع سلطة الولي وكرامته، فهو مهيب في أعين الخلق، محبوب من الخالق، تؤول إليه مقاليد الأمور، فينوب في الخلق عن الخالق"<sup>4</sup>.

ويمكننا أن نمثل لحالة فعالية دعاء الولي على السلطان وأعوانه والانتصار عليهم بحالة تواجد الشيخ أحمد بن يوسف بأحد سجون تلمسان، حيث فشل الأمير الزياني وحارسه في الوصول إليه وعدم رؤيتهم له وهو في الغرفة سجين عنده، وذلك بفضل دعائه عليهما

<sup>1</sup> - ينظر: محمد حلمي عبد الوهاب: ولاية وأولياء، السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط. ط1. الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت. لبنان 2009 م. ص 110.

<sup>2</sup> - ينظر تفاصيل هذه القصة في البستان". ص[45].

<sup>3</sup> - نللي سلامة العامري: مرجع سابق، ص 293.

<sup>4</sup> - محمد حلمي عبد الوهاب: مرجع سابق. ص107.

بالعمى فتحقق له ذلك، مما جعل الأمير يستشعر الخوف منه ويطلق سراحه ويخلي سبيله، ثم إن الشيخ أحمد بن يوسف قد دعا عليهم بخراب ملكهم وقال: "شوشونا شوشهم الله في البر والبحر" فلم يكن إلا قليلاً أخذت المرسى الكبير وبعدها وهران من قبل الإسبانيين<sup>1</sup>.

وكان عروج التركي قد قرّب إليه الشيخ أحمد بن يوسف وقوّى به جانبه، وكان يطلب منه باستمرار الدعاء له لينصره الله على الأعداء الإسبانيين، والعملاء من الأمراء الزيانيين، وذلك في اللقاء الذي جمعهما في "كرشطل". وقد ذكر الصباغ مجريات هذا اللقاء وما دار بين الرجلين من كلام حيث قال: "حدثني به محمد بن الهواري المصراتي أن الشيخ كان يكرشطل قبل أخذ النصارى وهران - أعادها الله للمسلمين - أن عراجاً التزكيّ قدم في سفينة في البحر، ورساها بالقرب من كرشطل، وكان مع عراج رجل مراكشي قد حبسه معه في البحر لشجاعته. فقال المراكشي لعراج: "سر بنا لهذا الشيخ نتبرك به؛ لأن له بركة عظيمة". فقال له عراج: "إن خرج على ما في ضميري فأنا أتبرك به". فذهب عراج وأصحابه فسلموا على الشيخ، وفرح بهم، وقال لعراج قبل أن يتكلم: "أنت عزمتم على العدو بأصحابك"، فعقد عراج يديه، وقبل رجلي الشيخ. فقام المراكشي وقال للشيخ: "قل لعراج يطلقني". فكلمه الشيخ فيه، فسرحه. ثم طلب عراج الدعاء من الشيخ، فدعا له، ثم قال: "إن أصابك هول أو عدو أو ريح أو لجج من لجج البحر فقل ثلاث مرات: "يا أحمد بن يوسف" فأنا أغيتك بعون الله"<sup>2</sup>.

وجدير بالملاحظة أن نظرة الدولة الزيانية تجاه الزاوية الراشدية في بداية عهدها كانت تتسم بالود والرضا، وقد "أصبحت لشيخ الطريقة الراشدية اليد الطولى على قواد وقضاة بني راشد، فلا يرد له القائد طلباً، ولا يخالف له القاضي أمراً. وقد أقره الأمراء الزيانيون أنفسهم على الجاه الذي أصبح يتمتع به في وطنه واعتبروا زاويته حرماً لا تصله أيديهم ولا يتعقبون من تمنع به من بطشهم، ولاشك أنهم قد مكنوا زاويته من موارد اقتصادية هامة انتهت بها

<sup>1</sup> - ينظر: البستان. المنقبة العشرون. ص [11و]

<sup>2</sup> - ينظر: البستان. المنقبة السابعة عشرة. ص [5ظ].

إلى طور القوة ودخول المغامرة السياسية<sup>1</sup> التي سببت لزعيمها المتاعب الكثيرة بدخوله حلبة الصراع والمواجهة المباشرة مع السلطة الزيانية، وتصدره المعارضة لسياستهم إزاء تنامي أخبار إطلاق الأمراء الزيانيين يد اليهود في السياسة المالية للإمارة، وتقاعسهم عن مقارعة الحملات الإسبانية على الثغور الساحلية للوطن، وسقوطها تباعاً من غير مقاومة.

وكان سلاح الشيخ أحمد بن يوسف في كل مواجهاته مع خصومه المتعددين هو الدعاء الذي تكمن فعاليته في إصابة الخصوم أمام مرأى العامة، وهو ما يجعل الخبر ينتشر كالنار في الهشيم، مما يزيد الشيخ هيبه ووقارا، ومكانته سموا ورفعة، فيرهبه الخصوم والأعداء، ويتجنبون مواجهته أو تحديه. ومن صور الدعاء الذي يلحق الأذى بالخصوم ما ذكره الصباغ بشأن تعرض بعض أولياء الوقت للشيخ أحمد بن يوسف ومحاولتهم التقليل من شأنه والانتقاص من مكانته كولي عارف بالله انتهت إليه رئاسة السالكين، فقد ذكر الصباغ أنه حدثه الولي الصالح سيدي "يحي المغراوي" القاطن الآن بقرية مصراتة أن رجلا يسمى سيدي علي الندرومي بلغ منزلة في الولاية، وتأتيه الناس في ندرومة بالهدايا والتحف، ويتبركون به، فاعترض على سيدي أحمد بن يوسف فسلب حاله حتى صار كأنه حجر لا يعرفه أحد نعوذ بالله من التعرض على أولياء الله<sup>2</sup>.

وفي منقبة أخرى ذكر الصباغ أنه حدثه مشافهة شخص يقال له سيدي يحي "عن رجل آخر تعرض للشيخ فسلب حاله حتى صار والعياذ بالله تضحك به العامة، وقال سيدي يحي المذكور: "شاهدت الرجل تضحك به العامة لكونه يبول ويغوط على رجليه"<sup>3</sup>. والسلب معناه حرمان الولي من كل القدرات والمواهب التي كان يتمتع بها بواسطة الدعاء عليه، وأكبر مصيبة تصيب الولي في حياته فقدانه لمركزه العلمي والاجتماعي والحظوة والمكانة

<sup>1</sup> - عبد الله نجمي: مرجع سابق. ص 96.

<sup>2</sup> - ينظر: البستان . المنقبة السابعة عشرة. ص [5ظ].

<sup>3</sup> - ينظر: البستان. المنقبة الثامنة عشرة. ص [5ظ].

التي كان يتمتع بها في مجتمعه. وكتب المناقب ثرية بمختلف الحالات التي يطال الدعاء أحد معارضي الولي سواء من عامة الناس أم من خاصتهم من الأولياء والأمراء ورجال السلطة، والعقوبة تكون بحجم سلوك الاعتراض.

#### 4.2.8 الوظيفة التنبؤية

لم تغفل نصوص المناقب - وهي تسعى إلى تقديم صورة نمطية متكاملة حول سلطة الولي - أن تستثني قطاعا من قطاعات الحياة في مجالاتها المختلفة إلا وكان فيها الولي صاحب نفوذ كبير من خلال سلطة التأثير الروحي والعقلي التي يمارسها على الأتباع والمريدين، بل وعلى سائر الناس. وفي كتب المناقب وفرة من النصوص التي تبرز فيها الولي صاحب سلطة له القدرة على إحكام السيطرة ليس فقط على إمكانات العالم الواقعي مما يدخل ضمن المشاهدات والمعانيات والمدركات، بل تمتد قدراته لتخترق حدود العالم الواقعي والدخول في اللامألوف، وما هو غريب من خلال إخباره بما سيحدث من الأمور في المستقبل، وإطلاعه على أسرار الغيبيات، والمكاشفات، وهو الباب الرحب الذي يلج من خلاله الولي إلى الفضاء المطلق ليستمد منه كل أسباب التمكين والهيمنة، ومن ثمة تطير شهرته في الآفاق، وتتعرز مكانته، ويصبح قطبا بلا منازع تؤمه العامة من كل حذب وصوب، طلبا للحماية واستمداد البركة.

وفي المناقب التي أدرجها الصباغ في البستان نقف على عدد من النصوص التي تظهر سلطة الولي وتجاوزه حدود المألوف والمعقول، مما يمجه الذوق، ويرفضه العقل، حيث تكشف لنا هذه النصوص مختلف الصور التي يتجلي فيها خرق الولي لحدود الواقع، إذ يعتبر "الإدراك التنبؤي من المعارف المندرجة ضمن كرامات الصوفية، وهو مندرج ضمن ما يصطلح عليه بـ "الكشف" وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمر



الحقيقية وجودا حسيا وشهودا ماديا متعين الأبعاد"<sup>1</sup>. وقد اكتسب هذا الكشف مع الزمن صفة الكرامة الخارقة لحدود العقل، من خلال تنبئه بما ستلده المرأة مع زوجها قبل الزواج، وكشفه للمسروقات، وأماكن إخفائها والقائمين بها.

وفي هذا السياق أورد الصباغ من المناقب ما يجسد به النموذج الولوي في شخص الشيخ أحمد بن يوسف القادر على التنبؤ بالمستقبل، ومعرفة ما في الأرحام، وتبشير العاقر بالولادة بعد علاجها من العقم، وإعلامها بجنس المولود. وذلك ما ذكره "الصباغ" قائلا: "ومنها ما حدثني به عبد الجبار بن أقيش القلعي، قال: «أتيت الشيخ ولم أكن رأيت قط، فقلت له: هل عرفتنى؟، فقال: "أنت الذي لا تعرفني، وأما أنا فسميتك في الظلمات الثلاث في رحم أمك»، وذلك أن أمه كان لا يعيش لها ولد، فجاءت الشيخ سيدي أحمد بن يوسف وشكت له ذلك فدعا لها، وقال في بطنك ذكر اسمه عبد الجبار، فكان كما قال مشاهدا محققاً"<sup>2</sup>.

وثمة كرامة أخرى تتعلق باستشارة والد "الصباغ" الشيخ أحمد بن يوسف بشأن الزواج بأمه، فكان رد الشيخ مباركا لهذا الزواج، وتنبأ لهما بولد صالح هو مؤلف هذه السيرة حيث قال: "حدثني سعيد أعراب القاطن بمسراته أن أبي رحمه الله استشار الشيخ في تزويج أمي، فقال له: "تزوجها وستلد لك ذكرا يخرج منه شأن عظيم!". فكان الأمر كما قال الشيخ، والحمد لله والمنة، ويكفيك أني أحب أولياء الله وخصوصا الشيخ القطب المستغاث به عند الشدائد سيدي أحمد بن يوسف \_ نفعني الله بحبي فيه"<sup>3</sup>.

ومن صور المكاشفات التي وقعت للشيخ أحمد بن يوسف في فترة دراسته في بجاية ما ذكره "الصباغ" في "البستان" حيث تمكن هذا التلميذ المريد من مكاشفة شيخه زروق وإطلاعِهِ على حال ولده بفاس، وذلك لما سأل الشيخ زروق تلامذته ومريديه إخباره بحال

<sup>1</sup> - أسماء خوالدية: الفكه في قصص كرامات الصوفية. ص 216.

<sup>2</sup> - ينظر: "البستان". [المنقبة الثالثة والثلاثون]. ص [20ظ].

<sup>3</sup> - ينظر: "البستان". [المنقبة الرابعة والثلاثون]. ص [20ظ].

ولده وهو مع أمه بفاس. فقد عجز كل المريدين عن إفادة شيخهم بما طلب، إلا الشيخ أحمد ابن يوسف فقد أخبره بحال ولده، ووصف له هيئته، وما كانت تفعله أمه به، حين كانت تمشط له شعره. وقد نقل "الصباغ" تفاصيل هذه الكرامة في "البستان" قائلاً: "ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما أخبرني به السيد الأجل محمد بن عثمان البوعمراني أن الشيخ حدثه مشافهة وأنه قال: كنت أقرأ على شيخي الزروق<sup>1</sup> في بجاية إلى ذات يوم قال لنا الشيخ زروق في المجلس: "أيها الطلبة من يعطيني خبر ولدي بفاس عند أمه"، فسكتوا. فقلت له: "أنا، هاهو مع أمه أمام القرية ترجل رأسه".

فقال لي: "بقي لك شيء؟"، قلت له: "ظفرت أمه رأسه بخيط حرير إلى جهة رقبته، وفي الخيط شرابة حرير". فقال لي: "بارك الله فيك"، وقال لي: "كان الأمر على ما وصفت". انظروا إلى هذه المكاشفة العظيمة في ابتداء حاله<sup>2</sup>.

وفي موضوع السرقات ينفرد الشيخ أحمد بن يوسف عن غيره من الأولياء بكونه يخبر عن السرقات التي يتعرض لها بعض الناس، فيتمكن من تعيين السارق، وتحديد مكان إخفاء المسروقات، وتهديد أصحابها بكشفهم أمام الملأ إذا أصروا على إنكارهم، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الصباغ "أنَّ سِرْقَةً ذَهَبَتْ مِنْ رَكْبِ الزَّيْتُونِيِّ حِينَ نَزَلَ بَعْدَ قَلْعَتِنَا \_حَمَاهَا اللَّهُ\_ ذَاهِباً لِلْحَجِّ، فَاتَّهَمَ النَّاسُ ابْنَ هَنْدِ الزَّجْرَارِيِّ [بِالسَّرْقَةِ] ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ مُسْتَجِيباً<sup>3</sup> فِي رَدِّ السَّرْقَةِ. وَكَانَ ابْنُ هَنْدٍ قَاطِئاً بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ "تَاشَعْبَانْتُ" بِالْقُرْبِ مِنْ قَلْعَتِنَا \_حَرَسَهَا اللَّهُ\_ فَدَخَلَ الشَّيْخُ لَابْنَ هَنْدٍ وَطَلَبَهُ فِي رَدِّ السَّرْقَةِ، فَامْتَنَعَ وَقَالَ: "لَمْ أُسْرِقْ شَيْئاً". فَتَحَرَّكَ الشَّيْخُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "قُولُوا لَهُ يُرَدُّ السَّرْقَةُ، وَيَسْتُرُ نَفْسَهُ، فَقَدْ جَلَسْتُ عَلَيْهَا مَدْفُونَةً فِي مَوْضِعٍ جَلُوسِي". فَاعْتَرَفَ ابْنُ هَنْدٍ بِهِ وَرَدَّهَا بِالْفُورِ، وَتَابَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ<sup>4</sup>. وَتَتَكَرَّرُ

1 - هكذا وردت في المخطوط مرة بالتعريف ومرة بالتكثير.

2 - ينظر: "البستان". [المنقبة الأربعون]. ص [23ظ].

3 - وردت هكذا في جميع النسخ.

4 - "البستان". [المنقبة الثالثة]. ص (3و).

حادثة السرقة مرة أخرى ويقع التبليغ عنها فيتصدى الولي لفاعلها ويكشفه أمام الملاء، وقد ذكر الصباغ الحادثة قائلاً: "فمن مناقبه ما حدثني به أحمد بن يطو القلعي أن رجلاً يسمى يحيى بن أبي جمعة سرق له محمد الملقب العيفا القلعي ملحفة وشاية<sup>(1)</sup> وجعلهما في قلة فخار، وخبزها في الأرض، ثم إن المسروق متاعه اشتكى للشيخ سيدي أحمد بن يوسف وقال له: إني اتهمت العيفا بالسرقة، فكلم الشيخ سيدي أحمد العيفا المذكور أن يرد الملحفة والشاية [لرهبما، فأنكر وقال: لم أسرق شيئاً، فأعاد عليه الشيخ الكلام مراراً، فتمادى على إنكاره، ثم إن الشيخ قال له: رد الملحفة والشاية<sup>(2)</sup> التي جعلتهما في القلة وخبزتها في موضع كذا، فاعترف وبادر لرجل الشيخ وقبلها ورد الملحفة والشاية لمالكهما.

لا يمكن لمن شاهد هذه الوقائع إلا أن يُقرّ بعلوّ كعب الشيخ أحمد بن يوسف، وقدرته على كشف ما يخفى على الناس، ومن ثمة يتحاشى أن تحدثه نفسه بالسرقة، حيث يدرك أن مصيره سوف يؤول إلى مصير هؤلاء، ويقع فضحه وتعريته، فلا تقوم له في حياته بعد ذلك قائمة، وليس يخفى علينا مدى ما تُحدثه هذه الواقعة من أثار نفسية بالغة الأثر على مستوى عامة الناس، وخاصتهم، إزاء مواهب الولي، وطاقاته اللامحدودة في التصرف في الأمور، ومعرفة الغيب، وهو ما يؤدي إلى التسليم به مطلقاً.

### 5.2.8 الوظيفة الأدبية الجمالية للمنقبة

لقد استطاع المبدع في التراث الصوفي أن ينجز جنساً سردياً متفرداً (المناقب الكرامية) من سماته الخاصة تفجير اللغة، وخرق قوانينها، وتوسيع مجالها الاستعمالي، وأفقها الدلالي، من خلال انفتاحها على إمكانات قرآنية متعددة، ذلك أن نص المنقبة قد يبدو للوهلة الأولى، ومن وجهة نظر القراءة العابرة، نصاً ضيقاً بنفسه، منحصراً في مجال معرفي واحد يأبى الانفتاح على مجالات أخرى ممكنة، غير أن الحقيقة ليست كذلك. فالنص المنقبي الكرامي

<sup>1</sup> - لعلها: شاشية، وهي القبة.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

من خلال إعمال النظر فيه وعلى أكثر من صعيد يفصح حسب- الباحث فرج بن رمضان- عن قابليته لأن "ينفتح على مستويات متراكبة في صلب بنيته، أو روافد متشعبة متباينة متألفة فيها، مما يجعل التعددية صفة ملازمة له، فهو ديني، تاريخي، أدبي، سحري، أسطوري"<sup>1</sup>. ويبدو أن التجربة الإبداعية لدى "الصباغ" قاصرة، خاصة فيما كتبه عن شيخه بقلمه، وأما نقله من نصوص شفوية عن حياته من حيث أننا لا نجد فيها اللمسة الجمالية للغة، ولا ترقى في مستواها الأسلوبي لتحدث تلك المتعة الفنية مقارنة بالنصوص التي انتخبها من مصادر مكتوبة سابقة عنه والمتعلقة برواد التصوف الإسلامي الأوائل كالجيلاني، والياضي، والشعراني، وعلي بن الهيثم وغيرهم. فلغة الصباغ في المناقب التي كانت من إنشائه الخاص لغة بسيطة تتسم بالباشرة، موجهة للغالبية من الناس ممن يعوزهم مستواهم الثقافي، فهي لغة العامة بما فيها من تعابير دارجة ممزوجة باللهجة الزناتية أحيانا. أما لغة المناقب المنقولة من كتب التصوف فتتسم بمظهرها الأنيق، وبحلتها القشبية، فهي موشاة بكثير من النصوص الشعرية والألوان البلاغية التي أضفت عليها بعدا جماليا، يضاف إليها تحليقها بين مملكتي الواقع المألوف ومملكة اللامألوف حيث مطلق الخيال، ومسرح الخارق، والعجيب، بلا حدود وبلا قيود، في تناغم بديع، يأسر لب المتلقي، ويزج به في شرك صورة متعددة الألوان والأطياف، تحاكي اللوحة الفسيفسائية في عالم الرسم والنحت الفني.

وسنورد نموذجا من نصوص المناقب التي تتجلى فيها البراعة اللغوية لبعض المؤلفين والتي تتحقق فيها الوظيفة الأدبية منها: ما حكاه صاحب الكتاب المسمى "بزهر الأكماء في قصة يوسف عليه السلام". وذكر في ذلك وثيقة عجيبة منظومة بألفاظ غريبة، مرصعة بجواهر المعاني والإشارات، في طريق أهل التصوف والولاية، فقف عليها تر أمرا عجيبا فيما

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان: مرجع سابق. ص224.

شرطه المحب على الحبيب، ونصه: «أدعى<sup>1</sup> أحد المحبين حبَّ شخص، ورغب فيه أن يكون مملوكا له، فقال المحبوب: "فقد قبلك على أن [أعقد عليك عقدا أخاصمك]<sup>2</sup> به بين يدي قاضي المحبين". فساروا إلى أديب ماهر، وموثق باهر<sup>3</sup>، وكتب بينهما عقدا يقول فيه: «بسم الله الذي جعل الحب وسيلة لأهل القلوب، وصلى الله على سيدنا محمد شفيع أهل الذنوب. هذا ما اشترى فلان بن فلان الفلاني من فلان بن فلان الفلاني، اشترى منه في عقد واحد وصفقة واحدة، جميع المحبة المعروفة بحديقة القلب، من مدينة الإخلاص[...]<sup>4</sup>المعروفة بالدائمة إلى الممات، بجملتها وكليتها، من حدودها، وحقوقها، ومجاري مياه الرعاية والكلاء فيها، وبكل حق هو لها ومنها، داخل فيها أو خارج عنها،/ [73و] من المراعاة والملاحظة، والذب، والنظر، والمحافظة، والموافقة، والرضا، والاحتمال، والكظم، والغض<sup>5</sup>، والبذل، والإيثار<sup>6</sup>، ورد العذال، وتحبب الجاه، والإعراض عن الوشاة. وتشتمل عليها حدوداً أربعة: فالحد الأول: ينتهي إلى الخلة والصفاء. والحد الثاني: ينتهي إلى المراعاة والوفاء. والحد الثالث: ينتهي إلى المساعدة والولاء. والحد الرابع: ينتهي إلى المشاهدة، واللقاء. [ويليه بابها]<sup>7</sup>. اشترى في عقد واحد وصفقة واحدة شراءً<sup>8</sup> جائزا عند أهل الحب ماضيا في شرع المحبين، ماضيا عند أهل الإخاء والمودة، بألف ألف في ألف مدى الأنفاس والأرواح، ما بزغت (شمس في الأفق، وغربت في الأرواح من الأجسام)<sup>9</sup>والأشباح. وشرط كل واحد منهما

<sup>1</sup> - هذه القصة مذكورة في ص 108 من الكتاب المذكور غير أن النساخ تصرفوا قليلا في نقل القصة بما أخل بالمعنى في بعض المقاطع،

<sup>2</sup> - في النص الأصلي: (أن تعقد لي عقدا يخصمك).

<sup>3</sup> - في النص الأصلي (قاهر).

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط في جميع النسخ. ثابت في النص الأصلي: "بالمحبة". وإثباتها أصحُّ للنص لاتساق المعنى واكتماله.

<sup>5</sup> - في (د): "الغبط".

<sup>6</sup> - كذا في (أ) و(د) و(ك).. أما في (ب): "الإشارة" وهي لا تستقيم مع المعنى.

<sup>7</sup> - ما بين المعقوفين ورد هكذا في جميع النسخ. وفي أصل الكتاب ورد: "واليه يشرع بابها".

<sup>8</sup> - في (د): اشتراء.

<sup>9</sup> - في (د): "الشمس في الأفق وغربت في الأرواح والأجسام".

لصاحبه بذل قلبه، وفداءه بنفسه، وماله وحبه، ورد النميمة<sup>1</sup>، والعذل عنه. ثم تعاها بينهما، ونقد كل واحد منهما هذا الثمن لصاحبه، ووقع التسليم بما وقع عليه العهد، واعتزفا بالبراءة بما<sup>2</sup> اشترطا على أنفسهما. ولا يقبل كل واحد منهما على صاحبه تعرض الوشاة والتباعات، ويدفع عن صاحبه طوارق السوء، والشناعات. وقبض كل واحد منهما الثمن والمثمنون في هذا العقد، وتراضيا بهذه الوثيقة، وأشهدا على أنفسهما بجميع مضمونها. وضمن كل واحد منهما لصاحبه الدرك، والرجوع على ما يوجبه حكم الإخلاص، والصفاء، ويقترضه موجب الشرع والوفاء. فمتى ادعى أو ادعى أحدهما على الآخر، أو ادعى عليهما ما يخالف ظاهرا أو باطنا في سرٍّ سرائرٍ سرِّه، أو خفي ضميره، أو مضمون هواجس (أجناس صفاتها، فنفسه بروح صفاتها نقيّة من الغش، وقلوب وفاتها بريئة من الخيانة، ومحبتها محروسة بعين المحافظة، ومعرفتها مصقولة بهم الملاحظة)<sup>4</sup>، لا تدنس بوهم فكر، ولا درن ذكر. فدعوى المدعي بذلك زور وبهتان، وظلم وعدوان. والمخالف لهذه الوثيقة خارج عن ذمام التحقيق، داخل في زمرة أهل الدعوى والتمحيق، مخالف لأصحاب المعرفة والفتوة، بجانب لأرباب المحبة، والمروءة، والحق والصدق ما تضمنته هذه الوثيقة، ووقعت عليه شهادة ساداتنا أهل<sup>5</sup> الطريقة، وعلى ذلك ترافعا في صحة ذلك إلى حاكم من حكام المحققين، جائز عند أهل المعرفة والدين، فوقف على تلك الشروط فأثبتها، وأمضاها، وأنفذها، وأجراها في مجلس حكمه، وقضائه، ورضاه وولايته، وأشهدا على أنفسهما طوعا في يوم اللقاء من شهر

1 - كذا في النسخ الأربع. وفي النص الأصلي في الكتاب: "التهيمة". وهو الأصح. فالملاحظ وقوع الصباغ أو النساخ من بعده في تحريف القول المأخوذ من المصدر الأصلي وعدم تحري صحته.

2 - في (ب) و(د): عما اشترطا. وفي النص الأصلي في الكتاب: "على ما يشترطان".

3 - في (ب): "كلام الإخلاص".

4 - الفقرة الواقعة بين قوسين مخالفة للنص الأصلي من الكتاب وجاءت على الشكل الآتي "هواجس إحساس نفسه وهيئته، فروح صفائهما نقيّة من الغش، وقلوب وفائهما بريئة من الخيانة ومحبتهما محروسة بعين المحافظة، ومعرفتهما مصقولة بهم المحافظة والملاحظة".

5 - في النص الأصلي: "سادات الطريقة".

المواصلة والبقاء، سنة تحسين الأعمال، وبلوغ الآمال، أشهد عليهما بذلك الألفة، والميل، والمساعدة، والنيل، وزوال الملق، وحسن الخلق في التاريخ»<sup>1</sup>.

الملاحظ أن المنقبة أشبه بمباراة استعراضية في مسرح اللغة وفنون البلاغة العربية الجميلة، حيث يوجد فيها فيض من البيان والمعاني والبديع، تألفت فيها ألوان من الاستعارات والمجاز، ونماذج من الجناس، والسجع، والطباق، بأسلوب خبري شائق، وحسن انتقاء لفظي رائق، في "كوكتيل لغوي قمين بشدّ الأذان التي تستهوي أصحابها التقابلات، والتوازنات الصوتية، والأجراس اللفظية، وكفيل بتحريك أشداق الذين تستميلهم الكلمات السلسلة الانسيابية، وجدير بأن يشغل أذهان هواة الصور البلاغية، إذ التمتع بالبحث عن السمات المشتركة بين العناصر والعبور من المعنى الظاهر إلى المعنى المقصود، واقتناص العلاقات بين الدلالة الأصلية والدلالة الجديدة، كل هذا يبدو مضمونا"<sup>2</sup>. ولكن ثمة سؤال وجيه حول مقصدية المبدع وراء كل هذا الاستعراض اللغوي.

هل هو من باب الزينة اللفظية على شاكلة عشاق المحسنات اللفظية في أدبنا العربي إبان عصر الضعف؟ أم هو مقصود لغاية تمرير خطاب معين لِمُنْتَلَقٍ مُفْتَرَضٍ؟. يبدو الاحتمال الثاني هو الغالب، حيث يرى أحد الباحثين أن "في هذا الجموح اللغوي شركا نُصِبَ ليعلق به المتلقي الذي لا يبعد أن يجد نفسه يقيم تعالقا بين المقدرة (أو الكفاية) الإبلاغية التواصلية لدى المصنفين الذين التمسوا هذا المسلك الإقناعي وبين "الكفاية المعرفية"، أي سيتمثل ويقنع أن هذه الكفاءة الخطابية من تلك الجدوائية والصدق الحكاية"<sup>3</sup>. إن حضور الخطاب الإبداعي بهذا الشكل يهدف إلى التمكين له في وجدان المتلقي لتسويغ تقبل

<sup>1</sup> - ينظر المنقبة في "البستان". ص (72-ظ-73و).

<sup>2</sup> - الهاشم أسمهر: مرجع سابق. ص 278-279.

<sup>3</sup> - الهاشم أسمهر. ص 279.

مضامين المحكيات، وهو مظهر من مظاهر تحقق الوظيفة الأدبية في النصوص المنقبية من جانبها اللغوي.

وثمة مظهر آخر للوظيفة الأدبية وهو مظهر جمالي فني في نصوص المناقب بكونها مساحة لتجاور العوالم المتضادة، كاختراق الأولياء للسموات، وتكليم الجمادات، وطي المسافات، والتنبؤ بالغيبيات، هذه العوالم بقدر ما هي متناقضة ومتضادة، فإن النص السردي الكرامي يؤلف بينها، ويوحدها، ويجعلها نسيجاً متراس البناء، صورة ومتخيلاً، وحيث تحضر الصورة والتمثيل الأدبيين في النص السردي - حسب عبارة فرج ابن رمضان - "من حيث يتلبَّسَن بالكلام، وَيَتَحَقَّقَانِ فِي شَتَى مُمَكِّنَاتِ وَحَدَاتِهِ، وَأَنْسَجْتَهُ، فَإِنَهُمَا يُؤَلِّدَانِ فِيهِ قَابِلِيَةَ التَّأْثِيرِ فِي الجُمهُورِ تَأْثِيرًا جَمَالِيًا خَالِصًا عَلَى وَجْهِينَ: مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ مُحَدِّثٌ لِلْمَتْعَةِ لذَاتِهَا *désintéressé Plaisir* أولاً، وَأَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ يُمْكِنُ مِنْ إِصْدَارِ حُكْمِ جَمَالِيٍّ. إِنِ الْمَتْعَةُ الْأَدْبِيَّةُ الْخَالِصَةُ لَا تَتَأْتِي مِنْ غَلْبَةِ الْوِظِيْفَةِ الْإِنْشَائِيَّةِ عَلَى الْكَلَامِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا، وَإِنَّمَا تَتَأْتِي مِمَّا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا مِنْ صِفَاتٍ كَالْعَتَمِيَّةِ وَاللُّزُومِيَّةِ وَمَا تَوْلَدَانِهِ مِنْ وَظِيْفَةٍ إِحْيَائِيَّةٍ هِيَ الَّتِي تَعْقِدُ الصَّلَةَ بِالْقَارِئِ، وَتُحَدِّثُ فِيهِ مَا تُحَدِّثُ مِنْ تَأْثِيرٍ حَسَبِ الْحَالَاتِ، وَأَيُّ شَيْءٍ هُوَ الْإِحْيَاءُ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَحْرِيكُ الثَّوَابِي فِي التَّمْثِيلِ الْفَرْدِيِّ وَالْجَمْعِيِّ مِنْ صُورٍ وَإِدْخَالِهَا فِي نَسْقِ الْقِرَاءَةِ، فَتُؤَثِّثُ صَمْتَ الْقَارِئِ، وَتُزِيلُ عَتَمَتَهُ عَلَى وَجْهِهِ أَوْ إِلَى حَيْثُ، وَتَجْعَلُ الْقَارِئَ فَاعِلًا فِي إِنتَاجِ مَعْنَى النِّصِّ أَوْ مَعَانِيهِ الْمُمْكِنَةِ"<sup>1</sup>.

إن مسألة اختراق الأولياء للعالم المألوف في نصوص المناقب يبدو مشهداً خيالياً بديهياً، بما يجعل حالة الإدهاش والترقب لازمة من لوازم الحكي، "قمضي المتلقي في نصوص المناقب هو أشبه برحلة في عوالم جديدة لم تكتشف بعد بكل ماتعنيه هذه الرحلة من إثارة واكتشاف ومتعة، فالإثارة حاصلة من وجود (كون نصي) جديد لم يعهد المتلقي مثيلاً له -نشأ من تجاور عالمي المألوف واللامألوف -المتعة حاصلة من إشباع الفضول

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان : المرجع السابق. ص 223.



الفني والمعرفي، فما إن يظهر الحدث اللامألوف في النص حتى ينقاد المتلقي إليه، لمعرفة مآله وتفسيره. وكأن النص يستعمل الواقعة اللامألوفة تكأة ليمسك بتلابيب المتلقي، فلا يعتقه. وكثير من نصوص المناقب تساعد الوقائع اللامألوفة في الإمساك بالمتلقي، عن طريق آليات سردية مختلفة<sup>1</sup>، وذلك كاختبار قدرة الولي وطاقاته الخارقة، كالحكاية التي ذكرها الصباغ في شأن علاقة المرید بالشيخ أحمد بن يوسف حيث قال: "أخبرني سليمان ابن المرابط علي بن أحمد الكثيري أحد تلامذة الشيخ المذكور، أن أباه عليا المذكور حدثه مشافهة أنه جلس ذات يوم عند الشيخ سيدي أحمد إذ جاءه رجل فقال له: يا سيدي أحمد دلني على عمل أصل به إلى مقام الأولياء، فقال له بلسانه الزناتي: لا تقدر، فأجابه بأن قال: "أقدر"، فصار الشيخ يقول: "لا تقدر"، ويجيبه هو بأن يقول: "أقدر" مرارا بألفاظهما الزناتية. ثم إنَّ الشيخ قال له: "افعل ما أمرك به وبعده نستخير الله"، قال له: "قل ما تشاء"، قال له الشيخ: "اذهب إلى موضع كذا تجد رجلا خمَّاسًا يحرث على بقر وعلى رأسه شاشية صوف بيضاء، وعليه كساء بيضاء خشينة، فإذا وصلتته فالطم خذَّه قبل أن تكلمه، وبعدها آتيني أدلك على عمل الأولياء".

ثم إنَّ الرجل ذهب كما أمره الشيخ فوجد الرجل يحرث على النعت الذي بعثه<sup>(2)</sup> له الشيخ، فلم يكلمه حتى لطمه لخدّه لكمة كبيرة صرع منها، والضارب واقف عند رأسه فلما أفاق قام وأطلق البقر وحبس الرجل الضارب من طرف ثوبه، وقال: اذهب معي نختصم عند القاضي، فأتيا القاضي، فقال لهما: من هو المدعي منكما؟ فقال المضروب: "أنا". فقال: "تكلم بحجتك"، قال: "أيها القاضي"، إن هذا الرجل لطم خدي لكمة عظيمة غشي علي منها، وأخاف أن يكون تَأَلَّمَتْ كَفُّهُ من وجهي، ماذا يلزمني في قِصَاصِهِ مِنِّي"، فصاح القاضي صيحة عظيمة غشي عليه منها، وهرب الضارب إلى الشيخ سيدي أحمد ابن

<sup>1</sup> - لؤي علي خليل: عجائبية النثر الحكائي، أدب المعراج والمناقب. ص210.

<sup>2</sup> - لعلها: "نعتة". وهو الأصوب.

يوسف، وقال له: "لا أقدر على هذا"، بعد أن أخبره بالقصة، فقال له الشيخ: "ألم أقل لك لا تقدر على ذلك؟".

لاشك أن مثل هذه الحكايات يحضر فيها عنصر الغرابة والإدهاش الفني الجميل الذي يعمل على أسر المتلقي والزج به في أحضان المواقف اللامألوفة والسلوكات الغريبة التي تثير حاسة الفضول لديه. فكيف علم الشيخ بمكان وجود الرجل؟. ومن دَلُّهُ على طبيعة عمله، وهيبته، وشكل لباسه؟ وكيف علم بنتائج ما يَنْجُرُّ عنه سلوك رد فعل الرجل إزاء تصرف المرید بالضرب؟ والأغرب من هذا كله من هو هذا الرجل الفلاح؟ هل هو ولي لايعلم بولايته؟ أم يعلم بذلك وكنم أمره عن الناس؟. لاتجيبنا المنقبة عن هذه الأسئلة، ولا تشير إلى قلق الناس وانشغالهم بهذه المسائل، بل هم مستسلمون منقادون لتقبل هذه المحكيات بكل طمأنينة وبقين. وكأن ثمة ميثاق سري معقود يربط بين المؤلف والمتلقي وهو الحكي مقابل الانقياد.

واختبار طاقة الصبر والتقوى لدى بعض الشخصيات في المحكيات المنقبية له حضور كبير في "البستان"، وهو ليس المقصود منه مجرد عرض الحكايات لتسلية المتلقي، وإزجاء الوقت لديه، بل يتضح من خلال فحص مضامين بعض الحكايات كشف طبيعة الواقعة اللامألوفة فيها، وهي أمر الولي مريده بالزنا مع أنه معصية، فكيف يمكن قبول صدور هذا الفعل من الشيخ الصالح أبي العباس السبتي؟. وكيف كان رد فعل المرید إزاء ما كلفه به ولي نعمته؟. ذلك ما نكتشفه من إحدى كرامات أبي العباس السبتي. تقول الكرامة: "جاءه رجل وقال له إن امرأتي وأولادي أسارى، وَطَلِبَ مني فديتهم كذا وكذا، ولم يجتمع لي من ذلك غير خمسين ديناراً ذهباً"، فقال له: "ضع الخمسين تحت السجادة"، فوضعها الرجل. فجاء رجل آخر للشيخ يشتكي إليه الفقر، وطلب منه ما يسد به خلته، فقال له الشيخ: "خذ كذا من الذهب من تحت السجادة"، حتى صار كل من يأتي إلى الشيخ سيدي أبي العباس السبتي يشتكي ضرأته يقول له: "خذ من الذهب الذي تحت السجادة"، حتى لم يبق من

الخمسين دينارا غير دينار واحد، وكل ذلك بمعاينة رب الخمسين. ثم إن الشيخ قال لصاحب الخمسين: "خذ هذا الدينار الباقي"، فقال له: "وما أصنع به؟!". فقال له الشيخ: اذهب فأزن به. فذهب الرجل، وقلبه يضطرب من الزنا، ثم قال: "لأفعلن ما أمرني به الشيخ، ففعل الله يعقبنى خيرا". فبينما هو كذلك وإذا بشابة حسناء وعلى وجهها أثر الدموع، فقال لها: "ما شأنك؟"، فقالت: "إني ابنة الوزير، فغضب عليه الأمير، وسجنه وأخذ له جميع ما يملكه فلم نجد له قوت يومه"، فقال لها الرجل: "أتأخذني مني دينارا وتمكنيني من نفسك"، فقالت له: "نعم"، وأخذت الدينار، ثم وعدته أن تأتيه لمحله في وقت من الليل، فاشتريت لأبيها ما يحتاجه ثم جاءت لمواعدة الرجل بالليل، وجلست وصار الرجل يفكر كيف يكون قدومه على المعصية، فقام يصلي ودعا الله أن يجعل له من أمره فرجا ومخرجا، فكان يسارقها النظر فيراها تبكي فيمضي على صلاته. فلما فرغ من صلاته قال لها: "ما أبكاك؟"، قالت له: "ما كنت باغية قط، ولا أحوجني لمساعدتك في هذه المعصية إلا شفقة على والدي". فقال لها: "انصرفي وأنا والله ما لي في ذلك غرض، فانصرفي والدينار صدقة لوجه الله العظيم".

فانصرفت مسرورة بدوام العصمة، ودعت له وأمن على دعائها، وحمد الله وشكره على السلامة من المعصية. فلما أصبح توجه نحو الشيخ سيدي أبي العباس فسمع ضجة وأبواقا وزهير طبول، وإذا بالناس يقولون: "أطلق الوزير"، فلما دخل على الشيخ أبي العباس قال له: "فعلت ما أمرت به؟"، فقال له: "هممت وما أتممت"، فقال له الشيخ: "اذهب لمكان كذا، وجئني بشيء من البقول"، فمشى الرجل للمكان الذي وجهه الشيخ إليه فبينما هو يلتقط البقل، وإذا به لمح امرأته وأولاده يلتقطون البقل فاغرورقت عيناه بالدموع، ثم نادى أولاده: "يا فلان يا فلان"، فقالوا: "أبونا والله"، فتعانقوا وبكوا فرحا، فقال الرجل لأولاده وزوجته: "ما جاء بكم هاهنا؟"، فقالوا له: "إن زوجة مالكنا النصراني صرفتنا لنتلقت لها بقلا، فاعترضتنا ساقية بعدوتها بقول فما استطعنا جوازها، فإذا بشيخ من صفته كذا ومن نعته كذا، فسألناه أن

يجيزنا، فرمى إلينا بطرف رده، فجزنا وما ندري أين نحن الآن؟"، فقال لهم: "هذا زيتون مراکش". فمشوا مسرعين لسيدي أبي العباس السبتي وشكروه وانصرفوا بنعمة من الله وفضل. ثم إن الوزير كشف ابنته عن الطعام الذي جاءته به أمس ومن أين توصلت لثمنه فأخبرته بالقصة، فكثر إعجابه بذلك، ثم ما زال يبحث على الرجل إلى أن وجده فزوجه من ابنته وأعطاه مالا وجعله من أصدقائه وأقربائه».

إن التسليم بقدرات الولي وأقواله وأفعاله مهما كانت طبيعتها مطلوب من المرید الإيمان بها، والتصديق بنتائجها، حتى وإن كانت تُتكرّر في الظاهر، لأن في الباطن فيها خير وفلاح حسب تأويل المتصوفة، إذ الواجب عندهم "التسليم في الطريق لأهله إن لم يكن لك نصيب، فإن لم تشهد فلا تجحد"<sup>1</sup>، وفي ذلك يكمن الأمل بتحقيق الأماني، وتغيير الوقائع والأحوال، وما ذلك في النهاية إلا بفضل بركة الولي الذي يتدخل ليأخذ بيد مریده ويرعاه. يمكن النظر إلى الزنا على أنه حدث غير مألوف زجّ به في متن الحكاية الفارقة للتوازن بدنياً ليس من أجل إعادته إليها - حسب زاوية النظر الأولى للقارئ - بل ليعقّد أحداثها ويؤزّمها، ويدفعها في اتجاهات تأويلية مفتوحة، يصعب ضبط مساراتها، والتنبؤ بنتائجها. فالحكاية لم تقو على إعادة التوازن الأول (إصلاح الخلل) الناتج عن وقوع أسرة الرجل أسارى، حتى وقعت في لا توازن آخر، الأمر بالزنا من قبل الولي .

المتعارف عليه في عالم السرد الحكائي هو "أن كل محكي هو حركة بين توازين متشابهين"<sup>2</sup>، وهو وصلة بين توازين، يتعرض الأول إلى (خلل)، فتصير الحكاية برمتها محاولة للتخلص منه والعودة إلى توازن آخر يشبه الأول، فلا مفرّ من (الخلل) إذن ، لأنه الوسطة التي يكون بها المحكي محكياً. فإذا لم يتحطم التوازن الأول لم يكن هناك مسوِّغ

<sup>1</sup> - القول مأخوذ من "البستان للموسى بن عيسى المازوني.ص308.

<sup>2</sup> - ينظر: تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي.ص95.نقلا عن لوي علي خليل .مرجع سابق ص210.

لاستمرار الحكاية، فكل شيء كان سيبقى ثابتاً وغير مهدهد<sup>1</sup>. ولكن المفارقة في هذه الحكاية أنها انبنت على حدثين أحدثا حالتين من اللاتوازن بحيث يستوجب على الرجل البحث عن كيفية إصلاح الخلل لتستعيد الحكاية توازنها الأول. العجب في هذا يصبح الممنوع واجبا يستوجب الإتيان به لحلحلة باقي العطب الذي أصاب الحكاية، ويمكن أن يؤدي التقصير في آدائه إلى حلول العقوبة به. إنه أمر صادر من جهة لا يأتيها الباطل من بين يدها حسب عرف الولاية في الأدبيات الصوفية، إنه امتحان للرجل في مدى تصديقه بإمكانيات الولي. هكذا فكر الرجل وتَدَبَّرَ، وَسَلَّمَ الأمر إلى حيث مستقر يقينه بشيخه، وقال: لأفعلنَّ ما أمرني به الشيخ، فلعل الله يعقبنى خيراً". فلا شك أنه استحضر بركة الولي، وأدرك أن حسنَ الظنِّ فيه سلامةُ الدين، وثبوتُ اليقين، وهكذا يصبح تجاوز الممنوع دينياً على المستوى السردى مَعْبَرًا نحو تصحيح الخلل الذي أصاب الحكاية في بنيتها، من حيث نجاح الرجل في اختبار نيته في شيخه، لأن النية هي مقصد الاختبار، وليس الإتيان بفعل التحريم على وجه الإنجاز الحقيقي. وعلى عتبة النية تم إصلاح الاضطرابات الحاصلة في متن الحكاية، واسترجعت توازنها المفقود. وبفضل بركة الولي قُضِيَ دَيْنُ الرجل، وَعَثَرَ على أسرته، وارتقى عالياً في المركز الاجتماعي بمصاهرة الوزير لاحقاً. العجيب في الأمر أن الحلول كلها جاءت من قبل الولي بتحقيق نية المرید فيه. والشيخ على علم بسلوك مریده فيما أمره بالقيام به، فلما أحجم عن فعل الزنا كان ذلك هو قصد الولي، إذ التكليف بالزنا ماهو إلا أمر ظاهري يقصد به الولي اختبار قوة إيمان مریده، ولذلك فقد تجلَّى للولي حسن سلوك المرید وصدق اعتقاده فيه، وهذا كاف لتنزيل بركته عليه، وتخليصه من الضائقة التي ألمت به، فقد حضر الولي في كل المواقف المحرجة للمرید في نفس الفترة الزمنية، وبقدرة عجيبة تم عبور أسرة المرید الساقية بواسطة طرف رداء الولي، ثم إرساله إلى حيث يوجدون بقصد لم شملهم، وتم تَوَّاء الإفرج عن الوزير، وتحقق الزواج من ابنته لاحقاً.

<sup>1</sup> - لؤي علي خليل. مرجع سابق. ص 210.

لقد لاحظنا على هذه المنقبة أن عنصر التوازن فيها بقي مفتوحا بما ضمن للنص توترا مستمرا، ومنحه إمكانية حدوث الخلل في إطار تجاور نظامي المألوف مع اللامألوف، وقد تجلت قدرات الولي في كل مظاهرها الطبيعية والعجائبية من أجل التمكين للحكاية من استرجاع توازنها المفقود. يقول الباحث المغربي "الميلودي شغموم" متحدثا عن قدرات الأولياء "إن مهمتهم هي إظهار الحضور العادي للقدسي في الكون بواسطة مجموعة من الخوارق نسميها الكرامات. ومادامت هذه هي مهمتهم فإنهم أبطال مُمدّنون، لأنهم يقومون بتمدين البشر العاديين عن طريق رعاية القدسي في الدنيوي، وجعله حاضرا باستمرار في أذهان ووجدان الناس"<sup>1</sup>، ويمكننا أن نلاحظ على حكاية الكرامة الصوفية قدرتها على استثمار التلونات والعناصر التي تتميز بها الحكايات العجائبية "وأن العديد من الظواهر والأحداث التي تروىها حكايات الكرامة الصوفية ظواهر عجائبية، وإن ما تشترك فيه الحكايات الصوفية والحكايات العجائبية هو استمرار مجموعة من التيمات المشتركة بينهما كالتحويلات وكذلك غياب ضرورات العقل المنطقية"<sup>2</sup>، وليس هذا سوى مظهر من مظاهر تحقق الوظيفة الجمالية للمناقب.

لقد حاولنا أن نمثل لمختلف الأدوار التي قامت بها زاوية الشيخ أحمد بن يوسف من خلال ما جسده عيّنات من النصوص المنقبية التي حرص الصباغ على إثباتها في "البستان" والتي تلخص لنا مدى حجم النفوذ الذي اضطلع به الشيخ أحمد بن يوسف في الناحية الغربية للمغرب الأوسط، كولي متقرّد في أحواله، ومقاماته، وأدواره المتعددة: دور الحماية والأمن، التعليم، الإطعام، الإشفاء، رفع المظالم، الإسعاف، وكف قطاع الطرق عن مهاجمة القوافل... وغيرها من الأدوار. هذا إلى جانب الدور الأساسي الذي كانت تقوم به زاويته كمؤسسة دينية تعليمية قائمة بوظيفة تعليم القرآن وتدرّيس العلوم المختلفة ونشر تعاليم

<sup>1</sup> - الميلودي شغموم: الحكاية والبركة. ص 59.

<sup>2</sup> - منصف عبد الحق: أبعاد التجربة الصوفية. ص 268.

الدين والمحافظة على الشريعة الإسلامية في فترة عرفت الانتكاس السياسي والعلمي والأخلاقي وحلَّ محلَّها الاضطراب والخوف والجهل وغموض المصير بسقوط مدن الشمال تحت الاحتلال الإسباني وبداية أفول نجم الدولة الزيانية وسقوطها نهائياً فيما بعد. هذه الظروف المضطربة خلفت فراغاً سياسياً رهيباً اختفت فيه هوية الدولة ومظاهر سلطتها، وحلَّت محلَّها السلطة التركية، والسلطة الإسبانية على إقليم وهران، والمرسى الكبير، ومستغانم، وتلمسان التي ركن أمراؤها إلى الحاكم العسكري الإسباني في وهران. ولنا أن نتخيل حجم الصراع بين القوتين وما خلفه من ضحايا، وجراح، وألام، وهجرات شرقاً وغرباً، طلباً للنجاة.

هذه الأوضاع ساعدت الأولياء عامة والشيخ أحمد بن يوسف خاصة على ترسيم وجوده وإظهار الكفاءة والقدرة على تأمين الأمن للناس، والقيام بتلك الأدوار والوظائف التي أشرنا إليها، ومن ثمة اتسعت دائرة نفوذه، وكثُرَ المتعلقون به من عامة الناس وخاصتهم. ولا يخفى علينا أن إبقاء سلطة الولي قائمة في الزمان والمكان يتطلب تشغيل القدرة الخارقة، "وهي قدرة مطلوب دوماً تأجيج وتغذية الاعتقاد فيها بواسطة الكرامات وغيرها من الظواهر الخارقة"<sup>1</sup>لتحصيل البركة وتثبيت الاعتقاد.

"والصباغ" في النصوص المنقبية التي حرص على ترسيمها في "البستان" - سواء ما كان منها من تأليفه الشخصي حول حياة شيخه اعتماداً على السماع، أم مما نقله من مصادر مكتوبة والخاصة بغيره من الأولياء - يقدمها حسب زاوية نظره بوصفها "مجالات لخطاب حقيقة، أي ينقل حقائق روحية ثابتة تتعلق بتاريخية أشخاص من الأولياء، ووقائعية سيرهم، ويخضع من ثمة في علاقته المرجعية، بمبدأ المطابقة، ومقصده بالتالي من قبيل العلاقة بالقارئ، التصديق، الاعتقاد في غير انتقاد، والانخراط في نهاية المطاف في

<sup>1</sup> - نللي سلامة العامري: مرجع سابق. ص 292.

إيديولوجيا الحقيقة الصوفية، والاندرج في إستراتيجية خطابها... فيجري خوارق الأولياء وعجائبهم في كراماتهم مجرى وقائع سيرهم، ومتعلقات شخوصهم في التاريخ<sup>1</sup>.

وتبعاً لما سبق فقد أمكننا البحث أن نلاحظ على "الصباغ" وبقليل من التأمل أن الأخبار التي يرويها عن مناقب الشيخ أحمد بن يوسف لا تخضع إلى الضوابط المنهجية، وتفتقد إلى الصرامة العلمية، بل تتميز بالاستسهال المفرط، وبالابتعاد عن نقل الحقيقة، إذ كلما حرص على الالتزام بها، بمعنى بقدر ما سخر كل الحجج الإقناعية لتثبيت الحقيقة الروحية من خلال حصول البركة والافتداء وإحياء الطريق، ابتعد مسافات عن نقل الحقيقة التاريخية، فهو بعيد كل البعد عن الموضوعية عري كل العري عن المصادقية في الأخبار، فالتبرك يحصل بالنية فقط، أي: مطابقة المحكي للداخل وليس للخارج، أي نفس القائل وقصده، لا للواقع الحاصل. فيكفي في التبرك أن تصدق النية، وليس مهماً أن يصدق الخبر، فالأجر حاصل في حالتي الصواب والخطأ!. بل إن طلب البركة أدى إلى كثير من التساهل في إيراد الأخبار، وإطلاق النعوت والأوصاف، وتمجيد الأشخاص، فالأساس في البركة حُسْنُ النية، وصفاء الاعتقاد، وبراعة الإيمان<sup>2</sup>. وقد أكد ذلك ابن قنفذ القسنطيني بقوله: "واعلم أن سوء الظن أساس الحجاب بين الناس والأولياء، وحسن الظن فيه سلامة الدين وثبوت اليقين"<sup>3</sup>. ولذلك فإننا نلاحظ على "الصباغ" قيامه باستدراك كل منقبة لشيخه بمنقبة أخرى لشيخ صوفي معين ذائع الصيت، تصبُّ في نفس الغرض، وتعالج نفس الانشغال، إن هذه المزوجة في حضور مناقب الصفة من المتصوفة الأعلام إلى جانب مناقب الشيخ أحمد بن يوسف لا يخلو من قصد، فلما كان الهدف هو تأكيد استمرار النموذج أو الولي القدوة فإنه من الطبيعي أن يتم إبراز مواطن القدوة، أي السلوكات المثالية فحسب،

<sup>1</sup> - فرج بن رمضان. ص 169-170.

<sup>2</sup> - عبد السلام المنصوري. ص 158

<sup>3</sup> - ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقيير، ص 6. وقد ذكر حديثاً أن الله تعالى يقول: "لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولئن سألتني لأعطينه".



بحيث تتم إزاحة كل ما قد يشوب المثال، أو يؤدي إلى تعكير صفاء القدوة، وهذا وجه من وجوه طلاق التاريخ في الكتابة المنقبية<sup>1</sup> على حد تعبير عبد السلام المنصوري. "بحيث يُصَارُ إلى صناعة بطل لا تاريخي، لا تجري عليه قوانين الطبيعة، ولا تسري عليه قواعد الاجتماع، ولا تفعل فيه سنن التاريخ، والنتيجة أن الخطاب المنقبي ينفك بفعل هذه البواعث عن الكتابة التاريخية، ليعانق الكتابة القصصية الخيالية والأسطورية"<sup>2</sup>. فالصباغ على درجة كبيرة من الوعي بمستوى من يكتب إليهم هذه السيرة التمجيدية عن الشيخ أحمد بن يوسف، ولذلك لا يهّمه نقل الحقيقة التاريخية بقدر ما يهّمه ترسيم الشخص النموذج في الأذهان على سنة الأولين، وفي كثير من المواطن يعلن انقياده إلى شيخه ويسبغ عليه جم الصفات والخصال<sup>3</sup>، وهو في كل ذلك يرجو نيل البركة وحصول الانتفاع بالمحبة، فهو كغيره من مؤلفي المناقب تواق إلى البركة، لايهّمه التحقيق العلمي كثيرا.

ونخلص في الأخير إلى أن الكتابة المنقبية على نهج الصباغ وبالأوصاف التي عايناها تخرج عن المقاصد المرسومة لها، فهي كما يعتبرها كثير من الباحثين "أبعد من أن تُعبّر عن المعرفة التاريخية، أو تطلب الحقيقة الموضوعية، مادامت تُوجّهها بواعث دينية إيمانية، تطلب الخلاص لا الحقيقة، وتبحث عن الأثر والنتيجة، لا عن العلة والسبب، وهدفها الأجر والثواب، لا الحق والصواب"<sup>4</sup>. وليس أدل من ذلك مما في مناقب الصباغ - التي حواها المخطوط والتي أشرنا إلى بعضها - من أثر التلبّس بمظاهر الغلوّ في التعظيم والإفراط في تنسيب الخوارق، وما لا يقبله العقل من الأفعال، والسلوكات، إلى الشيخ أحمد ابن يوسف، ورفعته إلى مصاف الأنبياء.

<sup>1</sup> - عبد السلام المنصوري: المرجع نفسه. ص 158.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه. ص 158.

<sup>3</sup> - ينظر الفصل الرابع من هذا البحث والذي خصصناه للتعريف بحياة الصباغ القلعي، وفيه وقفنا على شدة تعلقه بالشيخ أحمد ابن يوسف إلى درجة التقديس.

<sup>4</sup> - المرجع السابق. ص 159.

# الختام

## الخاتمة

يسعى التحقيق في غاياته السامية إلى نشر التراث الثقافي والفكري لأمة من الأمم لتعميم فوائده الجمة، وإثراء زادها المعرفي، والأمم المهتمة بتحقيق تراثها الأدبي والفكري أمم لا شك أن لها قدما راسخة في الوجود الإنساني. ويقدر ما نجد من أشكال الحرص على الاهتمام بتراثنا المخطوط ونشره، يبقى الجهد المبذول في هذا المجال ناقصا ولا يسير بالوتيرة المرجوة، ولذلك فكل تقاعس أو تخاذل في تحقيق هذا المسعى يؤثر سلبا على مستقبل تراثنا المدفون في رفوف مختلف خزائن المخطوطات، والمؤسسات المكتبية، والزوايا الدينية المنتشرة هنا وهناك، ويؤدي حتما الوضع كهذا إلى تعرض تراثنا الحضاري والثقافي إلى الإهمال، والضياع، بتقادم السنين، وانعدام شروط الحفظ، والصيانة لكثير من المؤسسات المالكة لهذا التراث.

إننا في أمس الحاجة إلى التعرف على إرثنا الفكري، والحضاري، لمعرفة ماضيينا وربطه بالحاضر، لاستشراف المستقبل الواعد. ونحن إلى الآن - كما قال أبو القاسم سعد الله - لا نملك تاريخا لثقافتنا يحدد معالمها، ويكشف عن قيمها، ويضبط علاقتنا بها، وقد كانت هذه العلاقة عربية إسلامية، اشترك فيها الجزائريون جميعا، وهي ثقافة مهما قيل عنها إنها متقدمة أو منحلة، هي نحن في ماضيينا، وهي التي نستمد منها اليوم ذاتنا، وحقيقتنا.

والبحث الذي نقدم له هذه الخاتمة هو حجرة نفيسة من الأحجار الكريمة التي دفنت في خزائننا لأزيد من خمسة قرون منذ زمن تأليفها، وها هي الآن على صورة نهائية نحسب أننا بلغنا المقصود فيها، وحققنا عملا ينضاف إلى أعمال أخرى قدمها غيرنا سوف يكون محل استفادة من القراء، والباحثين، كل حسب حاجته. وعليه سأحاول في هذه السطور تجميع أهم الاستنتاجات والخلاصات التي انتهى إليها البحث وتقديمها في شكل فقرات، أو نقاط مختزلة على الشكل الآتي:

إن كتب التراجم والطبقات والسير تشكل مكتبة مستقلة وقائمة بذاتها في محيط تراثنا الحضاري الواسع، وهي تساهم في الحفاظ على مقومات التاريخ الفكري والأدبي والديني للمجتمع، وبواسطتها نستطيع فهم كثير من الأحداث والحركات التي عرفتها بعض الحقب من تاريخ أمتنا المجيدة. وتكمن أهمية المخطوط الذي تم تحقيقه فيما حواه من نفائس الترجمات الخاصة لعدد كبير من أعيان مشايخ التصوف، وفقهاء المغرب الأوسط خصوصاً، والذين تكاد تخلو منهم كتب التراجم المؤلفة على هذا العهد.

وقد وقفت خلال التراجم المفردة في المخطوط على حقائق ثابتة، عقليات وسلوك وتطورات فكرية، وتحولات تاريخية، لاسيما فترة حكم مملكة بني زيان وما بعدها. والمخطوط بصفة عامة يقدم صورة واضحة المعالم عن المجتمع الجزائري في القرنين (9هـ - 10هـ - 15م - 16م)، ويؤرخ لمختلف أنواع الحراك السياسي والتكالب على السلطة خاصة في عهد ملوك بني زيان.

يشكل المخطوط مصدراً من مصادر التاريخ الثقافي للجزائر في العصر الوسيط، إذ سجل كثيرا من الأحداث التي وقعت في هذا العصر، وفيه أفادنا الصباغ بمعلومات نفيسة حول واقع الحياة الثقافية في الجزائر، وأبرز ما ميز هذه الفترة من انتعاش مستوى العلم والمعرفة، ودور العلماء، وأهل الفكر في نشر العلم، تأليفاً، وتدريسا، في العلوم العقلية والنقلية، وفي الأدب، والفنون بشكل عام. كما زودنا الصباغ أيضا بمعلومات قيّمة حول الصراع الدائر بين المتصوفين فيما بينهم من جهة، وبين المتصوفين وسلطين مملكة تلمسان من جهة أخرى. وقد نقل لنا المؤلف صورة حية عن هذا الصراع وعن قيام أمراء بني زيان بالتضييق - بصفة خاصة - على الولي الصالح أحمد بن يوسف الراشدي والزجّ به في سجونهم، ومحاولة قتله.

اتسم مؤلف الصباغ بالتقليد، حيث سار في عمله على نهج من سبقوه من مؤلفي السير والتراجم المطولة، وأكثر فيه من الحشو والاستطرادات والأقوال والاقتراسات عن سبقه ولم يكن ملتزماً الصرامة العلمية المطلوبة في نقوله، فقد تصرف فيها بمطلق الحرية . لم يهتم الصباغ بتوثيق نصوص المخطوط واقتباساته بل اكتفى بالإحالة العامة إلى اسم المصدر أو صاحبه كأن يقول: "جاء في زهر الأكمام..." وهكذا.

في المخطوط صورة واقعية عن هيمنة شيوخ التصوف، وارتفاع صوت الأولياء، وذلك راجع إلى ما اتسم به ذلك العهد من التحول العميق لبنية المجتمع الجزائري على المستوى الفكري والديني نتيجة التدهور السياسي، ولذلك فقد حل التدين الشعبي بطوقسه المختلفة محل الديانة الصحيحة.

على الرغم من طغيان مصطلح المناقب فيما كتبه الصباغ عن شيخه أحمد ابن يوسف، وفيما أورده عن غيره من رجال التصوف الإسلامي فإن هذا الخطاب في جوهره هو خطاب كرامات بالدرجة الأولى. فعند قراءة محتوى هذه المناقب نجد أن الكرامة تقع في القلب من هذا الخطاب، وتشكل قلبه النابض، وموضوعه الأساس. ذلك أن الولي الصوفي لا يحظى بشرف الحضور في المدونة المنقبية إلا بنصاب الكرامة، فإذا غابت الكرامة عنه غاب هو تبعاً، وطوته ذاكرة النسيان. وعليه فإن حضور الكرامة في هذا الخطاب هو المعادل الموضوعي للمنقبة.

كشفت لنا كثير من النصوص المنقبية المتضمنة في المخطوط مدى ثقل الحمولة النفسية التي شحنت بها المناقب بألوان العنف المقدس، المنسوب إلى الأولياء، في أشكال مختلفة من الممارسات، والسلوكات، لعل أبرزها سلاح الدعاء، الذي يعتبر الأداة النافذة في يد الولي، وهو يسعى إلى إحكام السيطرة الروحية على العامة، والخاصة على حد سواء.

سمحت لنا هذه الدراسة بالوقوف على حقيقة لم تكن جلية بالقدر الذي يجعلها متاحة لإدراك العامة من الناس، وتتمثل في انخراط "الفئة الخاصة" في ظاهرة تعظيم الأولياء

وتقدسيهم، فالخطاب المنقبي كثيرا ما يركز على إبراز ظاهرة تقديس العامة للأولياء وتعظيمهم، وإخفاء تأثير "الخاصة" بهم من الأمراء والسلطين والملوك وأصحاب الشأن والنفوذ، فقد وقفنا على نماذج من النصوص المنقبية التي تفصح عن مشاركة هذه الفئة - المسماة "بالخاصة" - عامة الناس في الميل نحو دكة الأولياء، وتصديق كراماتهم، والاعتقاد فيهم، ومن ثمة تقوية حبل الوصال بهم لخدمتهم، وتقديم مختلف ألوان الدعم لهم، قصد نيل بركتهم، وفضلهم، واتقاء شرهم.

لغة المناقب المنقولة من كتب التصوف تتسم بمظهرها الأنيق، وبحلتها القشبية، فهي موشاة بكثير من النصوص الشعرية، والألوان البلاغية، التي أضفت عليها بعدا جماليا، يضاف إليها تحليقها بين مملكتي الواقع المألوف ومملكة اللامألوف، من خلال تعديها الفاضح على مبادئ العقل، وقواعد المنطق، وقوانين الطبيعة، حيث مطلق الخيال، ومسرح الخارق والعجيب، بلا حدود، وبلا قيود، في تناغم بديع، يأسر لب المتلقي، ويزج به في شرك صورة متعددة الألوان والأطياف.

يحفل المخطوط بمجموعة كبيرة من نفائس المقطوعات، والقصائد الشعرية الطويلة والقصيرة، المتنوعة الأغراض، والمضامين، منها الفصيحة، ومنها الأقل فصاحة، وهي في أغلبها من الشعر الصوفي الفصيح، وحضور هذا اللون من الشعر دليل على طغيان ثقافة التصوف على تكوين الصباغ من جهة، وعلى هيمنة الفكر الصوفي عموما على المجتمع دينيا وثقافيا، وأدبيا في ذلك العهد من جهة أخرى.

تميز المخطوط بسهولة أسلوبه، وبساطة لغته، وذلك من خلال تضمنه ألفاظا عامية، وعبارات باللهجة الزناتية، ذلك لأن الصباغ ألفه ليكون في متناول العامة من جهة، وليلدل به أيضا على أن لسان الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي زناتي الأصل.

تبدو النصوص المنقبية المتضمنة في المخطوط - سواء منها تلك التي أبدعها الصباغ، أم تلك التي نقلها من كتب التصوف الإسلامي - متنوعة الوظائف، والغايات. ولكن

هذا على مستوى الظاهر فقط، أما على المستوى المضمّر فإن وظيفة الخطاب المناقبي يستهدف صناعة النموذج على سنة الأولين.

أكثر المؤلف من الاستشهاد "بالقرآن الكريم، إذ فاق عدد مواطن الاستشهاد بآيات القرآن الكريم أكثر من مائة وثلاثين استشهاداً من السور المختلفة، كما تضمن المخطوط عدداً كبيراً من نصوص الحديث النبوي الشريف، مع ملاحظة أن الصباغ لم يهتم بدرجة الصحة والضعف فيها، كما لم يشر إلى مصادرها بشكل يسمح للباحث بالعودة إليها ببسر وسهولة.

نوع الصباغ في مؤلفه بين عديد المصادر التراثية، وجمع مادة ثرية ومتنوعة تتوع مصادره: مصادر عقيدية، فقهية، صوفية، تاريخية، دينية، أدبية... إلخ. وهذا يدل على سعة علمه وكثرة اطلاعه.

كشف الصباغ في مؤلفه عن تعلق الطلبة والمريدين بأشياخهم، وانقيادهم إليهم، والتسليم لهم، وقد عبر في أكثر من مناسبة عن حبه وفنائه في شيخه أحمد بن يوسف الملياني، الذي يعتبره أبرز شخصية صوفية في وقته.

وأخيراً ومع كل هذا نقر بأننا لم نبلغ مسعى الكمال والرضا فيما وضعناه نصب أعيننا، حيث لا تزال مناحي مجهولة وجوانب من المخطوط غامضة، تحثُّ على الإيفاء بها، واستدراكها. من ذلك الفراغ الذي تركه الصباغ القلعي في صرف النظر عن الاهتمام بما تعلق برحلات شيخه إلى المشرق، ولقائه بأساتذته في الطريق، وكيفية الأخذ عنهم، والاستفادة منهم، وكذا الفترات الزمنية التي تغطي هذه الرحلات.

ويضاف إلى هذا الجانب موضوع آخر لا يقل أهمية، وهو مرور الشيخ أحمد ابن يوسف بمنطقة القبائل، ومكوته هناك، وزواجه من إحدى نساء المنطقة، وخلفه ذرية كثيرة يعتبرون اليوم أحفاداً له، ويُقرّون بانتسابهم إليه، ويشاركون في الركب السنوي لزيارة قبر جدهم سيدي أحمد بن يوسف الملياني. لقد أشار إلى هذه المرحلة من حياة الملياني الباحث

الأستاذ محمد أرزقي فراد وتحري مرور الملياني بهذه المنطقة، وهي المحطة المغيبة في سيرة الصباغ عن شيخه، فلم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد، ولذلك تبقى هذه المرحلة في حاجة إلى إضاءة شافية قصد تغطية الجوانب المظلمة من حياة صاحب ضريح مليانة.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات الشرقية

## بستان الأزهار

في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار

سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار

لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الصبّاغ القلعي (ت990هـ)

— دراسة وتحقيق —

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم

تخصص: الأدب الشعبي

إعداد الطالب:

عثمان مجدوبي

الجزء الثاني

السنة الجامعية: 2022 / 2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات الشرقية

## بستان الأزهار

في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب  
والدار لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الصبّاغ القلعي (ت990هـ)  
\_ دراسة وتحقيق \_

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم

تخصص: الأدب الشعبي

إشراف الأستاذين:

أ/د: عبد الحميد بورايو

أ/د: لعبيدي بوعبدالله

إعداد الطالب:

عثمان مجدوبي

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/ بوصبع نذير.	أستاذ التعليم العالي - جامعة الجزائر-2.	رئيساً.
أ.د/ بورايو عبد الحميد.	أستاذ التعليم العالي - المركز الجامعي - تيبازة.	مشرفاً ومقرراً.
أ.د/ لعبيدي بوعبدالله.	أستاذ التعليم العالي - جامعة محمد بن زايد - أبو ظي.	مشرفاً مساعداً.
أ.د/ بن عاشور العربي.	أستاذ التعليم العالي - المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة.	عضواً.
أ.د/ بوحبيب حميد.	أستاذ محاضر (أ) - جامعة الجزائر-2.	عضواً.
أ.د/ بوزواوي محمد	أستاذ محاضر (أ) - جامعة المدية.	عضواً.

السنة الجامعية: 2023/2022.

## القسم الثاني : الكتاب محققاً

## الرموز المستعملة في التحقيق وصور الفطوطات

### رموز النسخ المعتمدة:

1707a (أ) - نسخة

1708 (ب) - نسخة

2625د (د) - نسخة

243 ك (ك) - نسخة

### الرموز المستعملة في التحقيق

القوسان المعقوفان [ ] للدلالة على ما زيد في الأصل أو ما أسقط منه في إحدى

النسخ.

القوسان الموردان ﴿﴾: للدلالة على الآيات القرآنية.

المزدوجان الصغيران «»: للدلالة على الحديث النبوي.

القوسان الكبيران ( ) للإحالة إلى رمز النسخة المخطوطة.

تح = تحقيق

تع = تعليق

تق = تقديم

تخ = تخريج

تر = ترجمة

ج = جزء

مج = مجلد

ط = طبعة

د. ت = دون تاريخ

= = علامة دالة على استمرار الإحالة إلى الورقة الموالية

### مختصرات عناوين بعض المصادر:

التحفة = تحفة الحادي المطرب في رفع شرفاء المغرب.

الجدوة = جدوة الاقتباس.

الدرّة = درة الحجال في أسماء الرجال.

الربّح = ربح التجارة ومغنم السعادة.

السّلوّة = سلوة الأنفاس.

الشّجرة = شجرة النور الزكية.

المراة = مرآة المحاسن.

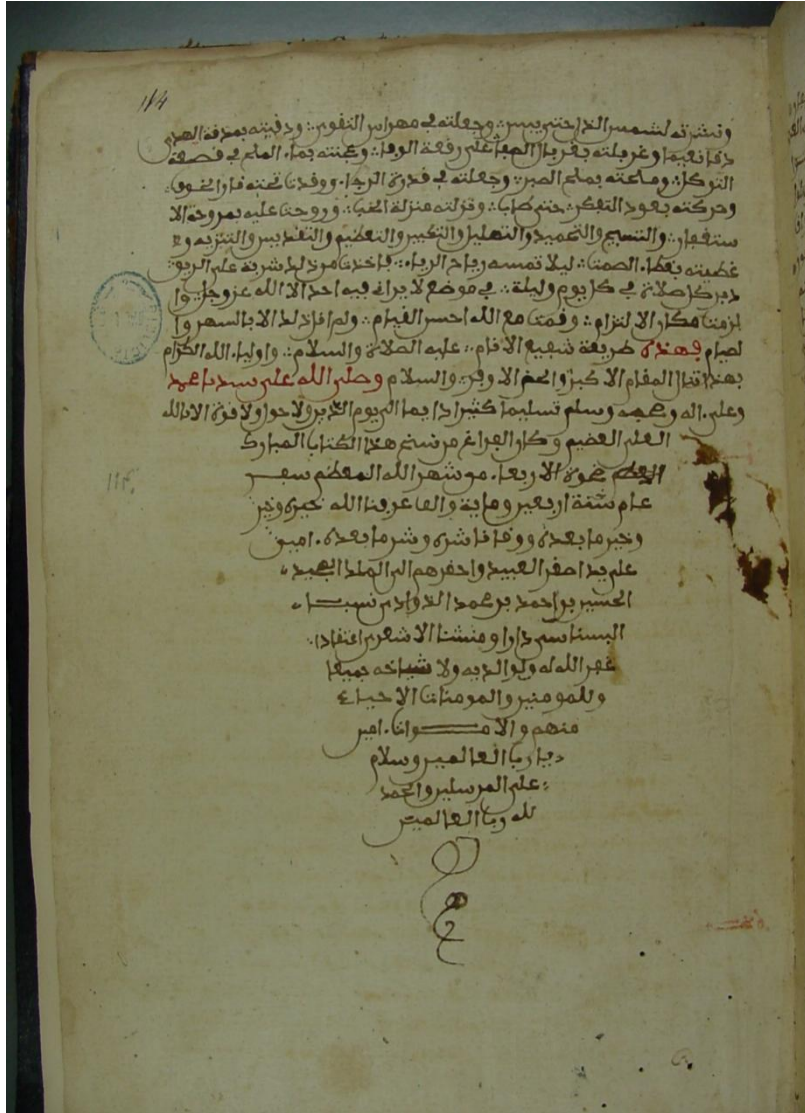
# عرض صور النسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق

## الصفحة الأولى والأخيرة من كل نسخة

الصفحة الأولى من مخطوط رقم (1707a)



الصفحة الأخيرة من مخطوط رقم (1707a)

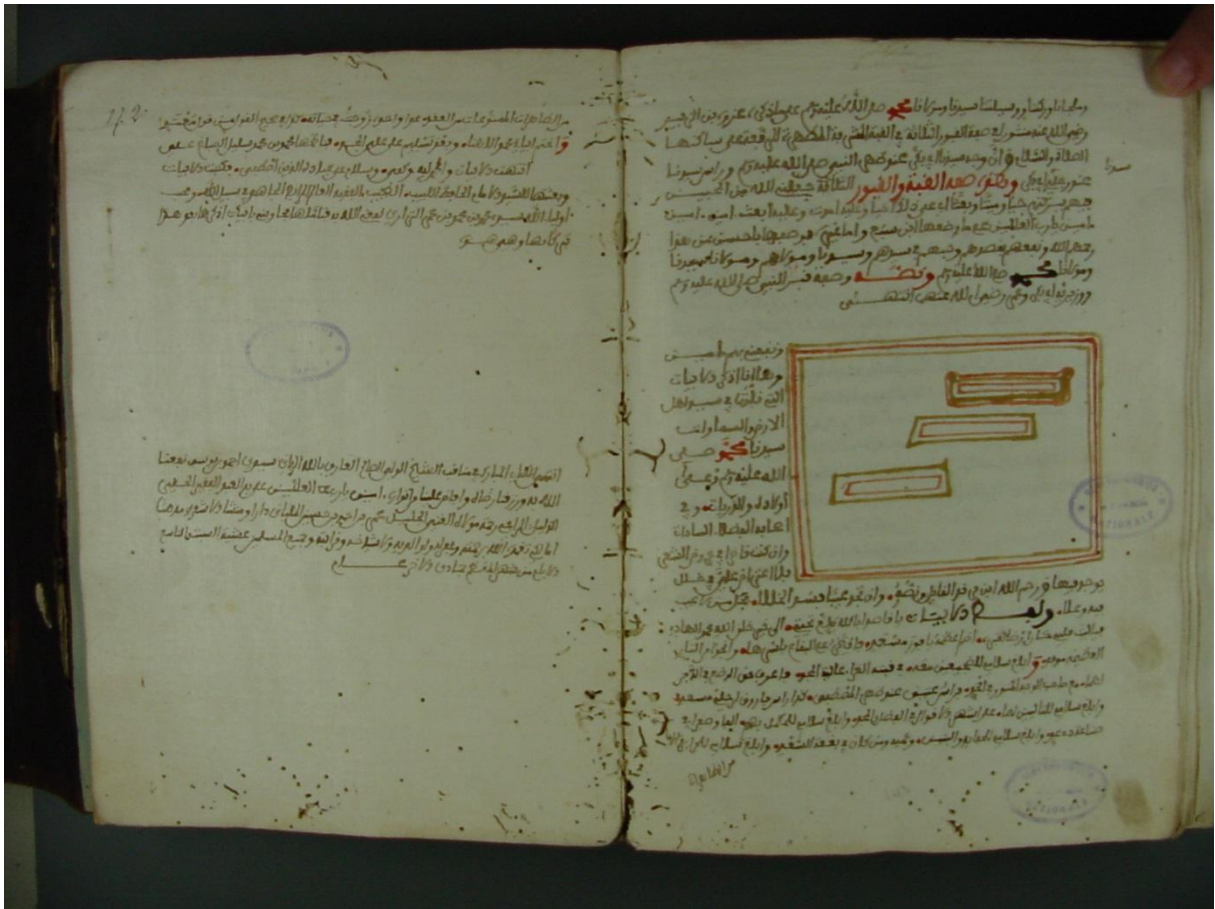


الصفحة الأولى من مخطوط رقم (1708)

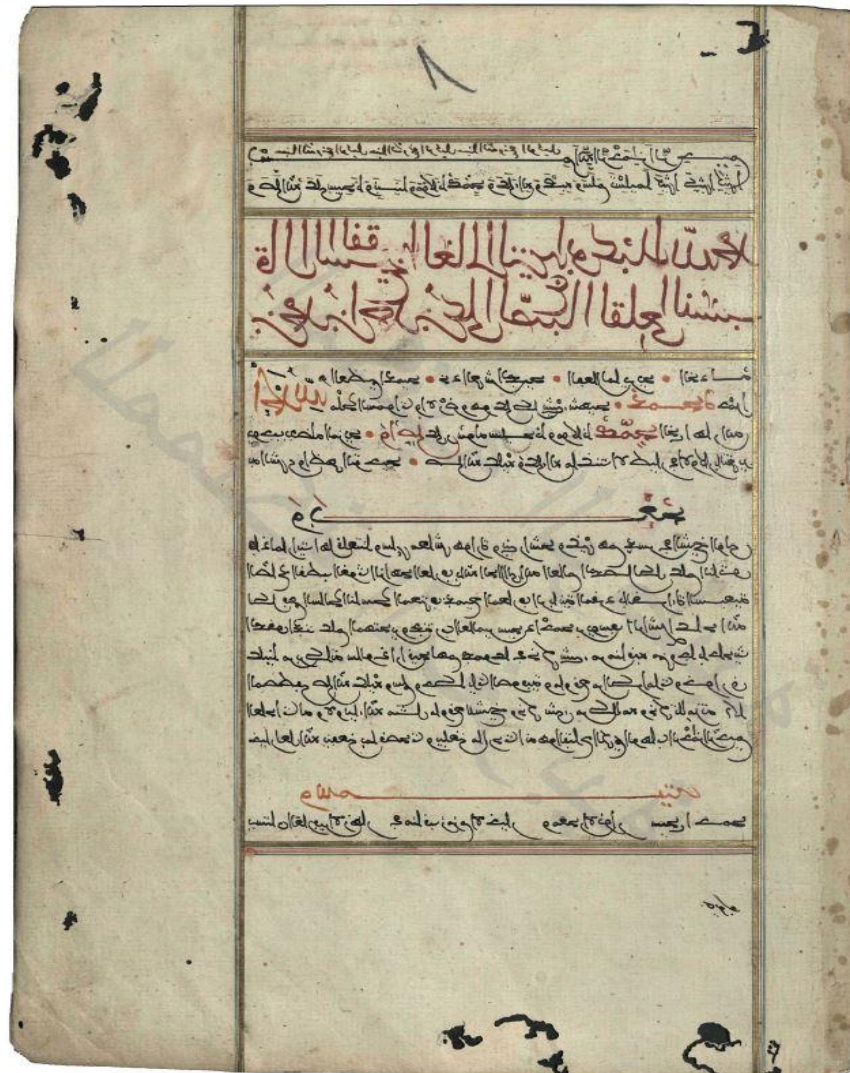




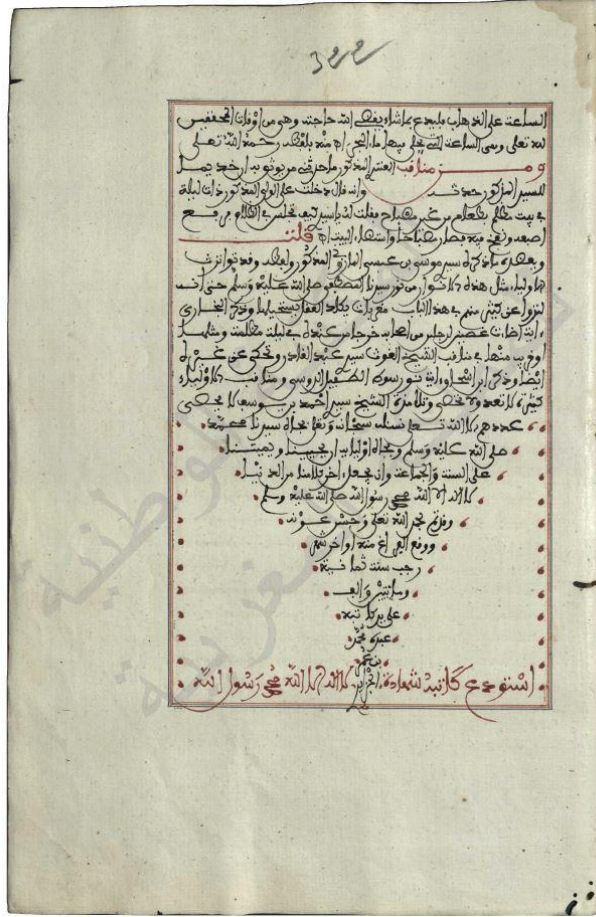
الصفحة الأخيرة من مخطوط رقم (1708)



الصفحة الأولى من مخطوط رقم (243ك)



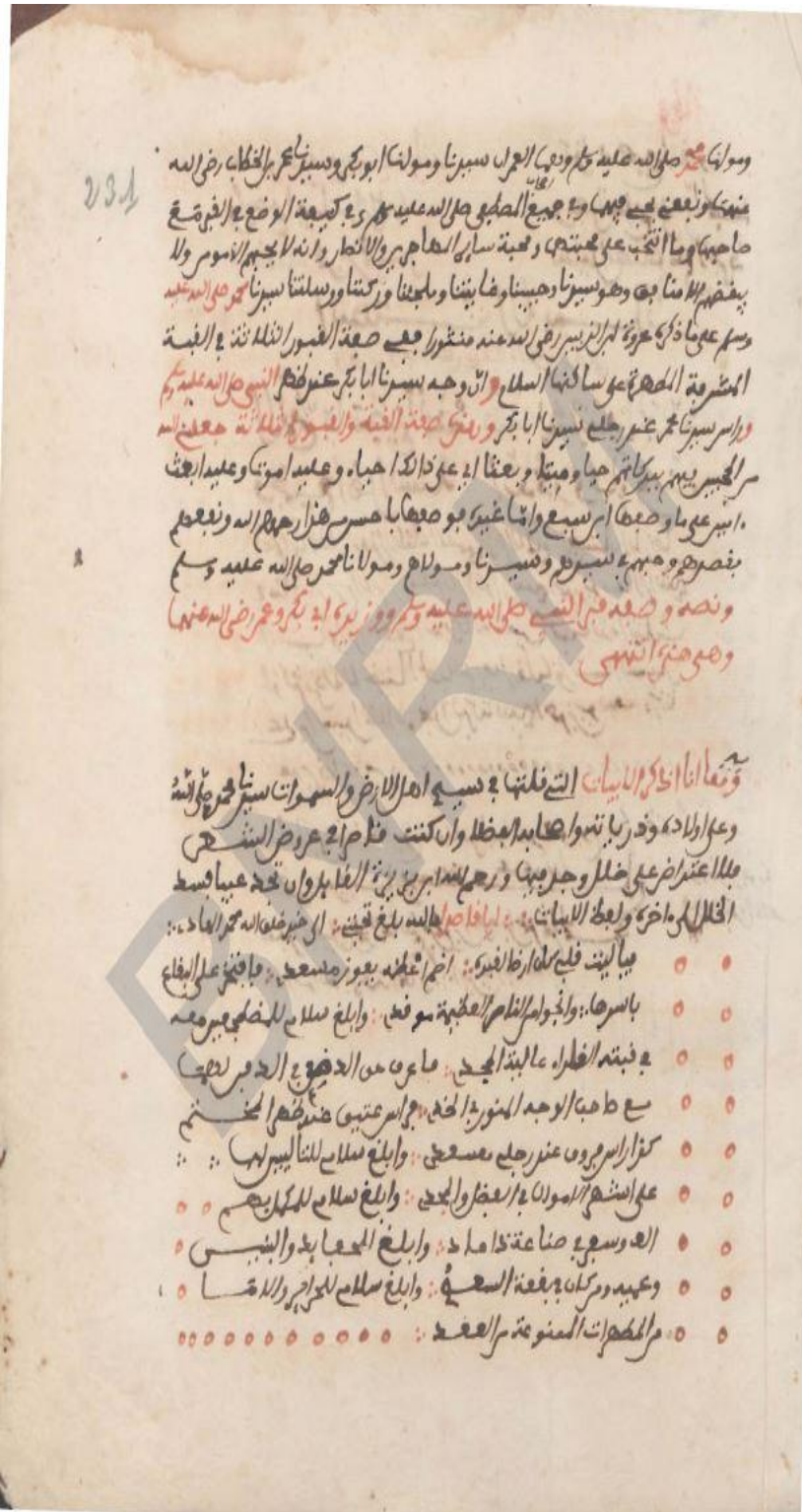
### الصفحة الأخيرة من مخطوط رقم (243ك)



الصفحة الأولى من مخطوط رقم (2625د)



الصفحة ما قبل الأخيرة من مخطوط رقم (2625د)



الصفحة الأخيرة من مخطوط رقم (2625د)

234

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** انزلنا يا حقياه فاف  
 بهون يوم تضاف بعلم القلم بجواب العرش بالنساء التي من بضرة النهار بظلم الليل غير بالاء  
 بروي الهواء بعلوم السماء بنفخ الشمس بنور القمر بخلق الناس بالطور بغير الكعبة  
 بشدة العويز بسيرة القدس بقوة البيان بقدر الملائكة بمعدن الزوايا بالعرش  
 بضياء الجحيم بعلم الانبياء بنزول المثل بعلم الخلق بديوان الامم بسوم الحشر بعجايب الانبياء  
 بكثرة اسبابك بغير امر نجايد بفايض علمك بكنوز سرور بوجاهة عظمك بغير الملائكة  
 ببعد النار بعد العيزان بغير بي الكوربان **بقوة الالهة** كبر انزالها بجزء الصراط  
 بغير المشرق وبعده بآهلة الشهور بساعة الدهور بسوم الجمعة بملفها  
 رحوا بجمع شئيت برعدة ادر يسر بسعينة نوع بخصيص وسف بغير بغيرها  
 بنسوة ذر اورد بغير ابواب ملك سليمان بآهنة لغز بجمع الصحف بطول النور بغير  
 بجواب الملائكة يا خبار الزبور بآية العرفان بسفرة النار بخلق الخلق يا جوف  
 العوق بواد هارون بعصاة موسى يا قيل عيسى بسيرنا ثم **قل الله عليم خبير**  
 وعليم اجيب بالقران العليم بالقران بالقران والقران والاسلام والقران والسنة  
 والقران والقران والقران والقران والقران والقران والقران والقران والقران والقران  
 عليم بفضيلة الصلاة والقران السلام كما انزل الله انزل الله وحسن عونه وتوحيده  
 الجميل والاحسان ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل **بسم الله الرحمن الرحيم**

# التحقيق

[1ظ] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

قال الشيخ الفقيه، العالم النزيه<sup>1</sup> أبو عبد الله محمد بن محمد [بن محمد] بن علي الصَّبَّاحُ القلعيُّ النسبِ والمنزِلِ لَطَفَ اللَّهُ بِهِ لُطْفًا جَلِيلًا، آمينَ:

### خطبة الكتاب

الحمدُ لله العظيم<sup>(3)</sup> الحميد، ذي العرشِ المجيد، الفَعَّالِ لما يريد، الذي له مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ. نحمدهُ حمداً يوجبُ بفضلِهِ المزيدَ. وأصَلِّي على رسوله سَيِّدِنَا ومولانا مُحَمَّدِ الذي أهانَ اللَّهُ بِهِ الكُفْرَ<sup>(4)</sup> وأظَهَرَ التَّوْحِيدَ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ما غَنَّتِ<sup>(5)</sup> الأَطْيَارُ في الأوكارِ بالتَّغْرِيدِ. أمَّا بعدُ:

فإني لَمَّا رأيتُ أهلَ قَلْعَتِنَا وسائِرَ مجاشِرِ<sup>6</sup> هَوَّارَةَ وبنِي راشِدٍ وغيرِهِم يحسِنُ [الظنَّ]<sup>(7)</sup> في الشيخ<sup>(8)</sup> الوليِّ، الصَّالِحِ، القُطْبِ، الغوثِ، الرَّاهِدِ، [العارِفِ باللَّهِ، الدَّالِّ إلى اللَّهِ<sup>(9)</sup>، العالمِ، المحصِّلِ لكلِّ عِلْمٍ، الفاتِقِ لكلِّ فِهْمٍ، السَّالِكِ النَّاسِكِ]<sup>10</sup>، المعترفِ [بجميعِ المعارِفِ]<sup>11</sup> الرِّبَّانِيَّةِ، المقرِّ بالقراتِ السَّبْعِيَّةِ، المحقِّقِ، الحَجَّةِ، [المربِّيِّ، قائدِ المقتدين]<sup>1</sup>،

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(ك) وجاءت المقدمة في (ب) وفي (د) كما يلي: "يقول العبد الذي على مولاه توكُّله، وبالمصطفى إليه توسُّله، وعلى لطفه الخفي في الأمور مُعوِّله". إلى هنا النسختان متفقتان ثم اختلفتا فيما يلي من التقديم فجاء في (ب): "عبيد الله وأقل عبيده محمد بن محمد قاضي القلعة وفقه الله أمين أمين يارب العالمين". أما في (د) فجاء باقي التقديم كالتالي: "عبد وأقل عبيده محمد بن محمد قاضي القلعة الشهير بالصباغ وفقه الله أمين. فالملاحظ في (ب) أنها النسخة الوحيدة التي لم تذكر فيها عبارة "الصباغ".

<sup>2</sup> - ما بين المعوقين إضافة من (ك) وساقطة من كل النسخ.

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "الغني".

<sup>4</sup> - في (ب) و(ك) و(د): "الشرك".

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "ما حنَّت".

<sup>6</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "مجاشر". ويقصد بها مداشر.

<sup>7</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ك).

<sup>8</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ك).

<sup>9</sup> - في (ب): "الدال على الله".

<sup>10</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (د).

<sup>11</sup> - ورد ما بين المعوقين في (ب) كما يلي: "بأسرار المعارف". وورد في (د) كما يلي: "بالأسرار الربانية".



[و]عَلِمَ<sup>(2)</sup> المهتدين، وَحُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، سَيِّدِي [أَبُو الْعَبَّاسِ]<sup>(3)</sup>أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ الرَّاشِدِيِّ،  
 \_أَعَادَ اللَّهُ عَلَيْنَا<sup>4</sup> مِنْ بَرَكَاتِهِ، [وَأُنَا لَنَا شَيْئاً مِنْ أَنْوَارِهِ]<sup>5</sup>\_، [أَرَدْتُ]<sup>6</sup> أَنْ أَقِيدَ لَهُمْ مَجْمُوعاً فِي  
 ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ مَنَاقِبِهِ؛ مَمْزُوجاً بِأَحَادِيثِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَحِكَايَاتِ الصُّوفِيَّةِ، وَمَا وَقَعَ مِنْ  
 الْكِرَامَاتِ<sup>(7)</sup> وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ لَهُ وَلِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِثْلَ مَا وَقَعَ<sup>(8)</sup> لِلشَّيْخِ [زُرُوقِ]<sup>(9)</sup>، وَ[ذِكْرِ]<sup>(10)</sup> شَيْءٍ  
 مِنْ كَلَامِهِ، وَذَكَرِ تِلَامَذَتِهِ الْأَخْيَارِ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِمَا قَصَدْتُ، وَيَبْلِّغَنِي مَا أَرَدْتُ، إِنَّهُ  
 هُوَ الْفَتَّاحُ الْكَرِيمُ، الْوَهَّابُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

وَسَمَّيْتُهُ بِيَسْتَانَ<sup>(11)</sup> الْأَزْهَارِ فِي مَنَاقِبِ زَمْرِ الْأَخْيَارِ<sup>(12)</sup> وَمَعْدِنِ الْأَنْوَارِ سَيِّدِي أَحْمَدَ ابْنَ  
 يَوْسُفَ الرَّاشِدِيِّ النَّسَبِ وَالذَّارِ، نَفَعْنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِهِ<sup>(13)</sup>، [آمِينَ]<sup>(14)</sup>.

### التَّعْرِيفُ بِالشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ \_ مِنْ أَعْيَانِ مَشَايِخِ مَغْرِبِنَا، وَعُظَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَأَنْمَةِ الْمُحَقِّقِينَ.  
 صَاحِبُ الْكِرَامَاتِ<sup>15</sup> الْخَارِقَةِ، وَالْأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ، وَالْهَمَمِ السَّامِيَةِ، وَالْمَوَاهِبِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْأَسْرَارِ  
 الْمَلَكُوتِيَّةِ، وَالْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ. لَهُ الْقُوَّةُ الشَّدِيدَةُ فِي أَصُولِ النَّهْيَةِ، وَالْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي أَحْكَامِ  
 الْوَلَايَةِ.

1 - ما بين المعقوفين ساقط من (ك).

2 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

3 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د). ولكن في (د): عبارة "سيدي" أسبق من عبارة "أبو العباس".

4 - في (ب): "عَلَيَّ".

5- ما بين المعقوفين ساقط من (ك).

6- في (ك): "سألوني أن أقيد لهم".

7 \_ كذا في (ك). وفي (ب) و(د): "كرامات بالتكثير".

8 \_ كذا في (ك). وفي (ب): "للأولياء مثل ما وقع". في (د): إضافة "للأولياء رضي الله عنهم".

9 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د). واسم زروق ورد نكرة ومعرفاً بالألف واللام "الزروق"

10 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(ك).

11- في (ك) إضافة كلمة "العارفين". هكذا "بستان العارفين الأزهار"

12 \_ في (ب) و(د): "الأبرار".

13 \_ في (ب): "نفني الله من بركاته، وأفاض علي من أنواره".

14 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

15 - في (ك): "الكرامة الخارقة".

وهو أحد أوتاد المغرب، وأحد أركان هذا الشأن، [وأعظم<sup>(1)</sup>] الأئمة البارعين، وساداته<sup>(2)</sup> المحققين، وأفضل العلماء العاملين. وهو أحد من أظهره الله تعالى للوجود، وصرّفه في العالم، ومكّنه في الأحوال، ومكّنه<sup>(3)</sup> الأسرار. وأظهر على يده العجائب، وأنطقه بفنون الحكم. وأجرى على لسانه لطائف الأسرار، وأوقع له القبول العظيم، والعطف الجسيم، والرأفة الوافرة، والمحبة الكاملة في قلوب الخلق.

وقصده الزوار من كل جانب<sup>(4)</sup>. وتتابعت كرامات الله عليهم، وظهرت أنوار لطائفه عليهم. واشتهر ذكره في الآفاق شرقاً وغرباً. وهو أحد من جمع الله له بين علم الحقيقة والشريعة. ولقد انتهت إليه رئاسة السالكين، وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره، وغير ذلك من سائر البلاد.

واجتمع عنده جماعة من أكابر المشايخ من العلماء والصالحين من تلاميذه<sup>(5)</sup> الأخيار، السادات الأبرار، على ما أذكرهم بعد [هذا]<sup>(6)</sup> \_ إن شاء الله \_ وانتفعوا بكلامه، وخدمته له، ومحبتهم فيه \_ فعني الله ببركاتهم<sup>(7)</sup> وبركة شيخهم، آمين، آمين، آمين يا رب العالمين \_.

كان رحمه الله، وفعني به \_ متواضعاً، ورعاً، وزاهداً، محبباً<sup>(8)</sup> عباد الله في طاعة الله، ومحرّضهم<sup>(9)</sup> على ذكر الله / [3و]<sup>10</sup> [ويُرشدُهم إلى الطريق المُستقيم]. ولقد تاب على

1 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(ك) و(د).

2 \_ كذا في (ك). وفي (ب): "وسادات". أما في (د): "والسادات المحققين".

3 \_ في (ب): "ومعه". وفي (د): إضافة "ذوق". ومكّنه في الأحوال وذوق الأسرار.

4 \_ في (ب): "من كل حدب".

5 \_ في (ب): "تلامذته".

6 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

7 \_ في (ب): "ببركتهم".

8 \_ كذا في (ك) و(د). أما في (ب): "زاهداً، محبباً".

9 \_ في (ب) و(د): "ويحرّضهم".

10 - ملاحظة: الورقة (2) و(ظ) ساقطتان من (ا) وتم تعويضهما من النسخة (ب) بالورقة (3) و(ظ). والورقة (3).

يَدِهِ خَلَقَ كَثِيرٌ، وَهَدَاهُمْ اللَّهُ بِسَبَبِهِ وَبِإِشْرَادِهِ لَهُمْ. وَلَقَدْ صَارَتْ الْعَوَامُّ الْعِصَاةَ تَائِبِينَ لَاهِجِينَ بِالذِّكْرِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا لُصُوصاً قُطَاعاً فِي السَّبِيلِ<sup>1</sup>.

قلتُ: وقد زاد هذا الوصفُ بعد مَمَاتِهِ رَحْمَهُ اللَّهُ وَنَفَعَنِي بِهِ فِي رَجُوعِ الْعِصَاةِ لِلنُّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ. فَهَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَقَعَتْ عَلَى يَدِ هَذَا الشَّيْخِ الْمُبَارَكِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْفَاسِدِ فِي انْقِيَادِ الْخَلْقِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِسَبَبِهِ.

ولقد أخذَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمَرْوِيِّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَنَّ يَهْدِي اللَّهُ عَلَى يَدِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(2)</sup>. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»، أَي: التَّصَدَّقِ بِهَا.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَوْصُوفًا بِأَفْضَلِ الصِّفَاتِ، وَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَالْيَقِينِ الرَّاسِخِ<sup>(3)</sup>، وَالْقِيَامِ بِوُضَائِفِ الشَّرْعِ. وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالطَّبَائِعِ، وَطَبَّ الْقُلُوبِ. نَفَعَنِي<sup>(4)</sup> اللَّهُ بِهِ، وَكُلَّ مُحِبِّ فِيهِ، آمِينَ

ذَكَرُ مَنَاقِبِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَفَعْنَا بِهِ وَبِأَمثَالِهِ، آمِينَ.

### المنقبة الأولى:

مِنْهَا مَا حَدَّثَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَوَّارِيِّ الْمِصْرَاتِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْخَ حَدَّثَهُ مَشَافَهَةً، فَقَالَ

<sup>1</sup> - كذا في (ب) وفي (ك): "قطّاعا بالسبل". وفي (د): "قطّاعا للسبيل".

<sup>2</sup> - ذكره البخاري في صحيحه في أكثر من موضع. قال: "حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد - رضي الله عنهما -، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال لعلي - رضي الله عنه - : "قَوْلَاللَّهِ لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ". أخرجه البخاري في صحيحه تحت رقم (3701)، ج2/ تح الشيخ/محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، (1430هـ - 2010م) - دار الإمام مالك، باب الوادي - الجزائر. ص496. وفي موضع آخر من نفس الجزء ذكره البخاري بصيغة أخرى تحت رقم (2942). ص316. فقال: "قَوْلَاللَّهِ لَأَنَّ يَهْدِيَ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ".

- وذكره أيضا مسلم في صحيحه تحت رقم (2406). ج15. تح: محمد سيد عبد رب الرسول. ط1/ دار "أبويكر الصديق"، القاهرة. (1436هـ/2006م). ص151. وأما رواية: « خير لك من الدنيا ...» فلم يروها أحد بهذا اللفظ، وإنما أخرج الطبراني في معجمه الكبير رواية بمعناها: «.. خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَعَرَبَتْ». المعجم الكبير للطبراني (رقم: 930): تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ج 1 / ط 2 / مكتبة ابن تيمية، القاهرة. د. ت. ص315.

<sup>3</sup> - كذا في (ب) و(ك). أما في (د): "الراجح".

<sup>4</sup> - كذا في (ك). وفي (د): "نفعنا".

له: «كنت في بجاية عند شيخي سيدي أحمد زروق \_نعني الله به\_ فدخلت خلوة بقيت فيها أياماً. فغلبني الجوع، وأقسمت بالله لا أكلت إلا من يد الصدق.

فخرجت من الخلوة ذات يوم وذهبت إلى ترس<sup>(1)</sup> البحر، ورقدت كأني ميتة إلى الليل. فقدمت سفينة للروم فرسوا بالقرب مني. وهبط بعضهم لاستقاء الماء فوجدوني مطروحاً بالأرض، فقالوا: "هذا غلبه الجوع"، فأعطوني الطعام. فلم آخذه بيدي، ثم أطعموني بأيديهم. فأكلت وشربت، ورفعوني لسفينتهم، وأرادوا الذهاب بي، فلم تتحرك السفينة، فقال رئيسهم: "هذا قسيس"، ثم طلبوني في الدعاء، فدعوت لهم، وقلت: "اذهبوا سالمين غير غانمين". ثم أمر الرأس النصارى فأخرجوني إلى طرف البحر.

ثم رجعت لبجاية. فرأيت حلقة عظيمة، والناس مجتمعين<sup>(2)</sup>، فقصدتهم، فإذا بشيخ لابسا<sup>3</sup> عباءة، عاري الرأس، وهو في وسط الحلقة يرقص، ويذكر الله، يقال له سيدي قاسم البسكري \_نعني الله ببركاته، آمين\_. فقال لي: "ادخل الخلوة، ولا ترد ما يعطاك، ثم اذهب لأهلك في راس الماء". ولم يعلم أحد من تلك الحلقة لمن يقول ذلك؛ لأنني كنت لا يعرفني أحد. ثم ذهبت كما أمرني سيدي أبو القاسم<sup>4</sup>، فدخلت الخلوة، إلى الليل أتاني رجل بحفنة دراهم، وناولنيها من بين الحائط والباب وذهب. وبعد ذلك اشتريت فرسي البعثة<sup>(5)</sup> ودراوية<sup>(6)</sup> نقلت بها، وكسوة. فأتيت راس الماء، وجعلت نواله فجلست فيها [في راس الماء]<sup>7</sup> لا يعرفني أحد. ثم بعد ذلك صرت أمشي أصلي في سوق أم العساكر بالناس، فتسامع الناس بي، وصاروا يأتوني.

1 - كذا في جميع النسخ. ولييس في لسان العرب ما يدل على معنى هذه اللفظة بما يوافق السياق الذي وردت فيه. فهي تفيد سلاح وقاية للتستر بالترس. ينظر: لسان العرب. ج. 2. ص 221.

2 - كذا في كل النسخ. والأصح: "مجتمعون".

3 - كذا في (ا) و(ب) و(ك). وفي (د) وردت: "لابس" وهو الأصح.

4 - ذكره قبل هذا باسم سيدي قاسم البسكري. ثم أردف قائلاً: كما أمرني سيدي أبو القاسم. فالشخص هو هو نفسه.

5 - يقصد فرسا بقعاء.

6 - يقصد بها سكيناً صغيرة أو ما يعرف في لغة العامة بـ"الخدمى"

7 - ما بين المعوقين ساقط من (د).

فسمع بذلك سيدي عمر الترابي، وقال: "أنا أذهبُ أقتلُ هذا الرجلَ البدعيَّ. فقدمَ راكباً فرسه إلى أن قَرَبَ مِنِّي وَقَفْتُ فرسه، فضربها بالقضيبِ والمهاميزِ فامتعت، ثمَّ ردها إلى جهةِ أهله، فرجعت. ثمَّ في الغدِ فعلتُ مثلَ اليومِ الأوَّلِ، ثمَّ في اليومِ الثالثِ قال لفرسه: "اذهبُ بنا نَحْبِرُهُ ليس إلا"، فأطاعتهُ وانقادتْ بِفُذْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فلما قَدِمَ على الشيخِ سيدي أحمدَ قال له: "فرسك خيرٌ منك!"، \_ هذا معنى كلامه الزناتي\_. فقبلَ يَدَي سيدي أحمدَ وتابَ عما عزمَ عليه، وجلسَ عنده.

ثمَّ قَدِمَ سيدي عثمانُ بن عمر راكباً حِمَارَةً، ثمَّ بعده سيدي عبد الرحمن القلعي. واجتمعوا عند الشيخِ سيدي أحمد \_ نفعني اللهُ بأجمعهم \_ واختبروه فوجدوه بحرّاً لا ساحلَ له. ثمَّ قالوا له: "نزوجوك امرأة؟"، فقال لهم: "حبّاً وكرامةً". فخطبوا سني، وقالوا: "شرطَ أهلها مائةٌ [دينار] <sup>1</sup> وخادمين <sup>2</sup> وبغلثين في صداقها". فقال: "قبلت"، فقالوا: "هذا شيءٌ كثيرٌ، وأنت لا شيءَ عندك!"، فقال لهم: "خزائنه كثيرةٌ، ورحمتهُ واسعةٌ". فعقدَ عليها. ثمَّ أراد أن يبني بها أتاه ابنُ ماخوخ الدشري بحوائجِ أهله قدرها أربعون ديناراً، ثمَّ أتته الهدايا والفتوحُ من كلِّ مكانٍ».

قلتُ: وما ذكره الشيخُ سيدي أحمدُ بن يوسف \_ رحمه الله \_ في قضيتِهِ مع النَّصاري وأنهم أطعموه بأيديهم وأطلقوه وقع مثلهُ لسيدي أبي الحسنِ الشاذلي <sup>(3)</sup> \_ أفاض اللهُ عليَّ وعلى ذُرِّيَّتِي من بركاتِهِ وبركاتِ أمثاله، آمين \_ على ما ذكره لي سيدي موسى بن عيسى

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (د). ساقط من جميع النسخ الأخرى.

<sup>2</sup> - في (د): "أمتين".

<sup>3</sup> - هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي (أبو الحسن) إمام الطريقة الشاذلية ولد بقرية غمارة القريبة من سبتة في بلاد المغرب سنة 593 هـ / 1259 م وتوفي سنة 656 هـ / 1322 م. يتصل نسبه بالمولى إدريس. حفظ القرآن فيها ثم ارتحل إلى المشرق لطلب العلم وإشباع نهمه المعرفي. عاش معظم حياته في تونس حيث تتلمذ على شيخه عبد السلام بن مشيش الذي أخذ بيده وصاحبه واصطفاه وتحققت ضالته المنشودة وهي عثوره على الرجل الذي سيحمل سره ويتقلد إرثه من بعده، وكان يقول ليس الشيخ من يدلك على تعبك إنما الشيخ من ذلك على راحتك. أنشأ بعد وفاة شيخه = مدرسة صوفية متميزة بطريقتها البسيطة القريبة من تعاليم الكتاب والسنة، وتعتبر من أكثر الطرق الصوفية انتشاراً في العالم الإسلامي. ينظر: بحار الولاية في مناقب أعلام الصوفية. جودة محمد أبو اليزيد المهدي، ص 474 وما بعدها. وكذا: اقتفاء الأثر. هامش ص 146.

المازوني<sup>(1)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ، ونصُّه: «قال: كنتُ في بعضِ سياحتي وقد آويتُ لمغارةٍ بالقربِ من مدينةٍ من مدائنِ المسلمين، فمكثتُ ثلاثةَ أيَّامٍ لم أدقُ طعاماً. فبعدها دخلَ عليَّ ناسٌ من الرُّومِ، كانت قد أرسلتُ<sup>(2)</sup> سفينتُهُم هنالك. فلما رأوني قالوا: "قسيسٌ من المسلمين"، ووضعوا عندي طعاماً وإداماً كثيراً، فعجبتُ كيف رزقنيهِ على أيدي الكافرين، ومُنعتُ ذلك من المسلمين. فإذا عليَّ يُقالُ: "ليس الرَّجُلُ من يُنصرَ بأحبَّائِهِ وإنَّما الرَّجُلُ من يُنصرَ بأعدائِهِ".

وقال أبو الحسن الشاذليُّ: "جُعْتُ مرَّةً ثمانين يوماً، فخطرَ لي أن قد حصلَ لي شيءٌ من هذا الأمرِ، وإذا أنا بامرأةٍ خارجةٍ من مغارةٍ كأنَّ وجهها الشَّمْسُ، وهي تقولُ: "منحوسٌ منحوسٌ من جاع ثمانين يوماً فجعلَ يدلُّ<sup>(3)</sup> على اللهِ بعملِهِ، وأنا لي سنَّةٌ أشهرٍ لم أدقُ طعاماً". انظر كيف عاتبَ اللهُ هذا السيِّدَ بالمرأةِ مع أنَّ مقامَهُ عندَ اللهِ عظيمٌ.

قال سيِّدي موسى بن عيسى المازوني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أبو العباس المرسِّي نفعني اللهُ بهِ: "جُلْتُ في ملكوتِ اللهِ فرأيتُ أبا مدين متعلِّقاً بساقِ العرشِ وهو رجلٌ أشقرُّ أزرقُ العينين، فقلتُ له: "ما علومُكَ؟ وما مقامُكَ؟"، فقال: "أما علمي فأحدٌ وسبعونَ علماً، وأما مقامي فراعٍ الخلفاءِ ورأسُ السَّبعةِ الأبدالِ". قلتُ له: "فما تقولُ في شيخي أبي الحسنِ الشاذليِّ؟"، قال: "زاد عليَّ أربعينَ علماً، هو البحرُ الغربيُّ لا يحاطُ بهِ".

<sup>1</sup> - أبو زكريا يحيى بن موسى (أبو عمران) بن عيسى بن يحيى المازوني المغربي (ت 833 هـ / 1478 م) "فقيه مالكي من أهل مازونة من أعمال وهران، ولي قضاء بلده. صاحب "الدرر الكامنة في نوازل مازونة" الشهيرة، وهي فتاوى ضخمة في ديوانين في فتاوى معاصريه من أهل تونس، وبجاية، والجزائر، وتلمسان. وهو من أهم كتب الفقه التطبيقي التي احتفظت لنا بالمواد الأساسية لمختلف وثائق الشؤون العامة والحياة اليومية لمجتمعات المغرب الأوسط واقتصادياته خلال العصر الزياني، ودراسة موضوعاته المغفلة كفئات النخب والعامة، وتنظيم العمران، وتنظيم العمل والشركات، ومسائل المياه، والخطط الدينية كالفتيا، والحسبة، والتوثيق، والقضاء، وما يتعلق به من أصول التقاضي من إجراءات جزائية وجنائية. ويعتبر هذا الكتاب عمدة أساسية من بين مصادر الصباغ، ويكاد تلت البستان أن يكون مأخوذاً عنه. ينظر: -رفيق خليفي: مخطوط "المهذب الرائق" لأبي عمران موسى المازوني وأهميته الوثائقية في تاريخ المغرب الأوسط أواخر العصر الوسيط. مقال، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية. العدد 15، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي. سبتمبر 2017. ص 228.

<sup>2</sup> - كذا في (ب)، ولعلَّ المراد: "رستت".

<sup>3</sup> - كذا في (ب)، ولعلَّ المراد: "يُمنُّ".

وقيل لأبي الحسن الشاذلي: "من شيخك؟"، قال: "كنت أنتسب للشيخ عبد السلام ابن ميثس، وأنا اليوم لا أنتسب لأحد بل أعوم في عشرة أبحر، خمسة من الأدميين: النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم - وخمسة من الروحانيين: جبريل، وميكايل، وإسرافيل، وعزرائيل، والروح". انتهى منه بلفظه.

ومناقب أبي الحسن الشاذلي كثيرة لا تعد ولا تحصى، فكيف تعد مناقب من يخوض في هذه البحور العشرة - نفعني الله به وجعل البركة في ذريتي وعقبتي بجاه جدّه سيدي ومولانا محمد ﷺ، آمين يا رب العالمين -.

### المنقبة الثانية:

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف ما أخبرني به من أثق به: أنه كان جالساً في موضع يُقال له "رأس الماء" من وطن "بني راشد"؛ إذ رأى شاباً مقبلاً؛ وعليه ثياب حسنة، وهو يُغني بصوت حنين. فأعجبه حسنُ صوته. فقال الشيخ: "ليت هذا الصوت الحنين يذكر الله".

ثم إن الشيخ ناداه حتى أقبل إليه، فقال له الشيخ: "تُب إلى الله وارجع إليه". وبإزائهما شجرة مشماش في زمان الشتاء ليس فيها ورق، فضلاً عن غيره. فقال الشاب للشيخ: "إن أطعمتني المشماش من هذه الشجرة الآن فأنا أتوب". فقام إليها الشيخ، وهزها بقوة الله عز وجل، فإذا بالمشماش يتساقط منها، أحسن ثمره في إبانة بعناية الله، و[يصدق<sup>(1)</sup>] متابعتها لرسول الله ﷺ. فتاب الشاب بالفور بسبب هذا الشيخ المبارك. وذهب فدخل مغارة يعبد الله فيها. ثم بعد أيام ذهب إليه الشيخ فوجدّه في المغارة، فقال له: "كيف حالك مع الله؟"، فقال له<sup>(2)</sup> الشاب: "أعطاني ما لم يُعط لأحد"، أو كلام نحو هذا.

<sup>1</sup> \_ ما بين المعقوفين مشترك في هامش (ب).

<sup>2</sup> \_ الورقة الثانية والثالثة ساقطتان من (أ)، وقد كتب في أسفل ظهر الورقة الأولى: "Une feuille manque". والواقع تنقص 3 ثلاث أوراق من هذه النسخة. وما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(ك) و(د).

انظر يا أخي بَرَكَة<sup>(1)</sup> هذا الشَّيْخ ما أعظمها!، كيف صَبَغَ هذا البدويَّ العاصي<sup>(2)</sup>،  
ووصله إلى الله في أقرب زمان.

قلت: ومثل ما وقع لسَيِّدي<sup>(3)</sup> أحمدَ مع الشَّابِّ في المشماشِ وَقَعَ لسَيِّدي إبراهيمَ  
الخَوَّاصِ؛ على ما حكَاهُ سَيِّدي موسى بن عيسى المازوني رَحِمَهُ اللهُ ونصُّه: «إِنَّ جماعةً  
من الفقراءِ تذاكروا عند سَيِّدي [إبراهيمَ]<sup>(4)</sup> الخَوَّاصِ حالَ سَيِّدي إبراهيمَ بن أدهم<sup>(5)</sup>، وأنه  
يتناولُ الرُّطَبَ من شجرةِ البلوطِ، فقالَ لَهُم سَيِّدي [إبراهيمُ]<sup>(6)</sup> الخَوَّاصُ: "هَذَا<sup>(7)</sup> من أقلِّ  
أحواله". فقالَ الخَوَّاصُ للفقراءِ: "وما تشتهونَ أنتم؟"، قالوا: "المشماشُ". فظَهَرَ بين الخَوَّاصِ  
والفقراءِ مشماشٌ أصفرُ كأمثالِ البيضِ، فأكلوه». انظر يا أخي لهذا الأمرِ العجيبِ، وصدَّقْ  
بكراماتِ أولياءِ اللهِ. [رَحِمَهُ اللهُ]<sup>(8)</sup>.

ومثله ما ذكره<sup>(9)</sup> الشَّطُّونِيُّ<sup>(10)</sup> «أَنَّ الشَّيْخَ سَيِّدِي حَيَاةَ الحِرَانِيِّ<sup>(1)</sup> جَلَسَ تحت شجرةٍ أمَّ  
غيلان، فقال له خديمه<sup>(2)</sup>: "يا سَيِّدِي اشتهيْتُ الرُّطَبَ". فقال: "هَرُّ هذه الشَّجَرَةَ"، فقال:

1 \_ في (ب): "البركة".

2 \_ في (ب): "العاصي".

3 \_ في (ب): "وما وقع للشَّيْخ سَيِّدي".

4 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

5 \_ هو إبراهيم بن أدهم، أبو إسحاق، إبراهيم بن منصور بن زيد بن جابر العجلي ويقال التميمي، أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن الثاني الهجري، من أهل بلخ. - مدينة بخراسان - خرج إلى مكة، وصحب بها سفيان الثوري، والفضيل بن عياض. ودخل الشام فكان يعمل فيه، ويأكل من عمل يده. ومات بالجزيرة سنة 162هـ. وحمل فدفن بصور، وقبره بها مشهور. ترجم له: أبو عبد الرحمن السلمي: الطبقات الصوفية، تح: أحمد الشرباصي. ط2. مؤسسة دار الشعب. (1419هـ/1998م). ص15. - وخصه عبد الحلیم محمود بترجمة واسعة في كتاب له "إبراهيم بن أدهم شيخ الصوفية الهيئة المصرية العامة للكتاب. دار التأليف والنشر. القاهرة. 1972 م. ص153.

6 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

7 \_ في (ب): "وهذا".

8 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

9 \_ في (ب): "ومثله ذكره".

10 - الشَّطُّونِيُّ من أعلام عصر المماليك في مصر، فهو كان شيخ المقارنِ المصرية في عصره، وله مكانة كبيرة في تاريخ التصوف الإسلامي. والشَّطُّونِيُّ (بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتح النون وآخره فاء)، نسبة إلى قرية شَطُّانوف وهي بلدة في مصر من نواحي كورة الغربية عنده بفترق النيل فرقتين، فرقة تمضي شرقياً إلى تنيس ودمياط، وفرقة تمضي غربياً إلى رشيد، على فرسخين من القاهرة. =



"ياسيدي هذه شجرة أم غيلان<sup>3</sup>!"، فقال له الشيخ: "هَرَهَا"، ففعل الخديم، "فتساقط الرطبُ جَنِيًّا"<sup>(4)</sup>. «. فصدق يا أخي بكرامات أولياء الله تسعد في الأولى والآخرة.

### المنقبة الثالثة

ومن مناقب سيدي أحمد [بن يوسف]<sup>(5)</sup> ما روي أن سرقة ذهبت من ركب الزيتوني حين نزل بعدوة قلعتنا \_ حماها الله \_ ذاهباً للحج، فاتهم الناس ابن هند الزجراري [بالسرقة]<sup>(6)</sup>، فذهب إليه الشيخ سيدي أحمد بن يوسف مستجيباً في رد السرقة. وكان ابن هند قاطناً بموضع يُقال له "تاشعبانت"، بالقرب من قلعتنا \_ حرسها الله \_ فدخل الشيخ لابن هند<sup>(7)</sup> وطلبه في رد السرقة، فامتنع وقال: "لم أسرق شيئاً". فتحرك<sup>(8)</sup> الشيخ وقال لأصحابه: "قولوا له يرد السرقة، ويستتر نفسه، فقد جلست عليها مدفونة في موضع جلوسي". فاعترف ابن هند به<sup>(9)</sup> وردّها بالفور، وتاب على يد الشيخ.

**المنقبة الرابعة:** ومنها ما حدثني بعض أكابر قلعتنا \_ كالأها<sup>(10)</sup> \_ أن الخطيب الملقب المفتي<sup>(1)</sup> حين كان في أول شبابه معياناً لا تقع عينه على شيء إلا أهلكته وأمراضته. وكان

=وشطنوف: من كورة الغربية بينها وبين القاهرة مسيرة يوم واحد، وهي اليوم من نواحي مركز أشمون بمديرية (محافظة) المنوفية. ولد =في القاهرة عام (644هـ)، وتوفي بها عام (713هـ). نورالدين ابو الحسن علي بن يوسف الشطنوفي بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني، دراسة وتح جمال الدين فالح الكيلاني. دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م. ص22.

1 - كذا في (ب) و(د) وفي (ك): "أن الشيخ جاءه ابن قيس الحراني".

2 \_ في (ب) و(د): "خادمه".

3 - في (د) كتب على الهامش: "أم غيلان شجرة بالدرسة لها شوك".

4 \_ في (ب) و(د): "فتساقط عليه رطباً جنيّاً"، وهو اقتباس من قوله تعالى في سورة مريم، من الآية: 25 وهو قوله تعالى: ﴿وَهَرِي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾.

5 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

6 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

7 - في (ب) و(د): "فخرج".

8 - في (ب) و(د): "فدخل الشيخ بيت ابن هند".

9 - في (ب) و(د): "بها".

10 - كالأها: بمعنى حفظها وحرسها. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ سورة الأنبياء. الآية (42). وقال الفراء: سمعت بعض الأعراب ينشد:

لا تعيش له ذرية؛ لكونه يصيبها بالعين \_ والعياذُ بالله\_. فشكا ذلك للشيخ فبصقَ في فيه، فأزالَ اللهُ عنه ذلك، وعاش أولاده وهم الآن أحياء.

قلت: وقد قال المازوني في وثائقه: «إن من كان وصافاً معيناً يؤدي الجيران في أموالهم ومواشيهم ولا تكاد<sup>(2)</sup> عينه تقع على شيء إلا أهلكته وأمضته الحكم فيه أن تُباع داره [عليه]<sup>(3)</sup>، أو تُكزى، أو يُعزب من محلّة القوم. فإن لم يكن قاضٍ فالجماعة العادلة تقوم مقامه. وكذلك من كان شريباً يؤدي جيرانه بفعله ولسانه، كما فعلَ بامرأة قيس؛ فإنها كانت لسناً، فشكا ذلك جيرانها».

\_ فصلٌ في ثبوت ولاية الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله، [ورضي عنه، آمين]<sup>(4)</sup> \_:

مِمَّا صَحَّ واشتهر شهرة تقطع السنة الزائغين، وتصدُّ في وجوه الحاسدين [له]<sup>(5)</sup> والجادين. واستفاض التحدث بذلك وشاع، وذاع على السنة الأئمة المهتدين من فحول علماء المسلمين المشهود لهم بذكر<sup>(6)</sup> الحقائق وطول الباع في فنون العلوم والعدالة والدين، من السادات الأفاضل من علماء المتأخرين، على ما أذكرهم واحداً بعد واحد، إن شاء اللهُ<sup>(7)</sup>.

مَاخَاصِمَ الْأَقْوَامِ مِنْ ذِي خُصُومَةٍ كَوَرِهَاءَ مَشْنِيٍّ إِلَيْهَا حَلِيلُهَا

فبنى على شنييت بترك النبرة. الليث: يقال: كَلَأَكَ اللهُ كِلَاءَةً أَي حَفَطَكَ وَحَرَسَكَ، وَالْمَفْعُولُ مِنْهُ مَكْلُوءٌ، وَأُنْشِدُ:

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكْلُوهَا ضَنْتُ بَرَادٍ مَاكَانَ يَرَزُوهَا

=وفي الحديث أنه(ص) قال لبلال وهم مسافرون: «أكلأ لنا وقتنا». هو من الحفظ والحراسة. ينظر لسان العرب . مادة "كلأ"، ج13/ ط3. دار صادر. بيروت، لبنان. 2004م. ص94.

<sup>1</sup> - كذا في (أ) و(ب) و(ك). أما في (د) "المفتي" ويبدو لي هو الصواب ليستقيم المعنى.

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "لا تكاد".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين مستدرك في هامش (ب).

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين مستدرك في هامش (ب).

<sup>5</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>6</sup> - في (ب): "بدرك".

<sup>7</sup> - في (ب) "على ما أذكرهم بعد إن شاء الله". وأما في (د): على ما أذكرهم واحداً بعد واحد.

ومن ذلك ما حُكي أَنَّ السَّيِّدَ الفقيهَ العالِمَ الصِّدْرَ الحُجَّةَ الأوحدَ العارفَ باللهِ<sup>(1)</sup> سيِّدي محمَّد<sup>(2)</sup> بن يوسف السنوسيِّ \_ رحمَهُ اللهُ ونفَعني بِهِ، آمينَ \_ أَنَّ سيِّدي موسى الزنْداريَّ رحمَهُ اللهُ كان يقرأ على السنوسيِّ المذكورِ إلى ذاتِ يومٍ وقع يَغتابُ في سيِّدي أحمدَ ابنِ يوسفَ مع بعضِ الجهالةِ<sup>(3)</sup>، فلمَّا أن أتى إلى مجلسِ شيخهِ السنوسيِّ المذكورِ بأدرَه الشَّيخُ<sup>(4)</sup> بالإنكارِ، وقالَ له: "تتقولُ في سلسلَةِ الذَّهَبِ سيِّدي أحمدَ بنِ يوسفَ؟!، اذهب إليه السَّاعَةَ واطلبهُ في الاستغفارِ، وأن يجعلَكَ في حَلٍّ من الغيبَةِ التي اغتَبَّتْهُ بِهَا، وخُذْ عليه من الأسرارِ التي منَحَهُ اللهُ بِهَا". فذَهَبَ [3ظ] وفَعَلَ ما أمرَهُ الشَّيخُ بِهِ<sup>(5)</sup>.

انظُرْ يا أخي [التعظيم الشَّيخ] <sup>(6)</sup> سيِّدي محمَّد بن يوسف السنوسيِّ للشَّيخِ سيِّدي أحمدَ بن يوسفَ \_ نفَعني اللهُ بِجميعِهِمْ \_ مع ما اتَّصَفَ بِهِ السنوسيُّ المذكورُ من فنونِ العلومِ، وقد حازَ السَّبَقَ في جميعِها في عصرِهِ، وخصوصاً علمَ الكلامِ؛ فقد أوضَحَهُ وبَيَّنَّهُ لنا، وجمَعَهُ بألفاظٍ موجزةٍ نافعةٍ، وانتَفَعَ الكُلُّ بذلك على يَدِهِ. وبِسببِهِ نَفَعَهُ اللهُ بِقَصْدِهِ وَنِيَّتِهِ. ولقد صدَّقَ شَيْخُنَا أبو عبدِ اللهِ سيِّدي محمَّد بن منصورِ المستغاميِّ في الأبياتِ التي مَدَحَ السنوسيِّ بِهَا من البَحْرِ الطَّوِيلِ [ولفظُهُ]<sup>(7)</sup>:

لَقَدْ مَنَّ دُوَ الفَضْلِ العَظِيمِ بِطَوِيلِهِ      عَلَيْنَا بِنَجْمِ آخِرِ الدَّهْرِ لِأَحْيَا  
فَأَبْدَى لَنَا التَّوْحِيدَ عَدْبًا مُلْخَصًا<sup>(8)</sup>      وَبَالَغَ فِي التَّوْحِيدِ لِلخَلْقِ نَاصِحًا<sup>(9)</sup>  
وَذَلِكَ السنوسيُّ الَّذِي عَمَّ فَضْلُهُ      وَحَارَّ فَخَارًا فِي البَرِيَّةِ وَاضِحًا

1 - في (ب) و(د): "الفقيه العالم الحجة الأوحد الصدر العارف بالله".

2 - ضبطت في (أ)، بسكون الميم الأولى.

3 - في (ب) و(د): "الجهلة".

4 - في (ب) و(د): "شيخه".

5 - في (ب) و(د): "شيخه".

6 - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

7 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

8 - في (ب) و(د): "مُلْخَصًا".

9 - في (ب) و(د) و(ك): "وبالغ في التبيين للحق ناصحًا".

فَخَارَ تَلْمَسَانَ عَلَيْهِ بِكُتْبِهِ فَإِنَّهَا كَالْتَّبْرِ الْمُخْلِصِ طَافِحًا  
 فكيف ينكرُ الجاحِدُ الأعمى ولايَةً من شَهَدَ لَهُمَا<sup>(1)</sup> فَحُلُ الْفُحُولِ، وَمَنْ بِهِ تُضْرَبُ فِي  
 الْعُلُومِ الْمُتَوَلُّ<sup>(2)</sup> السَّيِّدُ<sup>(3)</sup> مُحَمَّدٌ بنِ يوسُفِ السُّنُوسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَنَفَعَنِي بِهِ، آمِينَ.

### المنقبة الخامسة

ومنها ما حَدَّثَنِي من أَثِقُ بِهِ أَنَّ السَّيِّدَ الْعَالِمَ الْعَلَامَةَ الْمُتَقَنَّ الْحَافِظَ لِلْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ  
 سَيِّدِي أَحْمَدَ بنِ الْحَاجِّ الْبَيْدَرِيِّ [أَنَّهُ]<sup>(4)</sup> رَأَى مَنْقَبَةً لِلشَّيْخِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بنِ يوسُفَ وَأَتَى إِلَيْهِ مِنْ  
 بَيْدَرٍ فِي زَمَنِ الصَّيْفِ، فَوَجَدَهُ فِي رَأْسِ الْمَاءِ. فَلَمَّا أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ [لَهُ]<sup>(5)</sup> مَبَادِرًا لَهُ وَمُخْبِرًا  
 لَهُ بِمَا رَأَى مِنْ مَنْقَبَةٍ وَكِرَامَةٍ: "سَاقَتُكَ إِلَيْنَا الْعَبْرَةُ"، فَأَقْرَ بِذَلِكَ سَيِّدِي أَحْمَدُ بنُ الْحَاجِّ، وَجَلَسَ  
 عِنْدَ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَحْمَدَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَانصَرَفَ فَرِحًا<sup>6</sup> مَسْرُورًا، سَالِمَ الصَّدْرِ مِمَّا كَانَ فِي نَفْسِهِ.  
 وَانظُرْ يَا أَخِي لِهَذَا السَّيِّدِ<sup>(7)</sup> كَيْفَ أذْعَنَ وَأَقْرَ وَاعْتَرَفَ بِوَلَايَةِ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَحْمَدَ ابْنَ  
 يوسُفَ؟، وَهَلْ حَفِظَ أَحَدٌ مِنَ الْعُلُومِ مَا حَفِظَهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ بنُ الْحَاجِّ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ؟!

ولقد رَمَزَ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدَ بنِ غَازِي الْفَاسِيَّ فِي أَبْيَاتٍ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ  
 عَلَى فَكِّهَا مِنْ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ، فَحَلَّهَا وَبَسَطَهَا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَنَصَّ الرَّمْزَ:

[طويل]

وَمَيِّتُ قَبْرِ طَعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ إِذَا نَالَ<sup>(8)</sup> مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَا  
 يَفُومُ فَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا وَيَأْوِي إِلَى الرَّمْسِ الَّذِي مِنْهُ قُومًا<sup>(9)</sup>

1 - في (ب): "من شهد له بها".

2 - يقصد الأمثال، جمع مثل.

3 - في (ب): "سيدي".

4 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

5 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

6 - في (ب) و(د): "فارحاً".

7 - في (ب): "الشيخ".

8 - كذا في (ا) و(ك)، وفي (ب) و(د): "إذا ذاق".

9 - كذا في (ا) و(ك)، وفي (ب) و(د): "قِيَمًا".

فَلَا هُوَ حَيٌّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَةً<sup>(1)</sup> وَلَا هُوَ مَيِّتٌ<sup>2</sup> يَسْتَحِقُّ تَرْحُمًا

جوابُ حَلِّ الرَّمْزِ: [الطويل الثاني]

هُوَ الْقَلَمُ الْقَبْرُ الْكِتَابَةُ طَعْمُهُ مِدَادُ كَلَامِهِ الْكِتَابَةُ<sup>3</sup> فَأْفَهَمَا

وَقَائِلٌ هَذَا أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدٍ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ [كُلٌّ]<sup>(4)</sup> مَا كَانَ أَجْرَمًا

فكيف يشكُّ الجاهلُ في ولايةِ [الشيخ]<sup>(5)</sup> سيدي أحمد بن يوسفَ -رحمه الله- بعد ما

شهدَ له [بِهَا]<sup>(6)</sup> هذا الحبرُ الذي فاقَ أهلَ عصرِهِ في جميعِ العلومِ وهو سيدي [أبو

العبَّاس]<sup>(7)</sup> أحمدُ بن محمد بن الحاج البيدي -نفعنا<sup>(8)</sup> الله به، آمينَ-؟!.

### المنقبة السادسة

ومن ذلك ما حُكي أَنَّ السَّيِّدَ الفقيهَ المدرِّسَ الحافظَ سيدي محمد بن عبد الجبارِ

الفجيجي<sup>(9)</sup> أتى من فجيج<sup>(10)</sup> يزورُ الشيخَ سيدي أحمدَ بنَ يوسفَ، فوجدَهُ بموضعٍ<sup>(11)</sup> يُقالُ له

"الأجرافِ الحمر" من وطنِ شلف، وطلبَهُ في الدُّعَاءِ، وتكلَّمَ مع الشيخِ في العُلُومِ<sup>(12)</sup>، ورجَعَ

لأهلِهِ في نعمةٍ وسُرُورٍ.

1 \_ كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "زِيَارَةٌ" بدل "كَرَامَةٌ".

2 \_ وردت في (د): "ميتاً" بالنصب وهو خطأ.

3 \_ ورد الشطر الثاني في (ب) و(د) بالرفع كما يلي: "مِدَادٌ كَلَامُهُ الْكِتَابَةُ فَأْفَهَمَا". مع ملاحظة أن البيتين الأخيرين وردا في (أ) نثرا لا نظما. ولعل ذلك من فعل الناسخ.

4 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

5 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

6 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

7 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

8 \_ في (ب): "نفعني".

9 \_ في (ب): "الفقيقي".

10 \_ في (ب): "فقيقي".

11 \_ في (ب) و(د): "في موضع".

12 \_ في (ب) و(د): "وتكلَّم معه في العلوم".

## المنقبة السابعة:

ومن ذلك ما حدَّثني السيّد محمدُ المُكَنَّى أبو زينة الورغيُّ أنّ الإمامَ العالمَ القاضي سيّدي أبا العباس سيّدي أحمد بن سيّدي عبد الواحد قاضي ابن راشد<sup>(1)</sup> حينه \_رحمه الله\_ أنّه قال لِجُلَسَائِهِ وطلبته<sup>(2)</sup>: "قد تَحَقَّقَ عندي ولأية [الشيخ]<sup>(3)</sup> سيّدي أحمد بن يوسف". ومن جُملة ما حدَّثهم به أنّه قال: "أخذَ منِّي قائدُ الوطنِ خطيئةً<sup>(4)</sup> فأنتيتُ إليه شاكياً به. فطلبَ اللهَ فيهِ، فأهلكهُ"<sup>5</sup>.

وكان يردُّ على سيّدي ابن أقدار في اعتراضه على سيّدي أحمد بن يوسف ويقولُ له: "الشيخُ وليُّ الله بلا شكٍّ ولا ريبٍ؛ لأنِّي ثبتتُ عندي ولأيتُهُ. مع أنّ القاضي المذكورَ أعلمُ من ابن أقدار ومن غيره من جميع علماء المغرب في زمانه".

## المنقبة الثامنة

[4] ومن ذلك ما أخبرني به العُدُولُ من أهلِ قلعنتا أنّ السيّدَ الأوحدَ العلامةَ الوليَّ الصالحَ سيّدي محمدَ الزيتونيَّ حين أتى من المغربِ ذاهباً إلى الحجِّ، ونزلَ بموضعٍ بعيدٍ من قلعنتا<sup>(6)</sup> \_حماها الله\_ فأتى إليه سيّدي أحمدُ بن يوسف وسلّمَ عليه، ثمَّ قالَ له الزيتونيُّ: "أنتَ ابنُ الزُّروقِ وهو ابني"<sup>(7)</sup>، [أ]<sup>(8)</sup> و "أنتَ تلميذُ الزُّروقِ وهو تلميذي"، أو كلامٌ هذا معناه. ثمَّ طلبَ الزيتونيُّ سيّدي أحمدَ أن يدعُوَ له، فدعا له، ثمَّ قال: "أعطني رجلَكَ أقبلها"، فامتنعَ سيّدي أحمدُ بن يوسف حياءً من الزيتونيِّ، فأقسمَ عليه [أن يفعل]<sup>(9)</sup>، وأعطاهُ رجلَهُ

1 - في (ب) و(د): "بني راشد".

2 - في (ب) و(د): "ولطلبته".

3 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

4 - في (ب): "عطية".

5 - في (د): إضافة لفظ الجلالة "الله".

6 - في (ب) و(د): "بموضع بعدوة قلعنتا".

7 - كذا في (ا) و(ب) و(د). وفي (ك) "أنت ابن الزروق وهو أخي".

8 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

9 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

[الْيُمْنَى] (1) فَقَبَلَهَا. ثُمَّ قَالَ لَهُ الزَّيْتُونِي: "هَاتِ الْيُسْرَى؛ لِنَلَّا تَغْضَبَ عَلَى الْيُمْنَى" (2)، فَأَعْطَاهُ الْيُسْرَى فَقَبَلَهَا، فَقَالَ لَهُ (3): "يَا أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ قَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ قَافٍ إِلَى قَافٍ" (4). فَقَالَ لَهُ السَّيِّدُ (5) أَحْمَدُ: "هَذَا قَلِيلٌ، بَلْ أَعْطَانِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا".

انظر (6) لتعظيم هذا الشيخ العالم العلامة (7) سيدي محمد الزيتوني مع جلاله قدره في العلم والدين لسيدي أحمد بن يوسف؛ مع أنه شيخ شيخه؛ «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ» (8)، «وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» (9).  
قلت:

وقد جرى مثل هذا لعمر وعلي رضي الله عنهما - مع جلاله قدرهما وعلو منزلتهما عند الله وعند رسوله ﷺ مع ولي الله [سيدي] (10) أويس الفزني - نفعنا (11) الله ببركة الجميع - حين وصفه النبي ﷺ [لهما] (12)، على ما أخبره به جبريل ﷺ، مما نقله سيدي موسى ابن عيسى المازوني وغيره من ساداتنا. ونص سيدي موسى المذكور: «قال النبي ﷺ: «يا

1 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

2 - كذا في (ك) و(و) في (ب) و(د): "لنلا تغضب اليسرى عن اليمنى".

3 - في (ب) و(د): "ثم قال له".

4 - كذا في (أ) و(ب) و(د) و(و)، ولعل الأصوب: "من كاف إلى قاف". قال أبو الوفاء في شروط الشيخ: لا يكون الشيخ شيخا حتى يعرف من كاف إلى قاف، فقيل له وما قاف؟ قال: يطلع الله عز وجل على جميع ما في الكون من ابتداء خلقه يكن إلى مقام وقوفهم = أنهم مسؤولون" ينظر ذلك في: جامع الأنوار في مناقب الأخبار. عيسى صفاء الدين البندنجي القادري، تح أسامة ناصر النقشبندي، ومهدي عبد الحسين النجم، ط1. دار العربية للموسوعات، لبنان 2002م. ص406.

5 - في (ب) و(د): "سيدي".

6 - في (ب) و(د): "انظروا".

7 - في (ب) و(د): "هذا السيد العالم الصالح".

8 - اقتباس من قوله تعالى في سورة آل عمران، من الآية: 74، وتتمتها: «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

9 - اقتباس من قوله تعالى في سورة الحديد، من الآية: 29، وتتمتها: «لِنَلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

10 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

11 - في (ب) و(د): "تفغني".

12 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

عُمَرُ وِبا عَلِيٍّ إِذَا أَنْتُمْ أَلْفَيْتُمَاهُ فَاطْلُبَاهُ يَسْتَعْفِرُ لَكُمَْا يَغْفِرُ [اللَّهُ] (1) لَكُمَْا (2). فَلَمَّا أَلْفِيَاهُ سَأَلَاهُ عَنْ مَنْ هُوَ؟ (3) قَالَ: "رَاعِي عَنَّمِ، أَوْ أَجِيرَ قَوْمٍ" \_ وَسَتَرَ ذِكْرَ أُوَيْسٍ \_ . فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ اسْمِهِ، فَقَالَ: "عَبْدُ اللَّهِ"، فَسَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ الَّذِي سَمَّيْتَهُ بِهِ أُمُّهُ، فَاْمْتَنَعَ أَنْ يُجِيبَهُ، فَأَخْبَرَاهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَصَفَهُ لَهُمَا، وَأَنَّ تَحْتَ مَنْكَبِهِ الْأَيْسَرِ لَمَعَةٌ بِيضَاءَ ، وَطَلَبَا مِنْهُ أَنْ يَوْضَحَهَا لَهُمَا، فَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ ذَلِكَ. فَسَأَلَهُ عُمَرُ أَنْ يَلْتَقِيَ مَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَجْعَلَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِيعَادًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. فَقَالَ لَهُ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا مِيعَادَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَلَا أَعْرُفُكَ (4) وَلَا تَعْرِفُنِي بَعْدَ الْيَوْمِ" . وَمَنْ أَرَادَ قِصَّتَهُ (5) بِتَمَامِهَا فَلْيَنْظُرْهَا فِي كِتَابِ عِلْمَانِيَّا (6).

فهذا أدل دليل على انتهاء (7) ولاية سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله من ثناء السادات العلماء المذكورين قبل هذا عليه، وطلبهم الدعاء منه، مع أنهم أعلم أهل زمانهم وأكرمهم عند الله؛ مما ألبسهم [من] (8) حلل التقوى. فمن لم يصدق بهذا فيخاف عليه (9) من سوء الخاتمة، نعوذ بالله من القول في أولياء الله.

### المنقبة التاسعة

ومن مناقب [الشيخ] (10) سيدي أحمد بن يوسف [الراشدي] (11) رحمه الله ورضي عنه \_ ما أخبرني من أثق به أن الغزال المزغراني (1) كان خديماً للشيخ سيدي أحمد بن يوسف

1 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

2 - الحديث رواه أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، ط4. ج2/ دار الكتاب العربي، بيروت. 1405 هـ. ص 82-83.

3 - في (ب): "فلما لقيه عمر سأله عمر من هو؟"

4 - في (ب): "ولا تعرفني ولا أعرفك".

5 - في (ب) و(د): "قضيتة".

6 - كتب على هامش النسخة (د) مايلي: قوله في كتب علمائنا أمر مطلق مبهم وأنا أقول فليظنرها في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي في ربح المهلكات. انتهى.

7 - في (ب) و(د): "على إثبات". وهو الأصوب.

8 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

9 - في (ب): "بذلك نخاف عليه".

10 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

11 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).



رَحِمَهُ اللَّهُ، فاستضافه الشيخُ ذاتَ مرّةٍ في مزعران<sup>(2)</sup>، فبسطَ له البُسْطَ والفُرْشَ والوسائدَ وغيرَ ذلك. فجلَسَ الشيخُ عليها مُدَّةً؛ كونه ضيفاً عنده إلى أن ذهبَ، ثمَّ بعد مُدَّةٍ استضافَ الغزالُ<sup>(3)</sup> المذكورُ سيديَّ أبو<sup>(4)</sup> عبدِ اللهِ بنِ واضحٍ نفعني اللهُ بهِ ففعلَ له الغزالُ مثلما فعلَ لسيديِّ أحمدَ، فامتتَعَ سيديُّ أبو عبدِ اللهِ من الجلوسِ على الفُرْشِ، وجلَسَ على الأرضِ، فقالَ له الغزالُ<sup>(5)</sup>: "لِمَ لَمْ تَجْلِسْ عليها كما جلَسَ سيديُّ أحمدُ بنِ يوسفَ؟"، فقالَ له سيديُّ أبو عبدِ اللهِ: "سيديُّ أحمدُ أُعطيَ له، ونحنُ لم يُعطَ لنا"، أو كلامٌ هذا معناه.

قلتُ:

ولا يُعترَضُ علينا بما ذكرناه من وصفِ الشيخِ سيديِّ أحمدَ بنِ يوسفَ بالزُّهدِ والورعِ في أوَّلِ الكتابِ بلباسِهِ الرِّبِيْقِ مِنَ الثِّيَابِ وجلوسِهِ على الفُرْشِ الحِسانِ، ونحوِ ذلك، ولكلِّ شيءٍ وجهٌ.

وقد رُوِيَ عن ابنِ القاسِمِ<sup>(6)</sup> أَنَّهُ قَالَ: «ماتَ مالِكُ بنُ أنسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ [ورضي عنه]<sup>7</sup> عن مئةِ عِمامَةٍ فضلاً عما سواها». قال ابنُ أبي أُويسٍ: «بيعَ ما في منزلِ مالِكِ [رَحِمَهُ اللَّهُ بعد وفاته]<sup>(8)</sup> من مضارِبٍ<sup>(9)</sup> وبُسْطٍ وفُرْشٍ ومخايِدٍ<sup>(10)</sup> محشُوَّةٍ بريشٍ وغيرِ ذلك

1 - في (ب): "المزعراني".

2 - في (ب): "تمزعران".

3 - في (ب): "الغزال". وهو الصواب.

4 - كذا في جميع النسخ، والصواب: "أبا".

5 - في (ب): "فقال الغزال لسيدي أبي عبد الله".

6 - هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري، أبو عبد الله، ويعرف بابن القاسم: فقيه، جمع بين الزهد والعلم.

وتفقه بفقهِ الإمام مالِك ونظرانته. مولده بمصر سنة 132هـ/750م، ووفاته بها سنة 191هـ/806م. من مصنفاته المدونة، وهي من أجلِّ كتب المالكية، رواها عن الإمام مالِك. تنظر ترجمته في: الأعلام للزركلي: ج 3/ص 323. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

لابن خلِّكان، تح إحصان عباس. ج3/دار صادر، بيروت، (د ت). ص 129. وحسن المحاضرة ج1/ص 121،

7 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

8 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

9 - في (ب) و(د): "منضأة".

10 - في (ب) و(د): "ومخاد".

[ما] <sup>1</sup>يَنيفُ على خمسمئة دينارٍ. قِيلَ خَلَفَ مِئَةَ رُوجٍ نَعْلٍ وَتَرَكَ مِنَ النَّاضِ <sup>(2)</sup>أَلْفِي دِينَارٍ وثلاثمئةٍ ونصف. وكان عليه السلام من الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ بِمَكَانٍ، ولو كان يَلْبَسُ الْحَسَنَ مِنَ النَّيَابِ [4ظ] ويَأْكُلُ الطَّيِّبَ مِنَ الطَّعَامِ، فليس ذلك قَادِحاً فِي زُهْدِهِ وَوَرَعِهِ». فهذا دليلٌ على ما ذَكَرْنَا من حالِ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بنِ يوسُفَ رَحِمَهُ اللهُ.

وقد نَقَلَ الفقيه <sup>(3)</sup>سَيِّدِي عَبْدُ اللهِ بنِ أَبِي جَمْرَةَ رَحِمَهُ اللهُ، وَنَفَعَنِي بِهِ عن بعضِ أَهْلِ السُّلُوكِ بِإِفْرِيقِيَّةَ «أَنَّهُ قَدْ فُتِحَ لَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَاهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خُرُوجاً جَمِيلاً وَأَوْقَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قُلُوبِ أَهْلِ زَمَانِهِ حُبَّهُ وَخِدْمَتَهُ. وَكَانَ إِذَا خَرَجَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا رَاكِباً، وَإِذَا رَكِبَ يُجْعَلُ لَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ، حَتَّى إِنَّهُ يَغْسِلُ كُفْلَ بَغْلَتِهِ بِمَاءِ الْوَرْدِ، وَنَسْبُهُ حَالِهِ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ لَا يَلْتَقِتُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ». انتهى منه باختصارٍ.

ويعضده ما ذكره سَيِّدِي موسى بن عيسى المازوني رَحِمَهُ اللهُ وَلَفْظُهُ: «قَالَ بعضُ المشايخ: كان بالمغربِ رَجُلٌ مِنَ الرَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ أَهْلِ الْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ. وَكَانَ عَيْشُهُ مِمَّا يَصِيدُهُ مِنَ الْبَحْرِ، وَكَانَ الَّذِي يَصِيدُهُ يَتَصَدَّقُ بِبَعْضِهِ، وَيَتَقَوَّى بِالْبَعْضِ <sup>(4)</sup>. فَأَرَادَ بعضُ أَصْحَابِ هَذَا الرَّاهِدِ أَنْ يُسَافِرَ لِبِلَادِ الْمَغْرِبِ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: "إِذَا بَلَغْتَ بِلْدَةَ كَذَا فَادْهَبْ لِأَخِي فُلَانٍ، وَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَاطْلُبِ الدُّعَاءَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى".

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

<sup>2</sup> - الناض: الدنانير والدراهم عند أهل الحجاز، ينظر لسان العرب، مادة (نضض). ج14/ دار صادر، ط3، 2004 م. ص283. وقد ذكر هذا المصطلح ابن مرزوق التلمساني في المناقب المرزوقية في موضع حديثه عما خلفه أبوه من إرث وتركته فقال: كان قد خلف داراً... وجناناً كبيراً، وكتباً [وإنصافاً]، وجواري وغير ذلك ويقصد بها النقود العينية. ينظر: المناقب المرزوقية: لأبي عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني (ت781هـ). دراسة وتحقيق سلوى الزاهري. ط1، مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. المغرب (1429هـ/2008م). ص147.

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "نقل العارف بالله".

<sup>4</sup> - في (ب): "ويتقوت ببعضه".

قال: فقدمتُ البَدَّةَ فسألتُ<sup>(1)</sup> عنه، فذُلْتُ على دَارٍ لا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْمُلُوكِ، فتعجبتُ من ذلك، وطلبتهُ فقيلَ لي: "هُوَ عِنْدَ السُّلْطَانِ"، فازدادَ تعجبي. فبعد ساعةٍ وإذا هو قد أتى في أَفْحَرٍ مُلْبَسٍ وَمَرْكَبٍ، وكأَنَّما هو مَلِكٌ في مَرْكَبِهِ. فازدادَ تعجبي أَكْثَرَ مِنَ الْأُولَى<sup>(2)</sup>. فهممتُ بِالرُّجُوعِ وَعَدَمِ الْجَمَاعِ بِهِ. ثُمَّ قُلْتُ: "لَا يُمَكِّنِي مَخَالَفَةُ الشَّيْخِ"، فاستأذنتُ عليه، فأذنَ لي. فلَمَّا [دَخَلْتُ]<sup>(3)</sup> رأيتُ ما هَالَنِي مِنَ الْعَبِيدِ وَالْخُدَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فقلتُ: "أخوك فلانٌ يسلِّمُ عليك". قال: "جئتُ من عنده؟"، قلتُ: "نعم". قال: "إذا رجعتَ إليه فقلْ له: "إلى كَمْ اشتغالك بالدُّنيا؟، وإلى كَمْ إقبالُك عليها؟ وإلى متى<sup>(4)</sup> لا تتقطعُ رغبتُك فيها؟"، فقلتُ: "واللهِ هذا أعجبُ من الأولِ!".

فلَمَّا رجعتُ إلى الشَّيْخِ فقال: "اجتمعتَ بأخي فلانٍ؟"، قلتُ: "نعم". قال: "فما الذي قال لك؟"، قلتُ: "لا شيء"، قال: "لا بُدَّ أن تقولَ لي". فأعدتُ عليه ما قال، فبَكَى [بكاءً]<sup>(5)</sup> طويلاً، ثُمَّ قال<sup>(6)</sup>: "صَدَقَ أَخِي فلانٌ، هو غَسَلَ قلبَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وجعلَهَا في يَدِهِ وعلى ظَهْرِهِ، وأنا أخذتها بيدي، ولي إليها بقايا التَّطَلُّعِ". انتهى منه [يلفظه]<sup>(7)</sup>.

**المنقبة العاشرة:** ومن مناقبِ سيدي أحمدَ [بنِ يوسف]<sup>(8)</sup> ما حدَّثني [به]<sup>(9)</sup> غيرَ واحدٍ أنَّ الأميرَ أبا حمو<sup>(10)</sup> سَجَنَ الشَّيْخَ عنده في تِلْمَسَانَ، وبقيَ عنده أياماً، واختبرَهُ بأن جعلَ له على الطَّعامِ دجاجةً ميتةً وأخرى مذكَّاةً، وأتوه بالطَّعامِ والدَّجاجتين. فقال: "هذه حلالٌ مذكَّاةٌ وهذه حرامٌ

1 - في (ب): "وسألت".

2 - في (ب): "الأول".

3 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

4 - في (ب): "وإلى كم".

5 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

6 - في (ب): "وقال".

7 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

8 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

9 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

10 - في النسخة (د) كتب على الهامش مايلي: "كان سيدي أحمد بن يوسف في زمان أبي حمو بن يغمراسن"

ميتة<sup>(1)</sup>. واختبره أيضاً بأن بعث الذَّبَّاحَ فدخلَ في البيت الذي فيه الشَّيْخُ، فلم يجدْ أحداً. [قال]<sup>(2)</sup>: قال الشَّيْخُ: "وأنا أنظرُ إليه". ثمَّ رجعَ للأميرِ وقالَ له: "لم أجدْ أحداً"، فردَّه ثانياً وثالثاً، فلم يجدْ أحداً. ثمَّ أتى الأميرُ بنفسِهِ، فلم يرَ أحداً. والشَّيْخُ ينظرُ [و] قد أخذَ اللهُ أبصارَهُم عنه. فبعد ساعةٍ قال الأميرُ للشَّيْخِ: "أذهب قد سرحتُكَ"، فقال الشَّيْخُ للرَّسُولِ: "قل له: "لا أخرج حتَّى تخرجوا جميعاً؛ لأنَّ اللهَ سجنني هاهنا"، أو كلام يقرب من هذا.

ثمَّ بعد أيَّامٍ قدم الأميرُ التَّاشفينيَّ مسعود حاركاً إلى أخيه، فهرب أبوحمو إلى وهران، ودخل مسعود لموضع أخيه في تلمسان<sup>(4)</sup>، وخرج الشَّيْخُ ولم يطلقهُ أحدٌ لتوكُّله على مولاه. قلتُ: وما وقع للشَّيْخِ سيدي أحمدَ مع الأميرِ أبي حمو في أخذِ اللهِ بصرَهُ عنه، وكذلك الذَّبَّاحُ فذلك من العناية [الرَّبَّانِيَّةِ]<sup>(5)</sup> النَّبَوِيَّةِ المَحْمَدِيَّةِ؛ لصدِّقٍ متابعتِهِ له \_ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ. وقد عصَمَ اللهُ نبيَّهُ \_ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ \_ في مواطنٍ من كفَّارِ قريشٍ، وأخذ بأبصارِهِم عنه ما هو في كُتُبِ السِّيَرِ وغيرها<sup>(6)</sup>؛ تركتُهُ خشيةَ الإطالة<sup>7</sup>.

### المنقبة الحادية عشرة

ومن مناقب [الشَّيْخِ]<sup>8</sup> سيدي أحمد [بن يوسف]<sup>(9)</sup> ما أخبرني من أثق به أن السيد محمد المكنى أبو بَيْرِيدَنْ<sup>(10)</sup> في لغة زناته ومعناه بالعربية أبو الطرق أتى مع أخويه سليمان وعلي

1 - في (ب): "قال: "هذه حلال للمذكاة وهذه حرام للميتة".

2 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

3 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

4 - في (ب) و(د): "قدم الأمير المسعود حاركاً على أخيه، فهرب أبو حمو لوهران، ودخل المسعود لموضع أخيه في تلمسان".

5 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

6 - في (ب) و(د): "ونحوها".

7 - في النسخة (د) كتب على الهامش مايلي: "ولو ذكر شيئاً من ذلك على وجه التبرك لكان أحسن، مثل ما وقع لحماله الحطب وهي أم جميل امرأة أبي لهب. ومثل قصة الغار حيث لحقته قريش بالعدة والعدد حيث قال لصاحبه لا تحزن ن الله معنا".

8 - ما بين المعقوفين زيادة من (د).

9 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

10 - في (ب): "أبو بَيْرِيدَنْ". و في (د): "بأبي أبريدن".

في حال صغرهم. وسأله كل واحد حاجته، فقال: "أما محمد فيقرأ القرآن، وأما سليمان فيكون فلاحاً، وأما علي فيكون نجاراً"، فكان/ [50] كما قال الشيخ في حرفة كل واحد.

### المنقبة الثانية عشرة

ومنها ما حكى أن رجلاً يقال له علي بن أحمد الكثيري كان خديماً للشيخ، ترك أهله وأولاده، ولزم خدمة الشيخ إلى ذات يوم جاء من عند الشيخ زائراً أهله. فلما رآه أبوه قال له: "أرني منقبة من خدمتك للشيخ"، فسكت الولد. فقال له أبوه: "انطلق معي أريك منقبة". وكان الأب خديماً للشيخ سيدي عبد الرحمن الغلامي \_ نفعنا<sup>(1)</sup> الله به \_، فذهبا إلى [أعلى]<sup>(2)</sup> موضع بأعلى بني "كثير" فيه ديسٌ كثير. فدخلوا تحت ديسة كبيرة شديدة الخضرة في غاية الحسن، فوجدا مغارة، فقال الأب لابنه: "انظر"، فنظر فإذا بالكعبة تلعب بأستارها الرياح، فعابنها وتحققها على الصفة التي يصفها الناس. فخرج الولد من حينه يجري حافياً لا يعرف شوكا ولا حجراً، حتى دخل<sup>(3)</sup> على الشيخ ورمى بنفسه عليه، فأخذه الشيخ برفق إلى أن سكن ما به. ثم سأله عن حاله، فقال له: "أراني أبي الكعبة؛ لخدمته شيخه"<sup>(4)</sup> سيدي عبد الرحمن الغلامي، وأنا خدمتك وتركت أهلي وأولادي فلم أر شيئاً"، فقال له الشيخ: "اذهب إلى أهلك، قد أعطاك الله الدنيا والآخرة". فكان كما أخبره [الشيخ]<sup>(5)</sup> سيدي أحمد [بن يوسف]<sup>(6)</sup> من كثرة أولاده وماله.

**قلت:** وذلك من بركة العناية المحمدية في تكثير الأولاد والمال؛ فقد روى<sup>(7)</sup> سيدي موسى بن عيسى \_ رحمه الله \_ أنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ دعا لامرأة فقال: «اللهم بارك

1 - في (ب): "نفعني".

2 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

3 - في (ب) و(د): "إلى أن دخل".

4 - في (ب) و(د): "خدمته لشيخه".

5 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

6 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

7 - في (ب): "تَقَل".

فيها وفي نسلها<sup>1</sup>»، فبلغ أولادها<sup>(2)</sup> ثمانين رجلاً وأربعين امرأة قالت: "فقتل من أولادي<sup>(3)</sup> أربعون في سبيل الله".

ودعا لعبد الرحمن بن عوف، فكثُرَ ماله حتى تَرَكَ ذهباً قُطِعَ بالفُؤوسِ، وعنده أربعُ نسوةٍ؛ فصارَ لكلِّ واحدةٍ في رُبْعِ الثَّمَنِ ثمانون ألفاً. وأمَّا هباتُهُ وعنقُهُ وصدقاتُهُ<sup>(4)</sup> في حياته فلا تُحصى<sup>(5)</sup>. انتهى [منه]<sup>(6)</sup>.

### المنقبة الثالثة عشرة

ومنها ما حكى أن بعض أصحاب الشيخ قالوا [إن]<sup>7</sup> سيدي عبد الرحمن الثعالبي قال: "من رأى من رأني لا تأكله النار إلى ثلاثة". فقال الشيخ سيدي أحمد [بن يوسف كذلك]<sup>(8)</sup>: "من رأى من رأني لا تأكله النار إلى عشرة".

### المنقبة الرابعة عشرة

ومنها ما حدثني به المرابط محمد بن الهواري [رحمه الله]<sup>(9)</sup> المصراتي حين كان يحلق رأس الشيخ أنه قال: «لولا خفت عليك من الناس لقلت: "جميع من يجلس في حجرك لا تعدو عليه النار"».

قلتُ: وسيأتي ما وقع لبعض تلامذته في قلة تعدي<sup>1</sup> النار عليه وعلى ثيابه في كتابنا هذا، عند ذكر تلامذته الأخيار [إن شاء الله]. فإذا كان ذلك حال التلميذ فما بالك بشيخ الشيوخ ومن تحققت ولايته عند العلماء أهل الرسوخ.

1 - لم أجد له تخريجا.

2 - في (ب): "ولدها".

3 - كذا في (ب) و(د): وفي (ا) و(ك) "من أولادها". وهو غير صحيح.

4 - في (ب): "وأما هباتُهُ وصدقاتُهُ وعنقُهُ".

5 - في (ب) و(د): "لا يُحصى".

6 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

7 - ما بين المعقوفين زيادة من (د).

8 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

9 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

**فائدة:**

ذكر سيدي أحمد بن محمد بن الحاج البيدري في شرحه على السينية<sup>2</sup> أن التلميذ بكسر التاء والdal المعجمة، قال ابن سيده: «والتلامذة الخدم والأتباع، واحدهم تلميذ». انتهى منه بلفظه.

**المنقبة الخامسة عشرة**

ومنها ما حدثني به محمد المذكور أن الشيخ سيدي أحمد أخبره بإمارة الأمير محمد بتلمسان<sup>(3)</sup> قبل أن يكون، [وقال:]<sup>(4)</sup> ويجتمع عليه البرابر<sup>(5)</sup>، ولا يضررونه بشيء؛ ويموت على سرير العافية. فكان الأمر كما قال رحمه الله، ونفعنا<sup>(6)</sup> به.

**المنقبة السادسة عشرة**

ومنها ما حدثني به محمد المذكور أنه «قال للشيخ ذات يوم: "يا سيدي أردت أن تجعلني كما جعل بعض أولياء الله سيدي محمد الهواري"، فقال الشيخ للحجامة<sup>7</sup>: "وما ذاك؟"، قال: قلت له: قال سيدي محمد الهواري للولي: "إني أخاف النار، فاطلب<sup>(8)</sup> الله أن ينجيني منها"، قال<sup>(9)</sup> الولي لسيدي محمد الهواري: "إني<sup>(10)</sup> أجعلك في بطني حتى لا تأكلك

1 - في (ب) و(د): "اعتداء".

2 - السينية قصيدة لابن باديس الذي قال عنه ابن قنفذ القسنطيني في "الوفيات": (شيخنا الفقيه القاضي الشهير المحدث أبو علي حسن بن القاسم بن باديس القسنطيني، روى عن ناصر الدين المشدالي، وابن غريون البجائي، وخليل المكي، وابن هشام النحوي صاحب "المغني" له تقايد منها شرحه لمختصر السير لابن فارس. ولغلبة الانقباض عليه قل النفع به لمن أدرك حياته. ولد عام 701هـ/1320م، وتوفي سنة 787هـ/1406م. ينظر: الوفيات، ص 376-377).

3 - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "لتلمسان".

4 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

5 - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب): "البران". وفي (د): "البرير".

6 - في (ب): "نفعني".

7 - في (ب): "لحجامة إذك". وفي (د): "لحجامة وماذاك". وفي (ك): "لحجابه وماذاك". ونميل إلى ترجيح عبارة "حجابه" على غيرها لمناسبتها لسياق المعنى العام.

8 - في (ب): "اطلب".

9 - في (ب) و(د): "فقال".

10 - في (ب) و(د): "أنا".

النار ولا تراها". فقال الشيخ سيدي أحمد بن يوسف: "ما في البطن تُلْقِيهِ وَيَخْرُجُ منها، وأما أنا فأجعلك في قلبي". انظر<sup>(1)</sup> لفهم كلام سيدي أحمد \_ نفعنا<sup>(2)</sup> الله به؛ فشتان بين ما جعل في القلب و[بين]<sup>3</sup> ما جعل في البطن.

### المنقبة السابعة عشرة

ومنها ما حدثني [به]<sup>(4)</sup> الولي الصالح سيدي يحيى المغراوي القاطن الآن بقريّة مصرّاتة أن رجلاً يسمى سيدي علي الندرومي بلغ منزلة في الولاية وتأتيه/ [5ظ] الناس في ندرومة بالهدايا والتحف ويتبركون به، فاعترض على سيدي أحمد بن يوسف، فسلب حاله حتى صار كأنه حجر لا يعرفه أحد، نعوذ بالله من التعرض على أولياء الله.

### المنقبة الثامنة عشرة

وحدثني سيدي يحيى عن رجل آخر تعرّض للشيخ فسلب حاله حتى صار \_ والعياذ بالله \_ يضحك<sup>(5)</sup> به العامة والخاصة. وقال سيدي يحيى المذكور: «شاهدت الرجل تضحك به<sup>(6)</sup> العامة؛ لكونه يبول ويغوط على رجليه». وقد روى<sup>(7)</sup> مثل هذا سيدي موسى بن عيسى، ونصه: «قال التادلي<sup>8</sup> عن أبي رحيم الشيخ المديوني<sup>(9)</sup> أنه قال: "وصل رجل من أهل المكاشفة لتلامذة شيخ الشيوخ سيدي أبي مدين \_ نفعنا<sup>(10)</sup> الله به \_ فأنكر عليه<sup>(11)</sup> بعض

1 \_ في (ب) و(د) : "انظروا".

2 \_ في (ب) : "نفعني".

3 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (د).

4 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

5 \_ في (ب) : "تضحك".

6 \_ في (ب) : "منه".

7 \_ في (ب) : "حكى".

8 \_ ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي: صاحب كتاب "التشوف إلى رجال التصوف"، لغوي أديب، من قضاة المالكية، من أهل تادلة قرب فاس بالمغرب (ت627هـ).

9 \_ في (ب) و(د) : "عن أبي الربيع المديوني".

10 \_ في (ب) : "نفعني".

11 \_ في (ب) و(د) : "عليهم".



أحوالهم، فأعلموا أبا مدين بذلك فقال لهم: "سُئِلْتُ ما وَهَبَ<sup>(1)</sup>"، فسلب المكاشفة بتغيير قلب الشيخ سيدي أبي مدين، وصار كأحد العامة».

**قلت:** وقد أخبرني من أثق بنقله أن السيد الإمام الحافظ أبا الربيع سيدي سليمان ابن سيدي أحمد بن سيدي سعيد القلعي كان يحفظ نحو الثمانية عشر كتاباً ويدعى في زمانه الحافظ، واشتهر بذلك، فكان من قضاء الله وقدره أنه ذهب لتلمسان يحضر<sup>(2)</sup> مجلس السيد الحجة الأوحدي سيدي أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن زكري التلمساني، ويمنعه من التدريس، لما يلقيه إليه من نفائس العلم ولما اتصف به من الحفظ. إلى ذات يوم مع ما سبق في سابق علم الله، لقي سيدي محمد بن موسى المازوني المجذوب \_ وكان من أولياء الله \_ وهو بالحناء في يده<sup>(3)</sup> والكحل في عينيه والسواك ونحو ذلك، فأنكر عليه سيدي سليمان ذلك، وقال: "هذا تشبيه"، و"هذا حرام"، ونحو ذلك من ظاهر الشرع، وصار يوبخه، ويقول: "يا بدعي!"، وغير ذلك. فنظر إليه الولي المجذوب المذكور وقال له: "[الله]<sup>(4)</sup> تكون مدرسا؟ لا [والله. تكون مفتياً؟]<sup>(5)</sup> لا، والله قاضياً؟ لا والله". ثم مشى وتركه.

فذهب سيدي سليمان لمجلس حجة الله على عادته، فلم ينطق بكلمة. فقال له فحل المذهب: "يا سيدي سليمان، ما بالك لم تتكلم في العلم اليوم؟، هل تجرأ عليك أحد فنأمر عليه؟، ونحو ذلك. فسكت، فأقسم عليه، فأخبره بقضيته مع ولي الله. فضرب الإمام ابن زكري في جبهته، وقال: "يا سيدي سليمان تعرضت على ولي الله!". ثم قال لأهل مجلسه: "أذهبوا بنا لهذا الولي نستشفع عنده لسيدي سليمان". فذهب السيد مع فحول العلماء لولي الله المجذوب المذكور، وطلب منه أن يسمح لسيدي سليمان فيما صدر منه وما اعترض عليه

1 - في (ب): "سُئِلْتُ مع ما وَهَبَ".

2 - في (ب): "ويحضر".

3 - في (ب): "يديه".

4 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

5 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

به. فقال المجذوب: "انقضت الحاجة". فكان الحافظ المذكور \_ كما قال له الولي المذكور\_ لَمْ [يَنْتَفِعْ مِنْ عِلْمِهِ أَحَدًا]<sup>(1)</sup>.

وقد حدثني أخي السيد الفقيه العالم القاضي حينه سيدي علي بن محمد بن معزى مشافهة<sup>(2)</sup> وقال لي: "ذهبت أقرأ في حال صغري على سيدي سليمان الحافظ المذكور في مقدمة<sup>(3)</sup> ابن آجروم فلم أنتفع منه بشيء؛ من دعوة المجذوب المذكور عليه". وكذلك أخبرني غير واحد من عدول قلعتنا \_ حماها الله \_ ممن أدركه، أنه كان سيدي سليمان الحافظ المذكور بعد دعوة المجذوب عليه، لا تدريس له ولا فتوى<sup>(4)</sup> ولا قضاء إلى أن مات. نعوذ بالله من التعرض على<sup>(5)</sup> أولياء الله.

أما نحن \_ والحمد لله \_ خلف عن سلف فمن<sup>(6)</sup> المحبين لأولياء الله. وقد سبقت دعوة الخير والفلاح من الشيخ الولي الصالح سيدي عبد الحميد المغربي لجدنا السيد الحاج ابن حاج الحرمين الشريفين، الفقيه العالم القاضي العدل سيدي علي بن سيدي عبد الرحمن الصباغ، وكذلك ذريته من بعده، ثم كَمَلَّ اللهُ علينا بالبركة العظيم<sup>(7)</sup> بخدمته أبي \_ رحمه الله \_ لرأس العباد وقطب الأوتاد سيدي أحمد بن يوسف \_ أفاض الله علينا من بركاته وأنواره، وجعل البركة في ذريتنا إلى يوم القيامة\_. وخدمه أبي خدمة تحقيق، وصار عنده أفضل من الأب والأخ الشقيق، ورافقه وجالسه مجالسة/ [6و] بالأدب والتصديق، حتى قيل: "من رأى الشيخ ولم ير معه ابن معزى فلم يره؛ لكثرة مجالسة أبي له وخدمته الناصحة له، ونيته الخالصة فيه. ومن جملة نية أبي في شيخه - نفعنا الله به<sup>8</sup> - إذا غسل ثوب الشيخ يغمسه

1 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(ك).

2 \_ كذا في (أ)، وفي (ب) و(د)، و(ك) "مشافهة"، وهو الأصح.

3 \_ في (أ): "مقدة"، وهو تحريف.

4 \_ في (ب) و(د) و(ك): "فتنيا".

5 \_ كذا في (د) و(ك). وفي (ب): "إلى".

6 \_ في (ب): "من".

7 \_ كذا في (أ)، وفي (ب) و(د): "العظيمة" وهو الأصوب.

8 \_ في (ب) و(د): "نفعه الله بها".

في الماء ويعصره ويشرب وسخه \_ نفعه الله بذلك، وجعل البركة في عقبه لمحبتة لهذا الشيخ المبارك، آمين\_.

وقال في الشيخ أشعاراً يمدحه بها، ويرد على من ينكر ولايته، لكنني لم أقف عليها. ونالَ أبي خير الدنيا والآخرة بخدمته للشيخ سيدي أحمد بن يوسف، والحمد لله [والمنة لله]<sup>(1)</sup>. ومن خير الآخرة أن مات أبي شهيداً في الملحمة التي وقعت في قلعتنا \_ حماها الله \_ بين الأتراك والنصارى وقت حلول الإسكندر بالقلعة المذكورة، وتاريخ الملحمة<sup>2</sup> على ما نقلته من خط عمنا السيد الفقيه العالم النبيه القاضي سيدي أبي عبد الله \_ رحمه الله \_ شهر جماد الثاني<sup>(3)</sup> من عام أربعة وعشرين وتسعمئة. ومات أبي حينئذ وأنا دون الأثغار. اللهم كما أنعمت علينا بمحبة هذا الشيخ المبارك فكمل علينا بالممات على الكلمة المشرفة دعوة الحق وكلمة التقوى "لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ببركة مولانا وسيدنا وشفيعنا وحبينا ووسيلتنا وركننا سيدنا<sup>(4)</sup> رسول الله ﷺ آمين آمين يا رب العالمين.

وقد مدح سيدي أحمد بن يوسف تلميذه الولي النقي سيدي محمد العنترى العربي في قصيدة خمسة \_ رحمه الله، ونفعه بذلك وأعطاه فوق ما يتمنى<sup>(5)</sup>، ونصها بعد البسمة المتصلة<sup>(6)</sup>: [طويل]<sup>(7)</sup>

فِيَا سَادَتِي أَصْعُوا لِمَا مِنِّي قَدْ بَدَا      وَلَوْ كُنْتُ مَوْصُوفًا فِي كُلِّهِ بِالرَّدَى  
فَهَا أَنَا أَهْدِي بِأَشْتِيَاقِي مُنْشِدًا      سَلَامًا سَلَامًا دَائِمًا مُتْرَدِّدًا  
عَلَى الشَّيْخِ<sup>(1)</sup> أَبِي الْعَبَّاسِ شَمْسِ ضُحَاهَا

1 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

2 - في (د): "المحلة".

3 - في (ب): "جمادى الثانية".

4 - في (ب): "سيدي".

5 - في (ب): "يتمناه".

6 - كذا في (أ)، و(ك)، وفي (ب): البسمة التصليية. و(د): "والتَّصْلِيَّة".

7 - الأبيات من بحر الطويل، إلا أن بها كسورا كثيرة واختلالات في الوزن، وإخلالا بالقواعد النحوية والصرفية، وتوظيفا لبعض الألفاظ والتراكيب والدلالات العامية، أشرت إلى بعضها في مواضعها؛ وقد كان صاحب القصيدة قد صرح بهذا في البيت الأول.

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِي يَوْمَكُمْ<sup>(2)</sup>      تُبَلِّغُهُ أَرْيَاحُ شَوَاقِي لِأَرْضِكُمْ  
وَكُلُّ الَّذِي قَدْ لَادَ بِكُمْ وَبِصَحْبِكُمْ      سَلَامٌ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ يَعْمُكُمْ  
سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ فَلَا يَتَّاهَا<sup>(3)</sup>  
أُنَادِيكَ يَا مُنْقِدَنَا مِنْ فَسَادِنَا      وَعُمَدَتْنَا فِي دِينِنَا<sup>(4)</sup> وَمَعَادِنَا  
فَأَنْتَ السَّبَبُ فِي مَنَالِ رَشَادِنَا<sup>(5)</sup>      يَا قُطْبَ زَمَانِنَا وَعَوْتَ بِلَادِنَا  
وَمُذْهَبُ ظُلْمَاهَا إِذْ سَارَ سَنَاهَا  
وَلَوْ كُنْتُ ذَا صِدْقٍ فِي كُلِّ مَدْحِكُمْ      لَكَانَ جَمِيعُ الشَّوْقِ يَنْمُو بِرِيحِكُمْ<sup>(6)</sup>  
وَلَكِنْ وَلَوْ [قَدْ]<sup>(7)</sup> كُنْتُ أَدْنَى مُحِبِّكُمْ      فَهِيَ أَنَا أَشْرَعُ فِي حُسْنِ مَدِيحِكُمْ  
وَلَا أَخْفِيهِ بَلْ أَبْتَدِيهِ<sup>(8)</sup> شِفَاهَا  
رَجَائِي<sup>9</sup> مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ فِي زَلَّتِي<sup>(10)</sup>      فَيَغْفِرُ كُلَّهَا وَيَعْلَمُ مَا يَأْتِي  
وَلَأَجْلٍ مَا كَانَ [قَدْ]<sup>11</sup> مِنْ سُوءِ حَالَتِي<sup>(12)</sup>      نَظَرْتُ بَعَيْنِ الْفِكْرِ [فِي]<sup>(13)</sup> كُلِّ مَقَالَتِي  
فَمَا خَلَصَ لِي فِيكُمْ<sup>(14)</sup> حَقًّا سِوَاهَا<sup>(15)</sup>  
وَهِيَ أَنَا قَدْ شَاعَ بِقَوْلِي مَدِيحِكُمْ<sup>(1)</sup>      وَأَرْجُو الْإِلَهَ فِي إِثَالَةِ رِضَائِكُمْ

- 1 - كذا في (ك). أما في (ب): "على شيخي".
- 2 - في (ب): "سلام عليكم مني نؤمكم". وفي (ك): "سلام عليكم من قلبي يؤمكم".
- 3 - في (ك): "لا يتتاهي".
- 4 - في (ب) و(د): "دنيانا".
- 5 - في (ب) و(ك): "فأنت المسبب". في (ب): "في منال رُشدنا".
- 6 - في (ب) و(د): "ولو كنت صادقاً في جلّ مدحكم".
- 7 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).
- 8 - في (ب) و(د): "أبديه".
- 9 - في (د): "رجاء".
- 10 - في (ب): "زلاتي".
- 11 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب). وفي (د) و(ك): "ولأجل ما قد كان من سوء حالتي، وهو الأصح".
- 12 - في (ب): "حالاتي".
- 13 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).
- 14 - في (ب) و(ك) و(د): "فيك".
- 15 - لعل المراد بمعنى لفظ سواها هو بالمعنى العامي: يستحقها.

وَهَلْ يَفْتَقِرُ مَنْ كَانَ يَمْدَحُ مِتُّكُمْ؟ مَدَحْتُكُمْ أَوْلَا فَنِلْتُ الرِّضَا مِنْكُمْ

وَمَدَحْتِي هَذِهِ الْجَمِيعُ أَرَاهَا/[6ظ]

وَمَا أَنَا أَحْسَى مِنْ هَلَائِي تَأْسُفًا إِذَا كُنْتُ عَنِّي بِالتَّصَدِّي تَشْرِفًا<sup>(4)</sup>

وَلَكِنِّي أَشْدُو بِذُلِّ<sup>(6)</sup> تَلْطُفًا فَيَا سَيِّدِي أَحْمَدُ نَجَلٌ لِيُوسُفًا<sup>(7)</sup>

دَخِيلًا فَهَبْ لِلنَّفْسِ<sup>(8)</sup> مِنْكَ مُنَاهَا

فَصَدْتُكَ بِنَفْسِي إِذْ أَنْتَ خَيْرُهَا<sup>(9)</sup> مِنْ كُلِّ النَّوَازِلِ<sup>(10)</sup> وَأَنْتَ مُجِيرُهَا

وَقُطِبَ الْبَرَايَا<sup>(11)</sup> كُلُّهَا وَأَمِيرُهَا وَشَمْسُ الْهَدَايَةِ لِذُنْيَا وَنُورُهَا<sup>(12)</sup>

فَبِكَ انْجَلَى عَنِ الْقُلُوبِ صَدَاهَا

إِلَى اللَّهِ يَلْتَجِرُونَ<sup>13</sup> بِإِظْهَارِ ذُلِّهِمْ وَبِكَ تَوَسَّلُوا فِي إِصْلَاحِ حَالِهِمْ

فَنَادُوا بِقَوْلِ الْكُلِّ وَالْبَعْضِ وَجَلُّهُمْ<sup>(14)</sup> يَا كَهْفَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ كُلَّهُمْ

وَكُلُّ الْأَرَامِلِ إِلَيْكَ التَّجَاهَا<sup>(15)</sup>

وَحَقِّكُمْ إِنْ لَسْتُ بِسَالِيَا عَائِيكُمْ وَإِنِّي فِي هَوَاكُمْ<sup>(16)</sup> دَانِيَا

1 - في (ب) و(د): "مَدَحْتُكُمْ".

2 - في (ب) و(د): هَلَائِي

3 - في(د): "وإن كنت"

4 - في(ب): "تسرفاً".

5 - كذا في (أ). والأصح "أشدو".

6 - في(ب): "وَلَكِنِّي أَشْدُو بِذُلِّ تَلْطُفًا". وفي (ك) و(د): "أشدو بذُلِّ تَلْطُفًا".

7 - في(ب): "فَيَا سَيِّدِي أَحْمَدُ هَيَا ابْنَ يُوسُفًا".

8 - في(ب) و(د): "دَخِيلًا هَبْ لِنَفْسِي".

9 - في(ب) و(د): "بنفسي أنت". وفي (ك): "فصدتك بنفسي إذا أنت خيرها. لعلها إذا أنت خيرها"

10 - في(ب) و(د): "من كلِّ النَّوَازِلِ".

11 - في(ب) و(د): "يا قُطِبَ الْبَرِيَّةِ".

12 - في(ب) و(د): "يا شَمْسُ الْهَدَايَةِ حَقًّا وَنُورًا".

13 - المعنى نحويًا لا يستقيم بحذف النون دون مسوغ. فالأصح هو "لجأوا" تطابقًا مع الفعل "توسلوا" في الشطر الثاني.

14 - في(ب): "يُنَادُوا بِقَوْلِ الْكُلِّ وَبَعْضِ وَجَلُّهُمْ".

15 - في(ب): "التجاوها".

16 - في(ب) و(د): "عنك وإني في هواك".

وَلَكِنِّي<sup>(1)</sup> أَرْجُو لِأَحْسَنَ<sup>2</sup> بَادِيَا مُجِيبٌ لَهُ الْمَلْهُوفُ<sup>3</sup> مِنْ الظُّلْمِ شَاكِيَا  
 مُجِيرٌ لِمَنْ تَشْكُو<sup>(4)</sup> إِلَيْهِ ظَنَاهَا  
 وَكُلُّ الْحَقِيقَةِ بِظُهُورِهِ قَدْ نَمَتْ<sup>(5)</sup> وَأَذْكَارُهُ فِي بِلْدَةٍ لَنَا قَدْ نَسَتْ<sup>(6)</sup>  
 وَأَدْنَى الْقُلُوبِ بِظُهُورِهِ قَدْ سَمَتْ<sup>(5)</sup> وَمَنْ ظَهَرَهُ<sup>(7)</sup> شَمْسُ الْمَعَارِفِ قَدْ بَدَتْ  
 وَعَمَّتْ أَنْوَارٌ لِلْحَقَائِقِ سَمَاهَا<sup>(8)</sup>  
 فِي حُبِّكُمْ هَلْ كَانَ<sup>(9)</sup> مِثْلِي يُوجَدُ فَقِيرٌ بِدَنْبِهِ وَيَالْقَوْلِ<sup>(10)</sup> يُنْشِدُ  
 وَجُودُكُمْ سَيِّدِي لِرُوحِي جَسَدُ فَإِنْ عَمَّهُ الْأَفْنَى فَرُوحٌ فَنَاهَا<sup>(11)</sup>  
 كَثِيرُ الْأَمَانِي بِعِلَاكُمْ يَشْهَدُ عَسَى فَالِقُ الْإِصْبَاحِ يَفْتَحُ لِي عَسَى  
 وَجُودُكُمْ سَيِّدِي لِرُوحِي جَسَدُ أَنَادِي يَا مَنْجَاتِي إِذَا اللَّيْلُ عَسَعَسَا  
 لَعَلِّي أَرَى عَنْ [قَلْبِ شَجْرِي]<sup>(12)</sup> تَنْفَسَا هَيَا نَجْمَةَ الْإِصْبَاحِ يَا كَوْكَبَ الْمَسَا<sup>(13)</sup>  
 مَتَى تَصْفُو نَفْسِي حَتَّى يَبْدُو نَمَاهَا  
 وَيَا مُلْتَجَائِي فِي جَمِيعِ مُهْمَاتِي وَيَا مَقْصِدِي فِي كُلِّ [أَمْرِي]<sup>(14)</sup> وَفُدُوتِي  
 [وَعَزِّي]<sup>(15)</sup> وَرَيْحَانِي وَرُوحِي وَرَاحَتِي وَيَا مَرْكَبَ الْعِرْفَانِ مِنْكَ اسْتَوَاهَا<sup>(1)</sup>

1 \_ في (ب): "ولكني".

2 \_ في (ب) و (ك): "المحسن". وفي (د): "المحاسن".

3 \_ في (ب) و (د) و (ك) مجيب "لملهوف بالظلم شاكياً".

4 \_ في (ب): "يشكو".

5 \_ في (ب): "وأنا القلوب بظهوره قد نمت". و في (د): "وأذكاره في كل بلدة قد انتشرت".

6 \_ كذا في (أ)، ولعلها نشرت. وفي (ب): "وأذكاره في كل بلدة قد نُشِرَتْ".

7 \_ في (ب): "ومدَّ ظَهْرَتْ".

8 \_ في (ب): "وقدَّ عَمَّتْ أَنْوَارُ الْحَقَائِقِ سَمَاهَا".

9 \_ في (ب): "أكان".

10 \_ في (ب): "بالقول".

11 \_ في (ب): "فإن عمه الفنا فروح حواها".

12 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

13 \_ في (ب): "هيا نجمة الصباح ويا كوكب المسا".

14 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

15 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

- وَكُلُّ مَحَاسِنِ الْمَحَامِدِ (2) قَدْ وَعَى  
وَكُلُّ عِبَادِ اللَّهِ لِلْخَيْرِ قَدْ دَعَا (3)  
وَمَا يَأْتِي مَنْ سَعَى فَمِنْ أَجْلِهِ سَعَى (4)  
مُجِيبٌ بِحُسْنِ الْقَوْلِ صَحَبَ سَفَاهَا (5)  
وَلَا يَغْضَبُ وَالْكَظْمُ عِنْدَ ابْتِدَائِهِ  
صَبُورٌ شُكُورٌ لِأَيْدٍ (6) فِي انْتِهَائِهِ  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَوْصَافِ نُورٌ بِهِائِهِ (7)  
رَجَاءٌ مِنَ اللَّهِ الْهُدَى وَرَجَاهَا (8)  
وَعَنْ كُلِّ مَنْ أَسَاءَ بِحِلْمِهِ يَغْفُو  
فِيَا سَادَتِي قِفُوا بِسَاحَتِهِ قِفُوا  
[و7] رُوُوفٌ بِخَلْقِ اللَّهِ بِالصَّفْحِ يُعْرِفُ  
حَلِيمٌ كَرِيمٌ بِالْمَحَاسِنِ يُوصَفُ  
صَبُورٌ شُكُورٌ وَالْجَمِيعُ حَوَاهَا  
أَرَى كُلَّ فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ آيَةً (9)  
وَمِنْ أَجْلِ (11) أَنَّهُ حَوَاهَا مَهَابَةً  
بِحُسْنِ اخْتِصَاصِهِ وَمِنْهُ [دِلَالَةٌ] (10)  
يُقَابِلُ مَنْ أَسَا إِلَيْهِ سَفَاهَةً  
وَالصَّبْرُ وَالْحِلْمُ وَالشُّكْرُ تَلَاهَا (12)  
دَلِيلٌ عَلَى الْخَيْرَاتِ فِي كُلِّ طَاعَةٍ  
صَبُورٌ بِمَا قَدْ حَلَّ بِهِ بِرَأْفَةٍ (13)  
شُكُورٌ بِمَوْلَاهُ بِطَلَبِ الْمَعَافَةِ  
وَمِنْ رَبِّهِ قَدْ خَافَ كُلَّ الْمَخَافَةِ (1)

1 \_ في (ب): "ويا مرحب العرفان ويك استواها".

2 \_ في (ب) و(د): محاسن الخيرات

3 \_ في (ب): "بالخير قد وَعَا"، وهي غير مناسبة لحرف الرّوي.

4 \_ في (ب) و(د): "وما يأتي بسعيه من أجله سعا".

5 \_ في (ب) و(د): "مجيب بحسن القول الذي شفاها".

6 \_ في (ب) و(د): "لا يؤذي".

7 \_ في (ب) و(د): "ومن حسن أوصافه ونور بهائه".

8 \_ في (ب): "رجا من الله الهدى رجاها". و في (د): "الهدى".

9 \_ في (ب): "آتياً".

10 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

11 \_ في (ب): "ولأجل".

12 \_ في (ب): "بالصبر والحلم وشكر تلاها". و في (د): "بالصبر وبالحلم".

13 \_ في (ب): "دليل على الخيرات بكل طاعة" صَبُورٌ لِمَا قَدْ حَلَّ بِهِ مِنْ آفَةٍ.

وفي (د): صَبُورٌ لِمَا قَدْ حَلَّ بِهِ مِنْ آيَةٍ.

وَأَلْزَمَ نَفْسَهُ التَّقَى<sup>(2)</sup> وَشَجَّاهَا

إِلَيْهِ اسْتِنَادُهُ إِلَيْهِ<sup>(3)</sup> افْتِقَارُهُ عَلَيْهِ اعْتِمَادُهُ إِلَيْهِ<sup>(4)</sup> اِنْتِظَارُهُ

عَلَيْهِ مَدَارُهُ وَبِهِ اِنْتِصَارُهُ إِلَيْهِ التَّجَاوُؤُ وَبِهِ افْتِخَارُهُ

عَلَيْهِ اتِّكَالُهُ النَّقَّةُ حَوَاهَا

وَلَا طَالِبًا لِلْخَيْرِ مِنْهُ يَرُدُّهُ وَشَاكِي إِلَيْهِ [الذَّلُّ]<sup>6</sup> يَبْدُلُ جَهْدَهُ<sup>(7)</sup>

وَفِي بَعْهْدِهِ وَيُنْجِزُ وَعَدَهُ كَرِيمٌ وَلَا يَبْخُلُ بِمَا قَلَّ عِنْدَهُ

يُؤْتِرُ عَنْ نَفْسِهِ فِي حَقِّ سِوَاهَا<sup>(8)</sup>

أَلَا قَدْ<sup>(9)</sup> سَمَا عَلَى الْقَوْلِ قَوْلُكُمْ وَفِي كُلِّ مَنْ أَفْعَلْنَا زَكَ فَعَلُّكُمْ<sup>(10)</sup>

وَأَسْتُ بِقَاضٍ أَنْ يُحَاطَ بِفَضْلِكُمْ فَيَا سَيِّدِي أَحْمَدُ هَلْ كَانَ مِنْكُمْ

وَلَا أَنَّهَا كَلَّا أَنْتَ أَوْ تُضَاهَا<sup>(11)</sup>

طَلَبْتَ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ إِلَيْنَا فِي تَقْدِيمِ مَوْتِي<sup>١٢</sup> عَنْكَ دُونَ حَيَاتِنَا

فَيَا سَيِّدِي مَا وَفَاكَ صِدْقُ مَقَالِنَا مَنُونَكُمْ إِنْ قَدَرْتَ فِي حَيَاتِنَا<sup>١٣</sup>

يُصَاحِبُ<sup>(14)</sup> مِنْ أَجْلِكَ عَيْنِي عَمَاهَا

1 - في (ب) و(د): "خائفٌ من ربه كلَّ المخافة".

2 - في (ب) و(د): "الشقا".

3 - في (ب): "وإليه".

4 - في (ب): "وإليه".

5 - في (ب) و(د): "مداره".

6 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب). وفي (د): "وشاكي إليه الأمر يبدلُ جهده".

7 - في (ب): "ولا طالبا منه للخير وردّه وشاكي إليه يبدلُ جهده".

8 - في (ب) و(د): "يؤثر على نفسه حقاً سواها".

9 - في (ب): "وقد".

10 - في (ب) و(د): "وعن كلِّ فعلنا زكي فعلكم".

11 - في (ب) و(د): "كللاً ولا أنّها أنت تُضاهَا".

12 - في (ب): "موت".

13 - و(د) في (ب): "فيا سيدي دونك صدق مقالنا فإن قدر منونكم في حياتنا".

و في (د): "موتكم".

14 - في (ب) و(د): "يصحب".



وَأَسْتُ لِمَنْ سِوَاكَ بَعْدُ مُصَاحِبًا      وَحَقِّكُمْ إِنِّي مُحِبُّكُمْ<sup>(2)</sup> رَاغِبًا  
 وَمِنْ أَجْلِكُمْ حَقًّا تَرَكْنَا الْمَآرِبَا      مَعَ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ<sup>(3)</sup> ثُمَّ الْأَرَاقِبَا<sup>(4)</sup>  
 فَمِنْ أَجْلِكُمْ سَيِّدِي جَمِيعًا<sup>(5)</sup> تَرَكْنَاهَا  
 فَيَا سَيِّدِي مَوْلَى<sup>(6)</sup> مَنْوِي قَدْ دَنَا  
 فَهَذَا أَنَا فِي شَجْوٍ وَيَسْرُنِي<sup>(7)</sup> الْوَنَا  
 تُكَدِّرُنِي نَفْسِي بِتَرْكِ نَفَاهَا  
 وَحَقِّكُمْ قَوْلِي بِحُسْنِ دَلَالَتِي      وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ بِصِدْقِ مَقَالَتِي  
 وَمِنْ حُكْمِهِ<sup>(9)</sup> مَا كَانَ فِيهِ مِنْ آيَةٍ      فَنَظَرْتُهُ تُغْنِينِي<sup>(10)</sup> دُونَ زِيَادَةٍ  
 فَيَا لَيْتَنِي [لَوْ]<sup>(11)</sup> كُنْتُ سَمْتُ هَوَاهَا  
 عَلَى كُلِّ مَقْصِدٍ<sup>(12)</sup> مَقَاصِدُهُ نَمَتْ      عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ فَهَمَّتْهُ عَالَتْ<sup>(13)</sup>  
 وَلَا أَرَى مَنْ يُحْصِي لِي جَمَعَ الَّذِي حَوَتْ      وَلَا زَالَ طَالِبًا حَتَّى إِلَيْهِ انْتَهَتْ<sup>(14)</sup>  
 إِلَى غَايَةِ الْإِحْسَانِ صَارَ<sup>(15)</sup> سَمَاهَا/ [ظ7]  
 فَيَا لَيْتَنِي أَجْدُ لِقَوْلِي مُسَاعِدًا      وَلَا مَدْحَ لِي لِمَنْ يُحِبُّ الْمَعَانِدَا

1 \_ في (ب) و(د): "لما".

2 \_ في (ب) و(د): "مُحِبُّكَ".

3 \_ في (ب): "تركنا الأوطان والأهل".

4 \_ كذا في (أ)، ولعل المراد "ثم الأقرابا"، كما في (ب) و(د).

5 \_ في (ب) و(د): "الجميع".

6 \_ كذا في (أ)، وفي (ب) و(د): "ومولاي".

7 \_ في (ب): "يسرني".

8 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

9 \_ في (ب): "ومن جملة".

10 \_ في (ب): "تغني".

11 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

12 \_ في (ب): "على أعلى المقاصد".

13 \_ في (ب): "وعلى كل همة همته قد علت".

14 \_ في (ب): "ولا زال طالبا به حتى انتهت".

15 \_ في (ب): "قصار".

لَهُ [إِذْ ذَاكَ يَرَى لَهُ<sup>(1)</sup>] فِيهِ حَقًّا فَوَائِدًا      وَقَدْ لَادَ أَبْحُرَ<sup>(2)</sup> الْمَعَارِفِ قَاصِدًا  
وَأَعْلَى مَرَايِبِهَا مَرَسَى رِسَاهَا  
وَأَنْوَارُهُ عَمَّتْ وَجُودَ سَوَادِنَا      وَأَنْوَارُهُ<sup>(3)</sup> بَدَتْ بِنَيْلِ مُرَادِنَا  
وَأَحْكِي لَكُمْ قَوْلًا بِصِدْقِ اسْتِنَادِنَا      طَرِيقَتُهُ شَاعَتْ فِي كُلِّ بِلَادِنَا  
وَكُلُّ الْبَرَايَا عَمَّهُمْ بِضِيَاهَا<sup>(4)</sup>  
فَنَفْسِي قَدْ ضَاقَتْ نَمَّ انْقَضَتْ<sup>(5)</sup> الْفُؤَى      وَرَأَيْسُ ظُلْمِهَا عَلَى رَأْيِهَا اسْتَوَى  
وَلَكِنِّي آتٍ مَنْ يُحْسِنُ الدَّوَا      وَكَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ أُمِيتَتْ مِنَ الْهَوَى<sup>(6)</sup>  
فَأَحْيَى أَبُو الْعَبَّاسِ نَجْمَ هُدَاهَا<sup>(7)</sup>  
وَكَمْ مِنْ نُفُوسٍ أَحْيَى<sup>(8)</sup> بَعْدَ مَمَاتِهَا      وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ أَغْرَبِ دِيَاتِهَا<sup>(9)</sup>  
وَأَظْهَرَ نُورَ الْفَتْحِ بِتَرْكِ صِفَاتِهَا      وَأَحْيَى بِهَا بَعْدَ الْكَمَالِ صِفَاتِهَا<sup>(10)</sup>  
وَاقْتَبَسَتْ الْأَنْوَارُ مِنْهَا سَنَاهَا<sup>(11)</sup>  
وَكُلُّ مُرِيدٍ عَنِ<sup>(12)</sup> مَقَامِهِ سَائِلٌ      لِيَأْتِيَ<sup>(13)</sup> إِلَيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ غَافِلٌ  
وَعَنْ أَمْرِهِ بِمَا مِنْ أَجْلِهِ ذَاهِلٌ      وَكُلُّ ضَلَالٍ فِي الْحَقِيقَةِ<sup>(14)</sup> بَاطِلٌ

1 \_ كلمة مطموسة في (أ)، والإضافة من (ب) و(د).

2 \_ في (ب): "بحار".

3 \_ في (ب): "وأسراره".

4 \_ في (ب) و(د): "وكل البرية عم ضيائها".

5 \_ في (ب) و(د): "وانقضت".

6 \_ في (ب): "كم من قلوب قد أميتت بالهوى".

7 \_ في (ب): "هواها".

8 \_ في (ب): "أحيائها".

9 \_ في (ب): "آياتها".

10 \_ في (ب): "بعد كمال حياتها".

11 \_ في (ب) و(د): "أنوار منها سواها".

12 \_ في (ب): "من".

13 \_ في (ب): "يأتي".

14 \_ في (ب): "بالحقيقة".

وَكُلُّ بِدْعٍ <sup>(1)</sup>الشَّرِّ حَقًّا مَحَاهَا

فِيَا سَيِّدِي إِنِّي أَرَى طَاعَتِي هَبَا      إِذَا لَمْ تَقُلْ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا  
وَقَلْبٌ بِظُلْمٍ مِنْ نَجَاتِهِ قَدْ أَبَى      وَفَعَلُ الْإِسَاءَةِ مِنْ فِعْلِهِ رَبَا <sup>(2)</sup>

وَكَثْرَةُ زَلَّاتِي وَقَطْرُ بَنَاهَا <sup>(3)</sup>

حَلِيمٌ كَرِيمٌ فِي دَوَامِهِ يَشْكُرُ      وَفِي زَكِيِّ مَا عَنِ الْمَسَاوِي يُبْصِرُ <sup>(4)</sup>  
بِأَخْلَاقِهِ الْحُسْنَى وَبِالْكُلِّ يَظْفَرُ      وَمَنْ ظَهَرَ الْحَقَّ <sup>(5)</sup>قَبَا لِلَّهِ يَظْهَرُ

لَأُمَّةٍ أَحْمَدَ الْحَبِيبِ <sup>(6)</sup>حَمَاهَا

تَقِيٌّ وَمَحْفُوظٌ بِقُدْرَةِ عَالِمٍ      بَرِيءٌ بِأَنْ يُوصَفَ <sup>(7)</sup>بِنَزْعَةِ ظَالِمٍ  
وَلَا يَخْتَشِي <sup>(8)</sup>فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ      وَذِكْرُهُ <sup>(9)</sup>سَيْفُ الْحَقِّ غَيْرُ مُصَادِمٍ

وَمِنْ أَجْلِهِ عَمَّ الْقُلُوبَ بُكَاهَا

أَلَا شَرِنَةُ الظَّمَانِ <sup>(10)</sup>فِيهَا شِفَاؤُهُ      فَيَحْسُنُ أَمْرُهُ وَيَذْهَبُ دَاؤُهُ  
عَلَيْهِ بِشَيْخِ الْوَقْتِ إِلَيْهِ التَّجَاؤُهُ      وَكُلُّ الْبَرِيَا نَالَهَا فِدْعَاؤُهُ <sup>(11)</sup>

إِلَى غَافِرِ الزَّلَّاتِ طَرًّا دُعَاهَا

1 \_ في (ب): "بداع".

2 \_ رواية البيهقي في (ب) و(د) على النحو الآتي:

"وَقَلْبٌ بِظُلْمِهِ نَجَاتُهُ قَدْ أَبَى      إِذَا لَمْ تَقُلْ: أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا  
فِيَا سَيِّدِي إِنِّي أَرَى طَاعَتِي هَبَا      وَفَعَلُ الْإِسَاءَةِ مِنْ فِعْلِهِ رَبَا

3 \_ في (ب): "لكثرة زلاتي وقصر بناها".

4 \_ في (ب) و(د): "يُصْبِر".

5 \_ في (ب): "ومذ ظهر بالحق".

6 \_ في (ب): "لأنَّ أحمدَ الحبيب".

7 \_ في (ب): "يُصَب".

8 \_ في (ب): "ولا يخشى".

9 \_ في (ب): "أذكاره".

10 \_ في (ب): "الظمان".

11 \_ في (ب): "وكل البرية نالها دعاؤه".

مُوَاصِلُ الْأَخْرَانِ يُلَازِمُ حُبَّهُ<sup>(1)</sup>      كَرِيمُ الْمَحَاسِنِ [و] تَبْتَغِي<sup>(2)</sup> قُرْبَهُ<sup>(3)</sup>  
غَنِيٌّ عَنِ الْمَخْلُوقِ يَطْلُبُ رَبَّهُ      فَمَا يَشْتَكِي بِأَسَا إِذَا الضَّرُّ مَسَّهُ

وَلَا يَشْتَكِي<sup>(4)</sup> وَالْكُلُّ إِلَيْهِ التَّجَاهَا

مَدَحْتُكَ مَدْحًا لَيْسَ فِيهِ أَفَاحِرُ<sup>(5)</sup>      رَجَاءٌ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ يُنَاصِرُ/ [و8]  
وَكُلُّ الَّذِي تَأْتِينِي بِهِ الْمَقَادِرُ      مَدِيحُكَ<sup>(6)</sup> لَا تُحْصِيهِ [مَنِي] <sup>(7)</sup> دَفَاتِرُ  
عِنْدِي<sup>(8)</sup> وَلَا سِفْرٌ أَذَاهِ<sup>(9)</sup> وَضَعْنَاهَا<sup>(10)</sup>

انتهت القصيدة. فرحم الله ناظمها، وبلغه قصده ومدحه<sup>(11)</sup> في شيخه أعلى المنازل،

وهو الفردوس الأعلى، آمين يا رب العالمين.

وكذلك السيد الفقيه العالم النبيه سيدي أحمد بن العباس البطحي مدح الشيخ سيدي ومولاي سيدي أحمد بن يوسف نفعي الله به\_ في رجز على ما أذكره بعد هذا إن شاء الله. وابن العباس المذكور من تلامذة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف حسب ما هو مذكور في جملتهم آخر الكتاب نفعي الله ببركتهم وبركة شيخهم، آمين يا رب العالمين، ونص [الرجز]:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنَا      وَلَمْ نَكُنْ شَيْئاً لِدَاكَ أَنْبَاءُ  
رَبُّ تَعَالَى عَنِ سِمَاتِ الْبَشَرِ      لَيْسَ بِذِي عَرَضٍ وَلَا بِجَوْهَرِ

<sup>1</sup> \_ في (ب): "مواصل للأخران يلازم حبه".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>3</sup> - كذا في (أ) و(ك). وفي (ب) و(د): يبتغي

<sup>4</sup> \_ في (ب): "ولا يلتجئ".

<sup>5</sup> \_ في (ب): "لا به أفاخر".

<sup>6</sup> \_ في (ب) و(د): "مدحك".

<sup>7</sup> \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>8</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د). وفي (ك): "الدي".

<sup>9</sup> \_ كذا في (أ)، ولعل المراد: "إذا هي".

<sup>10</sup> \_ في (ب): "عندي ولا أسفارا إذه وضعناها". وأرى صواب البيت هكذا: "عندي والأسفارا إذا وضعناها

<sup>11</sup> \_ في (ب): "بقصده ومدحه".

وَلَا يُقَالُ فِي إِلَهِ الْمَاجِدِ  
وَلَا مَاتَ<sup>(١)</sup> كَانَ وَلَا أَيُّ مَكَانٍ  
فَلَا يَحُلُّ أَزْلٌ فِي حَادِثٍ  
بَلْ هُوَ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ  
وَقُرْبُهُ مِثْنِ النَّرَى كَالْعَرْشِ<sup>(٢)</sup>  
أَعَنَّ<sup>(٤)</sup> بِعِلْمِهِ لَا بِالْحُلُولِ  
كُلُّ [مَكَانٍ]<sup>(٦)</sup> فَهُوَ فِيهِ بِعِلْمِهِ  
أَرْسَلَ رَسُولًا مُصْطَفَيْنِ أَخْيَارِ  
وَيَفْعَلُوا مَا أَمَرُوا بِفِعْلِهِ  
وَيَقْتَدُوا بِفِعْلِهِمْ كَمَا وَجَبَ  
وَخَتَمُوا أَنْبِيَاءَهُ بِالْهَادِي  
فَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ  
وَمَنْ بَقِيَ<sup>(٨)</sup> إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ  
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا  
وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ  
أَقُولُ قَوْلًا تَمِيلُ النُّفُوسُ

أَيْنَ وَكَمْ وَكَيْفَ قَوْلٌ مُعْتَمَدٌ  
بَلْ صَوَّرَ الْكَوْنَ وَدَبَّرَ الزَّمَانَ  
هَذِي<sup>(٢)</sup> شَرِيعَةً مَنْ لَيْسَ مُخْبِتٌ  
وَيُعَدُّهُ لِلْعَرْشِ كَالنُّورِ  
هَذِي عَقِيدَتُنَا قَالَ الْقُرْشِيُّ  
فَهَكَذَا<sup>(٥)</sup> نَصَّ أَهْلُ الْعُقُولِ  
مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهِ  
لِيُنْتَهِيَ الْخَلْقُ عَنِ الْأَوْزَارِ  
وَيَتْرَكُوا الْمَنْهِيَّ عَنْهُ كُلَّهُ  
إِلَّا الَّذِي اخْتَصَّوْا بِهِ لَيْسَ يَجِبُ  
الْمُجْتَبَى مِنْ أَشْرَافِ<sup>(٧)</sup> الْعِبَادِ  
مَنْ عَصَرْنَا لِعَصْرِهِ لِمَنْ سَبَقَ  
حَتَّى الْمَلَائِكَةَ أُولِي الْأَمْرِ  
وَأَلَيْهِ وَزَادَهُمْ تَكْرُمًا  
عَلَى الَّذِي شَبَّهَهُ لَيْسَ يَأْتِي  
لَهُ بِكُلِّهَا<sup>٩</sup> وَلَا تَنْفُوسُ

1 \_ كذا في (أ)، وفي (ب): "ولا شيء كان". وفي (د) و(ك): "ولا متى كان.."، وهو الأصح دلالة وإيقاعاً.

2 \_ في (ب): "هذا".

3 \_ كذا (أ) و(ك). وفي (ب) و(د): "للعرش".

4 \_ في (ب): "أعني".

5 \_ في (ب): "فهذا".

6 \_ ما بين المعقوفين ساقطة من (أ).

7 \_ كذا في (أ)، وفي (ب) و(د) و(ك): "مَنْ أَشْرَفَ وبها يستقيم الوزن".

8 \_ كذا في (أ) و(ب): والأصوب: "بَقِيَ". والملاحظ أن بهذه الأرجوزة أيضاً اختلالات في الوزن وخروج عن القواعد النحوية والصرفية والدلالية وغيرها، وقد أشرت إلى بعضها في موضعه.

9 \_ في (ب) و(د): "بكلها".

- أَصْغُوا لِقَوْلِي يَا أُولِي الْأَذْهَانِ (1)
- إِبْنُ الْخَطِيبِ أَتَى بِقَوْلٍ مُعْجَبًا  
فِي شَيْخِ قُطْرِنَا بِلَا تَمْوِيهِ  
الْعِلْمُ وَالْجِدُّ وَالْإِجْتِهَادُ  
وَالصَّبْرُ وَالزُّهْدُ وَالْإِبْتِهَالُ  
[8ظ] فَمَنْدُ أَتَانَا جَاءَنَا السُّرُورُ  
صَافَتْ نَفْسُنَا (3) بِهِ وَقَدْ رَضَتْ (4)  
إِنْ تَابَ بِالْفَحْشِيَّةِ (5) الْمَذْمُومَةَ  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَا  
عَلَى عَصَاةِ خَلْقِهِ بِالنَّجْبَا  
لَكِنَّ يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمْتُهُ  
أَنْ تَدْعُو اللَّهَ بِعَاقِبِ (7) وَدَرَكِ  
لَأَنَّ فَضْلَ اللَّهِ لَا يُنَالُ (8)  
بَلْ جُودُهُ عَمَّ جَمِيعَ الْأَوْلِيَاءِ  
كَابْنِ هُوَارِي (10) وَتَمَّ الشَّنْبُكِي (1)
- قَوْلًا مُنِيرًا يَجْلُو دُجَى الْبُهْتَانِ (2)
- فِي مَنْ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْقَوْمِ رَبَا  
لَهُ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا أَحْصِيهِ  
وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْأَيَادُ  
لِخَالِقِ الْخَلْقِ وَلَا مِثَالُ  
وَالْخَيْرُ وَالنَّعْمَةُ وَالْحُبُورُ  
بِهِ يَكُونُ شَيْخَنَا ثُمَّ أَبَتْ  
مُنْذُ أَتَى نَفْسُنَا مَزْمُومَةَ  
بِهِ مِنْ إِظْهَارِهِ قَدْ تَكْرَمَا  
وَيَشْمَلُ الْجَمْعَ دُعَاءَ النَّقْبَا  
إِنِّي سَأَلْتُكَ بِمَنْ تَعْبُدُهُ (6)  
فَعَسَاهُ يَمْنَحُ لِي مَا مَنَحَكَ  
قَبْلَ أَنْ يُنَادَى لَوْ لَمْ يُنَالُ (9)  
وَقَدْ رَأَيْنَا حِكَايَةَ الْأَنْثِيَاءِ  
كَأَنَّا فِي بَدْيِهِمْ [لُصُوصًا] (2) كَمَا حُكِي

1 \_ كذا في (ا) وفي (ب) و(ج) و(د): "أصغوا لقولي يا ذوي الأذهان". وفي (د) الألباب صححت على الهامش "الأذهان".

2 \_ في (ب) و(د): "قولاً منيراً يجلو بالبرهان".

3 \_ في (ب) و(د): "طبت نفوسنا".

4 \_ كذا في (أ) و(ب)، والأصوب: "رضيت".

5 \_ في (ب) و(د): "إن تأت بالفاحشة".

6 \_ كذا في (أ)، ويقصد: "تعبد".

7 \_ في (ب) و(د): "بعقب".

8 \_ في (ب) و(د): "يُنَال".

9 \_ كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "قبل أن يؤتى ولم يُنال". والصواب "لم يُنَل".

10 - ذكره الشعراني بدون ألف. وقال عنه: أبو بكر بن هوار البطائحي رضي الله عنه من مشايخ العراق شيخ أبي محمد الشنبيكي. كان شاطراً يقطع الطريق، فوقع له سماع هاتف بالليل أما أن لك أن تخاف من الله تعالى، فتاب من ساعته رضي الله عنه وهو أول من ألبسه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخرقه، انعقد إجماع المشايخ من أهل عصره على جلالته وعلو مقامه. وكان يقول: التصوف =

وَفَضَّلُ رَبَّنَا [الْعَلِيَّ] (3) فِي السَّحَرَةِ      أَوَّلُ يَوْمِهِمْ [وَأ] (4) كَانُوا كَفَرَهُ

انتهت الأبيات، فجزى الله خيراً [قاتلها] (5)، وبلغه مراده، وأعطاه فوق ما يتمنى، ونفعنا وإياه ببركة هذا الشيخ المبارك، آمين يا رب العالمين.

**قلت:**

وقد جرى مثل هذا للشيخ العارف بالله سيدي أبي العباس المرسي مع تلميذه ابن عطاء الله (6)؛ مدحه بقصائد كثيرة قالها (7) بين يديه. [وكذلك غيره من تلامذته / [10و] كابن ناش (8) وغيره. وكذلك الأشياخ مُدِحُوا بقصائد كثيرة] (9)، وربما أعطوا للقائل على ذلك شيئاً.

**قلت:** ويعضد ذلك ما نقله سيدي موسى بن عيسى ولفظه: «روي عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ أن كعب بن زهير أنشد بين يديه عليه السلام قصيدة (10)، التي أولها: "بانت سعاد فلما بلغ [إلى قوله] (11): [بسيط]

=ذكر باجتماع، ووجد باستماع وتحمل باتباع، تنبأ بظهور القطب عبد القادر الجيلي (الجيلاني). فقيل له ومن هو عبد القادر الجيلي؟ فقال: أعجمي شريف يسكن بغداد يكون ظهوره في القرن الخامس وهو أحد الصديقين وأعيان أقطاب الدنيا. لم يذكر الشعراني معلومات أخرى عنه غير هذه. ينظر عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى المسمى "لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية" تح أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبه/ ج1 ط1، مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. 2006م. ص237.

1 \_ في (ب) و(د) و(ك): "الشنكي". وهو الأصح. وقال الشعراني هو: أبو محمد الشنكي من أعيان مشايخ العراق. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في وقته وبه تخرج السالكون الصادقون مثل الشيخ أبي الوفاء... كان في بدايته يقطع الطريق على القوافل فتاب على يد أبي بكر بن هوار البطائحي فصار يبرئ الأكمه والأبرص والمجنون بدعوته. ومن كلامه أصل الطاعة الورع والتقوى وأصل التقوى محاسبة النفس. لم يذكر الشعراني بلده وتاريخ ميلاده ووفاته. ينظر الشعراني. المصدر نفسه. ص237-238.

2 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

3 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

4 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

5 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

6 \_ ينظر ترجمته ضمن شيوخ أحمد بن يوسف الملياني.

7 \_ في (ب): "وقالها".

8 \_ كذا في (أ)، وفي (ب) و(ك): "كابن ناشي". وفي (د): "ابن ناجي". وقد بحثت عن صحة هذا الاسم في كتب التراث فلم أعر عليه ضمن تلامذة أبي العباس المرسي وهم: الإمام البوصيري وابن عطاء الله السكندري وياقوت العرش وابن اللبان والعز بن عبد السلام وابن أبي شامة... ولم أجد ابن ناش المذكور ضمنهم.

9 \_ ما بين المعقوفين مكرراً في (ب).

10 \_ في (ب) و(ك) و(د): "قصيدته".

11 - ما بين المعقوفين إضافة من (أ).

أَنْتَ<sup>(1)</sup> الرَّسُولُ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهْتَدٍ مِنْ سَيْوْفِ اللَّهِ مَسْلُوبٌ

فرمى [له]<sup>(2)</sup> ﷺ بَرْدَةً كَانَتْ عَلَيْهِ<sup>3</sup>، فابتاعها معاويةً منه، أو من ولده بعشرين ألفاً. انتهى منه باختصار.

قلت: وفي هذا دليلان: الأول جواز إنشاد القصيدة بين يديه ﷺ. الثاني: نزع<sup>(4)</sup> ﷺ بَرْدَتَهُ وَإِعْطَاؤَهَا<sup>(5)</sup> لكعب؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(6)</sup>، فيجب اتباعه عليه الصلاة والسلام في أقواله وأفعاله. ولقد كان حسان بن ثابت ينشد بين يديه أشعاراً ويقول له ﷺ: «أحسنْتَ يا حسان».

وفي اختصار الترمذي: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ، أو قال ينافح عن رسول الله ﷺ، يقول ﷺ: «إن الله تعالى يؤيد حسان بن ثابت بروح القدس بما ينافح عن رسول الله ﷺ»<sup>7</sup>. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله دخل حمى مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه، وهو يقول: [رجز]

<sup>1</sup> - في (د): «إن الرسول».

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>3</sup> - قصة إنشاد كعب بن زهير رضي الله عنه قصيدة بانث سعاد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم رواها (من غير ذكر إعطائه البردة الشريفة، فهذا لم يرو في أي كتب من كتب السنة، وإنما يذكره بعض الأدباء من غير إسناد) - الحاكم محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع في المستدرک علی الصحیحین (رقم: 6477): ج3/ الطبعة الأولى. تح: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت. (1411 هـ - 1990 م) ص 670. ورواها أيضاً - البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين: في السنن الكبرى. تح: محمد السعيد بسيوني زغول. (رقم: 21142): ج10/ ط1، دار الكتب العلمية. بيروت. 1410 هـ، ص 412. في السنن الكبرى (رقم: 21142): ج10/ 412.

<sup>4</sup> - في (ب) و(د): "خلعه".

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "وأعطاها".

<sup>6</sup> - سورة الأحزاب، الآية 21. وتتمتها: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

<sup>7</sup> - الحديث رواه: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل. (رقم: 24437) ط1/ ج40. تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. مؤسسة الرسالة. بيروت، 1421 هـ - 2001 م. ص 459.

- والترمذي محمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى: الجامع الكبير - سنن الترمذي (رقم: 2846)، ج1، تح محمد أحمد شاكر، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1978. ص 138.



خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ      الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ  
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَمَّ (1) عَنْ مَقِيلِهِ      وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر: "يا ابن رواحة، بين يدي رسول الله ﷺ؛ وفي حرم الله [تَبَارَكَ] (2) وتعالى تقول شعراً؟!". فقال النبي ﷺ: «خَلَّ يا عمر [عنه] (3)، فَلَهِيَ أَسْرُعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ» (4). انتهى منه بلفظه. (5)

«وَرُويَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ: «قُلْ شِعْرًا تَغْضِبُهُ» (6) الْآنَ أَوْ السَّاعَةَ، وَأَنَا أَنْظِرُ إِلَيْكَ». فانبعث مكانه يقول: [بسيط]

إِنِّي تَقَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ      وَاللَّهِ أَعْلَمُ مَا [قَدْ] (7) خَانَنِي النَّظْرُ (8)  
أَنْتَ النَّبِيُّ وَمَنْ يُحْرِمُ شَفَاعَتَهُ      يَوْمَ الْحِسَابِ فَقَدْ أُرْزَى بِهِ الْقَدْرُ  
فَتَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ      تَنْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا

فقال النبي ﷺ: «وَأَنْتَ يَثْبِتُكَ (9) اللَّهُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ (10)»، فتبته الله. فقتل شهيداً، وفتحت له الجنة، فدخلها». انتهى من ابن عبد البر.

1 \_ في (ب) و(د): "ألهام". وبذا وردت في الحديث الذي أورده الترمذي في جامعه (رقم 2847)، ص 139.

2 \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

3 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

4 - النَّضْحُ: الرَّمْيُ وَالرَّشْقُ وَالذَّبُّ. وجاء في لسان العرب: ونضحناهم بالنبل نضحاً: رميناهم ورشقناهم. ويقال: انضح عتاً الخيل أي أرمهم. وفي الحديث أنه قال للرماة يوم أحد: انضحوا عتاً الخيل لا تؤتني من خلفنا أي ارمهم بالنشاب. ينظر: لسان العرب، ج 14، ط 3، دار صادر، 2004م. ص 280.

5 - الحديث رواه الترمذي في جامعه السابق (رقم 2847)، ص 139. وذكره أيضاً النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن: المجتبي من السنن الصغرى للنسائي، في باب إنشاد الشعر في الحرم (رقم: 2873)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ج 5، ط 2، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - 1406 هـ - 1986 م. ص 202.

6 \_ كذا في (أ)، وفي (ب): "تقتضيه". وفي (ك): "تفتقيه". وفي (د): "تقتضيه".

7 \_ كذا في (أ) و(ك) و(د). ساقط من (ب).

8 - في (ب) و(د): البصر.

9 \_ كذا في (أ) و(ك) و(د): أما في (ب): "فتبتك".

10 - أخرجه ابن عبد البر يوسف بن عبد الله أبو عمر القرطبي: في الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تح علي محمد البجاوي، ط 1، ج 3، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ - 1992 م. ص 900. - والطبراني في المعجم الكبير (رقم: 437): ج 13/186.

«وقد استثنوا من الشعراء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(1)</sup>».

كذا قال سيدي عبد الرحمن في الجواهر الحسان.

### المنقبة التاسعة عشرة

ومن مناقب سيدي / [10ظ] أحمد بن يوسف [رحمه الله ورضي عنه، أمين\_] <sup>(2)</sup> ما حدثني به محمد بن الهواري المصراتي أن الشيخ كان "بِكَرْشَطْلٍ" قبل أخذ النصارى وهران \_ أعادها الله للمسلمين \_ أن عَرَّاجاً التُّرْكِيَّ قدم في سفينة في البحر، ورساها في القرب <sup>(3)</sup> من "كَرْشَطْلٍ"، وكان مع عَرَّاج رجل مراكشي قد حبسه معه في البحر لشجاعته. فقال [المراكشي] لعَرَّاج: "سر بنا لهذا الشيخ نتبرك به؛ لأن له بركة عظيمة". فقال <sup>(4)</sup> له عَرَّاجُ: "إن خرج علي ما في ضميري فأنا أتبرك به". فذهب عراج وأصحابه فسلموا على الشيخ، وفرح بهم، وقال لعراج قبل أن يتكلم: "أنت عزمت على العدو <sup>(5)</sup> بأصحابك"، فعقد عراج يديه، وقبل رجلي الشيخ. فقام المراكشي وقال للشيخ: "قل لعَرَّاج يطلقني". فكلمه الشيخ فيه، فسرحه. ثم طلب عَرَّاجُ الدعاء من الشيخ، فدعا له، ثم قال: "إن أصابك هول أو عدو أو ريح أو لجاج من لجاج البحر <sup>(6)</sup> فقل ثلاث مرات: "يا أحمد بن يوسف" فأنا أغيتك بعون الله.

قلتُ: وإغاثة الأولياء لمن استغاث بهم في وقت هول البحر وتلاطم أمواجه أمر مشهور عنهم \_ نفعنا <sup>(7)</sup> الله بهم \_ فمن ذلك ما ذكره الشطنوفي عن الشيخ سيدي جَاكِر \_ نفعنا <sup>(8)</sup> الله به \_ ونصه: «أخبرنا الشيخ سيدي أبو اليمان <sup>(9)</sup> بركات بن ميمون بن كامل

<sup>1</sup> \_ سورة الشعراء، الآية 277. وتتمتها ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. من الجدير بالذكر ورود هذا الجزء من الآية في سور متعددة، كـ "سورة العصر" مثلاً.

<sup>2</sup> \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(ك) و(د).

<sup>3</sup> \_ في (ب) و(ك) و(د): "بالقرب". وهو الأصوب.

<sup>4</sup> \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(ك) و(د).

<sup>5</sup> \_ في (ب): "العدُو".

<sup>6</sup> \_ في (ب) و(د): "أو لجاج في البحر". في (ك): "في لجاج البحر".

<sup>7</sup> \_ في (ب) و(ك) و(د): "نفعني".

<sup>8</sup> \_ في (ب) و(ك) و(د): "نفعني".

<sup>9</sup> \_ في (ب) و(د): "الشيخ الصالح أبو اليمان".

العجلي<sup>(1)</sup> العباسي<sup>2</sup>، التكريتي، قال: سمعت ابن الشيخ جاكِر يقول: جاء تاجر من أهل واسط إلى والدي، وكان يحبه، وله فيه عَقْدٌ بأستاذه<sup>(3)</sup> في ركوب البحر، أعني بحر الهند، بتجارة له، فلما ودعه قال له: "إذا وقعت في شدة لا تقدر على دفعها فناد باسمي".

وسافر الرجل، ثم بعد ستة أشهر وثب والدي قائماً، ونحن حوله، وصفق بكفيه<sup>(4)</sup>، وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾<sup>(5)</sup> ومشى خطوات يمينا وشمالا، ونحن نشاهد منه ذلك كله. ثم جلس فسألناه عن سبب ذلك، فقال: "كان فلان وسمى التاجر الواسطي\_ كاد أن يغرق الآن في البحر لولا أن نجاه الله". فَوَرَّخْنَا<sup>(6)</sup> ذلك اليوم.

ثم بعد سبعة أشهر وصل التاجر وكبَّ<sup>(7)</sup> على رِجْلِ أَبِي يقبلها، ويقول له: "يا سيدي، لولا أنت لهلكنا في ذلك اليوم"، ووالدي يبتسم\_. فلما خلونا بالتاجر الواسطي سألناه عن أمره، فقال: "إِنَّا<sup>(8)</sup> ولجنا [لجة]<sup>(9)</sup> البحر المحيط إلى بلد الصين، وتهدنا عن الطريق، وأيقن كل من في السفينة بالهلاك. ثم [لما]<sup>(10)</sup> كان وقت كذا من يوم كذا\_ وذكر الوقت الذي وَرَّخْنَاه عندنا\_ عصفت علينا الرياح العواصف من جهة الشمال، فهاج البحر، وتلاطمت أمواجه واضطربت نيرانه، واشتد علينا الأمر، وأشرفنا على الهلاك. فذكرت قول الشيخ فنهضت قائماً، واستقبلت العراق، وناديت: "يا شيخ جاكِر<sup>(11)</sup> أدركنا". فلم أتم كلامي حتى

1 \_ كذا في (أ)، وفي (ب) و(ك) و(د): ساقطة. "العباسي".

2 \_ إضافة من (ب) و(ك) و(د).

3 \_ كذا في (أ)، وفي (ب): "إسناده". وفي (د): "إيسناده". وفي (ك): "فاستأذنه". ويبدولي هو الصواب.

4 \_ في (ب) و(ك): "يكفّيه".

5 \_ سورة الزخرف، الآية 13. وتتمتها: ﴿تَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾.

6 \_ كذا في جميع النسخ. أي: فَأَرَّخْنَا. وفيه تخفيف النطق بالهمزة تسهيلاً.

7 \_ كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "وأكب".

8 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

9 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

10 \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

11 \_ في (ب) و(د): "جاكير". وهو الصواب. وقد ترجم له الإمام الشعراني في الطبقات الكبرى، وقال في شأنه: "الشيخ جاكير رضي الله تعالى عنه من أكابر المشايخ وأعيان العارفين المقربين، وأئمة المحققين، وهو أحد أركان هذه الطريقة، وكان تاج العارفين أبو=

رأيناه [قائماً]<sup>(1)</sup> في وسط السفينة، وأشار بكمه إلى جهة الشمال، فسكن الريح ثم وثب من السفينة. واستقل على متن البحر، وصفق بكفيه وقال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ»<sup>(2)</sup> ومشى على الماء خطوات يمينا وشمالا، فسكن البحر وهدأت أمواجه، وصار كأنه عين ديك. ثم أشار بكمه إلى جهة الجنوب<sup>(3)</sup>. فهبت علينا ريح طيبة، اقتلعتنا من ذلك الموضع؛ حتى وصلنا طريق السلامة، ومشى الشيخ على / [1و] وجه البحر؛ حتى غاب عنا؛ ونجانا الله تبارك وتعالى ببركته من الهلاك<sup>(4)</sup>. ومثل هذا كثير في حق أولياء الله \_نفعنا<sup>(4)</sup> الله ببركاتهم وأفاض على ذرياتنا من أنوارهم\_.

### المنقبة العشرون

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف ما حدثني به محمد بن الهواري المصرتي: «أن الشيخ ذهب لوهران \_أعادها الله دار إيمان\_ مع الفقراء، فقدم قائدها يسلم على الشيخ، فقال له رجل من أصحاب الشيخ [يُسَمَّى]<sup>(5)</sup> سعيد أعْرَاب: "هذه السلطنة ليست كسلطنة اليهود" أو نحو هذا الكلام. فغاضه ذلك وأسره في قلبه.

ثم إنه كتب للأمير أبي عبد الله في تلمسان يخبره. فقيل للشيخ: "إن القائد كتب لأmirه يخبره بما قال صاحبك"، فأتى الشيخ لأهله في رأس الماء. ثم إن الأمير أبا عبد الله مع

=الوفاء (توفي بعد سنة خمسمائة هجرية) يثني عليه وبنوه بذكره، وقال سألت الله تعالى أن يكون جاكير مريدي فوهبه لي. وكان المشايخ بالعراق يقولون انسلخ الشيخ جاكير من نفسه كما انسلخت الحية من جلدها. من أقواله: من شاهد الحق عز وجل في سره سقط الكون من قلبه. وكان رضي الله عنه من الأكراد، وسكن صحراء من صحاري العراق قرب سامراء، واستوطنها إلى أن مات بها مسنأ، وبها دفن وقبره ظاهر بزار. ينظر: الطبقات الكبرى المسمى "لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية للعارف بالله الإمام عبد الوهاب الشعراني. تح أحمد عبد الرحيم السايح /توفيق علي وهبه، ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، (1426هـ/2006م). ص264. وترجم له أيضا ابن الملقن في طبقات الأولياء. ص245. وترجم له أيضا "عيسى صفاء الدين البندنجي القادري": في جامع الأنوار بصيغة الشيخ "جاكير". ص544.

- 1 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
- 2 - سبق تخريجها في الآية السابقة.
- 3 - في (ب): "الجنب".
- 4 - في (ب): "نفعني".
- 5 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

مزواره كتب<sup>(1)</sup> لقائد وهران وقال<sup>(2)</sup> له: "احبسه وابعثه إلينا، وإلا فاقطع رأسه" أو غير ذلك. فوجد الشيخ في رأس الماء، فبعث قائد وهران البراءة إلى قائد بني راشد<sup>(3)</sup> - وهو أحمد ابن أبي غانم- فلما بلغته البراءة وعلم ما فيها، أطلع الشيخ عليها، وقال له: "ارتحل من وطنهم". فحينئذ دعا الشيخ على وهران وقال في دعائه: "شوشونا شوشهم الله من البر والبحر". فلم يكن إلا قليل أخذت المرسى، وبعدها وهران ردها الله دار إسلام.

ثم بعدما ذكر له القائد أحمد<sup>(4)</sup> ما عزموا عليه من المكر<sup>(5)</sup> السيء به، طلب الشيخ أصحابه وأحابه ليرحطوه، فأتوه بالدواب، وارتحل مشرقاً إلى موضع يقال له "يل" من وطن بني وغد<sup>(6)</sup> من وطن "هواره" حماها<sup>(7)</sup> الله. فعرض له بعض [أعراب]<sup>(8)</sup> سويد، ورأوا بغالا وخيلا وغنما وبقرا، فتحدثوا بأخذه فيما بينهم، وأطلعه<sup>(9)</sup> الله على ذلك، فأخذ الشيخ حجرين صليدين أمّلسين في يده، وقال للأعراب الذين أضمروا له الخديعة والسوء: "انظروا لهذين الحجرين"، فحكهما في يده فصارا ترابا كالدقيق المغريل. فنفخ فيه الشيخ، والأعراب ينظرون، فقال: "هكذا يفعل الله بكل من أضر لنا سوءاً<sup>(10)</sup>". فنزلوا عن خيولهم، وقبلوا يد<sup>(11)</sup> الشيخ ورجليه وانصرفوا.

قلت: ومثل هذا [ما]<sup>(12)</sup> حكى الشطنوفي عن الشيخ سيدي عزاز<sup>1</sup> - نفعنا الله به - ونصه: «قال: قيل<sup>(2)</sup> للشيخ عزاز وهو تحت جبل: "ما القوّة في الحال؟"، قال: "القوّة في

<sup>1</sup> \_ في (ب): "كتبا".

<sup>2</sup> \_ في (ب): "وقالا".

<sup>3</sup> \_ في (ب) و(د): "فبعث قائد وهران لقائد بني راشد".

<sup>4</sup> \_ كذا في (أ) و(ك)، وفي (ب) و(د): "أقرؤا".

<sup>5</sup> \_ في (ب) و(د): "مكر".

<sup>6</sup> \_ في (ب) و(د): "وغدو".

<sup>7</sup> \_ في (ب) و(د): "حماه".

<sup>8</sup> \_ ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>9</sup> \_ في (ب) و(د): "فأطلعه".

<sup>10</sup> \_ في (ب) و(د): "هكذا يفعل بكل من أضر لنا سوءاً".

<sup>11</sup> \_ في (ب) و(د): "أيدي".

<sup>12</sup> \_ ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

الحال من لأن له<sup>(3)</sup> كل همّ، وذل له كل صعب". ثم أخذ حجراً من الجبل أصم، فصار في يده على هيئة الرمل». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

ومنه أيضاً: «قيل لبعض السادات: "يا سيدي، المشاهدُ لأنوارِ جلالِ الله، كيف نظَرُهُ في الوجود؟"، قال: "ينظرُ السر القائم في الوجود الذي استقام به وجود كل موجود، فإن نظر إلى عاصٍ أحياء، وإن نظر إلى ناسٍ ذكَّره، وإن نظر إلى ناقص كملَّه". وقال<sup>(4)</sup> له: "يا سيدي، وما علامة من هو موصوف بهذا؟"، قال: "هو من لو نظر إلى هذا الحجر لذاب من هيئته". قال: ثم نظر إلى حجر عظيم أصم بالقرب منه فذاب الحجر وصار ماء وغار في الأرض».

### المنقبة الواحدة والعشرون

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف ما حدثني به ابن الهواري المذكور أن الشيخ قال له: كنت في بجاية \_ردها الله دار إيمان\_ فخرجت ذات يوم إلى بطحائها لأعبد الله عزَّ وجلَّ، فجلست أذكر اسم الله العظيم الأعظم، فإذا أنا بشيء يشبه الخباء، ضرب علي، أو كالغمامة. وسمعت قائلاً يقول: "من سبق إلى مسجد كذا أو صلى فيه فهو من أهل الجنة!". فقامت من مكاني ذلك ومشيت لا أدري أين المسجد، فلم يكن غير بعيد، فإذا أنا بعين خراة تفور من أحسن المياه، فتوضأت فيها. فلما أن كملت الوضوء التفت فإذا أنا بالمسجد، فدخلت فيه فوجدت ثلاث سوارٍ، فصليت ما شاء الله، ثم جلست أذكر الله بعد ذلك. فإذا بالشيخ الولي الصالح القطب سيدي أحمد زروق أمام أصحابه، فوقف بباب المسجد وهو

<sup>1</sup> - قال عنه الشعراني: هو الشيخ عزاز بن مستودع البطائحي من أحواز العراق، انتهت إليه رئاسة الطريق في البطائح وأخذ عنه جماعة من الصلحاء والعلماء. وأجمع المشايخ على تعظيمه، وكان يقول: الإرادة تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء والجلوس مع الله بلا هم. وقال أيضاً: إذا مزجت المحبة الأرواح طارت، وإذا خالطت العقول أدهشت، وإذا لابت الأفكار حارت. لم يذكر الشعراني العصر الذي عاش فيه وكذا تاريخ الميلاد والوفاة. ينظر: الشعراني المصدر السابق. ص 238-239.

<sup>2</sup> \_ في (ب) و(د): "وقيل".

<sup>3</sup> \_ في (ب) و(د): "به".

<sup>4</sup> \_ في (ب): "فقال".

يقول: / [11ظ] "سبقنا! لا حول ولا قوة إلا بالله". فدخل المسجد وأتى إليّ وقبّلني بين عيني، وقبّلني في كفي ورجلي.

فلما كان من الغد، بعد أن افترق مجلس الدرس قال لي الشيخ: "أخبرني بما وقع بك البارحة". قال سيدي أحمد: فسكتُ، فلحّ عليّ، فأخبرته، ثم قال لي زروق: "فهل قبّلك الرجل بين عينيك؟"، قلت: "نعم"، ثم قال: "وقبّل كفيك؟"، قلت: "نعم"، ثم قال: "وقبّل رجلك؟"، قلت: "نعم"، قلت: "وها أنا أقبلك الآن".

**قلت:** وقول سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ جلست أذكر اسم الله العظيم الأعظم يريد بذلك \_والله أعلم\_: الاسم الشهير وهو الله لا إله إلا هو الحي القيوم. ويعضد ما قلناه ما ذكره سيدي "عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي" \_نفعا الله به\_ في "الجواهر الحسان"، ونصه: «عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها \_أن النبي ﷺ قال: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَالهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(1)</sup>، وفتحة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>(2)</sup> رواه أبو داود، واللفظ للترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> \_ سورة البقرة من الآية 163. وتكملتها: ﴿وَالهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة البقرة من الآية 255. وتكملتها: ﴿اللَّهُ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَّا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

<sup>3</sup> \_ الحديث رواه أحمد وأصحاب السنن ما عدا النسائي: في باب اسم الله الأعظم:

- مسند أحمد (رقم: 27611): ج45/ص 584 .

- وأخرجه أبو داود في سننه تحت (رقم: 1496): ج 2/ص 613 =

= وأورده الترمذي في سننه (رقم: 3478): ج5/ص 394.

- رواه ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني: سنن ابن ماجه (رقم: 3855): تح: شعيب الأرنؤوط وجماعة، ط1، ج5، دار الرسالة العالمية، دمشق، سورية، /1430هـ-2009م/ ص24.

وعن أبي أمامة<sup>(1)</sup> عن النبي ﷺ: «اسم الله الأعظم في ثلاث سور: في البقرة وآل عمران وطه<sup>2</sup>. وقال القاسم: «فالتمستها أنه الحي القيوم»، عند قوله تعالى في أول سورة آل عمران: ﴿الْمَلَأَ اللَّهُ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>3</sup>.

وقال الثعالبي المذكور في تفسيره: «آية الكرسي». قال الغزالي: «إنما وصفت آية الكرسي بكونها سيدة أي القرآن؛ لاشتغالها على اسم الله الأعظم، وهو الحي القيوم». وأسند صاحب غاية المغنم في اسم الله الأعظم عن غالب القطان، قال: «مكثت عشر سنين أدعو الله أن يعلمني اسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سئل به أعطى. فأتاني آت في منامي ثلاث ليال متواليات يقول: "يا غالب، قل: يا فارح اللهم، يا كاشف الغم، يا صادق الوعد، يا موفيا بالعهد، يا منتجز الوعد، يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت"».

### المنقبة الثانية والعشرون

ومنها ما حدثني به محمد المذكور أن الشيخ قال: كنت مع زروق في مجلس الدرس ببجاية، فإذا برجل واقف بباب المسجد عليه ثياب رثة، فكلم الشيخ زروق، فخرج إليه، ثم ناداني زروق، فخرجت إليه، فأخرج الرجل أربع خبزات من زوادة له بفوارها وأعطاهم للزروق، وقال له: "زوجتك التي بفاس بعثت لك هذه الخبزات؛ الساعة أخرجت من الفرن". فقال لي زروق: "خذ بيده"، فقبلت يده، ثم أعطاني زروق الخبزات الأربع، وقال لي: "كل واحدة بعد واحدة". ثم إلى غد قال: "هات الخبزات"، فقلت له: "لم تبق إلا واحدة"، فقال لي: "إيتني بها"، فأتيته بها، فأخذها وقسمها على أربع فأعطاني ربعاً منها، وقال: "يا أحمد ابن يوسف، لك ثلاثة أرباع من الدنيا، وشاركت الناس في الرابع".

<sup>1</sup> - أبو أمامة الباهلي: (21ق.هـ - 86 هـ / 641م - 705م) هو صُدَي بن عجلان بن وهب الباهلي كنيته أبو أمامة، من قبيلة

باهلة من قيس عيلان، صحابي فاضل زاهد روى علماً كثيراً، أرسله الرسول ﷺ إلى قومه فأسلموا، وهو أحد من بايع تحت الشجرة.

<sup>2</sup> - رواه الحاكم محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري في المستدرک على الصحيحين (رقم: 1861): ج1/ ص 684.

<sup>3</sup> - سورة آل عمران الآيتان (1-2): ﴿الْمَلَأَ اللَّهُ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (2).



## المنقبة الثالثة والعشرون

ومنها ما حدثني محمد المذكور أن الشيخ قال: «دعوت الله في ثلاثة فأعطانيها في ليلة واحدة: طلبته أن يرزقني العلم بلا مشقة، فأعطاني علم الظاهر والباطن، وطلبته أن يبلغني مبلغ الرجال، فبلغني فوقهم، وطلبته أن يريني المصطفى ﷺ فرأيته في اليقظة. وفتح الله عليّ في علوم ببركته ﷺ، لم يطلع عليها غيري».

قلت: ويعضد هذا ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ما نقله سيدي موسى ابن عيسى المازوني المذكور رحمه الله أنه قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبته المعروفة بالققططانية<sup>(2)</sup>: «أسروا إلى رسول الله ﷺ مئة ألف سريرة، في كل سريرة ألف جنس، في كل جنس ألف نوع، في كل نوع ألف فصل من العلم المكنون المخزون المصون. فوالله لو فهمت لكم واحدة منها لقاتم: "اقتلوا علياً". وأنشد [بسيط]

يَا رَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ      لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثْنَ/ [12و]  
وَلَا سَنَحَلَّ<sup>(3)</sup> رِجَالَ مُسْلِمُونَ دَمِي      يَرُونَ الْقُبْحَ<sup>(4)</sup> مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا  
إِنِّي لَأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ<sup>(5)</sup>      كَيْ لَا يَرَى ذَاكَ<sup>(6)</sup> ذُو جَهْلٍ فَيَفْتِنَنَا<sup>(7)</sup>»

1 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

2 - كذا في (ب) و(ك) و(د). وفي (ا) القصقطنانية. ويبدو أنه خطأ في الرسم لا غير.

3 - في (أ): لاستحال وهو غير صحيح لأن المعنى لا يستقيم.

4 - وردت الأبيات في موسوعة العقائد الإسلامية لمحمد الريشهري هكذا: "أقبح". ينظر هذه الموسوعة ج2، دار الحديث للطباعة والنشر ط3، إيران. 1387هـ. ص350.

5 - كذا في (ب) و(د). وفي (ك) إني لأكتم من علمي جوهره. وفي (ا) جوهره. وكلاهما خطأ. والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

6 - وردت في الموسوعة السابقة: "كي لا يرى الحق ذو جهل". ينظر محمد الريشهري: موسوعة العقائد الإسلامية، ج2، ص355.

7 - بحثت عن هذه الأبيات في ديوان الإمام علي رضي الله عنه فلم أجدتها مذكورة في "كعبة الطائفين" لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني: تح قيداري قويدر، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان (2012-2013)، وقد نسبها المؤلف إلى الإمام زين العابدين بن علي. ينظر هذا المرجع ص146. كما عثرت عليها منسوبة أيضا إلى الإمام زين العابدين بن علي في الموسوعة المذكورة سابقا لصاحبها محمد الريشهري، ج2، ص350. وقد نقلها من كتاب عبد الله الشبراوي: الإتحاف بحب الأشراف، الذي قال: ومن كلام زين العابدين علي رضي الله عنه الأبيات بالترتيب السابق بإضافة بيت رابع كما يلي مع حذف ال التعريف من الحسن - والحسنا من آخر البيت. ينظر: الإتحاف بحب الأشراف، عبد الله الشبراوي: وثق أصوله وحققه سامي الغريزي، ط1، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران 1423هـ/2002م. ص270. الأبيات بالترتيب:

يارب جوهر علم لو أبوح به      ل قيل لي أنت ممن يعبد الوثن =

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «علمني \_ عليه الصلاة والسلام \_ سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك لأحد غيري». انتهى.

يخص<sup>(1)</sup> من يشاء بما يشاء<sup>(2)</sup>. [فالتخصيص]<sup>(3)</sup> ثابت من المصطفى صلى الله عليه وسلم للصحابة بتعليم العلم لبعض دون بعض؛ كاختصاصه صلى الله عليه وسلم بالحذيفة بالسرا الذي [لم يعلمه]<sup>(4)</sup> غيره من الصحابة في الفتن والطوارئ الحادثة بعده، وأسماء المنافقين. واختصاصه خزيمه بن ثابت بأن جعل شهادته كشهادة رجلين؛ وذلك أنه شهد للنبي صلى الله عليه وسلم في خصومة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «كيف تشهد<sup>(5)</sup> وأنت لم تحضر؟!». فقال: «أصدقك في أخبار الآخرة، ولا أصدقك في أخبار الدنيا؟». فسماه ذا الشهادتين<sup>(6)</sup>. واختصاصه أبا عبيدة بن الجراح بأنه أمين هذه الأمة، إلى غير ذلك. ولا خلاف بين العلماء أن الصحابة كان كل واحد مخصوصاً بعلوم، لأن عقولهم لا تستوي، وإن الراسخين في العلم ليفهمون من علوم المنزل ما لم يفهمه غيرهم، كما أنهم يتفاوتون في تأويله. وفي المنزل علم كل شيء، قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(7)</sup>، وقد قيل لترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما: «أين ذكرَ اللهُ في كتابه الفلفلَ

بيرون أفتح ما يأتونه حسنا  
كيلا يرى الحق نو جهل فيفتننا  
إلى الحسين وأوصى قبله حسنا

ولا استحل رجال مسلمون دمي  
إني لأكنم من علمي جواهره  
وقد تقدم في هذا أبو حسن

1 - في (د): "يختص".

2 - كذا في (ا) و(ك)، وفي (ب) و(د): يخص من شاء بما شاء.

3 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

4 - ما بين المعقوفين ساقط من (ا).

5 - في (أ): "لم تشهد" وهو غير صحيح. إذ المقصود: "كيف تشهد".

6 - الحديث رواه عبد الززاق بن همام الصنعاني في مصنفه (رقم: 15565). تح: حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي، الهند، 1403 هـ. ج 8/ص 366.

7 - سورة الأنعام الآية 38. وتكملتها: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

والزعران؟"، فقال: «قال تعالى: ﴿وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾<sup>(1)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾<sup>(2)</sup>.

وحكى أبو طالب في كتابه "قوت القلوب" عن بعض العلماء أنه قال: «لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر. وحكى<sup>3</sup> أيضاً أن أقل ما قيل في العلوم التي يحويها القرآن من ظاهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمانمائة علم؛ إذ لكل آية علوم أربعة ظاهر وباطن». وقال علي رضي الله عنه: «لو شئت لأوفرت<sup>(4)</sup> لكم سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب». وروي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: أول من تكلم في علم الصوفية علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال الروذباري<sup>(5)</sup> سمعت الجنيد يقول: "رضوان الله على أمير المؤمنين علي، لولا اشتغاله بالحروب<sup>(6)</sup>، لأفادنا في علمنا هذا معانٍ كثيرة؛ ذلك امرأ<sup>(7)</sup> أعطى العلم اللدني الذي اختص الله به الخضر والصوفية". تسمية العلم اللدني بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(8)</sup>. وهذا العلم أخذه أفاضل المتصوفة عن المشيخة المخلصة عن الصحابة رضي الله عنهم. كان الأستاذ أبو علي<sup>9</sup> يقول: «أخذت هذا الطريق عن النصرىباذي عن الشبلي

<sup>1</sup> - سورة البقرة، الآية 164، وتكلمتها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

<sup>2</sup> - سورة الحجر، الآية 21، وتكلمتها: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "وقال أيضاً".

<sup>4</sup> - كذا في جميع النسخ، ولعله يقصد: "لوفرت لكم".

<sup>5</sup> - أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد الروذباري، أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، مات بصر في ذي الحجة سنة 369 هـ. ينظر: عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبرى. تح عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، ط1، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (1426هـ/2005م). ص222.

<sup>6</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "في الحروب".

<sup>7</sup> - كذا في جميع النسخ. والأصح كتابتها: "امرؤ". جاء في لسان العرب بالرفع: "هذا امرؤ". ينظر هذا المصدر: ط3، ج14، دار صادر، بيروت، ص45.

<sup>8</sup> - سورة الكهف الآية 65. وتكلمتها: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

<sup>9</sup> - يقصد به: "أبو علي الدقاق". هذا النص نقله الصباغ من الرسالة الفسيريية. ينظر: هذا المرجع ص449.

عن الجنيد عن السري عن معروف عن داود وَلَقِيَ دَاوُدُ التَّابِعِينَ، وما سمي علم الباطن إلا لكونه لم يوجد إلا عند القليل وهو لباب الشريعة».

وجاء أن العلم كهيئة المخزون المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله، فإذا نطقوا به فلا يجهله إلا أهل الاعتزاز بالله. قال شيخ المشايخ: «المقامة مئة وأربع وعشرون / [12ظ] مقاما في طريق الحق سبحانه، في كل مقام نور لا يشبه بعضه بعضا، فمن ادعى مقاما من تلك المقامات، فاسأله عن صفة نور ذلك المقام ليتبين صدق معناه في مبناه». انتهى من سيدي موسى بن عيسى المذكور.

وقال الفاسي<sup>1</sup> في شرحه على الرسالة<sup>2</sup>: «فمقامات الأولياء مئة ألف وثمانية وأربعون ألف مقام، وكل مقام يغير<sup>(3)</sup> عن المقام الذي انتقل عنه، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(4)</sup>. وكل مقام يقتبس من المقام الذي فوقه. فأعلى المقامات الغوث وتحتة القطب وحوله [وزراء]<sup>(5)</sup> أحدهم عن يمينه والآخر عن يساره، ثم تحتة الأوتاد الأربعة أحدهم<sup>(6)</sup> بالمشرق والآخر بالمغرب والآخر بالقبلة والآخر بالجوف وبعدهم البدلاء، وهم سبعة. في الدنيا سبعة أقاليم<sup>(7)</sup> في كل إقليم واحد منهم. ثم النجباء، ثم بعدهم النقباء،<sup>(8)</sup> ثم بعدهم الصوفية<sup>(8)</sup> ثم بعدهم الأولياء، ثم بعدهم المريدون، ثم بعدهم المرابطون، ثم بعدهم الصالحون، ثم بعدهم المحبون. فإذا مات واحد منهم من الطبقة العليا رجع واحد منهم».

<sup>1</sup> - الفاسي: هو العلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق، وقد ترجمنا له في الفصل الثاني في المبحث الخاص بشيوخ

أحمد بن يوسف الملياني، ص 74.

<sup>2</sup> - الرسالة: يقصد بها رسالة الشيخ العلامة المعروف بأبي زيد القيرواني (ت 386هـ) وهي رسالة في الفقه .

<sup>3</sup> - كذا في جميع النسخ.

<sup>4</sup> \_ سورة يوسف الآية 76 وتكملتها: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

<sup>5</sup> كذا في (ك) وكلمة غير مقروءة في (أ).

<sup>6</sup> - مستدركة على الهامش من (ب). وفي باقي النسخ: أحدهما.

<sup>7</sup> - في (ب) أقلام . وهو غير صحيح.

<sup>8</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا) و(ك).

ثم ذكر سيدي أبو يزيد البسطامي: «غصت في لجة المعارف حتى بلغت محمداً ﷺ فرأيت بيني وبينه ألف مقام، لو اقتربت من واحد منها لاحتترقت». انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** واسم سيدي أبي يزيد البسطامي \_أفاض الله علي وعلى ذريتي شيئاً<sup>(1)</sup> من أنواره\_ طيفور بن عيسى بن شروان بن حامد أبو يزيد، فمن حفظ هذا النسب دخل الجنة، حدثني بهذا من أتق بنقله.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وحكي أنه كان بناحية أبي يزيد رجل عالم فأتاه العالم وقال لأبي يزيد: ذُكِرَ<sup>(2)</sup> لي عنك أعاجيب أتَعَجَّبُ<sup>(3)</sup> منها، فقال له أبو يزيد: "وما لم تسمع من عجائبي أكثر"، فقال له العالم: "علمك هذا عمن؟ وممن؟، ومن أين؟"، فقال: "علمي من عطاء الله ومن حيث قال رسول الله ﷺ: «من عمل بما لم يعلم أورثه الله علم ما لم يعلم»<sup>(4)</sup>. وقال \_عليه الصلاة والسلام\_: «العلم علمان: ظاهر وهو حجة الله على خلقه، وباطن، وهو هذا العلم»<sup>5</sup>. فعلمك نقل من لسان عن لسان التعليم، وعلمي من علم الله علمني من عنده". فقال الفقيه لأبي يزيد: "علمي تلقاه الثقات كابرا عن كابر عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن رب العالمين". فقال له أبو يزيد: "وللنبي ﷺ علم من الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل"، فقال له الفقيه: "نعم، ولكن أريد أن تصحح لي علمك الذي تقول هو من عند الله". قال: "نعم إيمانك بنور ما يستقر في قلبك معرفته. يا فقيه علمت أن الله كلم موسى، وكلم محمداً ﷺ، ورآه وكلم الأنبياء وحياً؟"، فقال: "بلى". ثم قال: "يا فقيه أما علمت كلامه للصادقين والأولياء

1 - في (ا): بشيء.

2 - في (ك): ذكرت لي.

3 - في (ا): "العجب".

4 - هذا ليس حديثاً، فقد رواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ثم قال: "ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين، عن عيسى بن مريم عليه السلام؛ فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم، فوضع هذا الإسناد عليه؛ لسهولته وقربه". - الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: دار الكتاب العربي - بيروت. ط 4، 1405 هـ، ج 10/ص 14.

5 - الحديث ضعفه أغلب رواة الحديث. وقال الألباني بأنه حديث منكر مرفوعاً.

بالإلهام منه عليهم، وإلقاء فائدة في قلوبهم وتأيدِهِ لهم حتى أنطقهم بالحكمة وشفعهم في الأمة. ومما يؤكد لك ذلك ما ألهم به أم موسى \_ عليه الصلاة والسلام \_ أن تلقيه في اليم، وما ألهم الله به الخضر في أمر السفينة والغلام والجدار. وقوله لموسى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾<sup>(1)</sup>، إنما هو علم من الله. فقال: نعم، ولكن أبينه/ [13و] لك، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(2)</sup>. وكما ألهم الله يوسف في السجن فقال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾<sup>(3)</sup>. وقال أبو بكر لعائشة \_ رضي الله عنهما \_: أن بنت خاوية<sup>(4)</sup> حامل ببنت. وكما ألهم الله عمر وهو على المنبر، فصار ينادي يا سارية الجبل الجبل. ومثال هذا كثير .

وأهل الإلهام قوم اختصهم الله بالفوائد، فضلا منه وكرامة لهم. وقد فضل الله بعضهم على بعض في الفراسة والإلهام، فقال العالم لأبي يزيد أعطيتني أصلا وشفيتني، فجزاك الله عني خيرا، وأمتعك بحليّهِ. وانظر كيف فتح الله بصيرة هذا السيد فترك الاعتراض على أبي يزيد فريح ونجح.

وروي عن ابن مسعود \_ رضي الله عنهما \_ أنه لما مات عمر مات تسعة أعشار العلم، فقيل له: "أتقوله وفينا جل الصحابة؟!"، فقال: "لست أريد علم الأحكام، وإنما أريد العلم بالله". انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** وإنما أتيت بهذا القدر اليسير الذي هو كنقطة من بحر؛ ردا على من يتعرض أو ينكر على قول الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_ نفعنا الله به آمين \_: «أَطْلَعَنِي اللهُ عَلَى عِلْمٍ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ غَيْرِي»؛ إذ القدرة سالحة والجود واسع، وخزائنه تعالى التي يستمد منها<sup>(5)</sup> لا تغلق إلى يوم القيامة. مع ما قدمناه من الأحاديث الصحيحة في الفصل الذي

1- سورة الكهف الآية 82 . وتكملتها: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

2 - سورة الكهف الآية 65 . وتكملتها: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

3 - سورة يوسف الآية 37 . وتكملتها: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

4 - كذا في جميع النسخ.

5 - كذا في (أ)، بإضافة الواو. وفي (ك) زيادة الف بعد الواو 'يستمدوا'.

ذكرنا فيه اتصال الطريقة برسول الله ﷺ بشيء من علم الباطن، وما في ذلك من الدليل عليه، والرد على من أنكره، فأوضح من هذا إن شاء الله.

ثم قال سيدي المذكور: «فالواجب على كل فاضل متدبر ألا يتعرض لأهل الطريقة في طريقتهم بل يسلم لهم، ولا ينازعهم ولا ينكر أحوالهم ولو بقلبه؛ فإنهم جواسيس القلوب، يروا الغيب من ستر رقيق، وقد خصوا بما لم يخص به غيرهم، فالسلامة في ترك الاعتراض. وقد جاء: «رحم الله امرؤاً أصلح من لسانه»، وكفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً ويقع في الصالحين، فإياك والقول في الصالحين؛ فإنه قد جاء أن الله تعالى يقول: «من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»<sup>(1)</sup>. انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** فإياك يا أخي أن تقع في أعراض أولاد الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_أفاض الله علينا من أنواره\_ ولو كانوا على أي حال رعيًا واحتراماً لأبيهم وليّ الله سيدي أحمد ابن يوسف. ويعضده ما قاله سيدي موسى بن عيسى المازوني رحمته ونصه: «وقد حفظ الله تعالى على أهل الجدار الكنز الذي تحته فهياً له الخضر رحمته عند خوف سقوطه، فأقامه [صونا لما تحته]<sup>(2)</sup> ببركة صلاح أبيهما، حتى قيل إن الجد السابع. وقد يتقى حرمة الولي بعد موته على ذريته مع غيهم وسوء حالهم، فضلاً منه تعالى ورحمة». انتهى منه بلفظه.

**قلت:** وقد رأينا عياناً والحمد لله والمنة له السلاطين والقياد وغيرهم وسائر الظلمة يعظمون أولاد الصالحين والحفائذ ويحترمونها ويكرمونها مع ما هم عليه من الضلال وسوء الحال والتحاسد والتباغض بينهم، هل ذلك إلا من بركة آبائهم وأجدادهم لأجل السر الإلهي الرباني الذي جعله الله في أوليائه/ [13ظ] على ما سيأتي بعد هذا إن شاء الله من أن صفات الولي من صفاته تبارك وتعالى، ونعوته من نعوته إلى غير ذلك. وكذا يستديم تبارك وتعالى كرامته على عبده الصالح طول حياته، وكذلك بعد مماته، وذلك أمر مشهور عن أولياء الله

<sup>1</sup> - رواه البخاري بلفظ: «إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب...»، صحيح البخاري (رقم: 6502): ج4/ص36. مصدر سابق.

<sup>2</sup> - ما بين (المعقوفين) ثابت في (ك) . ساقط من (أ)

في استغاثة من استغاث بهم في الحياة والممات، مما هو مذكور في كتب من تعرض لمناقبتهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم ممن لا يعد ولا يحصى.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «فإن قال قائل: "فأين الأولياء كمثل الذين ذكرتهم؟!"، فالجواب: أن تقول أولياء الله كثيرون باقون إلى يوم القيامة، بهم يرحم الله العباد والبلاد، وبهم يرفع عنهم المصائب والنوائب، وبهم ينصرون على الأعداء، وبهم يرزقون: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(1)</sup>، كل زمان بحسب زمانهم، وعلماء كل زمان بحسبه، وأمراء كل زمان بحسبه، وفقراؤه كذلك. ولكل زمان دولة ورجال، ولن يخلي الله زمانا من ولي يحفظ به البلاد، ولا من عالم يرحم به العباد، ويهديهم إلى طريق الرشاد، كيف يعتقد الجاهل أن الأولياء لم يكونوا، وليسوا كأوليين، مع أن خزائنه التي يرحم بها عباده مفتوحة لا تغلق إلى يوم القيامة كيف والمتقون<sup>2</sup> باقون إلى وقت نزول عيسى بن مريم عليه السلام؛ ويشهد لصحة هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليجدن ابن مريم حواريين من حواريه»<sup>3</sup>. ومعنى الحواريين في قول قتادة أصفياء الأنبياء الذين يصلح لهم الخلافة، وعلى هذا الحد شبه النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته به في قوله: «وحواري الزبير بن العوام. انتهى من الجواهر الحسان»<sup>4</sup> [باختصار]<sup>5</sup>.

**قلت:** فإياك يا أخي أن تفهم أن حواربي عيسى أفضل من حواربي سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم على ما [يقتضيه لفظ التشبيه]<sup>6</sup>، وليس كذلك؛ ويعضد ما قلناه أن حواربي سيدنا ومولانا محمد أفضل من حواربي عيسى كما ذكره الشطنوفي، ونصه: أن الشيخ سيدي علي

<sup>1</sup> - سورة يونس الآية 62. وتكملتها: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

<sup>2</sup> - كذا في (أ). أما في باقي النسخ: "والصديقون".

<sup>3</sup> - رواه الحكيم الترمذي محمد بن علي أبو عبد الله: نادر الأصول في أحاديث الرسول، تح: عبد الرحمن عميرة، ط1، ج2، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ - 1992 م. ص93. - ورواه أيضا الدليمي شبرويه بن شهردار في: "الفردوس بمأثور الخطاب": (رقم: 6403) تح: السعيد بن بسبوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. 1406 هـ - 1986 م. ج4/ص130. وهو حديث لا أصل له.

<sup>4</sup> - في (أ) وردت: "وحواري الذين هم من الجواهر الحسان". وفي (ب) و(ك): "وحواري الزبير". وفي (د): "وحواري الزبير بن العوام" انتهى من الجواهر الحسان. وهو الأصح ليستقيم المعنى.

<sup>5</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

<sup>6</sup> - ما بين المعقوفين ورد في (ب) و(د) هكذا: [على ما يعطيه لفظ التشبيه].



بن الهيثمي رحمته الله جاء لزيارة محيي الدين سيدي عبد القادر \_ نفعا الله به \_ فوجده نائماً، فأراد بعض أصحابه أن يوقظه فمنعه سيدي علي بن الهيثمي، وقال: "والله والله والله أشهد عند الله أن ما في الحواري [عندي]<sup>1</sup> [مثله]<sup>2</sup>، وأشار إلى الشيخ سيدي عبد القادر [الجيلي]<sup>3</sup>، فلما استيقظ فقال: "أنا أفضل الأولياء؛ لأنه رحمته الله أفضل الأنبياء، وكذلك أمته أفضل الأمم". وسيأتي ما نقلناه في ذلك من الأحاديث والدلائل والبراهين في آخر كتابنا [هذا]<sup>4</sup> \_ إن شاء الله \_ فالتمسناه هناك. ثم قال سيدي موسى بن عيسى المذكور:

### \_فائدة:

ذكر المطوعي<sup>5</sup> عن أحمد بن محمد بن العابد قال: كنت جالساً في بيت<sup>6</sup> المقدس يوم الجمعة بعد العصر إذ جاء إليَّ شخصان أحدهما يشبه خلقه خلقنا، والآخر عظيم الخلقة، فسلما علي، وجلس الذي يشبهنا بجنبي، وجلس الآخر ناحيته. فقلت للذي بجنبي: "من أنت يرحمك الله؟"، قال: "الخضر"، و"ذاك؟"، قال: "أخي إلياس"، فرعبت. فقال لي الخضر: "لا بأس عليك، فلولا أننا نحبك ما جنناك". فقلت له: "أكل ولي في الأرض تعرفه؟"، قال: "أما المعدودون فنعم"، قلت: "ما معنى المعدودون؟". قال: "إنه لما قبض رسول الله صلوات الله عليه بكث الأرض، وقالت: "يا رب بقيت لا يمشي علي نبي إلى يوم القيامة"، / [14و] فأوحى الله إليها أني سأجعل على ظهرها من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الأنبياء، لا أخليك منهم إلى يوم القيامة. قلت: "وكم هم؟"، [قال: "ثلاثمئة، وهم الأولياء، وسبعون وهم النجباء، وأربعون وهم الأوتاد، وعشرة وهم النقباء، وسبعة وهم العرفاء، وثلاثة وهم المختارون، وواحد وهو

1 - كذا في (ا) و(ك). أما في (ب) و(د) ورد: [مثله]. وربما يقصد: (أن ما في الحواريين مثله). وبه يستقيم المعنى.

2 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

3 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

4 - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

5 - هو الإمام الزاهد المجاور أبوبكر محمد بن علي بن محمد المطوعي الغازي النيسابوري من كبار العلماء في أواخر القرن الرابع والثالث الأول من القرن الخامس الهجريين. وله مصنف في السيرة النبوية بعنوان "من صبر ظفر"، وقد حققه وقدم له الباحث المغربي طارق طاطمي، ط1، منشورات دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط. المملكة المغربية، 2006م. ص5.

6 - كذا في (أ). وفي باقي النسخ: "ببيت".

الغوٲ. فإذا مات الغوٲ يعني القطب نقل واحد من الثلاثة فجعل في مكان الغوٲ، ونقل من السبعة إلى الثلاثة، ومن العشرة إلى السبعة، ومن الأربعين إلى العشرة<sup>1</sup>، ومن السبعين إلى الأربعين، ومن الثلاثمئة إلى السبعين ومن سائر الخلق إلى الثلاثمئة، وهكذا إلى يوم ينفخ في الصور.

فمنهم من قلبه مثل قلب موسى، ومنهم من قلبه مثل قلب إبراهيم. وقلت: "إبراهيم ﷺ تعظيماً له، وقال: وداود وسليمان وأيوب وعيسى \_عليهم السَّلام\_، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَبِهَدَاهُمْ أَفْتَدِهِ﴾<sup>(2)</sup>، فما من شيء إلا وعلى طريقته رجل يسلكها من هذه الأمة إلى يوم القيامة. ولو اطلع الأربعون على قلوب العشرة لرأوا قتلهم حلالاً، ولو اطلع السبعون على قلوب الأربعين لرأوا قتلهم حلالاً، أما رأيت قصة موسى معي". قلت له: "ما طعامك؟"، [قال] الكرافس والكمأة، وأما أخي إلياس فرغيفان كل يوم. قلت: "قأين مقامه؟"، قال: "في جزائر البحر". قلت: "فهل تجتمعان؟"، قال: "نعم، إذا مات أحد المعدودين اجتمعنا فتوليناها، ونجتمع من موسم إلى موسم فيأخذ من شعري، وأخذ من شعره". فَهَمَّ لِيُقَوْمَ فقامت معه، فقال لي: "إلى أين؟"، فقلت: "أصحبك"، فقال: "ما لي إلى ذاك من سبيل". قلت: "وأين تصلي؟"، قال: "وما تريد من ذاك؟"، قلت: "أتبرك بذلك". [قال] إنما أصلي في حجر الكعبة، وأجلس إلى ارتفاع النهار وأطوف أشواطاً، وأصلي ركعتين عند مقام إبراهيم ﷺ وأصلي الظهر بالمدينة، وأصلي العصر ها هنا ببيت المقدس، وأصلي المغرب على جبل الطور، وأصلي العشاء الآخرة عند ذي القرنين، وأسير فأصلي الصبح بمكة، وغاب عني<sup>3</sup>. انتهى من سيدي موسى المذكور.

وقال صاحب الكتاب المسمى بالبستان: «روي عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله

ﷺ: يكون في الطائفة من أمتي اثنا عشر مئة صالح وستمئة ولي وأربعون من البدلاء وطائفة من النجباء وأربعة من الأوتاد والقطب فرد واحد»<sup>4</sup>. قال ابن أبي فارس: إن هذه

1 - كذا في (أ) وهو خطأ من النسخ. وفي باقي النسخ: "من الأربعين إلى العشرة". وهو الأصح.

2 - سورة الأنعام، من الآية 90. وتتمتها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَفْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

3 - وردت هذه القصة في كتاب التشوف للتادلي. ص 63.

4 - هذا ليس بحديث، ولا وجود له في أي كتاب من كتب الحديث، فهو من البواطيل التي يذكرها الصوفية في كتبهم.

الطائفة متصلة حتى تطلع الشمس من مغربها؛ كقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>1</sup>. ثم قال سيدي موسى بن عيسى:

### \_ فائدة:

روي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «يلتقي الخضر وإلياس في كل عام بالموسم، فيخلق كل واحد رأس صاحبه، ويفترقان على هذه الكلمات: "بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله"<sup>2</sup>». قال ابن عباس: «من قالهن حين يصبح وحين يمسي أمنه الله من الغرق والحرق والسرقة». قال الراوي عنه: "وأحسبه قال: «ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب»".

واختلف في الخضر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هل هو ولي أو نبي، فالذي عليه الأكثر أنه ولي لا نبي، نور الله باطنه، وخصه بمعرفة علم الباطن، وكذلك مريم ابنت عمران في قول الأكثرين/ [14] أنها ولية صديقة؛ لأن الله تعالى وصفها في كتابه العزيز بأنها صديقة ولم يصفها بنبية<sup>3</sup>، وإنما هي ولية انقطعت لعبادة الله، ولازمت محرابها لخدمة مولاها، فقام لها بمضمون

قال الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم رحمه الله: في "المنار المنيف في الصحيح والضعيف". ومن ذلك أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد كلها باطلة على رسول الله ﷺ. وأقرب ما فيها لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البلاء كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلاً آخر "ذكره أحمد ولا يصح أيضاً فإنه منقطع". ابن القيم رحمه الله: المنار المنيف في الصحيح والضعيف: تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1403 هـ - 1983 م. ص 136.

<sup>1</sup> - هناك أحاديث كثيرة تبدأ ب: "لا تزال طائفة من أمتي ..."، ولكنها تنتهي بألفاظ مختلفة، وأقرب لفظ لما ذكره المؤلف رواية الحاكم في المستدرک: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». المستدرک على الصحيحين (رقم: 8389): ج4/ ص496. مصدر سبق ذكره.

<sup>2</sup> - رواه الدبلي في مسنده، ويكفي هذا في تضعيفه، فما يرويه الدبلي إن لم يكن موضوعاً فهو ضعيف شديد الضعف كما هو معروف عند المحدثين: الفردوس بمأثور الخطاب (= مسند الفردوس) (رقم: 8895): ج5/ ص504. قال ابن القيم: "الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد. كحديث: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المسجد، فسمع كلاماً من ورائه، فذهبوا ينظرون؛ فإذا هو الخضر. وحديث: يلتقي الخضر وإلياس كل عام". ابن القيم: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ص 67. مصدر سابق.

<sup>3</sup> - كذا في (أ) و(ك). أما في (ب): ولم يصفها "بالنبوة". وفي (د): فلم يصفها "بنبوة".

المعيشة فكانت ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(1)</sup>. قالوا: "كان يوجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف". انتهى من سيدي موسى المذكور.

فإن قيل: لِمَ سُمِّيَ الْخَضْرُوعُ خَضْرًا؟ قيل: "لأنه ما جالس على موضع من الأرض إلا واخضر"، واسمه فيما قالوا وهب بن عامر، وكان لسانه عريياً. قيل: "وإنما سُمِّيَ الْخَضْرُ لَأَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى اخْضَرَ مَا حَوْلَهُ"، وقيل: "كان نبياً، سأل الله عبادة الدنيا وأن يرفع عنه الموت إلى آخر من يموت، ليعبد الله كما تعبد الملائكة؛ حبا لله، وحرصاً على عبادته وطاعته، وألبسه الله النور والريش كما ألبس الملائكة، وجعله يطير معهم، وجعله ملكاً ولياً سماوياً أرضياً، وجعله مختفياً عن الناس كما تختفي الملائكة، إلا من أحب الله أن يبديه له، واسمه أحمد، وكنيته أبو العباس". انتهى من بعض الكتب.

وقال ابن عطاء الله: «قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: "إنما لقيت الخضر وساقه وسبابته ووسطه سواء". ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال العزفي: واختلف في حياة الخضر وموته: «فالذي تقتضيه الأحاديث [والأثار]<sup>2</sup> أنه من عهد آدم إلى خروج الدجال، وفي الإحياء أنه الرجل الذي يقتله الدجال، ثم يحييه الله وأنه وإن لم يكن من صفوة الأنبياء، فهو من نخبة الأولياء، وصفوة الأتقياء».

قال القشيري: "قال منصور المغربي: «رأى بعضهم الخضر فقال له: "هل رأيت فوقك أحدا؟"، قال: "نعم، كان عبد الرزاق يروي [الأحاديث بالمدينة والناس حوله يسمعون، فرأيت شاباً بالبعد منهم، رأسه على ركبته<sup>3</sup>، فقلت له: "هذا عبد الرزاق، يروي"<sup>4</sup> أحاديث الرسول ﷺ فلم لا تستمع منه؟". فقال: "إنه يروي عن ميت وأنا لست بغائب عن الله تعالى"، فقلت له:

<sup>1</sup> - سورة آل عمران، من الآية 37: وتتمتها: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (أ) و(د).

<sup>3</sup> - كذا في (أ) و(ك). وفي (ب): "على منكبيه".

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

"إن كنت كما تقول فمن أنا؟"، فرفع رأسه وقال: "أخي أبو العباس الخضر". فعلمت أن الله عبادا لم أعرفهم". انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** ومثله ما حكى الشطنوفي عن سيدي الشيخ سيدي أبي محمد عبيد البصري أفاض الله علي وعلى ذريتي شيئاً من بركاته ولفظه، وسئل أبو محمد عبيد البصري عن الخضر عليه السلام هو حي أو ميت؟ فقال: اجتمعت بأبي العباس الخضر، وقلت له: "أطرفني بأعجوبة مرت بك مع الأولياء"، فقال: "اجتزت يوماً بساحل البحر المحيط بحيث لا يرى آدمي ولا غيره، فرأيت رجلاً قائماً ملتقاً بعصاه، فوقع لي أنه ولي، فركضته برجلي، فرفع رأسه فقال: "ما تريد؟"، فقلت له: "قم للخدمة"، فقال لي: "اذهب واشتغل بنفسك"، فقلت له: "لئن لم تقم لأنادين عليك في الناس: "هذا ولي الله"، فقال لي: "لئن لم تذهب لأنادين عليك هذا الخضر"، فقلت له: "وكيف عرفتني؟"، فقال لي: "أما أنت فأبو العباس الخضر، فقل أنت من أنا؟". فرفعت همتي إلى الله عزَّ وجلَّ وقلت في سرِّي: "يا رب أنا نقيب الأولياء"، فنوديت ثلاثاً: "يا أبا العباس أنت نقيب من يحبنا، وهذا نقيب من نحبه". فأقبل عليّ، وقال: "يا أبا العباس حدثني عنك"، فقلت: "نعم، فزودني بدعوة"، فقال: "منك الدعاء يا أبا العباس"، قلت: "لا بد أن تدعو لي"، فقال: "قد وفر الله نصيبك منه"، فقلت: "زدني فغاب عني. ولم يكن الأولياء يقدرون على الغيبة عني، ثم رأيت في نفسي بقية من المشي، فمشيت حتى انتهيت إلى كثيب عظيم من الرمل فدعتني نفسي<sup>1</sup> (63و) إلى صعوده، فلما استويت على أعلاه ظننت أني ساميت السماء رأيت على ظهره [نورا]<sup>2</sup> يخطف الأبصار. فقصدته فإذا امرأة قائمة ملتفة بعباءة تشبه عباءة الرجل صاحبي، فأردت أن أركضها برجلي، فنوديت: "تأدب مع من نحبه". فجلست أنظر انتباهها، فاستيقظت وقت العصر، وقالت: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أمانتا وإليه النشور"، و"الحمد لله الذي أنسنني به وأوحشني من خلقه". ثم

<sup>1</sup> - بداية من القوس المعقوف تم تسجيل نقصان صفحات من النسخة المعتمدة (أ) عددها أربع وجدتها في وسط المخطوط مرقمة من ص(63و) إلى ص(64ظ) وقد تركت ترقيمها كما هو في موضعها السابق مع الإشارة إلى ذلك هنا على الهامش بالأقواس المعقوفة.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين موجود في هامش (أ).

التَقَنَّتْ فرأنتني فقالت: "مرحبا بك يا أبا العباس، ولو كنت تأدبت معي من غير نهي لكان أحسن". قلت: "بالله عليك أنت زوجة الرجل؟"، قالت: "نعم، وقد مات في هذه البرية، فساقتني الله إليه، فغسلته وكفنته، فلما فرغت من تجهيزه رفع من بين يدي إلى السماء حتى غاب عني". فقلت لها: "زوديني بدعوة"، فقالت: "منك الدعاء يا أبا العباس"، قلت لها: "لا بد أن تدعو لي"، فقالت: "مر وفرَّ الله نصيبك منه"، قلت: "زدني"، قالت: "لا تلمنا إذا غبنا عنك". فالنفتُ فلم أرها.

قال الشيخ أبو محمد عبيد: «فقلت: للخضر فهل لهؤلاء الأحباب رجل فرد يجتمعون عليه في كل وقت، ويرجعون إلى أمره؟»، قال: "نعم"، قلت: "ومن هو في وقتنا؟"، قال: "هو الشيخ سيدي عبد القادر". قلت: "أخبرني عن حاله"، قال: "هو فرد الأولياء والأحباب، وقطبهم في هذا الوقت، وما وصل إلى الله تعالى ولي إلى مقام إلا وكان الشيخ سيدي عبد القادر أعلاه، ولا سقى الله حبيبا كأسا من حبه إلا كان للشيخ سيدي عبد القادر أنهأه، ولا وهب الله لمقرب حالا إلا كان للشيخ سيدي عبد القادر أجله، وقد أودعه الله سرا من أسرارهِ سبق به جمهور الأولياء، وما اتخذ الله وليا كان أو يكون إلا وهو متأدب معه إلى يوم القيامة». انتهى منه بلفظه.

ثم قال سيدي موسى بن عيسى المذكور المازوني \_رحمه الله\_: «قال سيدي أبو مدين \_نفعنا الله به\_: "ولله عُبَادٌ لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم للحفظة ولا لغيرهم حتى يلقونه وهم شهداء الملكوت الأعلى والصفح الأيمن من العرش، الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده، فتطيب أجسادهم به، فلا يُعَدِّي عليها النَّرى حَتَّى يُبَعَثُوا منها، مشرقةً بنور البقاء المجعول فيهم، ببقاء الأبد مع الباقي الأحد". قال ذو النون المصري: "رأيت فتى في فناء الكعبة جالسا يبكي، فقلت له: "ما أبكاك؟"، فقال لي: "أنا الغريب المطلوب". فعرفت معنى كلامه، فجلست أبكي معه، وهو يجود بنفسه، فلم أزل معه حتى قضى نحبه، فمضيت لأشتري له كفنا. فعدت فلم أره، فقلت: "سبحان الله من سبقني فحضي بثوابه؟"، فهتف بي

هذا الغريب الذي طلبه إبليس في الدنيا، وطلبه منكر ونكير فلم يرياه، وطلبه رضوان خازن الجنان فلم يره. قلت: "قأين هو يا سيدي؟"، قال: "هو في مقعد صدق عند مليك مقتدر"<sup>(1)</sup>. انتهى من سيدي موسى المذكور.

اللهم ببركة هذا الولي الصالح الذي تمنى رؤيته رضوان خازن الجنان، وبركة أمثاله، آمين يا رب العالمين. اللهم بجاههم عندك أن تسبل علينا سترك في الدنيا والآخرة، لكنه تعالى جعلهم أئمة لعباده وجعل وجودهم سبباً لكثير من مصالح الخلق في أمر دينهم ودنياهم، وبأولياء الله حبس الله علينا الستر، ولولاهم لغمرتنا الفتن، وفسدت الأرض ومن فيها.

[ويعضده ما قاله سيدي موسى المذكور، ونصه: «قال بعضهم: "لولا الأولياء<sup>2</sup> لخشفت الأرض ومن عليها ولولا الصالحون لفسدت الأرض ومن فيها"<sup>3</sup>، ولولا العلماء / [63ظ] لصار الناس كالبهائم". ثم قال: "اخترهم الله لولايتهم، وأيدهم بهدائيتهم، ويسرهم لعبادته، وأرشدهم بحسن إرادته، وأمدهم بلطائف حمايته، فأنطق ألسنتهم بالحكمة، وجلا عن صدورهم جلاء الظلمة، فرمقوا العواقب بالأبصار البصيرة، وخرقوا الغياهب بالخواطر المنيرة، وجنبوا الجنوب مهاد الفرش الدثيرة، وأخلصوا القلوب لعلام العلانية والسريرة. فلم ينظروا للعالمين الراغب، ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب. قطعوا دهرهم صياماً وقياماً، وفزعوا إلى ربهم استجارة به واعتصاماً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. فهم في نهارهم على بلغ<sup>4</sup> الأوقات يفطرون، وفي لياليهم بالحنين إلى ربهم يجأرون، وجباهم لجلال وجهه يفتشون، وبحلاوة كلامه يتهدون، وبحلاوة مناجاته يتلذذون، وبحضرة جلاله يتأنسون، وبعضهم ذكره يتمسكون. فقلوبهم محزونة، وعيونهم مأمونة، وأنفسهم عفيفة، ومؤونتهم على الناس خفيفة. وأبدانهم

<sup>1</sup> - اقتباس من قوله تعالى في سورة القمر، الآية 55 ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

<sup>2</sup> - في (د): "لولا البدلاء".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

<sup>4</sup> - في (ك): "بلاغ الأوقات".

ناحلة، وشفاهم ذابلة. قد أقلقهم الإشفاق، وأرقهم الخوف والاحترق. وقد هجم بهم العلم على حقائق الأسرار، وكشف لهم نور المعرفة عن الحجب العلوية والأسرار. قلوبهم جائلة في الملكوت الأسنى، وخواطرهم قلقة بالملأ الأعلى. قد توسلوا فوصلوا، وطلبوا فأدركوا، وتقربوا فقربوا، نحو الله وما خسروا. بيوتهم في خلوها من الأوقات كالصوامع، وعيونهم بالتقى تنتظر من طَرْفٍ خاشع. والأحزان قد سحت سحب المدامع. تسقي بذر الفكر الذي بذروا ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾<sup>(1)</sup>.

استوحشوا بتلك الخلوات من كل جليس، شغلا بالمعنى النفيس، وبادروا الفرصة ففاتوا إبليس. قلوبهم في ميدان الخدمة حضرت. أسرارهم بالصدق عمرت، وكم شهوة في قلوبهم انكسرت. أخبار الصالحين تحيي القلوب إذا نشرت. أذابوا أبدانهم بقلة المطعم والمشرب ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(2)</sup>، من لذيذ طعام البركة وعذب المشرب، فقد يقال: "كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب".

تركوا النوم لأجله والطعام، وصاروا يطلبون جزيل الإنعام. وقاموا في المجاهدة على الأقدام. طالما عطشوا في دنياهم وجاعوا، وذلوا لسيدهم صادقين وأطاعوا، وخافوا من هيبه عظمته وارتاعوا. وتحملوا أثقال التكليف، ورفضوا التماذي والتسويق، وقطعوا سهر الجفون، وجوع البطون، لطريق الله الشريف. فتولاهم مولاهم وحماهم في الطريق، وأقام الولدان تسقيهم من الرحيق. اختارهم مولاهم وارتضاهم، وأنعم عليهم واصطفاهم. فإذا قدموا عليه أطعمهم وسقاهم. وعلى مواعده أجلسهم.

توقر تعظيمهم بين الأحباب، ونجا غريمهم من مناقشة الحساب، فنعم القوم في الدنيا بالإخلاص في الطاعة، وفازوا يوم القيامة بالريح في البضاعة. وتنزهوا عن التقصير والغفلة

<sup>1</sup> \_ سورة المؤمنون، من الآية: 111، وتامها: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة آل عمران، الآية 170. وتامها: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.



والإضاعة. ولبسوا تاج التقوى وارتدوا بالقناعة، وقاموا على الدنيا على السهر والمجاعة، فيما فخرهم إذا قامت الساعة. نعموا في الدنيا بالخلوة والوحدة، واعتذروا في الأسفار من كل زلة وهفوة، وحذروا من موجبات الإبعاد والجفوة. أولئك هم المختارون،/[64و] حرسهم مولاهم من موجبات الشين<sup>1</sup>، وحفظهم من كل جهل وعيب وميّن<sup>2</sup>، وأراهم محجة الهدى رأي العين، وكشف عن قلوبهم اغطية الهوى وحجب العين، فقاموا بالأوامر على غاية الوفاء في قضاء الدين.

طال والله ما تعبت أبدانهم بين الجوع والسهر، وكفت جوارحهم عن اللهو والأشر، وحبسوا أغراضهم في الكلام والنظر، وانتهوا عما نهاهم، واستعدوا من الزاد ما يصلح للسفر. وكلما طلبوا من مولاهم أعطاهم، فسبحان من اختارهم من الناس واصطفاهم، وخلصهم من شوائب الدنيا وصفاهم، فليس المقصود من الخلق بالمحبة سواهم. أحبهم قبل أن يحبوه ودعاهم إليه فأجابوه، أذاقهم طعام محبته ونعمهم بدوام العذبة في المناجاة، فقطعهم ذلك من الشهوات واللذات، وداموا في خدمة ملك الأرض والسموات.

طاب والله عيشهم، ودام نعيمهم؛ فعيشهم سليم، وغناهم في قلوبهم مقيم. قطعوا كل محبوب، وصار المولى ﷺ هو المنى والمطلوب. يا أخي بحار الرحمة ممزوجة بالمحبة، إذا غمس المحب يده في الأجاج صار عذاباً، لو غاب الحبيب عن قلب المحب ساعة لضربه بلاء الوجد. من اشتغل بالحبيب جمل له الكل. من رضي عنه محبوبه حصل له في الدارين مطلوبه.

### فصل في المحبة

سئل سيدي عبد القادر عن المحبة، فقال: هي تشويش في القلب يقع من المحبوب، فتصير الدنيا عليه كحلقة خاتم أو مجمع مآتم، وأنشدوا: [طويل]

<sup>1</sup> - الشين: معناه العيب والقيح. ينظر لسان العرب/ج8، ص 180.

<sup>2</sup> - الميّن: معناه الكذب. ينظر المصدر نفسه/ج14، ص 160-161.

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ حَلْقَةً خَاتِمٍ عَلَيَّ وَلَنْ تَزْدَادَ طُولاً وَلَا عَرْضاً<sup>1</sup>

وقال سيدي عبد القادر أيضا: «المحب في سكر لا صحو معه، وذكر لا غفل معه وقلق لا سكون معه، وخلوص للمحبوب بكل وجه سرا وعلائية، بإيثار اضطرار، لا بإيثار اختيار. والمحبة العمى عن غير المحبوب غير عليه، والعمى عن المحبوب هبة له، فهو عمى كله».

وقال أيضا \_نفعنا الله به\_: «والمحبوبون سكارى لا يصحون إلا بمشاهدة محبوبهم، مرضى لا يستشفون إلا بملاحظة مطلوبهم، حيارى لا يأنسون بغير مولاهم، ولا يلهجون بغير ذكره، ولا يجيبون غير داعيه».

وقال ابن عطاء الله: «المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول». وقال الشبلي: «سميت المحبة محبة لأنها تمحو عن القلوب ما سوى المحبوب». وقال: «المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك».

وسأل السري السقطي الجنيد يوما عن المحبة فقال: «هي الموافقة». فأخذ السري السقطي جلدة ذراعه ومدّها فلم تمتد، فقال: «وعزته لو قلت: "إنها يبست على هذا العظم من محبته" الصدقت»، ثم غشي عليه. فلما أفاق أدار وجهه نحو الجنيد وكأنه قمر مشرق». انتهى من سيدي موسى المذكور.

<sup>1</sup> - ورد البيت في ديوان "علي بن الجهم" وقد ذكر أنه أخذه من ديوان الشاعر "قيس بن الملوح" المشهور "بمجنون ليلى"، ولكن مع بعض التغيير فيه. حيث جاء البيت في ديوان "قيس بن الملوح" على الشكل الآتي:

كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ حَلْقَةً خَاتِمٍ عَلَيَّ فَمَا تَزْدَادُ طُولاً وَلَا عَرْضاً

القصيدة في تسعة عشر بيتاً. وقد شك محقق الديوان في نسبتها إلى علي بن الجهم لاختلافها عن أسلوبه ونفسه، وما فيها من ذكر القيروان ومدح أبي مروان دليل آخر على أنها موضوعة.

- ينظر: علي بن الجهم: الديوان، تح، خليل مردم بك، نشر وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية. دت. ص 48 - 49.  
- ينظر: قيس بن الملوح: الديوان. دراسة وتعمق: يسري عبد الغني. منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. (1420هـ/1999م). ص 104. وذكره محي الدين بن عربي في "محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار"

وقال في زهر الأكمام في قصة يوسف عليه السلام: «للمحبة عشرة أسماء، أولها المقت، ثم المودة، ثم الخلة، ثم المحبة، ثم الشوق، ثم التوق، ثم العشق، ثم الرmq، ثم النزاع، ثم الصبابة.

أما المقت فهي ابتداء الملاحظة، والمودة مثل الطبع بالبعضية، والخلة الداخلة في خلال القلب، والمحبة هي لذة في بعضها، ومواضع الحقيقة دهش والشوق إرادة الرؤية، والتوق توقي النفس للمحبوب، والعشق مجاوزة الحد في المحبة، والرمق ميل القلب كما أن الرmq ميل العين، والنزاع قلع الشيء من أصله، / [64ظ] والصبابة ذهاب الشيء عن محله».

ثم قال بعد كلام له تركته لطوله: «قال الكناي جرت مسألة في الحب بمكة في أيام الموسم، فتكلم فيها الشيوخ. وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا: "هات ما عندك يا عراقي". فأطرق برأسه، ورمقت عيناه، ثم قال: "هو عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقه، ناظر إليه بقلبه. أحرق قلبه بنار هويته، وصفا شربه من كأس ورده، وكشف له الحق عن أستار غيبه. فإن تكلم فبالله، وإن سكت فله، وإن نطق فممن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو لله وبالله ومع الله". فبكى الشيخ<sup>1</sup> وقال: "ما على هذا مزيد، جزاك الله خيراً، يا تاج العارفين". انتهى منه رحمه الله\_

قال الشطنوفي: قال الشيخ أحمد الرفاعي: سئل خالي الشيخ منصور عن المحبة، فقال: "وأنا أسمع المحب سكران في خماره، حيران في شرابه، لا يخرج من سكره إلا إلى حيرة، ولا من خمرة إلا إلى سكرة". ثم قام إلى شجرة هناك، خضراء ناعمة، فتنفس عندها؛ فبيست وتناثرت أوراقها، فقال: مثل المحبة مثل صاعقة فيها نار، وريح فيها دمار لو وقعت على الأشجار لبيست، ولو هبطت على البحار لاضطربت، ولو صاعقت على الجبال

<sup>1</sup> - في (ك): «الشيوخ».

لهبطت، وإذا نزلت بواد القلوب لم تبق للكائنات أثراً، فلا تسمع عين الأغيار خبراً. ثم أنشد:  
[بسيط]

إِنَّ الْبِلَادَ وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ      لَوْ بِالْهَوَى عَطِشَتْ لَمْ تَرَوْ بِالْمَطَرِ  
لَوْ دَاقَتْ الْأَرْضُ حُبَّ اللَّهِ لَأَشْتَعَلَتْ      أَشْجَارُهَا بِالْهَوَى فِيهَا عَنِ النَّمْرِ  
وَعَادَ أَشْجَارُهَا جُرْدًا بِلَا وَرَقٍ      مِنْ حَرِّ نَارِ الْهَوَى يَزْمِينِ بِالشَّرِّ  
مَا لِلْحَدِيدِ وَلَا صُمِّ الْجِبَالِ يَدٌ      أَقْوَى عَلَى الْحُبِّ وَالْبُلْوَى مِنَ الْبَشْرِ<sup>1</sup>

ثم قال: "انطلقوا إلى فلان وسمى رجلاً جليل القدر من البطايح، واسأله عن الحب يخبركم. قال: فأتيناها، فسألناه، فسكت، ثم ذاب كما يذوب الرصاص في النار قطرة بعد قطرة، ونحن ننظر حتى صار كالماء المائع. فأتاه الشيخ، ووضعه في القطن ودفنوه بمقبرة أوركمان بواسطة".

ثم قال الشطنوفي المذكور: «ومن كلام سيدي بن مرورة في المحبة، ولفظه: المحبة بحر بلا شاطئ، وليل بلا آخر، وهم بلا فرج، وعلة بلا طبيب، وبلاء بلا صبر، ومراقبة بلا مخالفة، وذكر بلا نسيان، وشغل بلا فراغ، ونصب بلا راحة، ووجد بلا هدوء، وشوق بلا قرار، وآلام وأسقام بلا شفاء إلا باللقاء».

<sup>1</sup> - الأبيات للشيخ منصور البطائحي وهو خال الشيخ أحمد الرفاعي، وقد وجدت بعض الاختلاف في البيت الأخير حيث جاء كما يلي:

ليس الحديد ولا صم الجبال إذا      أقوى على الجد والبلوى من البشر.

ينظر: أبو الهدى محمد بن الحسن الرفاعي الخالدي الصيادي: قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، خرَجَ آياته وأحاديثه عبد الوارث محمد علي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1971م. ص30. كما ذكر هذه الأبيات الإمام الأكبر محي الدين بن عربي وقد نسبها إلى قيس المجنون. والبيت الأول لاتغيير فيه، وأما البيتان الثاني والثالث ففيهما تغيير كما يلي:

لَوْ دَاقَتْ الْحُبُّ أَرْضَ اللَّهِ لَأَشْتَعَلَتْ      أَشْجَارُهَا بِالْهَوَى فِيهَا عَنِ النَّمْرِ  
لَيْسَ الْحَدِيدُ وَلَا صُمُّ الْجِبَالِ إِذَا      فَكَّرَتْ أَقْوَى عَلَى الْبُلْوَى مِنَ الْبَشْرِ

- ينظر: محي الدين بن عربي: محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، مطبعة السعادة بطنطا. مصر. (1324هـ/1906م). ط1، ص258.

ثم قال: «والمحبون قائمون مع الله عَزَّ وَجَلَّ على قدم واحدة، إن تقدموا غرقوا، وإن تأخروا حجبوا». ثم قال: «الغافلون يعيشون في علم الله، والذاكرون يعيشون في روح الله، والعارفون يعيشون في لطف الله، والصادقون يعيشون في قرب الله، والمحبون يعيشون على بساط أنس الله، فيعطيهم ويسقيهم». انتهى من كلام سيدي عثمان بن مرورة المذكور \_أفاض الله علي وعلى ذريتي من أنواره\_، إلا أن فيه تقدماً وتأخيراً.

ثم قال الشطنوفي المذكور: وأنشدوا في المحبة: [وافر]

عَرَسْتُ الْحُبَّ غَرْسًا فِي فُؤَادِي      فَلَا أَسْأَلُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِي  
فَلَوْلَا اللَّهُ يَحْفَظُ عَارِفِيهِ      لَهُامَ الْعَارِفُونَ بِكُلِّ وَادِي<sup>1</sup>.

انتهى من الشطنوفي المذكور \_رحمه الله، ونفعني به، آمين\_.

وقال سيدي موسى المذكور \_رحمه الله\_: «يا أخي من وقع الحب في قلبه نطق لسانه بالصدق. وإشارة المحبين أنوار المحبوب، لو برزت ذرة من [15..و..]<sup>(2)</sup> ذاك الجمال للقلب السالي صعق وما أفاق ورأى بعضهم مولها حيران فقال له: "ما اسمك؟"، فقال: "هو"،

<sup>1</sup> - الأبيات لأبي يزيد البسطامي. ينظر: أبو يزيد البسطامي، سلطان العارفين. تح، أحمد فريد الزبيدي. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان، 1971م، ص 209. وقد ذكر صاحب الموسوعة الصوفية بيتين زيادة على ما ذكره الصباغ ويقعان بين البيت الأول والثاني، هكذا:

عَرَسْتُ الْحُبَّ غَرْسًا فِي فُؤَادِي      فَلَا أَسْأَلُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِي  
جرحت القلب مني باتصال      فشوقي زائد والحب بادي  
سقاني شربة أحيا فؤادي      بكأس الحب في بحر الوداد  
فَلَوْلَا اللَّهُ يَحْفَظُ عَارِفِيهِ      لَهُامَ الْعَارِفُونَ بِكُلِّ وَادِي

- ينظر: عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية (أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية)، دار الرشد. ط1. القاهرة (1412هـ/1992م). ص 54.

<sup>2</sup> - هنا تنتهي الصفحات المنقوصة من النسخة (أ) ويبدو جليا في هذا الموضع سقوط أربع أوراق من (أ) لعدم توافق التعقيبة مع الورقة التالية، رغم أن ذلك لا يظهر في ترقيم أوراق المخطوط. وهنا نلاحظ عدم التزام المصورين لأوراق المخطوط بترتيب الصفحات بناء على المعنى، لأن الأوراق الساقطة هنا وجدتها موضوعة في وسط المخطوط: من ص (63). إلى ص (64) من المخطوط نفسه. ما يعني أن هذه الأوراق مقطوعة من الأصل أثناء تغيير مكان المخطوط أو قبل تصويره. فلم يتم إرجاعها إلى موضعها وتم ترقيم أوراق المخطوط بعد الاضطراب الواقع فيه.

فقال: "من أنت؟"، فقال: "هو"، فقال: "من تعني بقولك هو؟"، فقال: "هو"، فقال: "تريد الله؟"، فصاح صيحة خرجت منها روحه».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال بعضهم: كنت مع بشر الحافي في طريق فلقينا شابا سريع الدمعة قليل الكلام كثير البكاء والتفكر، فقلت له: "هذا بشر فتبرك به"، فقال: "يا أبا نصر ما جزاء من خالف محبوبه؟"، فقال له بشر: "جزاؤه أن يقتل بسيف العتاب، ثم يحرق بنار الهوى، ثم يذر في هوان الذل، فإن شاء جمعه وإن شاء قطعه"، فشقق الغلام لما سمعه منه، فلم يزل يرتعد إلى أن مات.

قال سالم<sup>1</sup>: «كنت مع ذا<sup>2</sup> النون المصري في غرفة بالكوفة، فإذا شيخ مار على الطريق نحيل الجسم مصفر اللون، فلما نظر إليه ذا<sup>3</sup> النون قال: "هذا ولي". فبينما أنا بالبادية وإذا به وحده وبيده مصحف يقرأ فيه ويرقص، فأعجبني ذلك، فسلمت عليه، وقلت: "يا عبد الله أنت شيخ لا يصلح لمثلك الرقص"، فقال: "دعني فأني ذكرت في نفسي عبد من أنا، وفي ميدان من أنا أتلو، وإلى بيت من أنا قاصد فاستفزني ذلك فرقصت"، فعلمت أنه عامل، فقلت: "أراك وحدك بالبادية"، قال: «كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ»<sup>(4)</sup>: معي رفيق شفيق، أعصيه فيسترنني، وأدعوه فيرحمني ويجيبيني، قلت له: "ما علامة المحبين؟"، فشقق وغشي عليه، فلما أفاق قال: "ويحك أعقل ما أقول لك، أولئك قوم سرت أرواحهم في الملكوت، فسكت، فقربت وأبدانهم في خدمته متطاردة، وقلوبهم بسلاسل التوحيد مشدودة ألا يعرف لهم زلل ولا ملل ولا يأنسون إلى هبوة غيبتهم المحبة عن أعين الخلق. قلت: "أتأذن لي في صحبتك؟"، فقال: "إليك عني لا أريد به بدلا". فعظمت علي مرافقته فانصرف»<sup>5</sup>.

1 - في(د): "قال رجل".

2 - في(ب)و(د): "مع ذي النون". وهو الأصح.

3 - كذا في (ك). وفي (ب) و(د): "ذو النون" وهو الأصح.

4 - سورة الشعراء: الآية 62. وتامها: «قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ».

5 - في(ب)و(ك)و(د): "فصعبت". ويبدو أنها هي الأصح.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وكان بعض الفقهاء ينكر على فقراء وقته تواجدهم ورقصهم ويقول يا مبتدعة ما عبد الله بمثل هذا. فشاء الله أن ألفاه فقير يرقص يوماً، فقال له الفقير: "ما هذا يا فقيه؟"، [فقال:] أشكلت عليّ مسألة منذ أيام ففتح الله \_جل وعز\_ الآن بفهمها، فانطربت وما ملكت من نفسي شيئاً، فحملني السرور بما أنعم الله عليّ من فهمها وما وجدته من اللذة، إلى ما رأيت، فقال له الفقير: "ولم تأخذ على الفقراء؟. فإنهم عند السماع يتواجدون فيشهدون المعاني التي تعزّب عن غيرهم فتشير إليهم: إِلَيَّ إِلَيَّ<sup>1</sup>، فوافقته الفقيه وأنصف وسلم.

وقال الواسطي<sup>2</sup> في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ [وَإِذَا]<sup>3</sup> قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(4)</sup>: أن ثبتناها وألقينا عليها السكينة<sup>5</sup> في مجلس السماع لانخلعت وطارت فرحاً بما يشهدوا له من المعاني الجليلة واللطائف الربانية، وأنشد: [طويل]

وَمُنْفَرِدٍ بِاللَّهِ هَامَ بِحُبِّهِ      فَلَيْسَ لَهُ أُنْسٌ بِشَيْءٍ سِوَى الرَّبِّ  
تَقَرَّدَ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَةِ رَبِّهِ      فَأَوْرَثَهُ عِلْمَ الْكِتَابِ بِلَا رَيْبٍ  
وَأَثَرَ حُبِّ اللَّهِ فَانْكَشَفَتْ لَهُ      عَجَائِبُ أَسْرَارِ ثَوَابٍ عَلَى الْحُبِّ  
فَمَنْ كَانَ فِي مَعْنَى الْمَحَبَّةِ صَادِقًا      تَجَلَّتْ لَهُ الْأَنْوَارُ مِنْ غَيْرِ مَا حُجِبِ

<sup>1</sup> - ذكر القشيري هذا القول أن «رويم» سئل عن وجود الصوفية عند السماع فقال: يشهدون المعاني التي تعزّب عن غيرهم فتشير إليهم: إِلَيَّ إِلَيَّ، فيتنعمون بذلك من الفرح، ثم يقطع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء، فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يبكي، كل إنسان على قدره. ينظر الرسالة القشيرية. باب السماع. ص 507.

<sup>2</sup> - أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، وكان يُعرف بـ"ابن الفرغاني"، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل كلامه، وكان عالماً بأصول الدين، والعلوم الظاهرة، دخل خراسان، واستوطن "كورة مرو"، ومات بها بعد العشرين والثلاث مائة هـ. ينظر: الشعراني عبد الوهاب: الطبقات الكبرى، ص 145.

<sup>3</sup> - كذا في (أ). وفي باقي النسخ: "إذ" وهو الأصح.

<sup>4</sup> - سورة الكهف الآية 14. فيها تحريف بإضافة (لولا أن) وتماها: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾.

<sup>5</sup> - كذا في (أ) و(ك). أما في (ب) و(د): وردت نكرة "سكينة".

<sup>6</sup> - في التشوف للتادلي: لطاعة. ينظر: التشوف. ص 336.

فَيْرَتَعُ فِي رَوْضِ الْمَعَارِفِ دَائِمًا      وَلَدَتْهَا<sup>2</sup> أَشْهَى مِنْ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ  
 [15]ظُخْطَابُهُ لِإِخْوَانٍ<sup>3</sup> مِنْ كُلِّ جَانِبٍ      فَيَفْهَمُ عَنْهُمْ<sup>4</sup> بِالضَّمِيرِ وَبِالْغَيْبِ<sup>5</sup>  
 فَكُوشِفَ<sup>6</sup> بِالْأَسْرَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ<sup>7</sup>      فَيَأْتِي عَلَيْهِ الْفَيْضُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ

قال أحمد بن مالك: دخلنا جبل لبنان مع جماعة نلتمس من فيه من العباد، فمكثنا ثلاثة أيام نبحت فيه فما وقفنا على أحد، فعييت في اليوم الرابع. فمضوا وقالوا: "اجلس هنا؛ لعلنا نجد أحدا من سكان الجبل". فلما جن الليل جلست على شجرة، فلما أصبح هبطت للوادي فألفيت ماء قبل أن أصل إلى الوادي، فتوضيت<sup>8</sup> وقمت أصلي فسمعت صوت قراءة القرآن، فلما سلمت تتبعت الأثر، فوجدت كهفا فدخلته، فوجدت فيه رجلا ضريرا، فسلمت عليه فقال: "أجني أنت أم أنسي؟"، فقلت: "أنسي"، فقال: "منذ ثلاثين عاما ما رأيت غيرك"، ثم قال لي: "لعلك أصابك البارحة تعب، فاطرح نفسك". فدخلت الكهف فإذا فيه ثلاثة قبور، فناداني عند زوال الصلاة، "رحمك الله"، فتوضأت وصلينا فلم يزل يركع إلى العصر، ثم أذنا وصلينا العصر، ثم أخذ يدعو إلى أن سقطت الشمس، فأذن وما رأيت أعرف منه بأوقات الصلاة. فلما صلينا قلت له: "لم أسمع منك الدعاء إلا قولك: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم فرج عنهم، اللهم ارحمهم"، فقال لي: "من قاله كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الأبدال". فقلت له: "من أين لك هذا؟"، فقال: "لا تتعجل أن أقول لك". فلما صلينا العشاء

1 - في التشوف: في دعوى المحبة. ص 336.

2 - في مناقب صلحاء الشلف. ولذاتها. ينظر أبو عمران موسى بن عيسى المازوني. ص 105.

3 - كذا في (ا) و (ك). وفي (ب) و (د) وردت: "الأحوال". وكذا ورت في التشوف وبها المعنى يستقيم.

4 - كذا في (ا) و (ك). وفي (ب) و (د): "عنها" وهو الأصح. وبهذا ورد في التشوف للتادلي. ينظر: التشوف. ص 336.

5 - في التشوف: [ فيفهم عنها بالضمير وبالقلب]. التشوف. ص 336. وعند أبي عمران موسى بن عيسى المازوني: بالضمير [وبالغيب]. مناقب صلحاء الشلف. ص 105.

6 - في التشوف للتادلي: يكاشف. التشوف. ص 336.

7 - في التشوف: ورد الشطر الأول من البيت الأخير كما يلي: [يكاشف بالأسرار من ملكوتها].

والأبيات تنسب لأبي يعقوب يوسف بن أحمد بن الحسن الأنصاري المعروف بالحكيم، من أكابر أصحاب أبي العباس السبتي، أصله من الأندلس. توفي عام خمسة وستمئة هجرية. ينظر التشوف. ص 336.

8 - في باقي النسخ فتوضأت وهو الأصح.



الآخرة قال لي: "أتأكل؟"، قلت: "نعم"، فقال: "ادخل"، فدخلت، فوجدت صخرة كبيرة عليها جوز ناحية وفسق ناحية وزبيب ناحية فأكلت ما أردت، فلما أكلت كان عند السحر جاء هو وأكل شيئاً يسيراً، ثم أوتر فسمعتة يقول في سجوده: اللهم من علي بإقبالي عليك، وإصغائي إليك، وإنصاتي إليك، والفهم عليك والبصيرة في أمرك ونفادا في خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك، فلما فرغ قلت له: من أين لك هذا؟ قال: ألهمته، ولقد كنت أوقاتاً أدعو به، فأسمع هاتفا يهتف بي إذا دعوت به فَفَحَّمُهُ فَإِنَّهُ مُسْتَجَابٌ<sup>1</sup>، قال: قلت: من أين هذه الفواكه؟ قال: سترى معاينة. فبعد ساعة دخل الكهف طائر له جناحان أبيضان وصدرة أخضر وفي منقاره حبة زبيب وبين رجليه جوز، فوضع الزبيب على الزبيب والجوز على الجوز، وقال لي: "رأيتك؟"، قلت له: "نعم"، فقال لي: "منذ ثلاثين سنة يأتيني به الطائر كل سنة"، فقلت له: "كم لك في هذا الجبل؟"، قال: "أربعون سنة"، نصفها بصيراً أجمع في الصيف من هذه المباحاة لهذا الكهف، فلما كف بصري بقيت أياماً لم أذق شيئاً حتى جاءني قوم من الجن، فقالوا: "يا هذا قد رحمتك، دعنا نحمك لدمشق"، فقلت لهم: "اشتغلوا بما وكلتم به". فجاءني بعد ساعة هذا الطائر بتفاحة، فطرحها في حجري فقلت له: "لا تشغلني"، وضعها لوقت حاجتي إليه. فمكثت عنده أربعاً وعشرين يوماً في طيب عيش. فقال لي: "كيف وصلت إلى هاهنا؟"، فأخبرته، فقال لي: "بالله لو علمت أن قصتك هذه لم أحبسك عندي، شغلت قلوبهم ورُجوعك إليهم أفضل". فقلت: "لا أعرف الطريق"، فسكت. فلما طلعت الشمس قال: "قم"، قلت: "إلى أين؟"، قال: "تمضي"، قلت: "أوصني"، قال: "إذا حجبت وكان يوم الزيارة اطلب عند المقام رجلاً أشعرياً خفيف العارضين بعد العصر، فتقرئه مني السلام، واسأله أن يدعو لك، فإنها فائدة كبيرة، فخرجنا من الكهف فإذا سبع، فقال: لا تخف/ [16و] وتكلم بكلام لم أعرفه وأظنه بالعبرانية، فقال لي: "اذهب خلفه فإذا وقف فانظر عن يمينك تجد الطريق"، ففعلت فإذا أنا على عقبة دمشق، فدخلتها والناس قد انصرفوا من صلاة العصر، فقالوا: "هذا الذي

<sup>1</sup> - في (د) إضافة كلمة مستجاب: "الدعوة".

قيل إنه هلك في الجبل، من يبشر داره؟"فقلت: "أنا". فمضيت مع جماعة فسرّ أهل الدار سرورا عظيما، فحدثتهم بحديثي، ثم لما حجبت طلبت الرجل الذي أوصاني به، فسلمت عليه، فرد علي، فقلت له: "إن نصر بن إبراهيم الكرمانى يقرئك السلام"، فقال لي: "فأين رأيته؟" [قلت:]<sup>1</sup> "في جبل لبنان"، فقال: "رحمه الله قد مات"، فقلت: "متى؟"، قال الساعة دفناه ودفنا الطائر عند رجليه ثم قال لي: قم بنا للطواف، فقمتم وطفتم معه شوطين وغاب عني. قال ذو النون: فبينما أنا أسير في بعض نواحي الشام إذ وقعت على روضة خضراء وفي وسطها شاب يصلي تحت شجرة فسلمت عليه، فلم يرد علي فسلمت عليه ثانيا فأوجز في صلاته، وكتب في الأرض بأصبعه: [كامل]

مُنِعَ اللِّسَانُ مِنَ الكَلَامِ لِأَنَّهُ كَهْفُ البَلَاءِ وَجَامِعُ الأَفَاتِ  
فَإِذَا نَطَقْتَ فَكُنْ لِرَبِّكَ ذَاكِرًا لَا تَنْسَهُ وَاحْمَدُهُ فِي الأَوْقَاتِ<sup>2</sup>

فبكيت طويلاً ثم كتبت له بأصبعي: [كامل]

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلاَّ سَيُوقَى<sup>(3)</sup> وَيَبْقَى الدَّهْرَ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ  
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ<sup>4</sup> غَيْرَ شَيْءٍ يَسْرُكَ فِي القِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

<sup>1</sup> - في (ب): فقلت. وفي (د) و(ك): فقلت له".

<sup>2</sup> - أورد عبد الحليم محمود البيهتين في كتابه "العالم العابد العارف بالله ذو النون المصري" كما يلي:

مُنِعَ اللِّسَانُ مِنَ الكَلَامِ لِأَنَّهُ سَبَبُ الفَسَادِ وَجَالِبُ الأَفَاتِ  
فَإِذَا نَطَقْتَ فَكُنْ لِرَبِّكَ ذَاكِرًا وَإِذَا سَكَتَ فَعُدْ مُؤْتِكَ أَتَّ.

ينظر: عبد الحليم محمود: "العالم العابد، العارف بالله ذو النون المصري" (179 هـ - 245 هـ). "دار الرشد، ط2، القاهرة، 1424 هـ/2004 م). ص118.

<sup>3</sup> - كذا في (أ)، وورد: "سيفنى". هكذا في (ب) و(ك) و(د). والبيتان من رواية: ذي النون المصري. وجاء شطر البيت الأول كما يلي:

وما من كاتب إلا [سيفنى].

- ينظر: المرجع نفسه. ص 118. وجاء في كتاب ألف ليلة وليلة "سيفنى". ينظر: ألف ليلة وليلة: ج1. مطبعة علي صبيح وأولاده. ميدان الأزهر. مصر. دت. ص47.

<sup>4</sup> - في كتاب ألف ليلة وليلة ورد "بخطك". ينظر المصدر نفسه. ص 47.

فصاح الشاب صيحة فمات فقمت لأنظر في غسله ودفنه، فهتف بي: خل عنه، فإن الله أذن ألا يتولى أمره إلا الملائكة، فملت إلى صخرة فركعت عليها، ثم عدت إلى الموضع فلم أجد له قبراً، ولا وقفت له على أثر».

قال بعض الصالحين: كنا في سفينة فحركتها الريح، وفيها فتى فمد يده نحو الريح، وقال لها: اسكني بأمرى فسكنت. فقلت: "يا غلام ما هذا الكلام؟". فقال لي: "من قام بأمره على الإخلاص جعل الله الأمر بيده حتى يفعل ما يريد، ثم قفز على البحر ومشى على الماء".

وقريب منه ما روي عن سمون<sup>(1)</sup> المحب، قال: كنا في سفينة فسرقنا منها قطعة ذهب، فاتهموا رجلاً، فقلت: "دعوه، أرفق به"، فإذا شاب نائم في عباءة، فقلت له في ذلك المعنى، فأخرج رأسه وقال لي: "أو لي تقول هذا؟"، أقسمت عليك يا رب ألا تدع أحداً من الحيتان إلا جاء بجوهرة"، فرأيت على وجه الماء حيتاناً في أفواهها الجواهر، ثم ألقى نفسه في البحر ومر إلى الساحل.

وذكر عن أبي ریحانة صاحب رسول الله ﷺ أنه ركب البحر فكان يوماً يخيط في السفينة فسقطت الإبرة من يديه، فقال: "أقسمت عليك يا رب إلا ما رجعت إلي إبرتي"، فظهرت له حتى أخذها بيده». انتهى من سيدي موسى المذكور.

وقال في الجواهر الحسان في تفسير القرآن: «قال القشيري في رسالته: وحكي عن أبي عمران الواسطي قال: انكسرت بنا السفينة فبقيت أنا وامرأتي على اللوح، وقد ولدت في

<sup>1</sup> وردت في المتن (ا) سحنون وصوبت على الهامش "سمنون". وكذا وردت في (ب) و(ك) و(د). وسمنون هو أبو الحسن سمون ابن حمزة الخواص (ت-297هـ-910). وهو الشاعر الصوفي المحب الذي تخصص في شعر المحبة واختص باسم المحب. عاش في بغداد وصحب السري السقطي وترك قصائد رباعية الأبيات يقول في إحداها:

- كان لي قلب أعيش به ضاع مني في تقلبه.
- رب فارده عليّ فقد ضاق صدري في تطلبه.
- وأغث مادام بي رمق يا غياث المستغيث به.

ينظر: الشعراني عبد الوهاب: الطبقات الكبرى، ج1/ص 130.

تلك الحال صبية، فصاحت بي وقالت يقتلني العطش، فقلت: "هو دارٍ بحالنا"<sup>1</sup>، فرفعت رأسي فإذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب، وفيها كوز من ياقوت أحمر، فقال لي: "هاك فاشرب"، قال: "فأخذت الكوز فشرينا منه، فإذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل"، فقلت له: "من أنت \_رحمك الله\_؟" / [16ظ]، فقال: "عبد لمولاك"، فقلت له: "بم وصلت إلى هذا؟"، فقال: "تركت هَوَايَ لمرضاته فأجلسني في الهواء". ثم غاب عني فلم أره"<sup>2</sup>.

ثم قال سيدي موسى المذكور قال بنان الحمّال<sup>3</sup>: تعذر علي وقت ما أقتات به ولحقتني ضرورة، فرأيت قطعة<sup>4</sup> ذهب مطروحة في الطريق، فأردت أخذها وقلت: لقطعة، فتركتها ثم تذكرت الحديث: لو كانت الدنيا كلها دما عبيطاً لكان قوت العالم منها حلالاً، فأخذتها، فمشيت، فمررت بحلقة صبيان وواحد منهم بمرقع يرتفع يتكلم عليهم في التصوف، فقال واحد منهم: متى يجد العبد حلاوة الصدق؟ قال: "إذا رمى اللقطة من الشوق"<sup>5</sup>، قال فرميت بها». انتهى منه بلفظه.

انظر يا أخي لهذا الأمر العجيب والمكاشفة بالغيب صدرت من صبي صغير السن، لكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، يخص من يشاء بما يشاء، في أي وقت شاء، من جلائل الكرامات ولطائف صنعه الخارقة للعادات».

<sup>1</sup> - في الرسالة القشيرية وردت العبارة هكذا: "هو ذا يرى حالنا". وقد ذكرت هذه الكرامة الباحثة "آمنة بلعلي" في كتابها: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة. الأمل للطباعة والنشر. تيزي وزو. الجزائر 2009م. ص 214.

<sup>2</sup> - هذه الكرامة ذكرها القشيري في رسالته. ص 536.

<sup>3</sup> - هو بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد أبو الحسن الزاهد يُعرفُ بالحمّال، الإمامُ المحدثُ شيخُ الإسلام، ببغدادٍ الأصل وقيل واسطي، نزيل مصر، وهو ممن يضرب بعبادته المثل. صحب الجنيد وغيره. توفي في رمضان سنة ست عشرة وثلاث مائة هجرية، وخرج في جنازته أكثر أهل مصر. ترجم له في: - سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ/1374م) تح شعيب الأرنؤوط، وأكرم البوشي، ط 11، ج 14. مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان 1417هـ/1996م. ص 489. وترجم له أيضاً: - ابن الملقن في طبقات الأولياء: تح نورالدين شريبه. ط 4، نشر مكتبة الخانجي، (1415هـ/1994م). ص 122.

- الشعراني: الطبقات الكبرى، ج 1/ص 143.

<sup>4</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "قطعة".

<sup>5</sup> - في (د): "من الشوق".

ثم قال سيدي موسى المذكور: «ومن أحبه الله جذبته إليه عن أي طريق شاء من الطرق الموصلة إلى مرضاته».

### حكاية الملاح بمصر

\_ حكاية في المعنى:

قال في زهر الأكمام في قصة يوسف عليه السلام: «قال بعض الصالحين: كنت ملاحاً في نيل مصر أذهب<sup>1</sup> من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي، فبينما أنا قاعد في الزورق إذا برجل وقف عليّ فسلمّ عليّ فرددت عليه السلام، فقال: تحملني<sup>2</sup> معك الله عزّ وجلّ، فحملته في الزورق، فعديت به إلى الجانب الشرقي. وكان عليه دفاًس وبيده ركوة وعصا. فلما أراد النزول قال لي: "إني أريد أن أحملك أمانة"، قلت: "وما هي؟"، قال: إذا كان في غد عند الظهر تجدني تحت تلك الشجرة ميتاً، وستتسى، فإذا ألهمت فأتني فغسلني وكفني بالكفن الذي تجده عند رأسي، وادفني بعد الصلاة عليّ في هذا الرمل، وأمسك المرقعة والركوة والعصا، فإذا جاءك من يطلبها منك فادفعها إليه. ثم سار فعجبت من قوله، وبت ليلتي. ثم أصبحت أنظر الوقت الذي قال لي.

فلما جاء وقت الظهر نسيت كما قال لي، ثم ألهمت قريباً من العصر، فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتاً، ووجدت كفنه جديداً عند رأسه تفوح منه رائحة المسك. فغسلته وكفنته فيه فصليت عليه وحفرت له في الرمل، ودفنته ثم ذهبت للجانب الغربي، ومعني المرقعة والركوة والعصا. فلما طلع الصبح وفتح باب البلد إذا أنا بشاب من أهل اللهو ومن الشطار كنت أعرفه، وعليه ثياب رقيقة وفي يده الحناء. فقال: أنت فلان؟ قلت: نعم، قال: "أعطني الأمانة"، قلت: "وما هي؟" قال: "المرقعة والركوة والعصا"، فقلت: "ومن لك بها؟"، قال: "لا أدري، بتُّ<sup>(3)</sup> البارحة في عرس فلان، وسمرت أغني إلى أن جاء وقت الصبح فنمت لأستريح، إذا بشخص قد وقف عليّ وقال: "إن الله قبض روح فلان الولي، وأقامك مقامه،

<sup>1</sup> - النص الأصلي مأخوذ من كتاب "زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام لعمر بن إبراهيم الأنصاري الأوسي": وفيه أشير إلى ما طرأ من تغيير على بعض الكلمات والتعبير حيث وردت الكلمة المشار إليها هكذا: "أعدّي". ينظر هذا المصدر، ص 270.

<sup>2</sup> - في النص الأصلي ورد بصيغة الاستفهام قائلاً: أتحملني الله؟ قلت نعم، قال، وتطعمني الله؟ قلت: نعم. نفسه، ص 270.

<sup>3</sup> - كذا وردت في جميع النسخ: وفي (أ) بات. وهو غير صحيح.

فَسِرَ إِلَى فُلَانِ الْمَلِاحِ، وَخَذَ الْمَرْقَعَةَ وَالرُّكُوتَ وَالْعَصَا، فَإِنَّهُ قَدْ دَفَعَهَا إِلَيْهِ". فَأَخْرَجَتْهَا وَدَفَعَتْهَا إِلَيْهِ، فَأَزَالَ أَثْوَابَهُ، وَلَبَسَ الْمَرْقَعَةَ، وَأَخَذَ الرُّكُوتَ وَالْعَاكِزَةَ، وَذَهَبَ وَتَرَكَنِي. فَبَكَيْتُ لَمَّا حَرَمْتُ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: «يَا عَبْدِي، ثَقُلَ عَلَيْكَ أَنْ مَنَنْتُ عَلَى عَبْدٍ عَاصٍ بِالرُّجُوعِ إِلَيَّ، إِنَّمَا فَضَّلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءَ». / [17و] انتهى منه بلفظه.

### حكاية الضيفين

وقريب منه ما حكى صاحب البستان ونصه: «وجاء في حديث صحيح عنه عليه السلام أنه كان رجل من بني إسرائيل لا يخرج من داره حتى يقول: "اللهم اهدني إلى طريق مستقيم، واختم علي بخاتمة الخير، وبشارة الخير والخروج من الدنيا إلى رحمتك". فخرج ذات يوم، فالتقى برجل وقت المغرب على صفة أعرابي، فقال له: "من أنت؟"، قال: "أنا عزرائيل"، ثم قال له: "امش معي حتى نرى الشقي من السعيد". فمشينا حتى وقفنا على دار عظيمة وفيها الخلائق وهم يأكلون ويشربون، ثم نقر عزرائيل الباب نقرا خفيفا فقال صاحب الدار: "من أنت؟"، فقال: "نحن ضيفا<sup>1</sup> الله"، فقال صاحب الدار: "قد امتلأت الدار بالزائرين والزائرات، ففتشوا من يضيفكم غيري"، فقال له عزرائيل: "هذه علامة الشقي". ثم انطلق حتى وقف على دار عظيمة، ليس فيها إلا الشاربون والساكرون، فنقر عزرائيل الباب نقرا خفيفا، فقال له صاحب الدار: "من أنت؟"، قال: "نحن ضيفا<sup>1</sup> الله"، قال: "وكيف أرسل الله إليّ أضيافه وأنا شارب الخمر وساكر من الساكرين، ثم أكرمني الله بكم مرحبا وأهلا وسهلا بكم"، ثم قال: "يا معشر الشاربين اخرجوا من الدار، يدخل ضيفا<sup>1</sup> الله". فغسل الدار وغسل ثيابه، وقال: "أنتم الشهود عليّ يا أضياف الله، فإني تائب لمن خلق السموات والأرض". فدخل عزرائيل الدار فقبض روحه، وقبض روح الأول تلك الليلة.

فلما أصبح الله بخير الصباح اجتمع الخلائق على العابد وتركوا الساكر في زعمهم، فأخذ الرجل في حفر قبر الساكر، فصار الناس ينكرون عليه، ويقولون له: "عليك بالحضور

<sup>1</sup> - وردت ضيفان الله في جميع النسخ، والأصح "ضيفا الله". تحذف النون للإضافة.

على العابد، ولا تشق روحك بقبر الساكر". فنادى مناد من السماء، وهو يقول: "يا معشر الخلائق، من صلى على العابد فلان دخل النار؛ لأنه من أهل الشقاء، ومن صلى على فلان الساكر دخل الجنة؛ لأنه من أهل السعادة". فترك الخلائق العابد واجتمعوا على الساكر، وقال لي: "أيها الرجل من ألهمك بحفر قبر هذا الساكر؟ سألتك بالله إلا أخبرتنا". فقص عليهم ما وقع له مع عزرائيل عليه السلام، وما شاهده منه بأن العابد شقي والعاصي سعيد». انتهى منه رحمه الله.

وقال في زهر الأكمام في قصة يوسف عليه السلام: «قال مالك بن دينار احتبس عنا المطر بالبصرة، فخرجنا نستقي مرارا، فلم نر أثر الإجابة. فخرجت أنا وعطاء السلمي وثابت البناني، ويحيى البكاء<sup>1</sup>، ومحمد بن واسع، وأبو محمد السخثياني، وحبيب الفارسي، وحسان بن أبي سنان، وعتبة، وصالح المزني، حتى سرنا إلى المصلى في البصرة، وخرج الصبيان من المكاتب واستقينا فلم نر أثر الإجابة. فلما انتصف النهار، وانصرف الناس، بقيت أنا وثابت البناني بالمصلى. فلما أظلم الليل إذا بأسود، مليح الوجه، رقيق الساقين، عظيم البطن، عليه منزر صوف، قَوِّمْتُ جميع ما عليه بِدِرْهَمَيْنِ، فأخذ التراب فَتَمَسَّحَ به ثم جاء المحراب، فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: "إلهي وسيدي ومولاي إلى كم تردد عبادك فيما لا ينقصك؟ أنفذ ما عندك أم تمت خزائن ملكك؟ أقسمت عليك بحبك لي إلا ما أسقيتنا غيثك الساعة"، فما أتم الكلام حتى تغيبت السماء، وجاءت بمطر كأفواه القرب، ولم نخرج/ [17ظ] من المصلى إلا ونحن نخوض الماء إلى الركب. وبقينا نتعجب من الأسود وكلامه. قال مالك: "فتعرضت إليه وقلت: "يا أسود، أما تستحي مما قلت؟"، قال: "وماذا قلت؟"، قلت له: "قولك بحبك لي"، وما يدريك أنه يحبك؟"، قال: "تتح عني يا من اشتغل بنفسه عنه، أين كنت أنا حين خصني بالتوحيد وبمعرفته؟ أفتراه بدأني بذلك إلا بمحبته لي"، ثم قال: "محبته لي على قدره"، ومحبتي له على قدرتي". فقلت له: "رحمك الله

<sup>1</sup> - النص الأصلي ذكره "الأبشيهي" في كتاب "المستطرف..."، صخوف قد تصرف فيه الصباغ كثيرا عند نقله. ينظر الأبشيهي: ص157.

ارفق قليلاً". فقال: "أنا مملوك، وعلي فرض من طاعة مالكي الصغير". فجعلنا نقفو أثره على البعد، حتى دخل دار نخاس، وقد مضى من الليل نصفه، فطال علينا النصف الثاني، فلما أصبح أتيت النخاس فقلت له: "أعندك غلام تبيعه للخدمة؟"، فقال: "نعم، ومئة غلام كلهم للبيع". قال: فجعل يعرض علي غلاماً بعد غلام، حتى عرض علي سبعين غلاماً، ولم أر صاحبي فيهم، فقال: "ما عندي غير هؤلاء". قال: فلما أردنا الخروج دخلنا حجرة خربة خلف الدار، فإذا بالأسود قائماً، فقلت: "هو ذاك ورب الكعبة"، فخرجت إلى النخاس، وقلت له: "بع لي هذا الغلام"، فقال: "يا أبا يحيى، هذا غلام مشؤوم؛ ليست له همة إلا البكاء بالليل والنهار إلا الصلاة والنوم". فقلت له: "بذاك أريده"، قال: فدعاه وهو يتعاس، فقال لي: "خذه بعد أن تبرأ مني من عيوبه". فاشتريته منه بعشرين ديناراً وقلت له: "ما اسمك؟"، قال: "ميمون"، قال: فأخذت بيده أريد المنزل، فالتفت إلي وقال لي: "يا مولاي الصغير، لماذا اشتريته فأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين"، فقلت: "إنما اشتريتك لأخدمك بنفسي وعلى رأسي"، فقال: "ولم ذلك؟"، فقلت: "أست بصاحبي البارحة في المصلى"، وقال: "وقد اطلعت علي؟"، قلت: "أنا الذي اعترضتك البارحة في الكلام"، قال: فجعل يمشي حتى أتى مسجداً فدخله، وصلى فيه ركعتين، ثم قال: "إلهي وسيدي ومولاي سرُّ كان بيني وبينك، أطلعت عليه المخلوقين، وأفضحتني فيه بين العالمين، فكيف يطيب الآن عيشي وقد اطلع عبد علي ما كان بيني وبينك، أقسمت عليك إلا ما قبضت روعي الساعة". ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه، فحركته فإذا هو مات.

قال: فمددت رجليه ويديه، فإذا وجهه ضاحك، وقد غلب البياض على السواد، وصار لرحمة الله، قال: فإذا بشاب قد أقبل من الباب، وقال: "السلام عليكم، عظم الله أجرتنا وإياكم في أخينا ميمون، هاكم الكفن فكفونوه فيه"، فناولني ثوبين، ما رأيت مثليهما قط. فكفناه فيهما، وصلينا عليه، فقبره يستسقى بالبصرة، وتطلب الحوائج من الله \_جل وعز\_. انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.



ثم قال سيدي موسى بن عيسى المذكور: «قال ذو النون \_رحمه الله\_ المصري: سرنا في بعض جبال أنطاكية فإذا بجارية كأنها والهة مجنونة، عليها جبة صوف، فسلمت عليها، فردت علي السلام، وقالت: "أليس ذو النون؟"، فقلت لها: "من أين تعرفيني؟"، فقالت: "فتق الحبيب بيني وبين قلبك"، ثم قالت: "أسألك مسألة: "أي شيء هو السخاء؟" قلت: "البذل"، قالت: "هذا السخاء في الدنيا، فما السخاء في الدين؟"، قلت: "المسارعة لطاعة المولى، قالت: فإذا سارعت إليه الحوراء قلت نعم فقالت مر بإبطال المسارعة لطاعة المولى قلت: المسارعة لطاعة المولى هو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد منه شيئاً. إني أريد أن أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنة فأستحيي منه فأكون كأجير السوء/ [18و] يعمل طلباً للآخرة، ولكن أعمل تعظيماً لهيئته وعز جلاله ثم ذهبت عني".

وقال أيضاً: «خرجت حاجاً وإذا بجارية عليها مدرعة صوف مكتوب بين كتفيها:

[خفيف]

يَا إِلَهَ السَّمَاءِ كُنْ لِي مُعِينًا      وَارْحَمِ الْيَوْمَ هَائِمًا مُشْتَاقًا  
فَحُبُّكَ<sup>1</sup> فِي الْهَوَى شَرَدَ نَوْمِي      وَسَقَانِي الْعَذَابَ مَرًّا رُعَاقًا

فتبعته فقالت: "لم تتبعني؟"، فقلت: "هوى غالب، وعقل ذاهب، وقلب مشغول، وسرُّ منقطع إليك؛ لأنظر ما عندها، فقالت: "ناشدتك الله، هل تعلق قلبك بغيري؟"، قلت: "نعم"، فقالت: "اذهب يا غدار، هل رأيت قلباً أحاط بمحبوبين؟ أم هل رأيت صادقاً سلا عن حبيبه طرفه عين؟ أم هل رأيت محباً نشفت له دمعة أو أغفته هجعة إلا من ليس عنده جزاء المحبة؟!". فرجعت عنها وأنا أستحي من حال دعوتي.

وقال أيضاً: جنني<sup>2</sup> الليل في زروع مصر فإذا بسوداء فركت سنبله وبكت، وقالت:

"يا من أبرزه حبا بلسا في أرضه، ولم يكن شيئاً، أنت الذي صيرته حشيشاً ثم جعلته عوداً

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): حبكم".

<sup>2</sup> - في (ك): "جشني الليل".

قائماً ثم جعلته حبا متراكبا، وكونته بتكوينك، وأنت على كل شيء قدير"، قالت: "عجبت لمن هذه قدرته كيف يعصى؟!، عجبت لمن هذه صنعته كيف يشكى؟!". فدنوت منها، وقلت: "من يشكوه؟"، فقالت: "أنت يا ذا النون؛ إذا اعتلت فلا تشكو علة لمخلوق مثلك، واطلب دواءك ممن ابتلاك، وعليك السلام، ولا حاجة لنا في مناظرة البطالين". قالت رابعة العدوية: "والله لا أعبده خوفا من ناره، ولا طمعا في جنته ولكن أعبده شوقا إليه". وكانت سعداء العدوية تحج كل سنة، فازداد اشتياقها في بعض أسفارها، فصارت تغدو حافية صارخة قائلة: "أين بيت حبيبي؟".

وروي أن قلوب المشتاقين منورة بنور الله، فإذا تحرك اللسان أضاء النور بين السماء والنور فيعرضهم الله على ملائكته، ويقول: «هؤلاء المشتاقون إلي، أشهدكم إنني إليهم أشوق».

وجاء أن شعيباً عليه السلام صام حتى انحنى، وصلى حتى أقعد، فقال: "وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته شوقا إليك". فناداه ربه: «إن كنت تدعو شوقا لجنتي فقد أبحثها لك، وإن بكيت خوفا من ناري فقد أمنتك منها»، فقال: "ولكن أبكي شوقا لرؤيتك". فأوحى الله إليه: «أبشر لأخدمك نبيا، ثم أتجلى فأكلمه فأكون قد كلمت من خدمك، ولأبني لك قصرا في الجنة من درة بيضاء يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها مقابلة العرش، بابها مفتوح إلى وجهي» انتهى. وقوم اشتاق الله إليهم، فقد جاء: «يا داود طال شوقي إليك». انتهى من سيدي موسى بن عيسى المذكور.

وقال الشطنوفي رحمه الله: «ومن كلام سيدي الشيخ ماجد الكردي<sup>1</sup>: قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى، فإذا تجول فيها الاشتياق أضاء نوره ما بين السماء

<sup>1</sup> - في (ب) و(د) و(ك) الشيخ ماجد الكردي - وفي (أ) الذكري وهو تحريف من الناسخ - وما أثبتنا هو الصواب. والشيخ ماجد الكردي هو من أعيان مشايخ العراق أحد المقربين وصدور أئمة المحققين صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة ويكنى أبا محمد. مات سنة إحدى وستين وخمسائة. وقبره ظاهر بزار. ينظر جامع الأنوار في مناقب الأخيار: عيسى صفاء الدين البندنيجي القادري. ص566.

والأرض، فيباهي الله عَزَّ وَجَلَّ بهم الملائكة، ويقول: أشهدكم أنني إليهم أشوق. ومن اشتاق إلى ربه تعالى أنس، ومن أنس طرب، ومن طرب قرب، ومن قرب سار، ومن سار حار، ومن حار طار، ومن طار قرت عينه بالاقتراب. فالزاهد يعالج الصبر، والمشتاق يعالج السُّكْر، والواصل<sup>1</sup> يعالج الذلة<sup>2</sup>. والشوق نار الله عَزَّ وَجَلَّ، تضطرب في قلوب الأحباب، فلا تهدأ إلا بقاءه والنظر إليه، ونار الهيبة تذيب القلوب، ونار المحبة تذيب الأرواح، ونار الشوق تذيب النفوس». / [18ظ] انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

حكاية من الشطنوفي المذكور، ونصه: «قال الخَيْرُ سعيد بن عمر بن عثمان ابن مرزوق [القرشي]<sup>3</sup>، قال: سمعت والدي يقول: خرجت مرة سائحا بجبل المقطَّب بقرافة مصر، فمكثت فيه أياما لا أرى أحدا، فسمعت ليلة عند السحر قائلا يقول في مناجاته بصوت يزعج القلوب، وحنين يذهل العقول: كتمت بلائي عن غيرك، وبحث بسري إليك، واشتغلت بك عن سواك». ثم انتحب بالبكاء. وقال: "عجبت لمن عرفك، كيف يسلو عنك، ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك، يا مأوى العارفين، وحبیب المقربين، وأنيس المحبين، وغاية أمل الطالبين، ومعين المنقطعين". ثم صاح: "واشوقاه، واكرباه". فتبعت الصوت وقد أخذ بمجامع قلبي، حتى انتهيت إليه، فإذا هو شيخ نحيف الجسد، مصفر اللون، تعلوه الهيبة، ويجلله الوقار، وعليه سمة أهل المعرفة، فدنوت منه وسلمت عليه، فقال: "مرحبا بك يا أبا عمرو"، فقلت له: "كيف عرفتني وما رأيتني قبل هذه الساعة؟"، فقال لي: "نظرت إلى شخصك في الأرض فعرفت مقامك في السماء، وقرأت اسمك في اللوح المحفوظ". فقلت له: "يا سيدي، أفدني فائدة". فقال: "يا أبا عمرو، أوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إلى نبيه داود \_صلى الله على نبينا وعليه وسلم\_: «يا داود قل لأوليائي وأحبائي لا يفارق كل واحد منهم صاحبه، فإني مؤنس لهم

1 - في (ب) و(د): والواله يعالج الوله.

2 - عثرت على النص الأصلي الذي نقل منه الصباغ ترجمة الشيخ ماجد الكردي محرفة بلفظ الذكرى بدل الكردي وصوبت عدة أخطاء في النص المنقول. منها (الواصل يعالج القرب بدل الذلة. وتضطرم بدل تضطرب) وقد يكون ذلك من فعل النساخ. ينظر جامع الأنوار في مناقب الأخيار: عيسى صفاء الدين البنديجي القادري. ص 566.

3 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

بذكري، ومحدثهم بأنسي وكاشف الحجاب فيما بيني وبينهم؛ لينظروا عظمتي وجلالي وبهائي ومجدي. في كل يوم أدنيهم وأقربهم من نور وجهي، وأذيقهم من طعام كرامتي. فإذا فعلت ذلك بهم عميت نفوسهم عن الدنيا وأهلها، فأني شيء أنس إليهم مني، ولا أقرّ لعيونهم من النظر إلي؟!، يستعجلون بالقدوم علي، وأنا أكره أن أميتهم؛ لأنهم مواضع نظري بين خلقي، أنظر إليهم وينظرون إليّ. فلو رأيتهم يا داود\_ ذابت أنفسهم، ونحلت أجسامهم، وخشعت عيونهم، وهشت عظامهم وانخلعت قلوبهم إذا سمعوا بذكري، فأباهي بهم ملائكتي وأهل سماواتي، ينظرون إليّ فيزدادون خوفاً وعبادة. إنْ نَاجُونِي أَصْغَيْتُ إِلَيْهِمْ، وإنْ نَادُونِي أَقْبَلْتُ عَلَيْهِمْ، فإنْ أَقْبَلُوا إِلَيَّ أَدْنَيْتُهُمْ، وإنْ دَنُوا مِنِّي قَرَيْتُهُمْ، وإنْ وَالُونِي وَالَيْتُهُمْ، وإنْ صَافُونِي صَافَيْتُهُمْ، وإنْ عَمَلُوا لِي جَزَيْتُهُمْ، أنا مدبر أمورهم، وسائس وساوس قلوبهم، ومتولي أحوالهم، لم أجعل لقلوبهم راحة غير ذكري، ولا يتأنسون إلا بي، ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي. فوعزتي وجلالي لأمكنهم من رؤيتي، ولأشبعنهم من النظر إليّ حتى يرضوا فوق الرضا. وأبلغ يا داود\_ لأهل الأرض أنني حبيب من أحبني، وجليس لمن جالسني، وأنيس لمن أنس بي، وصاحب لمن صاحبني،/[19و] ومطيع لمن أطاعني، ومختار لمن اختارني. فهلما إلى كرامتي ومحبتني ومعاملتي، وأنا الجواد الماجد، أقول للشيء كن فيكون". ثم خنقته العبرة فبكى حتى غشي عليه. فلما أفاق قلت له: "يا سيدي أوصيني"، قال: "يا أبا عمرو، أفلح عن قلبك كل علاقة، ولا تنتفع بشيء دونه"، فقلت: "يا سيدي ادع لي"، فقال: "يا أبا عمرو، خفف الله عنك مؤونة السير إليه، ولا جعل بينك وبينه حجاباً، ثم ولي كالهارب من الأسد". وأنشدوا: [من الطويل الثالث: ضربه [ فعولن]

ذَكَرْتُكَ لَا أَنْسَاكَ [فِي كُلِّ] الْمَحَّةِ<sup>2</sup> وَأَيْسَرُ<sup>1</sup> مَا فِي الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و(د)، وورد صدر البيت في كليهما هكذا: - ذكرتك لأنساك لمحّة

<sup>2</sup> - ورد صدر البيت في ديوان أبي بكر الشبلي هكذا: [ذكرتك لا أنسيك لمحّة]. وهو الأصح.

ينظر: ديوان أبي بكر الشبلي، جمع وتتح وتكامل مصطفى الشبيبي، ط1، دار التضامن، بغداد، (1386هـ/1967م). ص 127. كما ذكر الأبيات "التادلي" في التشوف. ص 263.

وَكِدْتُ بِلَا وَجِدِ أَمُوتُ مِنَ الْهَوَى  
فَلَمَّا رَأَيْتُ<sup>2</sup> الْوَجْدُ أَنَّكَ حَاضِرِي  
وَهَامَ عَلَيَّ الْقَلْبُ بِالْخَفَقَانِ  
شَاهَدْتُكَ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانٍ  
فَخَاطَبْتُ مَوْجُوداً بَعِيرِ تَكْلُمٍ  
وَلَا حَظْتُ مَعْلُوماً بَعِيرِ عِيَانِ<sup>(3)</sup>.

انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

وإنما جلبت حكاية الصالحين تبركا بهم لعل الله أن ينفعني بحبي فيهم في دنياي  
وآخرتي، فقد روي أن من علامة الخير، حب الأفاضل والعلماء، وقد جاء: «من أحب قوما  
حشر معهم<sup>(4)</sup>».

وقال سيدي إبراهيم التازي: « [وقد قيل]<sup>5</sup> حب الأولياء ولاية، ولي الله الشاذلي ابن  
بطل» انتهى. وقد قال سيدي موسى بن عيسى المذكور: «التعلق بأذنيال أولياء الله قائد لكل  
خير، فإنهم وإن غابوا عنا بأشباحهم فأرواحهم وسرائرهم معنا، فإن المرید إذا وقع له شيء  
من حكايات القوم وعقد قلبه على العمل به فعمل صار حكمة في قلبه لآخر عمره، فينتفع  
بذلك في دنياه وآخرته، وينتفع به من سمعه منه.

قيل للجنيد: "ما للمريدين في مجارات<sup>6</sup> الحكايات؟"، فقال: «إنها جند من جنود الله  
يذوب<sup>7</sup> بها قلوبهم». قيل له: "وهل في ذلك مستند؟"، قال: "نعم"، قوله تعالى لنبيه \_عليه  
الصلاة والسلام\_: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾<sup>(1)</sup>.

1 - في التشوف ورد: وأهون. ينظر التادلي. ص 263.

2 - كذا في كل النسخ. وفي الديوان: "أراني".

3 - والأبيات للإمام أبي بكر الشبلي رضي الله عنه. وجاءت المقطوعة في الديوان في أربعة أبيات فقط. ينظر ديوان أبي بكر  
الشبلي. ص 127.

4 \_ الحديث الصحيح الأقرب إلى اللفظ الوارد في السؤال هو ما ورد عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: «ثَلَاثٌ هُنَّ حَقٌّ: لَا يَجْعَلُ اللَّهُ مِنْ لَه سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ، وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهَ عَبْدٌ فَيُؤَلِّبُهُ غَيْرُهُ، وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ  
قَوْمًا إِلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ». رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" ج(6/ص293).

5 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

6 - في (أ): "مجلات"

7 - في (أ): "يقوي".

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من ذكر مناقب السيد العارف بالله سيدي أحمد ابن يوسف \_ نفعني الله به وبكل محب فيه ببركاته، آمين\_:

### المنقبة الرابعة والعشرون

#### [مكاشفة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف للسرقة]:

فمن مناقبه ما حدثني به أحمد بن يطو القلعي أن رجلاً يسمى يحيى بن أبي جمعة سرق له محمد الملقب العيفا القلعي ملحفة وشاية<sup>(2)</sup> وجعلهما في قلة فخار وخبزها في الأرض، ثم إن المسروق متاعه اشتكى للشيخ سيدي أحمد بن يوسف وقال له: إني اتهمت العيفا بالسرقة، فكلم الشيخ سيدي أحمد العيفا المذكور أن يرد الملحفة والشاية [لرهبما، فأنكر وقال: لم أسرق شيئاً، فأعاد عليه الشيخ الكلام مراراً، فتمادى على إنكاره، ثم إن الشيخ قال له: رد الملحفة والشاية<sup>(3)</sup> التي جعلتهما في القلة وخبزتها في موضع كذا، فاعترف وبادر لرجل الشيخ وقبلها ورد الملحفة والشاية لمالكهما.

### المنقبة الخامسة والعشرون

ومنها ما حدثني به أخي سيدي علي \_ رحمه الله \_ أن الشيخ أتى إلى بيتنا فصنع له أبي \_ رحمه الله \_ طعاماً ما يظنه يأتي في جمع قليل، فأتى الشيخ في جمع كثير من الناس، فلما أن تهيأ الطعام قال لأبي: أحضره بين يدي، ففعل أبي، فأخذ الشيخ من كل قصعة ودعا بالبركة، ثم فرقه على أصحابه، فأكلوا حتى شبعوا وفضل عنهم ببركة الشيخ.

### المنقبة السادسة والعشرون

ومنها ما وقع للشيخ في تكثير الطعام حين ذهب لوهران \_ أعادها الله دار إسلام \_ في جموع كثيرة/ [19ظ] فصنع له رجل من أهلها قصعة من طعام كبيرة، وأتى بها إلى الشيخ

<sup>1</sup> - سورة هود : الآية 120 . وتامها: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَطَّءٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

<sup>2</sup> - لعلها: شاشية، وهي القبعة.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

فأمر الشيخ أن يدخل عليه عشرة من أصحابه يأكلون وينصرفون، ثم عشرة ثم عشرة، إلى أن أكلوا منها كلهم، أخبرني بهذا المرابط عبد الله الملقب خرخور القلعي.

**قلتُ:**

وفعل الشيخ سيدي أحمد \_رحمه الله\_ في إدخال أصحابه لأجل الطعام عشرة عشرة اقتداءً به صلى الله عليه وسلم حسب ما هو مشروح في البخاري وغيره.

ومثلها ما حدثني به السيد الأجل محمد بن عبد الجبار الصبيحي النسب التلمساني الدار أنه قال: صليت وراء الشيخ في غرفة عامر بن راشد المصراتي في زحام من كثرة الناس، فقلت في نفسي: "صلاتي باطلة؛ لكوني لم أتمكن من السجود"، فلما أن سلم الشيخ من الصلاة ثم اجتمعنا هاهنا قال له: أبوك: "شيخنا سيدي محمد على الله، ثم كرر ذلك مرارا، فقال: "إذا فما بال رجل يقول صلاتي باطلة، ولم يعلم بذلك أحد إلا الله عزَّ وجلَّ الذي أطلعنا على سري، ولكن يا أخي صلاتنا صحيحة، وجمعنا صحيح وكلامنا صحيح، وظاهرنا صحيح وباطننا صحيح".

**قلتُ:**

وكلام الأولياء على الخواطر لا يعد ولا يحصى، وذلك أمر مشهور عنهم \_نفعني الله بهم\_.

### المنقبة السابعة والعشرون

ومنها ما حدثني به السيد المذكور أن الفقيه العالم المفتي سيدي أبا زيد عبد الرحمن بن السيد الإمام سيدي عيسى المقدم المستغامي يعترض على الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ إلى أن ظهرت له منقبته وكرامته تاب ورجع عن اعتراضه وإنكاره؛ وذلك أن الفقيه المذكور استعار نوازل مازونة من السيد أبي عبد الله بن واضح أن ينظر فيه، وجعل له المعير الولي المذكور شهرا وشرط عليه أن يرده عند انقضاء الأجل، ثم إن الفقيه المذكور نسخ الكتاب المذكور في الأجل من غير إذن مالكة لكونه أعاره له للنظر فقط، فلما أن فرغ

من نسخه ومقابلته وتصحيحه ذهب بهما \_ أعني الكتاب القديم والمنسوخ منه \_ لمالك القديم سيدي أبي عبد الله في زاويته التي كانت بإزاء باب الجراد من بلدة مستغانيم \_ حماها الله \_ فأعطاه كتابه، وقال له: يا سيدي قد يسّر الله في نسخ هذا الكتاب وأراه الكتاب الجديد. قال سيدي عبد الرحمن: فقام عرق بين عيني الشيخ كالأصبع وأعرض بوجهه عني فاحتشمت وخرجت لباب الدار، فلم أشعر في نفسي حتى صرعت في الحين، ثم حملوه لداره على أعناق الرجال، فقامت صيحة في البلد فظنوه ميتاً، قال سيدي عمر الصبيحي المذكور "كنت أقرأ حينئذ عليه وأنا أصحح معه الكتاب المنسوخ إلى أن وقع له ما وقع مع سيدي أبي عبد الله، فصرت أدخل عليه مع الناس أزوره، فلم يعلم بمن دخل ولا من خرج؛ لكونه لا ينطق ولا يبصر ولا يتحرك إلى ذات يوم ألهمني الله فدخلت عليه فوجدته ينظر فقلت له: "أنا أردت أن أزور الشيخ سيدي أحمد بن يوسف في راس الماء، فهل أطلبه أن يتسبب لك في كتاب لهذا الداء العضال؟"، فأشار بأصبعه أن افعل؛ لكونه لا يتكلم، فقال: "ذهبت أنا وصاحبي إلى راس الماء، فسلمنا على الشيخ، ثم ذكرت له قضية الشيخ سيدي عبد الرحمن مع سيدي أبي عبد الله في تعديهِ/ [20و] في نسخ الكتاب إلى آخرها، وما هو فيه من المرض"، فقال لي الشيخ سيدي أحمد: "قل لسيدي عبد الرحمن: "وأين العلم هنا؟"، يحتاج القط لأظفاره".

ثم إنه كتب أسماء في كاغط<sup>1</sup> وطواه، وقال لي: "افتحه بين عينيه". فقدمت به وفعلت ما أمرني به الشيخ، فصار سيدي عبد الرحمن ينظر في الكتاب ساعة ثم رأيته يحرك شفتيه، ولم يكن منه تحرك شيء منذ وقع به المرض والعياذ بالله. ثم بعده أخذه بيده فخرجت ورجعت بالفور فوجدته فكأنما أطلق من قيد، فقلنا: "الحمد لله الذي شفاك الله"، فقال لي: "أنا تائب لله عن اعتراضي وإنكاري على شيخ الوقت سيدي أحمد بن يوسف".

**المنقبة الثامنة والعشرون.**

<sup>1</sup> - يقصد ورقة. وهي لفظ عامية من بين عدد من الألفاظ الواردة في المخطوط بالتعبير المحلي بالزناتية والعامية.



ومنها ما حدثني به علي بن زينب الدرجيني أنه مرض عند بعض أصحابه من الأعراب مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، قال علي المذكور: وأصحابي عند رأسي، بعض يقول: "تدفنوه هنا"، وبعضهم يقول: "ترفعوه على دابته إلى أهله". وأنا أسمع كلامهم، فألهمني الله أن استعنت بالشيخ ثلاث مرات فإذا به عند رأسي أشاهده عياناً، فمسح بيده المباركة على جسدي فكأن<sup>1</sup> لم يكن بي أذى، وشفاني الله ببركته ثم من الغد أتيت لأهلي.

### المنقبة التاسعة والعشرون

ومنها ما حدثني به علي المذكور أن زوجته كانت من خدام الشيخ، إلى ذات يوم أرادت أن تذهب إلى زيارته، فأنت جنانها، وأخذت منه تقاحاً كثيراً ترفعه لشيخ، قال: "فقلنا لها من يأكل هذا الحرام"؛ لكوني استكثرت ذلك، ولم يكن ثم غيري وغيرها، ثم ذهبنا للشيخ، فلما أن قدمنا عليه بالتفاح قال لي مبادراً: "لا حاجة لي، فالتفاح حرام". فقلت: "يا سيدي، لا تأخذ علي"، فقال: "تبدلت نيتك، فلم أزل معه حتى سمح لي".

### المنقبة الثلاثون

ومنها ما حدثني به محمد بن الهراوي المصراتي أن الشيخ حدثه مشافهة أن شيخه الزروق قال لي: "يا أحمد بن يوسف الله أعطاك من قاف إلى قاف"<sup>(2)</sup>، قال: "ما قلت له ما هذا إلا كنقطة تحت باء".

### قلت:

ويقرب منه ما حكاه سيدي موسى بن عيسى المذكور المازوني عن بحر المعارف أبي يزيد البسطامي \_نفعني الله به\_، ونصه: «قيل لأبي يزيد: "سمعنا أنك تسير من المشرق إلى المغرب في ساعة"، قال: "قد يكون هذا، ولكنه عناء للمؤمنين، وإنما المؤمن الجوهري الذي يطلع فيكون المشرق والمغرب بين يديه فيأخذ من حيث شاء". انتهى.

<sup>1</sup> - في (ج): "فكان كإن لم يكن بي أذى". وفي (د): "فكان كأن لم يكن بي أذى".

<sup>2</sup> - كذا في (أ) و(ب)، ولعل الأصب: "من كاف إلى قاف"، ينظر شرح ذلك في عنصر [شروط الشيخ] من هذا الكتاب موضوع الدراسة والتحقيق.

### المنقبة الواحدة والثلاثون

ومنها ما حدثني به من أتق به أن بعض أصحاب الشيخ قال له حين قدم إليه عراج الإسكندري لوطن هواره إنا نخاف الترك، فقال: "لا تخافهم، فإن الترك إذا رأونا يذوبون كما يذوب الملح في الماء".

### المنقبة الثانية والثلاثون

ومن كراماته على ربه أن ضريحه في مليانة من لدن دفن فيه إلى هلم جرا حوض مورود، وعيد مشهود، يأتيه الرزق من كل فج عميق، فتفيض بركاته على زواره وجيرانه، فلا يرون \_والحمد لله\_ ما يسوءهم مع الأتراك القاطنين بإزائه، وهل ذلك إلا من بركته وعناية ربه.

### المنقبة الثالثة والثلاثون

ومنها ما حدثني به عبد الجبار بن أفنيش القلعي، قال: «أتيت الشيخ ولم أكن رأيتَه فقط<sup>(1)</sup>، فقلت له: "هل عرفتي؟"، فقال: "أنت الذي لا تعرفني، وأما أنا فسميتُك في الظلمات الثلاث في رحم أمك"؛ وذلك أن أمه كان لا يعيش لها ولد، فجاءت/ [20ظ] الشيخ سيدي أحمد بن يوسف وشكت له ذلك فدعا لها، وقال في بطنك ذكر اسمه عبد الجبار، فكان كما قال مشاهداً محققاً.

### المنقبة الرابعة والثلاثون

ومنها ما حدثني به سعيد أعراب القاطن بمسراته أن أبي \_رحمه الله\_ استشار الشيخ في تزويج أمي، فقال له: "تزوجها وستلد لك ذكراً يخرج منه شأن عظيم!". فكان الأمر كما قال الشيخ، والحمد لله والمنة.

ويكفيك أني أحب أولياء الله وخصوصاً الشيخ القطب المستغاث به عند الشدائد سيدي أحمد بن يوسف \_نفعني الله بحبي فيه\_، وقد ظهرت بركته علينا من لدن عرفه أبي

<sup>1</sup> \_ كذا في (أ)، ولعل المراد: قط.

إلى هلم جراً، كذلك نسأل الله أن يجعل بركته باقية في عقبننا بجاه مولانا رسول الله ﷺ، وجاه هذا الشيخ أمين يا رب العالمين.

فمن أعظم الفوائد ما حكى عن أبي يزيد أن رجلاً قال له: "دلني على عمل أتقرب به إلى الله"، فقال: "بحب الأولياء، وتحب إليهم يحبوك فإن الله ينظر لقلوب أوليائه كل يوم سبعين مرة، فلعله ينظر إلى اسمك في قلب ولي من أوليائك، فيحبك ويغفر لك". انتهى منه بلفظه.

فأي فائدة أعظم من هذه!. نسأله سبحانه أن يجعلنا من المحبين لأوليائه، المصدقين بكراماتهم، وأن يحشرنا في زميرتهم، بجاه الصادق المصدق القائل: «من أحب قوما حشر معهم»<sup>1</sup> وهو سيدنا وركننا وغايتنا ووسيلتنا وشفيعنا مولانا محمد ﷺ.

### المنقبة الخامسة والثلاثون

حدثني به سعيد أعراب المذكور أنه قال: «ذهبت أنا والشيخ سيدي أحمد لسيرات، فوجدنا وادي سيرات حاملاً حملة عظيمة، فقال لي الشيخ: أغمض بصرك واحبس في ذنب فرسي لكوني على رجلي، ففعلت، وجزنا وأنا بسباط في رجلي، فلم يمسهما بلل».

**قلت:**

وقد جرى مثل هذا للعلاء بن الحضرمي على ما ذكره سيدي الرصاع في تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين ولفظه باختصار تركته لطوله، وقد غزا مع جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فساروا حتى انتهوا إلى دارين من الكفار، فحال بينهم فقال العلاء بن الحضرمي: "يا علي يا حكيم، يا علي يا عظيم، نحن عبيدك نقاتل في سبيلك، نقاتل عدوك فاجعل لنا إليهم سبيلاً"، فاقتمنا البحر وخضناه، فما يبلغ حوافر خيلنا إلى الكفار، فأخذناهم ورجعنا. وأصابه وجع البطن فمات، فطلبنا ماء نغسله به، فما وجدنا،

<sup>1</sup>- سبق تخريجه. رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" ج(6/ص293).

فدفناه، ثم سرنا قليلاً فوجدنا الماء، فقلنا: لو رجعنا فأخرجناه من قبره لنغسلوه<sup>1</sup>، فرجعنا فطلبناه في القبر فلم نجدوه<sup>2</sup>، فقال رجل من الصحابة: سمعته عند موته يقول: "يا علي يا حكيم، يا علي يا عظيم، أخف عليهم موتي، ولا تطع على عورتي أحدا منهم"، رضي الله عنه. قال عمر بن ثابت: دخلت في أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الأطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت إلى داخل أذنيه، فأسهرت ليله، ونغصت عيشه، فأتى رجل من أصحاب الحسن فشكا إليه ذلك، فقال له: ويحك إن كان شيء ينفعك الله به، فعليك بدعوة العلاء بن الحضرمي/ [21] التي دعا بها في البحر حتى خاضه، فقال له: "وما هي يرحمك الله؟"، فقال: "هي يا علي يا حكيم، يا علي يا عظيم"، فدعا به من صدق قلب ونية واعتقاد، قال: "فما برحوا حتى خرجت من أذنيه لها طنين وصكت الحائط".

### قلتُ:

وما وقع لسيدي أحمد بن يوسف المذكور في الوادي والعلاء بن الحضرمي في البحر شملتهما العناية المحمدية؛ لقد روي عن مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ لحنين، وإذا نحن بواد طام، فقدرناه أربع عشرة قامة، فقلنا: يا رسول الله، العدو من ورائنا والماء من أمامنا كما قال أصحاب موسى: إنا لمدركون، فنزل \_ عليه الصلاة والسلام\_ وقال: «اللهم جعلت لكل رسول علامة فأرني قدرتك»<sup>3</sup>، ثم ركب \_ عليه الصلاة والسلام\_ فجزناه بالخيول والإبل لا تتدى حوافرها ولا أخفافها. وأنشدوا: [بسيط]

وَجَاوَزَ الْبَحْرَ وَالْأَجْنَادُ تَبَّعُهُ<sup>4</sup>      يَخُوضُ أَعْلَاهُ مَا يَخْشَى مِنَ الْهَوْرِ «

انتهى من سيدي موسى المذكور.

### المنقبة السادسة والثلاثون

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ: والأصح "لنغسله".

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ: والأصح "فلم نجده".

<sup>3</sup> - لم أجد له تخريجا في كتب الحديث التي عدت إليها.

<sup>4</sup> - في (ب) و(ك): "تَبَّعُهُ".

ومنها ما حدثني به سعيد المذكور أنه قال: كنت عند الشيخ في بيت زوجة له اسمها سني والشيخ لابس كساء قبليا فيه علم الله، كأنه غمس في الماء وقام من نومه، فقالت له [زوجته المذكورة]: "لا تقم فيصيبك مرضٌ من أجلِ الهواءِ"، وعليه شبه عرقٍ من أجلِ النَّومِ، فقال لها الشَّيْخُ: «[لا يصيبني مرضٌ]»<sup>(1)</sup>، وليس هو عرقاً، وإنما هو رجل أتى النهر وهو حامل حملة عظيمة بماء الأمطار، وأراد أن يقطع ماشيته، فاستغاث بي فغنته وجعلت نفسي قنطرة من العدو إلى العدو، فاجتاز هو وماشيته بعون الله وببركة رسول الله ﷺ. فهذا الببل الذي رأيت من حملة النهر». قال سعيد المذكور: «فنحن جلوس وإذا بالرجل أتى وقال: يا سيدي أحمد جرى لي كذا وكذا»، وذكر الحديث، كما أخبر الشيخ حرفاً بحرف، وقال الرجل: "يا سيدي أحمد فلما أن استغثت بك جعل الله لي خشبة عظيمة فجزنا عليها!"، فقال له الشيخ: "داداك" <sup>2</sup> "ذاك" <sup>3</sup> بلفظه الزناتي.

### المنقبة السابعة والثلاثون

ومنها ما حدثني به سعيد المذكور أنه قال: "بت أنا والشيخ سيدي أحمد بن يوسف في "هبرة" فسرق سرجي وسرجه في الليل، وإلى الغد أتونا "هبرة" بسرجين جديدين عوض سروجنا، فلم يقبلهما الشيخ، وأنا في خاطري أحببت أن يأخذهما الشيخ؛ لكون سرجي قديم<sup>(4)</sup>، ثم كوشف اذهب لبيت رجل يقال له ابن الرجل المذكور، فأتيت الرجل بمحضر جماعة "هبرة"، فأخرجت السرجين كما وصف الشيخ رحمه الله - وأتيته بهما".

### المنقبة الثامنة والثلاثون

ومنها ما حدثني به سعيد المذكور أنه قال: "بتنا عند الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله - حين كان نازلاً في مصراته، مع سيدي محمد بن معزة وسيدي عمر بن سليمان

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين مذكور في باقي النسخ في المتن. ومستدرك على هامش (أ).

<sup>2</sup> - عبارة تقال للاعتداد بالنفس وإثبات الذات.

<sup>3</sup> - تقال لمن هو أكبر سناً من الآخر وتعني أنا هنا.

<sup>4</sup> - في (ب) و(د): سرجي قديمة. وحقه النصب أصلاً خبر لكان: "قديماً"

فبلغهم خبر، وأن عبد الله بن أبي سعيد يغير على زاوية الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، فخافا من ذلك، فأطلع الله الشيخ على ما في ضميرهما، وقال لهما: "الذي خفتما منه عليّ غدا يأتي خضيعاً ذليلاً". ثم إلى الغد أتى عبد الله بن أبي سعيد خضيعاً وطلبه في الدعاء، وقبل رجليه وذهب".

### المنقبة التاسعة والثلاثون

ومنها ما حدثني به سعيد المذكور أنه قال: "بعثني الشيخ سيدي أحمد إلى رئيس سويد وشيخهم في حينه، وهو يوسف بن محمد الملقب بدقيش أن يرد إبلا كان أخذها لبعض الأعراب من خدام الشيخ سيدي أحمد بن يوسف ودقيش نازل في شلف، قال سعيد المذكور/ [21ظ] فذهبت إليه وطلبته في رد الإبل، فقال لي دقيش المذكور: "اصبر حتى أشاور سيدنا أبا عبد الله بن واضح"، قال سعيد المذكور: فذهبت معه إلى سيدي أبي عبد الله فوجده خارج النواة جالسا، فتبركنا به، ثم قال له دقيش: "يا سيدي أبا عبد الله أنا أشتكى لك بأبي خوصة<sup>1</sup>"، فقال له: "ومن هو أبو خوصة؟"، قال له: "سيدي أحمد بن يوسف"، فقال له السيد أبو عبد الله: "لا يا دقيش، أنا كنت أجوزك من السواقي حتى دخلت البحر الذي لا ساحل له، يعني به سيدي أحمد بن يوسف، ما عندي قوارب الذي<sup>2</sup> تدخله فأجوزك منه". وجعل سيدي أبو عبد الله يكرر هذا ويتأخر لورائه، وهو جالس حتى دخل نوالته، وترك دقيشا ومن معه. ثم إن دقيشا أتى من فوره ورد الإبل لسيدي أحمد بن يوسف، رغما على أنفه. انظر يا أخي كيف أذل الله لسيدي أحمد بن يوسف هذين الجبارين المتقدمين، وهما أبوعبد الله بن أبي سعيد ودقيش، وما ذاك إلا من فضل الله ورحمته.

قال سيدي موسى بن عيسى المازوني رحمه الله: «وكثير من الأولياء صان الله بسببهم الدماء والجرائم، وكف بسببهم أيدي الظلمة عن أخذ أموال الناس ويسط حرماتهم على

<sup>1</sup> - الخوص : عيب يتمثل في ضيق عين الشيخ أحمد بن يوسف مع غورها.

<sup>2</sup> - كذا في كل النسخ.

قربتهم وذرياتهم وجيرانهم، وكم نلت لهم من الرقاب، ولانت لهم من الصعاب، لا يلقاهم جبار بسوء إلا قُصِمَ، ولا يستعصم بهم مُنْهَتِكُ إِلَّاعُصِمَ. ماذا أَدُلُّوا بهيبتهم من الطُّعَاة؟! وقهروا بِرُوعَتِهِمْ<sup>1</sup> من البُعَاة؟! وكم لهم في العُقْبَى من ذخيرة، وبينهم وبين الله من سريرة؟! ثم<sup>2</sup> قال: [فصل<sup>3</sup> اختلف هل يجوز للولي أن يقول أنا ولي أو لا<sup>4</sup> على قولين بالمنع والجواز فمنعه ابن فورك<sup>5</sup> وجوزه<sup>6</sup> التادلي وذكر عن الدقاق<sup>7</sup> أنه كان يقول أنا ولي ويصرح<sup>8</sup> بذلك]<sup>9</sup>

### فصل: في جواز معرفة الولي أنه ولي

اختلف في الولي هل يجوز له أن يعلم أنه ولي أو لا؟، فمنهم من منع ومنهم من أجاز. فإن قيل: "هل يسقط الخوف عن الأولياء؟"، فالجواب: أن تقول الغالب على الأكابر<sup>10</sup> الخوف. قال بشر الحافي: «الخوف ملك لا يسكن إلا في قلب تقي». وقال بعضهم: «الخوف سوط يسوق ويعوق: يسوق إلى الطاعة، ويعوق عن المعصية». قال حاتم الأصم: «لكل شيء زينة، وزينة العباد الخوف، وعلامته قصر الأمل». قالت عائشة رضي الله عنها\_ [عن النبي ﷺ] [عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾<sup>(11)</sup>]: "أ يخاف

1 - في (ك): "برغمهم".

2 - كذا في (ب) و(د). وفي (ا) و(ك) ساقطة.

3 - كذا في (ب) و(ك). وفي (ا): "فصل". وفي (د) ساقطة.

4 - إضافة من (ك) و(د).

5 - ابن فورك: محمد بن الحسن بن فورك الأستاذ أبو بكر الأصبهاني الفقيه المتكلم النحوي الأصولي، درس بالعراق مدة، ثم توجه إلى الري، فسمعت به المبتدعة، فراسله أهل نيسابور، فورد عليهم، وبنوا له بها مدرسة، ودارا، وظهرت بركته على المتفهمة، وبلغت مصنفاته قريبا من مائة مصنف، ودعي إلى مدينة غزنة، وجرت له بها مناظرات، وكان شديد الرد على ابن كرام، ثم عاد إلى نيسابور، فسُمَّ في الطريق، فمات بقرب بست، ونقل إلى نيسابور، ومشهده بالحيرة ظاهر يزار، ويستجاب الدعاء عنده. وكانت وفاته سنة 406هـ/1015م. ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة. ar.wikipedia.org تاريخ النقل: 2023/03/17م على الساعة 1 صباحا و32د.

6 - في (ك) وأجازه

7 - في (ك) عن الدكالي.

8 - في (ك) وصرح.

9 - ما بين المعوقين ساقط من (ا).

10 - كذا في باقي النسخ. وفي (ا) الأكابر وهو غير صحيح.

11 \_ سورة المؤمنون، من الآية 60: وتتمتها: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر؟"، قال: «لا، ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه»<sup>1</sup>. قال الداراني<sup>2</sup>: ما فارق الخوف قلبا إلا خرب، ولكن يا أخي، الأعمال بالخواتم. ثم إن السعادة أصلها التخصيص. من حكم له بالسعادة لا يشقى أبداً، وإن ألح غاويه، وكثر<sup>3</sup> معاديه، وأحيط به من جميع نواحيه. ومن حكم له بالشقاء لا يسعد أبداً، وإن أخضر ناديه وأخصب واديه.

وذكر أن رجلين اصطحبا في الله مرة ثم افترقا، فبينما أحدهما كان يقاتل في غزوة إذ خرج على المسلمين رجل مقنع بالسلاح، وطلب المبارزة فخرج إليه بطل مسلم فقتله النصراني، ثم خرج إليه ثان فقتله، فخرج إليه ثالث فقتله، فخرج إليه هذا الصوفي، وتطارد فكشف النصراني عن وجهه، وإذا به صاحبه في الإرادة، فقال له: "ما الخبر؟"، فأعلمه أنه ارتد وخالط النصارى، وولد له أولاد، واجتمع له مال، فقال له: "أليس كنت تقرأ القرآن بقراءة<sup>4</sup> كثيرة؟!"، قال<sup>5</sup>: "لا أذكر الآن منها حرفاً واحداً!". فرغبه أن يعود للإسلام، فأبى وأمره بالانصراف لئلا يقتله. فقال له الصوفي: "انصرف أنت؛ إذ لا عيب عليك في الماضي؛ فإنك قتلت ثلاثة". فولى فتبعه/ [22و] الصوفي قطعته فقتله. انظر لهذا الأمر العجيب بعد أن كان يقرأ القرآن بقراءة كثيرة، قتل كافراً، \_نعوذ بالله من سخطه.

<sup>1</sup> - الحديث أورده الترمذي في صحيحه من رواية السيدة عائشة أم المؤمنين، المحدث الألباني، ينظر صحيح الترمذي.

رقم 3175.

<sup>2</sup> - هو أبو سليمان الداراني وهو عبد الرحمن بن عطية. من أهل دمشق، مات سنة خمس عشرة ومائتين. وذكره ابن الجوزي في المنتظم في من توفي سنة خمس ومائتين. ينظر السلمي: الطبقات. ص 74.

<sup>3</sup> - في (ك): "في شر".

<sup>4</sup> - كذا في (ا) و (د)، وفي (ب) و (ك): "قراءات". وهو الأصح.

<sup>5</sup> - كذا في (ا)، وفي باقي النسخ: "فقال".



هذا بلعام بن باعورة<sup>1</sup> الذي أتاه الله اسمه الأعظم، وقد كانت تكتب تحت منبره اثنا عشر ألف محبرة. فانظر عاقبته؛ قال تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾<sup>(2)</sup>، الآية.

وكذلك "برصيص"<sup>3</sup> العابد وإبليس قد علم ما كانا أولاً ثم ما صاروا إليه من عاقبة أمرهما بما سبق في سابق أمره وقدره. ولما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل \_عليهما السلام\_ يبكيان زماناً طويلاً، ثم أوحى الله إليهما: «ما هذا البكاء؟» \_وهو أعلم\_، فقالا: "ربنا إننا نخاف مكرك"، قال: «كذلك كوننا، لا تأمنا مكري» وأنشدوا: [يسيط].

حَسَنْتَ<sup>4</sup> ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ      وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدْرُ  
وَسَاعَدَتَكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَّتْ بِهَا      وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَذْرُ<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - بلعام أو بلعم بن باعوراء، ابن أبر. ويقال: ابن باعور بن شهوم بن قشتم بن ماب بن لوط بن هاران بن أزر رجل من بني إسرائيل كان قد أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة. وكان يعرف اسم الله الأعظم ولا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه. كان مقيماً بببيت المقدس مع الجبارين. وقال ابن عباس: لما نزل موسى ﷺ بهم -يعني بالجبارين- ومن معه أتاه - يعني بلعام- أتاه بنو عمه وقومه، فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزلوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله ما كان عليه، فلذلك نزل قوله تعالى: ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾. الآية 175 من سورة الأعراف. ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج2. ص 1232-1233.

<sup>2</sup> - سورة الأعراف، من الآية 175: وتنتمها: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ .  
<sup>3</sup> - برصيص: هو راهب متعبد من بني إسرائيل، له قصة ذكرها ابن كثير في تفسيره جاء فيها: حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان، فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع كلامك، فقتلها ثم دفنها؛ قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم؛ فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا؛ فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا؛ قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك؛ قالوا: فما هذا إلا شيء، فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فلقية الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينحيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنا أنجيك مما أوقعتك فيه؛ قال: فسجد له؛ فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه، وأخذ فقتل. ينظر أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4. ط1. دار ابن حزم، بيروت. لبنان. (423هـ/2006م). ص 2859.

<sup>4</sup> - كذا في (ا) و(ك). أما في (ب) و(د): "أحسننت". وهو الأصح.

<sup>5</sup> - في (ا): "جفو".

<sup>6</sup> - الأبيات للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد جاءت في ديوانه كما يلي: =

فسبحان من خص قوما بالسعادة من غير استحقاق سبب، ولا جهد، ولا طلب، ولا زيادة أدب، ولا شرف نسب، بل تعلق العلم القديم بالسعادة، وخص قوما بطرده وإبعاده، ووضع قدرهم بين عباده من غير ذنب أسلفوه ولا سوء اقتترفوه، بل حقت كلمته عليهم بشقوتهم<sup>1</sup>، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(2)</sup>، الآية، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(3)</sup>. انتهى منه رحمه الله.

### \_ فائدة:

ذكر القرافي رحمه الله في الفرق الحادي والأربعين والمائتين: «اتفق الناس فيما عَلِمْتُ على تكفير إبليس؛ لقضيته مع آدم ﷺ، وليس مدرك الكفر فيه الامتناع من السجود، وإلا لكان كل من أمر بالسجود فامتنع كافراً ولا يحسده [منزلته]<sup>4</sup>. وإلا لكان كل حاسد<sup>5</sup> كافراً ولا كان كفره لعصيانه وفسوقه من حيث عصيان وفسوق، وإلا لكان كل عاص وفاسق كافراً. وقد أشكل<sup>6</sup> ذلك على كثير من الفقهاء، وينبغي أن يعلم أن إبليس إنما كفر<sup>7</sup> بنسبته الله [تعالى]<sup>8</sup> إلى الجور والتصرف [على]<sup>1</sup> الذي ليس بمرضي<sup>2</sup>، وظهر ذلك من

أَحْسَنْتَ ظَنَّاكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ      وَلَمْ تُخَفِ سَوْءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ  
وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزْتُ بِهَا      وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدْرُ

- ينظر : ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جمع، وترتيب عبد العزيز الكرم. ط1، ( 1414هـ/1988 م). دون ذكر بلد النشر. ص49. والبيتان المذكوران في كتاب ألف ليلة وليلة. ج.1. ص 131. بلفظ "أحسننت". وذكرهما أيضا أبو حامد الغزالي في الإحياء. ج.4. في "كتاب الخوف والرجاء". ص245. دون أن ينسبهما إلى أحد. كما ذكرها أيضا الألبسي في المستطرف. ص437.

<sup>1</sup> - في (ا) "بشقتهم". وهو خطأ قد يقع من الناسخ في ترتيب الحروف .

<sup>2</sup> - سورة المائدة، من الآية 41: وتتمتها: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

<sup>3</sup> - سورة آل عمران، من الآية 74: وتتمتها: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>5</sup> - كذا في النسخ الثلاث. وفي (ا): "ساجد". والأول أصح.

<sup>6</sup> - في (ا): "استشكل".

<sup>7</sup> - في (ا): (كافر).

<sup>8</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ا) و(ك).

فحوى قوله<sup>3</sup>: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(4)</sup>، ومراده أن إلزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من التصرف الرديء والجور والظلم، فهذا وجه كفره. وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فقد كفر لأنه من الجرأة<sup>5</sup> العظيمة». انتهى منه \_رحمه الله\_.

### قلتُ:

ومثله ما ذكره الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن يوسف السنوسي أنالني الله شيئاً من بركاته في شرحه للعقيدة الوسطى، ونصه: «فقد قيل<sup>6</sup> إن إبليس لعنه الله قد عبد الله ثمانين ألف سنة لا يفتر، لكن قد صحبته<sup>7</sup> في عبادته جهالتان كتبنا عليه في الأزل: \_الأولى<sup>8</sup>: إن الأجسام عنده متفاضلة بطباعها<sup>9</sup>، وهي جهالة فلسفية<sup>10</sup> لا تثبت على مذهب المؤمنين، وإنما العالم [كله عنده]<sup>11</sup> أجسام وصفات قائمة بالأجسام، لا يفضل بعضها على بعض من حيث ذاتها، فيخصص الله أي جسم شاء بأي صفة شاء، ويبدل الحار بارداً، والمنير مظلماً، والحي ميتاً، إلى غير ذلك. فالأجسام ظروف وأوعية للصفات، ومولانا \_جل وعز\_ يختار لكل ظرف منها ما يجعل ظرفاً فيه. فلا أفضلية لجسم على آخر إلا بتفضيله سبحانه [وتعالى]<sup>12</sup>».

1 - ما بين المعقوفين إضافة من (ا) و(ك).  
 2 - كذا في كل النسخ، ولعل الأصح: "بمرض".  
 3 - في (ا): "أقواله".  
 4 - سورة الأعراف، من الآية رقم 12: وتتمتها: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.  
 5 - في (ا): "الحيرة".  
 6 - في (ك): "قال".  
 7 - كذا في (ب) و(د). وفي (ا) و(ك). وصحبه".  
 8 - في (ا): "الأول".  
 9 - في (د): "بطبائعها".  
 10 - كذا في (د). وفي باقي النسخ: "فيلسوفية". والأولى أصح وأنسب للمعنى.  
 11 - كذا في (ب). وفي بقية النسخ: "كلهم عندهم". والأول أصح وأنسب للمعنى.  
 12 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

\_ والجاهلية الثانية: إنه كان يعتقد أن قدرة العبد لها أثر في الأفعال، وأن العبد إنما يطيع الله بقدرته ومشيتته/ [22ظ] هو، لا أن الله تعالى هو الذي يخلق له الطاعة والمعصية. ونشأ له من هذه الجهالة اعتقاد ووجوب مراعاة الصلاح والإصلاح على الله تعالى، وهذه جهالة القدريّة مجوس، ولا جريان لها على مذهب أهل السنة المتبرئين من الحول والقوة والمفوضين جميع الأمور إلى الله، ولا يرون معه \_جل وعز\_ شريكا في ملكه، ولا مؤثر سواه في أثر ما على العموم ولا بطبعه ولا بخاصية جُعِلَتْ فيه، ولأجل غموق هاتين الجهالتين في باطن إبليس، وانطوى عقده عليهما لما خلق الله تعالى آدم ﷺ من التراب، وهو المفضول عند إبليس اللعين بالنسبة إلى النار التي خلق منها هم ثم أمر في جملة الملائكة بالسجود لآدم، والتعظيم لقدره، ولم يكن تقدم عبادة منه ﷺ أنف إبليس لعنه الله \_وعظم أصله وعبادته إذ رأى نفسه فاعلا لها وجور مولانا \_جل وعز\_ في حكمه عليه بالسجود لآدم ﷺ والتواضع له، وجاهر مولانا \_جل وعز\_ وتقدس بقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾<sup>(1)</sup>، وبقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾<sup>(2)</sup>. وانظر الفرق بين هذا اللعين وبين الملائكة الكرام \_عليهم السلام\_، وأنهم خلقوا من عظيم النور وعبدوا الله تعالى قبل أن يوجد إبليس اللعين آلافا من السنين، ثم مع ذلك عندما أمرهم الله \_جل وعز\_ بالسجود لآدم بادروا كلهم لامتنال أمره سبحانه متلذذين بطاعته سبحانه وتعالى في ذلك خائفين منه سبحانه مغتتمين عظيم رضاه عَزَّ وَجَلَّ حامدين له بأعظم المحامد حيث أهلهم بخطاب تكليفه عَزَّ وَجَلَّ، ولم يلتفتوا إلى النور الذي هو أصل خلقتهم؛ إذ هو وغيره سواء. واختصاصه بما اختصوا به، إنما هو بمحض فضل الله تعالى.

وهو القادر على أن يجعل التراب مضيئاً ونورا والنور مظلماً. وكذلك لم يلتفتوا \_عليهم السلام\_ إلى ما مضى لهم من عظيم العبادة؛ إذ هي فضل الله تعالى بلا واسطة،

<sup>1</sup> \_ سورة ص، من الآية 76: وتتمتها: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة الإسراء، الآية 62. وتتمتها: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

فلم يروا لأنفسهم تأثيراً البتة. فهم وآدم ﷺ في عدم إيجاد شيء من العباد سواء؛ ولهذا قال تعالى مادحا لهم فيما وقفوه له. ثم سبحانه من حسن الاعتقاد والامتثال بمحض فضله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾<sup>(1)</sup> لما عسى أن يستغرب من وقوع السجود من جميعهم مع كثرتهم جدا كثرة تخرج عن الحصر. والله سبحانه يفضل على من يشاء بالكرامة العظمى، وهي كرامة الاستقامة في الظاهر والباطن. نسأله سبحانه حسن المعرفة به، وأن لا يحرمانا من عظيم فضله، وأن يمن علينا بحسن الخاتمة والمغفرة لجميع الذنوب بلا محنة دنيا ولا أخرى». انتهى منه، وبعضه تركته لطوله، نفعني الله به وبأمثاله، آمين.

قلتُ:

أما قول سيدي السنوسي أَنَّ الملائكة خُلِقُوا من [نورٍ عظيمٍ]<sup>2</sup> يشهدُ له الحديثُ الصَّحِيحُ عنه \_ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام \_ في حديثِ المِعْرَاجِ وغيرِهِ، أَنَّ الإِيمَانَ بِذَلِكَ واجبٌ؛ لإخبار الرسول الصادق المصدق عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ بذلك. ويجب على كل مسلم بالغ عاقل أن يعتقد في حق الملائكة -عليهم السلام- أنهم أجسام روحانية لا يأكلون ولا يشربون ولا يتغوّطون ولا يتزوَّجون إلى غير ذلك من صفات البشريَّة، وأنهم ليسوا بذكور ولا إناث، وأن الله تعالى خلقهم على صور مختلفات؛ والدليل على ذلك ما روي عنه/ [23و] \_ عليه الصلاة والسلام \_ «أن سكان السماء الدنيا ملائكة ﴿أُولِي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباعٍ يزيِدُ في الخلقِ ما يشاء﴾<sup>(3)</sup>، في صور البقر، مثل عدد النجوم، شرابهم النور والتسبيح، لا يفترون من التهليل والتكبير». وأما السماء الثانية فسكانها ملائكة مثل عدد القطر في صور العقبان لا يسأمون ولا يفترون، وتسبيحهم تخويف. وأما السماء الثالثة فسكانها ملائكة على عدد الرمل في صور الناس يجأرون إلى الله كأنما يرون ما يوعدون. وأما السماء الرابعة

<sup>1</sup> - سورة الحجر، من الآية 30: وتتمتها: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

<sup>2</sup> - كذا في (أ). وفي باقي النسخ: "عظيم النور".

<sup>3</sup> - اقتباس من سورة فاطر، من الآية 1: وتتمتها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباعٍ يزيِدُ في الخلقِ ما يشاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فسكانها ملائكة على عدد أوراق الشجر، في صور الحور العين، تبرق وجوههم ما بين السماء والأرض. وأما السماء الخامسة فسكانها ملائكة يضاعف على سائر الخلق، في صور النسور، منهم الكرام البررة، والعلماء السفرة، إذا كبروا اهتز العرش من مخافتهم، وصعقت الملائكة من تسبيحهم، يملأ جناح أحدهم ما بين السماء والأرض. وأما السماء السادسة فحزب الله الغالب وجنوده الأعظم، لو أمر أحدهم أن يقتلع السموات والأرضين بأحد جناحيه لاقتلعهن ملائكة على صور الخيل المسومة. وأما السماء السابعة فسكانها الملائكة المقربون الذين يرفعون الأعمال في بطون الصحف، ويحفظون الميزان، فوقهم حملة العرش والكروبيون كل مفصل من أحدهم أربعون ألف سنة». فتبارك الله رب العالمين، أوجد المقدرات بقدرته، وخصها ببعض ما يجوز عليها بإرادته بما سبق في سابق علمه.

وأما قول السنوسي رحمه الله\_ أن الملائكة عبدوا الله آلافا من السنين قبل أن يوجد إبليس لعنه الله يعضده ما ثبت عنه\_ عليه الصلاة والسلام\_ أن جبريل عليه السلام قال: «أنا أول من خلق الله تبارك وتعالى في السماء وكنت مهملاً فيها عشرة آلاف سنة<sup>1</sup>، فما أدري ما يفعل الله بي، فعند ذلك قال الله تعالى: «يا جبريل»، قال: فألهمني ربي فقلت: "لبيك رب العالمين". ثم قال: «قدسني يا جبريل»، فقدسته عشرة آلاف سنة، ثم قال: «يا جبريل»، فقلت: "لبيك رب العالمين"، قال: «سبّحني»، فسبّحته عشرة آلاف سنة. ثم قال لي: «يا جبريل»، فقلت: "لبيك رب العالمين"، ثم قال لي: «يا جبريل، عظّمني»، فعظّمته عشرة آلاف سنة. ثم قال: «يا جبريل»، فقلت: "لبيك رب العالمين". ثم قال: «مجدّني»، فمجّدته عشرة آلاف سنة. ثم بعد ذلك كشف لي عن ساق العرش، فرأيت فيها سطرين مكتوب بالنور، في السطر الأول "لا إله إلا الله"، وفي السطر الثاني "محمد رسول الله". فقلت: "إلهي وسيدي ومولاي هل خلقت شيئاً قبلي؟!"، فقال لي: «أنت أول مخلوق في السماء». فقلت: "إلهي من هذا الذي جمعت اسمك مع اسمه قبل خلقي"، فقال لي: «هذا نبي لولا هو ما

<sup>1</sup> - في (د): "اثنا عشر ألف سنة".

خالقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا ولا فلكا دوارا ولا أخلق شيئاً إلا ببركة هذا النبيء الشريف الذي يبعث في آخر الزمان اسمه محمد ﷺ.

### المنقبة الأربعة

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما أخبرني به السيد الأجل محمد ابن عثمان البوعمراني أن الشيخ حدثه مشافهة وأنه قال: كنت أقرأ على شيخي الزروق في بجاية إلى ذات يوم قال لنا الشيخ زروق في المجلس: "أيها الطلبة من يعطيني خبر ولدي بفاس عند أمه"، فسكتوا. فقلت له: "أنا، هاهو مع أمه أمام/ [23ظ] القرية ترجل رأسه". فقال لي: "بقي لك شيء؟"، قلت له: "ظفرت أمه رأسه بخيط حرير إلى جهة رقبته، وفي الخيط شراية حرير". فقال لي: "بارك الله فيك"، وقال لي: "كان الأمر على ما وصفت". انظروا إلى هذه المكاشفة العظيمة في ابتداء حاله.

### المنقبة الواحدة والأربعون

ومنها ما حدثني به الطالب محمد عرف باقبلي المصراتي، قال: كنت جالسا عند الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ذات يوم فقال: "أنا مرسل"، فقلت له: "هذا الذي سمعه الفقراء حتى قالوا: "إنه رسول"، وأنكرت عليه ذلك في خاطري، ثم قال لي: "قل يا ولدي الذي هجس في خاطرك"، فسكت، فقال: "يا ولدي لست برسول، ولا يعتقد أحد هذا، وإنما بي يحيي الله تبارك وتعالى طريق أهل التحقيق؛ لاتباعي لسنة الرؤوف الرحيم الشفيق، أزل ما في خاطرك يا ولدي، وإنما أنا نائب عن رسول الله ﷺ".

وبعضه ما ذكره الشطنوفي ونصه: «كان رسلان<sup>1</sup> الدمشقي رحمته الله يقول: الشيخ سيدي عبد القادر رحمته الله من صدور الحضرة، وأفراد الوجود قد نطق بالحكمة، وسلمت له أحكام

<sup>1</sup> - ولد الشيخ رسلان سنة 470 هـ، واسمه الصحيح أرسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن، كان أباه من المجاهدين، وكلمة أرسلان تعني الأسد بالتركية، نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام وترسيخه في الأرض. كان يتعبد بمسجد صغير داخل باب توما، وحفر بيده البئر التي كانت بالمسجد، وكان أهل تلك الناحية يشربون منها للبركة، بل كان الناس إلى عهد قريب بدمشق يأتون نهر العقرباني الذي يمر بجوار مسجد الشيخ وكانت مياهه نظيفة يتبركون بها ويغتسلون. بقي الشيخ رسلان متعبداً في مسجده بدمشق =

التصريف في كل قريب وبعيد من أهل زمانه في الأخذ والعطاء والقبول والرد، وهو نائب عن رسول الله ﷺ في هذا الوقت». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

### المنقبة الثانية والأربعون

ومنها ما حدثني به من يوثق بقوله أن جماعة من الفقراء أتوا إلى الشيخ حين كان في مصراتة من قرب هواره، وجلسوا عند الشيخ نحو اليومين، ولم يروه، فاستأذنوا عليه في الدخول فأبى ثم انصرفوا. فسئل الشيخ عن سبب ذلك فقال: «فيهم رجل لو رأي لذاب كما يذوب الرصاص في النار». انظروا لمعرفة هذا الشيخ بالطبائع، وما خصه الله به من المواهب الربانية والأسرار الإلهية.

قلتُ:

ويشهد لصحته ما قاله الشطنوفي ولفظه: «قال سيدي منصور لبعض أصحابه: انطلقوا إلى فلان \_وسمى رجلا جليل القدر من أهل البطائح\_ واسألوه عن الحب يخبركم، قال: فأتيناها فسألناه، وسكت<sup>1</sup>، ثم ذاب كما يذوب الرصاص [مدة، فصار قطرة]<sup>2</sup>، ونحن ننظر حتى صار كالماء المائع، فأتاه الشيخ فضمه في القطن ودفنوه<sup>3</sup> بمقبرة أوركمان بواسطة».

### المنقبة الثالثة والأربعون

=حتى أتاه أمر الله سنة تسعين وخمسة، وحُمل نعشه على أعناق الرجال وجاءت طيور خضر ظللت على نعشه، حتى دفن إلى جوار شيخه أبي عامر المؤدب. ينظر: أرسلان الدمشقي. ويكيبيديا. موقع في الأنترنت.

<sup>1</sup> - كذا في (أ) و(ك). وفي (ب) و(د): "فسكت".

<sup>2</sup> - هكذا وردت العبارة بين القوسين المعقوفين في (أ) و(ك). وفي النسختين (ب) و(د) وردت هكذا: [قطرة بعد قطرة] وأراها هي الأصح "

<sup>3</sup> - كذا في (أ). وفي (ب) و(د): "ودفناه". وفي (ك): "ودفنه".



ومنها ما حدثني به السيد الولي سيدي محمد المكنى أبو بيريذن<sup>1</sup> المصراتي أن رجلاً مصراتياً يسمى علي بن مسعود قال ذات يوم للشيخ سيدي أحمد بن يوسف مشافهة: "من فَتَشَكَ يَجِدُ الشُّكْلَةَ عَلَى وَسْطِكَ"، فجعل الشيخ الكم على فيه، وتبسم ولم يقل شيئاً.

**قلت:**

وقد أخذ الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ببعض أخلاق المصطفى ﷺ على ما نقل سيدي موسى بن عيسى المازوني \_رحمه الله\_ ونصه: «وقد آتاه الله ما لم يؤت أحداً في حسن الخلق، وقد أثنى عليه تبارك وتعالى في حسن خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(2)</sup>، وقد جاء عنه \_عليه الصلاة والسلام\_ أنه قال: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ<sup>(3)</sup>». وكان على النبي ﷺ رداء نجراني غليظ الحاشية، فجذبه أعرابي جبذة<sup>4</sup> شديدة حتى أن أثرت حاشية الرداء في عنقه، وقال له: "مر لي بشيء من مال الله الذي آتاكم فلست تأمر لي من مال أبيك"، فالتفت \_عليه الصلاة والسلام\_ وهو يضحك، ثم أمر له بالعتاء.

وجاء عنه \_عليه الصلاة والسلام\_ / [24و]: «إن لم تسعوا الناس بأموالكم فاسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق<sup>(5)</sup>». <sup>1</sup>وعنه: «سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل<sup>(2)</sup>».

<sup>1</sup> - بالزناتية ومعناها أبو الطرق

<sup>2</sup> - سورة القلم، الآية: 4 .

<sup>3</sup> - رواه ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو، وأخرجه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة. ينظر أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج2/ص504. ورواه بهذا اللفظ بلاغا مالك في الموطأ: كتاب حسن الخلق، باب ماجاء في حسن الخلق (رقم1634)، وهو حديث صحيح مشهور بلفظ «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ». موطأ الإمام مالك على رواية يحيى بن يحيى الليثي، دار الكتب الجزائر، 1987م. ص527.

<sup>4</sup> - في (ب) و(د) جذب. وجاء في لسان العرب: جذب لغة في جذب. ينظر لسان العرب، ج3. ص66.

<sup>5</sup> - الحديث أخرجه بلفظ: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بِسَطِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ» الطبراني والبرزاري، وأبو يعلى من غير ذكر: «وَحُسْنُ الْخُلُقِ». ينظر: - مكارم الأخلاق للطبراني: (رقم: 18): ص 318. - مسند البرزاري (رقم: 8544): ج15/ص177. - مسند أبي يعلى (رقم: 6550): ج11/ص429. وذكره القشيري بلفظ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا...» إلى آخر الحديث ونسبه =

وقال المحاسبي: «حسن الخلق كظم الغيظ، وإظهار الطلاقة والبشر إلا لمبتدع أوفاجر، إلا إذا كان فاجراً إذا انبسط إليه استحي»<sup>3</sup>.

قال حسن شاه الكرمانى<sup>4</sup>: «علامة حسن الخلق كف الأذى واحتمال المؤمن». قيل للأحنف: "من أين تعلمت حسن الخلق؟"، قال: "من قيس بن عاصم"، قيل له: "ما بلغ من خلقه؟"، قال: "جاءته خادم له بسفود عليه شواء فسقط من يدها على ابن له فمات، فدهشت، فقال لها: "لا روعة عليك، أنت حرة لوجه الله".

واستدعى مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام مولى له مرارا فلم يأتته، فقال له: "لم لم تجبني؟"، فقال له: "آمنت عقوبتك فتكاسلت"، فقال له: "أذهب فأنت حر لوجه الله".

وخرج إبراهيم بن أدهم لبعض البراري فاستقبله جندي فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فظن أنه يهزأ به، فضرب رأسه فأوضحه<sup>(5)</sup>، فقيل له: "إنه إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان". فجاء يعتذر إليه فقال له: "إنك لما أن ضربتني سألت الله لك الجنة"، فقال: "ولم؟"، قال: "علمت أنني أوجر عليك، فلا أريد أن يكون نصيبي منك الخير ونصيبك مني الشر".

= إلى أبي يعلى في مسنده السابق. وإلى الهيثمي في مجمع الزوائد ج8. ص22. ينظر الرسالة القشيرية. ص382. وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: "وبعض طرق البزار رجاله ثقات". ينظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين: ج3/ ص50.

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ب).

<sup>2</sup> - رواه البيهقي وأبو نُعيم والديلمي: - شعب الإيمان: باب حسن الخلق (رقم: 7673): ج10/ص362. - حلية الأولياء: ج6/ص348. - الفردوس بمأثور الخطاب: (رقم: 2991): ج2/ص200 وهو حديث ضعيف.

<sup>3</sup> - عثرت على هذا القول بصيغة أخرى كالاتي: - ذكر الأخضر القويدري في مؤلفه المذكور سابقا. ص65. أن للمحاسبي حكما منها: "حسن الخلق احتمال الأذى وقلة الغضب وبسط الوجه". وفي "جامع الأنوار في مناقب الأخيار" لعيسى صفاء الدين البندنجي القادري إضافة عما ذكره الأخضر القويدري كمايلي: "قال المحاسبي: حسن الخلق احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الوجه، وطيب الكلام، ولكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر... الخ آخر القول. ينظر: جامع الأنوار في مناقب الأخيار. ص294.

<sup>4</sup> - ترجم له السلمي في طبقاته وقال: هو أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى، من أولاد الملوك، صحب أبا تراب النخشي وأبا عبيدة التسري وكان من أجلة الفتيان وعلماء هذه الطبقة وله رسائل مشهورة، والمثلثة التي سماها: مرآة الحكماء. ورد نيسابور، وكرمان ولاية مشهورة ومعورة في بلاد بين فارس وخراسان. ومات سنة تسع وتسعين ومائتين. ينظر أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت416هـ): طبقات الصوفية، تح وتو مصطفى عبد القادر عطا. ط2، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1424هـ/2003م. ص156. الشعراني: الطبقات الكبرى. ج1/ص164.

<sup>5</sup> - كذا في (أ)، ولعل المراد: "فأوجعه".

فانظر يا أخي هذا الخلق الحسن، فقد ورد عنه \_عليه الصلاة والسلام\_ : «أفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً»<sup>1</sup>.

قال سيدي موسى المذكور: «مسألة إياكم معشر الفقراء، ولا تصغوا لما يقوله جهالة الواعظين من أن الله تعالى كلم موسى بكل لسان وأنه كلمه بالسريانية، وسمى له نفسه فهذا كذب براح وكفر صراح، والتحقيق أنه كلمه دون واسطة، وليس لكلامه كيفية لا عربية ولا عجمية، ولا مثل لذاته ولا لصفاته، فكفروا من حيث لا يشعرون. وأما ما أنزله عليه وكتبه له في التوراة وفي الألواح فإنما كتبه له بالعبرانية، وتكلم بالفارسية، فقال لسليمان اسكندري وتكلم بالاصطلاحية مع العجم من البيان وغيرهم. وقال البخاري: باب ما يجوز من الكلام بالفارسية.

\_ فائدة:

فإن قيل: "بأي شيء عرف موسى كلام ربه؟"، قيل: فخمسة أشياء: أحدها أن كلام المخلوق ينقطع بالنفس وكلام الله غير منقطع. الثاني: حين سمع كلام الملك الجبار اقشعر جلده. الثالث: كلام الخلق يسمع بصماخ الأذن، وكلامه تسمعه جميع الجوارح. الرابع: كلام الخلق يسمع من جانب واحد وكلام الله من كل جانب. الخامس: كلام الله له هيبه، وكلام الخلق ليس له هيبه». انتهى من الياقوتة.

### المنقبة الرابعة والأربعون

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما حدثني به المرابط يوسف ابن الزغل المصراتي أنه قال: «كنت ذات يوم بداري بمصراتة، فدخلت علي دجاجة لصهري فذبحتها وأكلتها ثم بعده دخلت علي أخرى فذبحتها وأكلتها وتأولت في ذلك تأويلاً. ثم ذهبت إلى المسجد فإذا بالشيخ قد دخل علي، فألقى الله الرعب في قلبي، فصرت أخنقي عنه

<sup>1</sup> - - رواه البخاري ومسلم بلفظ آخر. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا». صحيح البخاري. رقم (6029) ج 3 / ص 520. وفي رواية مسلم قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَوْنَ خِبَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا». صحيح مسلم (رقم 2321). ج 15 / ص 66.

بالسارية خيفة أن يراني، فلما رأني قال: "هذه صغيرة!" وجعل يكرر كلامه بلفظه الزناتي، إلى أن أيست أن يسكت عني».

### المنقبة الخامسة والأربعون

ومنها ما حدثني به يوسف المذكور أنه قال: سعدت يوماً مع الساقية أقري<sup>1</sup> ماءها مزبوية بجناني، فدخلت جنان رجل فرأيت عنقوداً من العنب أبيض كبيراً فغلبتني نفسي فأكلته، ولم يرن يأحد، فهبطت مع الساقية وإذا / [24ظ] بالشيخ أتى بالقرب من الجنان الذي أكلت منه العنقود، فسمعت الفرقاء يجهرون بالذكر، فصحت صيحة وذهبت أهول حتى جلست بين يدي الشيخ وقع العنقود الذي أكلته بذاته وصفاته بيني وبينه، فدهشت وسكت، ولم أنطق بكلمة بعد ذلك.

انظر يا أخي لهذا الأمر العجيب وصدق بكرامة أولياء الله \_ نفعني الله بحبي فيهم \_ وخصوصاً هذا الشيخ العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله \_.

### قلتُ:

وقد أخبرني الطالب الأجل محمد بن علي المصراتي أنه ذكر هذه الحكاية في أمر العنقود لبعض من ينتمي للفقهاء في قلعتنا \_ حماها الله \_، فقال الفقيه: "هذا محال". انظروا لحرمان هذا الفقيه؛ مع أنه من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف. لكن حقيق على من أنكر كرامة الأولياء ألا ينال بركتهم، أما أنا فمصدق بكرامة الشيخ العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله ونفعني به \_ جملة وتفصيلاً. وما أحواله هذا الفقيه قليل في حق ولي الله سيدي أحمد بن يوسف، بل قليل في حق أدنى تلامذته فكيف بمن السموات السبع والأرضون السبع في قبضة يده بقدرة الله وببركة رسوله ﷺ. يا عجباً كيف يقول هذا الفقيه في كرامة قطب زماننا ما حاله مع ما ظهر له من الكرامات عياناً كالشمس، والله على كل شيء

- 1 كذا في جميع النسخ ولعله يقصد: "يُقَوِّي ماءها".

قدير، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾<sup>(1)</sup>، والظُلَّةُ: السَّحَابَةُ. فأخبر تعالى أنه أمسك قطعة من الجبل فوقهم وهي في الهواء، وأنشدوا: [بسيط]

إِطْوِ حَدِيثَكَ عَمَّنْ لَيْسَ يَفْهَمُهُ      فَرُبَّمَا جَرَّتِ الْأَفْدَامُ لِلزَّلَّلِ

وأيضاً كرامات أولياء الله ثابتة لا يرتاب فيها إلا زائغ، ولا يكذب بها إلا ملحد. وقد ورد بها النقل عن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم إلى الآن. فمن ذلك ما روي أن سيدي أبا بكر رضي الله عنه قال في مرض موته أن امرأته حامل بجارية، وكان الأمر كما قال. وأما سيدنا عمر فنأدى: «يا سارية الجبل» وهو على المنبر وبينه وبين سارية مراحل، فنصروا وظفروا. وأما سيدي عثمان [فقال] للداخل عليه: «يدخل أحدكم وآثار الزنا في وجهه»؛ لأنه وقع بصره على محاسن امرأة في الطريق. وأما سيدي علي فقد جاء في هذا بالعجب العجائب.

قال السيد ابن عطاء الله: «وأنا أدلك على أمر يسهل عليك التصديق بذلك، وهو أن إطلاع العبد المخصوص بعالم غيب من غيوب الله ليس بجسمانية ولا وجود صورة، وإنما هو بنور الحق دليله الحديث: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»<sup>(2)</sup>، بعد أن شهد له \_ عليه الصلاة والسلام \_ أنه إنما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه. وكذلك قوله \_ عليه الصلاة والسلام \_: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»<sup>(3)</sup>. ومن كان

<sup>1</sup> - سورة الأعراف، الآية: 171 وتتمتها: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

<sup>2</sup> - الحديث: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ» حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن أبي الطيب، حدثنا مصعب بن عمرو بن قيس، عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُنْتَوِسِّمِينَ﴾. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم. وتفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُنْتَوِسِّمِينَ﴾. قال: لِلْمُنْتَوِسِّمِينَ. الآية 75. الحجر.

<sup>3</sup> - الحديث: قال الله تعالى "من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب مني، وما تقرب لي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يمشي بها، وإذا سألتني لأعطينه، وإذا استغفرتني لأغفرن له، وإذا استعاذني أعدته. فتح الباري 11.34041 حديث رقم 6502 . وقد روى الحديث الإمام البخاري وأحمد بن حنبل والبيهقي. ذكره أبو نعيم =

الحق بصره فليس اطلّعه على الغيب بمستغرب. فإن قلت: "وكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾<sup>(1)</sup> ولم يستثن غيره؟!"، فاعلم أنني سمعت شيخنا أبا العباس المرسي رحمته الله يقول: «معناه صديق أو ولي». فإن قلت: "هذه زيادة على ما تضمنه الكتاب العزيز"، فاعلم أنه إذا قيل: "إنَّ السُّلْطَانَ لم يأذن إلاّ لوزيرٍ وحدّه"، فما دخل ممالك الوزير معه؟! وكان الإذن لمتبوعهم إذ نالهم كذلك الولي إذا أطلّعه الله على غيب فإنما هو لانطوائه في جاه النبوة، وقيامه بصدق المتابعة، فما رأى ذلك/ [25و] بنفسه وإنما رآه بنور متبوعه، انتهى».

قال سيدي موسى بن عيسى المازوني رحمه الله: «فما الذي ينكر أن يخص الله من شاء بما شاء في أي وقت شاء من جليل<sup>3</sup> الكرامات ولطائف صنعه الخارقة للعادات، لكن كرامة كل ولي تكون بقدر [قوة]<sup>4</sup> يقينه، وعمله<sup>5</sup> بشريعة نبيه، واستمداد كل ولي قوة نوره إنما هو من بحر أنوار نبيه يغترف، وقد ظهر والحمد لله على كثير من هذه الأمة المحمدية ببركة رسولها \_ عليه الصلاة والسلام \_ في أشياء مما ظهر على الأنبياء قبله كما أنه عليه الصلاة والسلام أوتي من المعجزات أعظم ما أوتي نبي قبله. وقال \_ عليه الصلاة والسلام \_: «في بعض صفات الصالحين علماء حلما كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء». وعنه \_ عليه الصلاة والسلام \_: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل إلا أنهم لا يوحى إليهم<sup>6</sup>». وقد ظهرت بركته وآثاره رحمته الله في أصحابه والتابعين ومن بعدهم من الصالحين على تعاقب الأعصار.

=أحمد بن عبد الله الأصبهاني في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج1. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، دت. ص2.

<sup>1</sup> - سورة الجن، الآيات 26-27: وتتمتها: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27)﴾.

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "لم يستثن سواه".

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "من جلائل".

<sup>4</sup> - ما بين المعوقين زيادة من (ب) و(د).

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "وعلمه".

<sup>6</sup> - الحديث لاسند له ولم أعثر عليه في المصادر الحديثية التي عليها المعول عند علماء أهل السنة.

وفشت فيهم من أعاجيب الكرامات وبدت فيهم من بركات الإجابات ما قصرت عنه أعاجيب بني إسرائيل وغيرهم من صلحاء الأمم الماضية في العصر الخالية.

وبالجملة فمن أطاع الله وعبده حقَّ عبادته حتى لا يكون عبداً لشيء من الدنيا أطاعه كل شيء، وانفعل له ما يريد في العالم، من المشي على الماء والطيران في الهواء، وأجيبته دعوته في كل ما سأل، فضلاً من الله ونعمة<sup>(1)</sup>، وعلمه ما لم يكن يعلم، ووقاه من كل محذور، وعصمه من الفتن، وجعله قدوة للخلق، وإماماً للخير، وحفظه في ولده وأهله.

### فصل:

والكرامات أقسام كأقسام الرزق: فمن الناس من يكون له قسم في معنى ولا يكون له في غيره. ومنهم من يكون له وقت، ومنهم من يدوم له الوقت، ورب معطى منها ويمنع. ومنها من هو أفضل منه فقد مشى رجال باليقين على الماء، ومات أشد منهم يقينا بالعطش؛ وإنما ذلك بحسب صلاح إيمانه في الوقت وصدق يقينه، كما أن من المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو افتقر لفسد، ومن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو استغنى لطغى.

### فصل:

وآيات الرسل \_ عليهم الصلاة والسلام \_ تمتاز عن آيات الأولياء بأشياء: فآيات الأنبياء خروج الحيوان وذوات الأرواح من الجماد كناقاة يتبعها فصيل، أو حية تبتلع الصخر من عصا أو طائر يطير بجناحيه أو شاة مشوية تتكلم ونحو هذه الآيات.

وأما آيات الأولياء فهي جماد من جماد: فخبز من طين، أو سويق من تراب، أو ذهب من مدر، أو ماء عذب من أجاج، أو تفجير ماء من صخرة أو أرض أو بركة الطعام. فالتصديق بهذا أو شبهه يزيد في الإيمان. وإياك يا أخي أن تعتقد أن تبلغ رتبة الأولياء<sup>(2)</sup>، رتبة الأنبياء هذا مما لا يتخيل في عقل صادق الإيمان. وقد سئل بحر المعارف أبو يزيد

<sup>1</sup> \_ اقتباس من سورة الحجرات، من الآية 8: وتتمتها: ﴿ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

<sup>2</sup> \_ كذا في (أ)، والأصوب: "أن تبلغ رتبة الأنبياء". ولعل هذا ما أدى بالناسخ بعدم استساغتها، فصحتها عقب هذا!

البسطامي عن هذه المسألة فقال: مثل ما حمل الأنبياء كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء، وما في داخل الزق هو مقام الأولياء<sup>(1)</sup>. انتهى من سيدي موسى بن عيسى المازوني \_رحمه الله\_.

### المنقبة السادسة والأربعون

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ونفعني به وبحبي فيه، أمين \_ ما حدثني به الطالب محمد عرف بابن أمزيان القلعي أنه قال: حين كان الشيخ سيدي أحمد في تلمسان عند الأمير أبي حمو فصار أبو قلو المصراتي يغتاب في الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف/ [25ظ] بل يقول البهتان عند القايد أحمد في داره. فخرجت من دار القايد أحمد ودخلت على الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، وقبّلت يده المباركة، ثمّ عزمْتُ أن أخبره بما قال أبو قلو، فأطلعته الله على ذلك، وقال لي: "قبل أن تتكلم بشيء يا فقيه محمد، قال الله: ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾"<sup>(2)</sup>، وقال ابن مزيان المذكور: "ومدّ سيدي الشيخ، على الاسم المعظم!" \_بصوت عالٍ\_، وقال: "دعهُ، ينتقمُ اللهُ منه".

### المنقبة السابعة والأربعون

ومنها ما أخبرني به من يوثق بقوله أن ولي الله ابن شعاعة أحد تلامذة الشيخ حدثه أنه قال: كنت أتعبد في موضع وفيه مقبرتان، فرأيت النور يصعد من أحدهما وبُؤودًا خُضراً وغير ذلك من علامة السعادة، ورأيت الآخر يصعد منه دخان وغير ذلك من علامة الشقاء. فأتيت إلى الشيخ سيدي أحمد مسرعا مرعوبا، فأعلمته بالخبر، فقال لي: «تلميذي الذي يرى ذلك؛ فيرد أهل النار من أهل الجنة».

قلتُ:

<sup>1</sup> \_ كتب في هامش (أ): "عله الأنبياء".

<sup>2</sup> \_ اقتباس من سورة الأنعام ، من الآية: 91 وتتمتها: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.



ويعضد هذا الذي قاله سيدي أحمد ما روي أن حاتم الأصم جاء إلى أبي يزيد البسطامي زائراً فقال حاتم الأصم لأبي يزيد: "قلت لتلامذتي: "من لم يكن منكم يوم القيامة شفيحاً في أهل النار فيدخلهم الجنة فليس بتلميذي". فقال أبو يزيد: "لكني قلت لتلامذتي: "من لم يقف منكم يوم القيامة وكل من مر به من الموحدين إلى النار أخذ بيده وأدخله الجنة فليس مني". انتهى من سيدي موسى المذكور.

### المنقبة الثامنة والأربعون

ومن مناقب سيدي أحمد المذكور رحمه الله ما حدثني به من أثق به أن بعض أصحابه أستأذنه في الحج فسكت عنه الشيخ ثم أعاد عليه فسكت عنه ثم في الثالثة قال الشيخ: «طف بي ثلاث مرات تكتب لك حجة».

قلتُ:

إياك أيها المستمع لهذه الحكاية أن تسبق الأفكار أو تتعرض بقلبك على قول هذا القطب العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف في قوله لصاحبه: "طف بي"؛ فلعل الشيخ عاين الكعبة وأنها تطوف به في ذلك الوقت.

وقد حكى أن الكعبة تطوف بخيام سيدي عبد القادر كل يوم كما هو مذكور مسطر عنه نفعنا الله به.

ومثله ما ذكره الشيخ العارف بالله سيدي امحمد بن يوسف السنوسي رحمه الله في شرحه للعقيدة الوسطى، ولفظه: «سئل الإمام النسفي عما حكى أن الكعبة كانت تزور واحداً من أولياء الله تعالى، وهل يجوز القول به أم لا؟ فقال: لنقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة». انتهى منه بلفظه.

أو لعل سيدي أحمد بن يوسف تحقق عنده الحديث الصحيح عليه الصلاة والسلام: «أن الله يخلق ملكاً على صورة الآدمي يحج عنه إذا تقرب إلى الله بالأعمال الصالحات وقبلها منه رب السموات والأرض فأطلع الله على سر صاحبه؛ لأنه يفعل من

الطاعات ما يقبلها مولانا \_جل وعز\_ ويخلق ملكا يحج عنه، وما ذاك على الله بعزير». أي: ممتنع.

ودليله ما ذكره سيدي موسى بن عيسى المذكور، ونصه: «وحكي أن بعض أهل الخير من حبب إليه الحج عزم مرة على الخروج إليه فرفع في كفيه خمسمئة دينار ليشتري بها ما يحتاج إليه، فعاركته امرأة وقالت: "يا سيدي أنا شريفة ولي بنات عراة، وليس عندي شيء". فوقع كلامها في قلبه، فطرح لها جميع الخمسمئة، وقال لها: "عودي لبنيك، فاستعيني على وقتك". ثم رجعت وقد نزع الله من قلبي حظوة الخروج للحج تلك السنة، فلما كان وقت قدوم الناس من الحج خرجت للقاء الأصدقاء والتماس الدعاء من الحجاج، فكلما لقيت أحدا/ [26و] وسلمت عليه وقلت له: "قبل الله حجتك"، قال لي وأنت قبل الله حجتك، فطال ذلك فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: «أَتَعَجَبُ من تهنئة الناس لك بالحج؟!، أغثت ملهوفاً وأعنت ضعيفاً فسألت الله يخلق ملكاً يحج في صورتك فهو يحج عنك في كل سنة، فإن شئت فحج أو لا تحج».

وحكاية أخرى وهو رجل وجد امرأة تريش طائراً ميتاً، فرق قلبه لها وكان على قدوم سفر للحج، فتعرف منزلها فساق لها بغلة، فقال لها: "هذه البغلة وما عليها من النفقة والكسوة والزراد لك"، فدعت له وانصرف. فلما رجع الناس من الحج جاؤوا يهنتونه، فقال لهم: "ما حجبت السنّة"، فقال له بعضهم: "ألم أودعك نفقتي بموضع كذا؟!"، وقال آخر: "ألم تسقني ماءً [بموضع] كذا؟!"، وقال آخر: "ألم تشتري لي كذا وكذا؟!"، فقال: "ما أدري ما تقولون!"، فرأيت<sup>2</sup> فيما يرى النائم أن الله قد قبل صدقتك، وبعث ملكاً على صورتك فحج عنك. ومثل هذا كثير في حكايات أولياء الله». انتهى من سيدي موسى المذكور.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين مستدرك على هامش (أ).

<sup>2</sup> - في (ا) و(د): "قرأى".

قلت: ومن الدليل أيضا على أن الله يخلق ملكا على صورة الرجل الذي يتصدق أوقضى ديناً أو نحو ذلك يحج عنه كل سنة ما ذكره صاحب الكتاب المسمى "بزهرة الأكمام في قصة يوسف عليه السلام": أن الله خلق ملكا على صورة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه يؤنس صاحبه وخليله وصديقه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به ونصه: «روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لما كانت الليلة التي أسري بي وقف جبريل عليه السلام في مقامه، وغبت عن تحية كل ملك ومكانه وكلامه وصوته وسرت مقاما انقطعت فيه عني الأصوات وتساوى عندي الأحياء والأموات اضطرب قلبي وتضاعف كربى، فسمعت مناديا ينادي بلغة أبي بكر قف يا محمد، فإن ربك يصلي، قال: فشغلني ما سمعت عما كنت فيه، فقلت: «كيف يصلي ربي وإنه لغني عن الصلاة لأحد؟! وكيف بلغ أبو بكر إلى هذا المقام؟!»، فقال الله عزَّ وجلَّ: «يا محمد أنا الغني [عن] أن أصلي لأحد، وإنما صلاتي أن أقول سبحاني [سبحاني]<sup>2</sup>، اقرأ يا محمد: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(3)</sup>، وصلاتي رحمة لك ولأمتك. وأما سماعك صوت أبي بكر فإن أخاك موسى لما جاء لجبل الطور وعاین ما عاین من [عظيم]<sup>4</sup> الأمور أذهله ما رأى عما يلقي إليه فشغلته عن القراءة بذكر حب الأشياء إليه وهي العصا، فقلت: ﴿وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾<sup>(5)</sup>، ولما كان أبو بكر أحب الناس إليك خلقت ملكا على صورته ينادي بلغته وكلامه ليسكن ما بقلبك من الرعب، ولتعي ما يلقي إليك». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

فهذا الحديث فيه فوائد كثيرة ومعان عديدة لمن يفقه أسرار النبوءة، ولولا خشية الإطالة لذكرنا فوائدها فائدة بعد أخرى.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين زيادة في (ك).

<sup>3</sup> - سورة الأحزاب، من الآية 43: وتتمتها: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا) و(ك).

<sup>5</sup> - سورة طه، الآية: 17: ﴿وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده، فإن قلت: "إنما ذلك في النفقة"، قلت: "لا خصيصة للنفقة؛ لأنها من جملة الطاعات وأفعال الخيرات"، ولعل الشيخ علم أن الرجل يفعل فعلاً من المقربات، وقبله منه قابل الحسنات وغافر الزلات، إلهنا وإله الأرضين والسماوات، فأطلع الله على ذلك، فنهاه عن الحج لأجل ما ذكرنا. ولعل الشيخ أمر الرجل بما هو أعظم وأفضل وهو ذكر الله الذي هو أفضل من الجهاد كما هو في الحديث الصحيح عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ «إنه لو ضرب بسيفه في الكفار حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكراً لله أفضل منه»، فإذا كان الذكر أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من حج التطوع على ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام / [26ظ] إن حجة الفريضة أعظم من غزوة في سبيل الله، وأن غزوة بعدها غزوة أفضل من عشرين حجة، وأن الصلاة على النبي [...] <sup>(1)</sup>. وما أعمال البر كلها في الجهاد إلا كنقطة في البحر، فالمقدم على المقدم مقدم.

أو تقول لعلَّ الشيخَ فهم من الرجل أنه يحج رياء وسمعة وغير ذلك من النيات الفاسدة، فنهاه عن ذلك وشبهه لما روي عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ أنه قال: «يأتي على الناس زمان يحج فيه أغنياء أمتي للنزهة وأوسطهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة، وقراؤهم للمسألة»<sup>2</sup>. انتهى.

وحكي عن بعض السلف أنه جاءه رجل وقال له: "إني أريد الحج"، فقال له: "كم معك؟"، قال: "ألفا درهم". قال: "أنا أدلك على ما هو أفضل من ذلك"، قال: "اقض دين مديان"<sup>(3)</sup> وفرج عن مكروب". قال: "ما وجدت نفسي تميل إلا للحج"، فقال له: "إنما أنت رجل

<sup>1</sup> \_ بياض في الأصل في كل النسخ المعتمدة بمقدار أربع كلمات. وتقدير المحذوف: "أعظم من ذلك كله". والحديث رواه ابن عمر عن النبي (ص) قال: "حجوا حجة الفريضة فإنها أعظم من غزوة في سبيل الله، وأن غزوة في سبيل الله أعظم من عشرين حجة، وأن الصلاة عليَّ أعظم من ذلك كله". المنح الوهية على تلخيص الشامل النبوية: أبو عبد الله محمد بن محمد الحجوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. 1971م. ص 323.

<sup>2</sup> - رواه الخطيب والديلمي عن أنس رضي الله عنه. ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل الشافعي العجلوني، تحت رقم 3267. ص 679.

<sup>3</sup> \_ كذا في (أ)، وهي بالعامية، والأصوب: "مدين".

تريد أن تركب وتجيء، فيقال لك سيدي الحاج!"». انتهى من سيدي موسى بن عيسى المذكور.

قال صاحب البردة<sup>1</sup> رحمه الله: [بسيط]

وَحَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَأَعْصِيهَا  
وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصْحَ فَاتَّهِم

ثم قال سيدي موسى المذكور رحمه الله: «والواجب التسليم في الطريق لأهله إن لم يكن لك نصيب، فإن لم تشهد فلا تجحد، فإن كان ولا بد من الاعتراض فلا تصدقه ولا تكذبه، فإنه لا يخلو إما أن يكون صديقاً أو زنديقاً، فلا تفني عمرك؛ فكيف والصديقون باقون إلى نزول عيسى عليه السلام وخزائن الله التي يرحم بها عباده مفتوحة لا تغلق حتى يأتي أمر الله. فإياك يا أخي أن تتكر على الشيخ سيدي أحمد بن يوسف نفعني الله به، آمين ما قاله لصاحبه "طف بي"؛ فلعله علم ما لم تعلمه؛ لأنه من أجلاء علماء الباطن، وقد وقع لكثير من أولياء الله نفعني الله بحبي فيهم. أشياء تتكر في الظاهر، وفي باطن الأمر خير وفلاح. فقد حكى أن الشيخ سيدي أبا العباس السبتي رحمه الله، ونفعني به. وقع له ما هو أكبر وأعظم مما ذكر سيدي أحمد، وعاد بالنجاح والصلاح؛ وذلك أنه جاءه رجل وقال له: "إن امرأتي وأولادي أسارى، وطلب مني فديتهم كذا وكذا، ولم يجتمع لي من ذلك غير خمسين ديناراً ذهباً"، فقال له: "ضع الخمسين تحت السجادة"، فوضعها الرجل. فجاء رجل آخر للشيخ يشتكى إليه الفقر، وطلب منه ما يسد به خلته، فقال له الشيخ: "خذ كذا من الذهب من تحت السجادة"، حتى صار كل من يأتي إلى الشيخ سيدي أبي العباس السبتي

<sup>1</sup> - قصيدة البردة للإمام الشاعر شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري عاش في العصر المملوكي، ولد في إحدى قرى بني سويف من صعيد مصر عام 608 هـ - 1213م، سخر شعره لمدح أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وآله واشتهر بنظم المدائح النبوية، ومنها القصيدة الميمية المشهورة:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيزَانَ بِذِي سَلَمٍ      مَرَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ.

والبيت الذي ذكره الصباغ في المتن منها. والشاعر هو من أصول جزائرية من قبيلة صنهاجة رحلت أسرته إلى مصر واستقرت بها. وقد توفي البوصيري بالإسكندرية عام 696هـ/1295م. ديوان البوصيري ص 185. موقع في الأنترنت. @diwan\_poets.

يشتكى ضرأئه يقول له: "خذ من الذهب الذي تحت السجادة"، حتى لم يبق من الخمسين دينارا غير دينار واحد، وكل ذلك بمعاينة رب الخمسين. ثم إن الشيخ قال لصاحب الخمسين: "خذ هذا الدينار الباقي"، فقال له: "وما أصنع به؟!". فقال له الشيخ: اذهب [فازن به]<sup>1</sup>. فذهب الرجل، وقلبه يضطرب من الزنا، ثم قال: "لأفعلن ما أمرني به الشيخ، ففعل الله يعقبنى خيرا". فبينما هو كذلك وإذا بشابة حسناء وعلى وجهها أثر الدموع، فقال لها: "ما شأنك؟"، فقالت: "إني ابنة الوزير، فغضب عليه الأمير، وسجنه وأخذ له جميع ما يملكه فلم نجد له قوت يومه"، فقال لها الرجل: "أتأخذني مني دينارا وتمكنيني من نفسك"، فقالت له: "نعم"، وأخذت الدينار، ثم وعدته أن تأتيه لمحله في وقت من الليل، فاشتريت لأبيها ما يحتاجه ثم جاءت لمواعدة الرجل بالليل، وجلست وصار الرجل يفكر كيف يكون قدومه على المعصية، فقام يصلي ودعا الله أن يجعل له من أمره فرجا ومخرجا، فكان يسارقها النظر/ [27و] فيراها تبكي فيمضي على صلاته. فلما فرغ من صلاته قال لها: "ما أبكاك؟"، قالت له: "ما كنت باغية قط، ولا أحوجني لمساعدتك في هذه المعصية إلا شفقة على والدي". فقال لها: "انصرفي وأنا والله ما لي في ذلك غرض، فانصرفي والدينار صدقة لوجه الله العظيم".

فانصرفت مسرورة بدوام العصمة، ودعت له وأمن على دعائها، وحمد الله وشكره على السلامة من المعصية، فلما أصبح توجه نحو الشيخ سيدي أبي العباس فسمع ضجة وأبواقا وزهير طبول، وإذا بالناس يقولون: "أطلق الوزير"، فلما دخل على الشيخ أبي العباس قال له: "فعلت ما أمرت به؟"، فقال له: "هممت وما أتممت"، فقال له الشيخ: "اذهب لمكان كذا، وجئني بشيء من البقول"، فمشى الرجل للمكان الذي وجهه الشيخ إليه فبينما هو يلتقط البقل، وإذا به لمح امرأته وأولاده يلتقطون البقل فاغرورقت عيناه بالدموع، ثم نادى أولاده: "يا فلان يا فلان"، فقالوا: "أبونا والله"، فتعانقوا وبكوا فرحا، فقال الرجل لأولاده وزوجته: "ما جاء

<sup>1</sup> - ما بين المعقوين ساقط من (ا) مستترك من باقي النسخ.

بكم هاهنا؟"، فقالوا له: "إن زوجة مالكنا النصراني صرفتنا لنتلقت لها بقلًا، فاعترضتنا ساقية بعدوتها، بُقُولٌ فما استطعنا جوازها، فإذا بشيخ من صفته كذا ومن نعته كذا، فسألناه أن يجيزنا، فرمى إلينا بطرف رده، فجزنا وما ندري أين نحن الآن؟"، فقال لهم: "هذا زيتون مراکش". فمشوا مسرعين لسيدي أبي العباس السبتي وشكروه وانصرفوا بنعمة من الله وفضل. ثم إن الوزير كشف ابنته عن الطعام الذي جاءته به أمس ومن أين توصلت لثمنه فأخبرته بالقصة، فكثر إعجابه بذلك، ثم ما زال يبحث على<sup>1</sup> الرجل إلى أن وجده فزوجه من ابنته وأعطاه مالا وجعله من أصدقائه وأقربائه». انتهى من سيدي موسى المذكور.

انظر يا أخي لهذا الأمر العجيب، بل العجب العجيب، وهو أمر الشيخ سيدي أبي العباس الرجل بالزنا، وهو لو نظرنا إلى ظاهره لأوجب عقوبة قائله، وأدبه أدبا شديدا، لكن يجب عليك التسليم لأولياء الله لأنهم يلهمون الصواب، جعل الله قلوبهم مرآة صافية يبصرون الحوادث المغيبة، فقد أمر الشيخ أبو العباس السبتي الرجل بأمر فيه ضرر كبير وهو الزنا، فعاد عليه بعوائد كثيرة، كما تقدم، وأنشدوا: [طويل]

وَلِلَّهِ فِيْنَا سِرٌّ غَيْبٍ قَرِيْبًا      أَتَى النَّفْعُ مِنْ حَالٍ أُرِيدَ بِهِ الضَّرُّ

فاترك يا أخي التَّعْرُضَ على أولياء الله تتجخ، واقطع أنف الأنفة تريح، فأنا ناصح لك يا مسكين من التَّعْرُضِ على شيخ المشايخ بمغربنا سيدي أحمد بن يوسف \_نفعي الله به\_ في قوله لصاحبه: "طُفُّ بِي". فإمَّا أن تتأول مثل ما تأول الأشياخ مثله على ما قال السيد ابن عطاء الله، ونصه: «وجاء عن الأكابر أُولِي الاستقامة مع الله تعالى من أقوال وأفعال يُسْتَكْرُ ظَاهِرُهَا، أَوْلَانَهَا لَهُمْ لِمَا عَلِمْنَا مِنْ اسْتِقَامَتِهِمْ وَحَسَنِ طَرِيقَتِهِمْ. وَقَدْ قَالَ ﷺ: «ولا تظنن بكلمة أبرزت من أمرىء مسلم سوء وأنت تجد لها في الخير مخرجا<sup>2</sup>». انتهى

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ، والأفصح: يبحث [عن].

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "محلا".

منه، وتلمس لها مسلكاً حسناً كمثل ما ذكرناه قبل هذا، وإما أن تتركه فلا تعترض وقد علمت قصة الخضر والكليم\_عليهما السلام\_ في خرق السفينة وقتل الغلام.

وقد كان أبو يزيد البسطامي ينطقُ بأشياءَ يعظمُ ذكرُها في النفوس، وتتفرُّ منها الطَّبَّاعُ، فمن ذلك أَنَّهُ صَلَّى بالنَّاسِ ذاتِ يَوْمِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ثُمَّ التَّقَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: إِنَّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي<sup>1</sup>، فقالوا: "جُنَّ أَبُو يَزِيدَ"، وتركوه. ومنه ما قالوا للجنيدي: "إِنَّ أَبَا يَزِيدَ يُسْرِفُ فِي الْكَلَامِ"، فقال: / [27ظ] "ما بلغكم من إسرافه؟"، قالوا: سمعناه يقول: "سبحاني سبحاني أَنَا الرَّبُّ الْأَعْلَى!". فقال الجنيدي: «الرَّجُلُ مُسْتَهْلِكٌ فِي شَهْوَةِ الْجَلَالِ، فَتَنُوقُ بِمَا اسْتَهْلَكَهُ لَذَهْوِهِ فِي الْحَقِّ عَنِ رُؤْيَةِ نَفْسِهِ، فَلَمْ يَشْهَدْ إِلَّا الْحَقَّ سُبْحَانَهُ، فَتَنُوقَ بِهِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا لِمَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ لَمَّا سُئِلَ عَنِ اسْمِهِ، فَقَالَ: "لَيْلَى"، وَقِيلَ لَهُ: "مَمَّنْ أَنْتَ؟"، قَالَ: "مَنْ لَيْلَى، وَلَيْلَى أَنَا"».

ومنه أن أبا يزيد سُمِعَ يَقُولُ: نظرت إلى ربي بعين العين بعد ما صرفني عن غيره، وأضاءني بنوره فأراني عجائب من بره<sup>2</sup>، وأراني هويته فنظرت بهويته إلى إنايتي فأرأيت نوري بنوره وعزتي بعزته، وقدرتي بقدرته، ورأيت إعظامي بعظمته، ورفعتي برفعته، فنظرت إليه بعين الحق فقلت: "من هذا؟"، فقال: [هذا إلا إلي ولا غيري، لا إله إلا أنا<sup>3</sup>].

ومنه أنه قال: "أدخلني الله معه مدخلا فأرأيت الخلق كلهم بين أصبعين". ومنه أنه قال: "رأيت رب العزة فقال لي: «أي شيء تريد؟»، قلت: "أريد أن لا أريد غير ما تريد"، فقال: «أنا لك وأنت لي<sup>4</sup>». ومنه أنه قال: سمعت مرة صوتاً في الغيب: "يا أبا يزيد، كيف

<sup>1</sup> - في (ك): فاعبدوني. وهو اقتباس من سورة طه، الآية: 14. وتتمتها: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

<sup>2</sup> - عبارة غير واضحة في جميع النسخ المعتمدة.

<sup>3</sup> - العبارة التي بين المعقوفين غامضة في كل النسخ. كذا وردت في (ا) و(ك). أما في (ب) و(د) فوردت كما يلي: لا إلي ولا غيري له الله أنا". فهي غير واضحة المعنى.

<sup>4</sup> - في (ب) و(د): "أنا لك كما أنت لي".



ترى فعلي معك؟"، فقال: "فعلك بك لأبي"<sup>1</sup>، ثم رفعني إلى مكنون غيبه، فقال: "يا عزيزي كن غيباً في غيبي"، فقلت: "يا عزيزي كن غيب نفسك في نفسك".

ومنه أنه قال: "قطعت المفاوز حتى بلغت إلى البوادي، وقطعت البوادي إلى الملك فقلت: "إلهي"، فقال: «قد وهبتك جميع ما رأيت»، فقلت: "إنك تعلم أنني لم أرد شيئاً من ذلك"، قال: «فما تريد؟»، قلت: "أريد ألا أريد"، قال: «قد أعطيناك».

وقال أبو يزيد: رفعت مرة حتى أقمت بين يديه، فقال: "يا أبا يزيد إن خلقي يريدون أن يروك"، فقلت: "يا عزيزي أنا لا أحب أن أراهم، فإن أحببت ذلك مني فأنا لا أقدر أن أخالفك".

ومن عجائب ما حكى أنه كان مع قوم في البحر فكان القوم في السفينة وهو يمشي على الماء فاضطرب الموج فخافوا العطب، فقال لهم: "إذا قلت أنا الله، فقولوا أنتم: أبو يزيد"، فقالوه، فسكن الموج، ثم رجعوا لعقولهم، وقالوا: "ما هذا الذي يقول؟!"، فرجعوا يقولون: "الله"، فتمايلت بهم السفينة، وكادوا أن يغرقوا، فتلافهم أبو يزيد بقولهم، قولوا: "أبو يزيد"، فقالوه، فسكن الموج، واستقام جريان السفينة. [فلما خرجوا قال لهم: "يا قوم أنا أعرف الله، وأنتم لا تعرفون إلا أبا يزيد"». انتهى من سيدي موسى المذكور]<sup>2</sup>.

انظر يا أخي ما صدر من هذا الشيخ العارف بالله سيدي أبي يزيد \_نفعني الله بحبي فيه وبأمثاله، آمين\_. وإنما أتيت بذلك لكي يزول شك المعترض على قطب زماننا وإمام عصرنا سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله في قوله لصاحبه: "طف بي".

ثم [قال] سيدي موسى المذكور: «وقد وقع لسيدي أبي الحسن الحراني كلام ينكر في الظاهر ولكن التسليم أولى في حق أولياء الله وأصفيائه؛ وذلك أنه سمعه بعضهم يقول: لا

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(ب) و(ك). أما في (د): "فعلك بك".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ثابت في المتن في (ا) و(د) و(ك) ومستدرك على الهامش في (ب).

إله إلا الله، من ذلك القلب محمد رسول الله من الغرض<sup>1</sup>. قال أبو القاسم القشيري: «من نظر إلى هذا اللفظ (يتوهم<sup>2</sup> أنه استصغر الشرع، ولا كما يخطر بالبال<sup>3</sup>؛ إذ [الإخطار]<sup>4</sup> للأغيار)<sup>5</sup>، فالإضافة إلى قدر الحق متصاغرة في التحقيق».

انظروا [إلى]<sup>6</sup> علماء الظاهر قلّ أن يتسامحوا في عقوبة من وقع منه مثل هذا وشبهه، [لا كما]<sup>7</sup> يعطيه ظاهره من الاستخفاف بجانب الشريعة.

وقد صدر من الحلاج ما هو أقرب من هذا، فقتل. وسمع النوري رجلاً يؤذن، فقال: "طعنته باسم الموت". وسمع كلباً ينيح، فقال: "ليبك وسعديك"، فقال: "إن هذا تارك للدين، الذي يقول للمؤذن كذا/ [28و] للكلب كذا". فسئل عن ذلك فقال: "ذكره المؤذن على رأس الغفلة، وأما الكلب فقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾<sup>(8)</sup>".

وقال أبو يزيد: «من نظر إلى الخلق بعين العلم مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم، وكان طريقاً لهم إلى الله تعالى»<sup>(8)</sup>. انتهى من سيدي موسى المذكور.

### قَلْتُ:

فأنت ترى يا أخي ما صدر من هؤلاء السادات الفضلاء أي لفظ من أفعال وأقوال تتكرر في الظاهر، ولها تأويلات حسنة في باطن الأمر عند من عرفهم، لكن لا يعرف الحق

1 - كذا في جميع النسخ.

2- كذا في (ا). وفي باقي النسخ: "تَوَهُّمٌ".

3 - في (ب) و(د) و(ك): لا كما يخطر بالبال. وفي (ا): لا كما يخطر بالباطل. وأراه بعيداً عن سياق المعنى.

4 - في (ب): بياض في الأصل هكذا مكتوب على الهامش. والكلمة ساقطة من (د). وكتب على هامشها: "انظر تخطيط هذا الكلام وتصحيحه".

5 - الفقرة الواقعة بين قوسين مضطربة في جميع النسخ ولم تكن واضحة بما يمكن تصويب المعنى.

6 - ما بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ. فالملاحظ تعدية الفعل مباشرة إلى المفعول به مع أن الفعل لا يؤدي تلك الوظيفة، إذ الأصح تعديته بواسطة حرف الجر إلى.

7 - في (ب) و(د): لما يعطيه.

8 - سورة الإسراء، الآية: 44 . وتتمتها ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

إلا طلابه، ولا يضرب بالسيف إلا أربابه، جعلنا الله من المصدقين بكرامات أوليائه، وحشرنا في زمرة أصفياه؛ لأن من أحب قوما حشر معهم.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال أبو يزيد المذكور: «لو صفت لي تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشيء». وأرسل ذو النون المصري إلى أبي يزيد رجلاً، فقال: "قل له إلى متى النوم والراحة، وقد جاءت القافلة؟"، فقال له أبو يزيد: "قل لأخي ذي النون: "الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح قبل القافلة!"، فقال ذو النون: "هنيئاً له، هذا كلام لا تبلغ إليه أحوالنا".

وكتب يحيى بن معاذ لأبي يزيد: "سكرت من كثرة ما شربت". فأجابه أبو يزيد: "عبد شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد، ولسانه خارج وهو يقول: وأنشدوا: [وافر]

شَرِبْتُ الْحُبَّ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ      فَمَا نَفَدَ الشَّرَابُ وَمَا رَوَيْتُ<sup>1</sup>

**قال القشيري:** «وكتب له أيضاً: "هاهنا من شرب كأساً فلم يظماً بعده"، فكتب إليه

أبو يزيد: "عجبت من ضعف حالك هاهنا من تحساً بحورا وهو فاغر يستزيد".

وقال أبو يزيد: "خطر لي مرة خاطر وأنا شيخ الوقت، فخرجت لطريق خراسان، فجلست، وحلفت على نفسي ألا أقوم حتى يوجه إلي الحق سبحانه من يعرفني بنفسي. فمكثت ثلاثة أيام بلياليها قاعداً، فلما كان في اليوم الرابع أشرف علي رجل أعور على راحلة، فشهدت فيه حالاً، فأخرجت يدي وأومأت إلى الجبل فساح برجليه في الأرض اليابسة. فنظر الرجل إلي وقال: "تُلْحِنِي أَنْ أَفْتَحَ عَيْنِي الْمَغْلَقَةَ، فَأَغْرُقَ بِسْطَامَ وَأَهْلَهَا وَأَبُو يَزِيدَ

<sup>1</sup> - في (أ) ورد الشطر الثاني من البيت هكذا: فَمَا بَعْدَ الشُّرُوقِ وَمَا رَوَيْتُ. وهو خلاف ما جاءت به بقية النسخ. وهو ما أثبتناه، والبيت لأبي يزيد البسطامي، ضمن مقطوعة من أربعة أبيات. ينظر:- فاروق شوشة، أحلى عشرين قصيدة في الحب الإلهي. دار الشروق. ط1. بيروت، لبنان. 1991م. ص27-عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية (أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية)، دار الرشد. ط1. القاهرة (1412هـ/1992م). ص54. وذكر صاحب "الإحياء" هذا البيت ضمن مقطوعة من خمسة أبيات دون ذكر قائلها. ينظر: الإحياء. ج4. ص496-497.

معهم"، ثم التفت إلي فغشي علي، فلما أفقت قلت له: "متى أقبلت؟، ومن أين [أقبلت]؟"<sup>1</sup>، فقال: "[من الوقت]<sup>2</sup> الذي عقدت فيه [نيتك]<sup>3</sup> وبين الحق سبحانه، وجئتك من وراء ثلاثة آلاف فرسخ". ثم قال لي: "احفظ قلبك وحول وجهك عني".

### المنقبة التاسعة والأربعون

ومن مناقب ولي الله العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله، ونفعني بنيتي فيه\_ ما حدثني به الطالب الأجل الفخر الأفاضل أبو محمد أفنيش الهواري النسب القلعي الدار، أنه قال: "مرضت مرضاً أشرفت منه على الموت إلى ذات ليلة رأيت الشيخ عند رأسي عياناً، فأردت أن أقبل قدميه فوقعت على وجهي، فرفع الله عني المرض، ثم بقيت أياماً فرأيتته عند رأسي فمددت يدي لأقبل يده ففتحني عني". وقال السيد المذكور: "ظننت أن يده مست ثوبه، فبعد أن شفاني الله ببركته ذهبت إليه فسلمت عليه"، فقال لي: "كيف حالك؟"، فقلت: "بخير، لكن يا سيدي نسيتني"، فصار يكرر علي: "نسيتني" ثلاث مرات، فقال: «إن لم ترني عند رأسك مرتين فأنا نسيتك». قال السيد أفنيش المذكور: "فخجلت عند ذلك. ثم إن الشيخ غشي عليه عند ذلك حتى ظننا أنه مات ثم أفاق وهو أصفر اللون كالزعفران".

### المنقبة الخمسون

ومنها ما حدثني به محمد المذكور أن الشيخ حدثه مشافهة، وذلك أنه قال/ [28ظ] ذهبت مرة مع بعض أصحابي لموضع فجنني الليل، فبعثت رجلاً من أصحابي لرجل من أهل الدوار كنت أعرفه، وقلت له: "قل له أحمد بن يوسف، قال لك: نبيت عندك الليلة"، فقال أحمد بن يوسف: "ارشم"، فرجع الرسول فقال له الشيخ قبل أن يتكلم بشيء: "قال لك: ارشم"، يا أخي ارشم. ثم بعث لآخر ففرح بهم، وكانوا عنده في فرح وسرور ونية خالصة، وفعل مشكور. ثم كان من قضاء الله وقدره أن اشتكى الرجل الذي قال: "ارشم بمسأطته،

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - كذا في (ا) و(ك)، وفي (ب) و(د): "في اليوم الذي".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

فقال: "إيتوني بعمي فلان الصانع"، فرشمه من كعبة رجله اليسرى إلى مساطته، ثم انتقل له الوجود إلى بطنه فرشمه الصانع، ثم لظهره، ثم لجنبه، ثم لعنقه، فرشم جسده كله. ثم بعد الرسم بالنار على ما وصف بل المسخ، والعياذ بالله من القول في أولياء الله. ثم لم يلبث الرجل إلا قليلاً ومات. انظر لبركة هذا الشيخ ما أعظمها مع أنه لم يدع على الرجل، وإنما قال: "ارشم"، فرشمه الله ومسحه.

### المنقبة الواحدة والخمسون

ومنها ما حدثني به السيد المذكور عن عزوز البطحي أنه قال: كنت مع الشيخ سيدي أحمد بن يوسف حين أخذ الشيخ حمر السبيبي، والأدغم وعثمان بقر دوار سيدي أحمد وبعض أصحاب سيدي أبي عبد الله بن واضح؛ لكونهم مع سيدي أحمد في دواره، فتبعتهم أنا والشيخ، وكان العام مسغبة، فلحقنا بعثمان، وأما الأخران فذهبا بالبقر. فقال عثمان لسيدي أحمد: "نرد بقرك، وأما بقر غيرك فلاكلنها"<sup>1</sup>. فقال له الشيخ: "إما أن ترد الكل أو تأكل الكل". فطبع الله على قوله ثم كان من قضاء الله وقدره أن أغار الأدغم وحمر السبيبي على عكرمة بعض أعراب منداس، فقاتلوهم على أموالهم، فقتل حمر السبيبي والأدغم في الحين، وبقي عثمان. ثم بعد ذلك جلس عثمان مع بعض أصحابه يتحدث وحصانه يرعى. ثم إنه تضارب مع حمار رجل من أصحاب عثمان المذكور، فقام عثمان لحصانه يأخذه لئلا يؤذيه الحصان الآخر. فترك حصانه الحصان الآخر وضرب مولاه لجبهته ألقاه ميتاً. انظر يا أخي لهؤلاء الثلاثة، كيف أهلکهم الله وانقم منهم ببركة ولي الله!.

### قلت:

وقد جرى مثل هذا للسيد يعقوب المغراوي مع الجباري عبد القوي التجاني على ما ذكره سيدي موسى بن عيسى المذكور، ونصه: إنه قيل لعبد القوي بن العباس التجاني أن دخائر مغراوة حملت كلها بزواية الشيخ سيدي أبي يعقوب، فجاء بقبيله ومحلته ونزل بشلف،

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "فناكلها".

ثم سار بجيشه للزاوية، واستلبوا كل ما وجدوه، وانتهكوا الحريم وجردوا النساء من داخل المسجد، وكل ذلك على عين الشيخ سيدي أبي يعقوب. فاجتاز عليه عبد القوي فقال له: ادع لنا يا شيخ، فقال له: يا عبد القوي، يا عبد القوي، وكررها، يعني الدعوة عليه لا له. فما وصلوا للمكان المسمى "تيزنان يعمانين" حتى خرجت أحشاؤه من دبره وأخذه وجع قوي فصار الشيخ يرمق السماء بعينه، والنساء والولدان والشيخ والكبار حوله يبكون وينحبون فما وصلوا إلى مكان تحت "أبي حرش" حتى مات. فلما رأى بنو تجين ما حلّ بأمرهم فزعوا وداخلهم الرعب، فردوا جميع ما استلبوه للزاوية، حتى لم يبق منه إلا حمارة عليها رجاء. فكان من حكمة الله كلما دخلت دوارا من دواويرهم أنزل الله به مصيبة/ [29و] فألهموا للحمارة، وردوها من شلف تلك الليلة، وأنشدوا: [وافر]

أَتَهْرَأُ بِالِدُعَاءِ وَتَزْدْرِيه  
تَأْمَلُ مَا صَنَعَ فِيكَ الدُّعَاءُ  
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُحْطِي وَلَكِنْ  
لَهَا أَمْدٌ وَلِلْأَمْدِ انْقِضَاءٌ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - البيتان لرجل من البصرة ورد ذكره ضمن هذه القصة على غير هذا الترتيب في كتاب (العبر)، تأليف عبد الله بن محمد بن علي حاجب النعمان قال: ولقد حدثني أفضى القضاة الماوردي بحكاية عجيبة وصدقها ابن الهدد وابن الصقر فراشا سائر الملقب بجلال الدولة ابن بويه ملك البصرة قبل بغداد وكان المعروف بكبوش قد وزر له واستولى على أمره فقبض على رجل من بناء البصرة وصادره واستأصله وخلاه كالميت وكان يدعو عليه. فلما كان في بعض الأيام ركب بكبوش في مركب عظيم فصادف الرجل فسبه فقال له الرجل: الله بيني وبينك والله لأرمينك بسهام الليل. فأمر بالإيقاع به فضرب حتى ترك ميتاً. وقال له سهام الليل هذه سهام النهار قد أصابتك. فلما كان بعد ثلاثة أيام من ذلك قبض جلال الدولة على بكبوش وأجلس في حجره على حصير ووكل به من يسئ إليه، فدخل الفراشون لكنس الحجرة، وشيل الحصير الذي تحته فوجدت رقعة فاخذها الفراشون وسلموها إلى ابن الهدد فراش سائر فقال: من طرحها فقالوا ما دخل أحد ولا خرج فقرأت فإذا فيها :

سهام الليل لا تخطي ولكن  
لها أمد وللعهد انقضاء  
أتهرأ بالدعاء وتزدريه  
تأمل فيك ما صنع الدعاء

فاخير جلال الدولة بحاله وشرح له القصة جميعها فأمر الفراشين بضرب فكّه حتى تقع أسنانه، ففعل به ذلك وعذب بكل نوع حتى هلك. والهمزة مكتوبة على السطر. ينظر: تذكرة الخواص: للعلامة سبط ابن الجوزي (ت 654هـ)، تأليف يوسف بن فرغلي ابن عبد الله البغدادي. إصدار مكتبة نينوى الحديثة بغداد. د.ت. ص. 377. غير أنني عثرت عليها أثناء تفحصي لديوان الإمام الشافعي وقد تصرف فيها من نقلها عمداً أو خطأً. فقد جاءت في الديوان كما يلي:

أَتَهْرَأُ بِالِدُعَاءِ وَتَزْدْرِيه  
وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الْقَضَاءُ  
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُحْطِي  
لَهَا أَمْدٌ وَلِلْأَمْدِ انْقِضَاءٌ=

انتهى من سيدي موسى المذكور .

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وما ذكره أبو الفرج الجوزي أن بعض الوزراء فشا ظلمه للرعية بمدينة، وانتهى حاله إلى أن سمع بعروسة تزف لبعلمها، بعث إليها، فإن أعجبتة افتضها، وإلا ردها. فلما أن أراد الله بإنفاذ حكمه فيه حضر عرس يتيمة من جيران رجل صالح، فلما كان يوم البناء بها بعث خدامه بمطية إليها، فصار بعلمها يبكي، فاجتاز عليه جارها الصالح، فقال له: "ما بالك؟"، فأخبره، فقال له: "أوهذه عادة؟"، فقال: "نعم". قال الصالح: "وأين السلطان والقاضي والأشياخ؟"، فقال له الرجل: "السلطان محجوب، والقاضي مغلوب، والأشياخ قد امتلأت بطونهم من الحرام". فقال الولي الصالح جار اليتيمة المذكورة لخدام الوزير: "انصرفوا بدابتكم يا فسقة، وقولوا لسيدكم الفاسق يرجع عما هو عليه من الضلالة، قبل أن يحيط الله به ما لا طاقة له به". فضعوا، واستخفوا بحرمة الشيخ الصالح المذكور. فمضوا وأعلموا الوزير المذكور، فقواهم بأعوان كثيرة. فقام عليهم الشيخ، واجتمعت العامة، وامتأ الزقاق. فبلغ الوزير الخبر، فجاء في أعوان كثيرة، فطرد الناس، وبقي الشيخ بين يديه وحده، فقال له الشيخ: "سر عن هذا المكان، فقد أغضبت الله والملائكة والناس، ولم يأت أحد مثل ما أتيت"، فقال الوزير لخدامه: "خذوه أخذاً عنيفاً، واقتلوه". فاحمر وجه الشيخ، واضطربت مفاصله، ولحظ السماء بطرفه، وقال: "هكذا تعلق كلمة من اتبع هواه وجعله من دونك إلهاً، خذ يا رب العالمين، فقد بارزك وتجراً، وتواضح عليك وتمرد. فإن كانت لي دعوة مدخرة فقد احتجتها، وإن تأخر الوقت، فهذه مظلمة قد كثر مقتها، فأنت

= ينظر: ديوان "الإمام الشافعي: "المسمى الجوهر النفيس في الإمام محمد بن إدريس. إعداد وتع، وتق محمد إبراهيم سليم. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. ت. ص 12. وقد ذكرها أيضاً الأبيهي في المستطرف وزاد بيتاً ثالثاً على البيتين ولم يذكر قائلها

فَيُؤَسِّكُهَا إِذَا مَا شَاءَ رَبِّي      وَيُرْسِلُهَا إِذَا نَفَدَ الْقَضَاءُ

- ينظر: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبيهي: المستطرف في كل فن مستظرف. تح محمد خير طعمه الحلبي. ط. 5. دار المعرفة. بيروت لبنان (1429هـ/2008م). ص 159.

الآخذ بنواصي المجرمين، والقاطع لصياصي الظالمين". فمشت المطية بالوزير، ورمته وألقته في الأرض، وضربته فهشمت رأسه وكسرت أسنانه، ووقفت على رجلها، ورفعت يديها، ثم وطئته بين كتفيه، وهو على رجله، فنفذنا من صدره، فمات وكفى الناس شره وفسوقه».

### \_ [منقبة أولى لصالح بن علي]:

**قلت:** وقد وقع مثل هذه الحكاية في قلعتنا \_حرسها الله\_ لولي الله سيدي صالح بن علي، ضريحه الآن بأعلى قبة سوق السبت من القلعة المذكورة مع أمير وقته وذلك في القرن السادس \_والله أعلم\_ علي ما أخبرني به الشيخ المسنون من أهل الامتاع، بما سمعوه عن آبائهم وأجدادهم ، ينقلون ذلك جيلاً بعد جيل، وقرنا بعد قرن. وذلك أن أميراً كان معاصراً لسيدي صالح يسمى السمحاق، \_قيل هو الذي بنى القلعة\_، وكان الأمير مشهوراً بالفسق، لا تدخل عروسة لزوجها حتى يكون هو الذي يبتكرها ويزيل عذريتها، ويردها لزوجها. فكان من قضاء الله وقدره أن وقع عرس لبنت خديم سيدي صالح بن علي المذكور \_نفعني الله به وبأمثاله، آمين\_ فبعث إليه الأمير علي عاداته في افتضاض الأبقار وغصبه لهن. فامتنع أبوها، وذهب لشيخه سيدي صالح يبكي. فأتى سيدي صالح للأمير المذكور، ووقف عند باب قصره، وقال: "أينكم يا أهل الدار الخالية؟"، فقلب الله القصر بالأمير، ومن كان فيه من آدمي وحيوان وغير ذلك، فصار / [29ظ] الأعلى أسفل والأسفل أعلى، وكفى الله الناس شره وفسوقه والقصر المذكور الآن بقلعتنا كما وصف، وإن الأسفل أعلى والأعلى أسفل، وأنه خالٍ لا عمارة فيه، كما قال الشيخ سيدي صالح: "أينكم يا أهل الدار الخالية؟"، فأخلاه الله ببركة ولي الله حتى لم يبق له أثر ولا خبر، والحمد لله.

### \_ [منقبة ثانية لصالح بن علي]:



وسيدي صالح هذا له مناقب عديدة وكرامات كثيرة لم أسمع منها إلا هذه. ومنقبة أخرى أن سيدي صالح كان الحبل تقلي ثوبه فاجتاز عليهم العقاب يخوفهم، فدعا عليه فكان لا تعيش له ذرية، بهذا أخبرني أكابر قلعتنا، ينقلون ذلك كبيراً عن كبير<sup>1</sup>.

### ـ حكاية في المعنى:

قال الشطنوفي: «وذكر عن الشيخ سيدي حماد الدباس<sup>2</sup> أنه مر ببعض قرى بغداد فرأى بعض أمراء الدولة راكبا سكران، فأنكر عليه الشيخ فأغلظ العامل عليه في الكلام. فقال الشيخ سيدي حماد الدباس: "يا فرس الله خذيه". فعادت به فرسه كالبرق الخاطف يسبق البصر، ولم يعلم أين ذهب. وبعث الخليفة الخيل وراءه فلم يروا له خبراً ولم يقفوا له على أثر، فقال الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء: "وعزة من له القوة لم يستقر به فرسه دون بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل إلا ذهب به حتى ذهب به إلى وراء جبل قاف، ومن ثم يبعث".»  
ومنه أيضاً: «كان الشيخ سيدي يوسف بن أيوب الهمذاني رحمته الله يتكلم على الناس فقال له فقيهان: "اسكت، فإنك مبتدع"، فقال لهما سيدي يوسف: "اسكتا لا عشتما"، فماتا مكانهما.»

قال سيدي موسى بن عيسى المذكور رحمه الله: «وفي الحديث عنه عليه السلام «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»<sup>3</sup>. وعنه عليه الصلاة والسلام إن الله يقول: «من احتذى بي حميته، ومن توكل علي كفيته، ومن رضي عنه محبوبه حصل له مطلوبه». وأنشدوا لسيدي عبد القادر نفعنا الله به، آمين: [الطويل الثالث].

أَظْمَأُ وَأَنْتَ الْعُدْبُ فِي كُلِّ مَوْرِدٍ؟! وَأُظْلَمُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ نَصِيرِي؟!!

<sup>1</sup> - في (ب): خلف عن سلف.

<sup>2</sup> - حماد بن مسلم الرحبي الدباس من متصوفة بغداد، وهو من مشايخ قطب الأولياء محي الدين عبد القادر الجيلاني. توفي ببغداد سنة 525هـ. ينظر عيسى صفاء الدين البندنجي القادري: جامع الأنوار في مناقب الأخيار: ص 402.

<sup>3</sup> - في (ب): فقد بارزني بالمحاربة.

وَعَارٌّ عَلَى حَامِي<sup>1</sup> [الحمى] وَهُوَ قَادِرٌ إِذَا ضَاعَ فِي الْبَيْدَاءِ عِقَالُ بَعِيرِي

### المنقبة الثانية والخمسون

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله [ونفعني به آمين]<sup>4</sup> \_ ما حدثني به السيد محمد أفنيش المذكور قبله أنه طولب بحنبل يجعله للقائد أحمد قايد هواره حينه لم يجده واهتم لذلك هما شديداً، قال: فتمت وكأني ذاهب في طريق فعرض لي أسد فخفت منه وتتحيت عن الطريق، فلما رأني خائفاً وأنا مغموم من أجل الحنبل الذي طلبه العامل المذكور مني قال لي: "اذكر الله ولا عليك من أحد"، فاستيقظت ثم ذهبت إلى الشيخ سيدي أحمد وذكرت له ما رأيت في منامي فقال لي بكلامه الزناتي: ["داداك ذاك"]<sup>5</sup>، اذكر الله ولا تخف من أحد"، فكان الأمر كما رأيت، فلم يطلبني أحد في الحنبل ببركة الشيخ والحمد لله.

**قلت:** وقد وقع مثل هذا لسيدي أبي البيان واضح بن عاصم المكناسي المدفون الآن بجبل وافر الشان \_نفعني الله ببركته وأفاض علينا<sup>6</sup> من أنواره\_، وذلك أن سيدي موسى ابن عيسى المازوني ذكر «أن رجلاً من فضلاء طلبه بلاده أخبره أنه طولب بعودة مغرم، فلم يكن عنده ما يدفع، فرفع إلى الولي، فتوسلت بالشيخ إليه عند قبره، ومشيت للولي،/ [30و] فلما وصلنا المحلة وضعت رأسي تحت شجرة من العياء، وأخذني نوم خفيف، فإذا الشيخ على الصفة التي يوصف لنا بها الشيخ سيدي واضح، واقف علي، وقال لي: "مالك خفت، أنت مخلص هذه براءتك!"، فقال: نظرت إلى البراءة فرأيت فيها ما يتضمن خلاصي،

1 - في (ك): "جار".

2 - ما بين المعوقين ساقط من (ا).

3 - كذا في (ب) و(د) و(و) في (ا) و(ك): "قيد بعيري".

4 - ما بين المعوقين إضافة من (ب) و(د). وجاءت كلمة نفعني في (د): "نفعنا".

5 - العبارة بين المعوقين غامضة في (أ) و(ك). وجاءت هكذا: "أبردادك ذلك". وفي (ب) و(د) جاءت: ["داداك ذاك"] بالزناتية وأثبتناها لأنها هي الأصح أي: معناها بالعربية "سيّدك هنا". وتعني الفخر وإعلاء شأن الذات.

6 - في (ا): "علي".

فانتبهت فرحاً. فبينما أنا كذلك وإذا برجل يقول لي: "أبشر خلصك الله هذه [البراءة لك]"<sup>(1)</sup>، فأخذت البراءة فإذا هي بعينها التي ناولني الشيخ في منامي».

### المنقبة الثالثة والخمسون

ومنها ما حدثني المرابط عبد الله الملقب أخلال القلعي أن الشيخ حدثه مشافهة، وذلك أنه قال: قدمت من بجاية إلى رأس الماء موضع بالقرب من أم العساكر بالبلاد الراشدية، فوجدت أبي قد رحل غضبان من دواره لدوار آخر، ففرحوا به وأكرموه. وكان رجل عامي قد هرب بامرأة وأتى بها أهله في ذلك الدوار الذي كان فيه أبي، وصار يزني بها جهاراً. فقلت لأبي: "نرحل من الموضع الذي لا نهى<sup>2</sup> فيه عن المنكر". فقال: "يا بني خذ أمة تجعل لك ما تأكل، واذهب لموضع شئت، أنا استحييت من الناس الذين فرحوا بي"، فقال: "ذهبت ورفعت أمري لقاضي بني راشد؛ لكي يغير المنكر، فلما رأيته مقبلاً عليه لم يرفع طرفه إلي وأعرض عني بعد أن أخبرته بالقصة، فأعلم الهارب بما صدر مني، فصار يحلف في، ويقول: "حتى نغرق<sup>3</sup> فرس أحمد بن يوسف، وأفعل به كذا وكذا"، فقلت: "الذي بلغني منه قوله، ولئن لم يرجع على فعله القبيح حتى يحيط الله به من البلاء ما لا طاقة له به"، ونحو ذلك.

### قلتُ:

وأخذ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ في نهيه عن المنكر بالحديث الصحيح عنه \_عليه الصلاة والسلام\_: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً جائراً، لا يبجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب له،

<sup>1</sup> \_ صححت في هامش (أ): براءتك.

<sup>2</sup> - في (أ) و(د): " لا ينهاي".

<sup>3</sup> - كذا في جميع النسخ بصيغة الجمع، والأفصح " أغرق".

وتستصرون فلا تتصرون، وتستغفرون ولا يغفر لكم»<sup>1</sup>. وقال عمر رضي الله عنه: «إن الله ليغضب العامة بذنوب الخاصة، لكن إذا عمل المنكر جهاراً، استحقوا العقوبة عليهم». وفي الحديث عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ «إن الله أوحى لجبريل أن أقلب مدينة كذا على أهلها، قال: يا رب، فيها عبدك الصالح فلان؛ وهو لم يعصك»، فقال له: «أقلبها عليه وعليهم؛ فإنه لم يتمر وجهه لي قط». انتهى من سيدي موسى بن عيسى المذكور.

**قلت:** ومعنى "لم يتمر وجهه" أي يتغير، كذا في تفسير اللغة لسيدي الإمام الولي سيدي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي \_ نفعنا الله به وبأمثاله، أمين \_.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وفي الحديث عنه رضي الله عنه: «إن الله أهلك قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء إلا أنهم كانوا لا يغضبون الله»<sup>2</sup>. وفي [الحديث]<sup>(3)</sup> عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ «إن الله أوحى ليوشع أني مهلك من قومك مئة ألف، (أربعون ألفاً من الأخيار وستون ألفاً) من الأشرار، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ قال: لأنهم لم ينهوه عن المنكر، وهروبهم عليه»<sup>5</sup>. وعنه \_ عليه الصلاة والسلام \_: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - أصل هذا الحديث في مسند أحمد والسنن، وإنما رواه بهذا اللفظ ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (رقم: 8)، ص 49. وذكره أبو حامد الغزالي في الإحياء على الوجه الآتي: قال رسول الله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم». أبو حامد الغزالي: الإحياء ج2، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المكتبة التوفيقية. القاهرة. مصر. د.ت. ص435.

<sup>2</sup> - ذكره أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين: ج2، ص438. وكتب على هامش نفس الصفحة (لم أقف عليه مرفوعاً)..

<sup>3</sup> \_ ما بين المعقوفين مستدركة في هامش (أ).

<sup>4</sup> - كذا في (ا) و(د) و(ك) بالرفع. أما في (ب): «أربعين ألفاً من الأخيار وستين ألفاً من الأشرار. وهو الأصح. لأن كلاهما معطوف منصوب.

<sup>5</sup> - هذا ليس حديثاً نبوياً، وإنما يروى من كلام بعض العلماء، وقد رواه ابن أبي الدنيا من كلام إبراهيم بن عمرو الصنعاني: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ص 10. وذكره أبو حامد الغزالي في الإحياء ج2، هامش ص438.

<sup>6</sup> - رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان وغيرهم: - مسند أحمد (رقم: 29): ج1/ ص208.

- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود. كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي. تح: شعيب الأرنؤوط، محمّد كامل قره بللي. (رقم: 4338): ج6 ط1، دار الرسالة العالمية. 1430 هـ - 2009 م. ص393.

- سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر (رقم: 2168): ج4/ ص37 =

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض واجب بشرطين: القدرة والتمكين؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(1)</sup> / [30ظ]، فإذا ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عوجلوا بالعقوبة، إما في أموالهم بأن يسلب الله عليهم من يأخذها منهم قهراً وغلبة كالسلاطين الظلمة، أو أعوانهم أو بجوائح تصيب جناتهم وحرثاتهم وخسارة في تجارتهم أو بقلة إصابة الرأي في أمورهم، أو بإصابتهم في أبدانهم بالمؤلمات، وانتهاك الحرم، ونقصان المراتب وقلة الوقار، ويوشك أن يدعو الداعي فلا يستجاب له بسالف ذنوبه وذنوب غيره.

واختلف في إنكار المنكر عند من يخشى أذاه ويتقى شره. فالجمهور على أنه إذا خاف ما يترتب منه من المفسدة فيكفيه إنكاره بقلبه. وذهب بعضهم إلى قول الحق وإنكار المنكر كيف كان، وعلى [أي] وجه كان. فمن ذلك ما روي أن رجلاً أمر بالمعروف عند هارون الرشيد فأمر به فربطوه مع بغلة سيئة الخلق شديدة ضرباً فلم تفعل به شيئاً، ولم تضره بشيء، فقال: "اطرحوه في بيت وطينوا عليه بابه"، ففعلوا ذلك، ثم رأوه في بستان وباب البيت الذي أغلقوه عليه بالطين كما كان فأخبروا هارون الرشيد بذلك فقال: "إيتوني به"، فأتوه به، فقال له هارون الرشيد: "من أخرجك من البيت؟"، فقال الرجل: "الذي أدخلني البستان!"، قال له: "ومن أدخلك البستان؟"، قال: "الذي أخرجني من البيت!"، فقال الرشيد: "أركبوه دابة، وطوفوا به في الناس، وقولوا: إن الرشيد أراد أن يذل عبداً أعزه الله فلم يقدر!"». انتهى من سيدي موسى المذكور.

### — حكاية في المعنى:

= ابن حبان محمد بن أحمد أبوحاتم التميمي البستي: "صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، تح: شعيب الأرنؤوط، كتاب البر والإحسان، باب ذكر البيان بأن المنكر والظلم إذا ظهر كان على من علم تغييرهما حذر عموم العقوبة إياهم بهما . (رقم: 304): ج1، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت. 1414هـ - 1993م / . ص 539 .

<sup>1</sup> \_ سورة الحج، من الآية 41: وتتمتها: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

ذكرها صاحب الكتاب المسمى بزهر الأكمام في قصة يوسف عليه السلام، ونصه: «حكي أنه سيق "للحجاج" رجل كان يطلبه أياماً<sup>1</sup> فلما حضر بين يديه، قال: "أي عدو الله، قد أمكنني الله منك، احموه للسجن، وقيدوه بقيد ضيق ثقيل، وابنوا عليه بيتاً لا يخرج منها، ولا يدخل". قال: "فحملت إلى السجن، وأحضر الحداد، فطلع<sup>2</sup> القيد". فكان الحداد إذا ضرب مطرقة يرفع الرجل رأسه إلى السماء ويقول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾<sup>(3)</sup>، فلما فرغوا من القيد الذي قيدوه به بنى السجان عليه البيت، وتركه<sup>4</sup> [فيه]<sup>5</sup> وحيداً فريداً فداخله<sup>6</sup> الوجد والذهول وجعل لسان حاله يقول: [خفيف]

يَا مُرَادَ الْمُرِيدِ أَنْتَ مُرَادِي      وَعَلَى فَضْلِكَ الْعَمِيمِ اعْتِمَادِي<sup>7</sup>  
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ مَا أَنَا فِيهِ      لَحْظَةً مِنْكَ بُغِيَّتِي وَأَقْتِصَادِي  
سَجَنُونِي وَبَالِغُوا فِي امْتِحَانِي      وَيَحْ نَفْسِي لِغُرْبَتِي وَأَنْفِرَادِي  
إِنْ أَكُنْ مُفْرَدًا فَذِكْرُكَ أَنْسِي      وَسَمِيرِي إِذَا عَدِمْتُ<sup>8</sup> رُقَادِي  
إِنْ تَكُنْ رَاضِيًا فَلَسْتُ أَبَالِي      أَنْتَ تَدْرِي الَّذِي ثَوَى فِي فُؤَادِي

فلما جن الليل جاء السجان بأعوانه وعسايسه فعسوا عليه، حتى أصبح تفقده السجان فإذا القيد ملقى والرجل ليس له أثر ولا خبر، فخاف السجان من الحجاج، وأيقن بالموت

1 - في (ب): "زمانا".

2 - في (ب): "فصنع القيد".

3 - سورة الأعراف، من الآية 54: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ». وقول المؤلف: "ويقول: ﴿ألا له﴾ مستدركة على هامش (أ).

4 - في (أ): "وتركوه".

5 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

6 - في (ب): "فتداخله".

77- الأبيات المذكورة في: "زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام"، غير أن المؤلف لم يذكر اسم قائل الأبيات بل ذكر أنه "رجل من الأكابر كان يطلبه الحجاج زمانا". ينظر: أبو حفص عمر بن إبراهيم الأنصاري الأوسي (ت751هـ)، تح كمال الدين علام. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان (1424هـ/2003م). ص145.

8- وردت: "منعت" في زهر الأكمام. ينظر: المرجع نفسه. ص145.

فسار لأهله وودع أولاده وأهله وأخذ كفنه وحنوطه في كُمَّه، ودخل على الحجاج. فلما وقف بين يديه شم الحجاج رائحة الحنوط، فقال: "ما هذا؟"، فقال الرجل السجّان: "يا مولاي أنا أتيت بها"، فقال: "وما حملك على ذلك؟"، فأخبره بقضية الرجل المسجون، فقال الحجاج: "ويحك، أسمعته يقول شيئاً؟"، قال: "نعم، كان إذا ضرب الحداد بالمطرقة ينظر إلى السماء ويقول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾<sup>(1)</sup>"، [31و] فقال الحجاج: أما علمت أن الذي ذكره وأنت حاضر سرحه وأنت غائب». انتهى منه رحمه الله.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وكان النوري رحمه الله لا يسأل عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وإذا رأى منكراً غيره، ولو كان فيه تلف نفسه. قالوا: إنه رأى يوماً زورقا فيه ثلاثون دنا، مكتوب عليها بالقار فقراه، فأنكره فقال للملاح: "أي شيء هذا الدنان؟"، فقال له: "أنت صوفي فضولي، هذا خمر للمعتمد يريد أن يتم به مجلسه"، فصعد للزورق وصار يكسرها دنا دنا، حتى لم يبق منها إلا دن واحد، والملاح يستغيث بصاحب مركب آخر، فقبض على النوري وأحضر بين يدي المعتمد، فلم يشكوا<sup>2</sup> أنه يقتله، فأدخل عليه، وهو جالس على كرسي من حديد ويده عمود يقلبه، قال النوري: فلما رأني قال: "من أنت؟"، قلت: [محتسب]<sup>3</sup>، قال: "من ولاك الحسبة؟"، قلت: "الذي ولاك الخلافة"، فأطرق في الأرض ساعة، ثم رفع رأسه إلي، وقال: "ما الذي حملك على ما صنعت؟"، قلت: "شفقة عليك، فبسطت يدي لنصرف عنك مكروها<sup>4</sup>"، فأطرق برأسه يتفكر في كلامي، ثم رفع رأسه وقال: "لأي شيء تركت هذا الدن الواحد؟!"، قلت: "في تخلصه<sup>5</sup> سر نخبرك<sup>6</sup> به إن أذنت لي". فقال: "أخبرني بذلك"، فقلت: "إني قدمت على الدنان لمطالعة الحق سبحانه لي بذلك، وبما

1 - سبق تخريجها.

2 - كذا في كل النسخ، والصواب: فلم يشك.

3 - ما بين المعوقين ساقط من (ب).

4 - كذا في (ا) و(ك)، أما في (ب) و(د): لنصرف مكروه عنك، وهو الأصح.

5 - في (د): في تخلصه.

6 - في (ب) و(د): أخبرك.

في قلبي من شاهد الإجلال للحق تعالى، وخوف المطالبة بغائبة غيبة الخلق عني لغيبة الحق، فقدمت عليها موكل بهذا الحال إلى أن سرت لهذا الدن فامتألت نفسي كبراً، وعجبت فامتعت لذلك من كسره، ولو قدمت بالخاطر الأول على ملء الأرض دنانا ما كسرتها، ولم أبال". فقال له المعتمد: "اذهب، فقد أطلقت يدك بغير ما أحببت، فقلت له: "لا أفعل يا أمير المؤمنين؛ لأنني كنت أغير الله عَزَّ وَجَلَّ والآن أغير شرطياً"، فقال المعتمد: "ما حاجتك؟"، قال: "أن تأذن لي بالخروج"، فأذن له، فخرج للبصرة خوفاً أن يستشفع به إليه.

وذكر أن النوري قال: دخلت بعض المدن وبي فاقة شديدة، ولي سبعة أيام ما أكلت الطعام، فبينما أمشي في المدينة إذ وقع لي خاطر من نفسي يطالبني بالتزويج، فقلت: "يا نفسي، سبحان الله على مثل ما أنا عليه من التجريد والغربة والفاقة يعرض لي هذا الخاطر"، فعملت في قطعه، فلم يَنْتَفِ. فبينما أنا أمشي متفكراً، وإذا بأعوان تعلقوا بي مع جندي "فلبيني"، وقال: "سرتك منطقتي"، فرفعوني للشرطي، فعلمت أنها عقوبة الخاطر، فسألوا عن حالي، فما نطقت بشيء، فخلوا عني، فإذا الخاطر يقول لي: "ما مثلك من يُمْتَحَنُ". فعلمت أنها آفة عرضت لي فكرهت ذلك، وانتظرت البلاء في الحال وإذا بهم عادوا إليّ وحملوني للسلطان، وقالوا إنه أخذ منطقتي. فقال لهم: "فتشوه"، فرفعوا ثيابي، فإذا بها في وسطي بإذن الله، فقلت: "إنها عقوبة من الله وأمرٌ يُرِيدُهُ بي، لأجل خاطري وأيقنت بنزول البلاء، غير أنني كنت ساكتاً فاغتاظ السلطان من سكوتي، وقال: "سبحان الله، ظاهر الصالحين، وفعلك فعل المتلصصين". وهددني بالعقوبة، وصلبني وغلني واعتقدت أن لا أنطق بحجة، ولا أنصر نفسي بكلمة إلا السكون تحت جريان القضاء والقدر. ونودي علي من أراد أن يحضر عقوبة لص وراء فليات غدا فجلست بقية يومي ذلك بمكاني لشطر الليل. فوقع في خاطري عتاب لطيف، واستخرج/ [31ظ] مني الدعاء، وانبسبت إلى الانجلاء ونوديت في سري: "ألا تسألني حاجة وأنت في هذا البلاء، أفلا تستقيلنا من الخاطر السوء<sup>1</sup> فنقيلك، أو لا

1 - كذا في جميع النسخ ولعل الصواب: "الخاطر السيء".



تسألنا عن بساط محبتنا فنعطيك، فانبسطت إلى التملق والتضرع، وسألته أن يعرفني ذنبي وأن يعينني على التنصل والاعتذار منه ويقبل توبتي، فألقى إلي أنه فكرتي في التزويج وميلي لشيء من راحة الدنيا ونظري إلى عملي، وسكوني إلى النصره التي رجعت على تحليته لي في الحال الأول، وأن لي من المنزلة فلا ينزل البلاء علي. فلما ذكرت قبح ذنبي ألصقت بالأرض خدي، وبكيت وخشعت للحي القيوم، ودعوته فأجابني، وسألته الإقالة فأقالني. فقلت: "سيدي صبرت عن كل شيء إلا عن أداء فرضي فليس لي عنده صبر، فحل وثاقي حتى أصلي، وكنت صليت المغرب والعشاء إيماء، فإذا بالحديد عني ناحية. فقامت حتى صليت ثم رجع الحديد علي بإذن الله، وإذا بوجبة في السجن والأقفال تفتح والنداء علي بصوت عال: "أين ولي الله المظلوم؟"، فحملت للسلطان بالليل، ففرق الغلمان وأبعد الحاشية وخلا بي وحدي، وقال لي: "أي شيء كان بينك وبينه حتى ابتلاك بهذه البلوى؟"، ثم أمر بحل القيود، فقلت له: "لا أقول لك حتى تقول السبب الذي أزعجك لإخراجي في هذا الوقت"، فقال لي: "كنت نائماً وإذا بأسود عظيم الخلقة واقف على رأسي، وبيده حربة من نار، فجعل ذبابتها في فؤادي، وقال لي: "ولي الله المظلوم في ثقل الحديد وظلمة السجن، وأنت نائم، فأطلق سبيله وإلا وضعتها في فؤادك"، فانتهت مذعورا وأمرت لإخراجك فأخبرني أنت عن سببك". فقلت: "مالك ولهذا السؤال؟"، فقال لي ودمعه ينحدر: "لا تنتظر لسوء حالي في هذا الوقت، فإني كنت أسلك هذا الطريق الذي أنت فيها حتى امتحنت بالعيال، فدفعت لهذا البلاء". فشرحت له قصتي، [ورقاً لي]<sup>1</sup> ورقاً قلبي له، فرمى بثوب البطالة وعمد لقميص صوف خشين<sup>2</sup>، فلبسه فحضرت<sup>3</sup> غزوة<sup>1</sup>، فخرجنا فيها، فقتل شهيدا \_رحمه الله\_.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ. وفي (ب): "خَشِينٌ" وهو الأصح. قال ابن منظور: الخَشِينُ، والأخْشَنُ: الأحرش من كل شيء، وجمعه خشان، والأثنى خشنة وخشناء. ينظر: لسان العرب. ج. 5. ص. 76.

<sup>3</sup> - كذا في (ب) و(د). وفي (ا): فحظرة. وفي (ك): فحظرت.

## المنقبة الرابعة والخمسون

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما حدثني به بعض أصحابه أن الشيخ قال: كنت في بجاية عند الشيخ سيدي أحمد زروق مع تلامذته ونحن تسعة، إذ أخذ خبزتين كيف خرجتا من الفرن، ولم ندر من أعطاهما له، فأخذ خذميا جنوياً<sup>2</sup> من تحت السجادة، وقسم واحدة بالخذمي على ثمانية، وأعطاني واحدة بتمامها، فأكلت نصفها بالليل، وفي الغد أكلت النصف الباقي، ثم أتيت شيخي زروق، فقال: «ما صنعت بالخبزة؟»، فقلت: «أكلتها»، فقال: «الحمد لله الذي هنأني مولانا منك، اذهب فاجعل يدك تحت رأسك، وارقد. هاتان الخبزتان من عند أمي في فاس».

## المنقبة الخامسة والخمسون

ومنها ما حدثني به من أثق به أن الشيخ حدثه قال: كنت أنا وسيدي أحمد بن خدة<sup>3</sup> الراشدي ورجل فاسي عند شيخنا زروق في بجاية \_أعادها الله دار السلامة<sup>4</sup>\_ إلى ذات مرة قال لنا شيخنا المذكور: "ليتمن<sup>5</sup> كل واحد منكم حاجته، يُعطاها<sup>6</sup> بعون الله وببركة رسول الله ﷺ". أما ابن خدة فقال: "حاجتي يسهل الله عليّ في الحج"، فقال له زروق: "صاحبني يأتي إليه الحج في بيته<sup>7</sup>، \_ أو كلام هذا معناه\_، حتى أردت التعب فلك ذلك". وأما الفاسي فقال له: "ادع الله أن يعطيني إجابة الدعوة في الجبابة والظلمة"، / [32و] فقال له زروق: "هذا مكانك حتى تموت، ولم تخرج منه لأتلك أردت هلاك عباد الله"، وأما أنا فقلت: "ادع الله أن يجعلني كالأرض، يمشي علي المسلم والكافر والمطيع والفاجر والعبد والحر والأنثى والذكر".

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "غزات". والأصح ما أثبتنا.

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ.

<sup>3</sup> - خدة: هي مرضعته على عادة الأشراف في ذلك. ينظر: عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس. ط1. دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع. بوسعادة. 2005م. ص15.

<sup>4</sup> - كذا في (أ) وفي (ب) و(د): "أعادها الله للإسلام". وفي (ك): "أعادها الله دار إسلام". وهي الأصح.

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "ليسنل" وهو الأنسب.

<sup>6</sup> - في (د): "تعطى له".

<sup>7</sup> - كذا في (أ) و(د) و(ك). وأما في (ب) لبيته.

فقال: "يا أحمد بن يوسف أصبت ووفقت فقد أعطاك الله فهما وعلمنا لم يعطه لأحد من تلامذتي"، ودعا لي بخير وقال: "أذهب ينتفع بك الناس".

**قلت:** وكان الشيخ كالأرض رحمة للناس غير أنه لا يخفى على أحد يعفو عن عثرات اللمزيين فيه والمعترضين عليه والحاسدين له والباغضين فيه، وقد أخذ جملة من أخلاق سيد الثقلين وصاحب قاب قوسين سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وقد شوهد عياناً أن نساء القواد والأشياخ وغيرهم من جميع الباغضين فيه ألجأهم الله فتحصنوا من الخوف بزوايته المباركة، وتمنعوا بحرمة وبجاهه عند الله، وقد كانت الزاوية المباركة حصناً منيعاً وحرماً رقيقاً يأتي الناس إليها رجالاً وركباناً من كل قطر يتبركون بالشيخ المبارك الولي السالك العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف \_نعنا الله به\_ وما ذاك إلا من كرامة الله له، وفضله ورحمته، ثم انتقل الوصف الذي ذكرناه في الزاوية لضريحه في مليانة في قبة له مشهورة في البلدة المذكورة، كما أخبر بذلك الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ في حياته لبعض أصحابه أنه قال: قلت للشيخ زروق: "أين أدفن إذا مت؟"، فقال لي: "في زوبية!"، فكان كذلك، فالموضع الذي فيه القبة الآن بالمدينة المذكورة كان مزبلة فصار الآن حوضاً موروداً أو عيداً مشهوداً، ما دخل القبة المباركة عليل إلا شوفي ولا مريض إلا برئ، ولا خائف إلا آمن، ولا ملهوف إلا أغيث، ولا مكروباً إلا فرج كربتته ببركة المدفون فيها. شعر في القبة المباركة: [طويل]

عَلَيْكُمْ بِهَا يَا طَالِبِيهَا فَإِنَّهَا<sup>1</sup> شِفَاءُ عَلِيلٍ مَعَ دَوَاءِ عَلِيلٍ

### المنقبة السادسة والخمسون

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما حدثني به المرابط الخير محمد الملقب القبيني<sup>2</sup> بن السيد محمد الملقب الحاج القلعي قال: ذهبنا لزيارة الشيخ سيدي أحمد ابن

<sup>1</sup> - في (ب): فإن فيها.

<sup>2</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "القبيني".

يوسف \_رحمه الله\_ ونحن خمسة عشر رجلاً، وقد أضر بنا الجوع، فلما وصلنا إليه وسلمنا عليه إلى الليل بعث لنا قسعة فيها طعام يأكلها<sup>1</sup> اثنان لا زايد<sup>2</sup>. فدعا فيها الشيخ وكذلك تلميذه الولي الصالح على ما أذكره بعد هذا \_إن شاء الله\_ عند ذكرنا لتلاميذه الفحول وهو سيدي محمد العنزي الواضح، فأكلنا من الزلابة على صغرها، بأجمعنا وهي كأنها لم يؤكل منها شيء.

**قلت:** وهذا أمر العناية المحمدية؛ «فقد روي أن جابر بن عبد الله رأى رسول الله ﷺ يوم الخندق وكان يحفر، ورفع يده فظهر بطنه معصوبا بالحجارة، قال جابر: فلبثنا ثلاثاً لا ندوق ذواقاً، فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضرب به فهاد كثيباً هائلاً وفيه استأذن جابر رسول الله ﷺ أن يصل إلى بيته، فأذن له فوصل إلى بيته وسأل زوجته هل معك شيء، قالت: "معي شيء من الشعير"، فذبح عناقاً، وطحنت امرأته الشعير، وجعل اللحم بالبرمة، ثم جاء النبي ﷺ وأخبره/ [32ظ] أنه صنع طعام<sup>3</sup> رجل آخر معه ﷺ فأمره النبي ﷺ أن لا يطرح القدر ولا الخبز من التور حتى يأتي. ثم إن النبي ﷺ أمر المهاجرين بالقيام والأنصار معهم، فقال: ادخلوا ولا تضغطوا، فجعل \_عليه الصلاة والسلام\_ يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتور، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع. فلم يزل يكسر الخبز ويقرب حتى شبعوا، وبقيت بقية، فقال \_عليه الصلاة والسلام\_ لجابر كل من هذا واهد فإن الناس أصابهم مجاعة. وفي رواية أن جابراً قال: "إنهم كانوا ألفاً وزهاء ألف". انتهى من سيدي محمد بن مرزوق التلمساني في شرحه على البردة.

### المنقبة السابعة والخمسون

<sup>1</sup> - في (ب) و(د) و(ك): يأكله.

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ. والصواب: "زائد". وظاهرة الميل إلى تخفيف النطق بالهمزة إلى الياء شائعة في هذا المخطوط.

<sup>3</sup> - في (أ) وردت "طعاماً". وفي بقية النسخ "طعام رجل آخر معه". ربما سقط حرف الجر من "رجل" في (أ) وتقدير الكلام في رأينا "طعاماً لرجل آخر".

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف ما حدثني به عمارة بن عبد الله بن عيسى القلعي أنه قال: "أتيت بحمير عليها تلاليس قمحا، فعرض لي بعض اللصوص فأخذوها ورفعوني معهم، ثم ألهمني الله فاستغثت بالشيخ سيدي أحمد بن يوسف، فسخرهم الله ببركة الشيخ فردوها وأطلقوني وبلغوني لمكان الأمن".

### المنقبة الثامنة والخمسون

ومنها ما حدثني به بعضهم أن رجلا كان كثيرا ما يجري لسانه بالحلف بالحرام، فاشتكى مرة ذلك إلى الشيخ سيدي أحمد فأمره أن يخرج له لسانه، ففعل فضربه الشيخ بأصبعه ثلاث مرات، فكف ذلك ببركة الشيخ.

### المنقبة التاسعة والخمسون

ومنها ما حدثني به عطية بن خنانس العربي أن الشيخ حدثه مشافهة وأنه قال: أتى رجل بدابة عليها حمل ثقيل من الجزائر إلى نهر مينة فوجده حاملا بماء الأمطار حملة عظيمة، وهو وحده في لية شديدة البرد، فخاف على نفسه وماله ودابته، فاستغاث بي، قال الشيخ: "حملتني الملائكة وجعلتني كالقنطرة على الوادي من العدو إلى العدو، واجتاز الرجل بدابته، واني لا أحسُ بحافر الدابة في جوازها علي، ثم إلى الغد قدم الرجل وأخبرني بالقصة". فقلت له: "داداك"، أو كلام نحو هذا، واختصرت لطولها.

### المنقبة الستون

ومنها ما حدثني به عطية المذكور أن الشيخ قال له: أنا راحل من رأس الماء من وطن بني راشد ولم يبق غيري وأنا ألبس المهاميز، وإذا برجلين أتيا بنعش ووضعاه بين يدي فإذا بامرأة مريضة بالداء العضالي، فقال لي زوجها: "اطلب الله أن يشفيها". ثم إنه ذهب مع صاحبه وتركها بين يدي كالميتة فقلت: "إلهي وسيدي ومولاي بحق نية هذا الرجل وقصده إلا شفيتها". ودعوت الله وابتهلته إليه، ثم إن المرأة قامت كأنما أطلقت من عقال. فقلت لها:

"الحقي بزوجك"، فذهبت تجري في إثر زوجها وصاحبه وتشير إليهما إلى أن وقفاً، ولحقتهما كأنها لم تمرض قط.

**قلتُ:**

وشملت الشيخ بركة السيد الأسنى ونخيرتنا الحسنى سيدنا ومولانا محمد ﷺ، فمن ذلك ما روي عنه \_عليه الصلاة والسلام\_ أن رجلاً من جهينة يتقطع من الجذام، فشكا ذلك له، فأخذ رسول الله ﷺ قدحا من ماء، فتنقل فيه، ثم قال: "امسح به جسديك". ففعل، فبرئ في الحين، ببركة الصادق الأمين ﷺ وعلى آله الأكرمين. وقد ذكرها ابن سبوع<sup>1</sup> في قصيدته فقال:

وابن الأقطع المجذوم في عدد والأبرصين وأهل الخبل والعمور.

انتهى من سيدي موسى بن عيسى المذكور \_رحمه الله\_.

وآياته ومعجزاته \_عليه الصلاة والسلام\_ / [33و] في الشفاء من الأمراض والأسقام لا حصر لها، ولولا الإطالة لذكرنا منها ما اطلعنا عليه، وهي تحتاج إلى تأليف وحده. وقد أشار إلى بعض ذلك صاحب البردة في قوله: [بسيط]

كَمْ أَبْرَأْتُ وَصَبًّا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ وَأَطْلَقْتُ إِرْيَا مِنْ رِيقَةِ اللَّمَمِ<sup>2</sup>

**المنقبة الواحدة والسُّنُونُ**

ومنها ما حدثني به الطالب محمد عرف بالهوارى البومنجلي أن رجلاً أتى بزوجه للشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ وبها داء عظيم في جسدها، فقال الزوج للشيخ: "أحب أن تجعل يدك على الداء"، فامتتع الشيخ، فحلف عليه الزوج بيمينه، وغلظ عليه فيها،

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(ك) وفي (ب) و(د): "ابن سبع". وهو الأصح. ينظر ترجمته في ص 555.

<sup>2</sup> - البيت من قصيدة (البردة) للشاعر شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، سبق التعريف به. ينظر: "النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية، للشيخ حسن العدوي الحمزاوي (ت 1303هـ)، تخ وتغ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. 1971م، ص 323.

قال الشيخ عند ذلك: "قتلت نفسي قتلة حتى صارت المرأة والجماد سواء، فمسحت يدي على الداء فعافاها الله في الحين، وانصرفت فبقت رائحة الداء في يدي مدة طويلة".

**قلت:** وقد جرى مثل هذا للولي الصالح سيدي أبي يعزى \_نفعا الله ببركاته وبركة أمثاله، آمين\_ على ما ذكره البرزلي ونصه: «وحكى بعض من اعتنى بذكر الشيخ داداً أبي يعزى أنه ربما رقى المرأة على رأسها وصدرها وظهرها فتعقب عليه، فقال: "هم يجيزون ذلك للطبيب ولو كان كافراً، فكيف لا يجوز لمن يطب القلوب؟، وهذا إذا ثبتت ولاية الولي وصلاحه وكبر سنه".

ويقرب من هذا ما جرى بيني وبين شخص في الدخول على الشيخ القرنبالي<sup>1</sup> للتبرك به فقال الشيخ المذكور: لا تعتقده لأنه قَبَلَ المرأةَ وَمَسَّ صدرَهَا، فقلتُ: "إنه شيخ كبير من عقلاء المجانين، فلعله لم يحضر عقله حينئذ، مع أن الجماد والآدمي في حقه صار واحداً". فدخلنا عليه، فسلمت عليه، وطلبتَه في الدعاء، فدعا لي بخير الدنيا والآخرة، وتقدم صاحبي فقال للشيخ: "تقدم إليَّ هات يدك نعلها"، فقال له: "توجعني فيها كما أوجعتني في عرضي، وقد قلت كذا وكذا \_بجميع ما قاله حرفاً بحرف\_". فلم يزل معه حتى أعطاه يده فقبلها فتاب ورجع». انتهى من البرزلي المذكور.

انظر يا أخي كيف أطلع الله هذا الشيخ على ما اعترض به هذا [الشيخ]<sup>2</sup> الفقيه، مع أنه منكور في ظاهر الشرع، لكن التسليم أولى. وانظر السيد الفقيه [العالم]<sup>3</sup> الحافظ زنبيل العلم سيدي أبقاسم البرزلي كيف تأول له تأويلاً حسناً، على ما يليق بولايته وصلاحه \_نفعتني<sup>4</sup> الله \_آمين\_، بنيتي فيه\_.

1 - كذا في (ا) و(ب). وفي (د): "القرضالي". وفي (ك): "القرنبالي". وهو الأصح.

2 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

3 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د)

4 - في (ب): نفعه الله بنيته. وفي (د): "نفعا الله آمين".

وقد وقع مثل هذا الاعتراض من رجل على أبي يعزى على ما ذكره سيدي موسى ابن عيسى ونصه: «قال بعضهم: كنت أحمل لأبي يعزى في كل عام حملاً من الزبيب فجئته به مرة فدفعته لمؤذنه، ففرغه في بيت وقعدت أتحدث معه فقال لي: "عسى أن تكلم الشيخ أن يستر الناس ولا يفضحهم؛ فإن الرجل جاهل لا علم عنده، فيقول للواصلين إليه: "يا هذا سرقت!، يا هذا زنيت!، وفعلت يا هذا!..". فيذكر لكل واحد فعله ثم انقطع كلام المؤذن، فنظرته وقد منع الكلام فكلمته فلم يجب فإذا بأبي يعزى وعصاه في يده، فسلم علي وسألني عن الحال والأهل، وجاء بمؤذنه ومسح يده على حلقه، وقال: "يا بني صدقت؛ فأنا جاهل لا علم لي إلا ما علمني ربي". فطارت علقة دم من حلقه، فتكلم المؤذن، وهو يقول: "أتوب إلى الله"، وأبو يعزى يقول له: ومم تتوب؟، وأنت قلت الحق، فإني جاهل لا أعرف إلا ما عرفني مولاي". انتهى منه رحمه الله.

**قلت:** ومثل هذا ما حكي عن الشيخ الصالح سيدي عبد الهادي الذي ضريحه/ [33] في بطحاء هواره، وأهل بلادنا<sup>1</sup> يسمونه سيدي عبد الهادي أبو عنيصة؛ لأنه كان يلبس مرقعة من تليس، ونحو ذلك، وأنا أسميه سيدي عبد الهادي أبو حلة \_ نفعني الله به \_ . وذلك أن السيد الفقيه العالم العلامة الحافظ لجميع العلوم سيدي علي الجوثي \_ نفعنا الله به يقول: "الرجل جاهل \_ أعني سيدي عبد الهادي \_ وينكر عليه ما يقوله من المواهب الربانية والأسرار الملكوتية". ثم إن ولي الله العالم العارف بالله سيدي محمد بن عبو شيخ سيدي علي المذكور قال له ذات يوم: "اذهب معي لزيارة عبد الهادي". فتبعه تلميذه سيدي علي المذكور ومقصود سيدي محمد بن عبو أن يريه البرهان مما خص الله به سيدي عبد الهادي، ولو كان أمياً لا يقرأ لكن الله علمه علماً موهوباً ما اتخذ الله ولياً جاهلاً إلا وعلمه، فذهب سيدي محمد بن عبو وتلميذه المذكور إلى البطحاء، فقال سيدي عبد الهادي لزوجته: "يا بركة فرشي لساداتي"، وذلك قبل أن يصلوا إليه. فلما قدما عليه تلقاهما بالفرح والسرور والإكرام

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): بلدنا.



والبرور. ثم اشتغل سيدي عبد الهادي بإصلاح الطعام لهما. ثم إن الطعام أضر بهما، فقال له سيدي عبد الهادي: "يا دخان اذهب عن أسيادي لغلام كان في خالفة الخيمة؛ لأنه لا يصلي". فذهب الدخان كأنه عمود حتى دخل في متجر العبد، فصاح العبد وفر هاربا. فقال سيدي محمد بن عيسى لتلميذه المذكور: "صدّق بهذا الولي"، فلم يزل شاكا.

ثم إن رجلا من الأعراب له ماشية كثيرة أتى لسيدي علي الجوثي وسارره<sup>1</sup> في أذنه، وقال: "يا سيدي علي، زكاة ماشيتي أعطيها لسيدي عبد الهادي"، فقال له سيدي علي الجوثي: "لا تجوز فيه الزكاة؛ الرجل جاهل". وسيدي عبد الهادي بعيد منهما، فألقى الله في قلبه ما قاله سيدي علي المذكور وأتى إليه، وقال: يا سيدي علي أنا جاهل لا علم عندي ولا معرفة إلا ما عرفني الله. فصدق سيدي علي الجوثي بولايته حينئذ وتاب ورجع عما كان يقوله ويتعرض له على سيدي عبد الهادي، ومناقب سيدي عبد الهادي كثيرة إلا أنني لم أقف عليها \_ نفعني الله به وبأمثاله، آمين\_ والحكايات في هذا عن ولي<sup>2</sup> الله كثيرة لا تحصى<sup>(3)</sup>.

### المنقبة الثانية والسُّتون

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما حدثني به المرابط يوسف ابن الزغل المصراتي أن عبد الله بن دقيش قال لحميدة ونظرائه: اذهبوا معي نزور الشيخ سيدي أحمد بن يوسف حين كان بالقرب من شلف، فذهبوا إلى أن قربوا من الزاوية رأوا فقيرا من أصحاب الشيخ يذكر ويصفق ويقول من الذكر بالإلحان المطربة، فقالوا: هذا من البدع، فاستأذنوا على الشيخ، فأذن لهم، فلما دخلوا عليه وجلسوا بين يديه أطلعه الله على ما قالوه وما أسروه من سوء. فنادى الشيخ يا فقير \_واسمه الحاج الصقال الزجراري\_ فقال له: "من

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): ساره في أذنه.

<sup>2</sup> - في (ب) و(د) و(ك): عن أولياء.

<sup>3</sup> \_ كذا في (أ)، ويبدو أن هناك خلافا في التركيب بالتقديم والتأخير والتكرار، والمعنى المقصود هو: "عما كان يقوله ويتعرض له على سيدي عبد الهادي \_ نفعني الله به وبأمثاله، آمين\_". والحكايات عن أولياء الله كثيرة لا تحصى، إلا أنني لم أقف عليها. هذا أسلم وأصوب لسياق المعنى.

أين ابتدأت السفر من موضع كذا إلى موضع كذا"، وصار الشيخ يعرفه مرحلة مرحلة، من ابتدائها إلى انتهائها، كأنه ذهب معه إلى أن أبلغه إلى مكة شرفها الله. ثم قال له: "قضيت مناسك الحج؟"، قال: "نعم"، قال: "وزرت قبر الرسول ﷺ؟" قال: نعم، قال له الشيخ سيدي أحمد كيف يذكرون الله عند قبر النبي ﷺ؟"، قال: بالكف. قال كما يذكرون الله بالدف والغريال والشبابة والرقص وغير ذلك بألفاظهما الزناتية، والأعراب يسمعون لكلامهما. ثم إن الشيخ أوماً بيده/ [35و<sup>(1)</sup>] المباركة إلى عبد الله فقال له: "هكذا هو يا خالي"، فكان عبد الله خالياً من الدين والدنيا، كما أشار إليه الشيخ، نعوذ بالله من التعرض على أولياء الله.

**قلت:** وما ذكره الحاج المذكور أنهم يذكرون الله عند قبر الرسول ﷺ بالآلات المذكورة يعضده ما نقله سيدي أبو العباس القسطلاني، ونصه: «واختلف أهل العلم في جواز استعمال الآلات المعدة للسمع كالطار المجلج والشبابة والاوزار وغير ذلك، فمنعه طائفة وأباحه آخرون، وأكثر علماء المدينة المتقدمين على إباحته بالآلات وغيرها. وفرق آخرون بين الأوتار والقصب فمنعوا الأوتار وأباحوا القصب. وأكثر علماء الشريعة على منعه، إذا كان على الوضع المألوف من اجتماع الشبان والعوام ووجود الغفلة في المستمعين. وإحضار الشباب والطار المجلج. وقد ثبت أن النبي ﷺ استمع لجاريتين من الأنصار في بيت عائشة ولم ينكر عليهما». انتهى منه بلفظه رحمه الله.

ثم قال القسطلاني المذكور: «قال سهل بن عبد الله: السماع علم استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وفي السماع خشوع واستبشار وذل وانكسار وقبض وبسط وأنس وهيبة، وجلال، وجمال، وتبجيل، واستبشار يرد على القلب الحاضر مع الله، فلا يتركه إلا جاهل بنفسه وبالله. والسماع على أقسام: سماع بالنفس، وسماع بالقلب، وسماع بالروح، وينقسم إلى أنواع: سماع بالعلم وهو إعطاء الزيادة في الفهم، وسماع بالحال وهو موافقة القول لحال

<sup>1</sup> \_ هناك خلل في ترقيم النسخة (أ)، حيث انتقل الترقيم من الورقة 34 إلى 35 مباشرة، مع أن الكلام متصل، ويدل على ذلك التعقيبية.

المستمع، وسماع بالحق وتثبيت المعرفة وتحقيقها. ومن لم يدرك التمييز بين المراتب وقع في المتاعب والمعاطب. والغلط في العلم فالتفرقة واقعة والخطأ في ذلك غالب، ولاسيما بمن هو بجهله عن الطريق ضائع». انتهى منه \_رحمه الله، ونفعني به\_.

### فصل:

وقد اعترض بعض الفقهاء من بني راشد على بعض الفقراء الذاكرين الله في قلوبهم "الله الله في حلق الذكر، وقال: «لم يثبت عنه ﷺ هذا اللفظ في اجتماعه مع الفقراء والصحابة، وإنما ورد عنه \_عليه الصلاة والسلام\_: "لا إله إلا الله، وسبحان الله والحمد لله"، وغير ذلك. ولم أحفظ نصاً في ذلك». فتحير الفقراء من ذلك، وقالوا إن لم يكن هذا الاجتماع ثابتاً عنه \_عليه الصلاة والسلام\_ فمخالف للسنة، وطلبوا مني إزالة الإشكال في الذكر باسم العظيم ذي الجلال. فقلت لهم: "سألوا غيري من فقهاءنا؛ لأنني لست لذلك بأهل"، فذهبوا فلم يجدوا عند أحد جواباً، ثم رجعوا إلي وألحوا علي في الجواب، مع تقصيري في ذلك، فاستعنت بالله وبرسوله \_عليه الصلاة والسلام\_، فقلت في الجواب والله المستعان: «أما قول الفقيه لم يثبت اجتماعه ﷺ على الذكر بالاسم المشرف ومع فقراء الصحابة \_رضي الله عنهم\_ فقصور منه؛ لأنه ثبت عنه ﷺ أنه جلس مع الفقراء أهل الصفة يذكرون الله في المسجد على الحالة المعهودة بخضوع وسكينة ووقار، فمن ذلك ما روي أنه \_عليه الصلاة والسلام\_ دخل المسجد فوجد مجلسين أحدهما يذكرون الله والآخر يتفقهون في الدين. فقال \_عليه الصلاة والسلام\_ «كلا المجلسين على الخير»<sup>1</sup> / [35ظ] ومعلوم قطعاً أنهم لا يجتمعون ويذكرون سرا بل يذكرون جهراً، وإلا فلا فائدة في اجتماعهم. قال أبو العباس القسطلاني: «إن المنتهي يذكر الله، لأنه قد تحقق وتخلق، وانتقت عنه النقائص، فلم يبق إلا التعلق باسم المذكور وهو الله، ولأجل ذلك قال الله تعالى لرسوله \_عليه الصلاة والسلام\_: ﴿قُلِ اللَّهُ تَمُّ

ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»<sup>(1)</sup>، وروينا من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله». ثم قال: «وهذا الاسم شريف وجميع لما يراد من معنى التوحيد، فالذاكر له به مستمد من معنى المزيد. وقد اعترض على هذا الذكر بأنه غير واف بالمقصود؛ فإن قولك الله اسم، والاسم لا بد له من الخبر عنه بنفي أو إثبات ولم يوجد، فلا يعد ذاكرة قائلاً. والجواب أن المذكور معلوم في الذهن مستقر حضوره عند الذاكر؛ فكأنه قال: "المذكور الله"، فيكون مبتدأ والخبر محذوف للعلم به، أو يكون مفعولاً به منصوباً بفعل مضمر، التقدير: "أَعْظُمُ اللَّهُ"، أو "أَذْكُرُ اللَّهَ"، فثبت صحة هذا الذكر واستقامته وعظمة المذكور في الصدور وجلالته». انتهى منه \_رحمه الله\_ بلفظه.

قلتُ: وقال<sup>(2)</sup> القسطلاني: "مفعول بفعل مضمر"، صوابه منصوب على العظمة؛ كذا قرره لنا شيخنا أبو العباس سيدي أحمد بن عيسى البسكري \_رحمه الله\_ في جميع أسمائه تبارك وتعالى؛ تأدبا مع مولانا \_جل وعز\_. وكذا قرر لنا في الصلاة على سيدنا محمد في قولك: "صلى الله على محمد"، وأنها فعل دائم؛ لأن الصلاة عليه دائمة، صلى الله عليه وعلى آله، حين قراءتي عليه بجامع الخندق من مستغانم \_عمرها الله بالذکر\_.

ومن الدليل على اجتماع في حلق الذكر بالاسم المشرف ما قاله سيدي موسى ابن عيسى المازوني \_رحمه الله\_ ونصه: «كان الفقراء الأقدمون إذا حلقوا للذكر استفتح الشيخ الذكر بالاسم الأعظم فاتبعوه بكلام لين وتواضع بينين، وسمّة خشوع، وإظهار انكسار وخضوع. ثم قال: وقد اعترض على الفرقاء المتقدمين في رفع الصوت بالدعاء والذكر، وسيافتهم لها بالمداولة وغير ذلك. الجواب عنها، قال أبو يعقوب التادلي عن أبي محمد عبد الحق أنه حضر "برباط شاكر" مع أبي وزغار وكان من كبار المشايخ والفقهاء أبو إبراهيم ابن

<sup>1</sup> \_سورة الأنعام، من الآية 91: وتتمتها: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

<sup>2</sup> \_كذا في (أ)، ويقصد المؤلف: "وقول".

يغمور، وإذا بجماعة من مريدي المصامدة يرفعون أصواتهم بالدعاء، فقال أبو وزغار للفقهاء: "ينبغي أن لا ينكر عليهم؛ لأنهم أهل نية ووجد، أما رفع الصوت فمعتد الفقهاء فيه الحديث الصحيح، كقوله \_ عليه الصلاة والسلام\_: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات يعني الطرقات، تجأرون إلى الله بالتلبية»<sup>(1)</sup>. قال المازوني<sup>(1)</sup>: «الجرء أو رفع الصوت مهموز من قوله تعالى<sup>2</sup>: ﴿قَالِيهِ تَجْأُرُونَ﴾<sup>(3)</sup> أي: ترفعون أصواتكم وتستغيثون. قال أبو موسى الأشعري: "كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: «ارجعوا على أنفسكم»، أي: ارفقوا فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولا أعمى ولكن تدعون سميعاً بصيراً/ [36و] أي ندبهم \_ عليه الصلاة والسلام\_ لترك رفع الصوت لما فيه من المشقة. فرفع الصوت بالذكر والدعاء غير مكروه إلا ما عسى أن يتقى على صاحبه فيه من خشونة حلقه، وما يتطرق إليه من جهة الرياء والسمعة، إلا أن يكون ذلك في المساجد، فقد كره فيه رفع الصوت حتى بالعلم.

وأما سياقتهم الأذكار والأدعية في نفس واحد بينهم فلا حرج فيه؛ لأنه من وجه التعاون على البر والتقوى. وأما سياقتهم لها بالمداولة فجائز. ولقد حضر الشيخان أبو بكر ابن عبد الرحمن وأبو عمران الفاسي بمصلى العيد من القيروان بمحضر العلماء والصلحاء والناس يتناوبون الذكر، فما أنكرا ذلك عليهم بل استحسناهما. فهما الحجة على من أنكر

<sup>1</sup> \_ هو يحيى بن موسى (أبو عمران بن عيسى بن يحيى، أبو زكريا المغيلي المازوني: فقيه مالكي، من أهل مازونة من أعمال وهران. أخذ علمه عن والده وعن أئمة وقته كابن مرزوق الحفيد، وقاسم العقباني، وابن زاغو، وغيرهم. ولي قضاء بلدة مازونة، وتوفي بتلمسان سنة 883هـ/ 1478م. له من التأليف كتابه المشهور "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، في مجلدين ضخمين. وهو كتاب جليل حافل بفتاوى المتأخرين من المعاصرين له من أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان والمغرب الأقصى، وغيرهم. ومن هذا المؤلف الضخم استمد الونشريسي في المعيار. ينظر: عبد الرحمن بن محمد الجبلاي: تاريخ الجزائر العام ج2/277. ترجم له كثيرون من أصحاب الفهارس منهم: الزركلي في الأعلام: ج8/ص175.

<sup>2</sup> \_ في (ب): قول الله تعالى: "ثم إليه تجأرون".

<sup>3</sup> \_ سورة النحل، الآية 53. وتتمتها: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلِيهِ تَجْأُرُونَ﴾.

المدأولة في ذلك على الفقراء من الفقهاء المتأخرين، ولا فرق بين هذا المكان والزوايا والرباطات.

وقد أأحدثت أشياء بعد النبي ﷺ في زمن الصحابة وغيرهم وتواطأ الناس على العمل بها في الأمصار، ورأوا من البدع المستحسنة. فقد حكى ابن حبيب أن أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والثغور والرباطات دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالياً ثلاث تكبيرات. قال: "ولم يزل ذلك من شأن الناس قديماً".

ثم قال في نوازله المازونية: «وقد سئل وحيد عصره، وفريد وقته، الصدر الأوحأ، الإمام الحجة سيدي محمد بن عرفة التونسي<sup>(1)</sup> عن إمام مسجد ترك الدعاء إثر الصلاة المفروضة، وإذا سلم قام إلى ناحية من المسجد ومضى لحاجته، وزعم أن ذلك لم يثبت عن رسول الله ﷺ وهي بدعة محدثة لا ينبغي أن تفعل. وسئل عن خطيب لا يذكر الصحابة رضي الله عنهم في خطبته ولا يدعو للسلطان بالتسديد، ويقول هي بدعة أيضاً، لم تكن في خطبة رسول الله ﷺ ولا في خطبة الصحابة بعده، ووقع النزاع في ذلك في غرناطة وفي فاس.

فأجاب: "الدعاء عبادة شرعية، فضلها من الشريعة معلوم، والأظهر عندي جوازه، وقد وردت في ذلك أحاديث في المصنفات، كسنة النسائي وغيره، ولا يخلو بعضها من كون سنه صحيحاً.

وأما عدم ذكره للصحابة في خطبته فذكرهم عندي حسن جائز؛ لاشتماله على تعظيم من علم تعظيمه من الشريعة ضرورة ونظراً؛ لاسيما إذا مدح ذلك بالإشارة إلى ما كانوا عليه من نصرة سيدنا ومولانا محمد ﷺ وبذل نفوسهم في إظهار الدين.

<sup>1</sup> هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي ولد سنة (710هـ). إمام المغرب وشيخ الإسلام العلامة المحقق القدوة، العالم المبعوث على رأس المائة الثامنة حسبما ذكره السيوطي في نظمه تولى إمامة الجامع الأعظم سنة (750هـ)، وتولى الفتوى عام (773هـ) إلى أن وافته المنية عام (803هـ). كفاية المحتاج، ص 179.

وأما أنها بدعة نقلت عن عز الدين بن عبد السلام فصحيح، لكنه يرد بأنها بدعة خير شهد الشرع باعتبار حسنها، فهي حسنة شرعاً، وكل حسن شرعاً محمود؛ فذكرهم في الخطب محمود.

وأما بدعة ذكر السلاطين أنها لم يشهد الشرع باعتبار حسنها فيما أعلم، وأما بعد إحدائها واستمرارها في الخطب في أقطار الأرض وضرورة عدم ذكرها مظنة لاعتقاد السلاطين في الخطيب ما تخشى غوائله، ولا تؤمن عواقبه، فذكرهم في الخطب فراجح أو واجب". انتهى من نوازل باختصار في السؤال والجواب خشية الإطالة.

**قلت:** أما قول الإمام ابن عرفة: "ضرورة ونظراً؛ فالضرورة ما يدركه العقل بلا تأمل والنظر ما يدركه العقل بعد التأمل، وأمثلتهما في أقسام الحكم العقلي في عقائد الشيخ السنوسي وشروحه لها، فمن أراد ذلك فلينظره فيها. وأما قوله: "فهي حسنة شرعاً، وكل حسن شرعاً محمود فذكرهم في الخطب محمود"، فهو من الشكل الأول من الأشكال الأربعة/ [36ظ] عند أرباب علماء المنطق؛ لأن شرط إنتاجه إيجاب صغراه وكلية كبراه ونتيجته هي قول الإمام: "فذكرهم في الخطب محمود". ومعنى النتيجة عند علماء المنطق هي المتولدة عن الموضوع والمحمول.

### \_ فائدة:

ذكر سيدي موسى بن عيسى «أن أصل الأذكار على الفقراء وقع في زمان نوح ﷺ من قومه فمن ذلك ما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا

<sup>1</sup> \_ سورة هود، الآية 29: وتتمتها: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

تَذَكَّرُونَ»<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى: «وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُهُمْ لَنَّ يُوتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ»<sup>(2)</sup>. انتهى منه \_رحمه الله\_ بالمعنى.

ثم قال: «وهل اتَّبَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا الْفُقَرَاءَ فِي لِبَاسِهِمُ الْمَرْقَعَاتِ وَزَهْدِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَاجْتِمَاعِهِمْ فِي الْمَسَاجِدِ وَأَكْلِهِمُ الطَّعَامَ فِيهَا، وَتَحَابُّبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُونَهُ \_رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ\_. قال أبو هريرة: "رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، أَوْ إِمَامٌ رِدَاءٌ وَإِمَامٌ كِسَاءٌ قَدْ رِبَطُوهُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ لِلْكَعْبِينَ فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ خِيفَةٌ كَرَاهِيَةٌ أَنْ تَرَى عَوْرَتَهُ". فهذه كانت حال أهل الصُّفَّةِ». ثُمَّ قَالَ: «وَمَعْنَى "أَهْلِ الصُّفَّةِ" سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى صُفَّةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

قال سيدي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي \_نفعنا الله به\_: «والصفة هي مثال الظلة والسقيفة يأوي إليها». قال الجوهري: «هي موضع مظلل من المسجد يأوي إليه المساكين». انتهى منه في كتاب اللغة له \_رحمه الله\_.

قال بعض العارفين: «وأصحاب الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ نحو الأربعمئة رجل مجتمعين، اصطحبوا على الله، واقفين بباب الله، متبعين لسنة رسول الله ﷺ لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر ولا قبيلة، بل كانوا مهاجرين في ذات الله رب العالمين، وفي طاعة سيد المرسلين، لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع، ولا إلى تجارة، بل كانوا بالنهار يحتطبون، وبالليل بعبادة ربهم مشتغلون، وكان ﷺ يواسيهم ويسليهم، ويحث الناس على مواساتهم ومجالستهم، ومؤاكلتهم». انتهى من سيدي الرصاع \_رحمه الله\_.

قلت: أما لباس الفقراء المرقعات فقد لبسها سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو أمير، وكذلك غيره من الصحابة ﷺ وهي سنة رسول الله ﷺ. وأما زهد الفقراء في الدنيا فهي سمته \_عليه الصلاة والسلام\_ فمنها ما روي عنه \_عليه الصلاة والسلام\_: "أنته الدنيا بحذافرها

<sup>1</sup> \_سورة هود، من الآية 30: وتتمتها: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَصْرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

<sup>2</sup> \_سورة هود: الآية 31: وتتمتها: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.



فأعرض عنها ولم يلتفت إليها". قال النسائي في شرح نظم كلام ابن رشد: «وهو صلى الله عليه وآله الزاهد الزاهدين، ومن زهده \_ عليه الصلاة والسلام \_ شده الحجر على بطنه من الجوع، وقد عرضت عليه كنوز الأرض، ولم يرض بشيء منه». انتهى منه بلفظه عند قول الناظم لكلام ابن رشد إلا بذكر الزهادة.

قلت: وقد أشار إلى هذا صاحب البردة<sup>1</sup>، ونصه: [بسيط]

وَشَدَّ مِنْ سَعَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى  
تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ  
وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشَّمُّ مِنْ ذَهَبٍ  
عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

[37و] \_ فصل في حقيقة الزهد:

قال الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن يوسف السنوسي \_ رحمه الله \_ في شرحه للعقيدة الصغرى: «والزاهد خلو الباطن من الميل إلى فان، أو إفراغ القلب من الثقة إلى زائل، وإن كانت اليد معمورة بمتاع حلال، فعلى سبيل العارية المحضنة، وتصرفه فيه بالإذن الشرع تصرف الوكالة الخاصة، ينتظر العزل عن ذلك التصرف بالموت وغيره مع كل نفس وذلك ينفي عن النفس التعلق بما لا بد منه». انتهى من الشيخ المذكور.

والزهد من سمة الصحابة والتابعين. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله أتى فاطمة فقال لها: «أين ابن عمك؟»، فقالت: "في المسجد"، فذهب النبي صلى الله عليه وآله فوجده نائماً في المسجد، وقد سقط ثوبه إلى جهة، وجنبه ملتصق بالتراب، فقال له: «قم يا أبا تراب».

وكان الصحابة يؤثرون غيرهم بما فتح الله عليهم من الأطعمة وغيرها مع ما هم عليه من الفاقة، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾<sup>(2)</sup>. قال سيدي عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي عند تفسير هذه الآية: «لأنها نزلت بسبب رجل من الأنصار

<sup>1</sup> - البيتان في مدح النبي (ص) للشاعر البوصري وقد سبق التعريف به. ينظر: "النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية للشيخ حسن العدوي الحمزوي (ت 1303هـ). تخ وتو أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1971م. ص 320.

<sup>2</sup> - سورة الحشر، من الآية 9: وتتمتها: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وصنيعه مع ضيف رسول الله ﷺ؛ إذ نوم صبيانه وقدم للضيف طعامه وأطفأت أهله السراج، وأوهما الضيف أنهما يأكلان معه، وباتا طويين، فلما غدا الأنصاري على النبي ﷺ قال: «لقد عجب الله من فعلكما البارحة»، ونزلت الآية في ذلك». قال صاحب سلام المؤمن: «الرجل الأنصاري الذي أضاف هو أبو طلحة». انتهى من كتابه المسمى "بالجواهر الحسان في تفسير القرآن".

ثم قال سيدي عبد الرحمن المذكور: قال الترمذي الحكيم في كتاب "ختم الأولياء": قال: حدثني أبي قال: حدثنا عبد الله بن عاصم، قال: حدثنا الجماني، قال: حدثنا صالح المزني عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صيام ولا صلاة وإنما يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة الأنفس، وحسن الخلق والرحمة لجميع المسلمين»<sup>1</sup>.

ثم قال: «الإيثار على النفس إكرام خلق الله». قال أبو يزيد البسطامي: «قدم علينا شاب من "بلخ" حاجا فقال لي: "ما حد الزهد عندكم؟"، فقلت: "إذا وجدنا أكلنا، وإذا فقدنا صبرنا"، فقال: "هكذا عند كلاب بلخ"، فقلنا له: "وما هو عندكم؟"، فقال: "إذا فقدنا صبرنا، وإذا وجدنا آثرنا". انتهى من "الجواهر الحسان".

وأما اجتماع الفقراء في المساجد فقال سيدي موسى بن عيسى المذكور: «فقد كان أهل الصفة يجتمعون في مساجد النبي يذكرون الله ويبيتون فيه ليلا ونهارا، وقد ضربت خباء لعائشة وأخرى لزینب وثالثة لحفصة رضي الله عنهن». انتهى منه بالمعنى.

**قلت:** وذكر البخاري في باب الاعتكاف مرة الأخبية ومرة القباب، ونصه: «روي أن عائشة رضي الله عنها استأذنت رسول الله أن تعتكف فأذن لها، فضربت في المسجد قبة، وسمعت زينب بها، فضربت قبة أخرى، فسمعت حفصة فضربت فيه قبة. فلما دخل رسول

<sup>1</sup> - هذا الحديث منكر، ضعيف جدا، رواه الحكيم الترمذي محمد بن علي أبو عبد الله: نواذر الأصول في أحاديث الرسول. ج1/ ص236. - البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: شعب الإيمان (رقم: 10892): ج7/ ص439. - شيرويه بن شهردار الديلمي: مسند الفردوس بمأثور الخطاب. (رقم: 884): ج1/ ص231.

الله ﷺ من الغد أبصر أربع قباب، فقال: «ما هذا؟»، فأخبر خبرهن، فقال: «ما حملهن على هذا البر، انزعوها»، فلا أراها، فنزعت. وفي لفظ آخر<sup>(1)</sup>: «رأى الأخبية». انتهى منه باختصار.

وذكر الحبشي في تأليفه لحديث النبي القرشي «أن الحبشة كانوا يلعبون في المسجد، ويرقبون فقام/ [37ظ] \_ عليه الصلاة والسلام \_ ينظر إليهم، وعائشة تنتظر خلفه حتى سئمت، وانصرفت فانصرف، وكان قيامه لأجلها»<sup>2</sup>. انتهى منه \_ رحمه الله \_.

فإذا كان \_ عليه الصلاة والسلام \_ ينظر لمن يلعب في المسجد، فما بالك بمن يجتمع فيه لذكر الله والصلاة على رسوله ﷺ. يا أخي<sup>3</sup> ينبغي أن تكون على الصفة التي قدمنا من الوقار والسكينة وخفض الصوت وغير ذلك من الأفعال المحمودة.

#### قلتُ:

وقد أخذ الفقراء بعض أخلاقه \_ عليه الصلاة والسلام \_ في مشيهم بلا نعل، وبلا قلنسوة، وامتھانهم أنفسهم في شؤونهم كلها. فمن أخلاقه \_ عليه الصلاة والسلام \_ ما ذكره الحبشي، ونصه: «كان عليه الصلاة والسلام يركب حيناً الحمار عريانا، وحيناً البغل، وحيناً الجمل والناقة، وحيناً الفرس، وأحياناً راجلاً وأحياناً حافياً، وبلا رداء، وبلا عمامة ولا قلنسوة. وكان يردف خلفه وأمامه بعض نسائه وعبيده. ووضع رقبتَه عند بغيره، فوضعت صفيحة رجلها عليه، وركبت وركب جابر الجمل، وهو ﷺ يسوقه ويضربه بالعصا، وكان يدعى إلى خبز الشعير فيجيب. وكان في بيته في مهنة أهله، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويرقع الثوب، ويخصف النعل، ويخدم نفسه، ويقوم بيته، ويعقل بغيره، ويعلف ناضحه، ويأكل مع الخدام. ويقول: «أكلك مع أهلك صدقة»، ويطحن مع الخدام إذا عيت<sup>4</sup>، ويعجن معها، ويقطع اللحم

<sup>1</sup> \_ يقصد: "وفي رواية".

<sup>2</sup> - هذا الحديث له روايات متعددة تجمع كلها على جواز

<sup>3</sup> - كذا في (ا) و(ك) وفي (ب) و(د): «لكن ينبغي...».

<sup>4</sup> - كذا في جميع النسخ. والفعل من العياء .

معهن. ويحمل بضاعته من السوق ﷺ. وكان يسم الغنم وإبل الصدقة وكذا سعدا وسعيدا وغيرهما. ويضرب الكدية بالمعول. وكان ينقل اللبن في بنيان المسجد ﷺ. وضحى بكبشين ذبحهما بيده وعائشة تشد له السكين. ومر ﷺ بسلام يسلم شاة، وما يحسن سلخها، فقال له: «تتح حتى أريك»، فأدخل يده ﷺ بين الجلد واللحم يدس<sup>(1)</sup> بها حتى دخلت إلى الإبط، ثم مضى فصلى بالناس ولم يمس ماء. وكان يسقي بعيه وعليه شملة.

ثم قال: "والمهنة" بفتح الميم وكسرهما، والفتح أفصح، وهو الخدمة، و"يفلي ثوبه" أي: يخرج منه القمل، و"يخصف نعله" أي: يخرزه، و"يقم بيته" أي: [يكنسها]<sup>(2)</sup>، و"الناضح" البعير الذي يسقى عليه الأوعية. و"تشد" أي: تحد، و"المعول": فأس عظيم ينقر به الصخر، و"الكدية": ما يعرض للحافر من حجره وغيره. و"دحس" بأحرف مهملـة، أي: أدخلها بين الجلد واللحم، و"يهني بعيه" أي: يطليه بالهنا وهو القطران. فالنظر إليه ﷺ أسوة حسنة حسنة. انتهى منه بلفظه.

ثم قال: «وقد كان الصحابة وأفاضيل الأمة رضي الله عنهم يمتنون أنفسهم؛ فقد روي أن عمر ﷺ يحمل قريته على عنقه. وقال علي ﷺ: «أتاني رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر». وقال ياسر: بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا من الأنصار يقرأون القرآن ويدارسونه بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويتحطبون، فيبيعونه ويشترون الطعام لأهل الصفة والفقراء»، رضي الله عنهم. وقال أبو هريرة: أقبل من السوق يحمل حزمة حطبا وهو يقول: / [38] و"سَعُوا لِلْأَمِيرِ"، وهو يومئذ خليفة بالمدينة. انتهى منه بلفظه رحمه الله.

**قلت:**

<sup>1</sup> \_ كذا في (أ)، والأصواب: "يدحس"؛ كما سيأتي في شرح المؤلف لبعض الألفاظ الواردة.

<sup>2</sup> \_ ما بين المعقوفين مستدرك على هامش (أ).

فقد أخذ الفقراء من هذا نصيباً \_ رضي الله عنهم \_ فهل رأيت فقيهاً أو ممن يعترض على الفقراء أن يفعل ما تقدم من مهنة النبي ﷺ والصحابة والتابعين، بل اشتغلوا بالتطويل بالبنيان والأجر والجير. وقد قال \_ عليه الصلاة والسلام \_: «إذا أراد الله بعبد سوءاً جعل له في طبيخين: الجص والآجر». وقال ﷺ: «من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة». انتهى من الحبشي.

وهل رأيت أحداً من المنكرين على الفقراء أن يركب حماراً عريانا، أو يحمل شيئاً على ظهره في ملأ من الناس، أو يحمل بضاعته من السوق، ويقم البيت، ويرقع الثوب، ويطن مع خادمه، ويعجن، ويخسف النعل كما كان يخسفه ﷺ، ومعنى يخسف النعل أي: يخززه بيده<sup>(1)</sup> \_ عليه الصلاة والسلام \_.

### \_ [صفة نعله ﷺ]:

ولنذكر صفة نعليه ﷺ في كتابنا هذا تبركاً بهما، مما نقلته من سيدي أبي الفضل قاسم الرصاع في كتابه المسمى بتذكيرة المحبين في أسماء سيد المرسلين ﷺ وعلى آله السادات الأكرمين، ونصه: «قال أبو هريرة ﷺ كان نعل رسول الله ﷺ قبالة مشق شراكهما، وقد كان نعل رسول الله ﷺ معلوماً صفته وطوله وعرضه وهيئته، وقد اعتنى بذلك أهل المحبة ورووا ذلك خلف عن سلف. وأخذوا قياسه لأنه كان عند عائشة \_ رضي الله عنها \_ بعد وفاته ﷺ، ثم صار من بعد عائشة إلى أختها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ﷺ، وكانت أم كلثوم عند طلحة بن عبد الله بن سعيد بن تميم، فقتل يوم الجمل، فصار لعبد الله ابن عبد الرحمن ابن أبي ربيعة المخزومي. ثم صار لإسماعيل حفيد عبد الله المذكور. ومنه أخذ الناس قياس نعل رسول الله ﷺ تبركاً بآثاره واعتناءً بأخباره. وقد ظهرت بركة صفة هذا النعل المبارك على من مسح به وجهه ولمس به خده وتضرع به إلى مولاه الكريم، وتوسل إليه بصاحب الخلق العظيم في أن يقلب عثرته، وأن يقضي حاجته، ويفرج كربته.

<sup>1</sup> \_ لقد سبق للمؤلف أن شرحه، غير بعيد من هذا الموضع.

فنضع صفة نعل سيد البشر، الذي انشق له القمر، وعلا على السماء، وسلم عليه الحجر، فنعم طرفك أيها المحب، بصفة الذي وضع عليه قدميه سيد الأنام، واملأ قلبك جلالة، ووجهك نضارة بمشاهدة أنوار من تمم الله به الأنبياء أنوار الختام، وبيض سويداء فؤادك بتلاوة محاسن إمام رُسلِ الله الكرام \_صلى الله وعلى آله، وحشرنا في زمرة\_». انتهى منه عند قوله: "باب في معنى اسمه صاحب النعلين ﷺ"، وشرف وكرم ومجد وعظم. وهذه النعل الطيبة الشريفة بتشريف من لبسها سيدنا ومولانا ووسيلتنا وعنايتنا وركننا وحصننا ومن لا ينسانا في حياته ولا في قبره ولا في موته ولا بعد قيامه منقبره ولا في الآخرة ولا عند الصراط ولا عند الميزان، ولا غير ذلك من أهوال يوم القيامة، سيدنا ومولانا محمد ﷺ. وهذه الصفة لنعليه وضعها سيدنا أبو الفضل قاسم الرصاع التي حول هذه الورقة نقلتها من كتابه المذكور، نفعنا الله وإياه بذلك وجعلنا من/ [38ظ] المحبين في هذا النبي الكريم، الحنين على أمته، الرؤوف بهم، الرحيم، الطالب من الله في كل وقت لأمة الخير العظيم، القائل: «يا رب لا أسألك فاطمة ابنتي، ولا عائشة زوجتي، وإنما أسألك أمتي». انظروا يا أمة هذا النبي الكريم، كيف لا ينساكم في يوم الهول العظيم؟! فبأي مكافآت تكافئوه؟!، وبأي شيء تجازوه؟!، ولكن نقول كما أمرنا: "اللهم يا رب محمد وآل محمد صل على محمد وعلى آل محمد وأعط محمدًا الدرجة الرفيعة في الجنة اللهم يارب محمد وآل محمد أجز محمدًا ما هو أهله". فمن قاله أتعب ستين كاتبًا ألف صباح، ولم يبق حق للنبي ﷺ وغفر له ولوالديه<sup>2</sup>. انتهى من سيدي قاسم الرصاع. أوتقول: "اللهم أجز عنا سيدنا ومولانا محمدًا ﷺ ما هو أهله". ولما كنا عاجزين عن مكافأته \_عليه الصلاة والسلام\_ فنطلب من مولانا \_جَلَّ

<sup>1</sup> - انفردت النسخة رقم 1708 الجزائرية بإيرادها رسماً لمولانا جميلاً لنعلي الرسول الكريم ﷺ وحيث كل نعل في صفحة مستقلة في ورقة ذات وجه وظهر. أما بقية النسخ فلم تدرجها رغم إشارة النساخ إلى قيامهم بذلك. الرسم موجود في ص (57 و) و(57ظ) من هذه النسخة.

<sup>2</sup> - رواه الطبراني في "المعجم الكبير" ج.11/ص206. وقال: "أتعب سبعين كاتباً ألف صباح".

وعلا\_ أن يكافئه عنا بأن ينعم عليه بنعم يصحبها تكريم وتعظيم على ما يليق بمنزلة هذا النبي الشريف عند مولاه الحليم الكريم اللطيف، ثم يقول العبد الضعيف:

### \_ [الأكل وآدابه]:

فبعد كلامنا على صفة نعلي النبي الشريف/ [39و] نرجع إلى ما فتح الله علينا به من نقل كلام أهل التحقيق والتشريف، أما أكل الفقراء الطعام في المساجد فقد كان أهل الصفة يأكلون الطعام في مسجد رسول الله ﷺ، ويبيتون فيه. وكان عليه الصلاة والسلام يأكل معهم، كما تقدم قبل هذا.

### قلتُ:

### \_ فائدة:

ذكرها سيدي موسى بن عيسى المذكور، ولفظه: «قال بعض الأئمة: "ومن أدب المجتمعين للطعام أن لا يبتدئ أحد بوضع يده على القصعة وهنالك من هو أكبر منه وأصلح أو أعلم، وأن لا يسيكتوا على الطعام، وليتفكها بعض الإخوان وحكايات الصالحين، ومناصحة الصحابة لرسول الله ﷺ في غزواته". وأشار صاحب الإكمال لهذا فالتمس فيه».

وأما نفقة بعضهم على بعض فسنة مأثورة عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_، فمن ذلك ما نقله سيدي موسى [بن عيسى] <sup>1</sup>المذكور ونصه: «من أطعم أخاه المؤمن حتى يشبعه، وسقاه حتى يرويه أبعد الله من النار سبع خنادق، ما بين كل خندق وخندق مسيرة خمس مئة عام، حتى يروى» <sup>2</sup>. وكل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وعلى أبويه فَمَنْ دُونَهُمْ فإنه يحاسب عليها، إلا نفقته على إخوانه في الله من الطعام فإن الله يستحي منه أن يسأله على ذلك. ومن لذ أخاه في الله بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وأطعمه الله من ثلاث جنات: جنة الفردوس، وجنة عدن، وجنة الخلد. ومن أكل من طعام الإخوان في الله لم يحاسب على ما أكل منه، وكان تنظيفاً لقلبه، ويؤجر العبد

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - الحديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط (ج/6) رقم 6518/ص 320.

على أكلة السحور والفطور وأكله مع الإخوان في الله: «هم القوم لا يشقى جليهم بهم»<sup>1</sup>. انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_، والأحاديث في ذكر [ذلك] كثيرة جداً.

### \_ حكاية في المعنى:

قال صاحب الكتاب المسمى "زهر الأكماء في قصة يوسف عليه السلام"، ولفظه: «أنه قيل ليس شيء من أعمال البر أقرب برهانا وأظهر نجاحا في الوقت من إطعام الطعام، ولذلك قيل: إن إبراهيم عليه السلام لما بنى البيت وسواه صلى في كل ركن من أركانه ألف ركعة، فأوحى الله إليه: «يا إبراهيم ألا أدلك على ما هو أفضل عندي مما [صنعت]؟<sup>1</sup>»، قال: "بلى يا ربي"، قال: «أن تطعم جيعانا، وتعين لهفانا». فبنى إبراهيم بيتا له بابان، وجعل فيه طعاما، وإناء وملقعة، وأمر أن لا يغلَق البيت، ولا يرد عنه أحد من قصده، فيدخل الضعيف على الباب جيعانا عريانا، فيأكل من الطعام ما اشتهاه، ويلبس من الثياب ما أراده، ويخرج على الباب الثاني». انتهى منه \_رحمه الله\_.

وأما مزاح الفقراء فقد ثبت عنه عليه السلام أنه كان يمازح أصحابه فمنها ما ذكره الحبشي، ونصه: «كان عليه السلام يمازح أصحابه ويخالطهم ويحنك أطفالهم ويطعمهم في حر حجره ويلاعبهم، ويسرّ الرجل من أصحابه إذا رآه مغموما بالمداعبة، ولا يلتفت إلى أصحابه مخافة أن يراهم يمزحون فيستحيون منه. وكان يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه. وسابق عائشة وهي في سفرٍ فسبقته، ثم سابقها مرة فسبقها، فقال: «هذه بتلك»<sup>1</sup>. انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

ومنها ما ذكره سيدي موسى المذكور، ولفظه: «قال \_عليه الصلاة والسلام\_ لأبي ذر: «الفقراء ضحكهم عبادة، ومزاحهم تسبيح، ونومهم صدقة، ينظر الله إليهم في كل يوم ثلاث مرات»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين مستدرَك على الهامش في (د).



مزاحه عليه الصلاة/ [39ظ] والسلام\_ مع نسائه وأصحابه، وقوله للعجوز: «لا تدخل الجنة عجوز»، أي: لا تدخلها على حالة العجوزية، بل صغيرة شابة على سن ابنة ثلاث وثلاثين سنة، وغير ذلك، مما هو مذكور في كتب الأحاديث.

وقد كان الصحابة يتضاربون بقشور البيض. ولقد ضربت عائشة رضي الله عنها\_ بعض النساء بقشور البطيخ. ومزاحهم رضي الله عنهم\_ كثير.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، يتحفظ أن ينظر إلى أحد منهم بعين ازدراء، فلعل له عند الله حالاً، والطف بهم وتحبب إليهم، بما قدرت ولا تحقر أحدا منهم، وإن كان ظاهر الجهل والفسوق، فما يدريك [ما] حاله عند الله، فإن الولي مستور في العباد، ومحبه تعالى سابقة للسابقين، وخاصة للمخصوصين، اختصهم قبل أن يخلقهم، وأحبهم قبل أن يحبوه، وأدخلهم جنته قبل أن يطيعوه». انتهى منه \_رحمه الله\_.

و[أما]<sup>2</sup> تحابب بعضهم بعضاً فقد ورد في ذلك عنه \_عليه الصلاة والسلام\_ في غير ما حديث، منها ما ذكره الحبشي، ونصه: «قال \_عليه الصلاة والسلام\_، يقول الله تعالى: «وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتبازلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ». وقال \_عليه الصلاة والسلام\_: «المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله»<sup>3</sup>. وقال عليه الصلاة والسلام: «من نظر إلى أخيه نظر[ة]<sup>4</sup>[وُدَّ]<sup>5</sup> غفر الله له». وقال رسول الله ﷺ: «من مشى إلى فقير يزوره عشرين خطوة كتب الله له سبعين حجة مقبولة». انتهى منه بلفظه.

1 - ما بين المعقوفين ساقط من (ا) و(د).

2 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

3 - هذا الحديث سقط من النسختين (ا) و(ب). وقد ذكره ابن حجر العسقلاني في: «فتح الباري» ج10/ص515. وقال: حديث حسن.

4 - ما بين المعقوفين ساقط من (ا) و(ك). «من نظر إلى أخيه نَظَرَ وُدَّ».

5 - ما بين المعقوفين ساقط من (د). «نظرة غفر الله له».

ومنها ما ذكره سيدي موسى بن عيسى المذكور، ولفظه: قال \_ عليه الصلاة والسلام\_: «إن في الجنة لعموداً من ياقوتة خضراء، عليها غرف، مبنية من زبرجد، لها أبواب مفتوحة تضيء كما يضيء الكوكب الدري»، فقالوا: "من يسكنها يا رسول الله \_ [عليك الصلاة والسلام\_؟]"<sup>1</sup>، قال: «المتحابون في الله [والمتجالسون في الله]<sup>2</sup> والمتلاقون في الله». وجاء عنه \_ عليه الصلاة والسلام\_: «إن أحب عبادي إليَّ المتبادلون فيَّ، الذين يعمرّون مساجدي، ويستغفرون بالأسحار. إني لأهْمُّ بعذاب أهل الأرض ثمَّ أدفعه عنهم [يهم]<sup>3</sup>».

ثم قال سيدي موسى المذكور: ومما يعترض به الناس اليوم وقبله على فقراء البوادي والمجاشر<sup>4</sup>، وذلك أنهم يأتون جموعاً لزيارة فقير معروف بضعف الحال، وكثرة العيال، فيتكاف لهم عن حياء وحشمة، ما ليس في وسعه من مأكلهم وعلف دوابهم، ويستدين لذلك، وهذا نوع من الغصب؛ لأن سيف الحياء أقطع من سيف الجواء. أما إلجاؤهم الفقير ليقترض أو يتداين مع ضعف حاله في إطعامهم، فلا مكروه في ذلك، إذا صفت الضمائر وصحت الأخوة في الله؛ لأن ذلك من أجل مكارم الأخلاق؛ لأن المروءة والفتوة والسخاء والإيثار من صفات الإخوان في الله، وشيم الفقراء الصالحين. والمتداين في حق إخوانه وأحبابه وأهل الفضل والدين من أهل حاشية يدل على كمال إيمانه، وحسن توكله ويشهد بكرمه وطبعه وقوة اعتماده على الله. ولهذا قال أئمة التحقيق من فضلاء الفقراء الصابرين العارفين بالله علامة الإيحاء في الله ألا يكون بينك وبين من أحببت في الله شيء من التمييز في جميع ما تملك. قال المحاسبي في نصائحه: «علامة ذلك صدق الانبساط الذي لا تقع فيه حشمة<sup>5</sup> ولا وحشة».

1 - ما بين المعوقين ساقط من النسخ الأخرى. (ب). (د). (ك).

2 - ما بين المعوقين ساقط من (ب).

3 - ما بين المعوقين ساقط من (ب).

4 - يقصد "المداشر".

5 - في (د): "حشومة".

ومن صفات الأخ في الله أن تخلفه في أهله وماله وولده حاضراً أو غائباً، وتتفقد أحواله، وتسد خلله، وتسعى في حوائجه، ويكون انبساطه في منزل أخيه كانبساطه في منزله بالطمأنينة من القلب، وسكون الجوارح، محتمل الرزية.

يا أخي من اجتمعت فيه هذه الأوصاف كيف يكون تكليفه لأخيه نوعاً من الغصب، وكل منهم ينتفع/ [40] بصاحبه في الدنيا والآخرة؟!؛ جهل المعترض من هذه النكتة: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(1)</sup>، الآية. وكيف لا يتكلف الرجل لمُحِبِّهِ في الله، وزائره في الله وجالسه في الله. والنبى ﷺ يقول: «المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء، في العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة، في عليين إذا طلع أحد من قصره ملاً حسنه ونوره بيوت أهل الجنة، فيقول أهل الجنة بعضهم لبعض: "اخرجوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله ينظرون إلى الله، والله ينظر إليهم"». رواه ابن مسعود.

فإن قلت: "إنهم يجهلون ما قلت إن الله أعد للمتحابين في الله والمتزاورين في ما ذكرت"، قلت: المعمول لأجله وهو المنعم الكريم يعلمه، وهو المجازي به، وأنهم لا يعلمون، وكم من عمل من أعمال البر لا يدري عامله مقدار ثوابه، ولا يدري هل يثاب عليه، فيثيبه الله بما لا يخطر على خاطر. ودليلها أيضاً ما جاء عنه \_عليه الصلاة والسلام\_: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ولا يلقي لها بالاً مما يظن أن تبلغ به ما بلغت». ونحوه من الأحاديث.

فإن قلت: "وأين هؤلاء من أولئك؟"، قلنا: هذا لا يلزم، وما خلق الله الخلق ليكونوا على حد واحد، وأولياء كل زمان وصلحاءه وفقراءه وأمرأؤه بحسبه، وأخوة كل واحد بقدر يقينه ومعرفته، ولا سبيل إلى القطع في صدق المؤاخاة، إنما يعلمه علام الغيوب، ونحن وإياكم في

<sup>1</sup> \_ سورة الزخرف، من الآية 67: وتتمتها: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

الإثبات والنفي ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>، ودرجات الظن متفاوتة، فقد يغلب على ظن شخص في أمر يقرب به من اليقين لكن أيها المعترض نظرت بمرآتك الناقصة لغيرك، فرأيت فيها عيوباً، هلا شفقت على قلبك، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(2)</sup>.

وأقل ما يرجو الأخ في الله من أخيه أن يشفع له يوم القيامة وينتفع بجاهه في دفع كثير من شغوب الدنيا، ويبصره فيما يجهله ويرشده لمصالحه. وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أكثرها من صحبة الصالحين فإن فيهم [الشفاعة]<sup>3</sup> والشفعاء. والتودد يوجب المحبة. وجاء عنه ﷺ: «مِثَالُ 4 الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَوَاحُيهِمْ كَمِثَالِ الْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»<sup>(5)</sup>.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وانما أتيت بهذه المناقشة والرد لنزيل بها قلوب الفقراء أهل المروءة والفتوة، ونزع من خواطرهم تشويش المعترض، فإن ذلك يزرع في القلوب توفيقاً. وفي الله الكفاية والرجاء، وَمَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ اسْتَرَاحَ».

ثم قال: «فاعرف يا أخي حق الأخوة، فلعلك تقوم بحق ثورك وتضيق حق أخيك، نسأل الله له الجنة، وتشح عليه بدرهم تصله به، أو فضلة ثوب يوارى به عورته، أو بلغة حلفاء ينتفع بها وينتعلها».

<sup>1</sup> - سورة الجاثية، الآية 32: وتتمتها: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

<sup>2</sup> - سورة النساء، الآية 69: وتتمتها: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

<sup>3</sup> - ما بين المعوقين إضافة من (أ) فقط.

<sup>4</sup> - كذا في (أ). وفي باقي النسخ: "مثل". وهو الأصح.

<sup>5</sup> - من الواضح وقوع المؤلف في خلط بين حديثين: الأول قوله ﷺ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ: مِثْلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ: تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى». رواه مسلم في صحيحه. تحت رقم 2585. ج 16. ص 119. مكتبة أبي بكر الصديق. ط. القاهرة. 2006م.

والثاني قوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. وشبك بين أصابعه». رواه البخاري. ج 2/180. رقم 2446. ط. دار الإمام مالك. الجزائر. 2010م.

ثم قال: «فمن حفظ الفقراء والمساكين وتفقّد أحوال ذوي الحاجات وسد خلتهم بكسرة خبز أو صاع من طعام، أو بشق تمرّة، أو حطب أو ثوب لولده أو عياله أو درهم أو فضالة حاجة، أو إعانة بجاهه في بناء مسكن يأوي إليه، أو جلب منفعة من غيره، أو دفع سوء أو أخط له مرقعة أو فلاها أو نظفها أو ساقه لبيته، أو دفاه من البرد في ليلة قرّ، أو انتخب له طعاماً، أو رفعه إليه ليأكله مع أهله، لا يبتغي بذلك إلا وجه الله الكريم<sup>1</sup> حقا على الله أن يقضي حوائجه ويثيبه ثواباً معجلاً بأضعاف مضاعفة، وحفظه في نفسه وماله وأهله وذاد عنه كل مكروه، فإنه أكرم الأكرمين مع ما ادخر له من الثواب الجسيم/ [40ظ] في الدنيا والآخرة».

ثم قال: «وقد يحوج الله فقيراً لكسرة خبز يسد بها جوعته أو لخرقة يستتر بها عورته وهو عند الله بمكان. قال أبو الصبر: سمعت أن بموضع رجلاً أسود من الفقراء يأوي في الخرابات، فحملت إليه شيئاً وبحثت عليه، فلما وقعت عيناه علي تبسم، فرأيت الخرابات كلها ذهباً تلمع، فقال لي: "هات ما معك" فأعطيته وهربت. ومن وعد من نفسه شيئاً للفقراء وعودهم عادة فليوفه لهم؛ لئلا يصاب بشيء في بدنه أو ماله. قال أبو جعفر بن بركان: «كنت أجالس الفقراء ففتح الله علي بدينار، فأردت أن أدفعه لهم، ثم قلت: "لعل أحتاج إليه"، فهاج بي وجع ضرستي، فقلعتها، فوجعتني أخرى، فقلعتها، فهتف بي هاتف: "إن لم تدفع الدينار للفقراء لا يبقى في فمك سن".» وأنشدوا: [وافر]

عِبَادُ اللَّهِ سَادَاتُ كِرَامٍ      لَهُمْ فِي الْخَيْرِ إِنْ لَاحَ انْبِعَاتُ  
عَلَامَتُهُمْ نُحُولٌ وَاصْفِرَارٌ      وَإِخْبَاتٌ وَأَطْمَارٌ<sup>2</sup> رِيَاثُ<sup>3</sup>  
فَهُمْ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا أَمَانٌ      مِنَ الْأَمْرِ الْمَخُوفِ وَهُمْ غِيَاثُ  
أَبَانُوا صُحْبَةَ الدُّنْيَا وَقَالُوا:      "طَلَّكَ فِي شَرِيْعَتِنَا ثَلَاثُ"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - في (د): "العظيم".

<sup>2</sup> - الطمر الثوب الخلق، وخص به ابن الأعرابي الكساء البالي من غير الصوف، والجمع أطمار. لسان العرب. ج9/ص144.

<sup>3</sup> - كذا في (ا) و(ب) و(ك). أما في (د): "اطمرار ريات". وهو خطأ.

وأوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ لَكَ حَسَنَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ حَسَنِ الْخَلْقِ؟»، قال: "نعم"، قال: «عُدِ الْمَرَضَى، وَكُنْ لِثِيَابِ الْفُقَرَاءِ فَالِيًا». فجعل موسى ﷺ على نفسه في كلِّ شهرٍ سبعةَ أيَّامٍ يطوفُ على الفقراءِ، ويفلي ثيابَهُمْ». انتهى من سيدي موسى المذكور.

### قلت:

ومن علامة الفلاح صحبة الصلاح، فقد ورد الحظ في صحبة الفقراء الذاكرين الله عزَّ وَجَلَّ والمساكين. قال سيدي موسى المذكور: «وحب الفقراء من أخلاق سيد المرسلين ومجالستهم من شيم الأنبياء والصالحين، فقد كان \_ عليه الصلاة والسلام \_ يقول: «اللهم أحييني مسكينا، وأمتي مسكينا، واحشني مع المساكين»، فأبي فضيلة توازي هذا؛ حيث يسأل سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد ﷺ أن يحشر في زمرتهم! ما وراء هذا مطلب لمن عقل كلام النبوة، وكيف لا وقد عتب الله نبيه \_ عليه الصلاة والسلام \_ فيهم حين قال الأغنياء والأشراف وسادات العرب وأهل النجدة لرسول الله ﷺ: اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا نجىء، ويوما نجىء إليك ولا يجيئون، يعنون الفقراء كبلال بن حمامة وسلمان، وصهيب وأبي ذر وأبي هريرة وعمار وأصحاب الصفة من الفقراء \_ رضي الله عنهم، ونفعنا بهم \_، فأجابهم النبي ﷺ لذلك؛ وذلك أنهم شكوا أنهم تؤذيهم رائحتهم، وكان لباس القوم الصوف، فإذا أصابهم المطر تفوح منهم رائحة كرائحة الضأن.

فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ

<sup>1</sup> - الأبيات المذكورة في التشوف للتادلي. ولم ينسبها لأحد. ينظر . ص148.

<sup>2</sup> - سورة الأنعام، الآية52: وتتمتها: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبُهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ﴿٢﴾.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال أبو جعفر الصيدلاني: "رأيت النبي ﷺ في المنام وحوله جماعة من الفقراء،/ [41و] فبينما هم كذلك إذ نزل من السماء ملكان بيد أحدهما طست من ذهب، وبيد الآخر إبريق من فضة، فوضعا الطست بين يدي رسول الله ﷺ فغسل يديه الكريمتين، ثم أمرهم فغسلوا أيديهم، ثم وضعا الطست بين يدي، فقال أحدهما للآخر: لا تصب عليه؛ فإنه ليس معهم، فقلت: "يا رسول الله، قد روي عنك أنك قلت: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»!»، فقال: «صَدَقَ الرَّأْيِيُّ»، قلت: "فإني أحبُّك، وأحبُّ هؤلاء الفقراء"، فقال ﷺ: «صُبَّ عَلَى يَدَيْهِ»". انتهى منه \_رحمه الله\_.

قلتُ: والأحاديث في حب الفقراء والمساكين كثيرة، فمن ذلك ما ذكره الحبشي<sup>3</sup>، ولفظه: قال \_عليه الصلاة والسلام\_: «أكثرُوا من معرفة الفقراء، واتخذوا منهم الأيادي؛ فإن لهم دولة يوم القيامة»، قالوا: "وما دولتهم؟"، قال: «إذا كان يوم القيامة قال تعالى: «انظروا من أطعمهم كسرة، وسقاهم شربة، أو كساهم ثوباً، فخذوا بيده، وامضوا به إلى الجنة»<sup>4</sup>. وأنشدوا: [بسيط]

لَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ مِسْكِينًا ثَلَاثِيهِ      فَإِنَّمَا هِيَ أَفْسَامٌ وَأَرْزَاقُ  
وَكُنْ مُحِبًّا لَهُ تُرْجِي شَفَاعَتَهُ      فَلِلْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْحَشْرِ أَسْوَاقُ

<sup>1</sup> \_ سورة الكهف، الآية 28: وتتمتها: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾.

<sup>2</sup> \_ نفس السورة، والآية.

<sup>3</sup> - الحبشي هو أبو سلام الأعرج مطور الدمشقي (ت 54هـ). من ثقات التابعين، يروي عن عدد من الصحابة وأكثر روايته عنهم مرسله. ينظر ترجمته في تهذيب الكمال. ج 28/ص 484.

<sup>4</sup> - ذكره الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي رحمه الله في أحاديث إحياء علوم الدين التي لم يجد لها إسناداً، طبقات الشافعية الكبرى: ج 6/ص 367.

وقال - عليه الصلاة والسلام- : «يقول الله تعالى للرجل يوم القيامة: «وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة، اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، فمن أطعمك أو كساك يريد بذلك وجهي فخذ بيده وهو لك»». وقال - عليه الصلاة والسلام-: «أكرموا الضعفاء فإنما تتصرون وترزقون بضعفائكم»<sup>1</sup>، وقال: «إن الله ينصر المسلمين بدعاء المستضعفين»<sup>2</sup>. وقال: «بفقراء أمتي تنزل الرحمة في الدنيا والآخرة»<sup>3</sup>. وقال: «إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها، بدعائهم وإصلاحهم وإخلاصهم»<sup>4</sup>. وقال: «من أكرم الضعيف أكرمه الله، ومن أبغض الضعيف أبغضه الله»<sup>5</sup>. وقال: «ألا أخبركم من ملوك الدنيا؟، كل أغبر ذو طمرين لا يؤبه به، لو أقسم على الله لأبره»<sup>6</sup>. وقال لأبي بن كعب: «إن كنت أغضبت على الضعفاء فقد أغضبت ربك»<sup>7</sup>. وقال: «لولا الفقراء لهلك الأغنياء»<sup>8</sup>. ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: «إن ذكر أهل الغناء أهل الفقر، وأهل السعة أهل الضيق، وأهل السلامة أهل البلاء أتممت عليهم نعمة». وقال موسى عليه السلام: -«إلهي أين أطلبك؟»، قال: «عند المساكين المنكسرة قلوبهم». ويروى: «جالسوا المساكين؛ فإن رحمتي لا تفارقهم»<sup>9</sup>. ويروى: «ما أهلك الله قوما وإن عملوا ما عملوا حتى

<sup>1</sup> - رواه الديلمي في مسنده، ومعلوم أن ما تفرد به هذا الكتاب هو ضعيف لا يصح: الفردوس بمأثور الخطاب (رقم: 226): ج1/ص76.

<sup>2</sup> - رواه بهذا اللفظ أبو نعيم الأصبهاني والطبراني: - حلية الأولياء: ج5/ص100- المعجم الأوسط (رقم: 4148): ج4 / ص263. وأصله في صحيح البخاري بلفظ: «هل تتصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟» (رقم: 2896): ج2/ص304.

<sup>3</sup> - لم أعثر عليه في كتب الحديث، والله أعلم.

<sup>4</sup> - رواه النسائي: - سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف (رقم: 3178): ج6/ص45.

<sup>5</sup> - لم أعثر عليه في كتب الحديث، والله أعلم.

<sup>6</sup> - في (ب) و(د): «من ملوك الجنة»، وليس من ملوك الدنيا كما أثبتته الناسخ وهو الأصح، والحديث رواه ابن ماجه والبيهقي بألفاظ قريبة مما ذكره المؤلف: - سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له (رقم: 4115): ج5/ص233. - البيهقي: شعب الإيمان، باب في الزهد وقصر الأمل (رقم: 10488): ج7/ص333.

<sup>7</sup> - لم أعثر عليه في كتب الحديث، والله أعلم.

<sup>8</sup> - لم أعثر عليه في كتب الحديث

<sup>9</sup> - لم أعثر عليه في كتب الحديث.



أهانوا بفقرائهم»<sup>1</sup>. قال القشيري: «والفقراء صفوة الله من عباده، ومواضع أسرارهِ بين خلقهِ، بهم يصون الله الخلق، وبهم يبسط الرزق». وقال \_عليه الصلاة والسلام\_: «يقول الله عزَّ وَجَلَّ: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»<sup>2</sup>. انتهى من الحبشي المذكور.

**قلتُ:** وهذه الأحاديث دالة على محبة الفقراء العافين بالله، المتبعين لرسول الله ﷺ؛ لأنَّ الغالب عليهم الزهد في الدنيا بلباسهم الصوف، فلذلك سماوا بالصوفية على أحد الأقوال في ذلك، \_نفعني الله بحبي فيهم، وجعل البركة في ذريتي بجاههم عند الله\_.

### \_ حكاية في المعنى:

قال الشيخ أبو يعقوب سيدي يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن شعيب الهمداني: «واعلم أن الله خلق من نوره سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين، وأقامهم/ [41 ظ] بين العرش والكرسي في حضرة القرب، وألبسهم الصوف الأخضر، وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقاموا متواجدين، والهيئ حيارى، خاشعين سكارى، منذ خلقوا يهرولون من ركن العرش إلى الكرسي؛ لما بهم من شدة الوله فهم صوفية أهل السماء، وإخواننا من النسب، فإسرافيل قائدهم ومرشدهم، وجبريل رئيسهم ومتكلمهم، والحق تعالى أنيسهم وملكهم». انتهى من الشطنوفي \_رحمه الله\_.

فإياك يا أخي والتعرض على الفقراء الذاكرين الله، من تلامذة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_.

وأما أهل البدع فيجب التغيير عليهم، وينهون عن فعلهم القبيح من مخالفة السنة. فقد حكى الشيخ: «أن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف أحرق عليهم بيوتهم، وأمر بضريهم ونفيهم، وأدبهم غير ما مرة، وكان يقول لأصحابه: «عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». كيف يتقول أو يتعرض على هذا الشيخ المبارك وتلامذته الأخيار المتبعين لسنة النبي المختار،

<sup>1</sup> - هذا ليس حديثاً، بل أثر نقله الإمام القشيري من كلام معاذ النسفي: - الرسالة القشيرية: ج2/ص 430 .

<sup>2</sup> - رواه البخاري بلفظ: «إنَّ الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب...»، صحيح البخاري (رقم: 6502): ج4/ص 36.

مع ما منحه الله به من العلم والعمل به؟! وقد قدمنا أن علماء السنة أجمعوا على تعظيمه وأثنوا عليه، وشهدوا بولايته، كسيدي أحمد بن الحاج وسيدي محمد بن يوسف السنوسي وسيدي محمد بن عبد الجبار الفجيجي، وسيدي أحمد بن عبد الواحد الورعي وسيدي محمد الزيتوني الذي كلمه المصطفى ﷺ في اليقظة على ما أخبرني به سيدي عمار بن سيدي أبي عبد الله بن واضح؛ وذلك أن سيدي عمار المذكور قال لي: "ذهبت مع الزيتوني مع أخي سيدي محمد الملقب أفغول إلى مليانة، وهو مسافر إلى الحج، وأردنا الرجوع لأهلنا، فقال لي: "يا عمار إنما طلب علي مشيكما، لكي تتالا مني البركة، وأما أنا فلا أخاف من أحد؛ معي من الملائكة كذا وكذا، ومن الجن المؤمن كذا وكذا". ثم قال صاحب الزيتوني: "أحدث سيدي عمار بما رأيته لكم من كرامة في مدينة الرسول ﷺ"، قال له: "قل، وإنما أسمع".

قال صاحبه المذكور: "فلما قضينا مناسك الحج أتينا المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. ونزلنا خارج المدينة أتى أهلها الزيتوني المذكور فسلموا عليه، وطلبوه في الدخول للمدينة المطهرة والمعظمة بتعظيم من دُفن عليها السلام. وكان ذلك اليوم شديد الحر، فقال لهم الزيتوني: "لا أدخل مدينة سيدي إلا أن يؤذن لي". فرجع أهلها للمدينة العزيزة الشريفة زادها الله عزاً وشرفاً، ثم بعد ساعة سمع أهل المدينة صوتاً بأعلى المنار، وهو يقول: «يا أهل المدينة أنا محمد بن عبد الله أنا رسول الله ﷺ، اخرجوا إلى الزيتوني فأدخلوه»، فأتوا مسرعين إليه. فلما أن قربوا منه قال لهم الزيتوني المذكور قبل أن يصلوا إليه ويعلموه: "الآن يدخل الزيتوني لمدينة سيده حين أذن الله، فدخل هو ومن معه". فقال له سيدي محمد الزيتوني: "صدقت، هكذا وقع حرفا بحرف".

فإياك يا فقيه التعرض على قطب زماننا سيدي أحمد بن يوسف الذي يشهد له هذا السيد وغيره من فحول علمائنا وساداتنا الذين قدمتهم بالأولية نفعنا الله بجمعهم، وحشرنا في زمريهم، فإن لم تنته فيخاف عليك سوء الخاتمة، نعوذ بالله من القول في أولياء الله.

قال سيدي موسى بن عيسى \_رحمه الله\_: «فمن أطلق لسانه في عالم أو عابد أو فقيه بالتلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب». / [42و] ثم قال: ويوشك أن يجعل الله عقوبة من انتهك عرض فقير أو غير قلب مسكين في نفسه أو ماله أو قرابته أو جيرانه. وإياك أن تتكر على أحد ما يظهر للعيان، وأنه غير مستقيم، ولا جاري على ظواهر الشريعة، إذا كان ممن له ذوق قبل الامتحان. والولي مستور في العباد، ومحبتة تعالى للأولياء سابقة للسابقين، وخاصة المخصوصين». انتهى منه \_رحمه الله\_.

**قلت:** ليس الولاية بكثرة العبادات والطاعات، وإنما هي بفضلها ورحمتها لمن سبقت له العناية، ودليله قوله ﷺ: ما فاقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما فاقكم بشيء وقر في صدره، وهو الإيمان.

### \_ حكاية في المعنى:

روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كان ابن عمار من العلماء المتقدمين ختم القرآن في ظلام الليل ألف مرة، وبلغ في الجهاد سبعين غزوة، وحفر في طريق الحجاز أربعين بئراً. قال: "قلما رأيت في المنام، فقلت له: "ما فعل الله بك يا ابن عمار؟"، فقال لي: "يا ابن مسعود أوقفني بين يديه، فقال لي: «بأي شيء جئت من الدنيا، يا ابن عمار؟»، فقلت: "له يا إلهي أنت أعلم، ختمت القرآن ألف ختمة بالقيام في ظلام الليل، وتبعث في الجهاد سبعين غزوة، وحفرت في طريق الحجاز أربعين بئراً"، فقال لي: «ما قبلت منك شيئاً من ذلك يا ابن عمار، إنك كنت في مجلسك في يوم كذا وكذا في وقت كذا وكذا، وأنت تحدث الناس»، إلى آخر الحديث. قلت: "اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً، وتفرقنا منه تفرقاً مباركاً معصوماً، ولا تجعل اللهم فينا بدعائك شقياً ولا محروماً يا رب العالمين". فقال أهل المجلسين: "آمين". وكان فيهم واحد من الأولياء، فقبلت تأمينه، وأجبت دعاءه، وأنت من أهل المجلس، وأنا رحمتُ أهل المجلس، ببركته يا ابن عمار». انتهى من كتاب الفوائد.

قال سيدي موسى المذكور: «ولا يسوغ للفقهاء أن ينهى عامياً فضلاً عن فقير صوفي متمسك بالدين متبع سبل الصالحين عن فعل يكون فيه اختلاف بين الأئمة المشهورين. ونبه على هذا القرافي [والله الموفق]<sup>1</sup>. ومثله ما ذكره السنوسي في شرح عقيدته الوسطى، ونصه: «فليس لنا أن نسيء الظن بإيمان أحد من المسلمين، عامياً كان أو غيره؛ إذ المعرفة محلها القلب والتقليد يكفي في الخروج منه الدليل الجملي. ولا يشترط القدرة على ترتيبه على الوجه الذي يرتبه العلماء، ولا دفع الشبهة الواردة عليه، ولا القدرة على التعبير عنه، بل إذا فهمه عرف به الحق، وخرج به عن التقليد، فهو عارف، وإن لم يقدر أن يعبر عما في ضميره من ذلك، ولا قدر أن يرد على مبتدع بشبهة يوردها على الحق؛ لأن ذلك وصف الفقهاء والعلماء الراسخين في العلم، وهو فرض كفاية، من قام به من العلماء في كل قطر أجزأ عنه غيره من ذلك القطر». ثم قال: «وكثير من العلماء يعجزون عن التعبير عما في ضمائرهم من العلوم المحققة فكيف بالعامية! اللهم إلا أن يظهر على لسان المرء ما يدل على ما كان في ضميره من العقد الفاسد، فالواجب حينئذ أن يتلطف في تعلمه ومعاناته بما أمكن، والله المستعان». انتهى منه، وبعضه تركته لطوله.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وما أنكره المعترض على الفقراء في اجتماعهم في المساجد القديمة البناء ومشيمهم إليها راجح، واحتج على الفقراء والمريدين والمتعبدین الذين يقصدون زوايا الفضلاء والمساجد القديمة والبناء في سواحل البحر والفلوات؛ لزيارة من بها من الصلحاء؛ وللاجتماع فيها مع الفقراء/ [42ظ] والواردين للأذكار والأدعية، وأنواع القرب، احتج بالحديث: «لا تشد الرحال إلا لثلاث». فالجواب لهم أن الممنوع إنما هو أن يقصد أحد مسجداً من غير الثلاثة للصلاة فيه خاصة، وأما من قصده بمعنى آخر فغير ممنوع؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام يأتي مسجد قباء راكباً وماشيًا فيصلي فيه ركعتين، وفي حديث آخر: «كان يأتيه كل سبت»، قال بعض أهل العلم: «إنما كان يأتيه ليجتمع فيه بالأنصار»،

<sup>1</sup> - إضافة من (ك).

وقد جاء عنه في فضلهم كثير، حتى قال الأنصار: كرشي وغيبتي. قال بعض منهم: "وانتمام الصلاة معهم وفي محلهم وحضور العدد الكثير من الفقراء وأهل الفضل والدين ممن يجتمع في مواضع مخصوصة في أزمنة معلومة قد ألفوها قديماً وتوارثوها خلفاً عن سلف، فإن هذا مباح أو مندوب؛ إذ ليس القصد بذلك تشريفاً للمواضع، وإنما هو للاجتماع لله وفي الله وطمعا فيما عند الله، بوسيلة الفضلاء من عباد الله؛ فقد قيل للنبي ﷺ: "أي جلسائنا خير؟"، قال: «من تذكركم<sup>1</sup> الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وتذكركم بالآخرة علمه<sup>2</sup>».

انتهى منه بلفظه.

فإياك يا فقيه والقول في الفقراء السالكين من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله\_ ولو ظهر لك من أحدهم أنه غير مستقيم، ولا جار على ظواهر الشريعة؛ فلعل له عند الله حالا. فإن قال المعترض على الفقراء: "وكيف تصنع بالحديث المروي عنه\_ عليه الصلاة والسلام\_، وهو قوله: «افتترقت أمة موسى ﷺ على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة في الجنة، وتفترق أمة عيسى ﷺ على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعين منها في النار وواحدة في الجنة»، قال ﷺ: «وستعلو<sup>3</sup> أمتي على الفريقين جملة<sup>4</sup> واحدة ثنتان<sup>5</sup> وسبعون في النار وواحدة في الجنة». قال<sup>6</sup>: "من هم يا رسول الله؟"، قال: «الجماعة»، وفي

- كذا في جميع النسخ، وهو خطأ. والصواب: "من ذكركم"<sup>1</sup>

<sup>2</sup>- في (ب) و(د): "علمه" وهو الصواب. والحديث ساقه الحافظ ابن حجر العسقلاني بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قيل: يا رسول الله أي جلسائنا خير؟. قال: من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وتذكركم بالآخرة عمله». وقال: هذا حديث غريب. ينظر: موسوعة ابن حجر: كتاب الأدب، باب الجليس الصالح، ص 497.

<sup>3</sup>- في (ا): "وستعلموا". وهو غير صحيح إذ الصواب ما ورد في باقي النسخ.

<sup>4</sup>- كذا في (ا) و(د)، وفي (ب) و(ك): "بملة".

<sup>5</sup>- في (د): "اثنتان". وكلاهما صحيح.

<sup>6</sup>- في بقية النسخ: "قالوا" وهو الأصوب.

لفظ آخر: «كلها في النار إلا السواد الأعظم». وفي حديث ابن عمر: "من هم يا رسول الله؟"، قال: «ما أنا عليه وأصحابي». انتهى من ابن سبع<sup>1</sup>.

قلت: الجواب عنه ما ذكره المزناني<sup>2</sup> صاحب الحلل في تعيين هذه الفرق من أمة محمد ﷺ ونصه: «فأصول هذه الفرق ستة: الزنادقة، والرافضية، والقدرية، والحرورية، والجهمية، والمرجئة. فالزنادقة فيه خمس فرق، والرافضية خمسة عشر فرقة، والقدرية سبع فرق، والحرورية خمسة وعشرون فرقة، والجهمية ثمانين فرق، والمرجئة اثني عشر فرقة، فذلك ثنتان وسبعون فرقة:

\*أما الزنادقة: فأصلهم أن الدنيا خلقت لآدم ينتفع بمتاعها ويتصرف فيها كيف شاء، فلما مات جعلها الله ميراثاً لولده من بعده بالسوية، فليس لواحد منهم فضل على غيره، فلا يسأل عن شيء إذا أخذه من غيره، فافتقرت أراؤهم الفاسدة في هذا المعنى على خمسة أوجه.

\*وأما الرافضية: فأصلهم الغلو في علي بن أبي طالب وذم أبي بكر وعمر وسموهما الجبت والطاغوت، حين قبلا الإمارة وانتزعاها من علي. فبعضهم يقول غلط الوحي في محمد ﷺ، وإنما كان لعلي، وبعضهم يقول كان علي ﷺ يعلم الغيب. وبعضهم يقول لم يميت

<sup>1</sup> - كذا في (ب) و(د): وفي (أ): "ابن سبعون". وفي (ك): "ابن سبعون". والصواب ابن سبع السبتي: وهو أبو الربيع سليمان بن سبع العجيسي الملقب بالخطيب ولد في حدود (440 هـ - 1048 م) بسبته، وبها نشأ وتعلم ثم بعد ذلك خطر له أن يطوف على كثير من بلاد الأندلس، ويتصل بعلمائها، ويأخذ عن مشايخها، ففتتسع دائرة معارفه، وتتعدد طرق رواياته. وتوفي في نحو (520 هـ - 1126م)، وقد عاش نيفا وثمانين سنة. وقد خلف عدة مؤلفات علمية هامة منها كتابه الشهير الذي أخذ منه الصباغ بعض مادته وهو بعنوان (شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول وخصائصه). عبد الباري شكري: نبذة مختصرة عن كتاب شفاء الصدور لابن سبع السبتي، شبكة الألوكة، بتاريخ 20 مارس 2023م على الساعة 22 و29 دقيقة. [www.alukah.net](http://www.alukah.net) - وينظر: مجلة دعوة الحق، عدد 200. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. موقع الكتروني. [www.habous.gov.ma](http://www.habous.gov.ma) > item.

<sup>1</sup> - في (أ) و(د) و(ك) الزناتي. أما في (ب) فجاء: "المزناني". وقد بحثت عنهما معا فلم أعثر على شيء يطمئن إليه القلب والعقل. وبخصوص الزناتي فلم أعثر على معلومات عنه رغم بحثي المستمر. وورد ذكره في الموقع الإلكتروني هكذا: أحمد الزناتي منسوباً إليه عنوان مخطوط: "حلل المقالة في شرح الرسالة" (شرح رسالة القيرواني)، وأضيفت عبارة: مخطوط الغرب الإفريقي. وليس ثمة معلومات تخص المؤلف بالتعريف، وكذا معلومات حول المخطوط ومكان وجوده. ينظر الموقع: <https://books-google-nl.translate>

وسيعود ويتملك. وبعضهم يقول كان شريكاً لمحمد ﷺ، فظلمه محمد ﷺ، فاستبد بالأمر دونه فافتقرت آراؤهم الفاسدة في هذا المعنى على خمسة عشر وجهاً.

\*وأما القدرية: فأصلهم إضافة الحسنات إلى الله، وإضافة السيئات إلى العباد. وأن العباد قد انفردوا عن قدرة الله تعالى بقدرتهم، وأنهم يخلقون / [43] أعمالهم، ولا مدخل فيها لله. وأن الحوادث من الآن قدرت، ولم يتقدم تقديرها في الأزل، فافتقرت آراؤهم الفاسدة في هذا المعنى على سبعة أوجه، وسميت طائفة منهم بالمعتزلة؛ لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري، وزعموا أنه غير مصيب فيما يقول، وكان على طريق أهل السنة والجماعة.

\*وأما الحرورية: فأصلهم نفي الحكم عن العباد، والمنفرد بالحكم هو الله، ثم رسول الله ﷺ؛ فلا حكم لأحد بعده على أحد، ولا يقيم الحد في حد ولا زنا، ولا غير ذلك أحد على أحد بعده. ويكتفى في النكاح بشهادة الكرام الكاتبين فيه للآدميين، وإذ صح النكاح فلا ينحل بالنكاح. فافتقرت آراؤهم الفاسدة في هذا المعنى على خمسة وعشرين وجهاً، وسميت طائفة منهم بالخوارج؛ لخروجهم عن مولانا علي بن أبي طالب ﷺ. وقد كان رسول الله ﷺ يوصفهم بصفة فصدقت فيهم.

\*وأما الجهمية: فأصلهم في الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وأنه ليس بشيء ولا تقع عليه صفة شيء ولا معرفة شيء، وكل صفة وصف بها نفسه من شديد وعليم وقدير وغير ذلك مجاز لا حقيقة، وكل ما ذكر في الآخرة من حسنات وصراط وميزان وساعة وعذاب القبر مجاز لا حقيقة، إنما هو تهويل وتطميع للخلق؛ لأن ذلك يكون، وأن من دخل النار لا يخرج منها أبداً. فافتقرت آراؤهم الفاسدة في هذا المعنى على ثمانية أوجه.

\*وأما المرجئة: فأصلهم أن الإخلاص بالشهادتين لا تضر معه الذنوب وإن عظمت، فكما لا تنفع الأعمال الصالحة مع الكفر عندهم، فكذلك لا تضر المعاصي مع الإيمان، وأن الإخلاص بالقلب يغني عن النطق باللسان والعلم بالجوارح. وافتقرت آراؤهم الفاسدة في هذا المعنى [على اثني عشر وجهاً. وهذه الجملة قد فصلتها أئمة السنة حذراً من الوقوع في فرع

من فروعها تفصيلاً بليغاً، كأبي حامد الغزالي<sup>1</sup> في كتاب الفرق، وكذلك أبو العباس الإسفراييني، وأبو الحسن خشيش بن أضرَم \_ رضي الله عنهم \_ . انتهى منه \_ رحمه الله \_ بلفظه.

فأنت ترى يا فقيه كيف خرج الفقراء عن هذه الفرق، والحمد لله، فأبي اعتراض بقي بعد هذا البيان؟ قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾<sup>(2)</sup>.

ولنرجع إلى مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_ [رحمه الله، ونفني به، آمين \_ ]<sup>3</sup>.

### المنقبة الثالثة والستون

فمن [مناقبه]<sup>4</sup> ما حدثني به المرابط يوسف بن الزغل المصراتي أن المرابط قاسم ابن المصراتي حدثه، وذلك أنه قال: "حين كان الشيخ في "تاقصريت" موضع بالقرب من مازونة، وكنت في جناني في مصراتة في أوان التفاح، فأعجبتي تفاحة كبيرة، لم أر قط مثلها فأخذتها وقلت في نفسي: "ما رأيت من أود بها إلا الشيخ سيدي أحمد بن يوسف"، فرميتها رمية الحجر بقوة ذراعي. ثم بقيت بعد فعلي أياماً وذهبت لزيارة الشيخ مع الفقراء في تاقصريت المذكورة، فلما وصلناه وسلمنا عليه قال لي: «يا عمي قاسم الأمانة التي رميتها من جنانك وصلتنا كثر الله خيرك»، ودعا لي بخير".

**قلت:** وشملت الشيخ عنايته عليه السلام وبركته، وذلك أنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ لما أراد بناء مسجد المدينة قال لأبي بكر: «أحتاج لجنود<sup>5</sup> للمسجد»، فقال: "إن لي بمكة جنوداً في بيت عددها كذا وكذا، فلو كانت هاهنا لدفعتها لك"، فقال \_ عليه الصلاة والسلام \_ : «أوتريد ذلك؟»، قال: "اللهم نعم"، فدعا \_ عليه الصلاة والسلام \_ الجنود فخلق / [43ظ] الله لها

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (د)

<sup>2</sup> - سورة يونس، من الآية 32: «فَدَلِكُمْ اللَّهُ رُبُّكُمْ أَلْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ».

<sup>3</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ك).

<sup>4</sup> - في (ا) عوضت ما بين المعوقين بـ: "ذلك".

<sup>5</sup> - كذا في جميع النسخ، والصواب: "يحتاج إلى جنود للمسجد".



أجنحة من مكة إلى المدينة فاستعملت للمسجد». انتهى من سيدي موسى بن عيسى المازوني رحمه الله.

**قلت:** وما وقع لسيدي أحمد مع تلميذه المرابط قاسم المذكور في التفاحة يقرب منه ما وقع لأبي العباس المرسي مع تلامذته أبي عبد الله بن سهل على ما ذكره السيد ابن عطاء الله، ونصه: «قال أخبرني أبو عبد الله بن سلطان وكان من أولياء الله تعالى، قال: أردت أن أرسل إلى الشيخ أبي العباس المرسي عسلاً، فقلت لصاحبي: "خصني عسل"، فقال لي: "عندي نصفيتان عسلاً"، فقلت له: "بعني جرتين صغيرتين". فأتاني بهما، فكتبت عليهما وديعة الشيخ أبي العباس المرسي وأتيت بهما إلى بحر تونس، فأدليتهما فيه، فجاءني الخبر من عنده بالإسكندرية أنهما وصلتا إليه».

قال ابن عطاء الله: «وأخبرني بعض أصحاب الشيخ أبي العباس المرسي أنه كان جالساً في اليوم الذي رمى صاحبه الجرتين في بحر تونس، فقال لبعض أصحابه: قم بنا، فأتى بحر السلسلة من بحر الإسكندرية، وأدلى يده فأخرج جرتي العسل على الصفة التي وصف، والكتابة عليهما، كما كتب تلميذه لم تتغير في الحين، بقدرة الله وبركة رسول الله ﷺ». انتهى من ابن عطاء الله.

### المنقبة الرابعة والسُّتون

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف ما حدثني به السيد الخطيب يخلف بن محمد الرابطي أنه قال: كنا جلوساً عند الشيخ سيدي أحمد مع أصحابه في مصراتة إذ قدم علينا رجل أسمر اللون بثياب رثة وبيده عكاز فسلم على الشيخ، فرحب به الشيخ، وفرح به فرحاً عظيماً، ثم إن الشيخ أراد أن يعرف أصحابه ولاية الرجل، وأنه من أهل الحضوة، فقال له الشيخ: "أين صليت الصبح؟"، فقال له: "في تونس"، وكان ذلك الوقت بعد الظهر، ثم قال له الشيخ: "تبيت عندنا الليلة"، فقال له: "يا سيدي، مبيتي إن شاء الله في فاس". فطلبه الشيخ

في الدعاء، فدعا الرجل والشيخ يؤمن على دعائه، وكذلك الحاضرون، فقال الشيخ: "نفعم الله ببركة دعائه". ثم انصرف الرجل.

ومثله ما ذكره الشيخ سيدي موسى بن عيسى المذكور أن الشيخ سيدي أبا زكرياء المغيلي أنه كان جالسا مع جماعة من الفقراء، وقد حانت صلاة الظهر، فقالوا له: "نصلي الظهر"، فأمهلهم ساعة، فإذا بشاب قدر ابن عشرين سنة دخل عليهم، فأقام أبو زكرياء الصلاة، فتقدم الشاب فصلى بهم، فوجد الفقراء شيئا من تقدمه عليهم في قلوبهم، فتوسم الشيخ ذلك فيهم، وكان الشاب حين دخل عليهم محترما في كسبته قصيرة عقدها على صدره، ويده لويحة، فكوشف الشيخ بما هجس في صدورهم فأراد أن يُري لهم ولايته وبرهان تقديمه إياهم عليهم، فقال: "يا فقراء، من يذهب منكم لمالقة<sup>1</sup> لسيدي فلان العابد في حاجة ويعود فيصلي معنا العصر؟". فسكتوا فقام الشاب، وقال: "يا سيدي أنا أمضي إليه وأعود إن شاء الله". فذهب إليه فقدم له طعاما وأخبره أنه فضلة طعام تناول الشيخ أبو زكرياء منه. ثم رجع وصلى معهم العصر بجبل "بيسة" بين تونس "وتمزوغت"، وأخبره بقصة الرجل الذي في "مالقة". ثم أقبل الشيخ أبو زكرياء على الفقراء الذين عابوا عليه تقديمه للإمامة يعاتبهم. وهذا الشاب هو سيدي مسعود بن عريف \_ نفعا الله به، أمين \_ . انتهى من سيدي موسى المذكور.

ثم قال سيدي موسى المذكور إن رجلا من أهل "تنس" صدرت منه يمين بالطلاق ثلاثا ليحجن هذه السنة، فأبطأ حتى دخل شهر ذي الحجة، فاقتضى نظر القاضي أبي علي حسين بن محمد المازوني أن عزل زوجته عنه. فذهب الحالف للشيخ أبي زكرياء المغيلي فأعلمه بقضيته / [44و] فأمره الشيخ بطبخ ثلاث دجاجات ورغائف، فلف الجميع في منديل، وعمد إلى الرجل وشده على ظهره، وجعل المنديل بينهما، فقال له: "اثبت"، فطار به حتى بلغ مكة، وأمره بقضاء مناسك الحج وأنه إذا فرغ كتب وثيقة عند قاضي مكة بحجه هذه

<sup>1</sup> - ربما يقصد بها مدينة مالقة الإسبانية

السنة، ففعل فلما انصرف إلى المدينة لزيارة قبر المصطفى ﷺ خاطب له أيضاً قاضيهما، ثم رجع لبلده وجعل لا يمر ببلد إلا ويخاطب قاضيه على وثيقته، حتى وصل تنس واستظهر بالرسم عند أبي علي حسين قاضي تنس، وأثبتها لديه كما يجب، فاستكشفه عن كيفية وصوله فقص عليه نبأه، فاعتبر القاضي المذكور، وأطال الإعجاب. وقال له: "انصرف لأهلك، فهذا لا يُستعزبُ في حق أولياء الله تعالى".

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وذكروا أن رجلاً من وطن أبي زكرياء المغيلي وجد فقيراً بخربة، وعليه ثياب خلقة لا تقيه حراً ولا برداً، وإنما ذلك قدر مايواري به عورته، وهو يلتقط عظاما من تلك الخربة، فقال الرجل: "ما تفعل بهذه العظام؟"، فقال: "أغليها وأشرب مرقتها". فهجس في خاطر الرجل أنه هبيلٌ أو صالح. فالتفت إليه الفقير، وقال له: "إذا لقيت الشيخ أبا زكرياء فقل له: "شريكك في الشاة يسلم عليك"، فأبلغه الرجل ذلك، ثم قال له: "يا سيدي، بفضلك ما شأن هذه الشاة". فقال أبو زكرياء: "إنما كنا حججنا في ثلاثة فاشترينا شاة بمنى فأتى أحدنا بالماء من بلده، وساق الآخر النار والملح من بلده، وسقت أنا الحطب من جبل بيسة بالقرب من تنس، وطبخنا شاتنا بمنى وأكلنا".

ثم قال: «وقريب منه ما حكى عن سيدي واضح بن عاصم المكناسي وذلك أنه وقف بباب متعبده فقال لرجل: "صل معي إلى ههنا". فمشى معه الرجل إلى كدية بمقبرة من مصلى عيدهم، فقال له: "أمعك سكين؟"، فقال: "نعم"، فناوله إياها فقطع بها ﷻ نباتاً، ثم ردها ورجع من فورهما. فلما سل الرجل سكينه من جواها بعد ذلك لحاجة عرضت له رآها انقلبت ذهباً، فبهت فألهم أن سبب ذلك كان من النبات المقطوع بها بالأمس، فعمد لجميع الحديد الذي في بيته، وذهب للكدية، فصار يقطع من كل نباتها حتى أعياه ذلك، فانصرف ثم رفع واجتاز على الشيخ سيدي واضح. فلما رآه الشيخ تبسم وكاشفه بالقضية. ثم قال له: "يا ولدي، أتدري أين كنا بالأمس؟"، فقال: "ما أظن إلا كنا برأس هذه الكدية"، فقال: "يا بني إنما كنا في جبل قاف، وهناك نباتات تَقْلِبُ الأعيان فَبُهتَ الرجلُ واستبصر في أمره. فقال:

"هذه والله كرامة<sup>1</sup> انقلبت ذهباً. والأرض طويت واطلاعه على سري هذا شيء عجيب، فصار يخبر بذلك كل من لقيه». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

### \_ حكاية في المعنى:

ذكرها الشطنوفي \_رحمه الله\_ عن سيدي علي بن وهب السنجاري \_نفعنا الله به\_ ، ونصه: «قال: وأتاه رجل مغربي اسمه عبد الرحمن الإشبيلي، ووضع بين يديه سبيكة ذهب، وقال له: يا سيدي هذا للفقراء من صنعتي، فقال الشيخ سيدي علي المذكور: "من عنده آنية نحاس فليأتيني بها"، فأتوه بأواني كثيرة من الطاسات وغير ذلك، فأمر بها فجعلت في وسط الزاوية، وقام ومشى عليها فصار بعضها ذهباً وبعضها فضة إلا طاستين، فقال الشيخ سيدي علي لأهل الأواني: "من له آنية فليأخذها"، فأخذوها ذهباً وفضة، ثم قال لعبد الرحمن: "يا بني، إن الله قد أعطانا هذا كله وقد تركناه، / [44ظ] ولا حاجة لنا بسبيكتك". فسأله عن سبب اختلاف الأواني، فقال: "ذلك على قدر نيات أربابها". انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

ثم قال سيدي موسى المذكور \_رحمه الله\_، واستفاض التحدث عن سيدي واضح عليه السلام أنه كانت تأتيه رجال الغيب في سواد الليل لمتعبده؛ فيذهب معهم لأقاصي البلدان ومجتمع الأخيار الأبدال والصلحاء. وحدثوا عنه أنه سمع منه مراراً أنه قال: "رأيت أبا العباس الخضر ورافقه".

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وحكي عن سيدي واضح أنه كان خماساً عند الشيخ سيدي أبي يَكْنِي، وهو أحد المشاهير بالصلاح بهذه الأوطان، فاتفق أن جاءته يوماً أمة أبي يَكْنِي بغداء في غير الوقت المعتاد أن تأتيه به، فرأته منحاداً عن الزوج قائماً يصلي، والبقر بنفسها تحرث من غير قائد يقودها ولا سائق يسوقها، فرعبت وأعلمت الشيخ أبا يَكْنِي بذلك، فاستبصر. فلما كان من الغد أتاه مختفياً بحيث لا يراه، فشهد الأمر كما ذكرته الأمة، فوقع

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "كرامات سكينى". وهو الأصوب للمعنى.

في قلبه أنه من أولياء الله. فانصرف أبو يكني، ثم لما هم الشيخ سيدي واضح من الغد باتباع البقر للحرث على عادته تبسم أبو يكني في وجهه، وقال: "يا واضح يا ولدي، والله ما مثلك من يتبعنا في ذلك، وأنتك لذو منزلة عند الله وذو مقام كريم". فقال له: "وما الأمر يا سيدي؟"، فقال له أبو يكني: ألم يكن من أمرك كذا وكذا، فتضاءل سيدي واضح عند ذلك، وخجل، وخصخص الدمع في عينيه، فقال له: "الآن برح الخفاء وانكشف أمري أنصرف عنك". فقال له أبو يكني: "هذا الخُمس لك إن جلست أو مضيت". فانحاد عنه لمكان يتعبد فيه بمقربة منه، بحيث يتطلع أبناؤه وإخوانه في الله، وقالوا: "إن هذا المكان الذي تحول إليه الشيخ سيدي واضح"، هو المعروف عندهم "بِتَيْغُرْفَاتَيْنِ"<sup>1</sup>، ثم بعد ذلك انتقل عنه للموضع الذي قبضه الله فيه، وبنى فيه خويمة، وهو الآن المسمى "بِتَاعَشُوشْتِ"<sup>2</sup>، قبل جبل "وَأَفْرَشَانْ". فكان يتعبد فيه وفي كهوف هنالك إلى أن اشتهر أمره وطار في الآفاق ذكره.

وذكر إن سيدي واضح اعتقد أنه لا يطعم من المألوفات، فصار يفتات بشيء من الخبايز<sup>3</sup>، فأتاه رجل يوماً بشيء من لحم سمين لأهله، فتعجب الشيخ من ذلك، وسأل عن موجب تسمينه بذلك، فقال له: "إن هذا العام<sup>4</sup> كثير الخصب، وبهائم هذا الموضع تشبع من "المجير"<sup>5</sup>، فقال: "سبحان الله وكرر ذلك"، وقال خرجنا من غيره إليه لتخف أبداننا، فإذا بنا وقعنا في ما يسمننا". فاعتقد الخروج عنه، وانتقل لأكل الببوش<sup>6</sup>. فاتفق أن سمعه في القدر له حس، فسأل عنه، فأخبر فقال: "وهكذا يموت إلى أن تتضجه النار، لا إله إلا الله يموت كل وقت بسببي كثير من خلق الله"، فاعتقد الخروج عنه، وانتقل لحب الجودر. ثم بعد

11- اسم لموضع بالزناتية.

2 - كذا بتسكين التاء في (ب) و(د). وفي (ا) و(ك): "بالتاء المربوطة". والأولى أصح لموافقة نطقها باللسان الزناتي.

3 - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب): "الخبيز". وبه كتب مستدركا على هامش (د).

4 - كذا في (ب) و(د). وفي (ا) و(ك): "المقام".

5 - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب): "الحصيد". وفي (د): المجير وصححت على الهامش "الخبيز". والمجير نوع من النبات تاكله الأنعام. وقيل إن الناس كانوا يأكلونه في زمن المسغبة والقحط.

6 - كذا في النسخ الثلاث. وفي (ا): "المبوش".

هذا لا يفطر إلا على رأس الأربعين يوماً بشيء من حب الجودر. ثم انتهى في آخر عمره إلا أن كان من الروحانيين لا يدري من أين يأكل. وذكروا أنه لم يمت حتى تقطب قيل نصف يوم، وقيل ربع يوم.

وذكروا أن شيخ المشايخ [سيدنا أبا مدين]<sup>1</sup> تقطب قبل موته بثلاث ساعات، والقضية للعارف هي المنتهى، وهي لفظ لمن يفرض له التدبير في الموجود في العالم السفلي». ثم قال سيدي موسى المذكور: «ولما جاء يغمراسن لزيارة سيدي واضح والتبرك برؤيته بعد أن صح عنده اشتهاً ولايته وأمره ما صح. فجاءه في حالة خضوع غَلَساً<sup>2</sup>، فكوشف للشيخ/ [45و] بذلك قبل وصوله إليه. فعمد قبل أن يعرف أحد بطلوهم إليه سد باب مغارته بالحجارة. فلما أسفر الصبح إذا بالشيخ يحيى واقفاً مع من صحبه من الولدان والخاصة حذاء الخلوة، فابتدره من حضر بالسلام، فأحسن الرد والملاقات، فاستأذن على الشيخ سيدي واضح فلم يأذن له، فمكث حيناً طويلاً، وكان يوماً حاراً، فصار يستشفع إليه بخدومه وقربته في رؤية وجهه، فتمادى في الامتاع، فقال له بعض من أتى معه: "يا أبا يغمراسن، المقصود حصل فانصرف بنا؛ فلعل الله يبسر لنا في رؤيته في غير هذا الوقت"، فقال يغمراسن: "والله لا ننصرف حتى يرضى عنا، ويسهل الله في خروجه إلينا، ونكتحل بطلعته المباركة وكفل<sup>3</sup> القدرة على أرجلنا وأرجل خيلنا حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً".

فلما رأى سيدي واضح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنهم يئسوا من لقائه برز لهم من مغارته وأنوار ذي الجلال تعلوه، فتهيبوا<sup>4</sup> من الدنو منه، فقال يايغمراسن: "أما تعلم وقوف الضعفاء والمساكين وذوي الحاجات ببابك، وما يجدونه في قلوبهم من الانكسار، ومدافعة حراس الأبواب بطول احتجابك عنهم، وإنما فعلت ذلك لتستيقظ من سنة غفلتك، وتذكر أحوال القاصدين إليك.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين سقط من (ك).

<sup>2</sup> - الغلس ظلمة آخر الليل إذا اختلط بضوء الصباح. ينظر: لسان العرب: باب الغين. ج11/ ص70.

<sup>3</sup> - في باقي النسخ: "كبول القدرة".

<sup>4</sup> - كذا في (أ) و(ك) و(د): "فتهيبوا". وفي (ب): "فتهيبأوا". ويبدو هو الصواب في تقديري.

فأخذ يغمراسن يتملق بين يديه، ويعتذر له، وقد علتة خجلة الوقوف. والشيخ سيدي واضح في كل ذلك منقبض عنه، فهاله ومن معه ما شاهدوه من أحواله، وما ألقى الله في قلوبهم من هيئته. ثم إن الشيخ سيدي واضح بعد وعظه إياه، واستحقاره<sup>1</sup> له في الدنيا في عينيه خلا به، فكاشفه عن أشياء استترت في قصره.

فكان مما سمع منه فيما قال له: "ما كفاك ما ترتكب من الأعمال الخبيثة والأفعال القبيحة حتى جمعت بين أختين نصرانيتين، فما خير لذة ساعة مصيرها بصاحبها إلى عذاب الله"، وانبعث في كلامه كأنه الرعد. ثم قال: "أدنى العوام يرعوي من هذا، فكيف بك؟!"، فخر يغمراسن عند ذلك على أقدام سيدي واضح يقبلها، حتى عاينه الجمع الحاضرون. ثم قال: "أنا تايب من هذه الرذيلة"، وقال معلنا: "أشهدك أنني خرجت عنهما ولا أعود لهذه المعصية التي صنعت، ولم يطلع علي فيها إلا المطلع على السرائر". فلما رآه الشيخ سيدي واضح ندم وخضع قال: "لا عليك أن تستببح إحداهما على ما أباحه الشرع وتترك الأخرى تركا يصدق عن الاستمتاع بها". ثم بعد هذه المعاتبات بعث سيدي واضح ﷺ لأخيه وقال له: أتهم بطعام، فما كان إلا قليلا، وإذا به قرب لهم طعاما كثيرا بلحم سمين، فرمق الشيخ عند ذلك أخاه وتأوه، ثم قال: "هكذا يا يحيى يأتيني بالأمس الفقراء لزيارتي من شقة بعيدة، وتطعمهم خبز الشعير والبتين"، فقال له يغمراسن: "يا عابد، إن لم يطب على خاطرك أكلنا إياه لم نأكله"، فقال: "بل كولو على بركة الله". ثم قال لأخيه: "لكنك معذور، تحتاج لما بيد يغمراسن، فإنك ذو ذرية ضعاف"، أو كلام هذا معناه؛ إذ أكثر كلامه إنما كان بلسان قومه زناتي.

فلما فرغوا من الأكل طاب وقتهم مع ولي الله، وانبسط لهم بعد انقباضه عنهم التفت ﷺ ليغمراسن، وقال له: "من تعتقد في نفسك أو يحس بخاطرك أنه يخلف مكانك من بعدك؟" فقال: "هذا وأشار لولده محمد؛ فإنه فقيه كيس/ [45ظ] فطن". فقال له سيدي

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ) وإضافة من باقي النسخ.

واضح: "لا تحتاج الرعية إلى الفقيه الحاذق الكيس فتكون الرعية معه في حيرة، لا سيما وهو فقيه مجبول على جمع المال، يقول للدرهم درهمان<sup>1</sup> وللدينار ديناران<sup>2</sup>، فكيف يتوصل ذو الحق إلى حقه؟!"، فقال: "يا سيدي، ومن ترى أنه يتولاها بعدي؟"، فقال سيدي واضح: "هذا"، وأشار لولده عثمان، فسر يغمراسن ببقاء الملك في عقبه.

فلما هموا بالانصراف وتأهبوا لوداعه، قال لأحد ولد يغمراسن: "ألم أعطتك أمك كاغدا<sup>3</sup> وأوصتك أن تأتيها بحجاب أكتبه لك؟"، فقال: "نعم يا سيدي، نسيت"، وأخذ يميناه فقبلها، فقال سيدي واضح: "يا سيدي عزوز ناوله إياه" من مكان أشار إليه. فناوله وأوصى سيدي واضح يغمراسن بسد أحوال الرعية والرفق بالمسلمين، وقال له: "يا يغمراسن، كل راع مسؤول عن رعيته"، وانصرفوا عنه فرحين، وقد ازدادوا فيه بصيرة غير مرتابين أنه من أكابر أولياء الله تعالى. فشاء الله أن كان الأمر في خلافة عثمان بن يغمراسن كما أخبرهم سيدي واضح؛ فإنه لما توجه للمشرق أتى بالموحدة، فأدركته المنية بخناق وادي رهيو، فاتفق الملاء من وجوه عبد الوادي وأعيانهم أن استخلفوا على أنفسهم ابنه عثمان، وصاروا يدعون القبائل الذين معهم.

ثم قال: رأى بعضهم تأليفا للإمام الغزالي دعا الله تعالى فيه أن يطلعه على أسرار الخلق، وأنه وقع على تأليف من توألفه ذكر فيه [أسماء]<sup>(4)</sup> أولياء الله تعالى ممن تقدم عنه أو يأتي بعده إلى يوم القيامة، فذكر فيه ما نصه: «ومنهم أبو البيان واضح بجبل وافرشان». ثم قال سيدي موسى المذكور: «وذكروا أن الشيخ سيدي أبا مدين اجتاز من هنالك فقال: "ما مسمى هذا الجبل؟" فقيل: "وافرشان"، فقال: "لا، بل وافر الشان"، أي وتد يكون في هذا المكان».

1 - كذا في جميع النسخ، والصواب "درهمين"  
 2 - كذا في جميع النسخ: والصواب "دينارين".  
 3 - يعني "ورقة" بالتعبير العامي.  
 4 - ما بين المعقوفين مستدرك على هامش (أ).



ثم قال سيدي موسى المذكور: «وسمعت عن سيدي واضح أنه قال في حياته وقد قبض على لحيته: "هذه اللحية بفضل الله تنفع بعد موتها ما لا تنفع في حياتها". أما أنا فجربته في نفسي فوجدت برد الإجابة من فوري. وأما غيري فقد أخبرني بأشياء لا تحصي في استغاثته به. وذكر أن اشتهار أمر الشيخ سيدي واضح في أواسط القرن السابع، وقصد بالزيارة والتماس الدعاء من أقاصي البلدان، وظهرت بركته في كشف الملمات لمن استجار به، وتعلق بزاويته، ودخل في حرمة وفي إبراء ذوي العاهة لمن أمه للاستشفاء، وكان متفرساً<sup>(1)</sup> حاد الفراسة مكاشفا يخبر الزوار الواردين بما إليه قصدوه، وبما اعتراهم في طريقهم إليه. وقال مرة للشيخ علي بن محمد بن عشرة: "إني أشم فيك رائحة المساكين"، فكان الأمر في ذريته. وحكي أن سيدي عزوز كان إماماً لسيدي واضح فافتقده ليلة من الليالي فلم يجده، وتفقّد باب المسجد فألفاه مغلقاً<sup>2</sup>، فتعجب فما كان إلا قليلاً وإذا به واقف عليه يناديه: "يا عزوز قم للأذان"؛ فقد قرب انصداع الفجر، ففعل. قال: ولما كان في الليلة القابلة ارتقبتة لأتعرّف حاله، فبينما أنا بين النائم واليقظان رأيته خارجاً مع رجل من كوة كانت في جدار المسجد قال فتلافيتهما، فدارا من ورائهما، فأجهدت نفسي في اتباعهما، فغابا عني. فلما قرب الفجر إذا به واقف علي وقال لي: قم فأذن، فقمت وأذنت، فلما فرغنا من الصلاة وقراءة الحزب وأذكار كنا نقرأها حينئذ عمدت إلى سجادتي وشكارة فيها/ [46و] كتبي، وأخذت عكازي وإبريقي وجئته كالمغصوب<sup>3</sup>، وقلت له: "أودعك"<sup>4</sup>، فتوسم في أني إنما فعلت ذلك لإخفاء ما كان منه في الليل، فقال لي: [خير خير]<sup>5</sup> "ما شأنك؟ وما السبب؟"، فقلت [له]<sup>6</sup>:

<sup>1</sup> \_ في (أ): مفرساً.

<sup>2</sup> - في (ك): "مغلقاً".

<sup>3</sup> - كذا في (أ). وفي بقية النسخ: "المغضب".

<sup>4</sup> - كذا في (أ) و (د). وفي (ب) و (ك): "أودعك".

<sup>5</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ك) و (د).

<sup>6</sup> - ما بين المعقوفين سقط من (ب).

"صاحبك<sup>1</sup> وخدمتك لأنتفع بك في أمر آخرتي، فإذا بك تخفي عني أحوالك وتستتر<sup>2</sup> بها عني، فكيف بالمراد منك؟!". فقال لي: "أزل عنك هذا التخيل الفاسد، ولعل الشيطان أزرى بك"، فقلت: "لا، بل عاينت ببصري أنا أول البارحة، فربما تخيلت، وأما البارحة فما عندي شك ولا ريب فيما رأيت". فقال لي [يا] أخي<sup>3</sup>: "اكتم علي وأخبرك"، فالتزمت له أني لا أخبر أحداً بذلك ما دام حياً، قلت: "إلا أن أعيش بعدك، فسوف أحدث والله بذلك"، فقال لي: "جاءني بعض البدلاء من أصحابي وسألني مرافقته لزيارة بعض الإخوان في الله بجبل لبنان، فمشيت معه فوصلناه، ورجعت، وها أنا ذا". حدثني بهذا غير واحد من الفضلاء».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «تواترت الحكايات عن القوم في غير ما ديوان بسيرهم للأماكن البعيدة من مواضعهم وإيابهم إليها من وقتهم. كان حبيب العجمي [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ]<sup>4</sup> يُرَى يوم التروية بالبصرة - وَيُرَى<sup>5</sup> يوم عرفة بعرفة-، وكان رأس العباد "مالك بن دينار"، وكذلك قال بن دينار: خرجت لبيت الله الحرام مع الركب، فتهدت في الصحراء، فرأيت شجرة حسناء تحتها محراب، فوقع في قلبي أنها لبعض أولياء الله تعالى، فجلست إلى المغرب مختفياً، فإذا بشاب أصفر اللون، قد علتة الأحزان، وعليه أطمار، فأذن أذان محزون، وأقام الصلاة وصلى المغرب، ثم صلى ركعتين وجلس ثم أذن للعشاء وصلّاها ثم أقبل يردد آية بعد آية حتى طلع الفجر، فصلى الصبح ثم تنفس الصعداء، وقال: "إلهي ذهب الليل ولم أفض منه وطري". فقلت له: "بحق الذي وهبك ما أرى إلا ما ألحقتني بهم بجناح الرحمة". فإني تأته. فقال لي: "من أين أنت؟" قلت: "من البصرة"، فقال: "فيكم رجل صالح يقال له مالك بن دينار؟"، فاحتشمت أن أقول أنا هو. فقال لي: "يا شيخ، أيما أحب إليك المدينة - وبينك

<sup>1</sup> - كذا في (د). وفي باقي النسخ: "صاحبك".

<sup>2</sup> - كذا في (أ). وفي باقي النسخ: "تستتر".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين سقط من (أ) و(ك).

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

<sup>5</sup> - في (أ): "ويروى".

وبينها أحد عشر يوماً، أو بيت الله الحرام \_وبينك وبينها سبعة عشر يوماً؟"، قلت: "المدينة"، وقد كان صلى بغلس، فأخذ بيدي وقال: "بسم الله الرحمن الرحيم"، فوالذي بعث محمداً بالحق لقد أحسست الأرض تطوى من تحت أرجلنا كطي السجل، حتى سمعت الأذان، فقال: هذه المدينة، ادخل فصل، فالتقت فلم أره، فلا أدري أغاص [في] الأرض [أم] رفع للسماء<sup>3</sup>، فصليت مع الجماعة، فقالوا: "مالك بن دينار طويت له الأرض!"، فقلت: "ليس هذا من أنوار مالك بن دينار، فسبحان القادر على ما يشاء".

انظر ظاهر هذا أن صفة طي الأرض للصلحاء بانزواء بعضها لبعض، أو يقال أنها لا تطوى وتبقى بحالها، وإنما ذلك بسرعة الخطوات، أو يكبر الله خطوة الولي حتى يقطع بذلك الزمان اليسير ما لا يقطعه غيره إلا في شهر».

قلتُ: ويحكى عن أولياء الله في هذا العجب العجيب، فإياك يا فقيه والتعرض [لأولياء]<sup>(4)</sup> الله في مثل هذا. وقد قال السيد ابن عطاء الله: «لا تنتظروا لضعف العبد ولكن انظروا لقوة السيد، والقدرة سالحة، والجود واسع، ورحمة الله تعالى وخزائنه كثيرة مفتوحة لا تغلق حتى يأتي أمر الله».

ثم قال سيدي موسى المذكور: وذكر صاحب زهر الأنيق أن قوماً من الزهاد انفقوا أن اجتمعوا بمكان فصاروا يتحدثون ويتذاكرون لطائف الحكمة، فلما جنهم الليل استدعى كل منهم فطره<sup>(5)</sup> فإذا أحدهم بطائر / [46ظ] مشوي، وإذا بآخر مدت له رغيف في منديل نظيف ونشأت بين يدي آخر رمانة ومثلت بين يدي آخر سلة عنب ودفع الآخر رطب، وألم بآخر سمك طري. قال وَنَدَّتْ<sup>(6)</sup> لرجل إبل، فصار يقف على إثرها، حتى حل بواد كثير الشجر،

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين سقط من (أ).

<sup>2</sup> - في (أ): "أو".

<sup>3</sup> - في (د): "إلى السماء".

<sup>4</sup> - ما بين المعوقين مستدرك على هامش (أ)، وفي المتن: "ولي".

<sup>5</sup> - يقصد فطوره.

<sup>6</sup> - نَدَّتْ: أي: نفرت وذهبت شرودا. ينظر لسان العرب ج14. باب النون. ص222.

قال: فرأيت من خلفها رجلاً نحيل الجسم يلفق أوراقاً كأنه يخيطها، فتواريت عنه لا نعرف<sup>1</sup> ما يعمل. فإذا بأسد له زئير وفي فمه جدي غزال وآخر له زئير يتبعه فوضع الجدي بين يديه حياً، وقال: "يا ولي الله صِدْتُ لك هذا الجدي لتقطر به الليلة، فنازعني هذا فيه، وأراد انتزاعه مني". وقال الآخر: "يا ولي الله صدته لك وغلبني عليه لضعفي عنه ليتجه به عندك". فأطرق الرجل ساعة، ثم قال: "خذاه واقتسماه لا حاجة لي به؛ إذ قد تتازعتما فيه". فوقفاً بين يديه خاضعين بقدره من سخرهما لاجتلاب رزقه. ثم قال للجدي: "نسألك<sup>2</sup> بالله من أخذك منهما؟"، فقال: "هذا أخذني وفجع قلب أمي في، فغلبه عليّ هذا"، فطأ الأسد رأسه حياءً من ولي الله وتهلل وجه الأسد الآخر. فقال الولي للجدي: "اذهب لأمك وفرّج كربها"، وقال للأسد الذي غلب صاحبه على الجدي: "اذهب لا حاجة لي بخدمتك، ولا أستعين على رزقي بظالم". فتقاعس ورجع وراءه حتى توارى عن ولي الله. فاستعظمت [ما رأيت]<sup>3</sup> وصار يعالج من تلك الورق، فنزل بين يديه قطاتان وسلمتا عليه، وقالت إحداهما: "يا ولي الله اختر منا واحدة لفظورك". فقال: "أردتكما معا إحدكما إلي، والأخرى للضيف الذي نزل بي". فقالتا: "سمعا وطاعة لله ولك يا ولي الله". فذبحهما، ورمى بهما وتوضأ وصلى ركعتين طويلتين، ثم رفع بصره إلي وقال: "يا عبد الله، ادن مني وكل معي، فقد حلت بهذا الوادي، ووجبت علي ضيافتك". فبقيت متعجبا، فكيف رأني، ومن أين أحس بي مع شدة تستري منه، فسلمت عليه، ومد يده للقطاتين ووضعهما بين يدي مشويتين. ووالله ما رأيتَه زاد علي ذبحهما شيئاً، ولا اقتدى ناراً، ولا اهتم بشيء من أمرهما، فأكلناهما وقمنا وشكرنا الله. وجدد وضوءه وصلى ركعتين ثم صرف رأسه نحو عظامهما، فما لبثت أن رأيتهما حيتين، فداخني الرعب، فقلت: سبحان الله بعد أكلهما صارتا حيتين فطأاً رأسه. وقال: "يا أخي، إن إبلك النادة بأسفل هذا الوادي". فقلت: "يا ولي الله، ادع لي". فقال: "يا أخي لا تغالطني في

<sup>1</sup> - في (ب): "لأتعرف". والصواب: لأعرف.

<sup>2</sup> - في (ب): "سألتك".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

نفسك، أنا أحق أن أسألك الدعاء". فقلت: "كيف ذلك مع ما رأيت من كرامتك؟!"، فقال: "إني أخاف أن يكون ذلك حظي في دار الدنيا"، وبكى رافعا صوته، ثم هرب مني وتوارى في لفيف الشجر».

فأما إحياء القطّاتين بعد ذبحهما وأكلهما ببركة هذا الولي، فقد وقع ما هو أكبر منه لجدنا الشيخ الغوث القطب سيدي يحيى بن سيدي علي بن سيدي محمد بن الشيخ الغوث طبيب هواره سيدي أبي عمران \_ أنالني الله شيئا من بركاتهم وأفاض علي من أنوارهم، وجعل خلفنا لاحقا بسلفنا بجاههم عند الله، آمين يارب العالمين\_. لكن أهل وطننا هواره يسمونه "دَادَّ" يحيى بن علي لما سمعوه من ذريته يقولون دَادَّ، فتبعوهم على ذلك، وصار علما على اسمه. وذلك أن الفقراء أتوا لزيارة سيدي يحيى المذكور في إبان الحراثة ولم يكن عنده غير ثور يحرث عليه فذبحه للفقراء، وأكلوا وشبعوا وباتوا يتذاكرون الله ويصلون على رسول الله ﷺ. إلى الغد أتى الخماس للثور يحرث عليه، وكان جَمَعَ العظام التي أكل الفقراء وغيرهم، ولم يرم منها شيئا ثم جاء إليها وقال: "بسم الله الرحمن الرحيم"<sup>1</sup> ودعا الله على العظام [67 و] فعاد الثور حيا بقدرة الله وببركة رسول الله ﷺ فأخذه الخماس وذهب يحرث به على عادته الأولى أو أحسن منها، حدثني بها جماعة من حفدته وغيرهم من الثقات الأخيار واستفاض التحدث بها في وطننا عند الخاص والعام نفعني الله به وبجده آمين.

### [علة تسمية والد المؤلف بأبي معزة]

ويحكى أن الشيخ قطب الزمان سيدي أحمد أبو<sup>2</sup> معزة الراشدي نفعنا الله به وأفاض على ذريتنا شيئا من أنواره أنه كانت معزة عنده فإذا أتوه الزائرين<sup>(3)</sup> يذبحها لهم فإذا انصرفوا

<sup>1</sup> - ملاحظة: الأوراق الواقعة ما بين بداية القوس المعقوف ونهايته ساقطة من النسخة (1707). استكملتها من النسخة الجزائرية رقم (1708). من: ص [67ظ] إلى ص [73ظ]. بمعنى سوف أحافظ على ترقيم النسختين امتثالا للأمانة العلمية مع العلم أن ترقيم كل نسخة مختلف عن ترقيم أخرى. والعودة إلى ترقيم النسخة العمدية (أ) تكون بعد الصفحة [73ظ] مباشرة.

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ، والأصح: "أبا معزة"

<sup>3</sup> - كذا في (ك) وساقط في بقية النسخ. ويظهر فيه اللحن إذ الأصح ' إذا أتاه الزائرون'.

قامت بإذن الله مسرعة تصيح على ولدها حتى حكى بعض تلامذته أنه ذبحها مائة مرة وقامت بإذن الله تعالى وهذا متواتر عند أولاد الشيخ ولذلك سمي بها، وقيل سمي أبو معزة لنطق المعزة له لأنه لما أن مات وكان قبل يسمى سيدي أحمد بن المبارك أتى لصا لزواية الشيخ وسرق معزة فاتهموه بها فأنكرهم عن ذلك فأتوا به إلى الشيخ ليحلف، فلما حلف صاحت في كرشه صيحة عظيمة حتى تعجب الحاضرون من ذلك انتهى منه. فإياك أيها المستمع الناظر لهذا الأمر أن تتكر ذلك على الأولياء فإن ذلك قليل في حقهم فتقع في الهلاك ويوشك أن تموت على غير ملة انتهى منه.

وحدثني من يوثق بقوله أن سيدي يحي حفيد سيدي أبي عمران المذكور كان شاطرا من الشطار بسكين له وهي الدراوية في عرفنا إلى أن أتته رسل السعادة قال له أبوه سيدي علي نفعنا الله بهما ذات يوم يا يحي خذ دراويتك واذهب معي لكان كذا لموضع سماه له فذهبا إلى الموضع فوجدا شجرة زوج قال له أبوه سيدي علي أضربها يا يحي بدراويتك فضربها سيدي يحي فلم تؤثر فيها شيئا واعوجت فقال له أبوه سيدي علي تتح وأخذ كلخة كانت عنده بيمينه وقال: بسم الله الرحمان الرحيم وضرب بها الزبوجة فقطعها نصفين فصاح سيدي يحي ومزق ثيابه وكسر دراويته وذهب يتعبد في موضع إلى أن بلغ مقاما عظيما في الولاية ، هذا سبب توبته عليه السلام ونفعني به ، ومناقبه عليه السلام كثيرة لم أقف عليها لكون علماء وطننا أهملوا مناقب [68 و] أولياء الله في وطنهم وقد رفع الله ذكره ببلادنا وذاعت وانتشرت أخباره في الناس من حماية الله لمن استغاث به أو استجار به في أماكن الخوف ومواطن النهب وإبراء ذوي العاهات إلى أن بلغ مرتبة جده سيدي أبي عمران. وقد أشار إلى ذلك الفقيه العالم سيدي عثمان بن سليمان القلعي في قصيدته التي مدح فيها بعض الأولياء ونصه:

[والقصيدة من الطويل الثاني].

وَأَمَّا أَبُو عَمْرَانَ فَهُوَ طَبِيبُهُمْ  
لَهُ مُرْهَمٌ يُبْرِئُ مِنَ النَّفْسِ دَاءَهَا  
وَمِنْ أَصْلِهِ يَحْيَى تَقَرَّرَ غُصْنُهُ  
بِإِبْصَارِ ذِي جَهْلٍ يُزِيلُ غِشَاءَهَا

وذكر بعض من أتق به أن سيدي عليا والد سيدي يحي كان يسكن في موضع يقال له "قلعة ميمونة" وكانت بإزائه لبوة<sup>1</sup>، وهي المسماة<sup>2</sup> في لغة زناتة<sup>3</sup> "تأسداً" مجاورة سيدي علي<sup>4</sup> مدة ثم بعد ذلك تزايد للشيخ سيدي علي أولاد فجيء واحد لموضع تعبده واللبوة ترضع أولادها بحذاء<sup>5</sup> الشيخ على عادتها طول الزمان فصار الولد يحبو إليها ويأخذ أولادها يلعب بهم فنظرت إليه نظرة مكروهة<sup>6</sup> [وخزرتة]<sup>7</sup> فقال لها الشيخ [يا مرزوقة]<sup>8</sup> قبل هذا كنا بلا أولاد والآن أخاف الفساد بيني وبينك، ولكن إما أن تخرجي من هذا المكان [أو نرتحل أنا عنك]<sup>9</sup> فبصبت بين يديه كالمودعة له وذهبت بأولادها إلى موضع يسميه أهل وطننا "ثلاث" إن تسداً<sup>10</sup> بلغتهم، أي موضع اللبوة. وذكر سيدي محمد بن عيسى المذكور أنه وقع مثل هذا لسيدي أبي يعقوب نفني الله به وذلك انه كان بمغارة تعبد<sup>11</sup> لبوة فحدث لها هي أولاد فجاءها يوماً وقال لها يا هذه كنا من قبل هذه الأولاد لم يكن ما يغير بيننا والآن أخاف أن يقع شيء بين الأولاد فيسري الغيار إلينا لكن أخرجي من هنا أو نخرج أنا فخرجت ساعتها وضربت بذيلها بين رجليها وذهبت حتى لا تثرى. انتهى منه، ثم قال سيدي موسى المذكور وكان ابن سيدي يعقوب وهو عبد الله من الفضلاء الأخيار وأقر له أبوه بالسبق في خدمة

1 - في النسخ الثلاث: "بإزايه لبوة". هكذا كتبت الكلمتان بدون همزات ويبدو ذلك شأن نطقهم في ذلك العهد من ميلهم إلى تسهيل النطق بالهمزة بتحويلها ياء تارة، وواو تارة أخرى، وهذا ما وقفت عليه في كل النسخ المعتمدة باتفاق.

2 - وردت في جميع النسخ "المسمات" بالتاء المفتوحة. والصواب: ما أثبتنا.

3 - كذا في (ب). وفي (د): "لغة انزاتة". هكذا بالألف. وفي (ك): "لغة زماننا".

4 - في (د): "لسيدي".

5 - كذا في كل النسخ: ويقصد "بجوار".

6 - كذا في (ب) و(ك). وفي (د): "منكرة".

7 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(ك). ويقصد "فحدقت فيه".

8 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

9 - ما بين المعقوفين ساقط من (د). وقد وردت بهذه الصيغة في كل من (ب) و(ك).

10 - في (د) مشترك على الهامش وقال: "أي شعبة اللبنة بالعربية". والهمزة على النبرة.

11 - كذا في (ب). وفي (ك): "بمقربة". وفي (د): "بمقربة تعبد". والأول أقرب إلى الصواب كون التعبد يحصل غالباً في المغارات والأماكن القصية.

الحق إلى ذات يوم مشى معه في الخندق المعروف الآن "بِتَيْسَكْرِيُونِ"<sup>1</sup>، فقال لأبيه: انظر إلى بيت الله الحرام. فصوب الشيخ النظر إلى جهتها فرآها وعابن الناس يطوفون حولها. فقال له: يا بني أنت خير مني، وبذلك المكان صخرة يسميها "تاسه"<sup>2</sup> "أَدْعَاغُ"<sup>3</sup> [أَنَّ سَيْدِي]<sup>4</sup>، يكسرون منه للتبرك به ويستشفون مرضاهم. قال سيدي موسى المذكور: وما زال الناس يستشفون بتراب قبور الصالحين واستمر العمل على أخذ التراب من قبورهم ويأتون بتراب آخر ويجعلونه عوض الذي يرفعون منه وانتهى.

**قلت:** وأما تقبيل القبر ومسحه باليد فمكروه قال ابن العلاء<sup>5</sup>: ويكره مس القبر باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما كان في حياته قال بعض المتأخرين لمس القبر وتقبيله من فعل اليهود والنصارى قال الفضل بن عياض: من خطر بباله أن المسح باليد أبلغ في البركة فذلك من جهالته [68ظ] وغفلته لأن البركة فيما وافق الشرع انتهى من ابن المعلّى<sup>6</sup> رحمه الله تعالى. ثم قال سيدي موسى المذكور: ومن غريب ما سمعت عن سيدي واضح عليه السلام أنه تكلم بعد وفاته بالتسبيح والتكبير حين أُلِد في قبره وذلك عنه حفيده أيضا في قصيدته وذكر المصنفون في مناقب الأولياء من هذا المعنى كثيرا قال الإمام الصالح القدوة أبو القاسم القشيرى عليه السلام في رسالته المشهورة: عن الروذباري قال: قدم علينا فقير فمات فدفنته فكشفت عن وجهه لأضعه في التراب ليرحم الله غربته ففتح عينيه وقال أتدلني بين يدي من دلني فقلت أحياء بعد موت؟. فقال: بلى إني محب، وكل محب لله حي، لأنصرتك يا روذباري غدا بجاهي. قال السنوسي رحمه الله: إن مريدا بمكة قال لي: أنا غدا أموت عند

1 - كذا في (ك). وفي (ب): "بِتَيْسَكْرِيُونِ". وفي (د): "بِتَيْسَكْر".

2 - كذا في النسخ الثلاث (ب) و(د) و(ك). ولعل المقصود: الناس القاطنون ذلك المكان. فالضمير في "تاسه" عائد على المكان المتواجد فيه تلك الصخرة.

3 - أدعاغ: لهجة زناتة ومعناها صخرة كبيرة.

4 - ما بين المعوقين ساقط من (د).

5 - كذا في (د) وفي (ب): "ابن المعلّى".

6 - في (ك): "المعلاء". وفي (د): "ابن العلاء".



الظهر فاحفر لي بنصف هذا الدينار قبري وكفني بالنصف الآخر: فمات كما قال، وفعلت ما أمرني به، فلما وضعت في اللحد فتح عينيه فقلت له: أحياء بعد موت؟ قال: إني حيٌّ، وكل محب لله حي. قال الخراز<sup>1</sup>: خرجت يوماً من باب بني شيبه فرأيت شاباً حسن الوجه فنظرت في وجهه فتبسم فقال لي: يا أبا سعيد قد علمت أن الأحياء أحياء إن ماتوا وإنما يتقلبون من دار إلى دار. قال ابن الجلاب: لما مات ضحك على المغسل فلم [يجسر]<sup>2</sup> أحد أن يغسله، وقالوا: إنه حي، حتى جاء واحدٌ من أتريه وغسله. قال أبو يعقوب السوسي: غسلت مريدًا فأمسك إبهامي وهو على المغسل فقلت يا بني خلّ يدي أنا أدري أنك لست بميت وإنما هي نقلة من دار إلى دار فخلّ يدي.

قال ابن شيبان صحبت شاباً حسن الإرادة فمات فاشتغل قلبي به جداً وتوليت غسله فبدأت في غسل يديه بشماله من الدهشة فأخذها مني وناولني يمينه<sup>3</sup>، فقلت صدقت أنا غلظت، ذكر هذا كله القشيري. ثم قال سيدي موسى: وفي كتاب الإحياء للغزالي مانصه: وفي حديث ربي بن خراش عن أخيه وكان من خيار التابعين<sup>4</sup> وكان ممن تكلم بعد موته قال لما مات أخي سجي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً وقال إني لقيت ربي عز وجل فحباني بروح وريحان ورب غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون، ولا تغتروا وأن محمداً ﷺ ينتظرنى وأصحابه كذلك ثم طرح نفسه فكأنها حصة وقعت في طست فحملناه ودفناه انتهى منه، بلفظه رحمه الله. ومثله أو قريب منه ما حكاه سيدي أبو الفضل قاسم الرصاع ونصه: وحكى أن الشيخ سيدي أبا النجاة سالم التباسي تعاهد مع الشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي نفعنا الله به على أن المقبول منهما عند الله

<sup>1</sup> - أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز هو من أهل بغداد ، صحب ذا النون المصري وسريا السقطي وبشرا الحافي وغيرهم وهو من أئمة القوم وأجلة المشايخ، قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. مات سنة تسع وسبعين ومائتين. ينظر الشعراني : الطبقات الكبرى. ج.1. ص167.

<sup>2</sup> - ما بين المعوقين ثابت في (ب) . وساقط من (ك) و(د) .

<sup>3</sup> - كذا في (ب) و(د) . وفي (ك) : "بيمينه".

<sup>4</sup> - كذا في (ك) و(د) وفي (ب) وردت: "السابقين".

يشفع في الآخر، فلما توفي أبو النجاة [69و] أتى إليه سيدي أبو الحسن الشاذلي وأراد غسله وهو ميت قال له [يا أبا الحسن العهد الذي بيني وبينك لا تتساه فانطق الله وليه الميت بقدرته فتكلم بلسانه فقال له أبو الحسن: نعم نعم]<sup>1</sup>. ثم قال أبو الحسن: والله ما أردت أن أغسل منه عضواً إلا ناولني [أياه]<sup>2</sup> بنفسه انتهى منه ، رحمه الله.

### [فصل: رثاء عبد الحق المطهري شيخه الملياني].

ولما مات الشيخ أحمد بن يوسف رحمه الله لم يَزِثْهُ<sup>3</sup> بأوصافه الحسنة [غير تلميذه]<sup>4</sup> السيد العالم الحافظ المتفنن في جميع العلوم سيدي عبد الحق المطهري في قصيدته التي مطلعها<sup>5</sup>. [البسيط]

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ كَاتِبِ خَجَلٍ  
حَمْدًا يَلِيْقُ عَلَى الْأَحْوَالِ أَجْمَعِهَا  
ثم الصلاة على محمد وعلى  
عيناى جودا بدمع لا نفاذ له  
قطب الأئمة ملجأ الناس أجمعهم  
شيخ الحقيقة ذي الحال الرفيع ومن  
طود النهى<sup>9</sup> منبع الأسرار مخزنها

قَدْ أَفْجَعَهُ<sup>6</sup> كِبَارُ الْغَمِّ<sup>7</sup> عَنْ عَجَلٍ  
مُبَارَكًا دَائِمًا بِالصُّبْحِ<sup>8</sup> وَالْأَصْلِ  
أصحابه مع سلام طيب حفل  
لفقد شيخ إمام العلم والعمل  
في كل خطب وكل حادث جلال  
تحكيه في شرف كالشمس في الحمل  
ومن بحرهِ يستقيها البعض بالسجل<sup>1</sup>

1 - يبدو أن العبارة ما بين المعقوفين فيها اضطراب في المعنى، فالأجدر والأصوب أن يكون المعنى كما يلي: "قال له أبو الحسن العهد الذي بيني وبينك لا تتساه، فأنتطق الله وليه الميت بقدرته فتكلم بلسانه فقال نعم. أي أنطق الله أبا النجاة سالم التباسي وهو ميت وأجاب أبا الحسن بالإيجاب عن مطلبه بالتشفع فيه... ثم قال أبو الحسن: والله ما أردت... إلى آخر الكلام.

2 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

3 - في (د): "يفسه".

4 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

5 - كذا في (ب). وفي (ك) و(د): إضافة "له". وما بين القوسين ساقط من (د).

6 - في (ك): "أفجعتة".

7 - في (ك): "الهم".

8 - كذا في (ب) و(د) أما في (ك): "في الصبح".

9 - كذا في (ب) و(ك). وفي (د): "ضوء النهار".

لذاته وعلى مولاه يتكل  
وهو بالذكر للرحمان في شغل<sup>2</sup>  
إِمَامَنَا أَحْمَدَ السَّامِي عَلَى زُحَلٍ  
قد كان مشتهراً كالنجم في المثل  
عن أهله أبداً<sup>4</sup> وليس بالقفل  
في المؤمنين سوى المحزون والوجل  
بموت من كان شبه الحصن في جبل  
تسع لهجرة خير الخلق والرسول  
بالرحلة<sup>6</sup> مع نفاذ الرزق والأجل  
لفقد شيخ<sup>8</sup> محب الواحد الأزل  
من أجله جرح قلبي غير مندمل  
نجد له<sup>10</sup> في ممات القوم من مثل  
دينا ودنيا لذي أمن وذو وجل  
بعد التغلغل في علم وفي عمل

قد انقطع لذكر الله خالقنا  
وكان يدعو لباب الله جملتنا  
أَعْنِي بِهِذَا أَبَا الْعَبَّاسِ سَيِّدَنَا  
وبأبيه أبي يعقوب يوسف قل<sup>3</sup>  
يالوعتي حين قيل الشيخ مرتحل  
لما فشى نعيه في الناس لست ترى<sup>5</sup>  
أصحابه فجعوا في الحين وأذهلوا  
أوائل إحدى والثلاثين مع  
أتاه حقاً رسول الموت يخبره  
في صفر الفرد صار القلب منقسماً<sup>7</sup>  
أخبار وفاته<sup>9</sup> أنت للنوم مذهبة  
حزنا موته مع موت البنين فلم  
بركة<sup>11</sup> الشيخ لاتخفى لذي بصر  
بالذوق قد حاز بحر<sup>12</sup> القوم في أدب

1- كذا في (ب) و(د)، أما في (ك): "بالسحل".

2- كذا في (ب) و(ك)، أما في (د): "بيتهل".

3- كذا في (ب) و(ك)، أما في (د) ساقطة .

4- في (ب): "إذا".

5- في (د): "استتر".

6- كذا في (ب) و(د)، وفي (ك): "برحلة".

7- في (د): وردت في المتن "منهزماً"، وصححت على الهامش "منقسماً".

8- في (ك): "شيخي".

9- في (ك): "موت".

10- كلمة ساقطة من (ب).

11- في (د) "بركات".

12- في (د): "علم".

[69ظ]

وييسط له صعب العلم في مهل  
 في بسطها عجب التفصيل بالمثل<sup>1</sup>  
 وكم أزال من الأدران والعلل  
 أصار<sup>3</sup> إذا الجور تحت الترب منجدل  
 لأجل ما قد عثوا في الأرض من خطل  
 بسوء بغيتهم بل باعوا بالزلل  
 بذله<sup>4</sup> فهووا من شاهق وقل<sup>5</sup>  
 فعذبوا بعذاب البيض والأسل  
 بالأمن بعد فراغ المكر والحيل  
 بقتله<sup>7</sup> فرأوا عجزاً عن العمل  
 قد قد شملهم بالله من قبل<sup>9</sup>  
 ورام روم الذي من قبل من جهل  
 عنه مكانته فرد للسفل

يعلم كل من يأتيه محترماً  
 لاسيما في علوم القوم أن له  
 وكم له من إغاثات<sup>2</sup> لذي كرب  
 وكم أخبر بخواطر القلوب وكم  
 أنالهم رينا بعدله نقما  
 كم رام إذلاله قوم فما ظفروا  
 إذ وسوس الرجس أن عزت دويلتهم  
 راموا إمامته شيخ الوقت من حسد  
 في حبس<sup>6</sup> أهل تلمسان له عجب  
 أميرهم في مرار كان يأمرهم  
 أن قدوا أمانهم<sup>8</sup> للشيخ من دبر  
 كذاك صاحب شرشال طغا وعتا<sup>10</sup>  
 فعوقب<sup>11</sup> بنقيض القصد إذ سلبت

1 - في (د): "بالمهل".

2 - (ب) و(د): "إغاثة".

3 - كذا في جميع النسخ وربما يقصد "أجاروا".

4 - كذا في (ك) و(د). وفي (ب): "بذلة".

5 - في (د) "وقل".

6 - كذا في (ب) و(د). وفي (ك): "سجن".

7 - في (د): "في قتله".

8 - كذا في (ب) و(ك). أما في (د): "إمامهم".

9 - ملاحظة: لقد صعب علي تقدير معنى البيت نتيجة سوء رسم حرف الدال. والراء فقد شابه الناسخ بين الحرفين فلست متأكدا إن

كان يقصد "قد قد". أم يقصد "قد قر". إضافة إلى الكلمة الموالية فقد جاءت غير متطابقة بين النسخ الثلاث فوردت كما رأينا

: "أمانهم" في (ب) و(ك) ووردت في (د): "إمامهم".

10 - في (د) "بغا".

11 - في (ك): "فوقبوا، عنهم".

رب قدير بموت الجيش والعزل  
 بالضرب صورته في الأرض كالجعل  
 وربما بغته الموت بالعجل  
 لله فهو عدو الواحد الأزل  
 له بعظيم ذاك الحرب من قبل  
 حالي كتكلا شحبتها لوعة الثكل  
 من بعد ربي من الحلو مع العسل  
 نائلة الثور قبل الموت والأجل  
 بقدرة الله لا بالطبع والعلل  
 جمع من الفضلاء بصحة النقل  
 فانظر مضمرة هذا اللفظ وامثله  
 سيوف جوابه للمنكر الجدل  
 علو مقامه في العلم والعمل

[70و]

يدور من فضله بالعقل والمقل  
 بأن أعظم فضل الله لم يحل  
 بالعفو مع بلوغ غاية الأمل  
 كأنه من صحيح العلم والجدل  
 سر الأئمة إن لم يك ذا نسل  
 كالطي للأرض والانتقاد من عضل  
 يجل عن قلبه ما كان من قفل

وكل من رماه بالسوء نغصه  
 وكل ذي بدخ منهم قد انقلبت  
 فيذهب عزه وتبدو ذلته  
 وفي الصحيح أتى من قد أذى ولياً  
 فمن يطيق عداوة الاله ومن  
 يا حسرتي أسفي لفقد قدوتنا  
 تجرع القلب من الصبر عن أسف  
 أكرم بوقت مجيء بدره طالعا  
 قد صار سراً عجيباً  
 بذاك قد صرح التواتي فيه إلى  
 سماه أحمد كبريت وذا صبغ  
 كذا السنوسي بصدق الشيخ قد لمعت  
 أعظم بشهادة الشيخين به على

أتت إليه صفوف العاشقين لما  
 ومقترفوا كبار الذنب يبسطهم  
 يقول جدوا وتوبوا تظفروا كرماً  
 يحصل قوله برد اليقين لهم  
 والمتقن لعلوم القوم يتحفه  
 وكم له من كرامات ومن عجب  
 إذا أتاه كسير القلب ذو حزن

فاليوم قد صار شمل الزور مفترقا  
أقاصد البلدة الخضراء في قلق  
وقف لديها بأقوال الذل في أدب  
وأبلغ سلامي له فالقلب مبتهل  
وأطلب لديه دعاء الخير مبتهلا  
واستحضر القلب حقا في إجابته  
ولتحسن الظن بالمولى وصلّ على  
وقل له إن عبد الحق يسألكم  
لأن شفاعة الصديق قد قبلت  
فيا مصيبة صحب الشيخ إذ<sup>2</sup>فجعوا  
قد كان للزور كالبحر المحيط فما  
لأن زمرة أرباب التقى ثبتت  
وتجبر كسر قلب الصب من صدع  
وتلحق برفاق القوم منقطعاً  
قد استوى ميتهم والحي فيها كما  
أعظم بها خصلة جلت منافعها  
أكرم بشيخ كثير البسط في أدب  
يلقن لجميع القاصدين له  
قد جدّ في سرّه قوم فنالوا به [70ظ]  
فخطبوا بهواتف الحقائق من

مثل الفراخ من فقد الأم من خجل<sup>1</sup>  
مليانة فاطلين روضة البدل  
من قبلة الرجل نحو القبر وابتهل  
لأجل فرقته في الوقت بالشغل  
لك ولي فدعاء الخير مقببل  
وقف على كل ما حدوا بلا ميل  
محمد علم الهادين والرسول  
ما كان يسألكم ما يبغي من بدل  
دينا ودنيا بقول أفضل الرسل  
بموته فعقول البعض في خبل  
رجوا ينالون منه غاية الأمل  
نصا ونفعا تزيل أعضل العلل  
وترفد بجزيل الأجر والبدل  
وترفع ذكر من قد كان في حمل  
تعم أحكامها أنواعهم فقل  
وكلها ثابت في الشيخ لم يخل  
بالرفق يرشد نحو أحسن السبل  
سرّاً عظيما يصون النفس عن زلل  
خير مقام من الإحسان فيه عل  
غرائب ما يراه مقتفوا الرسل

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "من عجل".

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "قد فجعوا".

قد نادى هاتف الابتلاء بعضهم  
فأجابه بلا في اللفظ وكررها  
كذا سمعت أبا العباس يخبرني  
قال أطلعت على سر القلوب فلم  
صلى عليهم صلاة مقتفياً فيها  
بذاك أخبرني [المليبي]<sup>1</sup> عنه وما  
سمعته قائلاً لي إن مذهبنا  
من كان يعمل خوف النار أو طمعا  
ومن تراه من الأكوان مرتحلاً  
قد صرح الشيخ لي بأن أحوالنا  
إن اتقيتم أكن من ذلك في فرح  
سمعته قال تسبيح الجمادات قد  
من فيه تجري ينابيع الحكم كما  
نسبته لإمام القوم سيدهم  
رواه عن شيخه الزروق أحمدهم  
فعن أبي زيد القباب وهو عن  
وهو عن ابن عطاء الله سيدنا  
عن شيخه الشاذلي القطب سيدهم  
تبا لعقول قوم أنكروا سفها  
لأجل كبر وجهل بالمراد بما

قال أقبلن جميع الكون في البذل  
وأنه لا يرى في الله من بدل  
بشأنه فيا ليت الحال لم يحل  
أجد فيها إلا شيئين الشك والأمل  
طيفور نجل عيسى البسطامي في العمل  
تحصى مناقبه فأكفف عن العذل  
أن نعبد الله إحساناً بلا علل  
في الحور كالعبد والأجير في المثل  
لمثلها كحمار شدد بالطيل  
في الدين ينظرها في البعد بالمقل  
من ربي أطلب إصلاحاً بذئ خزل  
عرفته وهو في القرآن محتمل  
تجري على لسان ذوي الإخلاص والعمل  
الشاذلي سليل خيرة الرسل  
عن السخاوي شمس الدين والوجل  
علي بن عبد الكافي ذي العمل  
وبالمرسي أبي العباس يتصل  
أبي الحسن علي أفضل بدل  
إمامنا بشهود فعل ذي الخبل  
يدعو به الشيخ للطغات<sup>2</sup> من مهل

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين مستدركة على الهامش في (ب). وفي (ك): خاء "المللي".

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "الطاعات" وهو الصواب.

لأنه قال لي إني نظرت إلى  
 فلم أجد أحدا يقفوا طريقتهم  
 فصرت أمرهم بالذكر مرتجياً  
 والذكر يدعو إلى حب الإله كما  
 أليس هذا الذي قد رمت أحسن من  
 لو انصفوا ستروا لكن طغوا فبدا  
 أعني الذي أحدثوا في الدين من بدع  
 يا ليتهم سلموا للقوم رأيهم  
 بفقد إيماننا قد غار موردنا  
 لا شيء ينفعنا من بعد فرقته  
 وبعد إتقان فرض العلم وجهتنا  
 شر الطريق زوال العيب أجمعه  
 ثم الدوام على ذكر الإله كما  
 وكلما قد يراه المرء من عجب  
 فليعرض عنه لا يجعل له خطراً  
 لأن مقصوده بالجد معرفة  
 فليس لسيـره قطع لغايتها  
 من قلة أدبي ذكري مقاصدهم  
 لكني أرجو ربي الله يجمعني  
 ويتحفني بأفضل الهبات على  
 ويجزeln لي ثواب الصبر عن حزن

ما كان ساداتنا عليه من سبل  
 بل امتلاً جلهم بالكفر والجهل  
 يحدهم حبهم للعلم والعمل  
 تدعو محبته للدين بالعجل  
 أمري لهم بعسير الزهد والجدل  
 منهم ما قد صار عرض الكل مبتدل [71و]  
 وظلمهم وعظيم المكر والحيل  
 فسرهم لسواهم منعقل  
 وصار قوهم بالضعف كالسمل  
 إلا استقامتنا ديننا بلا ميل  
 تكون لله بالإخلاص في العمل  
 كفعلهم مع ترك البخل والكسل  
 يليق والزهد والتقصير للأمل  
 يبدو من الغيب للأذنين والمقل  
 وليشتغل بالذي يعينه في مهل  
 لله<sup>1</sup> والقرب ممن جل عن مثل  
 متى استقام على الدوام ينتقل  
 ولست منهم قدا من أعظم الدخيل  
 معهم بحبهم للوعد في الأجل  
 ما كان مني فإن الظلم من قبل  
 وعن تبدل خصب الوصل بالعمل

<sup>1</sup> - كذا في (ب) و(ك). وفي (د): "له".



صبرا جميلا لفقده الحسن والجبل  
 فكلنا راجع لله عز وجل  
 محض الوداد ليروا القلب بالعال  
 من انقطاع فعهدي منبتل  
 وفضل إخلاصي للرحمن متكمل  
 وستة فيها ترويح على الشغل  
 يلاحظ النظم كل الخير يسئل<sup>1</sup> لي  
 ويقضي عما يرى في النظم من خلل  
 محمد خير خلق الله والرسول  
 ذكر كبير بكل الدهر يتصل  
 وآخر النظم حمد الواحد الأزل

كذا لجمع من آل الشيخ نسأله  
 ويلهم الصبر صحب الشيخ كلهم  
 يا صفوة القوم قد أبلغت فيك صبا  
 أعطف علي فإن القلب في قلق  
 لكن علمي بما لله من سعة  
 عدد أبياتها عشرون مع مائة  
 بحق أخوة الإسلام أرغب من  
 ويرغب الله بالغفران يسترنا  
 ثم الصلاة على المختار سيدنا  
 وآله والصحابة الذين لهم  
 ثم الرضا عن جميع التابعين لهم

تمت على يد مؤلفها عبد الحق بن علي أصلح الله حاله سابع عشر من  
 رجب [711] لسنة خمس وثلاثين وتسعمائة نقلتها من خط المؤلف رحمه الله وأعطاه فوق ما  
 يتمناه وجزاه خيرا على مدحه وقوله في شيخه سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله ونفعه بقصده  
 وبلغه بنيته وحشرنا وإياه في زمرة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف وأمانتنا على محبته، آمين يا  
 رب العالمين .

### فصل في اتصال طريق الشيخ أحمد بن يوسف بطريق أبي الحسن الشاذلي

ومما كتبه سيدي عبد الحق منشورا في اتصال طريق الشيخ سيدي أحمد بن يوسف  
 رحمه الله بطريق سيدي أبي الحسن الشاذلي نفعا الله بهما ونصه الحمد لله يقول كاتب هذه  
 الأحرف عبد الحق بن علي بن عبد الحق المطهري أصلح الله حاله قد ذكرت في قصيدتي

<sup>1</sup> - كذا في النسخ الثلاث. والأصح: "يسأل" الهمزة على الألف.

سند طريقة السيد الكامل العارف الرباني المكاشف المحقق المربي أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي إلى أن وصلت بها بأبي الحسن الشاذلي بوجه صحيح لا شك فيه نقلته من خط سيدي طاهر بن زيان الوارسي بحضرة ابن سيدي أحمد زروق رحمه الله وصحت ذلك من شرح سيدي أحمد زروق العاشر من شرحه على حكم ابن عطاء الله فطلب مني ابن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف وهو سيدي محمد الملقب بالصغير أن أذكر هنا اتصالها برسول الله ﷺ<sup>1</sup> فأسعفته معتمداً على نقل سيدي طاهر المذكور وصحت ذلك من مختصر الإمام الساحلي في السلوك فأقول: قال سيدي طاهر المذكور: أخذ أبو الحسن الشاذلي عن شيخه أبي عبد الله محمد بن علي بن حرزهم وهو عن عمه أبي محمد صالح، وهو عن الشيخ أبي مدين واسمه شعيب، وهو عن الشيخ أبي يعزأ، وهو عن أبي الحسن علي ابن حرازم، وهو عن ابن العربي، وهو عن أبي حامد الغزالي، وهو عن إمام الحرمين أبي المعالي، وهو عن أبي طالب المكي، وهو عن الجنيد، وهو عن السري السقطي، وهو عن معروف الكرخي، وهو عن داوود الطائي، وهو عن حبيب العجمي، وهو عن الحسن البصري، وهو عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو عن رسول الله ﷺ انتهى. وبعضه تركته لطوله قلت وقد أخبرني من أثق به أن الشيخ سيدي أحمد حدثه مشافهة وقال: «طريقتنا هذه من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>2</sup>. اللهم انفعنا بهم واحشرنا اللهم في زمرة آمين.

**قلت:** وبعضه ما قاله السيد ابن عطاء الله ولفظه: وطريقة سيدنا أبي الحسن الشاذلي تنسب إلى عبد السلام بن مشيش، والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني، [72و] ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ثم قال: وسمعت

<sup>1</sup> - كتب على هامش النسخة رقم 2625د، ص84: (اتصال نسب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف بالمصطفى ﷺ).

<sup>2</sup> - هذا القول قاله أبو العباس المرسي: (طريقتنا إنما هي قطب عن قطب إلى النبي ﷺ). ينظر: زهراء النظام: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر. ص147. - ينظر أيضاً: ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي. ص88.

شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: طريقتنا هذه لا تنسب للمشاركة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال ابن عطاء الله: قال أبو العباس المرسي: والله ما كان اثنان من أهل هذا العلم في زمن واحد قط إلا واحداً عن واحد إلى الحسن انتهى. ومما نقلته من بعض الكتب ونصه: وشيخ أبي العباس المرسي أبو محمد صالح، وشيخ أبي محمد صالح أبو مدين، وشيخ أبي مدين أبو الحسن الخولاني، وشيخ الخولاني أبو يحيى بن العربي، وشيخ ابن العربي أبو حامد الغزالي، وشيخ الغزالي أبو طالب المكي، وشيخ أبي طالب الجنيد، وشيخ الجنيد السري السقطي، وشيخ السري السقطي حاتم الأصم، وشيخ حاتم شقيق البلخي<sup>1</sup>، وشيخ شقيق البلخي معروف الكرخي، وشيخ معروف الكرخي داوود الطائي، وشيخ داوود الطائي حبيب العجمي، وشيخ حبيب العجمي الحسن ابن أبي الحسن البصري، وشيخ البصري إبراهيم النخعي، وشيخ النخعي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشيخ علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ، وشيخ رسول ﷺ جبريل عليه السلام. انتهى منه بلفظه رحمه الله تعالى. وقال سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله: فمن كذب بهذه الطريقة فعليه لعنة الله انتهى.

### طريقة الشيخ أحمد بن يوسف:

وطريقة سيدنا الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله عن شيخه الزروق عن السخاوي، عن أبي زيد القباب، عن علي بن عبد الكافي، عن السيد ابن عطاء الله، عن أبي العباس المرسي، عن أبي الحسن الشاذلي، عن ابن حرزهم، عن أبي محمد صالح، عن أبي مدين، عن أبي يعزأ، عن ابن حرازم، عن ابن العربي، عن الغزالي، عن أبي المعالي، عن أبي طالب المكي، عن الجنيد، عن السري السقطي، عن معروف، عن داوود الطائي، عن حبيب العجمي، عن الحسن البصري، عن سيدي علي بن أبي طالب ﷺ، عن رسول الله

<sup>1</sup> - هو شقيق بن إبراهيم البلخي الأزدي: زاهد صوفي، من مشاهير المشايخ في خراسان، حدث عن أبي حنيفة، وقتل في غزاة كولان - بليدة في حدود بلاد الترك - في سنة (153هـ)، وقيل (194هـ). ينظر: "الإتحاف بحب الأشراف": مرجع سابق. ص 297.

ﷺ. انتهى اتصالها برسول الله ﷺ. فكيف يكذب بها المنكر لها مع هذه النصوص المصرحة باتصالها بسيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين. وقد نقلها الخلف عن السلف نقل تواتر يستحيل تواطؤهم عن الكذب وقد نظمها بعضهم فقال:

[البسيط]

يا سائلا [عن]1طريقة المشايخ	فهاكها جواهر[الامعة]2شوامخ [72ظ]
أولها أبو العباس أحمد	ابن يوسف الراشدي الأسعد
عن شيخه الملقب الزروق	المقتفي لمن مضى بالحق
عن شيخه المعروف بالسخاوي	وابن زيد رابع يا راوي
عن الإمام العالم الأواه	أعني بذاك ابن عطاء الله
عن شيخه أبي العباس المرسي	مدمر الشيطان ثم النفس
عن شيخه أبي الحسن الشاذلي	عن شيخه محمد بن علي
عن شيخه أبي محمد صالح	الذاكر بالقلب والجوارح
عن الإمام المكنى أبو يعزا	عن شيخه المعروف بابن حرزا
قد اقتدوا بقدوة ابن العربي	عن شيخه الغزالي اللبيب
وقد روى عن شيخه الإمام	ذي الفضل في المعالي والإكرام
وقد روى عن شيخه المكي	أبي طالب العالم التقي
عن شيخه المعروف بالجنيذ	عن سيدي السقطي السعيد
ألقه بالشيخ الذي موصوف	بالكرخي أعني به معروف <sup>3</sup>
وقد روى عن شيخه داوود	عرف بالطائي رأس السعداء

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د). وساقط من (ك)

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د). وساقط من (ك).

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): ألقه بالشيخ المعروف بالكرخي أعني به معروف

عن شيخه حبيب العجمي  
عن شيخه وفارس الإسلام  
وقد روى عن سيدي الأنام  
صلى عليه ربنا وسلمنا  
عن الحسن البصري المعظم  
علي بن أبي طالب الإمام  
محمد ذي الفخر والمقام  
وآله وصحبه تکرماً

وقال الشيخ العارف بالله سيدي أحمد رحمه الله تعالى طريقة الأشياخ تنقسم على أربعة أقسام منهم صاحب الوظيفة وصاحب التقصيص وصاحب الخرقه وصاحب الاسم الجليل أما صاحب الوظيفة فهو خارق<sup>1</sup> السلوك غارق في بحر<sup>2</sup> الشكوك سره مفضوح ومن انفضح سره انسجن<sup>3</sup> عقله [ومن انسجن عقله<sup>4</sup> ليس له في سرّ الله رجحان<sup>5</sup>]. وأما صاحب التقصيص فهو يلتقط الحسنات. قال رسول الله ﷺ من استغنى بالحسنات فهو مفلس ومن استغنى بالغني الحميد [فهو]<sup>6</sup> غني وأما صاحب الخرقه فيؤدي البركة من غير إفادة وصاحب الاسم الجليل يقطع ذلك كلمح [73و] البصر وبما شاء بقدرة الله تعالى هو الذي نص عليه في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>7</sup> وهؤلاء الذين يأخذون الاسم الجليل هم الذين يقطعون ذلك كلمح البصر أو بما شاء من قدرته جل وعز وهم ينقسمون على أربعة أقسام فمنهم من يعرف نفسه ولا يعرفه الناس ولا يعرف نفسه، ومنهم من يعرف نفسه ويعرفه الناس، ومنهم من لا يعرف نفسه ولا يعرفه الناس، غيبهم عن أنفسهم وعن الناس لأن المؤمنين عرائس الله وعرائس الله لا يراهم إلا المحرم غيرة منه عليهم، دفنوا وجودهم في أرض الخمول لا يراهم إلا من نظر بنور البصيرة انتهى.

1 - في (د) و(ك): "خائض"

2 - في (ب) و(ك): "بحار".

3 - في (د): "انحبس".

4 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

5 - كذا في (ا) و(ك) وفي (ب) و(د): "مجال".

6 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

7 - سورة الأعراف: جزء من الآية 180. وتتمتها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

**قلت:** وقول سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله يأخذون الاسم الجليل يعضده ما قال سيدي موسى بن عيسى المازوني رحمه الله ولفظه وهذا الاسم الجليل عزيز جدا ولما كان سر الله في كل كتاب أنزل على أسمائه الحسنى فالعلم بهذا السر من أشرف العلوم وإنما كتم العارفون هذا القسم من العلوم لعزته ولئلا يطلع عليه من ليس بأهله ولئلا يقع الإهمال به لكثرة تداوله على الألسنة إذ هو لسان الملة، وليعلم الناظر في ذلك أن حكمة الله مودوعة في كل زمان في كتاب أهل ذلك الزمان بترتيب حروف تليق بلغاتهم وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم الآية فمن عثر عليه استغنى به عن العلوم ثم قال سيدي موسى المذكور: قيل للشبلي ما الإشارة في باسم الله أي بالله قامت الأرواح والأجساد والحركات. قال ابن عطاء الله: سكنت قلوب العارفين أول حرف من كتاب الله وهي الباء من باسم الله فإن معناه بالله ظهرت الأشياء وبه فنيت انتهى.

**قلت:** وقد روي أن مولانا عليا رضي الله عنه جلس مع ابن عباس رضي الله عنهما يتكلمان في معنى الباء من باسم الله في صلاة العشاء إلى طلوع الفجر انتهى. وقفنا الله وإياك يا أخي لهذا السر العظيم في حرف واحد وهو الباء فما بالك بسائر الحروف، فما بالك بأسمائه تبارك وتعالى في أسرارها ومعانيها التي لا يحيط بها إلا هو جل وعلا سبحانه. ثم قال سيدي موسى المذكور: قال أبو يزيد: حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أشياء قيام كل فريق باسم منها وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فمن بنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام، ومن كان حظه اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره، ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق، ومن لاحظ [73ظ] اسمه الآخر كان مرتبطا بما يستقبله. ثم قال سيدي موسى المذكور: وهذا العلم أخذه أفاضل المتصوفة عن المشيخة المخلصة عن الصحابة رضي الله عنهم، وكان الأستاذ أبو علي يقول: أخذت هذه الطريق عن النصر باذي، عن الشبلي، عن الجنيد، عن السري، عن معروف، عن داوود، ولقي داوود التابعين. قال الحسن: أول من

تكلم في علم الصوفية علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال الروذباري: سمعت الجنيد يقول رضوان الله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لولا انشغاله في الحروب لأفادنا في علمنا هذا معاني كثيرة ذلك أَمْرُؤُ أُعْطِيَ العلم اللدني الذي اختص الله به الخضر. قال ابن العربي إن الخضر قال لموسى عليه السلام إنك على علم من علم الله عَلمَكَهُ اللهُ لا أعلمه. وأنا على علم عَلمَنيهِ اللهُ لا تَعَلَّمُهُ. فقال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما عُلِّمْتَ رَشِداً، مع أن موسى عليه السلام أفضل من الخضر. وانتهى من سيدي موسى بن عيسى المذكور رحمه الله.

**قلت:** ويشهد لصحته ما قاله الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن يوسف السنوسي في شرح عقيدته صغرى الصغرى ونصه: ولينظر العاقل إلى ما فعله موسى عليه السلام مع الخضر رضي الله عنه عندما سمع من المولى العظيم تبارك الله وتعالى أنه خصه بعلم من لدنه من أتعاب نفسه الشريف في السفر إليه حتى لقيه ثم تواضع له في الكلام والتمس منه أن يعلمه بصفة الاستفهام هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رَشِداً؟ ثم لما أغلظ عليه الخضر في القول جاوبه هو عليه السلام بتواضع ولين والتزم له أن يطيعه في كل ما يأمره به كما هو شأن العبد مع سيده فقال عليه الصلاة والسلام ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. هذا التواضع وقع من هذا السيد في علم لم يخطر إليه<sup>(1)</sup>[47و] لا في ظاهره ولا في باطنه، وقد فضله الله على الناس برسالاته ومناجاته له بلا واسطة بكلامه القديم الذي لا مثل له والآيات والمعجزات، وقد ثبت أن له ألف مجلس في المناجاة مع الله وأنه يرفعه ويعزله حتى يسمع صريف الأقلام، يكتب بها في اللوح المحفوظ، وإلى هذا أشار القرآن في قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَا نَجِيًّا﴾<sup>(2)</sup>. انتهى منه باختصار.

**قلت:**

<sup>1</sup> \_ نهاية القوس المعقوف هو نهاية الأوراق الساقطة من (أ). التي استكملناها من (1708ب). من ص[67ظ]-إلى ص[73ظ].

<sup>2</sup> \_ سورة مريم، الآية 52، وتامها: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

وقول السنوسي: «الأقلام قلم واحد، وقيل أقلام، واختلف هل هو جماد أو حيوان، فالمشهور أنه حيوان ودليله ما قاله ابن العربي في القانون ولفظه: «وأما القلم فليس بممتنع أن يكون جسماً مؤلفاً ولا خلاف بين الأئمة أنه كذلك، وقد تظاهرت الآثار أنها أقلام، وقد سمع النبي ﷺ صريفها ليلة الإسراء في العلو الأعلى. ويحتمل أن يكون أول ما خلق الله قلماً واحداً فكتب، ثم خلقت سائر الأقلام بعده. ويحتمل أن يكون أول ما خلق الله القلم عبارة عن الجنس لا عن الواحد. والظاهر عندي أنه واحد خلقت بعده أقلام سواه، والله أعلم»، انتهى منه.

### فصل:

قال سيدي موسى بن عيسى المازوني رحمه الله: وأنكر أهل الظاهر [أن] هناك علماً يسمى علم الباطن لأن النبي ﷺ لم يكتم من الرسالة شيئاً، واحتج بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾<sup>(1)</sup>، الآية. ولعمري إن الذي أنكر المعذور باجتهاده، لكنه إذا بينت الكيفية وجب عليه أن ينصف إن كان ممن يؤمن بالله ويفقه أسرار الشريعة من الكتاب والسنة، وإلا قلت ما قال القائل: [بسيط]

عَلَيَّ نَحْتُ الْمَعَانِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ<sup>2</sup>

ثم قال: وقال عليه الصلاة والسلام: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»<sup>3</sup>، فنقول للمتعلق بعلم الظاهر ما هذا الذي يعلمه الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يعلمه أصحابه ولا سألوه عنه. ثم قال: «واعلموا أنه ليس كل شيء اطلع عليه رسول الله ﷺ

<sup>1</sup> \_ سورة المائدة، الآية 67. وتامها: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

<sup>2</sup> \_ البيت للشاعر العباسي الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة البحرني قاله يمدح "علي بن مرّ الطائي" لكن فيه تغيير طفيف. في الديوان ورد كما يلي:

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ.

ينظر: البحرني، الديوان. شرح حنا الفاخوري. نشر. مكتبة الموسوعة العامة 1934م. ص 955. موقع اليكتروني في الأنترنت.

<sup>3</sup> \_ الحديث رواه البخاري في صحيحه تحت رقم 6485/ج4/ط1، دار الإمام مالك، الجزائر. ص 29.



يلزمه الإعلام به، فإنه جاء: «علمني ربي ثلاثة علوم: علم أمرني بإفشائه، وعلم نهاني عن إفشائه وعلم خيرني في إفشائه». وقال علي عليه السلام: «علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك لأحد غيري». وقال عليه السلام: «أسرَّ إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مئةَ ألفِ سريرةٍ في كل سريرةٍ ألف جنس في كل جنس ألف نوع في كل نوع ألف فصل من العلم المكنون المخزون المصون، فوالله لو يهب لكم واحدة منها لقلتم: "اقتلوا علياً"».

وقد تقدم بأكثر من هذا عند قول سيدي أحمد بن يوسف في مناقبه فأعطاني الله علم الظاهر والباطن، انظر هناك.

ثم قال: وقال أبو هريرة رضي الله عنه: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاءين، أما أحدهما فبثته في الناس، وأما الآخر فلو بثته لقطع مني هذا البلعوم. ثم قال: وما سمي علم الباطن إلا لكونه لم يوجد إلا عند الأقل وهو لباب الشريعة، وهو من العلم المخزون، أي اللدني الذي اختزنه الله عنده، ولم يؤته إلا لمخلص من الأولياء. قال الجنيد: «علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم». وقال بعضهم: «هي أسرار الله تعالى يبيدها إلى أمناء أوليائه والسادات النبلاء من أصفياؤه من غير سماع ولا دراسة، وهي من أسراره التي لم يطلع عليها إلى الخواص».

[47ظ] وقال الواسطي: «وقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(1)</sup>، هم الراسخون بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر، فعرفهم ما عرفهم، وخاضوا بحر العلم بالفهم وطلب الزيادة فانكشفت لهم من مدخور الخزين، والمخزون تحت كل حرف آية من الفهم، وعجائب النظم، فاستخرجوا الجواهر، ونطقوا بالحكمة».

قال سهل بن عبد الله: العلوم ثلاثة: علم الظاهر يبذل لأهل الظاهر وعلم الباطن لا يظهر إلا لأهله، وعلم بينك وبين الله. وبالجملة فلا ينكر هذا العلم إلا من لم ينور الله بصيرته، وإلا فقد فتح الله بكثير منه على كثير من أوليائه، فلا ينكر علوم القوم إلا مظلم

<sup>1</sup> \_سورة آل عمران، الآية 7. وتامها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

القلب، وعلماء الظاهر بطاعتهم في هذا الفن مزجاة ولا تكاد تجد من يعترض<sup>1</sup> لإنكار علوم القوم، إلا متشدقة الطلبة لاستغرابهم إياها، ونقصان عقولهم عن إدراكها حتى تكون عندهم في حيز المحال.

وأما الفقهاء حقيقة فحاشاهم من هذه الرذيلة. أما علم الجهلة أن للملوك أسراراً لا يطلع عليها إلا الخواص، والله تعالى ملك الملوك أولى أن تكون له أسرار لا يطلع عليها إلا من ارتضاه، وهذا لا يحيله العقل. وقد ورد به النقل عن الصحابة رضي الله عنهم واستفاضت به الأخبار عن بعدهم من التابعين وتابعيهم إلى هلم جرا.

قال الخراز: المستنبط يلاحظ الغيب أبداً ولا يغيب عليه شيء لقوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(2)</sup>، وتفسير هذه الطائفة لكلام الله ولحديث رسول الله ﷺ بالمعاني الغريبة ليس بإحالة للظاهر كما قدمنا، وإنما ذلك بما ألقى الله في قلوبهم من نور المعرفة. واختلفوا في هذا العلم هل هو موهوب أو مكسوب<sup>3</sup>، والقرآن ينبوع جميع العلوم والناس في فهم آية واحدة منهم من يفهم منها معنى وآخر معنيين وآخر ثلاث وأكثر على قدر ما وضع الله في قلوبهم من ذلك النور الذي تستبين به المعاني.

وروي عنه عليه الصلاة والسلام: «أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به فلا يجله إلا أهل الاغترار بالله». وجاء في أبي بكر: «لم يسبق الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره». وكان الصحابة علماء بالله، ولم يتصدر منهم للفتوى إلا اليسير، ولم يكن في زمانهم من يؤلف ولا من يشتغل بهذا التدقيق الذي ينتحله الفقهاء اليوم، بل كانوا أهل خوف وحزن ومجاهدة ومراقبة وصرف الهمم لنظافة الباطن، لا للتدقيق في المنقولات والمعقولات من الأصول والفروع والنحو واللغة والتصريف،

<sup>1</sup> - في (ب): يتعرض.

<sup>2</sup> - سورة النساء، الآية 83. وتامها: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

<sup>3</sup> - في (ب) و (د) و (ك): أو مكتسب.

وإنما صدر ذلك في القرن الثاني، والكل على خير مع سلامة البواطن من خبث المقاصد وحب جاه الدنيا. لكن لا حاجة للفقراء بتعلم ذلك إلا ما لا بد منه مما يقيم به الإنسان أمر دينه من الصلاة والصيام والطهارة. "فالواجب على كل فاضل متدين أن لا يتعرض لأهل الطريقة في طريقتهم، بل يسلم لهم ولا ينازعهم ولا ينكر أحوالهم ولو بقلبه؛ لأنهم جواسيس القلوب، يرون الغيب من ستر رقيق وقد خصوا بما لم يخص به غيرهم . فالسلامة في ترك الاعتراض"<sup>1</sup>. فقد عاتب الخضر الكليم عليه في إنكار ما لم ينته إليه علمه من خرق السفينة وقتل الغلام واعتذر إليه موسى/ [48و] بما اعتذر، فإن هذا الأمر لم ينل بحفظ المسائل، ولا بمعرفة أحكام النوازل، وإنما هو توفيق من الله وكرامة خص بها الباري سبحانه من شاء وجعلها دلالة على فضل من حباه بها. فكذلك يوفق \_جَلَّ وَعَزَّ\_ للتصديق بلطائف الاختصاص والإيمان بتصاريف القدرة، ومواهب أهل الإخلاص. ومنه جلت قدرته تستمد نوافح كرمه، وتستمنح سوابغ نعمه، فإنه تعالى يؤتي فضله من يشاء بغير حساب، ونستجير به من الشكوك في حقائق الغيوب. فإذا فتح الله لعبده وجهة من التعريف فلا يبالي معها وإن قلَّ عمله؛ فإنه ما فتحها له إلا وهو يريد أن يتعرف إليه، فإذا فهمت المراد فلا غرابة في اختصاص الله عبداً من عباده بفضيلة من مواهب كرمه ولو كان لا يؤبه له ولا يكون ذلك نقصاً في حق من هو أفضل منه، فإنها منح إلهية يؤتيها الله من يشاء، قال تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾<sup>(2)</sup>، وفيه دليل على اختصاص الله بآياته المفضول دون من هو خير منه في العلم والدين والإخلاص وأكرم على الله وأعلى عنده منزلة وأقوى منه في الدلالة إتيان الكليم ﷺ الخضر وسؤاله منه أن يتبعه ليعلمه مما علمه الله.

والخضر في قول الأكثر ولي لا نبي، نَوَّرَ اللهُ بَاطِنَهُ وَخَصَّهُ بِمَعْرِفَةِ عِلْمِ الْبَاطِنِ بِمَا لَمْ يَخْصُ بِهِ الْكَلِيمَ ﷺ، هذا والكليم أعلم أهل زمانه. قال ابن العربي وغيره من فحول

<sup>1</sup> - هذا القول مذكور في ص(13و) من مخطوط 1707.

<sup>2</sup> - سورة يوسف، الآية 56. وتامها: ﴿كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

الأئمة المعول عليهم: «والخضر دونه وموسى ﷺ خير منه وأفضل». وكذلك مريم في قول الأكثر ولية صديقة؛ لأن الله تعالى وصف ابنها عيسى ﷺ بالرسالة ولا رسالة إلا بنبوءة، ووصفها بأنها صديقة ولم يصفها بنبوءة. ومن ذلك صفة عرش بلقيس، فإن سليمان ﷺ قال: ﴿أَيْكُم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾<sup>(1)</sup>، وهو آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان في قول الأكثرين، وكان ولياً لا نبياً، تهيأ له إحضاره وانفعل نقله بأسماء الله الحسنى، وبعلم مكنون خصه به في إخلاصه في عبادته، وشملتته عناية نبيه سليمان ﷺ ويظهر أن هذا العلم الذي انفعل له بذلك مكتسب والعلم الذي أوتيته الخضر موهوب، والصوفية تسميه العلم اللدني لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(2)</sup>.

وقصة موسى ﷺ مع الخضر وسليمان مع ابن خالته نص صريح أن الله تعالى قد يخص الأدنى بمعنى من الخصوصية والكرامة دون من هو أفضل منه وأعلى. وقد اختص الله سبحانه أهل الكهف لما كانوا من عجائب آية الله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾<sup>(3)</sup> الآية، ولم يقل أحد أنهم أنبياء، وإنما كانوا أولياء، حباهم الجليل بإنعامه وخصهم بلطف إكرامه، وما زال كثير من أكابر العلماء يأخذون مثل هذه العلوم عن الأميين الذين لا معرفة لهم بعلوم الظاهر. فقد كان الإمام الشافعي على جلالته قدره يأخذ من شيبان الراعي، وكان يجلس بين يديه كما يجلس الصبي في المكتب، ويسأله كيف يفعل كذا وكذا، فيقال له: أمثلك يسأل هذا البدوي، فيقال: إنه وُفق لما علّمناه. فانظر إلى هذا الأمر العجيب، واقتدِ تَنجُجْ، واجذع أنف الأنفة تريح، فإياك والعدول عن الحق، فاعرف الحق واتبع أهله، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> \_ سورة النمل، الآية 38. وتماهما: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة الكهف. الآية 65. ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

<sup>3</sup> \_ سورة الكهف. الآية 9: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.

<sup>4</sup> \_ سورة البقرة من الآية 105. وتماهما: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وكان الإمامان أحمد/ [48ظ] بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي، ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما، فيسألانه وما ذاك إلا لسر جعله الله فيه. وقيل للنبي ﷺ: «كيف نفعنا إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة؟»، فقال: «اسألوا الصالحين، واجعلوه شورى بينهم». انتهى موسى المذكور.

### \_ حكاية في المعنى:

قال ابن عطاء الله: «يحكى أن الشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما كانا جالسين إذ أقبل شيبان الراعي، فقال أحمد بن حنبل للشافعي: "أريد أن أسأل هذا المشار إليه في هذا الزمان"، فقال له الشافعي: "لا تفعل"، فقال له: "لا بد من ذلك"، فقال: "يا شيبان، ما تقول فيمن نسي أربع سجديات من أربع ركعات؟"، فقال: "يا أحمد هذا قلب غافل من الله، يجب أن يؤدي حتى لا يعود إلى مثل ذلك؛ فخر أحمد مغشياً عليه. ثم أفاق فسأله، فقال: "ما تقول له فيمن له أربعون شاة؟"، فقال: "على مذهبنا أو على مذهبكم؟ فقال: أو هما مذهبان؟!". قال: نعم. قال: "أما على مذهبكم ففي الأربعين شاة شاة، وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئاً". انتهى من كتابه المسمى بالتتوير في إسقاط التدبير، نفعني الله به وبأمثاله، آمين.

ثم قال سيدي موسى المذكور. «فالشيخ أبو يعزى عبد أسود نور الله باطنه فصارت المطايا تعمل إليه من أقصى البلدان لما يؤثر عنه من العجائب والغرائب، وهو أعجمي اللسان وبعضه ومكانه من هو أحسن منه صورة وأفلق جنا، فتخيل من هذا أن هذا الأمر ليس هو بفصاحة اللسان، ولا بحسن وجه وإنما هو بفضل الله ورحمته وبعنايته السابقة. وما يدل على أن الله آتاه علماً من لدنه ما حدث به عنه أبو الفداء أنه قال يوماً لحاضريه: "كم للتوبة عندكم من شروط؟"، فقالوا له: "ثلاثة: الندم على ما فرط في جنب الله، والإقلاع عما يكرهه الله، والعزم على أن لا يعود إلى ما لا يرضي الله". فقال لهم أبو يعزى: لكن للتوبة عندنا مئة شرط، قال القرافي: «لعلك تسمع ما يلفظ به بعض القائلين أن الشيخ أبا يعزى جاهل

وأنه لا يحفظ من القرآن ما يصلي به كالمعوذتين وسورة الإخلاص، فكيف يكون ولياً؟! فاعلم أن من نسب أولياء الله إلى الجهل فقد أعظم على الله الفرية، وأوذن بحرب من الله بلا مرية، فالجهل اسم كل كبيرة وأصل كل جريمة، وعنصر كل معصية، وينبوع كل رذيلة، وبه جحدت الربوبية وأنكرت النبوة والرسالة. وأما أبو يعزى فهو عالم بالله عارف به عامل بالشرعية والحقيقة، فكيف يكون من ظهرت الآيات الزاهرة، وخوارق العادات الظاهرة على يديه جاهلاً، والجاهل إن لم يكن كافراً فهو فاسق. وليس بجاهل من علم فرض ليلته ويومه، وقام بالواجب بما عليه في إيمانه بالعلم بالله وبرسوله واللائم له في صلاته وصومه وغير ذلك، ولعل هذا الولي وصل بالعناية الأزلية إلى ما صارت إليه العاصبة المكرمة الأولية من حقائق المعاني، ولطائف الإشارات، وإن قصر في نظام الألفاظ ومباني العبارات، وكان كثيراً ما ترد الفقهاء عليه برسم الإعجاز واستخبار حاله في وضوئه وصلاته وأمر دينه وعقيدته، فلا يجدون لإفحامه سبيلاً مما يلهمه الله إليه من الحجج التي لا يجدون لها مرداً فيسلمون له أقواله وأفعاله، وينقادون لحجته ويبتهجون بما يشاهدونه/ [49] من المعارف التي أودعها الله فيه».

قال شيخ المشايخ سيدي أبو مدين: «رأيت أخبار الصالحين من وقت أوبس القرني إلى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى، وينبغي أن تكتب بالذهب». وقيل لأبي يعزى إن فقهاء فاس أنكروا عليك لمس صدور النساء والنظر إليهن، فقال: «أليس يجوز عندهم أن يلمس الطبيب تلك المواضع ويرأها للضرورة؟!، فهلا عدوني واحداً من أطبائهم؟، وإنما ألمس ذوات العاهات للتداوي بذلك».

قال شيخ المشايخ سيدي أبو مدين رحمته الله قال جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزى أنه ثبتت عندنا ولايته لكن تشاهدوه يلمس بيده صدور النساء ويطونهن ويتفل عليهن، فييران. ونرى أن لمسهن حرام، فإن تكلمنا في هذا هلكننا، وإن سكتنا تحيرنا، فقلت لهم: «أرأيتم لو أن ابنة أحدكم أو أخته أصابها داء لا يطلع عليه إلا الأزواج، ولم يوجد من يعاينها إلا طبيب

نصراني أو يهودي، أستم تجيزون ذلك؟!، مع أن دواء الكافر مظنون. وأنتم في معاناة<sup>(1)</sup> أبي يعزى على يقين من الشفاء، ومن معاناة غيره في شك". فبلغه كلامي. فكان يقول: "إذا رأيتم شعيباً فقولوا له: عسى أن يعتقني"، كأنه استحسن جوابي عنه.

قال خديمه ابن هارون: أتته يوماً صبية بها علة لتستشفى بمسه، فأدخل يده بجسدها، فمسح عليها، فوجدت من ذلك في قلبي شيئاً، فكرهت المقام عنده، فاستأذنته في الانصراف، فقال: "لا حتى أمرك"، فانصرفت بلا إذن فضلت عن الطريق، وكنت بها عارفاً، وأخذت في طريق متعبة، وقد أجهدني الجوع والتعب، وكان الناس حينئذ يقتلون أناساً على ترك الصلاة في أوقاتها، فقبض على جماعة كنت فيهم، فحملنا لنقتل. فلما كان في تلك الساعة قال أبو يعزى لأصحابه: "ارفعوا أيديكم إلى الله وادعوا أن يخلص الله صاحبكم من المحنة التي أصابته". فلما قدمت قال رجل كان يعرفني للوالي ليس هذا ممن يتركها، ولو لم يصل أحد لصلى هذا وحده، فأمر بإطلاقي فرجعت من فوري للشيخ أبي يعزى. فلما أبصرني قال لي: "أبيت أن يزيل ما في قلبك إلا بعد المحنة"، فقلت: "تبت إلى الله".

واشتهر من أمره بحضرة فاس عند علمائها أنه يصحح "ويُسَقِّمُ<sup>2</sup> في الأحاديث النبوية، فقصدته بعضهم ليختبر حاله ويعترف مدركه في ذلك، فلما حضر عنده وسأله فيما سمع عنه في ذلك، وعرفه الفقيه بما في اقتحام ذلك من الوعيد وأن الكذب على النبي ﷺ ليس كالكذب عن غيره. فقال له أبو يعزى: إذا ذكر أحد الحديث عندي فإن كان صحيحاً ظهر لي شبه النور يخرج من فمه، فأعلم أنه صحيح، وإن كان سقيماً أخرج من فمه شبه الدخان، فكان الفقيه سلم له في ذلك ورآه من الجائزات التي يجعلها الله له ولأمثاله من الأولياء علامة على ذلك. فانظر لهذه العلامة التي جعلها الله له في إدراك ذلك. قال أبو الحسين<sup>3</sup> بن الصايغ

<sup>1</sup> - كذا في (أ)، ولعل المراد: معاينة.

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ. لعله يقصد: "يُضَعِّفُهَا".

<sup>3</sup> - في (د): "أبو الحسن". وهو الأصح. وهو أبو الحسن الصائغ الدينوري، واسمه "علي بن محمد بن سهل"، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه: «من كبار المشايخ»، وقال =

زرت مرة أبا يعزى فخرجت عند غروب الشمس للوضوء مع جماعة، فبعدت عن القرية، فحال الأسد بيننا وبينهما<sup>1</sup> فأخبر الشيخ بذلك فأخذ عصاه وجعل يضرب بها الأسد إلى أن فر أمامه، فقرنا منه فجعل يأكل عيون الدفلى، فقال لترجمانه/ [49ظ] قل لأبي الحسين: "ما تقولون أنتم معشر العلماء<sup>2</sup> فيمن يأكل عيون الدفلى؟"، فقال: قل له: "من أكلها طرد الأسد"، فأعلمه الترجمان بذلك، فتبسم ووشى به قوم عند الخليفة عبد المومن بتلك المكاشفات، ومواصلة الأخبار عند الغيوب، فأثر ذلك في نفسه. فلما نزل بمحلته بظاهر سلا قال الخليفة لأبيه: "ما هذا الذي يذكر عن أخيك في مشاركته لله في علم الغيب؟"، فقال: "يا أمير المؤمنين، أنت أقدر عليه مني". فأمر أن يرسل إليه فركبت فرسي فسرت إليه، فما سرت نحواً من ثلاثة أميال فلقبته<sup>3</sup> فقال أرسلك أمير المؤمنين قلت نعم قال يريد أن يقتلني فسر بنا إليه فوصله فوجده في خباه مع مشايخ الموحدين فسلم عليهم. ثم قال: "يا أمير المؤمنين في نفسك شيء مما قال [لك فلان و] <sup>4</sup>فلان في يوم كذا في ساعة كذا فما أنا أخبرك أن تحت ذلك البساط ألف دينار عيوناً قطعتها، وقلت في نفسك: "انظر هل ترجع إلى بيت المال أم لا؟"، فقال له الخليفة: "الأمر كما ذكرت". قال أبو يعزى: "وقلت في نفسك: الآن أكتب له كتاباً بكل ما يريد"، فأرح<sup>(5)</sup> الكاتب ووفر الكاغذ<sup>6</sup>، ثم قال: "حاجتي إليك أن تمشي معي لتلك

=عنه أبو نعيم الأصبهاني بأنه: «كان في المعاملة مخلصاً وعن النظر إلى سوى الحق معرضاً»، وقال عنه أبو عثمان المغربي: «ما رأيت من المشايخ أنور من أبي يعقوب النهرجوري، ولا أكثر هيبة من أبي الحسن بن الصائغ أسند الحديث النبوي، وأقام في مصر وتوفي فيها عام 330 هـ، ينظر طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، ص 240-242، دار الكتب العلمية، ط 2003، وأما أبو يعقوب إسحاق بن محمد نسبه إلى نهرجور بالقرب من الأهواز وكان من علماء الصوفية، صحب الجنيد، ومات بمكة سنة 330 هـ. ينظر مزيد ترجمته في "الموسوعة الصوفية"، أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية: عبد المنعم الحفني، دار الرشد، ط 1. القاهرة (1412 هـ/ 1992 م). ص 397.

<sup>1</sup> - في باقي النسخ: "بينها" وهو الصواب. لأن الضمير (ها) هنا يعود على القرية

<sup>2</sup> - في باقي النسخ: "الفقهاء".

<sup>3</sup> - في (ك): "إلا فلقبته".

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>5</sup> - كذا في (أ)، ولعل المقصود: فأحضر.

<sup>6</sup> - لغة أهل زناتة، ويقصد به الورقة. في (د): "الكاغظ".



الكدية وبها زرع، وأحب أن يستسقى ذلك الزرع من هذا الوادي". فقال: ومن يطيق على ذلك، ثم حرك الشيخ أبو يعزى رضي الله عنه شفثيه فأرسل الله المطر الوابل شربت منه الكدية، وجرت به الأودية في الحين. وقال الخليفة أيضاً: قولوا له يعرفنا بشيء من هذه الغيوب التي تذكر عنه من المكاشفات، فأعلموه، فقال الشيخ أبو يعزى: حماري يأكله السبع الليلة، فوجه الخليفة من جعله بين مريط خيله وبيت العبيد هنالك، فلما أصبح تفقدوه فوجدوا العبيد قد تفرقوا فارين والحمار عقير والسبع يأكل علانية الحمار، فعرف بذلك الخليفة فأمر من يعرف الشيخ أبا يعزى بذلك فسار حتى وقف عليه، فتقدم إليه فضربه بعصاه، فخر الأسد ميتاً. فقيل للخليفة ذلك فقال لجلسائه اعتبروا بهذه القصة، فقد ضربها لكم مثلاً؛ فكأنه يقول: "أنا رب الحمار، قتله لي الأسد فسلطت عليه فقتلته وأنا عبد وربي الله، وإن قتلتُموني غضب لي سيدي فيفعل مثل ذلك وأشد".

ووجه مرة عامل مراكش خيلاً كثيرة للشيخ سيدي أبي يعزى لما بلغه من جموع الناس عليه فكوشف الشيخ بذلك، فَنَوَجَّهَ نَحْوَهُمْ، فَلَقِيَهُ أَخُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَبَكَى وَعَرَّفَهُ بِتَوَجُّهِ الخيل إليه فقال: "عرفت وما جئت إلا لكي لا يجدوني في موضع فيتروع الولدان والنسوان فلقوه". وكان الذي وجههم أوصاهم ألا يأتوا به إلا مقيداً فهابو[ه] أن يقيدوه. وقيل إنهم قيدوه فصار الكبل يسقط من رجليه، فلما وصلوه بمراكش عرَّفُوا بِهِ صاحبهم، فأمر أن يسجن في حوش كانت فيه السباع، وأن يُجَوَّعُوا لِيَفْتَرِسُوهُ، فأشرف الناس عليه بعد أيام فرأوا السباع تبصص حوله، وتلمس جسده، فَأُخْبِرَ الأَمِيرَ الذي سجنه فتعجب ثم أمر بإطلاقه. فقال الشيخ لا أخرج حتى يشبع هؤلاء الذين جوعوا من أجلي فذبحت لهم بقر.

وحدث ميمون بن وابور قال: زرت الشيخ أبا يعزى فكانت عنده فجاءته جماعة من المنكرين عليه من أهل فاس، فخرج مع جماعة للقائهم، فلما رأوه نزلوا على دوابهم ليسلموا

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - كذا في جميع لنسخ. والأصح: "أن يجوعوها لتفترسه".

عليه، فخرج أسد فوثب على دابة أحدهم فصاح عليه أبو يعزى، ودنا منه إلى أن أخذه بإذنه، ونحن ننظر إليه،/ [50و] فقال لأصحابه: "اركبوه فهابوا ركوبه". قال ميمون: فوثبت على ظهره وركبته وضربته مرات، وهم ينظرون، وكنت أحس وبره قد نفذ من ثوبي إلى جلدي، فأقمت ساعة كذلك ثم نزلت عليه، وذهب.

وحدث عنه ابنه أنه وصله زوار من أعيان طلبة القبائل وصالحيه، فسألوا<sup>1</sup> عنه فقيل لهم هو في الغابة، فقصده فوجدوه بين الأسود، وفيها من يلحسه وفيها<sup>2</sup> من يشمه، فسلموا عليه. وكان بيد أحدهم قصبه، فأقبل عليه، وقال: \_ لم اقتلعتها، وهي من القصب التي أنبت الله على يونس عليه السلام؛ حيث ألقاه الحوت من بطنه؛ ثم أخذ عليه العهد أن يردها لموضعها إذا رجع لبلده "ماسّة"<sup>3</sup>. ثم أقبل على تلك الأسود يكلمها بحضرة أولئك الفقهاء. ثم قال للأسود: "لا يحضر مأكلكم فلان؛ فإنه كان رجلاً فاجراً، اقتطع بيمينه حق مسلم فمسخه الله أسداً أسوداً". فما زال دأبهم معه حتى مات جوعاً. قال: وهذا الأسد هو الذي يسمى في تلك البلاد أبو تبرئوس<sup>4</sup>. انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** إياك يا فقيه أن تسبق بالإنكار على هذه الحكاية التي نقلت عن أبي يعزى نفعني الله به وأعاد على ذريتي من بركاته وأنواره. أما أنا فمصدق بكراماته وكرامات أمثاله، جعلني الله من المحبين فيهم والمحشورين في زميرتهم بجاههم عند الله، آمين يا رب العالمين. فإن قيل: وكيف تصنع بالحديث المروي عنه - عليه الصلاة والسلام - : «المسخ رفع عن هذه الأمة المحمدية»<sup>4</sup> ببركة نبيها سيدنا ومولانا محمد عليه السلام فالجواب: «إن هذا الحديث يتأول بتأويلات حسنة، فنقول لعله أراد مسخ القلوب أو غير ذلك، ويشهد لذلك ما رواه حذيفة عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «يخرج في آخر الزمان ريح حمراء فيفزع الناس إلى

<sup>1</sup> - في (ب): "فسألوه". وفي (د): "فسأله عن الشيخ أبي يعزى فقال لهم".

<sup>2</sup> - في (ب) و (د): "ومنهم".

<sup>3</sup> - كذا في جميع النسخ.

<sup>4</sup> - لم أقف له على تخريج .

علمائهم فيجدونهم قد مسخوا قرده وخنازير<sup>1</sup>. انتهى من نوازل مازونة. فتأول العلماء أن المراد به مسخ القلوب، ويكون ذلك من علماء السوء بقرب قيام الساعة.

ولمّا تأوّل ابن العربي قوله \_ عليه الصلّاة والسّلام \_ : «أمّا يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل اللّهُ صورتهُ صورةَ حمارٍ<sup>2</sup>»: «يعني به صورة الحمار الباطنة من البلادة؛ لأنّ الحمار أبله الحيوان». أو يكون المرادُ به المسخُ في القلوب؛ على ما قاله [البزار إلى غير ذلك من التأويلات. ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال العزفي<sup>3</sup>: عن أبي الربيع [4] سليمان بن عبد العزيز: لما مشيت لزيارة أبي يعزى، وكنت مع أبي محمد عبد الله ابن عاصم ظهرت لنا كرامات منه في تلك الأيام التي كنا بها عنده؛ جاءه رجل زائر محمل على حمار له، فلما كان فيما بينه وبين الشيخ أبي يعزى يسيرا عيي حماره، فلم يقدر على توصيله، فقصد<sup>(5)</sup> الشيخ فقال: "مالك؟"، فأخبره، فنهض الشيخ أبو يعزى معه إلى الحمار، فلما قربنا منه رأينا سوادا قربه، فإذا هو أسد. قال صاحب الحمار: فبيست منه، فقال لي أبو يعزى: "لا بأس عليك، قدم الحمار للمنزل"، فقدمته. ثم قال لي: "تعال للحمل"، فقلت في نفسي: "على من يحمله أعلى نفسه أم عليّ؟". فذهب به لناحية الأسد، فلما قرب منه بصبص، وحرك ذنبه ورأسه كما/ [50ظ] يفعل الكلب مع من عرفه. فجعلناه على الأسد ثم

<sup>1</sup> - الحديث ذكره ابن أبي الدنيا في "دم الملاهي" رقم 22. من غير ذكر عبارة (قرده وخنازير). وقال: إسناده ضعيف. ينظر: ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي (608-680 هـ) : "دم الملاهي". تح ودراسة عمرو عبد المنعم سليم. ط1. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. 1416هـ. ص 37 - 38.

<sup>2</sup> - الحديث رواه مسلم في صحيحه. وفي رواية له أيضا: وجهه وجه حمار. ينظر: صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما. ج/4. ط1. رقم 427. ص 131-132.

<sup>3</sup> - أبو العباس أحمد بن محمد العزفي، من أهل مراکش وبه مات في شهر ذي الحجة عام ثلاثة وستمئة، كان عبدا صالحا صابرا على شدة الفقر، معرضا عن الدنيا وأهلها وقد قيل أنه مات ولم يكن عنده شيء يكفن فيه. ينظر: التشوف إلى رجال التصوف للتادلي. ص 317.

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>5</sup> - كذا في (أ)، ولعل المراد: فقدم.

قدمنا به للمنزل فحط عنه الحمل، ثم قال له: "اذهب ولا تؤذ أحداً من أمة محمد ﷺ". انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** ومثل هذا ما وقع للولي الصالح الغوث سيدي سعادة الذي ضريحه الآن في الموضع المعروف "بيلل" من أسفل وطن "هواره"، على ما نقله الخلف عن السلف. وسيدي سعادة المذكور كان يحمل زقين ماء على الأسد، ويسمونه بلغتهم أبويديين، ومعناه بالعربية أبو زقاق، وهي جمع زق؛ لأن الواحد زق والجمع زقاق.

ومن مناقب سيدي سعادة أنه أتى مع رفيقه إلى واد حامل بالأمطار حملة عظيمة، فقال لصاحبه التيس يتقدم أمام الظأن، فتقدم إلى الوادي وضربه بعكازه، فصار الماء كالجبل عن يمينه وعن شماله بقدرة الله، وببركة رسول الله ﷺ، فاجتازوا ثلاثتهم.

ومناقب سيدي سعادة المذكورة عجيبة لم يصل إليّ غير هاتين المنقبتين \_ نفعني الله به وأهل بلاده\_، يلقبونه "داداً سعادة"؛ لكبر سنه وعظيم قدره، وهذه عادة زناتة يعظمون الكبير عندهم في الدين والصلاح بداداً كما يقول أهل وطننا داداً أبو عمران وداداً يحيى لحفيده. وكما يقوله أهل المغرب لسيدي أبي يعزى \_ نفعني الله بنيتي وحيي فيهم، آمين\_.

ثم [قال] سيدي موسى المذكور: «قال سيدي أبو مدين: «جئت أبا يعزى في وقت قحط، وحوله وحوش كثيرة وغيرها مختلفون لا يؤذي بعضهم بعضاً، وعلى رأسه طيور كثيرة، فيتقدم إليه أحدهم وبصوت له، كأنه يكلمه، فيقول له: "رزقك كذا في موضع كذا"، هكذا واحداً بعد واحد من الوحوش والطيور حتى انصرفت كلها. فقلت له: "يا سيدي، ما هذا؟"، قال: "يا شعيب، إنها اجتمعت تشكو شدة الجوع من القحط ولم تؤثر سكنى بلاد غير المغرب محبة في جوارى، فأطلعني الله على أرزاقها في أوقاتها ومواضعها، فأخبرتها فذهبت إليه".»

ثم قال: «وأقام أبو يعزى بالبادية خمسة عشر عاماً لا يأكل إلا حب الخبيز، فكانت الأسود تأوي إليه والطيور تعكف عليه فإذا افترست الأسود القوافل جاءها فأمسك بأذانها،

وقال لها: "لا تؤذ أحداً من أمة محمد ﷺ". قال العزفي: «وحدثني ابنه أبو محمد عبد الله أن شجرة من التين كانت خلف دارهم لا تتقطع منها التين شتاء ولا صيفاً، فسمع بذلك رجل من أعيان قسطنطينة<sup>(1)</sup>، فاستبعده وقال لي: "لا بد أن أشاهد ذلك". فلما قدّم وسلّم على أبي يعزى قال له مبتدئاً: "جئت في أمر الشجرة التي استبعدت أمرها، فدونكها خلف البيت، فكلّ منها ما شئت. وذهب ومد يده لغصن منها، فإذا عليه حية كبيرة، ففزع منها، وكان الشيخ في البيت، فقال للحية: "تُرَوِّعي أضيّافي!"، فألقت بنفسها للأرض».

وقال الحاج ابن عاصم: زرت أبا يعزى مرة، فقال لي: "ضحيتك عندي في غنمي"، فقلت له: "من يوصلها إليّ من هنا لسبّته؛ لأن في ذلك علي تعبا". فقال: "ما عليك تعب، فخذ حماري وحك فم الكباش في عرقوبه". فركبت الحمار، وصار الكباش يتبعني كالفلو، وربما رأى الغنم فوقف ينظر ثم يجري إلى أن يصل الحمار، هكذا إلى أن بلغت سبّته، وكان سيدي أبو يعزى/ [51] يؤتى بالمجانين فيقول للمجنون: "انظر لكفي" وهو باسط كفيه ثم يحركها، فإذا نظر إليها صرع لحينه، ثم يأمر الجن بالخروج فيخرج ولا يعود أبداً. قال أبو الصبر: "ثم يقول الشيخ عند تعجبه من قدرة الله وسروره بما أعطاه الله<sup>(2)</sup>: "ما أنا إلا أبو تكشكش"<sup>3</sup>، ويكرر أين أهل القرى والعزائم.

وقصد إليه بعض أعيان الوقت، وقد جن جنونا صعباً، فنظر إلى كفه فصرع كما يفعل بغيره، ثم قال أبو يعزى: "أنت كثير الزنا، وقد شفاك الله، ولكن إذا عدت عاد إليك كما كان أو أشد".

قال أبو الصبر: حضرت عنده إلى أن سلم عليه رجل يقال له أبو يعزى [فقال له]: "لم تخون أخاك وتأت زوجة وهو غائب؟"، فقال الرجل: "تبت إلى الله من ذلك". وكان يقول للرجل الذي لا يصلي: "لا يدخل علي"، فسئل: "كيف تعرف من لا يصلي؟"، فقال: "أشمهم؛

<sup>1</sup> \_ كذا في (أ)، وفي (ك): "قسطنطينة". ولعل المراد "قسطنطينة".

<sup>2</sup> \_ كذا في (أ)، ولعل المراد: "مما أعطاه الله".

فأجد فيهم رائحة الكلاب". يا فقراء: الأولياء جواسيس القلوب، جعل الله قلوبهم مرآة صافية ينظرون بها الحوادث المغيبات.

وجاء مرة كتاب الشيخ أيوب السارية من أرمون<sup>1</sup>، ويقول له: "استر عباد الله ولا تفضحهم"، فقال: "والله لولا أنني مأمور بها ما فضحت واحداً، ولسترت على الخلق". وسيدي أيوب بن سعيد الشهير بالسارية، وهو من أشياخ سيدي أبي يعزى.

وذكر أن الشيخ سيدي أيوب السارية تزوج آمة فطلبت منه مملوكة، فلم تكن عنده، فقال له تلميذه أبو يعزى ألا أنوبُ منابها، وكان أسود لا شعر بوجهه، فتزىي بزي مملوكة، وقام يخدم الزوجين عاما يطحن ويعجن ويخبز ويستقي بالليل ويتفرغ بالنهار للعبادة في المسجد، فقالت الزوجة يوماً لزوجها سيدي أيوب: ما رأيت كهذه المملوكة تعمل بالليل جميع عمل النهار، ولا تظهر بالنهار، فتغافل عنها زوجها. فما زالت تسأله عن شأنها إلى أن قال لها هذا الذي يخدمك "أبو ورتلكوط" وليس بمملوكة، فعلمت أنه أبو يعزى. فقالت: "والله لا خدمني بعد هذا أبداً؛ ولأخدمن بنفسي، حتى يرزقنا الله". فلما أعلم أيوب أبا يعزى بذلك قال له: "ولم أخبرتها؟ فهلا تركتني أخدمكما كما كنت؟". انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** وحكى أن الزوجة المذكورة رأت ليلة أبا يعزى يصلي والرحى تطحن وحدها وتدور وحدها بقدره الله، فقالت لزوجها: "ما شأن هذه المملوكة؟"، فأخبرها أنه أبو يعزى، فحينئذ قالت: "لا يخدمني أبداً".

**قلت:** ودليله ما روي عن ابن عباس \_ رضي الله عنهما \_ أنه قال: «كنا ذات يوم جائعين فقامت فاطمة \_ رضي الله عنها \_ إلى قمح وأخذت الرحى، وألقت القمح فيها وأدارتها، فتعبت وأثرت في كفها، ثم نامت، قال ابن عباس: فأمر الله تعالى ملكاً أن يدير الرحى، ويعين فاطمة إكراماً لها، فانتهبت الرحى تدور ولا ترى مديراً، وقد طحن القمح كله. فقال:

<sup>1</sup> - أرمون: هي قرية تابعة لمحافظة كفر الشيخ بجمهورية مصر العربية.

"لوجه ربي الحمد". انتهى من سيدي الرصاع في كتابه المسمى "بتذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين".

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وقد حكي أن طائفة من المتصوفة أتوا من بلاد اليمن لزيارة سيدي أيوب السارية ونظرائه من أهل صنهجة، فوجدوهم قد ماتوا فزاروا قبورهم، فسئل أهل اليمن/ [51ظ] عن سبب ذلك، فقالوا: نام بعضنا فرأى الجنة في منامه وفيها قصور عظيمة فقال: "لمن هذه القصور؟"، فقيل له: "هي لقوم من صنهجة أزمور وهم: سيدي أيوب السارية وأبو عيسى، وأبو عبد الله بن أمغار" \_ نفعني [الله] ببركاتهم وبركة أمثالهم\_.

وإنما سمي السارية لإطالة الوقوف في صلاته. ويقال إنه من الأبدال رأى يوماً بقرة له أهوت بفيها في فدان جاره، فجرى إليها<sup>1</sup> وأخرجه من فيها وأمر بردها للدار، ويجمع لها الحشيش، ولا يتركها تخرج للمرعى ثلاثة أيام، وأن يتصدق بلبنها في تلك الأيام. وزاره عبد الخالق بن ياسين، وحمل إليه حمل زبيب، فقال له: "من أين لك به؟"، فقال: "من جناني"، قال: "وبماذا تسقيه؟"، فقال: "بدلوتي من ماء الساقية المشتركة"، فقال له: "رده لدارك فإني لا أكل زبيبا يسقى بالماء المشترك". وكان إذا عزم إلى موضعه على قتل قوم ورآه مقبلاً إليه صرفهم قبل وصوله إليهم. وجلس يوماً مع بعض أصحابه، فقال الشيخ سيدي أيوب السارية \_ نفعني الله به آمين\_ إن الله يعطي الدنيا كما يعطي الآخرة، فمن كانت له حاجة من حوائج الدنيا فليذكرها، وليسأل الله في قضائها، فقال له رجل: "ادع الله أن يوسع علي في الدنيا، فإني فقير كثير العيال". فدعا له ، فجاء سائل، فقال له: "أنا رجل فقير كما قمت من مرضي ولي عيال، فانظر في أمري". فقال سيدي أيوب للذي سأله أن يوسع الله عليه: "ادفع له الخمسة الدنانير<sup>2</sup> التي عندك". فقام معه، فدفع له ثلاثة دنانير،

<sup>1</sup> - النص الأصلي في التشوف ورد هكذا: "وأدخل يده في فيها فأخرج منه النبات وأمر أن ترد لداره". التشوف للتادلي. ص152.

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ.

فانصرف السائل فرحاً، فجاء رجل تاجر، وقال للشيخ: "أنا من تجار مالقة، وصلت لهذا البلاد بتجارة فمرضت ولا أطيق السفر، وعندني خمسمائة دينار، فدلني على رجل ثقة أقارضه بها". فقال: "ادفعها لهذا"، فدفعها، فقال: "اذهب الآن للمرسى، واشتر السلعة التي تجدها هناك. وسافر بها"، فوجد قمحا، فاشتراه وحمله في المركب فباعه واشترى بثمنه تينا وغيرها من السلع. فلما توسط البحر اضطرب الموج، فخففوا كثيرا مما عندهم، ورموا به، ثم طاب البحر فحطوا بمرسى آزمو، فباع كل ما عنده بألف ومئة، وجاء بالمال لسيدي أيوب فبعث لرب المال بعد أن أخبره بجميع ما أنفق، وأن جملة الريح ستة ومئة، فتغير وجه الشيخ، وقال: "لعلك لم تدفع للسائل جميع الخمسة الدنانير<sup>1</sup>!"، فقال: إنما دفعت له ثلاثة وأمسكت دينارين لعيالي؛ فإنه لم يكن عندي غيرها. فقال له سيدي أيوب: ما أضعفك بيقين لو دفعتها له كلها لحصل لك في ربحها خمسمائة دينار، لكنك نقصت، فنقص لك فأعطى للتاجر رأس ماله، وقسم الريح بالسوية بينهما. ومناقبه عليه السلام كثيرة.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وكان لباس سيدي أبي يعزى برونسا أسود مرفوعا إلى أسفل من ركبتيه، وجبه من جليس مطرق وشاشية عزق. وكان طويلا رقيقا أسود اللون، فإذا جنه الليل دخل في شعب كثيرة السباع، فيصعد في أعلى الجبل، ثم يأتي آخر الليل لمسجده والناس يصلون فيه النافلة، وإذا قاربه الفجر قال لهم: "أوجزوا فقد قرب الفجر"، فإذا انصدع الفجر أعلمهم به، وهو معهم في المسجد/ [52و] فيخرجون فيتأملون الفجر، فإذا هو كما طلع. حتى ظن بعضهم أنه يرى طلوعه من كوة كانت في المسجد، فنظروا للجدار فإذا ليس فيه كوة. فسئل عن ذلك فقليل له: هذه عادته منذ زمان يخبرنا بطلوع الفجر عند طلوعه. قال العزفي: "ولا ينكر هذا من الصديقين للحديث إذا طلع الفجر هبت ريح من تحت العرش فلا يجد ريحها إلا نبي أو صديق". قال أبو الصبر: "إن الشيخ سيدي أبا يعزى كان يأكل قلوب الدفلى ويعالج بها أنواعا من الأدوية. وإني تعجبت من أكله إياها من غير أن

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ. ولعله الأصح: الدنانير الخمسة.



تكلم بذلك، فألقى الله في نفسه ذلك فأخذ مما في فمه منها فوضعه في فمي فوجدته حلواً". قال التاذلي: حدثني غير واحد أنه ما كان يأكل إلا من نبات الأرض، ولا يشارك الناس في شيء من معاشهم، ويطعم الواصلين إليه العسل ولحم الظأن والدجاج. وكان رضي الله [عنه] كريم الطباع، حسن الخلق، حسن السياسية والسيرة، رفيقا بالقلوب متواضعا للصغير والكبير ساعيا في إصلاح ذات البين. وكان يقوم في بعض الأوقات إلى الواصلين إليه والوافدين عليه والدائرين، فيقبل أرجلهم، فإن تعاضم ذلك على أحدهم قال له: "من عرف عادته لا تعارض الشيخ فإنها عادته". وكلما كانت تهدي عروس لبعها بتلك البلد المجارة<sup>(1)</sup> له حتى يؤتى بهما إليه برسم الدعاء لهما والتبرك عليهما، ويضحكهما حتى يقع بينهما من الأنس والتأليف المأمون، وينصرفان لبيت بنائهما. وكذلك دعوته في تسكين الفتن والنوائب ودعوته للسمع والطاعة للأئمة والأمراء، وكل باد وحاضر. ويكرم أضيافه بما عنده، ويقتصر هو الخشن من الطعام، وأكثر حاله في الطاعة طلاقة الوجه.

قال بعضهم في صفة الصالحين: "أن يكون الفقر كرامتهم، وطاعة الله حلاوتهم، وحب الله حرفتهم، وإلى الله حاجتهم، الله خافضهم، ومع الله تجارتهم، وعليه اعتمادهم وتوكلهم، والجوع طعامهم، والزهد ثمارهم، وحسن الخلق لباسهم، وطلاقة الوجه حليتهم، وسخاوة النفوس حرفتهم، وحسن المعاشرة صحبتهم، والليل فطرتهم، والنهار عبرتهم، أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وحدثوا أن الناس كانوا يأتون للشيخ سيدي أبي يعزى من كل بلاد للتبرك برؤيته ولطلب الدعاء منه والاستشفاء من الأوصاب والاعتبار بما أيده الله به، فيطعمهم من عنده ويعلف دوابهم. وكان الفتوح تأتيه من عند إخوانه في الله فينفق على زواره. وكان أهل القرى القريبة منه يضيفون الواصلين إليه ويتبركون بهم.

<sup>1</sup> \_ كذا في (أ)، والمراد: المجاورة.

ومات سيدي أبو يعزى وقد انتهى في السن إلى مائة وثلاثين سنة، وإليه انتهت تربية المريدين بالمغرب، وانتفع بصحبته خلق كثير. قال الفندلاوي: وما علم منذ نُقِلت مناقبه نقل التواتر واستفاضت آياته في المشارق والمغارب من كبار الأولياء مثل الشيخ المبارك سيدي أبي يعزى وإليه كان مرجع أهل المغرب في المعضلات، ودفع الملمات؛ لما يؤثر عنه من الغرائب والعجائب. قال أبو الصبر: "وكان الشيخ أبو يعزى أعجوبة في الزمان وعدة للأمان، بلغ مبلغاً من مقامات اليقين لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين، واشتهر عنه من الكرامات/ [52ظ] ما وقع موقع اليقين، وشهد بشهرتها الكافة والأعيان". قال العزفي: "وأما أخبار سيدنا أبي يعزى بالغيوب وأنواع المكاشفات وإبراء المجانين والمرضى وشفاء ذوي العاهات والزمنى<sup>1</sup> على يديه والافتيات بشجر الدفلى فثابت عنه بالتواتر الظاهر على لسان العدد الكثير والجم الغفير الذي يستحيل تواطؤهم على الكذب في مستقر العادة". قال: "وأما سائر كراماته فثابتة بالتواتر المعنوي كشجاعة وكرامة حاتم". انتهى من سيدي موسى المذكور.

وقال [الشطونفي]<sup>(2)</sup>: وقبر سيدي أبي يعزى الآن "بأغمات" قرية من أعمال "فاس" متبرك به، يستسقي به الناس فيسقون، ويستشفون بترابه فيشفون، يفرح إليه عند الشدائد والأزمات، نفعنا الله به وأعاد علينا وعلى ذريتنا من بركاته وأهل المغرب يلقبونه بـ"إدأ"، ومعناه الأب الكبير؛ لقبوه بذلك لكبر شأنه عندهم ﷺ.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال أبو جعفر بن محمد بن يوسف: قلت يوماً في نفسي: "ما هذا الذي يصدر من أبي يعزى؟". قلت في نفسي: "لأفعلن فعلاً ما يطلع عليه أحد إلا الله حتى أعلم حقيقة ذلك"، وكنت أشاطره في كل ما أستقيده، فجمعت دراهمي وقسمتها وأنا في البستان وحدي، ثم نظرت لعنقود من عنب، فقلت: "وددت أن يأكله الشيخ أبو يعزى"، ثم مر بي حنش، فقلت: "والله إن عدت إلي لأقتلنك". فلما خرجت جاءتني امرأة

<sup>1</sup> - في (ك): "الزمناء" بالألف الممدودة.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين مشترك على هامش (أ).

ودفعت إلي خمسة دراهم، وقالت لي: "أعطاها من يأتيك من المريدين"، فأخذت من دراهم أبي يعزى خمسة وجعلتها عوض هذه الخمسة. فلما وصلت قال: "يا ابن ورقا أتغتابني؟"، فقلت له: "وما ذاك؟"، فقال لي: "ألم تقل في نفسك: "ما هذا الذي يصدر من أبي يعزى"، وقلت في العنقود وددت أنه أكله أبو يعزى، وتوعدت الحنش بالقتل وهو من مؤمني الجن". فناولته الدراهم فأخرج منها الخمسة، وقال: "هذه دراهم فلانة، وكنت قد عوجت أطرافها". فعلمت من حينئذ أن الذي يصدر عنه إنما هو من فراسة صادقة، وتبت إلى الله من سوء الظن به.

قال أبو الصبر: زرتة مرة على حماري، فقيل لي: "إنه أكل من شعير الشيخ، فأشرف على الموت"، فقلت له: "أكل حماري من شعيرك؟"، فهو على الموت من أجل ذلك!". فقال لي: "أنا وشعيري متاعك، ولن يموت حمارك". فقيل لي: "إنه على الموت"، فأعلمته بذلك فقال لي: "لن يموت"، فقلت له: "يموت، وأنت تقول: لن يموت؟!"، فقام معي إليه، فوجدته لاصقا بالأرض فأخذ بمشفره<sup>2</sup> وفتح فاه وبصق فيه فقام من ساعته، وركبت عليه.

قال سيدي أبو مدين: لما حلت بفاس سمعت الناس يتحدثون بكرامات سيدي أبي يعزى، فذهبت مع جماعة لزيارته، فلما وصلنا أقبل على القوم دوني، فلما أحضر الطعام منعني من الأكل، فقامت في ركن البيت، فكلما أحضر الطعام وقمت إليه انتهرني، فأقامت على ذلك الحال ثلاثة أيام، وقد أجهدي الجوع. فلما انقضت ثلاثة أيام أقام أبو يعزى من مكانه فأتيت المكان ومرغت وجهي فيه، فلما رفعت رأسي نظرت فلم أر شيئاً وصرت أعمى؛ فبكييت طول ليلي، فلما أصبح استدعاني، وقال لي: "أقرب يا أندلسي"، فدنوت منه فمسح بيده على عيني، فأبصرت، ثم مسح بيديه على صدري، وقال لمن حضر: "هذا يكون له/[53] شأن عظيم"، أو كلام هذا معناه، فأذن لي في الانصراف، وقال لي: سنلقى في طريقك أسدا فلا يرعك، فإن غلب عليك خوفه فقل له: "بحرمة يلنور إلا ما انصرفت عني"،

<sup>1</sup> - في (ا) :تبت له" .

<sup>2</sup> - كذا في (ب) و(ج) و(د) وفي (ا) : "بشفره".

وسيلقاك ثلاثة من اللصوص عند شجرة وَسَعَّظُهُمْ فيتوب اثنان منهم على يديك، ويرجع الثالث ثم يقتل ويصلب على تلك الشجرة فواعدته وانصرفت، فاعتراني الأسد فأقسمت عليه بالشيخ فتتحي عن الطريق، وما زال يتبعني إلى أن خرجت من الغابة، ثم رجعت عني. ثم اعترضني ثلاثة من اللصوص فوعظتهم فأثمرت الموعظة في قلب اثنين فانصرفا، وذهب الثالث لأصل الشجرة ففقد يسمع به الولي، فبعث إليه من ضرب عنقه وصلبه على تلك الشجرة. ولم أزل سائراً إلى أن وصلت بجاية.

وكان أبو مدين يحدث أصحابه أن الشيخ أبا يعزى بشره بأن تُهدى له جارية حبشية، فرزق منها ولدا اسمه محمداً، ثم اعتزلها أبو مدين، وكان يظهر عليها أثر الكآبة، فقيل له في ذلك، فقال لي: "لم يكن لي فيها أرب، ولولا بشرى أبي يعزى بأنه سيكون لي منها ولد ما قربتها، ولم يبق لي الآن فيها أرب، فإن تركتها أثمت، وإن زوجتها غيري تحيرت من أمر ولدي"، فقال له أبو محمد عبد الرزاق\_ وكان من تلاميذه\_: "أنا أتزوجها وأكفل ابنك"، فقال له: "وتفعل؟!"، فقال: "أفعل من أجلك"، ونكاح الحبشية عند المصامدة عار. فتزوجها، وكان يربي الولد، فحفظ القرآن في أمد يسير، وظهرت منه الفراسات، ثم احترم وهو صغير، وأنشدوا: [بسيط]

الْمَرْءُ يَنْشَأُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ      إِنَّ الْأُصُولَ عَلَيْهَا مَنَّبَتْ<sup>1</sup> الشَّجَرِ<sup>2</sup>

وحدث محمد بن إبراهيم الأنصاري عن عبد الله بن ماكسين: جاء رجل إلى الشيخ أبي مدين ليعترض عليه، فأراد القارئ أن يقرأ عليه الكتاب، فسكته أبو مدين ثم التفت للرجل، فقال له: "لم جنئت؟"، قال: "لأقتبس من أنوارك"، قال له أبو مدين: "ما الذي في

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "تنبت الشجر".

<sup>2</sup> - ويروى أيضا كالاتي:

يَنْشَأُ الصَّغِيرُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ      إِنَّ الْعُرُوقَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ

البيت للشاعر: المؤمل الكوفي.

كمك؟"، قال: "المصحف"، فقال له: "أخرجه"، فأخرجه، فقال له: "افتحه واقرأ أول سطر ماذا فيه؟". ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(1)</sup>، فقال له أبو مدين: "أما يكفيك هذا؟".

قال الغبريني: كان الشيخ أبو مدين \_أفاض الله علينا من بركاته، ونفعنا بمحبته\_ معاصراً للشيخين والمحدثين أبي محمد عبد الحق، والفقير الصالح أبي علي المسيلي، وكان سمعاً عنه أنه يأتي بغرائب وعجائب من فنون العلم، ويظيلان التعجب من ذلك؛ لكونه لم يصل بالقراءة إلا إلى سورة الملك فاتقيا على اجتماعهما به واستخبار حاله، والاطلاع على ما عنده، فصارا إليه فألفياه يفيض على بعض خواصه في أمور، ويأتي بالدر النفيس، فسلما عليه بعد أن فرغ ولم يكونا رأياه قط، فقال: "هذا الفقيه أبو محمد، وهذا أبو علي المسيلي"، فكان هذا بعض خواطره النورانية وفراسة مما تقرر عنده من رسم الصفة، فسألاه بحيث انتهى بدراسته فقال لسورة الملك، فهي كانت سورتي فوجدتها سدرتي<sup>2</sup>، ولو تعديتها لأحرقنتي سبحات الوجه الكريم. ثم شتشن عليهما بنزعة صوفية مشيراً عن يمينه وشماله، قائلاً: "بي قُلْ، وَعَلَيَّ دُلْ، فَأَنَا الْكُلُّ". فانصرفا عنه، وقد تأكد في قلوبهما من اطلاعه على السر المكنون الذي لا يتوصل إليه إلا صفوة الخلق. قال: "كان ما أوتيه شيخ المشايخ من العلم موهوباً لا مكتسباً، فقد ذكر عنه أنه لما وصل بالقراءة إلى سورة الملك ظهرت له معالم العلا وجلالة الملك الحق، لمواهبه التي يؤتيها الله من يشاء من عباده بأجمل الحلى".

وذكر أن فقيهين تنازعا في قوله ﷺ إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة فتردد/ [53ظ] الكلام في أن مؤمنين إذا ماتا استحقا الجنة وبقي سائر الخلق بلا شيء فتوجهوا إلى الشيخ سيدي أبي مدين ليطلعوا على ما عنده في ذلك فوجداه يتحدث في رسالة القشيري، وكان متمكناً في علوم القوم، فجلسا إليه، فانقلب إليهما وقال دون أن يسألاه: نزيل الإشكال عن أصحابنا، ثم ذكر الحديث، فقال: "أراد \_عليه الصلاة والسلام\_ نصف جنته؛ لأن كل

<sup>1</sup> \_ سورة الأعراف، جزء من الآية 92، وتامها: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾.

<sup>2</sup> - كذا في النسخ الأربعة.

مؤمن له جنة تخصه ومكان يستحقه، فإذا كان بعد الحشر أعطي النصف الثاني، وبين أنه يكشف له في قربه عن مقعده من الجنة، يقال له: "هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه فيتعم برؤيته"<sup>1</sup>.

انظر، وفي هذا من العلم ما لا ينتهي إليه إلا خاصة أصفياء الله، قال محمد ابن إبراهيم الأنصاري: سمعت الشيخ أبا مدين يقول: جاءني رجل من الصالحين فقال لي: رأيت البارحة في النوم حلقة عظيمة بجماعة من الصوفية وفيهم أبو يزيد البسطامي وذو النون المصري وغيرهما من المشايخ وهم على منابر من نور، وأبو طالب المكي على منبر عال، وأبو حامد على منبر يقابله، وأبو طالب يسأل أولئك الصوفية فيجيبه كل واحد منهم بمبلغ علمه، فقال أبو طالب لأبي حامد أين غابت هذه العلوم التي يعرفها أبو مدين في دار الدنيا؟ فقال أبو حامد هو ذا عن يمينك فاسأله، فقال أبو طالب: "يا أبا مدين، أخبرني عن سر حياتك"، فقال: بسر حياته ظهرت حياتي، وبنور صفاته استتارت صفاتي، وبديموميته دامت مملكتي، وفي توحيده أفنيت همتي، فسِرُّ التوحيد في قوله: "لا إله إلا الله"، والوجود بأسره حرف جاء لمعنى، فبالمعاني ظهرت الحروف، وبصفاته اتصف كل موصوف، وباسمه اتلف كل مألوف، مصنوعاته له محكمة، ومخلوقاته له مُسَلَّمَةٌ؛ لأنه خالقها ومُظهِرُها، ومنه مَبْدُؤُها، وإليه مرجعُها كما أظهرها ذراً: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾<sup>(1)</sup>، يا أبا طالب هو لوجودك محرك، وهو الناطق والممسك إن نظرت بالحقيقة تلاشت الخليفة، فالوجود به قائم، وأمره في مملكته دائم، وحكمه في خلقه عام كحكم الأرواح في الأجسام، الحواس به بانته على اختلاف أنواعها منها اللسان للبيان، وهو مع ذلك لا يشغله شأن عن شأن. فقال أبو طالب: "من أين لك هذا العلم يا أبا مدين؟"، قال: "لما أمدني<sup>(2)</sup> بسره، غرف وادي من بحره، فامتلاً

<sup>1</sup> \_ سورة الأعراف، الآية 172 وتامها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

<sup>2</sup> \_ كذا في (أ)، ولعل المراد: "مدني".

وجودي نورا. فأثمر غيبة وحضورا، وسقاني شرابا طهورا، وأذهب عني ضللا وزورا. فغشيت أنواره أخلاقي، فنظرت الباقي بالباقي.

قال الغبريني: «رأى بعض الصلحاء النبي ﷺ ومعه الشيخان أبو حامد الغزالي وأبو مدين، قال أبو حامد لأبي مدين بين يديه \_ عليه الصلاة والسلام\_ : "ما روح الروح؟"، قال: "المعرفة"، فقال: "ما روح المعرفة؟"، قال: "اللذة"، فقال: "فما روح اللذة؟"، قال: "نظرة إليك"، فغشيه نور عظيم بين يديه \_ عليه الصلاة والسلام\_. وصعدت بهم الملائكة حتى غابوا في الهوى».

قالت فاطمة الأندلسية: «ولقد ذهبت أنا والفقير ابن صالح من قصر كتامة لمدينة فاس؛ لزيارة شيخ المشايخ سيدي أبي مدين. فبتنا معه في سماع كان عنده، فلما طلع الفجر دخل علينا رجل وعليه عباءة، ففرح الشيخ أبو مدين، وقال: "هذا أخ من إخواني صلي البارحة العشاء الآخرة بمكة، وسار ليلته، فطلع عليه الفجر بفاس"، فصلينا معه الصبح، وذبح له أبو مدين كبشا/ [54و] لضيافته». وأنشدوا: [البسيط]

الخُبْرُ<sup>1</sup> أَصْدَقُ فِي مَرَّةٍ<sup>2</sup> مِنَ الْخَبْرِ      فَمَهْدُ الْقَدْرِ<sup>3</sup> لَيْسَ الْعَيْنُ كَأَلْأَثْرِ  
وَأَعْمَلُ لِأُخْرَى وَلَا تَبْخُلُ بِمَكْرَمَةٍ      فَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ حَدٌّ عَلَى قَدْرِ  
وَحَلٌّ عَنِ زَمَانٍ<sup>(4)</sup> تُخْشَى عَوَاقِبُهُ      إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا فَكَّرْتَ دُوَّ عِبَرٍ<sup>5</sup>

1 - في (د): "العين". وجاء في لسان العرب: الخُبْرُ بضم الخاء معناه: "العلم بالشيء". والمعنى المستخلص من البيت: أن العلم بالشيء أصدق في المرأى من الخبر. والخبر في لسان العرب: "النبأ". ينظر لسان العرب: مادة "خبر". ج5/ص10.

2 - كذا في (أ) و(ك). وفي (ب) و(د): "المرء". وكلاهما خطأ. والأصح كما ذكره الغبريني: "المُرأى". ينظر عنوان الدراية. ص 94.

3 - كذا في جميع النسخ. وفي "عنوان الدراية للغبريني": "العُدْر"

4 - كذا في (أ) و(د). وفي (ب) و(ك) "زمن" وهو الأصوب ليستقيم الوزن.

5 - الأبيات للشاعر أبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي (المتوفي عام 673هـ). قال عنه الغبريني: "هو من قلعة بني حماد نشأ بالجزائر وقرأ بها وانتقل إلى بجاية مستوطنا، وبها قرأ وبرع. وكان في علم العربية بارعا مقدما محكما لفنونها الثلاثة: النحو، واللغة، والأدب. كان رحمه الله قويا في علم التصريف، ومحا في التعليل. وكان جاريا على سنن أبي الفتح ابن جني... لزمته عليه القراءة ماينيف على عشرة أعوام، واستفدت منه كثيرا، قرأت عليه الإيضاح، وقرأت عليه النصف من كتاب سيبويه، وقرأت عليه قانون أبي موسى الجزولي، وقرأت عليه جملة من الأمالي، ومن زهر الآداب، ومن المقامات، وقصائد متخيرات. وكان بارع الخط، حسن الشعر، ومن نظمه رحمه الله في الزهد هذه الآيات =

ويروى أن رجلين فاضلين اسم أحدهما موسى، قال التادلي: «وقيل إن موسى هذا ابن عم المهدي، وكان من الأفراد، ومن الطائرين في الهوى، ومن تطوى له الأرض، وتؤثر عنه من خوارق العادات العجائب، فسمع عنه أبو مدين أنه يمشي على الماء، وتُذَكَّرُ لَهُ عَنْهُ كرامات». قال: «وكان يأتي كل يوم رجل عند الصباح يسألني عن مسائل لا يفقهها الناس. قال أبو مدين: فوقع في نفسي أنه موسى الذي سمعت به. فلما انصدع الفجر جاء يسألني عن مسألة فأجبته، ثم قلت له: "أنت موسى؟"، قال: "نعم"، فجاءني يوماً ومعه آخر. فقال لي: "كنت قد صليت أنا وصاحبي هذا الصبح ببغداد ثم أتينا مكة فوجدناهم يصلون تلك الصلاة، فأعدناها معهم، فأقمنا بمكة حتى صلينا الظهر. ثم أتينا بيت المقدس فوجدناهم يصلون تلك الصلاة فقال صاحبي: "تعيد"، قلت: "لا"، فقال لي: "ولما عدنا بمكة؟!"، قال: هكذا أدركت شيخي يفعل". فاختلفنا فجئناك نسألك. فقلت له: "الصواب معك". فقال صاحبه: "كيف ذلك؟"، فقلت له: "لأنكما صليتما ببغداد على علم اليقين، وصلاتكما بمكة [عين<sup>(1)</sup>] اليقين، وصلاتكما بعين اليقين أولى من علم اليقين. وأيضا فإن مكة أم القرى، وما صَلَّيَ فِي الْأَمْهَاتِ لَا يُعَادُ فِي الْبَنَاتِ".

كان أبو عمرو من أصحاب أبي مدين، كان لا يأتيه أحد إلا قال له كان من أمرك كذا وكذا، وقلت كذا وفعلت كذا. وشاعت عنه هذه الأمور، فخاف على نفسه، ومر من فاس لبجاية، فاجتمع بأبي مدين، وشكا إليه ما قاساه من الناس، فقال له: "اسمك موسى واسمي شعيب، فقد آمنت أن موسى لم يؤمن حتى لقي شعيباً".

=الْخُبْرُ أَصْدَقُ فِي الْمَرَأَى مِنَ الْخَبْرِ      فَمَهْدِ الْعُنْدِ لَيْسَ الْعَيْنُ كَالْأَنْتَرِ  
وَأَعْمَلُ لِأُخْرَى وَلَا تَبْخَلُ بِمَكْرَمَةٍ      فَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ حَدٌّ عَلَى قَدْرِ  
وَحَلَّ عَنْ زَمَنِ تَحْشَى عَوَاقِبُهُ      إِنَّ الرِّمَانَ إِذَا فَكَّرْتَ ذُو عِبْرِ  
وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ      يَغْتَالُهُ الْمُؤْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ

ينظر، أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، رابح بونار. ص 94 وما بعدها.

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (أ).



قال محمد بن إبراهيم سمعت أبا مدين يحدث أن أبا موسى غاب عنه، ثم جاءه وهو يتكلم على الناس، فلما فرغ أبو مدين من كلامه قام إليه أبو عمران موسى المذكور فسلم عليه، فقال له أبو مدين فعلى من هي الضيافة، أعلى الزائر؟ أم على المزار؟. فسكت أبو عمران، فقال له أبو مدين: "عَلَى الرَّغْفَانِ<sup>1</sup>، وعليك العسل". فأمر أبو مدين أن تشتري أرغفة، وقال له: "انظر أنت العسل!". فقال أبو عمران: "نعم"، فاستدعى أبو عمران بصحفة فوضعها خارج البيت، ثم أتى زاوية البيت فصلى ركعتين، ثم خرج فطلب من أبي مدين ثوبه، فأداره على الصحفة، ثم عاد إلى زاوية البيت، فصلى ركعتين، ثم خرج فأدخل الصحفة مملوءة عسلاً أبيض، فأكلنا منه.

فحدثني أبو عبد الله عن أبي مدين أنه قال: "وقد أكلنا من ذلك العسل خمسة وعشرين يوماً، وهو على حالته لم ينقص، فخفت أن يكون معلولاً لي فتصدقت به". انتهى من سيدي موسى بن عيسى المذكور رحمه الله.

قلت: لعل هذا [هو] أبو عمران الذي ضريحه بقريّة<sup>3</sup> بلوابة<sup>4</sup> أحد مداشر هواره \_نفعي الله [به\_؛ لأنه كان معاصراً لسيدي أبي مدين وسيدي عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني]<sup>5</sup> \_نفعنا الله ببركاتهم [وألحق خلفنا بسلفنا وجعل البركة في ذريتنا إلى يوم القيامة]<sup>6</sup> بجاههم عند الله وبحبي فيهم آمين، يا رب العالمين.

ولقد أخبرني من أثق به أن الشيخ الغوث طيب هواره \_جدّي من أمّي\_ سيدي أبي عمران المذكور أنه كان بموضع قريب من ضريحه/ [54ظ] الآن يتعبّد فيه وهو مشهور الآن، معلوم ببناء قديم هنالك. وكان للشيخ سيدي أبي عمران أجباح نحلي. فأخذ من العسل

1 - كذا في (ب) و(ك). وفي (د): "عليّ الرغيف وعليك العسل".

2 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

3 - في (د): "بقرّب".

4 - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "تلوانت وهو الأصح".

5 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

6 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

من أجباجه، وجعله في زقاق، وجعله على حمارة، ودفعها سيدي أبو عمران بيده من [الموضع]<sup>(1)</sup> المنعوتِ فوقه، باعثاً بها وما عليها من العسل لقطبِ الأولياءِ والصالحين والوسيلة لربِّ العالمين سيدي عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني \_ نفعنا الله به \_، فوصلتِ الحمارةُ بغدادَ بقدره الله بالعسل لسيدي عبد القادر في طرفه عين، فأخذ العسل ورد الحمارة في طرفه عين لسيدي أبي عمران في الموضع المذكور. ثم إن نحلة من نحل سيدي أبي عمران ذهبت مع العسل لسيدي عبد القادر، فصارت تدور بالشيخ سيدي عبد القادر، فقال لها: "أردت أن أرك لأخوتك في موضع أجباج سيدي أبي عمران؟"، فقالت له: "نعم"، فقال لها: "اصعدي على أصبعي"، فصعدت، فأدخلها في الأجباج مع أخواتها في [تلوانت]<sup>2</sup> بغداد بقدره الله. وهذا قليل في حقهم \_ نفعنا الله بحبنا فيهم \_.

وجدنا أبو عمران ظهرت له كرامات وخوارق عادات في المحيا والممات. وقد سمي بعد موته طبيب هواره في جميع الأوجاع والعلل وسائر الأمراض وما أتى إلى قبره مقعد إلا ذهب على رجليه، ولا صاحب عاهة إلا شفي في الحين، ولقد صار قبره تريباقا، والحمد لله في شفاء المجانين (والزمناء)<sup>3</sup> وجميع العاهات التي عجز عنها جميع الأطباء، وأهل الرقى والعزائم عنها. وحرمة على ذريته باقية زائدة دائمة. ما قصدهم أحد بسوء إلا عجل الله عقوبته في الحين، وذلك مشاهد بالعيان مع ما هم عليه من سوء الحال والجهل، وغير ذلك، فتحترم ذريته لأجله والحمد لله. ولقد قال الشيخ الغوث سيدي محمد الهواري \_ نفعني الله به \_: إذا رأيتم البوعمراني يزفر أو يفعل القبائح فخذوا بيده.

انظر يا فقيه لمعرفة سيدي محمد الهواري بمنزلة سيدي أبي عمران عند الله، وكيف لا يكون ذلك، وقد أخبرني من أثق به أن رجلاً أتى بتليس قمحاً من البادية لهوارة، حتى إذا

1 \_ ما بين المعقوفين مستدرك على هامش (أ).

2 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

3 - كذا في النسخ الثلاث. وفي (د): ساقطة. ولعله يقصد "الأمراض المزمنة".

كان بموضع يقرب من هواره وقع له التليس على ظهر الدابة، والموضع خال<sup>(1)</sup> لا أحد فيه، وضافت العشية، قال الرجل: وخفت اللصوص والسباع، فاستغثت بالوسيلة عند الله سيدي عبد القادر الجيلاني، فإذا بفارس عليه ثياب بيض على فرس أشهب فقال لي: "الرجال الفحول بقريك وأنت تستغيثني من بغداد؟!"، فقلت: "وأين الرجال يا سيدي؟ لكوني لم أر أحداً؛ لخلأ المكان المخوف". فقال: "يحيى وأبو عمران بقريك". ثم رمى التليس على الدابة، وأخذه، فالتفت فلم أجده.

تأمل يا فقيه في تعظيم سيدي عبد القادر الجيلاني لجدنا سيدي أبي عمران، وفرعه سيدي يحيى \_أفاض الله علينا وعلى عاقبنا من أنوارهم، وألحق خلفنا بسلفنا بجاههم عند الله، أمين يارب العالمين\_.

ومن كرامة سيدي أبي عمران ما أخبرني جماعة من حفدته أن سيدي عبد الرحمن ابن علي حفيد الشيخ سيدي أبي عمران، كان مشرفاً لأمير تلمسان، [رفع له مرة ذهباً من الجبايا المخزنية، فقلب الأمير الذهب فوجده زائفاً فرده للحفيد المشرف المذكور]<sup>2</sup> فقال له: يا أمير المؤمنين، ننظر من يسلفني من أهل تلمسان، ثم إن المشرف ركب فرسه، وأتى لقبر جده سيدي أبي عمران في هواره في الحين، / [55و] فوضع الذهب عند قبر الشيخ، وبات عنده إلى غد، ورد له لوعائه، وذهب به مسرعاً لتلمسان، فأعطاه للأمير من غير أن يخبر بذلك أحداً، فقال له الأمير: "هذا هو الذهب الجيد، وليس كالأول الرديء"، فقال له الحفيد المشرف المذكور: "يا أمير المؤمنين، لي الأمان إن أخبرتك؟"، قال له: "لك ذلك"، فقال المشرف: "هذا هو الذهب الأول الذي رددت لي، فقال: "وكيف ذلك؟"، قال: "ذهبت لضريح الشيخ سيدي أبي عمران ووضعت على قبره، فزينه الله بين عينيك، فتعجب الأمير من ذلك،

<sup>1</sup> \_ وردت (خالي) في (أ) و(د) و(ك). وفي (ب): "خاليا". والأصح ما أثبتنا.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

وتحققت عنده ولاية سيدي أبي عمران، وأكرم الحفيد وعظمه؛ رعيًا لجدّه سيدي أبي عمران؛ وما ذلك إلا من فضل الله ورحمته في أسرارهِ التي جعلها في أوليائه".

قال سيدي موسى بن عيسى المذكور: «ومن كرامة الله لعبده أن يحببه لخلقه، ويضع في كلامه البركة، ويدفع به عن كثير من خلقه متاعب ومشاق، ويصرف عنهم بشفاعتهم عند ذوي الجاهات والسلطان مظالم، ويهيء لهم من عنده أقواتاً وأرزاقاً. قال بعض الفضلاء: كم يدفع من مظلمة على الرعايا بدعوته أشعث أغبر مدفوعاً بالأبواب لا يؤبه له!، وكم يُهيء من منافع لأقوام على أيديهم من حيث لا يظنون. ولا تجد متفطناً لهذا السر الخفي إلا ذوي العقول الراجحة!». وكثير من الفضلاء نصبهم الله لقضاء حوائج المخلوقات، وصالن بسببهم الدماء والحريم، وكف بسببهم أيدي الظلمة عن أخذ الأموال، وبسط حرمتهم على قرابتهم وذرياتهم وجيرانهم ومماليكهم؛ فيقال: هذا مملوك سيدي فلان وجاره وشريكه وخديمه، ويعظم الله قدر العبد والخديم في قلب المتكلم لأجل السر الذي جعله الله في الصالح. ويستديم الباري تعالى كرامته على عبده الصالح طول حياته. نعم، ويستصحب ستره وبره وإنعامه على عقبه وأهل محلته، ولا يسلبه شيئاً من ذلك ما لم يأخذوا في المثالب، ويتلبسوا في النَّقَائِصِ والمعائب<sup>1</sup>، ولم يقدروا النعمة حق قدرها، فهؤلاء يخاف عليهم التغيير<sup>2</sup> وانقلاب الحال، ويخذلهم؛ فإن تعالى قال: وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(3)</sup>.

ثم قال: وعناية الله لأهل ولايته ورعايته وحمايته إياهم من الظلمة أو ممن أرادهم بسوء فأمر لا يحصى. وقد ذكرت الحكايات عن القوم في هذا المعنى؛ فإن كثيراً ما يرد أوباش الظلمة من العمال والقواد وغيرهم بسبب السوء وأنواع المكاره بالقول والفعل في

<sup>1</sup> - في (د) و(ك): "المصائب".

<sup>2</sup> - في (د): "التغيير".

<sup>3</sup> - سورة الرعد، الآية 11 وتامها: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

الصالحين فجللهم الله برداء رحمته؛ فلا يجد الظالمون إليهم سبيلاً. ومنهم من يبنتليه الله على أيديهم بالنفي من موضعه ومفارقة أهله وولده أو الحبس أو بالقيد أو بالضرب والقتل والسبي، حكمة جرى بها القدر والقضاء ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

وعصمة الله لأولياته بوجوه من الرعاية كثر التحدث بها عن القوم، فلنُشِرَ بشيء منها تسلياً للقلوب؛ فقد ذكر أن بعض أشياخ القبائل جاء لأبي يلنور الدكالي وقال: "إن عاملاً على ابن يوسف هددني بالقتل، وقد خرج من مراکش متوجهاً لدكالة!"، فقال له الشيخ: "رده الله عنك". فسار إلى [أن] بقي بينه وبينه قدر نصف ميل فأصاب العامل وجع قضي عليه من حينه. وأبو يئور هذا من أشياخ سيدي أيوب السارية كبير الشأن، من أهل الزهد والورع. وسجن بعض القواد/ [55ظ] رجلاً خضاراً، فأخذه عند ذلك وجع دعا لعلاجه الأطباء، فلم يقد فيه فبلغ ذلك الشيخ أبي يعزى، فقال له: "قولوا له ما تبرأ منه حتى تطلق الخضار"، فخلى سبيله فبرئ في الحين.

ومثل هذا كثير في حق أولياء الله. ولم يروا من دعوا عليه نجح، ولا قر إقراره<sup>(2)</sup> بين أهله، بل فرق الله عليه شمله، وغيّره كما غيّرهم. ومن أبغض أولياء الله بغضه الله لخلقه ومقته فيهم، فلا يرى إلا محقوراً مذموماً، تنفّر منه النفوس وتكرهه الطباع. ومن حرّم تعظيم الأولياء ابتلاه الله بالمقت بين خلقه. ثم قال: "يا أخي ما للقلب أنفع من ذكر الصالحين، وإياك أن يحبس في خاطرك أن الأرض خالية منهم؛ فإنما حجبنا عن رؤيتهم ذنوبنا، ولو صفت أعمالنا لعرفناهم بسماهم. واعلم أن أقواماً أنعم الله عليهم فعرفوه، وشرح صدورهم فأطاعوه، وتوكلوا عليه، فأسلموا الخلق والأمر إليه؛ فصارت قلوبهم معادن لأصفياء اليقين وبيوتاً للحكم، فهم بين عباده مقبلون ومُدبرون، قلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها من اللطائف ما لا يمكن وصفه في باطن أمورهم، كالديباج حسناً،

<sup>1</sup> \_ سورة الأنبياء الآية 23: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

<sup>2</sup> \_ كذا في (أ)، والصواب: "قراره".

وفي الظاهرِ منادٍ متداولٌ لمن أرادهم تواضعاً، وهذه طريقة من الفكرة لا يُبَلِّغُ إليها بالتكُفِّفِ وإِنَّمَا هو فضلُ اللَّهِ يُوْتِيهِ من يشاء، واللَّهُ ذو الفضلِ العظيمِ. أولئك قومٌ جعلَهُم رَحْمَةً لخلقِهِ، قلوبُهُم كقلوبِ الأنبياءِ، ارتضاهُم لعبادَتِهِ، ونصَّبَهُم لخدمَتِهِ، فعريت قلوبُهُم عن الدنيا، واستوطنت حبَّ الآخرةِ، وأنسوا بيقينِ المعرفةِ، وسكَنُوا إلى روحِ اليقينِ والمراقبةِ.

قال أبو يزيد: "إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً لو حَبَّبَهُم في الجَنَّةِ عن رُؤْيَتِهِ لاستغاثُوا من الجَنَّةِ كما يستغيثُ أهلُ النَّارِ من النَّارِ". انتهى من سيدي موسى المذكور.

### \_ حكاية تقرب من هذا:

قال في زهر الأكمام: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً إذا جازوا على النَّارِ خمد لهيبتها، وذهب حرُّها؛ حتَّى تنادي جهنم: "جُزْ يا مُؤْمِنٍ؛ قد أطفأ نورُكَ لَهْبِي"». انتهى منه \_رحمه الله\_.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وسمع أبو يزيد قارئاً يقرأ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾<sup>(1)</sup>. فهاج أبو يزيد، وقال: "من كان عنده فلا يحتاج أن يُحْشَرَ؛ لأنَّه جليسهُ أبدأ"».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وللهِ عبادٌ لا يظهرون ما بينه وبينَهُم إلى الحفظَةِ. ولا لغيرهم سواهُم حتَّى يلقوه، فما أودعهم منه وأسكنه في قلوبهم وهم شهداءُ الملكوتِ الأعلى».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وقدم على أبي يزيد رجلان، قال له أحدهما: "جنتك من وراء سبعة أبحر في أقل من ساعة"، فنظر إليه أبو يزيد شبه المُعْضَبِ عليه. وقال: "ليس هذا بعجب إنما أُعْطِيت قوَّةَ خَطَّافٍ". وقال له آخر: "جنتك من وراء المشرق في يوم واحد"، فقال له: "لا تُخْذَعَنَّ، فما أُعْطِيت إلا مسيرةً يومٍ واحدٍ، فكم من خلقِ اللَّهِ يمشي على الماء وبطيرون في الهواء، وليس لهم عند اللَّهِ كبيرٌ مقدارٍ، وليس ذلك بعجب، وإنما العجب من أسرار قلوب أولياء الله التي لم يطلع عليها أحد من الملائكة".

<sup>1</sup> - سورة مريم . الآية 85. ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾.

وقال أبو يزيد: "حجبت أول مرة فرأيت البيت، وما رأيت صاحبها، وحجبت الثانية فرأيت صاحبها وما رأيتها، وحجبت الثالثة فما رأيت البيت ولا صاحبها ولا الناس". انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** إياك أن تسبق بالإنكار يا فقيه على قول الشيخ الغوث العارف بالله سيدي أبي يزيد البسطامي \_نعفنا الله به وبأمثاله، آمين\_: "فما رأيت البيت ولا صاحبها ولا الناس"، [56و] والمراد بصاحبها هو إلها وخالقنا ربنا ورب البيت، والله اعلم.

ولعل الشيخ أبا يزيد أراد بذلك أن الله تبارك وتعالى أزال عنه أوصاف البشرية حتى لا يحس بشيء في حجته الثالثة \_كما قال\_، وغيبه في ذلك غيبة أذهب عنه أوصاف البشرية.

كما حكى عن ولي الله العارف بالله سيدي عثمان بن مرورة البطايعي \_أنالني الله شيئاً من أنواره\_ على ما ذكره الشطنوفي، ونصه: «فبينما سيدي عثمان بن مرورة واقف يتهجّد ليلةً إذ طرقه وارد من الحق، وبدت له أنوار تجلى كمال الجلال، فوقف مكانه شاخصاً إلى السماء أربعة عشر سنة، لا يحس ولا يأكل ولا يشرب، وطال شعره حتى ستر عورته، ونبت حوله العشب، وأفته السباع والوحوش، وعطفت عليه الطير، ثم رد إلى أحكام بشريته، ففضى فرائض أربعة عشر سنة». انتهى وبعضه تركته لطوله.

ثم قال الشطنوفي المذكور: «قد أتى رجل إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي الأعزب بولده، وشكا له أن ولده هذا عاق له مخالف، فرفع الشيخ رأسه \_وكان مطرقاً\_، فنظر إلى الولد فمزق ثيابه، وأخذ من نفسه وحواسه، وغدا إلى البطح وبقى شاخصاً إلى السماء تأوي إليه السباع، ولا يأكل ولا يشرب أربعين يوماً على هذا الحال. ثم جاء أبوه للشيخ وشكا له ما أصاب ولده فأعطاه خرقة، وقال: "امسح بهذه وجه ولدك"، ففعل فأفاق، وجاء إلى الشيخ إبراهيم الأعزب ولازم خدمته. ثم قال: الشطنوفي المذكور ومكث أبو

[إسحاق] إبراهيم الأعزب أربعين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله عَزَّ وَجَلَّ .  
انتهى من الشطنوفي \_رحمه الله\_ .

وقال بعض العلماء: «ومن العلماء من إذا قال "الله أكبر" غاب في مطالعة العظمة والكبرياء، وامتلاً باطنه نورا وصار كالكون بأسره في فضاء شرح صدره كخردلة في فلاة من الأرض». ثم قال: «وقطعت رجل عروة بن الزبير وكويت بالنار وهو في الصلاة، ولم يشعر حتى فرغ، وقد كانوا قد دعموه من تحت كتفيه لئلا يسقط».

وقال بعض المحققين: «وحقيقة الجذب لا يعلمها إلاَّ المجذوبُ الرُّوحانيُّ الكاملُ الغائبُ عن الخلق وما هم عليه».

وقال سيدي أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي \_نفعني الله\_ : «فأما مشاهدة الظاهر عند خاصّة الخاصة فالأكوان عندهم باطنها كظاهرها. كان الله ولا شيء معه. وقد امتحى ظاهرهم في باطنهم، وغابوا عن كل ما سواه، وكان أمرهم روحانياً في سيرتهم وأمر سلوكهم».

«وروي أن مريم \_على ولدها وعليها السلام\_ أن الطير كانت تنزل على رأسها تظنها جمادات مدة قيامها لربها. وروى الأوزاعي أنها قامت حتى سال الدم والقيح من قدميها». انتهى من الجواهر الحسان، وفيه تقديم وتأخير. الشاهد منه أن مريم غابت عن أحكام البشرية حتى صارت كأنها جماد، فتنزل الطير على رأسها لظنها أنها جماد فتتنزل الطير على رأسها لظنها أنها خشبة أو حجر أو نحو ذلك من سائر الجمادات. فهي إذاً دليل أيضاً على ما تأوله سيدي أبو يزيد البسطامي \_نفعنا الله به\_ في قوله: "فما رأيت البيت ولا صاحبها ولا الناس"، فلعله في ذلك الوقت زائل عن نعت البشرية. وأنشدوا: [طويل]

صِفَاتِي لَا مَوْصُوفَ فِيهَا لِأَنَّي      فَنَيْتُ فَلَا رُوحاً أُحِسُّ وَلَا شَخْصاً<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - في جميع النسخ وردت "فلا روح"، والصواب: "فلا روحاً" كما أثبتنا

<sup>2</sup> - وردت "شخص" في جميع النسخ. والصواب: "ولا شخصاً" كما أثبتنا. والبيت من قصيدة للشاعر أبي زيد الفازاري التي مطلعها:  
صَفَا لِي وَرْدُ الْحَبِّ حَتَّى وَرَدْتُهُ      فَأَصْبَحْتُ فِيهِ بِالتَّنَسُّمِ مُغْتَصِماً =



هذا ما ظهر لي في تأويله والله أعلم؛ لأن الواجب على كل مسلم أن يظن العلماء والأولياء الظن الحسن، ويتأول لهم تأويلاً يليق بمقدارهم ومنصبهم ومنزلتهم/ [56ظ] عند ربهم \_نفعنا الله بهم\_.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وقال أبو يزيد: "أحببت الله في ابتداء إرادتي حتى بغضت نفسي، وبغضت الدنيا وبغضت الطاعة، وهجرت ما سوى الله حتى وصلت إلى الله فاستغنيت بخدمة الخالق سبحانه عن خدمة كل مخلوق"».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وقال أبو يزيد: "انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها". وقال أبو يزيد: "كنت اثني عشر سنة حداد نفسي، وخمس سنين مرآة قلبي، وسنة أنظر فيما بينهما، فإذا بوسطي زانراً ظاهر فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه. فكشفت لي فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت أربع تكبيرات"».

ثم قال سيدي موسى المذكور: وذكروا أنه وقعت من أبي يزيد غفلة فرأى في منامه الحق سبحانه وهو يقول: اخرج من أرضي، قال: فانتبهت فزعا مرعوباً، فقال أبو يزيد في نفسه: أرض الله هي التي (أسكنها المؤمنين)<sup>1</sup>، فشد على وسطه زناراً ومضى لأرض الكفر، فدخل لدير فيه راهب فمكث يخدمه سنة، وكان للراهب موضع يجتمعون فيه يوم عيدهم، ويصعد أعظمهم المنبر يخطب عليهم، فلما جاء يوم اجتماعهم قال الراهب لأبي يزيد: تمضي معي وهو يظن أنه نصراني. فمضى معه، فاجتمع ألف راهب، فصعد خطيبهم المنبر وأراد الكلام فلم يستطع. فقال: "معاشر الرهبان، ما وجدت من العلم شيئاً! وخطر

=حيث يقول بعد هذا البيت:

صِفَاتِي لَا مَوْصُوفَ فِيهَا لِأَنِّي      فَنِيْتُ فَلَا رُوحًا أُجِسُّ وَلَا شَخْصًا  
صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ فِيكَ احْتَمَلْتُهَا      وَلَوْلَاكَ لِمَ أَزْدَدَ عَلَى أَلَمٍ حِرْصًا  
صِفُوا لِي دَوَاءَ الْوَصْلِ إِنِّي بَادِلٌ      لَكُمْ فِيهِ نَفْسِي ثُمَّ أَعْتَقِدُ الرُّخْصَا

- ينظر: أبو زيد الفازاني: بوابة الشعراء. موقع الكتروني. <https://poetsgate.com/img/appllogo.png> بتاريخ 04 جويلية 2021م. سا 1 و 22 دقيقة صباحاً.

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و (ك). وفي (د): "يسكنها المؤمنون". وفي (ب) بياض في كامل الورقة.

عندي أن بمجلسنا من ليس منا". ففتشوا، فلم يجدوا أحداً. فقال الخطيب: "سألتك بالله يا خفي إلا ما ظهرت لنا". فقام أبو يزيد، فقال له الخطيب: "أسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبتني نجوت، فقال له: "سل". فقال الخطيب: "بلغني أن في كتابكم: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾<sup>(1)</sup>. فقال أبو يزيد: "نعم"، فقال الخطيب: "اضرب لي مثلاً يشبهه في الدنيا". قال أبو يزيد: "زوال الشمس، فإنها إذا زالت زالت عن كل واحد، وكذلك صورة الحساب كل واحد وحده"، فقال له: "أحسنت". قال الخطيب: "إن نبيئكم ذكر أن في الجنة شجرة يقال لها طوبى، ليس في الجنة قصر ولا بيت إلا وفيه غصن منها، ما مثاله في الدنيا؟". فقال أبو يزيد: "الشمس، فإن موضعها واحد وما من بيت إلا وتدخل فيه"، فقال له الخطيب: "أحسنت". قال الخطيب: "وبلغني أنكم تقولون من مات يصير للعذاب أو للنعيم، ونحن نصير<sup>2</sup> ميتنا ولا يتغير منه شيء، ما مثاله؟". فقال أبو يزيد: "حجرة الزناد ظاهرها صحيح، والنار في باطنها"، فقال له الخطيب: "أحسنت". فقال له أبو يزيد: "وأنا أسألك مسألة واحدة"، فقال له الخطيب: "قل". قال [له]<sup>3</sup> أبو يزيد: "ما في ساق العرش مكتوب؟"، فنكس الخطيب رأسه ولم يتكلم. فقال له الرهبان: "سألته عن ثلاث مسائل فأجابك فيها، وسألك عن واحدة فلم تجبه؛ هذا عار علينا". فقال لهم الخطيب: "إذا قلت [له]<sup>4</sup> ما في ساق العرش تقولونه كلكم؟"، قالوا: "نعم". فقال الخطيب: "مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله [صلى الله عليه وسلم]<sup>5</sup>". فأسلم الخطيب والرهبان، وقدموا أبا يزيد على أنفسهم، فجعل يعلمهم شرائع الإسلام. فلما جن عليه الليل رأى في منامه الحق سبحانه، فقال له: "يا أبا يزيد لبست من أجلا زارا، فقطعنا لأجلك ألف زار". انتهى من سيدي موسى المذكور.

<sup>1</sup> - سورة لقمان، الآية 28 وتامها: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

<sup>2</sup> - في (د): "ونحن ننظر ميتنا لا يتغير".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا) و(ك).

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين زيادة من (د).

<sup>5</sup> - ما بين المعقوفين

فقلتُ:

انظروا لهذا الأمر العجيب كيف جعل الله أبا يزيد سبياً في إسلام ألف راهب على يديه. وقد جاء عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_: «لأن/ [57و] يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً من الدنيا وما فيها»<sup>1</sup>، فما بالك بألف رجل. ولكن الغالب على الرهبان والقسيسين رقة القلوب والمسارة للإسلام عند سماع وعظ أو نحو ذلك، ودليله: «ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ وَيَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ»<sup>(2)</sup>.

[حكاية]

حكاية تقرب مما وقع لأبي يزيد في المثل من رجل مسلم من عامة المسلمين مما فتح الله به عليه من العلم الموهوب المخصوص الذي خص الله به من شاء على ما ذكره سيدي الرصاع، ونصه: «ذكر الحباك<sup>3</sup> حكاية لطيفة أيد الله بها عباده المؤمنين ورد بها كيد أعداء الله الحاسدين، قال التوزري<sup>4</sup>: «ذكر لي بعض الفقهاء ممن قدم عليّ بتوزر من جهة المشرق، أنه حضر سماعاً بالمشرق وحضره أمير البلدة، وكان نصرانيّ يخدمه، فقال

<sup>1</sup> - هذا الحديث ذكره المؤلف في بداية الكتاب في صفحة التعريف بنسب الشيخ أحمد بن يوسف وقد خرجناه على صحيح البخاري ومسلم فانظره هناك في 384.

<sup>2</sup> - سورة المائدة، جزء من الآية 82 والآية 83 وتامهما: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83)﴾.

<sup>3</sup> - أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحباك، من أهل تلمسان، قدم مراكش، ثم توجه إلى مكة، فغرق في بحر المشرق في حدود ثلاثة عشر وستمئة هـ. ينظر: التادلي: التشوف إلى رجال التصوف. ص 365.

<sup>4</sup> - أبو العباس التوزري (هكذا بالألف المقصورة عند التادلي في التشوف) أقام بسجلماسة مدة ثم توجه إلى بلاد المشرق فمات بها في حدود عشرة وستمئة هجرية، وكان عبداً صالحاً. قال التادلي: حدثني أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم قال: كانت تأتي على أبي العباس التوزري الشهران أو الثلاثة وهو ساكت لا يسمع منه كلام [من الوافر]

بيان المرء بالإكثارِ عيٍّ وَعِي الصَّمْتِ قُرْبٌ لِلتَّيَّانِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ فَكَرْتَ شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانِ

التادلي: التشوف إلى رجال التصوف. ص 343.

النصراني للأمير: "إني أريد أن أناظر رجلا من المسلمين في هذا المجمع<sup>1</sup> العظيم، فإن غلبنني أعطيته ثلاثمائة دينار، وإن غلبته أعطاني كذلك. وإن غلبنني دخلت في دينه، وإن غلبته دخل في ديني". فأجابه رجل من جملة المسلمين، والتزم له ذلك، قال النصراني: "خزائن الله لا تتفد أبدا، فأرني مثل ذلك في الدنيا". فقال له المسلم: "هذه المسألة للصبيان يلعبون بها عندنا"، ثم قام إلى وسط المجلس، وأخذ شمعة ووضعها بين يدي الأمير، [وقال له:]<sup>2</sup> "ناد في مملكتك أن لا يبقى أحد إلا أسرج منها، وإن نقص منها شيء فأنا أغرمه، فلكذلك خزائن الله جميع الخلق يغرفون منها وهي لا تنقص أبدا، وخزائن الله ترجع إلى قدرته التي لا يعجزها شيء". قال النصراني: "إن في الجنة شجرة تطلع على الأرض كلها، ولا يبقى موضع ولا بيت إلا دخلها غصن منها، ما مثاله في الدنيا؟"، قال المسلم: "الشمس تطلع على الأرض كلها، ولا يبقى موضع ولا بيت إلا دخلته". قال النصراني: "إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون، ما مثاله في الدنيا؟"، قال المسلم: "الجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولا يتغوط ولا يتبول". ثم إن المسلم قال: "أيها النصراني، ما هو مكتوب على باب الجنة؟"، قال: فسكت النصراني ولم يجد جوابا. فقال له المسلم: "مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله". وطولب النصراني بالدخول في الإسلام، فامتنع وافتدى بمال عظيم. قال بعضهم: "إنما امتنع النصراني من [الدخول في] الإسلام حسدا منه أن يظهر دين الإسلام". انتهى منه باختصار.

قال سيدي موسى المذكور: «ومرَّ إبراهيم بن أدهم بصومعة راهب فصاح الراهب: "يا إبراهيم بن أدهم، قف أسألك". فوقف، فقال له الراهب: "أنتم تزعمون أنكم على الحق، ونحن على الباطل!"، فقال له: "نعم"، فقال له الراهب: "ما أريد حاكما غيرك، ادع معبودك أن يصير هذه الأرض روضة خضراء الساعة"، قال: "فرجعت أدعو الله برغبة وتضرع، فما ارتد

<sup>1</sup> - في (ك): "الجمع".

<sup>2</sup> - في (ك): ما بين المعقوفين ورد كالاتي: "ثم قال أيها الأمير"

بصري إليّ حتى رأيتها خضراء، ففرحت بالإجابة". قال الراهب: "إن دعوت أنا فاحترقت!"، قلت: "هات". فأطرق رأسه وتكلم بكلمات، فأرسل الله نارا فأحرقتها، فدهشت. فلما رأى ذلك تبسم، وقال لي: "أبشر"، قلت: "وما الخبر؟"، قال: "أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، يا أخي إنك لما دعوت الله فأخضرت الأرض / [57ظ] وجدت في نفسي من ذلك أمرا عظيما من ذلك، فقلت: "اللهم إن كان على الحق ويشير إلى الحق فسلط عليها نارا، فكان ما رأيت. والحمد لله الذي هداني على يدك".».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «ولهذا كان من أسمائه تعالى المجيب، أي مجيب الداعين، ويعطي من يشاء قبل السؤال، ويجزل لمن أراد النوال، وجاء أنه سبحانه يستحي أن يرد يد عبده سفراء، وأنه سبحانه إذا خطرت لأوليائه حاجة حقق لهم مرادهم قبل أن يذكروها بالسنتهم، وربما يضيق عليهم فييأسوا من الإجابة ثم يتداركهم بحسن الإجابة».

ثم قال: «وحكي أن إبراهيم بن أدهم قال: تعلمت المعرفة من راهب في صومعة، فقلت له: "كم لك هاهنا؟"، قال: "منذ سبعين سنة"، فقلت له: "ما طعامك؟"، فقال: "يا حنفي، وما دعاك لهذا"، قلت: "أحببت أن أعلمه" قال: "حمصة في كل يوم"، قلت: "وما يهيج قلبك حتى تكفيك الحمصة؟"، فقال: "ترى الدير الذي بحدائي؟"، قلت: "نعم"، قال: "إن أهله يأتوني في كل سنة يوما، ويزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني بذلك، فلما تغالفت نفسي عن العبادة ذكرت تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة في عز ساعة، فاحتمل أنت جهد ساعة عن الأبد". فوقرت المعرفة في قلبي. ثم قال: "حسبك أم أزيدك؟"، قلت: "زدني"، فقال لي: "انزل على الصومعة"، فنزلت، فأدلى لي ركة فيها عشرون حبة من الحمص، ثم قال: "ادخل الدير، فإنهم رأوا ما أدليت لك". فلما دخلته اجتمع النصارى حولي، وقالوا لي: "ما الذي أدلى لك الشيخ؟"، قلت: "من قوته"، فقالوا: "ما تصنع به؟"، نحن أحق، فبعه منا". فبعته منهم على سبيل التغالي بعشرين ديناراً، فأخبرته فقال لي: "أخطأت وحق ديني، لو التمست

منهم عشرين ألفاً لأعطوك". ثم قال: "هذا عز من لا يعبد، فكيف من يعبد! أقبل على ربك ودع المشي والمجيء".

وقال إبراهيم بن أدهم: «مررت براهب في صومعته والصومعة على عمود، والعمود على قبة، فكلما عصفت الريح تمايلت الصومعة فناديته: "يا راهب يا راهب مرتين"، فلم يجبني، فقلت له: "بالذي حبسك فيها إلا ما أجبنتي". فأخرج رأسه، وقال: "سميتي بما لست له بأهل". قلت: "ومن أنت؟"، قال: "سجّان، سجّنتُ سبُعاً". قلت: "ما هو"، قال: "لي لساني سبُعٌ ضارٍ إن أرسلته مزق الناس. يا حنفي إن لله عبداً سلكوا خلال ديار العارفين فاستوحشوا من مؤانسة الغافلين، وشابوا ثمرة العلم بالإخلاص، وأقلعوا بريح اليقين حتى رسوا بشاطئ الصدق، هم والله عبداً كحلوا أعينهم بسهر الليالي، فلو رأيتهم في ليهم قد نامت<sup>(1)</sup> عيون الخلق وهم على أقدامهم يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم. يا حنفي، عليك بطريقهم". فقلت: "على الإسلام أنت؟"، قال: "ما أعرف غير الإسلام ديناً، ولكن عهد إلينا المسيح ووصف لنا آخر زمانكم فخلعت الدنيا، وإن دينكم لجديد وقد خلق". فلم يأت على إبراهيم شهر بعد كلام [الراهب] حتى هرب من الناس».

قال إبراهيم بن أدهم: «سرتُ نحو بيت المقدس، فلقينا سبعة نفر، فسلمت عليهم، فقلت: "أفيدوني شيئاً ينفعني الله به من أمر الدنيا والآخرة"، فقالوا: "لا ترج أحداً غير الله، ولا ترج سواه"، فقلت: "زيدوني"، فقالوا: "اللهم حل بيننا وبينه فإنه شغلنا عنك". فلم أدر أرفعتهم السماء أم ابتلعهم الأرض، وغابوا عني فلم أرهم»، \_نفعي الله بهم\_.

وتوجّه مع أصحاب له للإسكندرية، فمروا بنهر الأردن ففعدوا/ [58و] استراحةً، وأكلوا كسرات يابسة وشربوا، فقال إبراهيم بن أدهم: "لو علم الملوك وأبناؤهم ما نحن فيه من السرور والنعيم لجادلونا بأسيافهم أمام الحياة؛ لما نحن فيه من لذة العيش وقلة التعب". فقال

<sup>1</sup> \_ كذا في (ب) و(د) و(ك). وفي (أ) : "قامت". وهو خطأ. والصحيح ما أثبتنا.

له بعضهم: "يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم"، فتبسم وقال: "من أين لك هذا الكلام؟"

قال بعضهم: خرجت مع إبراهيم بن أدهم في سفر وقد أجهدني الجوع، فأخرج كتاباً كان معه وقال: "أرهنه فيما تأكله". فخرجت فلقيني إنسان بين يديه بغلة موشوقة وهو يقول: "الذي أطلبه اسمه إبراهيم بن أدهم". فقلت له: "وما تريد به؟"، فقال: "أنا غلام له، وهذه الأشياء له". فدلته عليه، فأتاه، وكب على رأسه ويديه. فقال له: "من أنت؟"، قال: "غلام أبيك، ومعى أربعين ألف دينار إرثك منه، فما تأمرني به؟"، قال: "إن صدقت فأنت حر لوجه الله، وما معك هبة لك". ثم قال: "يا رب طلبتك في رغبة وصبيت علي الدنيا، فوحقك لئن أمّنتني من الجوع لم أتعرض بعد هذا لطلب شيء".

قال رجل: كنا جلوساً عند جامع المصيصة وفينا إبراهيم بن أدهم فقدم خرساني وقال: "أفيكم إبراهيم بن أدهم؟"، فقلنا: "هو هذا"، فقال: "إن إخوانك بعثوني إليك". فلما سمع بذكر إخوانه قام، فقال له مناجياً: "ما جاء بك؟"، فقال: "أنا مملوكك ومعى فرس وعشرة آلاف دينار، بعثني بها إليك إخوانك"، فقال: "إن صدقت فأنت حر، وما معك صدقة لك، ولا تخبر أحداً".

وقال بعضهم: قدمت مكة مع إبراهيم بن أدهم فإذا بفتى يطوف، وقد قطع على الناس طوافهم بحسنه وجماله، ومعهم حشم وعبيد والناس قد أحدقوا به، وإذا بإبراهيم بن أدهم ينظر إليه ودموعه تسيل على خديه، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه غفلة دخلت عليه، فقلت: "يا أستاذ، ما هذا النظر الذي مازجه البكاء والحزن؟"، فقال: "قد اطلع على سريرتي وعلى حقيقتي، ولولا ما عقدت على نفسي لأذنبت الفتى مني، لكنني خشيت أن يقطعني من أجل العهد الذي بيني وبينه. وهذا ولدي وقرّة عيني، تركته صغيراً وهربت لله، وهؤلاء غلماي". شعر في المعنى: [وافر]

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرّاً فِي رِضَاكَ وَأَيَّمْتُ الْبَنِينَ لِكَيِّ أَرَاكَ<sup>2</sup>

ثم قال: "امض وسلّم عليه، فلعلّي أتسلّى بسلامك عليه". فمضيتُ وسلّمتُ عليه، فقلتُ: "بارك الله فيك لأبيك". فقال: "يا عمُّ<sup>3</sup>، أين أبي؟، فوددتُ لو نظرتُ إليه نظرةً واحدةً وخرجتُ نفسي"، ثم غلبت على الفتى العبرة. فأنتيت إبراهيم وهو ساجد، وقد بل الحصى بدموعه، فقلت: ادع الله له، فقال: حماه الله من معاصيه وخرج وما كلمه». انتهى من سيدي موسى المذكور.

وحكي أن رجلاً يقال له حذيفة<sup>4</sup> يخدم إبراهيم بن أدهم، فقال: "أعجب ما رأيت منه أنّا كُنّا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما، ثم دخلنا الكوفة فأوينا<sup>5</sup> إلى مسجد قريب، فنظر إلي وقال لي: "أرى عليك أثر الجوع!"، قلت: "نعم"، قال: "أعطني دواة وقرطاسا". فجنّته بهما، فكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود بكل حال، والمشار إليه بكل معنى"، ثم أنشد:

[كامل]

أَنَا حَامِدٌ أَنَا شَاكِرٌ أَنَا ذَاكِرٌ<sup>6</sup>      أَنَا جَائِعٌ أَنَا ضَائِعٌ أَنَا عَارِي  
مَدْحِي لِغَيْرِكَ لَهَبُ نَارٍ خُضَّتْهَا      فَأَجْرُ عِبِيدِكَ<sup>1</sup> مِنْ عَذَابِ<sup>2</sup> النَّارِ<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - وردت في كتاب "لطائف المعارف": العيال.

<sup>2</sup> - وردت "أراك" في جميع النسخ من غير ألف الوصل الممدودة أي الوقوف على متحرك مع نقصان آخر ساكن في التفعيلة وهو خطأ عروضي والصواب ما أثبتناه. وقد ذكر صاحب كتاب "لطائف المعارف" بيتاً آخر بعد هذا البيت، ولم ينسبه لأحد يقول فيه:

فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحَبِّ إِرْبَا      لَمَا حَنَّ الْفُؤَادُ إِلَيَّ سِوَاكَ.

- ينظر: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي: "لطائف المعارف" الموسوعة الشاملة. دت. ص 68. موقع الكتروني: [islampoint.com](http://islampoint.com) - كما ذكر البيهقي أيضاً صاحب كتاب "الكشكول" وجاء شطر البيت الأول فيه هكذا:

[هجرت الخلق طرا في [هواكا] بدل "رضاكا"]. وقد نسبها المؤلف إلى إبراهيم بن أدهم.

ينظر بهاء الدين العاملي (ت 1030هـ): الكشكول. تح محمد السيد حسين المعلم. ج3، المكتبة الحيدرية. ط1 قم المقدسة، إيران. 1427هـ. ص 1400.

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "يا عمي".

<sup>4</sup> - هو حذيفة المرعشي خديم إبراهيم بن أدهم. ذكر هذه القصة "أبو حامد الغزالي". و"الصباغ" نقلها عنه بتصريف. ينظر: الإحياء. ج4. كتاب التوحيد والتوكل. ص 375.

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "قدخلنا".

<sup>6</sup> - كلمات صدر البيت الأول مرتبة كما يلي: "أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكِر"



هِيَ سِتَّةٌ أَنَا الضَّامِنُ<sup>4</sup> بِنِصْفِهَا<sup>5</sup> فَكُنِ الضَّمِينُ<sup>6</sup> لِنِصْفِهَا يَا بَارِي<sup>7</sup>  
 ثُمَّ دَفَعَ الرُّقْعَةَ، وَقَالَ لِي: "اخْرُجْ وَلَا تَعْلُقْ قَلْبَكَ بِغَيْرِ اللَّهِ، وادْفَعْ الرُّقْعَةَ [58ظ] إِلَى  
 أَوَّلِ مَنْ تَلْقَاهُ". فخرجت، فأول رجل لقيت كان راكبا على بغلة، فناولته الرقعة، فأخذها. فلما  
 قرأها بكى، فقال: "ما فعل صاحب هذه الرقعة؟"، قلت: "هو في المسجد الفلاني". فدفعت إلي  
 صرة فيها ستمائة دينار ومضى. فرأيت رجلا آخر فسألته، فقال لي: "هو نصراني!". فجنبت  
 إلى إبراهيم بن أدهم وأخبرته، فقال لي: "لا تمس الدنانير حتى يجيء الساعة". فمكثنا قليلا،  
 وإذا بالنصراني قد دخل، وكب على رأس إبراهيم بن أدهم يقبله، وهو يقول: "أشهد أن لا إله  
 إلا الله وأن محمدا رسول الله". انتهى من سيدي الرصاع.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال ابن بشار: سألت إبراهيم بن أدهم عن ابتداء  
 أمره، وكيف صار لهذا؟ فقال لي: "غير هذا أولا"، فقلت: "لا بد أن تخبرني لعل الله ينفعني".  
 ثم سأله ثانية وثالثة، فقال: "كان أبي من ملوك خراسان، وحبب الله إلي الصيد، فخرجت  
 فطردت أرنا، فحركتُ فرسي، فهتف بي هاتف: "ما لهذا خلقت ولا به أمرت!". فوقفت  
 مقشعراً، أنظرُ يمينا وشمالاً؛ لأرى أحداً، فقلتُ في نفسي: "لعن الله الشيطان". فحركتُ

<sup>1</sup> - في (د): "عبدك"، والصواب ما أثبتنا.

<sup>2</sup> - وردت لفظة "دخول" مكان لفظة "عذاب". في كتاب جامع الأنوار في مناقب الأخيار لعيسى صفاء الدين البندنجي  
 القادري، ص 284

<sup>3</sup> - ترتيب هذا البيت هو الثالث في (د). وهونفس الترتيب الوارد في "جامع الأنوار"، وجاء الشطر الثاني من هذا البيت كالتالي:  
 "فكن الكفيل بنصفها يا باري". ينظر: المرجع نفسه، ص 284. وبهذا الترتيب أيضا وردت في الإحياء لأبي حامد الغزالي، ص 375-  
 376.

<sup>4</sup> - كذا في (ا) و(د). وفي (ب) و(ك): "الضمين". وكذا في "جامع الأنوار".

<sup>5</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "لنصفها".

<sup>6</sup> - كذا في (ا) و(د). وفي (ب) و(ك): "الضمين" وهو الأصح عروضا لاستقامة تفعيلة الكامل (متفاعلن).

<sup>7</sup> - الأبيات لإبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي، صاحب الأحوال السنية والأخلاق البهية، صحب الإمام أبا حنيفة، وسفيان الثوري،  
 توفي سنة 161هـ. ينظر: جامع الأنوار في مناقب الأخيار، ص 255-284. وقد ذكرها أيضا أسعد اليافعي في "الإرشاد والتطير"  
 والبيت الثاني من هذه النثقة هو الثالث عند اليافعي. ينظر اليافعي: الإرشاد والتطير في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز. تح محمد  
 أديب الجادر، دار الكتب العلمية، ط 1. بيروت، لبنان. (1424هـ/2003م). ص 68. وذكرها أيضا الأبيشي في المستطرف ولكنه  
 نسبها إلى إبراهيم الخواص (ت 291هـ). في حين توفي إبراهيم بن أدهم سنة (161هـ). ينظر: الأبيشي، ص 218.

فَرَسِي، فهتَفَ بي أيضاً، فوقفتُ مَقْشَعِرّاً، فالتفتُ، فلم أرَ شيئاً. فعَدْتُ لتحريكِ فَرَسِي، فنوديتُ، فقلتُ: "هيهاتِ جاعني النَّذِيرُ، واللَّهِ لا أعصيه".

وكانَ رضي الله [عنه] - يأكل من عمل يده في الحصاد وحفظ البساتين، والعمل في الطين، ويقول: "أَطْبُ مَطْعَمَكَ، ولا عليك أن لا تقوم بليل ولا تصوم بنهار".

وقال: "استأجرتني رجل على حفظ بستانه، فكنت فيه أياماً، فإذا بخادم جاء ومعه صاحب له، ولو كنت علمت أنه له ما حفظته يعني لكونه جندياً، فقال لي: "أتنا بأكبر رمان وأحسنه وأطيبه". فأتيته برمان، فكسر واحدة فوجدها حامضة، فقال: "أنت منذ كذا وكذا يوماً تنتظر فيه ولا تعرف الحلو من الحامض". وغمز أصحابه، وقال: "ألا تعجبوا منه؟!". ثم قال: "لو كنت إبراهيم بن أدهم ما زاد على هذا". فحدث الناس من الغد بالقصة وبصفتي فجاؤوا إليّ، فاخفتيت عنهم، فهم داخلون إلى البستان، وأنا هارب منهم". انتهى من سيدي موسى المذكور.

قلتُ: وقد وقع لجدنا سيدي أبي عمران مثل ما وقع لسيدي إبراهيم بن أدهم - نفعتني الله بهما - وذلك أنّ سيدي أبا عمران كان مساقاً<sup>1</sup> في جنان لرجل سنين، إلى ذات يوم أتى ربُّ الجنان لجنانه في وقت الخريف، فقال لسيدي أبي عمران: "اعطني رماناً يكون جيداً". فعمد سيدي أبو عمران لرمان أحمر أكبر ما في الرمان، فأثاه به، فشق واحدة فوجدها حامضة، فضربه بصفعة، فشُلَّتْ يمينُهُ في الحين، بقدرَةِ اللَّهِ، وبعنايةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فصار رب الجنان يعتذر للشيخ ويطلبه السماح ويدعوه لله. فمسح الشيخ على يديه فبرئت. فقال: "ظننت أنك فعلت ذلك استهزاء بي في كونك في الجنان كذا وكذا سنة، وأتيتني بالرمان الحامض". فقال له سيدي أبو عمران: "والله ما عرفت الحلو من الحامض مدة كوني في جنانك". فقال له رب الجنان: "اذهب ينتفع بك الناس، لا حاجة لي بخدمتك في جناني". هذا معنى ما أخبرني به جماعة من حفدته ينقلون ذلك عن آبائهم وأجدادهم.

<sup>1</sup> - في (ب): "مساقى".

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وذكروا أن إبراهيم بن أدهم قعد يوماً [بين] يدي حجام فحلق له بعض رأسه، فجاء غيره، وأراد الحجام اختبار حاله لينظر هل بقي فيه كبر ونخوة، فبتغير لذلك أم لا،/ [59و] فأقامه حتى قضى حاجة الغير. ثم انصرف إليه، فجاء آخر فترك إبراهيم واشتغل بالغير هكذا مرات. فلم يكثر إبراهيم لذلك ولا ظهر منه تغير. فعلم الحجام أنه لم يبق للدنيا فيها<sup>(1)</sup> نصيب. وصحبته رجل، فلماً أراد أن يفارقه قال: "يا إبراهيم إن رأيت في عيباً فنبهني عليه"، فقال: "لم أر لك عيباً؛ لأنني لاحظتُك بعين الوداد؛ فاستحسنْتُ منك ما رأيتُ، فاسألْ غيري عن عيبك". وأنشدوا: [طويل]

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ      وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِي الْمَسَاوِيَاً<sup>2</sup>

قال إبراهيم بن أدهم: بتُّ ليلةً تحت صخرة بيت المقدس، فنزل في بعض الليل ملكان، فقال أحدهما للآخر: "مَنْ هُنَا؟". قال: "ذلك الذي حَطَّ اللَّهُ درجةً من درجاتِهِ"، فقال: "ولِمَ؟"، قال: "لأنَّهُ اشترى بالبصرة التَّمْرَ، فوقعتْ تمرَةٌ من تَمْرِ البَقَالِ على تَمْرِهِ". قال: فمشيتُ إلى البصرة وابتعتُ من ذلك البَقَالِ تَمراً، وأوقعتُ تمرَةً على تَمْرِهِ، ورجعتُ لبيت

<sup>1</sup> \_ كذا في (أ)، ولعل المراد: "فيه".

<sup>2</sup> - البيت للإمام الشافعي - رضي الله عنه - محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله. ولد بغزة عام (150هـ/767م) ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين. وعاش أربعاً وخمسين سنة وأقام بمصر أربع سنين ونيفاً. ثم توفي بمصر ليلة الجمعة بعد المغرب سنة 204هـ / - 819 م). وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية كافة. قال عنه المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وأدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات، وقال الإمام ابن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة. خلف أكثر من 121 قصيدة. وهذه من بين أروع قصائده إذ يقول فيها:

وعين الرضا عن كل عيب كليلَةٌ      وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِي الْمَسَاوِيَاً  
وَأَسْتُ بِهَيَابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي      وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا  
فَإِنْ تُدُنْ مَيِّي، تُدُنْ مِنْكَ مَوْتِي      وَأَنْ تَتَأْ عَنِّي، تَلْقُنِي عَنكَ نَائِيَا  
كَلَانَا عَنِّي عَنْ أَحِبِّهِ حَيَاتِهِ      وَتَحْسُنْ إِذَا مِثْنَا أَشَدُّ تَعَانِيَا

ديوان الإمام الشافعي المسمى "الجواهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس". إعداد وتعليق محمد إبراهيم سليم. مكتبة ابن سينا للنشر. القاهرة. مصر. د. ت. ص. 157.

وينظر ترجمته أيضاً في الطبقات الكبرى المسمى لوائح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية للعارف بالله الإمام عبد الوهاب الشعراني. تح أحمد عبد الرحيم السايح /توفيق علي وهبه ج. 1، ط. 1. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. مصر. (1426هـ/2006م). ص. 73.

المقدس، وبتُّ تحت الصخرة فإذا بالملكين نزلاً فقال أحدهما للآخر: "مَنْ هُنَا؟"، فقال له إبراهيم بن أدهم: "ذلك الذي رُدَّ مكانه، ورجعت درجته".

**قلت:** وهذه الصخرة التي في بيت المقدس قد وصفها ابن العربي في القبس، ونصه: «قيل إن مياه الأرض كلها تخرج من تحت (صخرة بيت) المقدس، وهي من عجائب الله في أرضه، فإنها صخرة [شنعاء]<sup>2</sup> في وسط المسجد الأقصى مثل [الضرب]<sup>3</sup> قد انقطعت من كل جهة، لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، في أعلاها من جهة الجوف. قدم النبي ﷺ حيث ركب البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبته، ومن الجهة الأخرى أثر أصابع الملائكة التي أمسكتها؛ إذ<sup>4</sup> مالت به، ومن تحتها الغار التي انفصلت [منه]<sup>5</sup>. من كل جهة عليه باب يفتح للناس للصلاة والاعتكاف والدعاء، [تمنيها مرة]<sup>6</sup> أن أدخل تحتها؛ لأنني كنت أقول أخاف أن يسقط علي بالذنوب، ثم رأيت الظلّة [والمجاهرين]<sup>7</sup> بالذنوب يدخلون تحتها ثم يخرجون سالمين، فهممت بدخولها، ثم قلت: "لعلهم أمهلوا وأعجل أنا". فتوقفت مدة ثم عزم عليّ فدخلت فرأيت العجب والعجائب<sup>8</sup> يمشي في حواشيها من كل جهة، فتراها منفصلة عن الأرض لا يتصل بها من الأرض شيء وبعض الجهات أبعد انفصالاً من بعض». انتهى منه رحمه الله.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «ومناقب سيدي إبراهيم بن أدهم ﷺ كثيرة، ومرتبته في مقام العابدين أشهر من أن يستكثر لها بالشواهد؛ لاشتهارها وذكرها في غير ما ديوان.

1 - في (د): "الصخرة التي ببيت".

2 - ما بين المعوقين ساقط من (د).

3 - ما بين المعوقين ساقط من (د).

4 - في (د): "إذا"

5 - ما بين المعوقين ساقط من (أ).

6 - ما بين المعوقين ساقط من (د).

7 - ما بين المعوقين ساقط من (د).

8 - في باقي النسخ: "العجب العجائب".

قال محمد بن المبارك: كنت مع إبراهيم [بن أدهم]<sup>1</sup> في طريق بيت المقدس، فنزلنا في وقت القائلة تحت شجرة رمان، فصلينا ركعات، فسمعت صوتاً من أصل الرمان: "يا أبا إسحاق، أكرمنا بأن نأكل منها شيئاً". فطأطأ إبراهيم رأسه حياءً، فقال ذلك ثلاث مرات، ثم قال أصل الشجرة: "يا محمد، كن لي شفيحاً إلى إبراهيم بن أدهم ليتناول منها شيئاً". فقام فأخذ منها رمانتين، فأكل واحدة، وناولني الأخرى فأكلتها. وكانت هذه الشجرة قصيرة ورمانها حامض، وتثمر مرة في العام، فَعَلْتُ وارتفعت وحلا رُمَانُهَا، وصارت تثمر مرتين في العام.

قال إبراهيم بن أدهم: انتظرت مرة من الزمان أن يخلو لي المطاف، فكانت ليلة ظلماء<sup>(2)</sup> ذات مطر شديد، فخلا المطاف [فدخلته]<sup>3</sup>، وكنت أقول: "اللهم اعصمني، اللهم اعصمني". فسمعت قائلاً يقول: "يا إبراهيم سألتني العصمة، وكل الناس يسألنيها، / [59ظ] فإذا عصمتكم فعلى من أترحم". ثم رأيت سبعين ألف طائف، فقلت: "ما رأيت حاجاً في سائر الليالي مثل ما رأيت الليلة!"، فتعلق بي شيخ كبير، وقال: "هؤلاء طلاب الخلوة طمعوا في مثل ما طمعت؛ فاجتمع الطامعون".

وقال إبراهيم: نزلت ليلة شاتية بمسجد من بلاد الشام، فقال لي المؤذن: اخرج لأغلق الأبواب، فقلت: إني غريب، أبيت هنا. فقال لي: "إن الغرباء يسرقون القناديل من المسجد". فقلت: "لا أسرق"، فقال: "حلفت أن لا يبيت أحد فيه ولو كان إبراهيم بن أدهم"، فقلت: "أنا هو إبراهيم"، قال لي: "تكذب"، ثم أخذ برجلي وأخرجني على وجهي، ثم رماني بإزاء حمام، فرأيت شاباً حسن الوجه عليه ثوب حسن يوقد النار، فسلمت عليه، فلم يرد علي حتى فرغ. ثم قال: "يا هذا أنا أجير؛ وخفت إن اشتغلت برد السلام عليك أخون". فقلت له: "بكم تعمل كل يوم؟"، قال: "بدرهم ودانق، أتقوتُ بالدانق، وأنفق على أولاد أخ لي في الله بالدرهم". فقلت: "وهل سألت الله في حاجة قط"، قال: "نعم، منذ عشرين سنة، وما فُضِيَتْ". فقلت له:

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

<sup>2</sup> - كذا في (د). وفي باقي النسخ: "ظلماء".

"ما هي؟"، قال: "بلغني أن فتى اسمه إبراهيم بن أدهم تميز عن العابدين فتمنيت على الله رؤيته قبل موتي، فقلت: "أبشر بقضاء حاجتك، وما رضي لي أن آتيك إلا مسحوا على وجهي". فوثب [إليَّ]<sup>1</sup> وعنقني<sup>2</sup>، وقال: "قضيت الحاجة، فاقبضني إليك، فسقط ميتاً رحمه الله".

قال محمد بن عيسى: خرجت مع إبراهيم بن أدهم لمكة، وكان إذا قصد لها عرج عن الطريق المألوفة، وكنا أربعة رجال، فلما وصلنا المدينة اكرتينا بيتاً، فقال لنا: إبراهيم بن أدهم تكون خدمة البيت وما يصلح معاشنا كل يوم على واحد منا، ويذهب الثلاثة للمسجد. فبينما نحن يوماً في البيت إذا برجل عليه قميص جديد وفي رجليه خف وعليه عمامة ومعه مزود يحمله على عنقه، فسلم علينا، ثم سألنا عن إبراهيم بن أدهم، فقلنا هذا منزله، فمضى ولم يكلمنا ثم جاء معه ومكث معنا أياماً، فإذا حضر الطعام تتحى عنا وخلا بمزوده فيأكل منه وإبراهيم بن أدهم في هذا لا يدعو ولا يعارضه. ثم قال: "أريد الخروج"، قال: "متى عزمت؟"، قال: "الليلة"، ثم خرجا، فقال بعضنا هذا الذي لا يأكل معنا له قصة، إذا حضر طعامنا أقبل على مزوده، والله لَنَنْظُرَنَّ ما في مزوده. ففتحه فإذا فيه عظام، فأعاد رباطه. فلما جاء صاحب المزود أنكر رباطه، ونظر في وجوهنا ومضى. فقلت لإبراهيم بن أدهم: "ما أعجب حال هذا الرجل!، كان عندنا فنظر فلان في مزوده، فرأى فيه عظاماً". فتغير وجه إبراهيم بن أدهم، وأنكر على الرجل الذي فتح المزود فعله، فقال: "ما أحسبك إن نصحتني في سفري هذا لِمَ نظرت في المزود؟، وذاك رجل من مؤمني الجن، وأخاني في الله، فليس من بلد أدخله إلا جاء، وكان معي يؤنسني ويعينني، ثم ينصرف". فمات الرجل الذي نظر في مزوده بعد أيام». انتهى من سيدي موسى المذكور.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

<sup>2</sup> - في باقي النسخ: "وعانقني" وهو الأصح.

قلت: وما ذكر في هذه الحكاية من قضية الجنى الذي له مزود من عظام يأكل منه يشهد لصحتها ما أخبر به الصادق المصدق أن العظام زاد الجن المؤمن، وكذلك الروث، على ما أخبر به الثعالبي في التفسير عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾<sup>(1)</sup>، الآية. ولفظه: «قال النبي ﷺ للصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي / [60] أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْجِنِّ اللَّيْلَةَ، فَيَأْكُمُ يَتَّبِعُنِي فَاصْرِفُوهُ»، ثم استتبعهم في الثانية فاتبعه ابن مسعود. قال عبد الله بن مسعود: «ولم يحضر معه أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبي ﷺ شعبا يقال له الجوز، وخط لي خطا وأمرني أن نجلس فيه، وقال: «لا تخرج منه حتى أعود إليك». ثم انطلق حتى قام ثم استفتح القرآن، فجعلت أمثال النور تهوي وتمشي في رفرها، وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على النبي ﷺ وغشيتة أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا ينقطعون قطعاً مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرع النبي ﷺ مع الفجر، فقال: "أنت؟"، قلت: "لا والله، ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تفرعهم بعصاك تقول: "اجلسوا". قال: "لو خرجت لم آمن أن يختطفك بعضهم". ثم قال: "هل رأيت شيئا؟"، قلت: "نعم، رأيت رجالا سودا مستغربين في ثياب بيض، قال: «أولئك جن نصيبين سألوني الزاد والمتاع، فمتعتهم، بكل عظم حائل، وروثة، وبعرة»، قالوا: "يا رسول الله، تقدرها الناس علينا!". فنهى النبي ﷺ عن الاستجمار بالعظم والروث. قلت: "يا رسول الله، وما يغني ذلك عنهم؟"، قال: «لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت». وقال ﷺ: «لا تستجمروا بالروث ولا بالبعر؛ فإنه زاد إخوانكم من الجن»<sup>2</sup>. انتهى منه رحمه الله.

<sup>1</sup> \_ سورة الأحقاف، الآية 29 وتامها: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.

<sup>2</sup> - هذا الحديث له روايات مختلفة. منها رواية الطبراني: «لَا تَسْتَجْمِرُوا بِالرُّوثِ وَلَا بِالْعِظَامِ؛ فَإِنَّهُ زَادَ إِخْوَانَكُمْ مِنَ الْجِنِّ»، ولكنه ذكر العظام بدل البعر، ورواية ابن خزيمة وابن حبان: «لَا تَسْتَجْمِرُوا بِالْعِظَمِ وَلَا بِالْبَعْرِ، فَإِنَّهُ زَادَ إِخْوَانَكُمْ مِنَ الْجِنِّ»، ولكنهما ذكرا العظم بدل الروث. وقد رواه غيرهما بألفاظ متقاربة: - صحيح أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري: كِتَابُ الْوُضُوءِ، بَابُ ذِكْرِ

وقال سيدي موسى بن عيسى المذكور: «قيل لإبراهيم بن أدهم: "ألا تشرب من ماء زمزم؟"، فقال: "لو كان في دلو لشربت" فانظر يا أخي لهذا الورع العظيم، وكثرة تحفظ الناس بأديانهم، وقلة مسامحتهم لأنفسهم. هذا وقد ورد في فضل الشرب من ماء زمزم ما ورد، بأنه جاء: «ماء زمزم لما شرب له». قال ابن الجلاب: أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا ما استقاه بركوته ودلوه. وقيل: إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين عاماً، فلم يصح له أن يأكل من ثمرها ولا من رطبها حتى مات، ولم يذقه. وسألت أخت بشر الحافي الإمام أحمد بن حنبل عن مشاعل السلطان تمر بها هل يجوز لي الغزل في ضوئها؟ فقال: "لا، من أنت؟"، قالت: "أخت بشر الحافي"، فقال بعد أن بكى: "وهل خرج الورع الوافي إلا من بيت بشر الحافي؟!، لا تغزلي في شعاعها عفاك الله".».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «ومن الورع ما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قصد يوم الجمعة وكان في الأرض طين فزلقت رجله، فوضع أصبعه على جدار في الطريق، ثم ذكر، فقال لبعض تلامذته: "سلوا رب الدار أن يجعلنا في حل". فسألوا عنه فإذا هو مجوسي، فسأله عن الاستحلال، فقال له المجوسي: "ولكم في دينكم هذه الذمة والاحتياط؟!، آمنت بالله ورسوله". وأسلم كل من في داره.

وقيل: إن [أبا] يزيد [البسطامي]<sup>2</sup> غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له، فقال صاحبه: "تعلق الثوب بجذور الجنان؟"، فقال له أبو يزيد: "لا تغرز الوتد في جدار الناس"،

العِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا زُجِرَ عَنِ الْإِسْتِجَاءِ بِالْعِظَامِ وَالرُّوثِ. تح وتع ماهر ياسين الفحل. (رقم: 82) ج1. دار الميمان للنشر والتوزيع. ط1. الرياض. السعودية 2009 / ص200. - صحيح ابن حبان، كتاب الطهارة، باب ذكر العلة التي من أجلها زجر عن الاستجاء بالعظم والروث (رقم: 1432): ج4/ ص280. - المعجم الكبير للطبراني، (رقم: 10010): ج10/ ص77.

1 - ما بين المعوقين ساقط من (أ).

2 - ما بين المعوقين إضافة من (د). ساقط من النسخ الأخرى.

3 - و الأفضح: "جُدِرَ". قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآية (14) من سورة الحشر.



فقال: "تعلقه في الشجر؟"، قال: "لا؛ لأنه يكسر الأغصان". فقال: "تسقطه على الأذخر<sup>1</sup>"، قال: "لا، لأنه علف الدواب، ولا نستره عنها". وولى ظهره عن الشمس والقميص على ظهره حتى جف جانب منه ثم قلبه/ [60ظ] حتى جف الجانب الآخر.

وقيل: إنه دخل يوماً لجامع، فغرز عصاه في الأرض، فسقطت على عصا شيخ ركزها إلى جنبه فانحنى الشيخ، وأخذ عصاه فمضى أبو يزيد لبيت هذا الشيخ فاستحله، وقال: "كان انحنائك بسبب عصاي".

وقال أبو موسى: «وكان أبو يزيد صبياً من عشر سنين نبهه الله لعيب نفسه، وألهمه حكمة العمل، وفأدته من غير تعليم، فقال لوالديه: "أقسم عليكما بالله، هل تناولتما شيئاً من الحرام بسببي أيام الرضاعة؟"، فإني لا آمن أن يصل منه شيء إلى قلبي يحجبني عن ربي". فقالت له أمه: "لا أعلم، إلا أنني دخلت يوماً لبعض الجيران وأنت في حجري فدهنت رأسك من قارورة لهم، وكحللتك يوماً آخر بكحلهم ولم أستأذنهم". فقال أبو يزيد: "إن الله يحاسب على متقال ذرة"».

وقال له رجلٌ وهو صغيرٌ: "يا غلام، أتُحسِنُ أن تُصَلِّيَ؟"، قال: "نعم، أكبرُ بالتَّليَّةِ، وأقرأُ بالتَّنزيلِ، وأركعُ بالتَّعظيمِ، وأسجدُ بالتَّواضعِ، وأسلمُ بالتَّوديعِ". فقال له الرَّجُلُ: "إذا كان لك [هذا]<sup>2</sup> الفضلُ والمعرفةُ، فلمَ تدعُ النَّاسَ يتمسَّحون بِكَ؟!"، فقال: "ليس بي يتمسَّحون، وإنما يتمسَّحون حُلَّةً<sup>3</sup> حَلَّيْنِهَا اللهُ، كيف أمنعُهُم من ذلك وهو لغيري؟!".

وقال أبو يزيد: "كنت في ابتداء إرادتي صبياً دون العشر، وكان لا يأخذني النَّومُ بالليلِ، وكنت أصلي، فأقسمت عَلَيَّ والدتي ليلة أن أبيت معها في الفراش وأنام، ولم أرد مخالفتها، فنمت معها وكانت يدي تحت جنبها، فلم أخرجها مخافة أن تتنبه، ولم يأخذني

<sup>1</sup> - في (د): "تبسطه على الأرض".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

<sup>3</sup> - كذا في (أ). وفي باقي النسخ: "حلية".

النوم فقرأت سورة الإخلاص أحد عشر ألف مرة، ثم حركتها فانتبهت، فلم أعمل بيدي مدة". وقال: "خالفت أُمِّي مرتين فأصابتنِي المِضْرَةُ فيهِمَا".

وقالت له أُمُّهُ لَيْلَةً: اسقني، فخرج في طلب الماء، فلما رجع وجدها نائمة، فأمسك الكوز بيده عند رأسها حتى انتبهت، فقالت: "أين الماء؟"، فقال لها: "هو ذا"، فأخذت الكوز وقد أحزَّ<sup>1</sup> في أصبعه حتى نزع منه جلدة لشدة البرد. فلما رأت ذلك سألته فأخبرها، فقالت: "رضي الله عنك يا ولدي". وقال له بعضهم: "بم بلغت هذا؟"، فقال: "أنتم تقولون بكذا، وأنا أقول: "إن ذلك برضا أُمِّي".

ثم قال سيدي موسى المذكور: «ورأى الكليم موسى ﷺ رجلاً عند ساق العرش فتعجب، فقال: "يا رَبِّ بِمَ بَلَغَ هَذَا لِهَذَا الْمَكَانِ؟"، فقال: "بِرِّ وَالِدَيْهِ"».

قلت: والأحاديث في بر الوالدين كثيرة، فمن أَرادها فلينظرها في كتب الأحاديث.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وسئل أبو يزيد عن ابتداء أمره، فقال: "إن الله هداني فزرعت في نفسي أنواع العبادة، ثم أرشدني للنظارة فاغتسلت بأنواع الطهارة والمياه". وقال: "ورد علي رجل من أرباب هذا الحال، فقال لي: "بم بلغت هذه المنزلة؟"، فقلت له: "دع المنزلة، فإن الحق جل وعلا أكرمني بسبع كرامات ثم ناداني: الأولى: رأيت نفسي متأخراً ورأيت الخلق سبقوني، والثانية: رضيت أن أحرق بالنار بدل خلقه شفقة عليهم، والثالثة: كان قصده إدخال السرور والفرح على قلوب المؤمنين، والرابعة: لم أمسك شيئاً قط، والخامسة: أردت رحمة الله للناس كما أردتها لنفسِي، والسادسة: بذلت جهدي في إزالة الهم والغم على المؤمنين، والسابعة: وددت أن لو وهبني ربي الشفاعة يوم القيامة شفعت أولاً لكل من آذاني وجفاني ثم لمن لازمني".

وقال أبو يزيد: "لولا حيائي من رسول الله ﷺ لضربتُ فسطاطي يوم القيامة على باب جهنم حتى لا يدخلها أحدٌ من أمَّتِهِ، ولقد هممتُ أن أسألَ الله أن يكفيني مؤونة الأكل

<sup>1</sup> - في (د): "قد أحزَّ".

ومؤونة النساء، ثم قلت: "كيف يجوز لي/ [61و] أن أسأل الله ما لم يسأله رسول الله ﷺ؟! فلم أسأله. ثم إنه كفاني مؤونة النساء؛ حتى لا أبالي أستقبلتني امرأة أو حجر؟". وجاءه رجل فقال: "يا أبا يزيد، إن الناس قد احتاجوا للمطر، فادع الله أن يرزقهم ذلك". فقال: "يا غلام، أصلح الميزاب"، فلم يفرغ من إصلاحه حتى جاء المطر ولم يتكلم بشيء.

وكان لا يهتم بشيء إلا تصور له أسرع من طرفة العين. وقال أبو يزيد عرج بروحي فما مررت بروح نبيء إلا سلمت عليه، إلا روح محمد ﷺ؛ فإنه كان حول روحه ألف حجاب من نور، وكادت روعي أن تحترق عند أول لمحة. وسمع أبو يزيد رجلاً يقول: "عجبت لمن عرف الله كيف يعصيه. فقال له أبو يزيد العجب ممن عرف الله كيف يعبده". انتهى من سيدي موسى المذكور رحمه الله.

قلت: معنى كلام أبي يزيد \_ وربك أعلم \_ أن من عرف الله حق معرفته فبأي عبادة يعبده، وبأي حمد يحمده، وبأي شكر يشكره، وبأي ثناء يثني عليه، إلى غير ذلك مما لا يحصي ثناؤه إلا هو تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾<sup>(1)</sup>. ومن النعم صحة البدن، وأعظم النعم وأجلها الإيمان بالله وجميع رسله \_ عليهم الصلاة والسلام \_ . وقال السيد الإمام الجزيري: «أجلها نعمة الإيمان بالرسول».

وقال سيدي موسى المذكور: «إن بشر الحافي رُئي بعد موته، قال: قال لي ربي \_ جَلَّ وعزَّ: يا بشرُ، لو سجدت لي على الجمر ما أدبت شكر ما جعلت لك في قلوب عبادي».

فانظر لهذا الأمر العجيب، هذه نعمة واحدة لو سجد على الجمر لم يقم بشكرها، فكيف بجميع النعم ظاهرها وباطنها، مما لا يعلم علمه إلا هو تبارك وتعالى؟! وقال في زهر الأكمام في قصة يوسف \_ عليه السلام \_: «ولو نظر الآدمي بعين بصيرته إلى اللقمة المصيرة إلى فيه، كم استعملت القدرة من ملك ينزل، ومطر ينسكب، وشمس تطلع، ورياح

<sup>1</sup> \_ سورة النحل الآية 18 ونماها: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

تختلف، وأهوية تتعاقب، وأزمنة تتردد، وأرض تتشق، وأنعام تحرث، وأدمي يعالج، وزارع يتصرف، وحاصد يحصد، ودارس يدرس، ومفرق يفرق، و[بين قشرة]<sup>(1)</sup> وحامل يحمل، وطاحن يطحن، وعاجن يعجن، ونار تتضج، وخادم يتصرف، إلى غير ذلك مما تعجز الأوهام عن إحصائه، وتقف عقول العقلاء عن استقصائه لكان في ذلك عبرة يحمد عليها ربه ويشكر فضله حتى ينقطع الصوت ويكل اللسان وتذهب القوة. وبعد هذا لا يقدر أن يصل في ذلك إلى نهاية، ولا إلى عشر المعشار ممّا منّ الله به عليه. وإذا شكر الله على أشد النعمة بقي عليه أن يشكر الله على اللقمة، وهو شكر يزيد على الشكر الأول بأضعافه. ثم إذا ابتلع تلك اللقمة وحصلت في المعدة تعدت إلى تصريف آخر فطبع يمسكها وآخر ينضجها وآخر يقسمها على الأعضاء، ويوجه إلى كل عضو قدرا يقوم به إلى غير ذلك».

فانظروا هذه نعمة واحدة لا يقدر أحد على القيام بعشر المعشار في شكرها، كيف

بسائر النعم كلها؟! ورحم الله الجزيري سيدي أحمد بن عبد الله حيث قال: [بسيط]

مَنْ ذَا مِنَ الْخَلْقِ يُحْصِي شُكْرَ وَاهِبِهَا      لَوْ كَانَ يَشْكُرُ طُولَ الدَّهْرِ لَمْ يَصِلِ

وكذلك السنوسي حين تكلم على عين الأدمي وما خلق الله فيها من المنافع والمصالح للأدمي، وذكر المادة التي تستمد بها العين من الدماغ، وما خلق الله فيها/ [61ظ] من صلابة في الحر والبرد، حتى إن الإنسان ليغطي يديه من البرد وهي مع رقتها لا تحس ببرد. وذكر الحيوان الذي يرى بالليل أقوى مما يراه بالنهار، كالهرة والكلب والفرس والحمار وغيرها من سائر الحيوانات. فانظره في شرح عقيدته الوسطى، تركته لطوله \_رحمه الله ونفعني به وبأمثاله، آمين\_.

<sup>1</sup> \_ قد يكون ما بين المعقوفين سهوا من الناسخ. لأن المعنى يلتبس.

هذا ما ظهر لي في معنى كلام أبي يزيد: "أن من عرف الله كيف يعبده"، إن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمن نفسي. وقال لي بعض العلماء: «[الأول]»<sup>(1)</sup> في مقام المعرفة والرجاء، والثاني في مقام الخوف والرجاء».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال أبو يزيد: "لو نظرتم الرجل أعطي من الكرامات ما يطير به في الهواء، ويمشي على الماء، فلا تقتدوا به حتى تتظروا كيف هو عند الحدود من الأمر والنهي والوقوف مع الشريعة". وقال أبو يزيد: "ما من عبد اصطنعه الله لنفسه وأشغله بذكره وحماه من مخالفته إلا سلط الله عليه فرعون فينكره ويؤذيه". وطعن بعض العلماء في كلام أبي يزيد، فقال: "ليس هذا الذي تقول في العلم!"، فقال له أبو يزيد: "أكلُّ العلم أحطت به؟"، فقال: "لا"، فقال: "هذا من العلم الذي لم تُحط به".

قال شيخ المشايخ: وكان أبو يزيد أمياً، فإن وقع الشك في علمه الظاهر فلا ريب في علمه الباطن، وما ناظره عالم من علماء المذهب في مسألة إلا غلبه وأفحمه. قال الشبلي: كنا مع أبي يزيد في بعض أسفاره فمشينا بمصر يوم الجمعة لنصلي، فلما دخلنا الجامع ووقفنا على حلقة فقيه، وقد سئل عن هالك خلف كذا وكذا من البيوت، وكذا وكذا من صنوف الأموال، فكيف يقسم هذا المال بين وارثيه، فأخذ يصحح المسألة ويضرب أعداد الورثة في أصل الفريضة ويطلب الموافقة. فصاح به أبو يزيد: "ما تقول في رجل مات وخلف الله؟"، فنظر القوم إليه وبكوا، فقال أبو يزيد: "العبد لا يملك مع الله شيئاً، فإذا مات لا يخلف إلا مولاه عزَّ وجلَّ، فإن آخر العبد يرجع لأوله؛ لأن أوله يرجع ومعه لا إله إلا الله، فإذا كان آخره قبل أوله لم ير مع الله سوى الله، ولم يساكن شيئاً سوى الله، ويشهد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾<sup>(2)</sup>". ثم بكى ساعة، وقال: "يا قوم، إن الله عبادة لو

<sup>1</sup> ما بين المعقوفين مستدرك على هامش (أ).

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية 94 وتامها: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

برزت لهم الدنيا لضجوا منها كما يضح أهل النار من النار؛ لأنهم ما خدموه لجنة ولا لنار، وإنما خدموه محبة له، وإرادة".

وقال أبو يزيد: "أشد المحبوبين عند الله ثلاثة: الزاهد بزهد، والعابد بعبادته، والعالم بعلمه". ثم قال عقب كلامه: "مسكين الزاهد، لو علم قلة الدنيا، أو في أي شيء زهد؟، وكم مقدار ما زهد فيه؟، وأين يقع في الزاهدين؟. إنما الزاهد هو الذي لحظ مولاه، فبقي عنده ولا يرجع بطرفه إلى غيره. والعابد فهو الذي يرى منة الله عليه في العبادات أكثر من عبادته، حتى تغرق عبادته في المنة. وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدا الله من العلم سطرًا واحدًا من اللوح المحفوظ. فكم علم هو من العلم المنزل!، وكم المنزل مما لم ينزل!.

وقال: "الذي يكون علمه لله يأخذ علمه مما شاء متى شاء كيف شاء بلا حفظ ولا كُتُب. ويكون هؤلاء الثلاثة بلا شيء إلى يوم يلقونه". وقال أبو يزيد: "خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله. فتأول المحققون من علمائنا/ [62و] قول أبي يزيد هذا، فمنهم من قال: خضته جهلا مني بمهالكه، ووقف الأنبياء بساحله لعلمهم به. وقيل: معناه خضته فانتشبت فيه ولم أخلص بنفسي منه، ووقف الأنبياء بساحله إذ قطعوه وسهل عليهم سلوكه. كما قال أبو العباس المرسي في قول أبي يزيد هذا: "إنما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن الإلحاق بالأنبياء، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على المفرق، ويدعون الخلق إلى الخوض فيه. فقال أبو يزيد: "لو وقفت حيث وقفوا". وهذا الذي فسَّر به أبو العباس كلام الشيخ أبي يزيد هو اللائق.

وقد حكى عن بعض العلماء أنه قال: مقام الأنبياء كزق مَلِيءٍ<sup>1</sup> عسلا، ثم رشحت منه قطرات، فما في باطن الزق مقام الأنبياء، وما رشح منه مقام الأولياء». انتهى من سيدي موسى المذكور.

<sup>1</sup> - في (ك): مَلِيءٍ

قلت: وما قاله سيدي موسى حُكِيَ عن بعض العلماء المراد به أبو يزيد بدليل ما وقع مصرحاً به عن سيدي موسى أيضاً وغيره. ثم قال سيدي موسى المذكور: وقيل لأبي يزيد: "إن الله أخبر أن الشيطان وقبيله يرونا من حيث لا نراهم"<sup>1</sup>. قال أبو يزيد: "الآية منعكسة في حقي، فأنا أراه هو وقبيله من حيث لا يروني"، وأنشد أبو يزيد: [طويل]

تَسْتَرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ      فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِيَا

فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ دَهْرِي<sup>2</sup> مَا دَرَتْ      وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِيَا<sup>3</sup>

قال ابن العربي: "عنى بالدهر الشيطان وبالأيام أولاده وأنهم محجوبون عنه بأسرار الأنوار الإلهية. فنسأل الله أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين: ﴿أَمَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾"<sup>(4)</sup>.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وقدم على أبي يزيد رجل من الأكابر، فقال له: "إني أعطيت ملك الدارين"، فقال له أبو يزيد: "وأي شيء يكون؟ إنما أعطيت دار إبليس!". فانصرف الرجل، فوجه إليه من رده، وقال له: "إن كنت صادقاً فيما ادعيت فادع بكوكب ينزل السماء"، فبقي الرجل باهتاً.

1 - في (ك): "لا نروهم".

2 - أورد الشعراني الشطر الأول من هذا البيت كالاتي:

فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي مَا دَرَتْ      وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي.

ينظر الشعراني: الطبقات الكبرى. ج.1. ص.335.

3 - أورد التادلي الأبيات كالاتي: تَسْتَرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ      فَطَرَفِي يَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي.

والبيت الثاني كبيت الشعراني المذكور. ينظر: ابن الزيات التادلي، التشوف. ص.113. كما أورد البيهقي صاحب كتاب "مناقب صلحاء الشلف" ذاكراً قول ابن العربي حول ما عناه الناظم بالدهر وهو الشيطان، وبالأيام أولاده، وأنهم محجوبون عنه بأسرار نور الألوهية. ينظر: أبو عمران موسى بن عيسى المازوني "مناقب صلحاء الشلف"، وهو مختصر كتاب "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأحيار". دراسة وتح عبد القادر بوباية. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان 2019م. ص.78.

4 - سورة آل عمران، الآية 7 وتامها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وقدم عليه رجل آخر فقال له: "قد بلغت المبلع"، فقال له أبو يزيد: "وما هو؟"، فقال له الرجل: "أعطاني أنني أطير في الهواء، وأمشي على الماء أنى شئت"، فقال له أبو يزيد: "وأني منة أعطيت؟!، هذا خلق من الله لا خطر لهم، يمشون على الماء وهو الحوت، والطيير يطير في الهواء، وإنما العبد الجيد من يلحظ الملائكة كلهم في لحظة واحدة".

وأناه ثلاث نفر وهو جالس على أبي قبيس، فقال قائل منهم: "ما مقام أولياء الله في الولاية؟". فقال أحدهم: "أن يكون راضياً وإن أدخله النار". وقال الثاني: "مقامه مع الله لو صير السماء من صفر لا ينزل منها مطر، والأرض من حديد لا تنبت نباتاً، لا يدخل قلبه شيء، ولا يهتم بما وعد الله له من رزقه". وقال الثالث: "مقامه مع الله لو ضربه بأنواع البلاء أو طحنه في كل يوم مئة مرة تحت البلوى لا يتغير قلبه مع الله". فقال أبو يزيد: "أما أنا فلا أقول كقولكم، ولكن مقام الولي أن يقول لهذا الجبل: "انزل" فينزل". فتحرك الجبل، فقال أبو يزيد: "ما هذه السعاية؟ أتريد أن تفشي سري مع الله بين الخلائق؟"، فاستقر الجبل.

وقال أبو يزيد: من الناس من يزورنا فيرجع برحمة الله، ومنهم من يزورنا فيرجع بلعنة الله، فقيل له: "كيف؟"، فقال: "إنما يزورنا الإنسان فيجد عليّ غلبة حال فيعذرنى، فهو في رحمة الله، وربما لا يعذرنى، فيقع في لعنة الله". وقال: "عملتُ في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئاً أشد عليّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لفنيئتُ. واختلافهم [62ظ] رحمة إلا في تجريد التوحيد".

وقال له رجل: متى يصل العبد إلى الله؟، فقال: يا مسكين، وهل يصل أحد إلى الله، لو بدا منه للخلق ذرة ما بقي الكون ولا ما هو فيه".

وقال أبو يزيد: "وزن ذرة من توحيد أكبر من جميع الجنان". وقال له رجل: "إنك تذكرنا بالزهد والعبادة، ولا نعرف لك كبير عبادة"، فهاج وقال: "يا مسكين، إن الزهد والعبادة



أشقى<sup>(1)</sup>. وقيل لمجوس: "أسلم"، فقال: "إن كان الإسلام كما يستعمله أبو يزيد فلا أطيعه، وإن كان كما يستعمله هؤلاء فلا أشتهيه".

وقال أبو يزيد: "إن الرجال يمدحون الله فيظن المفتري أنهم يمدحون أنفسهم، يعني أنهم يظهرون فضل الله عليهم، فيظن المفتري أنهم يمدحون أنفسهم".

وقال أبو يزيد: "ليس العجب من حبي لك وأنا [عبد] فقير، وإنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير". وخرج أبو يزيد ليلة مقمرة، فقال: "ليلة ساكنة والسماء صاحية، والدنيا مزينة، والباب مفتوح، ولا أرى على الباب أحدا". فإذا بهاتف يهتف بي: "ليس فراغ الباب من قلة الأحباب وليس كل يصلح لبابنا".

وقيل إنه رأى في منامه جماعة من الحور العين، فنظر إليهن، فسلب وقته زمانا. ثم إنه رأى في منامه جماعة منهن، فلم يلتفت إليهن، وقال: "إنكن شواغلي". ومدَّ أبو يزيد مرة رجله في [المحراب]<sup>3</sup> فنُودِيَ من جالس الملوك بلا أدب تعرض للقتل.

وقال أبو يزيد: "لما سرتُ من وحدانيته أقبلتُ أسيرُ بالفهم فيه عشرين سنةً، حتى كَلَّ لهُ فهمي، فصيرت طائراً جسمه من الأحذية وجنانه من مر الديمومة، فلم أزل أطيّر في هواء الكيفية عشر سنين طيرانا بين الثرى إلى العرش، [92ظ] ثمانمائة ألف ألف مرة، حتى جاوزت الديمومة، ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق".

[وقال أبو يزيد: "لا يرى العارف في منامه ولا في يقظته غير الله، ولا يوافق غير الله، ولا يطالع غير الله".]<sup>(4)</sup>. وقال أبو يزيد: "العارف طير والزاهد سيار".

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وكان في جوار أبي يزيد فقيه يحسده على كل ما كان يجري الله على يديه، فقال رجل من أصحاب أبي يزيد: إذا أبصرنا هذا الفقيه يقول لنا :

1 - كذا في (ب) و(د) وفي (ا) و(ك) اشتقا، وهو لا يستقيم معنى المعنى. فلصحيح ما أثبتنا.

2 - ما بين المعوقين ساقط من (ا). وثابت في بقية النسخ.

3 - ما بين المعوقين ساقط من (ا). وثابت في بقية النسخ.

4 - ما بين المعوقين مكتوب في هامش (أ)، ومكتوب بعده: "أصل".

"لا تشتغلون بما لا يعينكم، ألا تتعلمون ما ينفعكم، وما يحملكم على خدمة هذا المغرض الذي لا يحسن أن تتطهر؟". فقال أبو يزيد: "قولوا له إني لا آمن عليك أن تموت غير مسلم". فأخبر الفقيه بذلك، فغاضه. فشاء الله أن مرض الفقيه وأوصى ألا يدفن في مقابر المسلمين. فلما مات اختلفوا في دفنه، فحمل لمقابر النصارى، فكان أبو يزيد بعد ذلك يقول: "لا شيء أنفع لأحدكم من تعظيمه لأخيه المسلم، وحفظ حرمة، ولا شيء أضر بكم من تهاونكم بإخوانكم وتضييع حرمتهم". انتهى موسى المذكور.

**قلت:** انظروا لهذا الأمر العجيب كيف مات هذا الفقيه كافراً مع أنه لم يدع عليه أبو يزيد، نعوذ بالله من التعرض على أولياء الله والقول في أعراضهم.

فقد حكى الشطنوفي أن رجلاً كان كثير القول في أولياء الله الصالحين من السادات المتقدمين، فنقلت عليه الشهادة، لولا فضل الله وشفاعة ولي الله سيدي سويد السنجاري لمات كافراً، لكن سبق في سابق علمه أن تاب على ذلك، فمات على الإسلام. نسأله \_سبحانه\_ السلامة من القول في أحبائه وأصفيائه وأوليائه.

وقال<sup>1</sup> الشطنوفي المذكور أنه كان رجل من وجوه أهل سنجار كثير الوقعة في السلف بغير سبب، فلما احتضر جعل يتكلم بكل شيء إلا الشهادة، فإذا قيل له قل: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" يقول: "لم يُؤدِّن لي في ذلك". فضج الناس [...] وأتوا إلى الشيخ سيدي سويد رضي الله عنه فأتاه وجلس عنده وأطرق طويلاً ثم قال له قل لا إله إلا الله محمد رسول الله فقالها وكررها مرارا فقال الشيخ سيدي سويد إنه عوقب بذلك لوقيعته في السلف وإني قد شفعت فيه فقيل لي قد شفعتك فيه إن رضي عنه أولياؤنا السابقون فدخلت الحضرة الشريفة واستوهبت ذنوبه من معروف الكرخي وسري السقطي والجنيد والشبلي وأبي يزيد

<sup>1</sup> - في (ب): وقص الشطنوفي.

<sup>2</sup> - يبدو جلياً في هذا الموضع سقوط عدة أوراق من النسخة المعتمدة (1707a)، لعدم توافق التعقيب مع الورقة التالية، رغم أن ذلك لا يظهر في ترقيم الأوراق. وقد استكملناها من النسخة (1708). من منتصف صفحة (92ظ) إلى ص (105و).

وغيرهم فأطلق لسانه بالشهادة فقال الرجل إني كنت كلما أردت أن أتشهد وثب شيء أسود شديد الثقل على لساني يمنعني النطق ويقول لي أنا وقيعتك في أولياء الله تعالى ثم جاء بعده نور يتلألاً وطرد ذلك السواد عني وقال أنا رضاء أولياء الله عنك وها أنا أنظر إلى خيول من نور [93] وبين السماء والأرض قد ملأت الجو، عليها ركبان من نور، مطرقة رؤوسهم هيبة يقولون سبح قدوس رب الملائكة والروح، قال وما زال الرجل يلهج بالشهادة حتى مات، انتهى منه بلفظه رحمه الله تعالى. ثم قال سيدي موسى المذكور قال أبو يزيد حدثتني أمي أنها كانت حاملا بي فكانت إذا قدم لها طعام من حلال امتدت يدها إليه وإن كانت فيه شبهة انقبضت يدها عنه انتهى منه. قلت: وقد أخبرني من أثق به أنه طالع كتابا وجد فيه أن أبا يزيد تزايد وليا دليله أن أمه لا تأكل الحرام والمتشابه وقت حملها به احتراماً له وصيانة لما أراد الله به من سابقة الخير والسرّ الذي أودعه فيه نفعني الله به وكذلك تاج العارفين وإمام الأولياء أجمعين سيدنا ومولانا سيدي عبد القادر بن سيدي أبي صالح الجيلي نفعنا الله به وبحبي فيه وجعل البركة في ذريتي بجاهه عند الله وبركة رسول الله ﷺ تزايد وليا على ما ذكره سيدي موسى المذكور ولفظ سيدي موسى أن أول آية ظهرت له ما ذكرته أمه الفاضلة أنها أرضعته في أول نهار رمضان فامتنع من الرضاعة رغم الهلال في تلك الليلة وسئلت أمه هل التقم الثدي أم لا فقالت لا فكشف أن ذلك اليوم من رمضان واشتهر آنذاك أنه ولد للشرفاء ولد لا يرضع بالنهار. انتهى منه رحمه الله

### [حكاية في المعنى]

ذكر الشطنوفي أن سيدي الشيخ سيدي منصور البطايعي<sup>1</sup> أن أمه كانت حاملا به فتدخل على الشيخ سيدي أبي محمد الشنكي فينهض لها قائما وتكرر منه ذلك فسئل عنه فقال أنا أقوم إجلالا للجنين الذي في بطنها فإنه أحد المقربين إلى الله عز وجل وله شأن عظيم، انتهى منه بلفظه. ويشهد له ما ذكره صاحب الكتاب المسمى "بزهرة الأكماء في قصة

<sup>1</sup> - البطايعي أصح: فيه تخفيف الهمزة بالياء وهذا شائع في العامية الجزائرية.

يوسف عليه السلام"ونصه: قيل إن مريم عليها السلام دخلت عليها أختها لتزورها في محرابها وكانت أختها زوج زكريا وكانت حاملا يحيى فقالت لها أختها: يا مريم أفي بطنك شيء؟ قالت: وما سؤالك عن ذلك؟ قالت: أجد هذا الجنين الذي في بطني يسجد للذي في بطنك. انتهى منه رحمه الله تعالى.

## فصل في التعريف بنسب سيدنا القطب الغوث سيدي عبد القادر بن سيدي أبي صالح الجيلاني

نفعني الله بحبي فيه أمين يارب العالمين على ما ذكره سيدي أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن الحاج البيدي في شرحه على السينية<sup>1</sup> ولفظه: واسم الشيخ الإمام العارف القطب محي الدين أبي محمد سيدي عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد ابن محمد [93ظ] بن داوود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجوزي بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأما أمه فهي أم الخير آمة الجبار فاطمة بنت سيدي أبي عبد الله الصومعي الزاهد أحد شيوخ بلاد العجم انتهى منه نفعني الله به أمين. قلت: الذي ظهر لي وهجس في خاطري أن من حفظ هذا النسب دخل الجنة وسعد دنيا وأخرى ببركة هذا السيد الأعجمي الشريف الجيلاني الحنيف أنه قال إذا سألت الله فاسأله بي وأنا أتوسل إلى الله بجاهه عند الله لأنه الوسيلة العظمى عند الله أن يجعلني من المحبين فيه لأن «من أحب قوما حشر معهم» وأن ينفعني بحبي فيه دنيا وأخرى وأن ينياني شيئاً من أنواره وبركاته وأن يحشرنني مع مريديه لأنه قال وعزة ربي وجلاله أن يدي على

<sup>1</sup> - السينية قصيدة لابن باديس الذي قال عنه ابن قنفذ القسنطيني في "الوفيات": (هو أبو علي حسن بن القاسم بن باديس، فقيه محدث عالم ولد عام 701هـ/1320م. روى عن ناصر المشذالي وابن غريون البجائي، رحل إلى المشرق وأخذ عن ابن هشام الأنصاري صاحب (المغني) وقال إنه ختم عليه ألفية ابن مالك ألف مرة. وكان من تلامذة ابن الخطيب القسنطيني، له كتاب "النفحات القدسية" المتضمن قصيدته "السينية". تولى القضاء في بلدته قسنطينة التي ولد وعاش فيها وتوفي سنة 787هـ/1387م. ينظر: أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ): الوفيات، تح وتعد عادل نويهض. ط4. منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت (1403هـ/1983م). ص376. وقد شرح القصيدة أبو العباس أحمد بن الحاج البيدي التلمساني في مؤلف له بعنوان "أنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس". وقد حقق الكتاب وعلق عليه "الميسوم فضاء".

مريدي كالسما على الأرض إن لم يكن مريدي جيرا فأنا جيره وعزة ربي وجلاله لا برحت قدماي بين يدي ربي حتى ينطلق بي وبكم إلى الجنة قلت والمريد هو المحب يا رب اجعني من مريديه ومن المحبين فيه والتمسكين بأذياله والداخلين تحت ظل جناحه وحرمه وكفالتة وحماه لأنه ضمن لكل من انتمى إليه أو أحبه أن يقبله الله ويأخذ بيده كل ما عثر وأن يحفظه دنيا وأخرى ويشهد لصحة ما قلناه ما ذكره سيدي موسى بن عيسى المذكور رحمه الله ولفظه قال سيدي عبد القادر أنا كافل لمريدي ومريد مريدي إلى سبعة كل أمره ولو انكشفت عورته بالمغرب وأنا بالمشرق لسترتها وأمرنا من حيث الحال والقدر أن نحفظ بهمتنا فطوبى لمن رآني أو رأى من رآني إلى سبعة وأنا حسرة على من لم يرني وحدث عنه جماعة من الثقات من أولياء الله أنه ضمن لمريديه إلى يوم القيامة أن لا يموت أحد منهم إلا على توبة وأعطى أن مريديه يدخلون الجنة إلى سبعة. قال البزار: وحدث أن سيدي عبد القادر قال عثر الحلاج فلم يكن في زمانه من يأخذ بيده ولو كنت في زمانه لأخذت بيده وأنا لكل من عثر به مركوبه من أصحابي ومريدي ومحبي إلى يوم القيامة آخذ بيده وأقول يا هذا فرسي مسروج ورمحي مُصَوَّبٌ وقوسي مَوْتُورٌ وأنت غافل. وقال رضي الله عنه: عندي في كُلِّ أَرْضٍ حَيْلٌ لَا تُسَابِقُ وَعندي في كُلِّ جَيْشٍ سُلْطَانٌ لَا يُخَالَفُ وَعندي في كل منصب خليفةٌ لَا يُعْزَلُ، وَسَمِعَ رضي الله عنه يقول أعطيت سجلا مد البصر فيه أسماء أصحابي ومريدي إلى يوم القيامة وَقِيلَ لي قد وَهَبُوا لَكَ. قال وسألت مالكا خازن النار هل عندك أحد من أصحابي قال [إلى] لا. وقال رضي الله عنه لئن أعطاني الله منزلة عنده لأُخَدِّنَ من ربي عهدا لمريدي إلى يوم القيامة أن لا يموت أحد منهم إلا على توبة ولَأَكُونَنَّ بذلك ضمينا له.

قال الشيخ حماد الدباس أَشْهَدَنِي اللهُ سَيُعْطِيهِ ذَلِكَ وَيَبْسُطُ ظِلَّ جَاهِهِ عَلَيْهِمْ [94و] وسئل رضي الله عنه عن فضل من انتمى إليه فقال البيضة منا بألف والفرخ ما يقوم قال الْقَبْلُوبِي إن من تمسك بذيله نجا. قال عدي بن مسافر كل من سألني من أصحاب

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ك).

المشايع أن ألبسه خرقة فعلت ذلك به إلا أصحاب الشيخ سيدي عبد القادر رضي الله عنه فإنهم منغمسون في الرحمة. قال القشيري: كان معروف الكرخي أستاذ السري السقطي فقال له يوماً إذا كانت لك إلى الله حاجة فاقسم عليه بي. قال أبو محمد البغدادي رأيت معروفاً في النوم تأتيه قصص الناس وهو يعرضها على الله فقال لي يا شيخ داود هات قصتك أعرضها على الله فقلت وشيخي أقد عزلوه؟! يعني الشيخ سيدي عبد القادر فجننت لداره لأخبره فناداني من داخل الدار قبل أن أراه أو أكلمه، يا داود شيخك لا يعزلونه وهات قصتك أعرضها على الله وعزة ربي وجلاله ما عرضت لأصحابي ولا لغيرهم قصة فرددت علي مسألة فيها. وجلس أبو النجيب يوماً بين يدي سيدي عبد القادر وتأدب معه أدبا عظيماً فقبل له في ذلك فقال وكيف لا أتأدب معه وهو له الوجود التام وقد صرف في وجود الملك ويوحى به في وجود الملكوت وانفرد في عالم الكون وكيف لا أتأدب مع مَنْ صرّفه مَالِكِي في قلبي وحالي وفي قلوب الأولياء وأحوالهم إن شاء أمسكها وإن شاء أرسلها وقيل للشيخ موسى الزوني ما رأينا مثل احترامك وأدبك للشيخ سيدي عبد القادر فقال هو خير الناس في زماننا هذا وسلطان الأولياء وسيد العارفين في وقتنا وكيف لا أتأدب مع من تأدبت معه ملائكة السماء.

وسمع الرفاعي يقول: وهل أنا إلا من رعية الشيخ سيدي عبد القادر وقال: ذلك رجل بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن يساره ومن أيهما شاء اغترف ولا ثاني له في وقتنا هذا. وقيل للشيخ عقيل المنجبي إنه اشتهر ببغداد أمر شاب أعجمي شريف اسمه عبد القادر فقال إن أمره في السماء أشهر منه في الأرض ذلك الفتى الرفيع العلا وسينفرد<sup>1</sup> في وقته وسيرد<sup>2</sup> إليه الأمر. قال [حماد]<sup>2</sup> الدباس رأيت على رأس الشيخ سيدي عبد القادر علمين قد نصبوا من البهמות الأسفل إلى الملكوت الأعلى وسمعت الشاويس يصيح له في الملكوت

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ. ولعله يقصد: سيفرد.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين سقط من (ب).

الأعلى بألقاب الصديقين ولقيه النعال يوما وهو شاب فقال له مرحبا بالجبل الراسخ والطود المنيف الذي لا يتحرك وأجلسه إلى جنبه.

وقال علي بن وهب أنه من أعيان الدنيا وهو أحد أفراد الأولياء، من تحف الوجود، طوبى لمن رآه ، طوبى لمن جالسه، طوبى لمن بات في خاطره. وقال أيضا هو من هدايا الله إلى الكون. وسمع الشيخ أبو يعزى يقسم بالله أنه لم يخلق في العجم بأسره مثله وأن المشرق ليفضل على المغرب به وأن علمه ونسبه قد ميزاه عن الأولياء واستأذن أبا يعزى بَعْضُ أصحابه في المسير إلى بغداد فقال له أبو يعزى إذا أتيت لبغداد فلا تفوتك رؤية [94ظ] رجل بها شريف أعجمي يسمى سيدي عبد القادر فإذا رأيته فسلم عليه مني واسأله في الدعاء، وقال له لا تنس أبا يعزى من قلبك فإنه والله لم يخلق في العجم بأسره مثله، وإنك لن ترى في العراق مثله، وأن المشرق ليفضل على المغرب به، وأن علمه، ونسبه، قد ميزاه. وسمع عزاز بن مستودع يقول دخل بغداد شاب شريف اسمه سيدي عبد القادر وسيبرز في هيبة المقامات ويظهر في جلائل الكرامات، ويسطو بعزه الحال ويسلم إليه الكون، وجميع من فيه من الفاضل والمفضول، وله قدم راسخ في التمكين، تقدم به في القدم، وأنه من أرباب المراتب التي فانت كثيرا من الأولياء. ودخل في صغره على الشيخ منصور فنظر إليه وقال سيأتي على هذا زمان يفتقر إليه وتعلو منزلته بين العارفين ويموت وهو أحب أهل الأرض إلى الله ورسوله في ذلك الوقت فمن أدركه منكم فليعرف حرمة وليعظم قدره.

وحكى ابن الهيثي عن أبي الوفاء أنه كان يتكلم على كرسية فدخل الشيخ سيدي عبد القادر وهو يومئذ شاب فقطع كلامه وأمر بإخراجه ثم عاد لكلامه فدخل عليه أيضا فأمر بإخراجه ثم دخل عليه ثانية فنزل إليه عن كرسية فاعتقه وقبله بين عينيه وقال قوموا لولي الله ما أمرت بإخراجه إهانة له ولكن لتعرفوه وعزة المعبود لقد علا رأسه سنا حبي قد تجاوزت دبابتها المشرق والمغرب وقال له الوقت لنا وسيصير لك وقد وهبوك العراق كل ديك يصيح

ويسكت إلا ديك فإنه يصيح إلى يوم القيامة وأعطاه السجادة وقميصه ومسبحته وقصعته وعكازه فلما انقضى المجلس أمسك يد الشيخ سيدي عبد القادر وقال له على رؤوس الناس لك وقت فإذا جاء فاذكر هذه الشيبة وقبض على كربتته وقد أعلم المشايخ بمنزلته قبل ظهوره فمن ذلك ما ذكره الشنبكي عن شيخه ابن هواره أنه قال: أوتاد الأرض بالعراق ثمانية: "معروف الكرخي، وأحمد بن حنبل، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار، والجنيد، والسري السقطي، وسهل بن عبد الله، وعبد القادر" قال قلت له ومن عبد القادر فقال لي شريف أعجمي سيظهر ببغداد في القرن الخامس، سيدي عبد القادر الذي سوف يظهر بالعراق ويقص علي خبره ثم كوشفت بمقامات الأولياء فإذا هو في صدورهم، وكوشفت بمقامات المقربين فإذا هو من أعلاهم، وكوشفت بأطوار المكاشفين فإذا هو من أجلهم، وسيظهره الله مظهراً لا يظهر فيه إلا الصديقون والمريدون والعلماء بالله، وهو من يقتدى بأقواله وأفعاله، وهو ممن يباهي الله به الأمم يوم القيامة. قال البزار: استأذنت الشيخ سيدي عبد القادر رضي الله عنه مرة في زيارة عدي بن مسافر فأذن لي فلما جئته قال لي [95و]: تركت البحر وجئت لساقية يا بني الشيخ سيدي عبد القادر مالك أزمة الأولياء كلهم وقائد رايات المحبين بأسرهم في هذا الوقت. وقيل للشيخ سيدي عبد القادر يوماً إنا نسمع صراخ ميت في قبره فقال أَلَيْسَ مِنْ خِرْقَةٍ، أَحْضَرَ مَجْلِسِي، أَصَلَّى خَلْفِي؟ قالوا: لا نعلم. قال: المفرط أولى بالخسارة، وأطرق ساعة تجلله الهيبة ويعلوه الوقار، ثم قال: إن الملائكة قالت لي إنه رأى وجهك وأحس بك الغد فرجم بذلك وجاءه شاب بغدادي مات أبوه فقال رأيت البارحة في النوم وذكر أنه يعذب في قبره وسألني أن أتيك لتدعو له. فقال له أعبّر والدك على مدرستي؟ فقال نعم، فسكت فعاد الشاب من الغد فرأيت البارحة مستبشراً وعليه حلة خضراء فقال لي رفع عني العذاب وكسيت ما تراه ببركة الشيخ سيدي عبد القادر. فعليك بملازمته نفعنا الله تعالى ببركاته. وقال سيدي عبد القادر وعدني ربي أن يخفف العذاب علي كل من عبر علي



مدرستي من المسلمين وقال أيما امرئ عبر على باب مدرستي خفف من عذابه يوم القيامة انتهى.

قلت: وهذا من عناية جده سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبیبنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشاهده ما ذكره سيدي الرصاع ونصه "يحكى أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري فقالت له إن ابنتي ماتت ورأيتها في النوم وعليها لباس القطران والغل في عنقها والقيود في رجليها فارتعبت من ذلك فاهتم الحسن البصري من أجل ذلك فلم تمض إلا مدة يسيرة حتى رآها الحسن في الجنة على سرير وعلى رأسها تاج فقالت يا شيخ أما تعرفني قال: لا. قالت: أنا المرأة التي أنتك أُمِّي وأخبرتكَ أنها رأيتني في العذاب والأنكال والأغلال والقيود قال فما سبب أمركَ قالت مر بنا رجل فصلى على النبي ﷺ وكان بمقبرتنا خمسمائة وخمسون إنسانا في العذاب فنودي ارفعوا العذاب عنهم ببركة هذا المصلي على النبي ﷺ فارتفع العذاب عنا بالصلاة عليه ﷺ وعلى من كان منه وإليه انتهى منه باختصار. ثم قال سيدي موسى المذكور: وذكر الموصلي عن أبيه قال: رأيت في النوم ببغداد بمدرسة الشيخ سيدي عبد القادر رضي الله عنه مكانا عظيم السعة وفيه مشايخ البر والبحر والشيخ في صدورهم ومن الأشياخ من على رأسه عمامة ومنهم من فوق عمامته طرحة ومنهم من فوق عمامته طرحتان وفوق عمامة الشيخ سيدي عبد القادر ثلاثة فبينت في الثلاثة ما هي فاستيقظت مبكرا فإذا هو قائم على رأسي فقال يا بني: طرحة تشريف علم الشريعة، وطرحة تشريف علم الحقيقة، وطرحة تشريف علم الشرف. وجاء الشيخ علي بن إدريس اليعقوبي لمجلس سيدي عبد القادر فقال له سيدي عبد القادر بمحضر فقراء فضلاء: أقصص [95ظ] عليهم رؤياك. فقال: رأيت القيامة قد قامت والأنبياء وأمهم قادمون الموقف ويتبعون بعض الأنبياء الرجل والرجلان ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أقدمه أمة كالسيل وفيهم المشايخ ومعه خلق كثير يفضلون غيرهم فسألت عنهم فقيل هذا الشيخ سيدي عبد القادر وأصحابه

فتعديت إليه وقلت سيدي ما رأيت في المشايخ أبهى منك ولا في أتباعهم أبهى من أتباعك  
فأنشد: [الطويل الثالث]

إِذَا كَانَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي عَشِيرَةٍ عَلَاهَا      وَإِنْ ضَاقَ الْخِنَاقُ حَمَاهَا  
وَمَا خَيْرَتُ إِلَّا وَأَصْبَحَ شَيْخَهَا      وَمَا افْتَخَرْتُ إِلَّا وَكَانَ فِتَاهَا  
وَمَا ضُرِبَتْ بِالْأَبْرِيْقَيْنِ خِيَامُنَا      فَأَصْبَحَ مَأْوَى الطَّارِقِينَ سِوَاهَا

وكان الشيخ محمد الواعظ الخياط حاضرا وقت ذكر هذه الأبيات فقال له بعض

الأشياخ أنشدنا في هذا المعنى على لسان الشيخ سيدي عبد القادر فقال: [الطويل الأول]

هَنِيئًا لِيَصْحَبِي أَنَّنِي قَائِدُ الرَّكْبِ      أَسِيرُ بِهِمْ قَصْدًا إِلَى الْمَنْزِلِ الرَّحْبِ  
وَأَكْفُهُمْ وَالْكُلُّ فِي شُغْلِ أَمْرِهِ<sup>1</sup>      وَأُنزِلُهُمْ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ مِنْ قَرْبِ  
وَلِي مَعَهْدٌ كُلُّ الطَّوَائِفِ دُونَهُ      وَلِي مَنَهْلٌ عَذْبُ الْمَشَارِبِ وَالشُّرْبِ  
وَأَهْلُ الصِّفَا يَسْعَوْنَ خَلْفِي كُلُّهُمْ      وَلِي هِمَّةٌ أَمْضَى مِنَ الصَّارِمِ الْعَضْبِ

قال الشيخ [بقاء بن بطوس]<sup>2</sup> حضرت مجلس الشيخ [سيدي]<sup>3</sup> عبد القادر [رضي الله

عنه]<sup>4</sup> مرة فبينما هو يتكلم على المرقاة العليا من كرسيه إذ قطع كلامه وسهى ساعة ونزل  
للأرض ثم صعد وجلس [عليها]<sup>5</sup> على المرقاة الثانية فشاهدت العليا اتسعت مد البصر  
وفرشت من السندس الأخضر وجلس عليها رسول ﷺ والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم وتجلى

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (د): "أمرهم".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د). وقد وجدته في كتب الفهارس هكذا (بقاء بن بطوس) بدون زيادة حرف السين ولعل إضافته إلى اسمه من باب النسبة إلى اسم القرية "نانبوس" مسقط رأسه. وجاء تعريفه في كتب الفهارس هكذا: الشيخ بقاء بن بطو هو من أعيان مشايخ العراق صاحب الأحوال والمقامات الجليلة والكرامات الباهرة. كان الشيخ عبد القادر الجيلي يثني عليه كثيرا، وتتلذذ له خلائق من الصلحاء، والعلماء. سكن نانبوس قرية من قرى نهر الملك وبها توفي قريبا من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وقبره بها ظاهر يزار. "الشعراني": الطبقات الكبرى. ج1/ص261. وترجم له أيضا "عيسى صفاء الدين القادري": جامع الأنوار في مناقب الأخيار. ص553.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>5</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ك). ولا معنى لها. فهي محض سهو من الناسخ.

الحق سبحانه على قلب الشيخ سيدي عبد القادر فمال حتى كاد أن يسقط فأمسكه<sup>1</sup> النبي ﷺ فتضاءل حتى صار كالعصفور ثم نما حتى صار على صورة هائلة ثم توارى عني.

### [تشكل الأرواح]:

فسئل الشيخ بقاء بن بطوس عن رؤية الرسول ﷺ [وأصحابه]<sup>2</sup> فقال: أرواحهم تشكلت وأن الله أيدهم بقوة يظهر بها فيراهم مَنْ قَوَّى اللهُ إِدْرَاكَهُ فيراهم في صورة الأجساد وصفات الأعيان بدليل حديث المعراج. وسئل عن تضاؤل الشيخ ونموه فقال كان التجلي الأول صفة لا يثبت لديها بشر إلا بتأييد نبوي فلذلك كاد<sup>3</sup> أن يسقط لولا أن تداركه رسول الله ﷺ. والتجلي الثاني بصفة الجلال من حيث موصوفه [96] فلذلك تضاءل. وكان التجلي الثالث بصفة الجمال من حيث مشاهدته فلذلك انتعش ونما. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ [جَعَلَهُ دَكًّا]<sup>4</sup>﴾<sup>5</sup> الآية. وهذا مع صلابته وقوته وكان الشيخ سيدي عبد القادر رضي الله عنه كثيراً ما يخطو في الهواء خطوات في مجلسه على رؤوس الناس ثم يرجع لكرسيه.

وذكر عن الشيخ الصالح القيلوبي أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في مجلس الشيخ سيدي عبد القادر وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مرات وأن السيد [ليشرف عبده]<sup>6</sup> وأن أرواح الأنبياء لتجول في السموات جولان الرياح في الآفاق ورأيت الملائكة يحضرونه طوائف بعد طوائف ورأيت أبا العباس الخضر يحضره كثيراً وقال من أراد الفلاح فعليه بملازمة سيدي عبد القادر وقرأ الشريف بن عمر يوماً بين يدي الشيخ سيدي عبد القادر "ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك" فقال الشيخ سيدي عبد القادر وإنا إلى كم وإنا لنحن

<sup>1</sup> - كذا في (ب) و(د). وفي (ك): "فأمسك".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د). وفي (ب): "صحابه".

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "وأراد أن يسقط. والمعنى بهذا لا يستقيم".

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د) عمداً للاختصار وكتب بدلها (الآية).

<sup>5</sup> - سورة الأعراف: الآية (143): ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

<sup>6</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د) وفيه بياض أشار إليه الناسخ.

المسبحون أفشأتم<sup>1</sup> أسراركم وكنتمنا فالقرب يفنينا والرؤية تميتنا فمن يعبرنا فرفع رأسه وقال انزلوا يا ملائكة ربي واحضرونا فرما كان جمعنا أكثر من جمعكم .وحكى محمد بن الخضر الحسني عن أبيه أنه قال خدمت الشيخ سيدي عبد القادر ثلاث عشرة سنة ما رأيت فيه تمخط ولا تتخع ولا وقعت عليه ذبابة وكان إذا قال مضى<sup>2</sup>المقال ووعظنا بالحال فيضطرب الناس بجلالته ويسمعون وقت كلامه في الفضاء حسا وصياحا وربما سمعوا وجبة ساقط من الجو لأرض المجلس وذلك رجال الغيب وغيرهم قال الشيخ مطر البدرالي سمعت أبي يقول لما حضرت والدي الوفاة قلت له بمن اقتدي بعدك؟. فقال لي بالشيخ سيدي عبد القادر، فأتيت بعد موته مجلس الشيخ سيدي عبد القادر فوجدت فيه "بقاء بن بطو"<sup>3</sup> و"القيلوبي" و"ابن الهيتي"، وغيرهم من الأعيان والمشايخ الصالحة، وسمعته يقول لست كوعاظكم إنما أنا بأمر الله وإنما كلامي على رجال في الهواء وجعل يرفع رأسه للهواء فرفعت رأسي للفضاء فإذا فيه صفوف رجال من نور على خيل من نور قد حالوا بين نظري وبين السماء من كثرتهم وهم مطرقون، منهم من يبكي، ومنهم من يردد، ومنهم من في ثيابه نار، فغشي علي فقمتم أغدو وأشق الصفوف حتى صعدت إليه فأمسك بأذني وقال لي أما اكتفيت بوصية أبيك؟. وذكر ابنه عبد الوهاب أن أباه سيدي عبد القادر كان يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بالمدرسة، بكرة الجمعة، وعشية الثلاثاء، ومغرب يوم الأربعاء، ويحضر موعده العلماء، والفقهاء، والمشايخ الصالحة، وكان يقرأ في مجلسه قارئان أخوان قراءة مرتلة مجودة بغير لحن ولا ألحان، وكانت [96ظ] الملائكة والجن تحضر مجلسه الشريف، ولم يخل ممن يتوب أو من يسلم، وكان "مسعود الهاشمي" يقرأ في مجلسه فيموت فيه الرجل والثلاثة ويقيد نفيس كلامه وآثاره الشريفة في مجلسه أربعمئة عالم وتصدر للتدريس والفتيا بمدرسته ثلاثا وثلاثين

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(د) و(ك)، وفي (ب): أفشيتم وهو الصواب.

<sup>2</sup> - في (ب): أمضى.

سنة أولها عام ثمانية وعشرين وخمسمائة ومازال الأئمة يأتون مجلسه لينتقدوا عليه فيظهره الله عليهم ويلهمه مواقع الحجج.

ولما اشتهر أمره ببغداد اجتمع إليه من أعيان علمائها مائة عالم وأجمعوا أن يسأله كل واحد منهم مسألة في فن من الفنون غير مسألة صاحبه ليقطعوه بذلك فأتوا مجلس وعظه. قال "ابن الهيثمي" وكنت يومئذ فيهم فلما استقرَّ بهم المجلس أطرق ساعة فظهرت من صدره بارقة من نور لا يراها إلا من شاء الله ، ومرت على صدور المائة لا تمر على أحد منهم إلا وَيَبْهَتْ وَيَضْطَرِبُ فصاحوا صيحة واحدة ومزقوا وكشفوا رؤوسهم وصعدوا إليه ووضعوا رؤوسهم على قدميه، وضج أهل المجلس ضجة ظننت أن بغداد رجَّت لها فصار يضمهم إلى صدره واحدا بعد واحد ثم قال لأحدهم أما أنت فمسألتك كذا وكذا وجوابها كذا وكذا، حتى ذكر لكل واحد مسألته وجوابها. قال فلما انقضى المجلس قلت لهم ما شأنكم؟ قالوا: عندما جلسنا فقدنا جميع ما نعرفه من العلم حتى كأنه نُسِخَ منا فلما ضمنا لصدره رجع لكل واحد منا ما نُزِعَ منه من العلم ولقد ذكرنا مسائلنا التي أتينا بها لمعارضته وذكر لنا فيها أجوبة لا نعرفها وسمع منه رضي الله عنه وهو يقول افتقر إليَّ كل من قرأت عليه فنا من فنون الشريعة على أقرانه ولم يقدر أحد على معارضته بتأييد إلهي وإذا مضى يوم الجمعة للجامع ازدحم الناس لرؤيته وسألوه من الله حوائجهم وعطس يوم الجمعة فشمتته الناس حتى سمعت ضجة في الجامع فاتقى الخليفة من جانبه فأمر بإخراجه من بغداد فمشى فلما كان عند باب المدينة رفع طرفه إلى السماء وقال: [الطويل الثالث]

أَضْمًا وَأَنْتَ الْعَدْبُ فِي كُلِّ مَوْرِدٍ وَأُظْلَمُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ نَصِيرِي<sup>1</sup>

إلى أن قال:

وَعَارٌّ عَلَى حَامِي<sup>2</sup> الْحَمَى وَهُوَ قَادِرٌ إِذَا ضَاعَ فِي الْبَيْدَاءِ عِقَالُ<sup>1</sup> بَعِيرِي

<sup>1</sup> - ملاحظة: لقد كرر المؤلف الاستشهاد بالبيتين بعد ذكرهما في ص(30و)

<sup>2</sup> - كذا في (ب) و(د). وفي (ا) و(ك): "جار".

فانبعثت ريح شديدة وظلمة ورعد عاصف حتى أسقطت عدة حوامل فتلافاه الخليفة واعتذر إليه مما وقع فيه ورده مكرماً. قال "النهر ملكي"<sup>2</sup>: سمعت أن الشيخ سيدي عبد القادر لا تنزل عليه ذبابة، فسرت لمجلسه فلما رأي قال يا بني أي شيء تفعل الذبابة عندي؟ لادنس الدنيا ولا عسل الآخرة. فقال ابن نجاح الأديب قلت في نفسي أن أحصي كم يقص الشيخ سيدي عبد القادر في مجلس وعظه من الشعر فحضرت ومعني خيط كلما قص شعراً عقدت عقدة في الخيط [97و]تحتي وإذا به يقول أنا أحل وأنت تعقد ومكاشفاته رضي الله عنه ونفعنا به كثيرة عجيبة أثيرة وذكر عنه بعض أولاده أنه قال وعزة العزيز ما تكلمت حتى قيل لي بحقي عليك تكلم نسمع منك وكان له لسان عال على لسان أهل الحقائق لا يدرك شأوه إذا تكلم يأتي بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة وكان إذا سئل عن مسألة بمجلس وعظه ربما قال حتى أستأذن في الكلام عليها وأناظر، فتجلله الهيبة ويعلوه الوقار، ثم يتكلم عليها بما شاء الله ويذكر في مدرسته درساً من التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف وكان يتكلم في ثلاثة عشر علماً ويقراً عليه النهار التفسير وعلوم الحديث والمذهب والنحو وبعد الظهر يُجَوِّد عليه القرآن، وكان يفتي بمذهب الشافعي والحنبلي، وكانت الفتاوى تأتي إليه من بلاد العراق وغيرها، وما تبيت عنده ليطالع عليها ويفكر فيها وكانت تعرض على علماء العراق فما كان تعجبهم من جوابه بأشد من تعجبهم من سرعته فيه وكان يلبس لباس العلماء وينط ويركب البغلة وترفع الغاشية بين يديه وإذا قال أنصت لكلامه وإذا أمر ابتر لأمره وإذا أبصره غليظ القلب لَأَنَّ وَحْشَعَ، وكان يتكلم على كرسي عال وفي كلامه سرعة وجهر فكان أقصى من في مجلسه يسمع صوته كما يسمعه أديبهم إليه على كثرتهم.

<sup>1</sup> - كذا في (ب) و(د). وفي (أ) قيد بعيري". وفي (ك): وردت مصححة فوق الشطر (البيدا عقال بعيري).

<sup>2</sup> - الشيخ مكارم النهر ملكي قدس سره من عظماء الأكابر الأساطين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، انتهت إليه تربية المريدين. توفي في زمن الناصر لدين الله الخليفة العباسي سنة اثنين وتسعين وخمسمائة هجرية. ودفن على أربع فراسخ من بغداد. ينظر: جامع الأنوار في مناقب الأخيار: عيسى صفاء الدين البندنجي. ص414.

وذكر الجبائي عن الشيخ سيدي عبد القادر أنه قال: تمنيت أن أكون في البراري كما كنت أولاً لا أرى<sup>1</sup> الخلق ولا يروني، ثم قال: أراد الله بي منفعة الخلق فإنه قد أسلم على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى وتاب على يدي من العصاة أكثر من مائة ألف وهذا خير.

قال عمر الكيماني لم تكن مجالس الشيخ تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى، ولا من يتوب عن قطع الطريق وقتل النفس وغير ذلك من الفساد، ولا ممن يرجع عن معتقد سيء من الرافضة وغيرهم. قال وأتى الراهب للشيخ وأسلم في مجلسه. ثم قال للناس أنا رجل يمانى وقع الإسلام في نفسي، ووقع غرضي أن لا أسلم إلا على يد خير أهل اليمن، فجلست متفكراً رأيت المسيح عليه السلام في النوم فقال يا وسناه اذهب لبغداد وأسلم على يد الشيخ سيدي عبد القادر فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت وأتاه ثلاثة عشر رجلاً من نصارى المغرب فأسلموا<sup>2</sup> في مجلس وعظه، وقالوا كنا نتردد فيمن نقصده لنسلم على يده فهتف بنا هاتف نسمع كلامه ولا نرى شخصه أيها الركب ذو الفلاح ايتوا بغداد وأسلموا على يد الشيخ [سيدي عبد القادر]<sup>3</sup> فإنه يقع في قلوبكم من الإيمان عنده ببركته ما لم يقع فيها عند غيره في هذا الوقت من سائر الناس قال البزار قيل للشيخ سيدي عبد القادر رضي الله عنه عن بعض مريديه أنه يقول رأيت الله بعين رأسي فاستدعاه الشيخ وسأله عن ذلك فقال نعم فانتهره ونهاه عن ذلك وأخذ عليه أن لا يعود إلى ذلك فقيل للشيخ أمحق هو أم مبطل فقال بل محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال [97ظ] ثم خرق من بصيرته إلى بصره فنفذ فرأى بصره ببصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأى ما شهدته بصيرته وإنما رأى بصيرته وهو لا يدري قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ

<sup>1</sup> - في (ك): كما كنت أولاً أرى الخلق ولا يروني.

<sup>2</sup> - في (ا) و(ك): فأجلسوا.

<sup>3</sup> - مابين المعقوفين زيادة من (ب) و(د).

لَا يَبْغِيَانِ (20) <sup>1</sup> وَأَنْ اللهُ يَبْعَثُ بِمَشِيئَتِهِ عَلَى يَدِ أَلْفَافِهِ أَنْوَارَ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ إِلَى قُلُوبِ عِبَادِهِ فَيَأْخُذُ مِنْهَا مَا تَأْخُذُ الصُّورُ مِنَ الصُّورِ وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ رِذَاءَ كِبْرِيَاءَتِهِ الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى انْخِرَاقِهِ وَحَضَرَ كَلَامَهُ هَذَا جَمْعٌ مِنْ مَشِيخَةِ الْعُلَمَاءِ فَأَطْرَبَهُمْ سَمَاعُ هَذَا الْكَلَامِ وَدَهَشُوا مِنْ حَسَنِ فَصَاحَتِهِ فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالِ التَّلْمِيزِ فَكَيْفَ حَالِ الشَّيْخِ.

قال القشيري: الأقوى في رؤية الله اليوم بالأبصار أنها لا تجوز لحصول الإجماع عليه وحكى "ابن فورك" <sup>2</sup> عن "الأشعري" في ذلك قولين وتكلم الشيخ سيدي عبد القادر يوماً في مجلسه فرأى في بعض من حضر قبره فقال: لو أراد الله سبحانه أن يرسل طيوراً خضراء تسمع كلامي لفعل، فلم يتم كلامه حتى امتلأ المجلس بها فرأها كل من حضر وعم الناس يوماً من كلامه هيبية وخشوع فمر بهم طائر عجيب الخلقة فالتفت بعضهم ينظر إليه فقال الشيخ وعزة المعبود لو شئت أن أقول له مت قطعاً لمت فما استتم كلامه حتى مات الطائر وسقط قطعاً قطعاً. وحفظ عن الشيخ سيدي عبد القادر أدعية كان يدعو بها بعد تمام مجلسه فمنها: اللهم إنا نعوذ بوصولك من صدك وبقربك من طردك وبقبولك من ردك واجعلنا يا رب من أهل طاعتك وودك وأهلنا لشكرك وحمدك انتهى من سيدي موسى المذكور.

قلت: وهذا الذي ذكره سيدي موسى المذكور في مناقب إمام العارفين وريحانة المختارين وسيد الأولياء أجمعين سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدي عبد القادر كنقطة من بحر فمن أراد استيعاب مناقبه وكراماته وعجائبه وأجوبته وثناء المشيخة الصالحاء عليه وتعظيمهم له وأخبارهم بظهوره قبل ذلك ووصيتهم بخدمتهم له من تلامذتهم وأصحابهم وأنه لا ثاني في وقته وغير ذلك فليُنظر الشطنوفي رحمهم الله ونفعنا بهم أجمعين آمين يا رب العالمين .

<sup>1</sup> - سورة الرحمن: الآيتان: 19-20.

<sup>2</sup> - ابن فورك: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، الأصبهاني المتكلم المفسر الفقيه الأصولي النحوي الأديب له ما يقرب من مائة مؤلف في أصول الدين والفقه والعقيدة ومعاني القرآن وعلم الحديث، اعتبره ابن الأثير من المجددين في الإسلام، أقام بالعراق مدة ثم انتقل إلى نيسابور، وقيل أنه سم في الطريق ومات بقرب بست ودفن بالحيرة سنة 406هـ/1015م. ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. ar.wikipedia.org/ تاريخ النقل: 2023/03/17م على الساعة 1 صباحاً و32د.



ثم قال سيدي موسى المذكور: وبين المتأخرين كلام في كراهية الدعاء إثر الفراغ من المكتوبة بهذه الصورة الاجتماعية فمنهم من كرهه ومنهم من أجازته قلت: وقد صليت مع بعض فقهاء بني راشد فلم يدع بعد الفراغ من الفريضة فقلت له ولم لا تدعو بعد الفريضة فقال: الدعاء بعدها بدعة فأتيته بجواب الإمام الفحل ابن عرفة حين سئل عن خطيب لا يدعو بعد الصلاة فأجاب بأن الدعاء عبادة شرعية إلى آخر جوابه كما قدمناه قبل هذا فقال: ليس هذا نص صريح<sup>1</sup>، ثم جئته بجواب ابن عرفة ثانياً في جوابه لأهل "سلا"<sup>2</sup> ونص السؤال والجواب ما يقول سيدنا أمتع الله به الإسلام في إمام الصلاة إذا فرغ منها هل يدعو ويؤمن المأمومون<sup>3</sup> أم لا؟، فإنه قد اشتهر ببلاد المغرب في بعض نواحيه كراهية هذه الصفة فقد يصلي الإمام في بعض المواضع ولا يدعو [98و] فتشتمز قلوب المأمومين<sup>4</sup> فالغرض من سيدنا بيان الحكم في ذلك وإزالة الإشكال بما أمكن والسلام عليكم. مضى عمل من يقتدى به في العلم والدين من الأئمة على الدعاء بأثر الذكر الوارد تمام الفريضة وما سمعت من ينكره إلا جاهل غير مقتدى به. ورحم الله بعض الأندلسيين<sup>5</sup> فإنه لما أنهى إليه ذلك ألف جزءاً في الرد على منكبيه وَخَرَجَ عبد الرزاق عن النبي ﷺ أنه سئل أي الدعاء أسمع؟. قال: شطر الليل الآخر وأدبار المكتوبة. وصححه عبد الحق وابن القطان وذكر الإمام الراوية<sup>6</sup> المحدث أبو الربيع<sup>7</sup> في "مصباح الظلام" عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال من كانت له إلى

1 - كذا وردت بالرفع في جميع النسخ. والصواب: "نصاً صريحاً" بالنصب على الخبرية.

2 - سلا: مدينة مغربية توجد بالقرب من مدينة الرباط عاصمة البلاد المغربية، ويحدها من الناحية الشمالية إقليم القنيطرة، ومن الناحية الشرقية إقليم الحميسات، وتصل مساحتها إلى حوالي 95.48 كم<sup>2</sup>، ويعيش عليها ما يقارب مليون نسمة.

3- في (ب) و(د): "ويؤمن المأموم".

4- في (ب) و(د): "المؤمنين".

5 - كذا في كل النسخ.

6 - في (ك) و(د): "الرواية".

7 - الكلاعي، أبو الربيع (634-565 هـ، 1170-1237م). أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري محدث الأندلس وبلغها في عصره. من أهل بلنسية، ينظر: الأعلام: خير الدين الزركلي، ط5، ج5. دار العلم للملايين. بيروت. 1980. ص230.

الله حاجة فليسأله دبر كل صلاة مكتوبة والله حسيب أقوام ظهر بعضهم ولا يعلم لهم شيخ ولا لديهم مبادئ العلم الذي يفهم به كلام العرب والكتاب والسنة يفتون في دين الله بغير نصوص [والسلام] انتهى من نوازل مازونة.

فقلت له: أما اكتفيت بهذا؟ فتماذى على إنكاره ثم قلت له: ولقد رأيت شيخنا الإمام الحجة أبا العباس سيدي أحمد بن عيسى البسكري رحمه الله يدعو بعد الفريضة بعد أن يسبح ثلاثاً وثلاثين ويحمد ثلاثاً وثلاثين ويكبر مثل ذلك ويختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له مدة قراءتي عليه بمسجد الخندق من بلد "مستغانم" حرسها الله، وكذلك غيره من علمائها وقتئذ، فلم يلتفت إلى جميع ذلك. ثم بعد مدة وجدت بخط من يوثق به أنه نقل عن السيد الإمام العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي نفعنا الله به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى استقبل القوم بوجهه وبسط يديه ودعا. قال: وقول من قال بكراهية الدعاء بأثر الصلاة من أهل العلم محمول على أنه لم يطلع على هذا الحديث انتهى.

**فائدة:** وعقد التسبيح باليمنى نقله الحبشي انتهى. وذكر لي شيخنا الإمام البسكري المذكور أن الجزولي الكبير في شرحه على "الرسالة" نص على مثل ذلك انتهى. ثم قال سيدي موسى ابن عيسى المذكور رحمه الله وقد أجاز مالك رفع اليدين في الدعاء في مواطن الدعاء وقال رأيت عامر بن عبد الله يرفعهما وهو جالس بعد الصلاة يدعو. قال مالك: ولا يرفعهما جدا.

### [أفضل أوقات الدعاء]:

ثم قال: ومن الأوقات المرجو<sup>2</sup> فيها الإجابة يوم عرفة، للحديث أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ورمضان ويوم الجمعة لاسيما بعد الفراغ من الخطبة وإقامة الصلاة. فقد قيل إنها

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين زياده في: (ك).

<sup>2</sup> - كذا في (ب) و(د). وفي (ك): "المرجوة".

الساعة التي قال فيها عليه الصلاة والسلام « في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها [98ظ] عبد مسلم<sup>1</sup> وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه »<sup>2</sup>. وعند السحر وصراخ الديكة ونزول المطر وتزاحم الصفوف في سبيل الله وبين الآذان والإقامة وعند إقامة الصلوات وفي السجود وبأثر الفراغ من كل عبادة لاسيما صلاة الصبح فإن من شأن المريدين ودأب الصالحين الشروع بعدها في الذكر والاستغفار والتسبيح والدعاء إلى طلوع الشمس.

### [كيفية الدعاء]:

ولا يدع بالعجمية ويجتنب من الأدعية ما اخترعه الجهال ويحترز من اللحن وليكن الذكر والدعاء بالسكينة والوقار وعلى الآداب الشرعية وليكن صوته فيه بين الجهر والسر<sup>3</sup> وكرهوا المداولة لكونها محدثة فقد جاء: شر الأمور محدثاتها وربما أباحوا ذلك لاجتماع القلوب وليختار الداعي الأدعية الحسنة الجامعة للخيرات بالألفاظ المبينة ثم قال: وكره مالك الدعاء عند ختم القرآن. وأباحه الغزالي وغيره.

### [الدعاء إثر الحرب]:

وسئل ابن الفاسي عن الدعاء إثر الحرب فقال: إنه من الباب الذي يجمع قلوبا مفترقة<sup>4</sup> ويشغل قوماً<sup>5</sup> عن تفرق ما لا سلامة لهم فيه. ثم قال: والمقصود بالذكر والدعاء فهم معناه لا حركة اللسان به انتهى منه [بلفظه رحمه الله]<sup>6</sup>.

### [100] فصل<sup>1</sup> [تابع مناقب الشيخ أحمد بن يوسف]:

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "عبد مؤمن"

<sup>2</sup> - رواه البخاري، في باب الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة (رقم 6400)، ج/3. ص 633. وأخرجه مسلم في صحيحة (رقم 852) ج/6. ص 126.

<sup>3</sup> - في (د): "السر والعلانية".

<sup>4</sup> - كذا في (ب) و(ك). وفي (د): "مفرقات القلوب".

<sup>5</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

<sup>6</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ك).

ومما نقلته من خط الطالب علي بن العباس التمزغراني في مناقب تاج الأوتاد ومصباح البلاد سيدي أحمد بن يوسف الراشدي نفعنا الله ببركته وبنيتي وحيي فيه أمين يا رب العالمين فمن ذلك أن رجلاً من أصحاب الشيخ سيدي أحمد ذهب للحج بلا زاد حتى بلغ الحرمين الشريفين ورجع مع الراكب كذلك إلى أن بلغ برقة فعطش الرجل وذهب الراكب عنه فأشرف على الهلاك وبقي في البادية مصروعاً من أول النهار إلى آخره ثم إنه رأى طيراً وكان من قدرة الله بمجرى العادة أن برقة لم يسكنها الطير قط لقلّة مائها ثم إنه مشى إلى الطير فوجد عنده ماء بلا معدن فشرب منه وحمد الله ثم اتبع الراكب فلحق به في أقل من ساعة وذهب معهم إلى أن بلغ إلى أهله ثم إنه أتى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف يسلم فلما أن سلم عليه أخبره الشيخ بما وقع له في طريق الحج شيئاً فشيئاً فإزداد يقين الرجل في الشيخ سيدي أحمد بن يوسف نفعنا الله به. ومن ذلك أن غازية غارت على مال بعض أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف فأخذوا المال فاستغاثوا بالشيخ فإذا هو في وسط المغيرين يضرب فيهم فهربوا وتركوا المال فأخذه أربابه وعرفوا الشيخ بعينه وذاته وكان بين موضع الشيخ وبين المغار عليهم نحو الخمسة أيام ثم إنهم طلبوا الشيخ فلم يجدوه ومن ذلك أنه استعمل له معجوناً مسموماً فكوشف بذلك، وأمر به أن يطرح في نهر لئلا يؤذي أحداً من عباد الله. ومن ذلك ما ذكره التمزغراني المذكور أنه سمع أنه قال: قال سمعت من الشيخ سيدي أحمد بن يوسف قال: كان واحد من أصحابنا إلتَمَحَ العَرْشَ فوجدته قد أشرف على الهلاك فوكزته برجلي وقلت له تكلتك أمك والله [100ظ] ما هذا إلا نصف الطريق قم وامش قدامك. ومن ذلك ما قاله الشيخ سيدي أحمد بن يوسف للتمزغراني المذكور أنه قال كنت جالسا مع الزروق يوماً فرأيت رأسه يفور بالنور ففهم عني وقال لي يا أحمد هل نظرت رأس شيخك؟ قلت له نعم. ومن ذلك أنه قيل للشيخ سيدي أحمد بن يوسف أن أبا العباس المرسي

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): يبدأ القسم الثاني كجزء مستقل بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ثم ذكر الناسخ مايلي: الجزء الثاني من الشيخ الصباغ رضي الله عنه على مناقب الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي نفعنا الله به أمين. مع ملاحظة وجود خطأ في ترقيم الصفحة الموالية وعض وضع رقم 99 ثم وضع رقم 100. وعليه يجب تصحيح الخطأ واتباع الترقيم السابق.

كان يأتيه البدوي في أول النهار يبول على ساقيه ولا يأتي عليه آخر النهار حتى يوصله إلى مولاه فقال سيدي أحمد بن يوسف الرجال يوصلونه في ساعة إلى الله. قلت: وهذا قليل في حق أولياء الله. ومن ذلك أن الشيخ قال: دخلت القلعة مرة ومعني رجال كثيرون، فقالت امرأة هذا الدجال بعينه، فأصابها جان من خدامنا، وأنطقه الله فيها، وقال لها يا عدوة الله تتقولي في شيخي من قال شيئاً يخرجني منك وأنا نازل بناحية البلدة المذكورة فإذا بزوجها أتى إلي وقال لي يا سيدي العفو قلت وما ذلك فأعاد علي القصة فقلت له ناولني دواة وقرطاساً فكتبت به ومشى به فقرأه على الجني فقال السمع والطاعة لله وللشيخ فخرج من المرأة من ساعته. قلت وقد تقدم عن أبي يعزى ما وقع للشيخ سيدي أحمد نفعنا الله ببركتهما آمين. ومن ذلك أن الشيخ قال أتى إلي جماعة من الفقهاء للمجادلة والاستخبار فقلت لهم يا قوم ما تقولون فيمن دخل هذا الجبل وخرج منه وخرج وجلس وهو جالس معكم هل قدرة الله صالحة لهذا أم لا؟. فقالوا قدرة الله صالحة، فلما سمعوا مقالتي نفروا مني بأنهم آمنوا بقدرة الله وعجزوها وكفروا من حيث لا يشعرون. ومن ذلك أن الشيخ قال كنت صغيراً أمشي مع العوام أمشي معهم بجسمي وقلبي مع ربي ومن ذلك أن الشيخ قال: جميع من أكل معي وشرب أو جالسي أو نظر في لا أسلم فيه غدا يوم القيامة. قلت: وما قاله هذا الشيخ صحيح لقوله عليه الصلاة والسلام: «هم القوم لا يشقى جليهم»<sup>1</sup>. وقوله عليه الصلاة والسلام: «من جالس [عالماً]<sup>2</sup> أو ولياً [متبعاً]<sup>3</sup> فكأنما جالسي». وقد تقدمت حكاية من سمع بولي غفر الله له فكيف بمن صاحب أو رأى. ويشهد له أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة. وقيل لأويس القرني قف واشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر. وقد تقدم عن تاج العارفين سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه أن كل من انتمى إليه يدخله الله الجنة إلى غير ذلك مما خصه الله به. انتهى كلام

<sup>1</sup> - رواه البخاري تحت (رقم 6408). ج 3/ص 635. وأخرجه مسلم في باب فضل مجالس الذكر، تحت (رقم 2689) ج 18/ص 14.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

التمزغراني المذكور ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله ما حدثني به بدوع الكثيري أنه قال: كنا في موضع يقال له "الدَّخْلَان" من بطحاء هوارة [كلاها]<sup>1</sup> الله مع الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله عزيباً<sup>2</sup> على الحرث إلى ذات ليلة استيقظت فرأيت سبعا يضع يدا ويرفع الأخرى برفق فخفت على الخيل [101و] فصحت بأصحابي فإذا هم رقود فلم يستيقظ أحد منهم وكان الشيخ في ناحية الخيمة فصاح بي وقال لي: أقد النار فصرت أحمي النار وأنظر إلى الشيخ فإذا هو يحل لحيته من الظفيرة فعانيت طولها تلك الليلة وأنها تصل إلى صدره أو أكثر وأنا أسرق النظر إليه فقال لي: أنظر أمامك واشتغل يا قادي النار. فلما فرغ من حل لحيته قال لي: ناولني نعلي فناولته إياه فلبسه وخرج، ثم دخل علي وقال لي: لعلك خفت من السبع الذي رأيت إنما أتى إلي وأخذ علي السر يعني به اسم الله العظيم الأعظم. ثم قال بدوع المذكور: وكان الشيخ يقول لنا أسد "الدخلا" أخوكم لا تخافوا منه ونحن لم نفهموا<sup>3</sup> ذلك وهو يشير إلى ما وقع له معه انتهى قلت إياك وإياك يا فقيه من المبادرة بالإنكار على قول سيدي أحمد بن يوسف وأنه أعطى السرّ للأسد وذلك قليل في حقه وحق أولياء الله أمثاله [نفعني الله ببركاتهم]<sup>4</sup>.

### حكاية في المعنى

قال الشنبي كنت أتى أبا بكر ابن هوارة<sup>5</sup> في البطيحة وحده فأجد الأسد محدقة به يتمرغ بعضها على قدميه فرأينا يوماً أسداً عظيماً يعفر وجهه في التراب كالمخاطب له وكأنه يحاربه فقلت له بعد انصراف الأسد يا سيدي بالذي أنعم عليك ما قلت له وما قال لك؟ قال

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ. وربما يقصد "حماها". وهو أصوب.

<sup>2</sup> - كلمة غير واضحة في كل النسخ. فقد وردت على صور مختلفة كالآتي: عرييا، غريبيا، غريبيا، عريبيا، ربما عزيبا أقرب إلى الصواب وتفيد انتقال الولي إلى أملاكه في موسم الحرث ومكوته هناك فترة إلى غاية انتهاء الحرث. وتسمى هذه الرحلة قديماً "تعزيباً" ولا تزال عندنا مناطق تحمل اسم "لعزيب" إلى يومنا هذا لأنها كان يعزب إليها الأهالي، أي ينتقلون إليها ويقيمون فيها إلى غاية انتهاء أنشطتهم الفلاحية.

<sup>3</sup> - وردت بهذه الصيغة في جميع النسخ. والصواب: "لم نفهم".

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>5</sup> - ورد في (أ) و(ك) هوارى وفي (ب) و(د): "هوارا" بالألف الممدودة والأصح: هوارة.

إنه قال لي ثلاثة أيام ما أكلت وأضر بي الجوع فاستغثت الليلة بالله عند السحر فقيل لي رزقك بقوة في الهمامية تفترسها على سوء ينالك ، فخفت من ذلك السواد لا أعلم ما هو فقلت له هو جراحات تصيبك بجذبتك الأيمن تتألم منها أسبوعاً ثم تذهب يا شنبكي ثم نظرت في اللوح المحفوظ فإذا البقرة من رزق الله ولا بد له منها وإذا هو يخرج من الهمامية أحد عشر رجلاً يموت منهم ثلاثة، يموت الأول قبل الثاني بساعتين ويموت الثالث بعد الثاني بسبع ساعات ويصيب الأسد جراحات ويبرأ. قال الشنبكي فأسرعت للهمامية فإذا الأسد قد سبقني ووجدت الأمر على ما قال الشيخ انتهى من سيدي موسى بن عيسى المازوني المذكور.

### [الاطلاع على اللوح المحفوظ]:

وأنكر ابن العربي قول من قال من علامة الصوفية أنه يطلع على ما في اللوح المحفوظ، لكن تواترت الحكايات عن القوم بذلك. قال الشيخ أبو العباس المرسي: قرأت مرة ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾<sup>1</sup> إلى أن انتهيت إلى قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ففكرت في معناها فكشف لي عن اللوح المحفوظ فإذا فيه مكتوب ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ روحاً وعقلاً ثم أسفل سافلين نفساً وهوى انتهى.

ومثله ما ذكر الشطنوفي عن سيدي الشيخ سيدي أبي الحسن سيدي علي بن الصباغ المصري ونصه قال الشيخ علي بن الصباغ: اللوح المحفوظ هو ديوان الوجود وفيه كل ما في الدارين أو يكون [101ظ] وأن الله تعالى أطلعني عليه وأشهدني ما فيه انتهى منه [بلفظه رحمه الله]<sup>2</sup>.

### [ القول في نطق العجموات للأولياء ]:

<sup>1</sup> - سورة التين: الآية: 1. وتتمة بقية الآيات: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)﴾.

<sup>2</sup> - مابين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

ثم قال سيدي موسى المذكور وكانت السباع تجيء لسهل بن عبد الله فيدخلهم البيت عنده ويضيفهم ويطعمهم<sup>1</sup> اللحم وتسمى بيت السباع. وقال الخواص كنت مرة بالبادية فسرت في وسط النهار فوصلت لشجرة بقربها ماء فنزلت فإذا بسبع عظيم قد أقبل فلما قرب مني فإذا هو يعرج فحمم وبرك بين يدي ووضع يده في حجري فنظرت فإذا هي منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع حتى خرج القيح والدم منه وشددت على يده فمضى فإذا أنا به بعد ساعة ومعه شبلان فبصبصا وحمل إلي رغيفا انتهى منه. فانظر يا فقيه لهذه القضية وصدق بقول سيدي أحمد بن يوسف أن السبع أخذ علي السر أعني الاسم المعظم وإياك والتعرض على أولياء الله نعوذ بالله من التعرض على أولياء الله.

ثم قال سيدي موسى المذكور وذكر أبو العباس الرفاعي عن خاله الشيخ منصور أنه قال: أول من أدخل الأسد والحيات لأهل البطايح أبو بكر بن هواري لأنه لما أراد الانتقال منها أحذقت به الأسود والحيات والكواش والطيور والجن وسألته بالله أن لا يرحل عنها فأخذ عليها العهد أن لا تؤذي مريدا له ولا محبا إلى يوم القيامة وأن يطيعوهم حيث ما كانوا ما دامت الدنيا .

وقد تواتر عن أبي يعزى أن الطير كانت تعكف عليه والأسود تأوي إليه وإذا أذن القفول أمسك بأذانها وأقادها فتتقاد إليه ذليلة ويقول لها يا كلاب الله ارتحلي من هنا فتذهب. وقد تقدم ما حكاه عنه شيخ المشايخ أنه وجد مرة وحوله وحوش كثيرة لا يؤذي بعضها بعضا وطيور كثيرة فيتقدم إليه أحدها فيكلمه ثم يقول له رزقك كذا في موضع كذا فيذهب هكذا واحدا بعد واحد حتى انصرفت كلها. انظر تمامها قبل هذا ثم قال سيدي موسى المذكور وكان أبو حفص عمرو بن هارون منقطعا في جبل لعبادة الله وكان أكثر جلوسه في المقابر فيأتيه الأسد فيمسح ظهره بيده ويقول اذهب جعل الله رزقك حيث لا تضر مسلما فينصرف. وحج سفيان مع شيبان الراعي فعرض لهما سبع فقال له سفيان: أما رأيت السبع؟.

<sup>1</sup> - كذا ورد بصيغة جمع المذكور في جميع النسخ. والصواب : فيدخلها، ويضيفها، ويطعمها.



فقال له: لا تخف فأخذ شيبان أذنه فحركها فبصبص السبع وحرك ذنبه فقال له سفيان: ماهذه الشهرة فقال: لولا مخافة الشهرة لوضعت زادي على ظهره حتى آتي مكة. ومثل هذا كثير، ونطق العجموات<sup>1</sup> للأولياء مما استفاضت به الحكايات عنهم في تصانيف المعتنين بنقل مناقب الصالحين.

[102] وقال سيدي عبد القادر الجيلاني: خرجت وأنا صغير فاتبعت بقر الحراثة فالتفتت إلي بقرة وقالت لي ما لهذا خلقت. ولما جاء أبو سهل القرشي من المشرق على قدميه وعلى عاتقه مخلاته التي فيها كتبه فبينما هو يوما ماش فإذا بجمل بإزائه قال له يا أبا سهل اجعل مخلاتك علي لتستريح من حملها. والحكايات في مثل هذا كثيرة عن أولياء الله وكلام الإبل للقوم وردت به عنهم حكايات ببركته ﷺ وأوتي عليه الصلاة والسلام بسارق شهدوا عليه بالسرقة وكان مع الرجل جمل فأنطق الله جملة فقال لا تقطعوه فإنه بريء من ذلك انتهى من سيدي موسى المذكور. قلت وقد ذكرها سيدي الرصاع بتمامها وتأول للسادات الفضلاء أصحاب رسول الله ﷺ تأويلاً حسناً جزاه الله خيراً وبلغه بنيته مبلغاً عظيماً<sup>2</sup> ولفظه وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فأناخ ناقته على باب المسجد ودخل. فلما قضى حاجته أراد أن يقوم قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يا رسول الله الناقة مسروقة فقال النبي ﷺ قم يا علي فخذ منه حق الله. فأطرق الأعرابي ونكس رأسه وجعل يضرب بسبابته الأرض فأنطق الله عز وجل الناقة من وراء الباب فقالت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما سرقني هذا الرجل وإنما سرقني غيره وأنه اشتراني بماله وأنه بريء غير آثم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم بالذي أنطقها ببراءتك ماذا قلت حين أطرقت ونكست رأسك وضربت الأرض بسبابتك. قال: نعم يا رسول الله، قلت اللهم إنك لست برب استحدثناك، ولا معك شريك في ملكك، أعناك على خلقنا أنت كما

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "المعجومات".

<sup>2</sup> - كذا في (ب) و(د). وفي (ك): عميما.

تقول، وفوق ما يقول القائلون، أسألك يا رب أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تبرئني ببراءتي مما أنا فيه فقال النبي ﷺ والذي بعثني بالحق لقد رأيت الملائكة ازدحموا على أبواب السكك<sup>1</sup> يكتبون مقالاتك فمن أصابه مثل ما أصابك فليقل مثل مقالاتك. ثم قال ربما أشكل الحديث على السامع فيقول كيف شهدت الصحابة رضي الله عنهم على الرجل بأنه سرق الناقة والصحابة رضي الله عنهم عدول والشهادة إنما هي كالشمس ثم ظهر في الواقع خلاف الشهادة فأياك يا مسكين أن يخطر ببالك شيء في حق الصحابة الكرام الأئمة الأعلام المطهرين من الآثام بل القصور من فهمك ومن ضعف عقلك فإنهم لم يشهدوا بأنه سرق ولكنهم قالوا إنها مسروقة فأورث كلامهم تهمة في حق الأعرابي فأمر النبي ﷺ أن يحكم فيه [102ظ] بحكم الله وما اقتضاه شرعه فأنطق الله تعالى الناقة براءة له. انتهى منه باختصار، نفعه الله بحبه في أصحاب رسول الله ﷺ وحشره في زمرة لأن الواجب على كل مسلم أن يلتزم للصحابة مسلكاً حسناً ويظن بهم الظن الجميل ويذهب بهم أحسن المذاهب ويعتقد أنهم على أكمل طريق وأحسن هدى وتحقيق رضي الله عنهم ونفعنا بهم وأمانتنا على محبتهم لا مبدلين ولا مغيرين آمين يا رب العالمين. فهذا اعتقادي وهذا ظني وهذا حبي وهذا قصدي وهذا رأس مالي وهذه بغيتي وهذه نيتي بلغني الله بذلك في دنياي وآخرتي. ثم قال سيدي موسى المذكور: ولما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة تلقته الأنصار كل واحد يريد أن ينزل عنده وهو واضع زمام ناقته من يده فكان يقول دعوها فإنها مأمورة فتخطت دورهم كلها حتى لموضع مسجده العظيم فبركت عليه فاحتمل رجله أبو أيوب ولما ركب عليه الصلاة والسلام الحمار الذي نض له من خبير كلمه الحمار فقال له النبي ﷺ ما اسمك فقال له عفير بن يزيد بن شهاب قال له: ولمن كنت؟ قال كنت ليهودي وكنت أعتز به عمدا فكان يسيء إلي ويجيع بطني ويضرب ظهري فقال له عليه الصلاة والسلام هل لك من أرب؟ قال: لا، قال ولم؟ قال: لأنه حدثني أبي عن آبائه وأجداده أنهم قالوا يركب نسلنا

<sup>1</sup> - كذا في النسخ الثلاث.

سبعون نبيا وأن آخر نسلنا يركبه نبي اسمه محمد ﷺ ولم يبق من نسل جدي غيري ولم يبق من الأنبياء غيرك، فقال له النبي ﷺ قد سميتك يعفور يا عفير. قال لبيك فكان عليه الصلاة والسلام يركبه في حاجاته فإذا نزل عنه بعثه لباب الرجل فيأتيه فينقر عنه برأسه فإذا خرج صاحب الدار أوى<sup>1</sup> الحمار إليه برأسه أن أجب رسول الله ﷺ فلما قبض عليه الصلاة والسلام جاء الحمار بعد ثلاثة أيام يسير فتردى فيها ومات. وانتهى منه رحمه الله تعالى آمين. وقال سيدي الرصاع رحمه الله وروى أن النعمان بن مالك أتى على فرس أبلق قبل إسلامه إلى رسول الله ﷺ فقال له إن كانت لك دلالة على تصديقك آمنت بك وإن لم تكن لك دلالة ولا آية رجعت فقال له النبي ﷺ لك ذلك فدخل النعمان المسجد وترك فرسه عند باب المسجد فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا فرس النعمان أقبل فدخل الفرس المسجد وهو يتأدب مع الصحابة لئلا يمس ثيابهم حتى وضع رأسه في حجر رسول الله ﷺ فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده المباركة على ناصيته وقال من أنا يا فرس النعمان قال فتكلم الفرس بكلام الآدمي وقال أنت محمد بن عبد الله وأنت تاج الأولين والآخرين ثم وضع رسول الله ﷺ يده على أبي بكر فقال له من هذا فقال الفرس هذا أبو بكر ثم وضع يده على عمر فقال له الفرس هذا عمر بن الخطاب ثم وضع يده على عثمان فقال له من هذا فقال له الفرس هو عثمان بن عفان ثم وضع يده [103] على علي بن أبي طالب فقال له من هذا فقال الفرس هو صهرك وابن عمك وزوج ابنتك من تمسك بمحبة أصحابك نجا ثم سكت الفرس فقال له النبي ﷺ يا فرس النعمان فقال الفرس والذي بعثك بالحق ما سمانا الله خيلا ولا حسن أبداننا ولا حبيننا إلى بني آدم ولا فضلنا على سائر الدواب إلا لأنه تعالى كتب على أفئدتنا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وفيه مكتوب أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي الرضى والقرآن كلام الله والخير والشر من الله فقام

<sup>1</sup> - في (ك) أوماً إليه.

النعمان وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك محمد رسول الله وأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه ونفعنا ببركة الجميع وأنشدوا: [بسيط]

فَكَلَّمْتُهُ دَوَابُّ الْأَرْضِ مُفْصِحَةً      وَالضَّبُّ وَالذَّنْبُ وَالْأَطْيَارُ فِي الشَّجَرِ  
[ثُمَّ] الصُّخُورُ<sup>2</sup> مع الأطوَادِ شَاهِدِ      وما على الأرض من نبت ومن مذر  
[و] كُلُّ يُنَادِي<sup>4</sup> بِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ      حَتَّى الْحِمَارِ مَعَ الْأَنْعَامِ وَالْبَقَرِ  
وكلمته ذراع الشاة مخررة      أني لمسمومة فكن على حذر  
وحن شوقا إليه<sup>5</sup> حين فارقه      جذع من النخل ذاو<sup>6</sup> يابس نخر  
فضمه المصطفى في حضنه ساكنا      فزال عنه الذي يخشاه من دعر  
انتهى من كتابه المسمى "بتحفة الأخيار"<sup>7</sup> في الصلاة على النبي المختار ﷺ وعلى  
آله ما دام الليل والنهار وقال أبو بكر الصقلي: وروي أن رجلا من "سليم" أتى إلى رسول الله  
ﷺ وهو جالس في المسجد وحوله جماعة من الصحابة فاغظ عليه في القول فقال يا محمد  
سفهت الأحلام وسبيت<sup>8</sup> الآلهة والأصنام والله لولا أن أكون عجولا لضربتك بسيفي. فقال  
عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أقتل هذا الكافر. فقال له رسول الله ﷺ  
: يا عمر أصبر نحن أولى بذلك منك ثم أخرج الرجل ضبا من كفه وقال: والله لا أأمن بك  
حتى يؤمن بك هذا الضب. ثم أطلقه وأرسله في المسجد فلما بلغ الضب إلى باب المسجد

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ك).

<sup>2</sup> - في (ك): "الصخور".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

<sup>4</sup> - في (د): "مناد".

<sup>5</sup> - في (ب): "وحن إليه شوقا".

<sup>6</sup> - كذا في (د) و(ك). وفي 'ب': "دارس".

<sup>7</sup> - أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن قاسم الرصاص التلمساني قاضي الجماعة بتونس. سمي بالرصاص لأن جده كان يرصع منابر المساجد. ولد بتلمسان ونشأ واستقر بتونس وعاش وتوفي بها (819هـ - 894هـ - 1489م): له فيها عقب إلى الآن اقتصر في أواخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه متصدرا للإفتاء له كتاب تحفة الأخيار في الصلاة على النبي المختار. وكتاب آخر. تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين. ترجم له خير الدين الزركلي: الأعلام / ج7. ط15. دار العلم للملايين. بيروت. 2006. ص5.

<sup>8</sup> - كذا في جميع النسخ.

ناداه النبي ﷺ فأقبل الضب راجعاً حتى وقف بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له النبي ﷺ من أنا يا ضب؟ فقال الضب بلسان فصيح أنت السيد الذي يستغاث بك، أنت محمد رسول الله، أنت سيد البشر، أنت خاتم النبيين، أنت رسول رب العالمين، قد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك، يا زين العابدين، فقال له النبي ﷺ من تعبد؟ قال الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، [103ظ] وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، فقال الرجل سبحان الله! ما رأيت كاليوم، أتراني أدعو عبثاً؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ثم خرج من عند النبي ﷺ فلقى ألف رجل ركبانا على ألف بعير من قومه فقال لهم إلى أين تذهبون قالوا: نقتل<sup>1</sup> محمداً<sup>2</sup> ونخلوا<sup>3</sup> دينه من على وجه الأرض. فقال لهم اصبروا حتى أخبركم، فقص عليهم قصة الضب، فأقبلوا يُقبِلُونَ رَجُلَ النبي ﷺ وثيابه ويقولون هذا هو دين الحق أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله [حقاً حقاً]<sup>4</sup> فأسلموا عن آخرهم انتهى. ثم قال سيدي موسى المذكور: ومعجزاته وآياته ﷺ كثيرة لا حصر لها وإنما أشرنا لبعضها ليتعرف الناظر أن ما وقع من مثل ذلك على أيدي الصالحين إنما استمدوه من بحر إجابته وشرف آياته عليه [الصلاة]<sup>5</sup> والسلام.

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله تعالى ما حدثني به بدوع الكثيري المذكور قبل هذا أن الفقيه العالم الصالح سيدي داوود بن يحرثن الكثيري حدثه وذلك أنه قال كان لزوجتي قرين من الجن يصرعها إلى ذات يوم أنطقه الله فيها بكلمته ومن جملة ما قالت له هل أنت من خدام الشيخ سيدي أحمد بن يوسف؟ قال له نعم قال له الفقيه المذكور كيف تركتم الناس يخوضون مطامير الشيخ ولم تفعلوا فيهم شيئاً؟ فقال له الجني

1 - كذا في (ب). وفي (ك) و(د): "تقتلوا". والأول أصح.

2 - ما بين المعقوفين إضافة من (ك).

3 - كذا في جميع النسخ، والأصح: "نخلوا".

4 - ما بين المعقوفين إضافة من (ك) و(د).

5 - ما بين المعقوفين إضافة من (ك) و(د).

حين أتى الناس لمطمّر الشيخ في مصرّاة نزلنا بمحلتنا من الصفصاف للبراق وملأنا السهل والوعر وعزمنا عليهم أن نلقّهم في موضع لا يرون الدنيا منه أبداً فلما فتحوا المطامير رأينا فيها الحرام ارتحلنا وتركناهم يحوصونها قال الفقيه المذكور قلت له وما علامة صدقك على ذلك قال لي: قل للشيخ الإمارة الليلة التي ارتحلت من "يلل" من "بني وغدو" وأردفتك ابنتك عائشة وراءك وسيدي عمر العنّري مع ركابك يبكي فاهتز العرش من أجل ذلك فأشرت إليه بيدك فسكن. قال الفقيه المذكور: فذهبت إلى الشيخ وأقرّرت به إمارة الجني وبمقالته فقال صدق وذلك من خدامنا من مؤمني الجن.

**قلت:** وقريب منه ما حكى عن شيخ الأبرار ومحبي طريقة أولياء الله الأخيار سيدي ومولاي سيدي أبي بكر بن هواري نفعنا الله به وأعاد على ذريتي من بركاته على ما ذكره الشطنوفي استشهدا لتسكين العرش بإشارة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله ونصه وزلزلت مرة مدينة واسط زلزلا شديدا رجت منها الجبال وتساقت البنيان وضج الناس بالصراخ فإذا بالشيخ أبي بكر بن هواري واقف بينهم وكان بين مكانه وموضع الزلزلة أيما فسكن [104و]الزلزال فطلبوا الشيخ فلم يجدوه وكان بمدينة واسط رجل صالح رأى تلك الليلة ملكين نازلين من السماء واحدهما يقول للآخر كادت هذه الأرض اليوم أن تذهب فقال له صاحبه وما أمسكها فقال إن الله نظر إلى ابن هواره فرحم الخلق به وأذن في تسكين الزلزال بإذنه له أن يخرق الأرضين السبع فاخرقها حتى انتهى للبهמות فقال له اسكن يا عبد الله فقال له ومن أنت قال له أنا ابن هواره فقال أمرت أن أطيعك ولا أطيع غيرك من أهل زمانك فسكن انتهى. فهذا مثل ما وقع لسيدي أحمد بن يوسف رحمه الله في تسكين العرش ومثل ذلك قليل في حق أولياء الله لأن كراماتهم لاحقة بمعجزات النبيئين. وروى عنه عليه الصلاة والسلام أن العرش يهتز للعالم إذا حضر وللولي وللغريب ونحو ذلك مما هو في كتب الأحاديث قلت أما قول الشطنوفي حتى انتهى للبهמות فالمراد به الثور الذي أهبطه الله من الجنة على ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تبارك وتعالى أهبط ثورا من جنة

الفردوس له أربعة آلاف قرن وأربعون ألف قائمة وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض وعليه استقرت الأرضون انتهى. ثم قال الشطنوفي المذكور وكان ابن هوارى عالي الهمة شريف الأخلاق وهو أول من أسس المشيخة بالعراق بعد انقراض مشايخ الرسالة ومن في طبقتهم ومن يليهم وهو أحد أركان هذه الطريقة وصدور ساداتها وأعيان أئمتها وأكابر القادة وأعلم العلماء بأحكامها علما وعملا وحالا ومقالا وزهدا وتمكينا وتحقيقا وجلالة ومهابة فمن كراماته ما رواه أبو محمد الشنبي رضي الله عنه فقال كان شيخنا أبو بكر بن هوارى رضي الله عنه شاطرا يقطع الطريق بالبطايح ومعه رفقاء وكان مقدمهم وكانوا يجلسون على تل المقبرة يقتسمون أموال الناس فسمع امرأة تقول لزوجها انزل بنا هنا لنأخذنا أبو بكر ابن هوارى وكان متوجها إلى الله على قدم الصدق والإخلاص في إرادته فوقع في نفسه أن يُسَلِّمَ نفسه إلى من يُوصَلُّهُ إلى الله ولم يكن بالعراق يومئذ شيخ مشهور من أهل الطريق، فرأى في منامه رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق فقال يا رسول الله أَلْبَسْنِي خِرْقَةً، فقال له يا ابن هوارى أنا نبيك وهذا شيخك وأشار إلى الصديق رضي الله عنه ثم قال رسول الله ﷺ يا أبا بكر ألبس سَمِيكَ ابن هوارى كما أُمِرْتُ، فألبسه الصديق رضي الله عنه ثوبا وطاقيه ومر بيده على رأسه ومسح على ناصيته ، وقال بارك الله فيك فقال له رسول الله ﷺ يا ابن هوارى بك نُحْيِي سُنُنَ الطريق من أمتي بالعراق بعد موتها، [104ظ] ويقوم منار أرباب الحقائق من أحباب الله بعد دروسها، وفيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة، وقد هبت نسيمات الله بظهورك وأرسلت نفحات الله بقيامك، ثم استيقظ فوجد الثوب والطاقية بعينهما وكانت على رأسه تواليل فلم يراها فكأنه نودي في الآفاق ابن هوارى قد وصل إلى الله ، فأسرع الخلق إليه من كل قطر وبدت علامات<sup>1</sup>قربه من الله عز وجل وترادفت أخباره عن ربه وهو الذي قال من زار قبري أربعين أربعا أوتي في قبره براءة من النار وقال أخذت من ربي عز وجل عهدا أن النار لا تحرق جسد من دخل حرمي هذا يعني تربته وحكي أن امرأة أخته من

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "علامة".

البطايح وقالت له إن ابني غرق بالشط ولم يكن لي سواه وأنا أقسم بالله أن الله عز وجل أقدرك على رده علي فإن لم تفعل شكوتك إلى الله ورسوله غدا أقول يا رب أتيتك ملهوفة وكان قادرا على رد لهفي فلم يفعل فأطرق ساعة ثم قال أرني أين غرق ولدك فأنتت به إلى الشط فإذا ابنها قد طفا على وجه الماء ميتا فمشى إليه الشيخ على الماء حتى وصل إليه وحمله على عاتقه وأعطاه لأمه وقال خذيه قد وجدته حيا فانصرفت وهو يمشي معها ويده في يدها كأن لم يكن به شيء قط ،انتهى منه .

**قلت:** وهذا من العناية النبوية المحمدية، فقد روى عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى أحيا له مؤؤودةً وذلك أن أباهما أحرقتها وذرى رمادها في الأرياح الثمانية ثم إنه ندم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إني فعلت بابنتي كذا وكذا فقال له ﷺ دلني على المكان فذله عليه فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل أن يردها فقال جبريل عليه السلام أيتها الأرياح الثمانية إن الله يأمركن أن تردوا المؤؤودة لأن النبي صلى الله عليه وسلم طلبها لربه فردتها الأرياح بقدرة الله وجاءت تمشي بين يدي النبي ﷺ وهي تقول السلام عليك يا رسول الله ما رأيت على محبتك يا رسول الله، فقال لها عليه الصلاة والسلام يا مؤؤودة إن أحببت أن يحييك الله إلى يوم القيامة فعلت فقالت له إني ذقت مرارة الموت ومن يقدر عليها ثانيا وهي المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)﴾<sup>1</sup>. في بعض التأويلات أنها أسلمت وهي ابنة ستة سنين فقتلها أبوها على الإسلام ثم ندم كما ذكر فوقها فاختصرت قصتها لطولها انتهى. ثم قال سيدي موسى بن عيسى المذكور وروى عنه عليه الصلاة والسلام أن رجلا أتى إليه وقال طرحت بنية لي في وادي كذا فانطلق عليه الصلاة والسلام معه إلى الوادي [105و] فنادها باسمها يا فلانة أجيبني بإذن الله فخرجت تقول لبيك وسعديك فقال لها رسول الله ﷺ إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما<sup>2</sup> فقالت لا

<sup>1</sup> - سورة التكوير الآيتان: (8) و(9).

<sup>2</sup> - كذا وردت في النسخ الثلاث والأفصح: إليهما.



حاجة لي بهما قد وجدت الله خيراً منهما. ثم قال سيدي موسى المذكور وقد روى أبو هريرة وأنس رضي الله عنهما قالاً: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup> [65و]<sup>(2)</sup> وإذا بامرأة يهودية قد وقفت علينا تبكي [وترثي]<sup>3</sup>، وتقول [الشعر]<sup>4</sup>: [رَمَل]

يَابَنِي أَفْدِيكَ يَا نُورَ [الْعُيُونِ]<sup>5</sup>      لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ خَتَلَكُ  
 غَبَّتْ عَنِّي غَيْبَةً مُوحِشَةً      أَتُرَى ذَنْبَ يَهُودٍ أَكَلَكُ<sup>6</sup>  
 إِنْ تَكُنْ مَيْتًا فَمَا أَسْرَعَ مَا      كَانَ فِي مَرِّ اللَّيَالِي أَجَلَكُ  
 أَوْ تَكُنْ حَيًّا فَلَا بُدَّ لِمَنْ      عَاشَ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ سَأَلَكَ  
 قَدْ ثَوَى [فِي الْجُبِّ يُوسُفُ]<sup>8</sup> وَقَدْ      كَانَ مَمْلُوكًا لِقَوْمٍ فَمَأَكَ  
 فَعَسَى مَنْ سَرَّ يَعْقُوبَ بِهِ      وَرَعَى يُوسُفَ أَنْ يُلْطَفَ بِكَ<sup>9</sup>

فقال عليه الصلاة والسلام: يا هذه مالك؟ قالت: كان لي ولد يلعب بين يدي، فما أدري الأرض ابتلغته أم الرياح اختطفته. فقال لها: «أرأيت<sup>10</sup> إن جمعت بينكما أتؤمنين بي؟»، قالت: «أي ورب الأشياخ الكرام إبراهيم وإسحاق ويعقوب»، فتوضأ عليه الصلاة والسلام، ودعا، فإذا بالطفل واقف بين يدي أمه. فقال له عليه الصلاة والسلام: «أخبرني بقصتك»، فقال: «يا نبي الله، كنت ألعب بين يدي أمي فاخطفني عفريت كافر، فلما دعوت عليه أنت يا رسول الله سلط الله عليه عفريتاً مؤمناً أشد منه وأعظم خلقاً،

1 - هنا تنتهي الأوراق المنقوصة من النسخة (1707a). والمعوضة من النسخة (1708) من ص(92ظ) إلى ص(105و).

2 - هناك خلط في (أ) عند ترتيب الأوراق، حيث ورد ظهر الورقة 65 أسبق من وجهها.

3- ما بين المعقوفين ساقط من (د).

4 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

5 - في (ب) و(د): الخلد.

6 - البيت ساقط من (أ).

7 - في(ب)و(د): "في أمر"

8 - كذا في(د). وجاءت العبارة في (ب)و(ك) بتقديم يوسف على الجب: "قد ثوى يوسف في الجب".

9 - كذا في (ب). وفي باقي النسخ(ك).

10 - في (ب) و(د): "أرأيتك".

فاختطفني وانتزعتني منه، وها أنا ذا". فأسلمت أمه. وكثير من هذا يؤثر عن الصالحين مع المختطفين والمأسورين». انتهى منه.

قلت: وما ذاك إلا من بركته \_ عليه الصلاة والسلام \_؛ لصدق اتباعهم له \_ عليه الصلاة والسلام \_؛ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>1</sup>. نفعني الله ببركاتهم، آمين يا رب العالمين.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وروى أنس رضي الله عنه أنه قال: "مات شاب من الأنصار فسجناه بثوب، وأمه عجوز عمياء فعرفناها، فقالت: "اللهم إن كنت تعلم إنني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة، فلا تحمل علي هذه المصيبة". فقام حيا وكشف الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا، وعاش بعد ذلك مدة.

وقال \_ عليه الصلاة والسلام \_ لِلْفُرَيْعَةِ: «إن ابنك إبراهيم مات»، قالت: "ومات يا رسول الله؟"، قال: «نعم»، قالت: "الحمد لله، اللهم إنك تعلم إنني هاجرت إليك وإلى نبيك أن تكون لي عنده مصيبة". فأحياه الله عند ذلك، فأكل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: وروي عن طلحة بن عبد الله أنه قال: "أردت ما لا لي بالعالية، فجننت قبور الشهداء، فأويت لقبر عبد الله بن عمرو بن حزام<sup>2</sup>، فوضعت رأسي فسمعت قراءة من القبر لم أسمع قط أحسن منها، فقلت: هذا في القبر؟ ثم قلت: لعله في الوادي، فخرجت للوادي، فإذا القراءة في القبر، فرجعت ووضعت رأسي فاستأنست، وذهب عني النوم، فلم أزل كذلك حتى طلع الفجر. فلما طلع الفجر هدأ الصوت، فأخبرته \_ عليه الصلاة والسلام \_ فقال: «ذلك

<sup>1</sup> - سورة الزمر، الآية 18، وتامها ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.  
<sup>2</sup> - كذا في (أ) و(ك) وفي (ب) و(د): "عبد الله بن عمرو بن الجراح". والحديث ذكره السيوطي في شرح الصدر بشرح حال الموتى والقبور". وقد نقله الصباغ ناقصا غير تام وتصرف فيه بعض الشيء، من ذلك أن السيوطي ذكر قبر عبد الله بن عمرو بن حزام. في حين نسبه الصباغ إلى عبد الله بن عمرو بن الجراح. الحديث ضعيف السند. ينظر: جلال الدين السيوطي: "شرح الصدر بشرح حال الموتى والقبور" دار المدني، القاهرة. 1985م. ص 190. مع ملاحظة أن يكون الخطأ المشار إليه من فعل النساخ وليس من المؤلف.

عبد الله بن عمرو بن حزام<sup>1</sup>، ألم تعلم يا طلحة\_ أن الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت، ثم ترد أرواحهم إلى أماكنها التي كانت فيه في الجنة<sup>2</sup>».

ومثل هذه القصة عن الشيخ ابن أبي يزيد في رؤيته الشهداء، وسماعه لأصوات القرآن. ثم قال: "روي عن مُعَيْب<sup>3</sup> قال: "رأيت من رسول الله ﷺ عجا. جيء بصبي يوم ولد، فقال: «من أنا؟»، قال: "أنت رسول الله"، فقال: «صدقت بارك الله فيك يا غلام». ثم إنه لم يتكلم بعد حتى شُبَّ، وكان يسمى مبارك اليمامة". [65ظ] قال عياض: «كانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع». انتهى منه \_رحمه الله\_.

قلت: وقد حكى صاحب الكتاب المسمى "بزهرة الأكماء في قصة يوسف عليه السلام": إن هذا الصبي أحد السبعة الذين تكلموا في أوان الصغر، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: لم يتكلم في المهد إلا سبعة:

[1] \_ عيسى بن مريم.

[2] \_ وصاحب جُرَيْج: وكان جُرَيْج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها، فجاءته أمه وهو يصلي فنادته: "يا جريج"، فقال: "أي رب أمي وصلاتي"، فأقبل على صلاته، فقالت: "اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات"، وانصرفت، فلما كان من الغد أنته وهو يصلي، فقالت: "يا جريج"، فقال: "أي ربي أمي وصلاتي". فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته، وكانت امرأة بغيا، وقالت: إن شئتم لأفتننه لكم، قال<sup>4</sup>: فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها، فلما ولدت قالت:

<sup>1</sup> - ورد مضطرباً في كل النسخ مرة "عبد الله بن عمرو بن حزام، ومرة "عبد الله بن عمرو بن الجراح"، وهو خطأ والصواب ما أثبتنا. ينظر: المصدر نفسه. ص190.

<sup>2</sup> - وأشار السيوطي أن الحديث أخرجه ابن مندة، وأبو أحمد، والحاكم في الكنى بسند ضعيف. ينظر المصدر نفسه. ص190.

<sup>3</sup> - معيقب، ويقال معيقب بن أبي فاطمة الدوسي، هو حليف لآل سعيد بن العاص، وقيل إنه شهد خيبر وبقي إلى خلافة عثمان ابن عفان. وقيل إنه توفي في آخر خلافة علي في حدود سنة أربعين هجرية. ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة. موقع الكتروني في الأنترنت.

<sup>4</sup> - في (ا) و(ك): "قالت" وهو غير صحيح. الأصح كما ورد في الحديث: على لسان الراوي: "قال".

هو من جريج الراهب، [فأتوه]<sup>1</sup> فاستهزؤوا به<sup>2</sup>، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، وهو يقول: "ما لكم؟"، فقالوا: "زنيبت بهذه البغي وقد ولدت منك"، فقالوا: "ايتوا الصبي"، فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى فلما انصرف من صلاته أقبل على الصبي وهو يطعنه في بطنه، ويقول له: "من أبوك يا غلام؟"، فقال: "فلان الراعي". فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به. وقالوا: "نبونا"<sup>3</sup> لك صومعتك من ذهب"، فقال: "لا، إلا إعادتها من حجر وطين"، ففعلوا.

[4] \_ الرابع صاحب الأخدود: بينما رسول الله ﷺ جالس ذات يوم، إذ رفع رأسه إلى السماء، ثم أرسل عينيه بالبكاء، وقال: "ماذا نزل؟!"، ثم تلا عليهم: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾<sup>4</sup>، ثم قال: «أخبرني جبريل أن ملكا جبارا كان صاحب سحر ونجوم وكهانة، وكان له شيخ ساحر كاهن يصدر الملك عن رأيه، فقال الشيخ: "أيها الملك قد كبر سني، ورق عظمي، وأرى أن تنتظر غلاما أديبا أعلمه العلم، فيكون خلفا مني". فأرسل الملك إليه غلاما كان عنده، فكان يتخلف إلى الكاهن، فمر ذات يوم فسمع صوت بكاء تحت الأرض، فدخل فإذا رجل راهب عليه ثوبان من شعر، فقال: "من أدخلك علي؟"، فأخبره برغبته في الخير. فأقام معه يومه إلى الليل، فقال الراهب: "اعطني موثقا ألا تدل علي أحدا، وإن قتلت أو أحرقت بالنار"، فأعطاه موثقا، ثم انصرف إلى الملك، وسأله عن حاله وغيبته، فكره أن يفشي على صاحبه، وكره أن يكذب، فضربوه وأوجعوه ثم وجهوه إلى الكاهن، فدخل على الراهب وأخبره خبره فساءه ما لقي، فقال له: "إذا سرت إلى الساحر فقل له: "كنت عند أهلي، وإذا سرت إلى أهلك فقل

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - في (ب) و(د) : " فاستنزله".

<sup>3</sup> - كذا في جميع النسخ وهو خطأ. والأصح: "تبنى".

<sup>4</sup> - سورة البروج: الآيات رقم 1،4،5. وتتمتها: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمُوعَدِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (5)﴾.

لهم: "كنت عند الساحر". فمكث كذلك زماناً طويلاً حتى استفرغ علم الراهب، وفاق فيه. فمر يوماً ببعض وزراء الملك وكان قد عمي، فقال له الصبي: "أرأيت إن رد الله عليك بصرك أتؤمن به؟"، قال: "نعم"، فَجَرَّ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، فَعَادَتَا كَمَا كَانَتَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ: "مَنْ أَبُوكَ؟"، قَالَ: "مَوْلَايَ"، قَالَ: "وَمَنْ مَوْلَاكَ؟"، قَالَ: "مَوْلَايَ مَوْلَى الشَّابِّ"، قَالَ الْمَلِكُ: "أَنَا مَوْلَاهُ"، فَقَالَ: "مَوْلَايَ وَمَوْلَاهُ اللَّهُ". قَالَ: فَاعْتَاضَ الْجَبَّارَ لَذَلِكَ، وَأَعْرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى دِينِهِ، فَأَبَى، / [66و] فَقَالَ لَهُ: "مَنْ ذَلِكَ عَلَى هَذَا؟"، فَقَالَ لَهُ: "الشَّابِّ". فَدَعَا الْغُلَامَ، فَجَاءَهُ فَقَالَ عِنْدَمَا رَأَاهُ: "وَيْحَكَ مَا يَقُولُ هَذَا؟"، قَالَ: "يَقُولُ الْحَقَّ، اللَّهُ الَّذِي أَبْرَاهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ وَطَعَنَهُ بِالرَّمْحِ، فَلَمْ تَعُدْ عَلَيْهِ. فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يَحْرَقَ وَهُوَ عَلَى خَشْبَةٍ، فَلَمْ يَحْتَرِقْ. فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يرمى بِالسَّهَامِ فَلَمْ تَصِلِ السَّهَامُ إِلَيْهِ. فَمَكَّثَ كَذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَقْتُلْنِي حَتَّى تَأْخُذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ تَقُولَ: "اللَّهُمَّ رَبَّ الْغُلَامِ اقْتُلْهُ". فَأَخَذَ الْمَلِكُ سَهْمًا، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ رَبَّ الْغُلَامِ اقْتُلْهُ"، فَصَادَفَ السَّهْمُ نَحْرَهُ، فَسَالَ دَمُهُ وَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: "آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ". فَخَذَّ فِي الْأَرْضِ أَخْدُودًا وَأَضْرَمَ النَّارَ فِيهِ، ثُمَّ دَعَا بِالنَّاسِ، فَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ أَحْرَقَهُ، وَمَنْ رَجَعَ لِدِينِهِ تَرَكَهُ. فَجِيءَ بِامْرَأَةٍ مَعَهَا صَبِي رَضِيعٌ، فَعَرَضَ عَلَيْهَا الْكُفْرَ فَأَبَتْ، فَأَمَرَ بِهَا إِلَى الْأَخْدُودِ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى النَّارِ أَشْفَقَتْ عَلَى الصَّبِيِّ وَهَمَّتْ أَنْ تَرْجِعَ. فَأَنْطَقَ اللَّهُ الْبَطْلُ، فَقَالَ: "يَا أُمَّاهُ لَا تَكْفُرِي بَعْدَ إِيمَانِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُهَا عَلَيْكَ بَرْدًا وَسَلَامًا". فَرَمَتْ بِنَفْسِهَا وَوَلَدَهَا فِي النَّارِ. ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ خَرِّبُوتٍ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ. وَذَكَرَهُ غَيْرُهُمَا أَيْضًا.

[5] \_ والخامس صبي ماشطة بنت فرعون: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان لفرعون خازن

من بني إسرائيل اسمه حزقييل بن برخائل، وكان مؤمناً، كتم إيمانه مئة سنة، وكان قد لقي من أصحاب يوسف، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون، فإذا هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون سقط المشط من يدها، فقالت: "تعس من كفر بالله"، فقالت لها ابنة فرعون: "وهل لك إله غير أبي؟! فقالت: "إلهي وإله أبيك واحد".

فجاءت ابنة فرعون لأبيها وهي تبكي، وقالت: "يا إلهي، إن الماشطة امرأة خزقي خازنك تزعم أن إلهك وإلهها واحد". فأرسل إليها، وأوقفها بين يديه، وسألها عن ذلك، وقالت: "صدقت، إن إلهك وإلهي وإله أهل الأرض واحد، وهو الله". فقال: "ويحك ارجعي إلى عبادتي"، فقالت: "لا أفعل ذلك". فأمر بأربعة أوتاد من حديد، فسمرت يداها ورجلاها، وأرسل عليها الحيات والعقارب، وقال لها: لا أزيل عنك هذا العذاب حتى ترجعي إلى عبادتي، فقالت: "والله لو عذبتني مدة الدنيا ما رجعت عن ديني". وكان لها ولدان، فأوتي بالكبير وقال لها: "إن لم ترجعي عن دينك ذبحته"، فقالت: "لا أفارق ديني"، فذبح على صدرها ثم أوتي برضيع لها فجعل على صدرها، فقال لها: "إن لم ترجعي عن دينك ذبحته". فنظرت إلى الصبي فأدركها الإشفاق عليه فسكتت. فأنطق الله الطفل، وقال: "يا أماه لا تحزني، واصبري، فإن الله قد بنى لك بيتاً في الجنة". ذكره وثيمة وغيره.

[6] \_ والسادس شاهد يوسف ﷺ: حين شهد للعزير، ودله على تمزيق القميص، فرآه العزيز قدّ من دبر، قال ما أخبر الله في كتابه العزيز عنه: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>، قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال النبي ﷺ: «إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان»<sup>2</sup>، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾<sup>(3)</sup>، وقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾<sup>4</sup>.

[7] \_ والسابع: «بينما صبي يرضع أمه فمرّ رجل راكب على دابة فارهة<sup>5</sup> وصورة<sup>6</sup> حسنة، فقالت أمه: "اللهم اجعل ابني مثل هذا"، فترك الثدي من يده، ونظر إلى الرجل وقال: "اللهم لا تجعلني مثله". ثم أقبل على ثديه يرضع، فكأنني أنظر إلى رسول

1 - سورة يوسف، الآية 28. وتمامها: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدُّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

2 - هذا الحديث وإياه جدا، لم يذكره إلا الإمام القرطبي في تفسيره، دون ذكر من أخرجه، تفسير القرطبي: ج 9/ص 175.

3 - سورة النساء، الآية 76. وتمامها: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

4 - الآية السابقة، يوسف، الآية 28.

5 - الفارهة: النشيطة الحادة القوة. ينظر: صحيح مسلم (رقم 2550). ج 16/ص 91.

6 - في رواية البخاري ومسلم: "شارة حسنة". وهي الهيئة واللباس. ينظر: =

الله ﷺ ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه، وهو يمصها. قال: ومروا بجارية وهم يضربونها [66ظ]، ويقولون: "زَيْتٍ، سَرَفْتِ"، وهي تقول: "حسبي الله ونعم الوكيل". فقالت أمُّه: "اللهم لا تجعل ابني مثلها"، فترك الرضاع، وقال: "اللهم اجعلني مثلها". فهناك تراجعاً الحديث، فقالت لابنها: "مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ"، فقلتُ: "اللهم اجعل ابني مثله"، فقلتُ: "اللهم لا تجعلني مثله". ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها، ويقولون: "زَيْتٍ وَسَرَفْتِ"، فقلتُ: "اللهم لا تجعل ابني مثلها"، فقلتُ: "اللهم اجعلني مثلها". فقال لها الصبي: "إن الرجل كان جباراً"، فقلتُ: "اللهم لا تجعلني مثله"، وهذه الأمة يقولون لها: "زَيْتٍ وَسَرَفْتِ"، وهي لم تزن ولم تسرق. فقلتُ: "اللهم اجعلني مثلها"<sup>1</sup>. انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

**قلتُ:** وإنما أتيتُ بذكر هؤلاء الصَّيِّانِ السَّبْعَةِ تَبْرُكاً بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ بَجَاهِهِمْ عنده وبجاهِ إمامِهِمْ وَسَيِّدِهِمْ عيسى \_على سيِّدنا مُحَمَّدٍ وَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ\_ أن ينجيني من أبواب النار وطبقاتها السبعة وأن يجعل بيني وبينها سورا رفيعا وحصنا منيعا، آمين يا رب العالمين.

**\_ فائدة:** ذكرها سيِّدي الرِّصَاع، ونصُّه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً: أولو العزم من الرُّسُلِ خمسة: نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمدٌ ﷺ وعليهم أجمعين.

والملائكةُ المقرَّبون: جبريلُ، وميكائيلُ، وإسرافيلُ، وعزرائيلُ.

<sup>1</sup> - الحديث برواية مسلم، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة... الحديث». صحيح مسلم (رقم 2550). ج 16/ص 89. - ورواه البخاري في صحيحه تحت (رقم 3436) ج 2/ص 440. ثمة تغيير طفيف في متن الحديث أثناء النقل من قبل الناسخ. ثم إنه ذكر في بداية القول سبعة من المتكلمين في المهد ولكنه ذكر ستة فقط، فلم يذكر الثالث. وفي البخاري ومسلم باتفاق: قالوا: قال أبو هريرة: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحب جريج، ورضيع امرأة من بني إسرائيل.

وأولاد النبي ﷺ الذكور: القاسم، وإبراهيم، والطيب، والطاهر. وبناته: فاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، رضوان الله عليهم أجمعين.

وأزواج النبي ﷺ: خديجة، وعائشة، وحفصة، وميمونة، وزينب رضي الله عنهن أجمعين.

وأصحابه العشرة: عبد الله بن عثمان وكنيته أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وكنيته أبو حفص، وعثمان بن عفان وكنيته أبو عمرو وعلي بن أبي طالب وكنيته أبو الحسن، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله عليهم أجمعين.

وأعمام النبي ﷺ: العباس بن عبد المطلب وكنيته أبو الفضل، وحمزة بن عبد المطلب وكنيته أبو يعلى. وحفيد النبي ﷺ الحسن والحسين أبناء علي رضي الله عنهما.

وفقراء أصحاب النبي ﷺ: أبو هريرة، وبلال بن حمامة<sup>1</sup>، وصهيب الرومي، وأبو الدرداء، رضي الله عنهم أجمعين.

وفرسان الإسلام أمير المؤمنين وقائد المجاهدين علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، والزبير بن العوام، والسفر بن الأسود الكندي. والزهاد الثمانية: أويس بن عامر القرني، وهم بن حيان، ومسروق بن الأجدع، والربيع بن خيثم، والأسود بن يزيد، وعامر بن عبد القيس، وأبو مسلمة الخولاني، والحسن بن أبي الحسن البصري، رضوان الله عليهم أجمعين. قلوبهم عرشية، وأرواحهم سماوية، وأبدانهم وحشية، وهمهم ربانية، وشجرة المحبة في قلوبهم مغروسة. أخذوا السخاء من إبراهيم عليه السلام، والحياء من يحيى عليه السلام، والإشارة من زكرياء عليه السلام، والتواضع من موسى عليه السلام، والصبر من أيوب عليه السلام، والتوكل من سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين.

<sup>1</sup> - كذا في كل النسخ المعتمدة.



والفقهاء السبعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وخارجة ابن زيد،/ [67و] وأبو بكر بن عبد الله، وعبيد الله بن عبد الله، وسليمان بن يسار، رضي الله عنهم أجمعين.

وأئمة الهدى الأربعة: مالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبو حنيفة واسمه النعمان بن بشير، رضي الله عنهم أجمعين.

لا شك ولا خلاف أن من توسل بهؤلاء الفضلاء عند الله في حاجة من حوائج الدنيا والآخرة تقضى حاجته، ويتصرفون في أمور كثيرة في الفهم والبركة في الرزق، وحفظ المال، وشفاء الأمراض، والفرج بعد الشدة، وسائر المنافع الدنيوية والأخروية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله ونفعنا به وبأمثاله، آمين يا رب العالمين\_.

فها أنا أتوسل إلى الله بجاههم عنده وبمحبته لهم أن يجيرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وأن يحفظني من كل مكروه وأن يدع ستره علي وعلى ذريتي، وأن يغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، وأن يميّتنا على محبة هؤلاء السادات، وأن يجمعنا معهم في أعلى المقامات في الغرفات العاليات مع الآباء والأمهات والبنين والبنات، آمنين من هول يوم الحسرات، كائنين تحت لواء سيد أهل الأرض والسموات، سيدنا ومولانا محمد أفضل الصلاة وأطيب التحيات. ثم الرضا عن أصحابه الفضلاء السادات. والحمد لله وكفى، ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾<sup>(1)</sup>. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### فصل في بعض كلام الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله

\_ [دلائل معرفة الله]: فمن ذلك ما ثبت عنه أنه قال: «إذا سألك أحد: بماذا تعرف الله؟»، فقل له: "واحد، موجود، له أسماء وصفات وذات: أسماؤه لا تشبه الأسماء، وصفاته لا

<sup>1</sup> \_ اقتباس من قوله تعالى في سورة النمل، الآية 59. وتامها: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

تشبه الصفات، وذاته لا تشبه الذوات، وإنما أوجد المخلوقات، وهو موجود لا يعلم أحد أين هو؟، [ولا] كيف هو؟. لا يشبهه شيء، ولا يشبه شيئاً، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(1)</sup>. كل ما يخطر في عقلك أو وهمك فإله بخلاف ذلك. لا يعلم الله إلا الله، والعجز عن الإدراك إدراك<sup>2</sup>. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

### \_ [أقسام الوجد]:

ومن كلامه أنه قال: «وجدت عن رسول الله أنه قال: «إذا ثبت الود سقط التكليف»، قالوا: "ما معناه يا رسول الله؟"، قال: "معنى الود حلاوة المذكور في قلب من ذكره"<sup>3</sup>، وأما إسقاط التكليف في ساعة الذكر بالهز والرقص والتصفيق وما أشبه ذلك". ولهذا إشارته ﷺ بإسقاط التكليف فقط؛ لأن الوجد ينقسم على أقسام الجوارح: فما نزل على الرأس اهتز به، وما نزل على العين أبكاها، وما نزل على اللسان صاح به، وما نزل على اليدين مزق بهما، وما نزل على الرجلين شطح بهما، وما نزل على القلب غشي عليه. وهذا من أقسام الوجد. ومن عاتب أحداً من هؤلاء فقد بارز حكم الله بالمحاربة».

### \_ [أقسام الشرك]:

ومن كلامه \_رحمه الله\_ أنه قال: «الشرك ينقسم على ثلاثة أقسام: معاتبة ومنازعة واعتماد:

<sup>1</sup> \_ سورة الشورى، الآية 11. ونماها: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

<sup>2</sup> - عبارة مقتبسة من الشطر الأول من بيت شعري ينسب إلى الإمام علي بن أبي طالب وفيه قال:

العجز عن درك الإدراك إدراك      والبحث عن سر ذات السر إشراك.

وهناك من ينسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع اختلاف في عجز البيتين حيث يقول أبو بكر الصديق:

الْعَجْزُ عَنْ دَرَكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ      وَالْوَقْفُ فِي طُرُقِ الْأَخْيَارِ إِشْرَاكٌ

- ينظر: ديوان أمير المؤمنين، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط1. (1414هـ/1988م). دون ذكر بلد النشر. ص 142  
- يوسف زيدان: الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية. دار الأمين للطباعة. ط2. مصر 1419هـ/1998م. ص248.

<sup>3</sup> - هذا ليس بحديث، ولا وجود له في أي كتاب من كتب السنة. ولم نجد له تخریجاً.

أما المعاتبة فقد تعاتب نفسك فيما تفعل، وتنسب التأثير لنفسك، ونسيت الفعل لما يريد سبحانه وتعالى، وهذا من أعظم الشرك.

وأما المنازعة فقد تنازع فيما نفذ فيه حكمه وانبرم أمره، وتذهب أعماركم في / [67ظ] قولكم: "لولا"، وهذا من أعظم الشرك أيضاً.

وأما الاعتماد فهو الاعتماد على الأفعال؛ قال الله العظيم: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(1)</sup>. والأعمال مخلوقة، أي: والله خلقكم وخلق أعمالكم. ومن اعتمد على المخلوق فهو محجوب عن الخالق سبحانه وتعالى. وأما ما يكون عليه العمل ما أمر به المولى ﷺ فيفعله العبد من غير اعتماد، ولتكن همة العبد إلى خالق الأعمال. وهذه الأقسام التي ذكرنا هي من حظ النفس، والهوى، والشيطان، وهم يختالون العبد من باب الطاعة، ومداواة ما يخفى أصعب علاجه؛ قال الله العظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(2)</sup>.

### \_ [أقسام الهمم]:

ومن كلامه ﷺ أنه قال: «إن الهمم ثلاثة: همة أبناء الدنيا، وهمة أبناء الآخرة، وهمة العارفين بالله. فهمة أبناء الدنيا دنياهم، وهمة أبناء الآخرة أخراهم، وهمة العارفين بالله مولاهم». ثم قال: «لأن خديم الدنيا أسير، وخديم الآخرة أجير، وخديم الحق تعالى أمير».

### \_ [مكانة المعرفة]:

ومن كلامه رحمه الله أنه قال: «وجدت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أقسم الجليل ﷺ: "ما خلقت أفضل من المعرفة، ولا أودعتها في قلب من فيه مثقال حبة من خردل من حب الدنيا. هيهات هيهات أن يسكن نور المعرفة في قلب الشهوات"».

<sup>1</sup> \_ سورة الصافات، الآية 96: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة النساء الآية 48، وتامها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

## \_ [المعرفة والعلم كالشمس والقمر]:

ومن كلامه \_ رحمه الله \_ أنه قال: «المعرفة والعلم شيئان؛ كما تقول الشمس والقمر: الشمس يسكن نورها أركان البيت، والقمر نوره إلا ما احتكم في ظاهره. والمعرفة هي الشمس يسكن نورها أركان القلوب. والعلم هو القمر، لا يسكن نوره إلا ما احتكم في ظاهره. والعلم متعلقُ اسْمِهِ الظَّاهِرُ، والمعرفةُ متعلقُ اسْمِهِ المَلِكِ الحَقِّ، وهو لا حدَّ له ولا نهاية. والعلم على قسمين: علمٌ مأخوذٌ من المَلِكِ الحَقِّ، وهو غائصٌ في بَحْرِ المَعْرِفَةِ، وعلمٌ مأخوذٌ من الأوراق. ولهذا قيل: "علمٌ موهوبٌ وعلمٌ مكسوبٌ". فشتان بين من نظر بنور البصيرة وبين من نظر بنور البصر».

## \_ [أقسام الذكر]:

ومن كلامه \_ رحمه الله \_ أنه قال: «الذكر ينقسم على ثلاثة أقسام: ذكر اللسان، وذكر القلب، وذكر الجوارح: فذكر اللسان بعشر حسنات؛ قال الله العظيم: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا﴾<sup>1</sup>، وذكر القلب بسبعين حسنة، وذكر الجوارح لا يعلم ثوابه إلا الله؛ قال \_ عز من قائل: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup>، هذا كلامه على جبل جامد، فما بالك باسم الله إذا أنزل على قلب متحرك شائق مشتاق هائم في بحر محبة محبوبه، أحاط به الوجد، وذهب عقله، كيف لا يهتز ويرقص، كيف يسكر قلب قد أحاط به الوجد وكذلك الجوارح. فاتق الله يا أخي، فبحر جوده يعم من في البحر والبر. والسلام».

## \_ [أقسام الغفلة]: ومن كلامه \_ رحمه الله \_ أنه قال: «الغفلة على ثلاثة أقسام: غفلة

باللسان، وغفلة بالقلب، وغفلة بالروح. أما غفلة اللسان فهي الانقطاع عن الذكر والاشتغال

<sup>1</sup> - سورة الأنعام. الآية 160. وتمامها: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

<sup>2</sup> - سورة الحشر الآية 21. وتمامها: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

بقيل وقال مع عدم الانتباه. وأما غفلة القلب فهي الغفلة عن التوجه إلى أمر الله في كل شيء. وأما غفلة الروح فهي الغفلة عن النظر إلى الوجود في كل لحظة. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه. من عرف الأشياء من رب الأشياء عرفه، ومن عرف الأشياء من الأشياء تلف. ومن كانت همته إلى الله فقد ضمن له الوصول. وأي جهل لمن كانت همته لغير الله. وأي عرف لِعَارِفٍ يقف مع غير الله، أبت همة السالكين أن تقف مع غير الله.

### \_ [حب الواصلين وبغض العارفين]:

ومن كلامه \_رحمه الله\_ في معنى قوله \_عليه الصلاة والسلام\_:/ [68و] «الحب في الله والبغض في الله<sup>(1)</sup>»: «الحب حب الواصلين، والبغض بغض العارفين: أما حب الواصلين فهو الاجتماع بالتلذذ في معرفته بتحقيق مشاهدتهم في وجوده على قدر ما وهب لهم من فضله وإحسانه. أبا المحققون أن يشاهدوا غير الله. كن له يكن لك. ومن كان لله كان الله له. وأما بغض العارفين فهو التسليم».

### \_ [أهل العبادة والإفادة والزيادة]:

ومن كلامه \_رحمه الله\_ أنه قال: «اثبت الأمر من أصله تستقم لك العبادة، واستعن بالله بأسمائه تكن من أهل الإفادة، واطلب المولى بفضله يعطيك الزيادة؛ قال الله العظيم: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>(2)</sup>، فالمراد بالحسنى الجنة. والزيادة النظر إلى وجهه الكريم».

<sup>1</sup> - الحديث ذكره أبو داود في صحيحه كما يلي: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ. الراوي: أبو أمامة الباهلي / المحدث: الألباني / المصدر: صحيح أبي داود، الصفحة أو الرقم: 4681. ورواه الطبراني تحت رقم (7613)، ج8، ص159. وذكره الترمذي في سننه برواية معاذ بن أنس كالآتي: من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه". ينظر: سنن الترمذي، رقم 2521.

<sup>2</sup> - سورة يونس، الآية 26. وتامها: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

**\_ [أقسام الصلاة]:**

ومن كلامه \_رحمه الله\_ أنه قال: «الصلاة على ثلاثة أقسام: صلاة بالجباه<sup>1</sup>، وصلاة بالقلوب، وصلاة بالأرواح. أما صلاة الجباه فهي صلاة العامة، ينطحون الأرض كثور له قرون يرعى الربيع، ولم يعرف تماثيله. وأما صلاة القلوب فهي صلاة الأولياء الذين إذا أحرموا بالصلاة غابوا عن كل ما سواه، وهاموا في المناجاة؛ وقد كان رجل في عهد رسول الله ﷺ وفي رجله علة، فقطعوها وكووها بالنار وهو في الصلاة ولم يشعر بذلك، فلما فرغ قال: "إني شممت رائحة الشياطين"، فقالوا: "قد نزعنا ما في رجلك"، فقال: "الحمد لله"، وقد حمده على غيبته في مناجاة ربه، ولم يكن حمده على نزعها من رجله. وأما صلاة الأرواح فلا يعلمها إلا من خصه الله بها. أسكن الأرض بجسمك والعلابروحك تقز يا فتى».

**[النفس والشيطان والهوى كلاب الله]**

ومن كلامه رحمه الله أنه قال: النفس والشيطان والهوى كلاب الله، إن اشتغلت بمولك صرفهم عنك برفق، وإن غفلت عن مولك سلطهم عليك، ومن أراد النجاة فليلزم ذكر الله، والتوجه إلى أمر الله في كل شيء. قال الله العظيم: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾<sup>(2)</sup>. فعليك بذكر الله تنجو من الأشرار.

**\_ [فائدة التَّفَكَّرِ وَالذِّكْرِ وَالتَّعَرُّضِ]:**

ومن كلامه \_رحمه الله\_ أنه قال: التفكير يشهد لصاحبه بالولاية، والذكر يشهد لصاحبه بالإيمان، والتعرض يشهد لصاحبه بالحرمان؛ قال الله العظيم: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - كذا في (د) وفي (ا) و(ب) و(ك): "الأجباح". وهو خاطئ. والحيح ما أثبتنا.

<sup>2</sup> - سورة الكهف، الآية 28. وتامها: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

<sup>3</sup> - سورة الزخرف، الآية 36.

**\_ [علامات محبة الله للعبد]:**

ومن كلامه \_ رحمه الله\_ أنه قال: «من أحبه الله يقيمه في ثلاث مسائل، التسليم لخلق الله والتوجه لأمر الله، وعقل يجول في معرفة الله».

**\_ [أقسام الطهارة]:**

ومن كلامه \_ رحمه الله\_ أنه قال: «الطهارة على خمسة أقسام: طهارة الجنابة بالماء، وطهارة الذنب بالتوبة والاستغفار، وطهارة القلب بذكر الله، وطهارة الجهل بنور معرفة الله، وطهارة الروح لا يعلمها إلا من خصه الله بها، ومن كان الله كان الله له».

**\_ [دواء النفس!]:**

ومن كلامه \_ رحمه الله\_ أنه قال: «الرسل في المثال شمس، والنبِيُّون قمر، وعامة الأولياء كواكب، فبالشمس يستضاءون، وبالقمر يستتارون، وبالنجوم يهتدون. فالرسل حجة الله على عباده، والنبِيُّون أمناء الله في أرضه، والأولياء رحمة الله على خلقه، فلا تطمع في رتبة الولاية وقد صار قلبك بالجزع من المصائب مشحوناً، وصدرك بمحاكاة الخلق مسكوناً، وحب الدنيا في سرك مخزوناً، وعقلك في قبضة هواك مسجوناً. فلا يصل إلى رتبة الولاية من كان علمه بالجهل مقروناً، ولا ينزل درجة القرب من كان بجمع المال مفتوناً.

واعلم أيها الأخ الكريم أن الدينا بحر والتقوى سفينة، وشهوات النفس عواصف والآخرة ساحل والناس في سفر، فمتى هال البحر بالعواصف،/[68ظ] وخيف على السفينة الغرق، وجعل الناس يرمون المتاع لتخف السفينة، فأول ما ترمي أنت من السفينة نفسك، فإن فعلت سكنت العواصف وطاب البحر واستقام جريان السفينة، فتخرج إلى الساحل برأس مالك سالماً والأرياح لا تحصي.

واعلم أن دواء النفس في دائها، وعزها في ذلها، وحياتها في موتها، وقوامها سفرها في تركها، وتجارها في سجنها، وربحها في محاسبتها، وهلاكها في شهوتها، وبعدها في إرادتها، وحجابها في راحتها، وراحتها في تعبها. فمن زجرها عن الشهوات زالت عنه ظلمات الكون،

وظهر له نور الغيب، ومن عقلها عن العلا انكشفت له الحقائق، ومن صانها من العلل برزت له القدرة، ومن قطعها عن الطمع رسخت له المحبة، ومن منعها من إرادتها شاهد أسرار الغيب ورفع له منصب الولاية. لكن في جسم<sup>1</sup> هذه العلل استصعاب في ترك المعالجة. لا تطمع في المجد دون الصبر والجهاد. كمن لا يزرع ويطمع بالحصاد، كم صبر [من]<sup>2</sup> الرجال قبلك فأدركوا بعد الصبر مجداً، فاصبر كما صبروا تصل كما وصلوا، إن سبقت لك العناية وَخُصِّصَتْ من الله تَيَسَّرَ<sup>3</sup> عليك<sup>4</sup> كل عسير، [وما توفيقى إلا بالله]<sup>5</sup> [العلي العظيم]<sup>6</sup>».

### \_ [أقسام العقل]:

ومن كلامه \_ رحمه الله \_ أنه قال: «العقل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: عقل كثيف وعقل مخيف وعقل لطيف.

أما العقل الكثيف فهو العقل الخشين، وهو عقل أبناء الدنيا، يصلح لأمرها وتدبيرها، فمنهم الأعلى ومنهم الأدنى.

وأما العقل المخيف فهو عقل أبناء الآخرة يعبدون الله خوفاً من النار وطمعاً في الجنة، خوفاً من المخلوق؛ لأن النار مخلوقة، وطمعاً في الجنة؛ لأن الجنة مخلوقة، فمنهم الأعلى ومنهم الأدنى.

وأما العقل اللطيف فهو عقل العارفين الذين يغوصون في بحر الوجدانية، حتى يعرفوا وجوده بتحقيق المعرفة، وهو عقل رقيق الحال كثير المعنى، نوره ساطع، وأمره غواص، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: فمنه شعاع البصيرة، ومنه عين البصيرة، ومنه حق البصيرة. فإيا له

1 - في (ب): "في حسم".

2 - ما بين المعقوفين إضافة من (ك).

3 - في (أ): "يَسَّرَ". وفي (ب) و(د): "تَيَسَّرَ". وفي (ك): "يَتَيَسَّرَ".

4 - كذا في (أ) و(ك). وفي (ب) و(د): "لك".

5 - ما بين المعقوفين ساقط من (ك).

6 - ما بين المعقوفين زيادة في (ب) و(د).



من عقل ما أفضله، ويا له من مقام ما أطيبه، ويا له من مورد ما أعذبه. والمعرفة نور من أنوار الذات لا يضعها إلا في قلب من أراد أن يوصله إليه. وإياك وإياك والوقوف عندها؛ لأنها مخلوقة، وهي ظلمة لمن يعتمد عليها، وهي نور لمن نادته هوائف الخوالق<sup>1</sup>، فلا تغتر بالوقوف عندها؛ إنما هي بشارة بالقرب، فيا له من مقام «في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ»<sup>2</sup>، فعند ذلك يشاهد من ليس له حد ولا نهاية، ويعود هذا العبد السالك يقول العجز عن الإدراك إدراك. والسلام».

### \_ [أسئلة أجاب عنها الجزولي]:

ومن كلامه \_ رحمه الله \_ ما نقله عن سيدي محمد بن سليمان الجزولي \_ نفعنا الله بهما \_ ولفظه أنه «سئل سيدي محمد بن سليمان الجزولي عن مسائل منها: أي شيء استوت عليه السموات والأرض؟، وأي شيء أحاط بعظمة الله؟، ومنها: أين الله في السماء أو في الأرض؟، ومنها: وما هو علم اليقين؟، ومنها: وما عين اليقين؟، ومنها: وما حق اليقين؟، ومنها: وما هي المجاهدة؟، ومنها: وما هي المراقبة؟، ومنها: وما هي المشاهدة؟. ومنها: وما هو علم الظاهر؟، ومنها: وما هو علم الباطن؟، ومنها: وما أولكم؟، ومنها: وما آخركم؟، ومنها: وما ظاهركم؟، ومنها: رأيت الله في وأنا فيه. فأجاب ﷺ:

أما أي شيء استوت عليه السموات والأرض وجميع الموجودات وعالم الملك وعالم الجبروت فهو اللطف والحفظ؛ ولولا اللطف والحفظ لانهدمت.

[69و] وأما أي شيء أحاط بعظمة الله؟، لا شك أن القول قول محلول، ولا يستقيم معناه بحال؛ لأن عظمة الله صفة من صفاته، والصفة لا تفارق الموصوف، جل الملك الحق على أن يحيط به أحد من مخلوقاته.

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "الحقائق" وهو الصواب.

<sup>2</sup> - اقتباس من سورة القمر، الآية: 55 ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾.

وأما أين الله في السماء أو في الأرض؟ فمن قال في السماء فمأخوذ من العلوّ؛ لأنه إن قال في السماء فإنه إشارة منه إلى علوّه وجلاله، وأنه منفرد بصفة الكمال التي لا تدرك، ومن قال في الأرض، فمعناه تعظيمه وذكره وهيبته ومحبته والاستئناس به في قلوب العارفين الذين لا يفترون عن ذكره، جل الملك الحق على الحلول في القلوب والاستقرار في المكان.

وأما علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فأما الأول فهو بحر لا ساحل له، والثاني أعظم منه، والثالث أعظم منهما، ولو اجتمعت الإنس والجن والملائكة على شرح حرف من حروفه لم يقدرُوا أن يحيطوا بمعناه؛ كما قال الله العظيم: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>، أي: ما نفذت معانيها. أما علم اليقين فهو النظر والاستدلال بعد الخروج من ظلمات التقليد؛ والنظر والاستدلال يقين.

وأما عين اليقين فهو الثبوت على التوحيد بالدليل والبرهان. وأما حق اليقين فهو الاستدلال بالصانع على المصنوعات، فالمقام الأول توحيد، والثاني تفريد والثالث تجريد.

وأما ما هي المجاهدة؟ فهي مقام المبتدئين. وأما ما هي المراقبة؟ فهي مقام المتوسطين. وأما ما هي المشاهدة؟ فهي مقام المنتهين.

والمجاهدة مخالفة النفس والهوى والأخذ في الاجتهاد على موافقة السنة وترك الراحة وهجران الشهوات وكثرة البكاء على ما فات من الأوقات. وأما المراقبة فهي مقام الأحاباب.

وأما المشاهدة فليس للعبد فيها اكتساب، وهي جذب رباني روحاني، وحقيقة الجذب لا يعلمها إلا المجذوب الروحاني الكامل الجذبة، الغائب عن الخلق وما هم عليه. والكلام في هذا يطول، ولا يجوز إفشاؤه في الأوراق. والسلام<sup>(2)</sup>».

### \_ [مصادر العلم]:

1 - سورة لقمان، الآية 27. وتماها: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. وكتب على هامش (أ): "الداني: أنما".

2 - الملاحظ أنه ترك أسئلة لم يورد الإجابة عنها.

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ أنه قال: «وفي الحقيقة أخذ العلم من الكتاب والسنة والإجماع. فأما الكتابُ فقوله: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>. وأما السُّنَّةُ فما نقل عن رسول الله في الأربعين حديثاً: «إن من أمتي لمحدثين ومكلمين<sup>(2)</sup>» إلى غير ذلك من الأحاديث. وكما ورد عن أبي ذر أنه قال: «قال رسول الله: «إن لله رجالاً لا ينظرون إلاَّ لله، ولا يأخذون العلم إلاَّ منه، ولا يسمعون إلاَّ منه، فهم في كنفه»». وقال عتبة الغلام: «السر منه ما أودع في القلوب، ومنه ما أودع في الغيوب، ولا يرضى الله لغيبه إلا من اصطفاه لنفسه». وكيف لا يطلع أحد على ما في الغيب، والله قريب إلى نفسه؟! كما قال بعض الأولياء: «لست قريباً منِّي فأخفتي بصوتي منك، ولا بعيداً مني فأناديك، ولا في جهة من الجهات فأمشي بقدمي إليك؛ إذ القرب والبعد يتضمنان المسافة، ولا مسافة بيني وبينك. أنت أقرب من نفسي لنفسي من غير مازجة لحمي بدمي. قربك بعد من غير انفصال، [وبعدك قرب من غير اتصال]<sup>3</sup>، ولا يجحد هذا إلا من أعمى الله بصائرهم عن النظر إلى فضل الله وتخصيصه».

فمن جحد هذا فقد كذب قول الله تعالى؛ حيث قال: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾<sup>(4)</sup>. والرزق ينقسم على ثلاثة أقسام: [منه] ما يرجع للمأكل، ومنه ما يرجع للباس، ومنه ما يرجع لقرب الله، وهو أصدق. / [69ظ] ودليله ما روي أن رسول الله ﷺ وقف على أهل الصفة، فقال: «السلام عليكم يا جلساء الله، السلام عليكم يا قرياء الله، السلام

1 - سورة النور من الآية 37. وتامها: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.

2 - لم أجد له تخريجاً.

3 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

4 - سورة النحل الآية 71. وتامها: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

5 - كذا في جميع النسخ. ولعله: «إلى» أصح.

عليكم يا أهل غيب الله». وهذا الحديث ذكره القشيري في رسالته<sup>(1)</sup>. ودليله أيضا ما روي عن عليّ أن رسول الله قال: «إن لله رجالا أجسادهم مع الخلق وأرواحهم مع الحق»<sup>2</sup>.

وحكي أن بعض الأولياء قال: "وحيق لقلوب العارفين ذكر الله، وتذكراهم المناجاة لأمر الله وأجسادهم في الأرض تبلى من حب الله، وأرواحهم تسري في غيب الله".

وقال أبو القاسم الجنيد لأصحابه: "أفيكم من يعلم الكون قبل وجوده؟ قالوا: "لا"، فقال:

"ابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئا". وقال سيدي عبد القادر<sup>3</sup> في شعره: [طويل]

وَأَمْرِي بِأَمْرِ اللَّهِ إِنْ قُلْتُ كُنْ يَكُنْ وَكُلُّ بِأَمْرِ اللَّهِ فَاحْكُمْ بِقُدْرَتِي<sup>4</sup>

ومن كذب بهذه الطريقة لعنه الله، فعليكم بتصديق الأنبياء والأولياء. ودليله ما قاله

رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»<sup>5</sup>. والطائفة التي نبه عليها \_ عليه الصلاة والسلام \_ هم العارفون بالله، فمن لم يعرف الله في الدنيا لم يعرفه في الآخرة.

وهذه الطريقة على سبع مراتب: منهم الصالحون ثلاثة آلاف، والأولياء ثلاثمائة،

والبدلاء أربعون، والنقباء سبعة عشر، والنجباء سبعة، والأوتاد أربعة، والقطب واحد.

<sup>1</sup> \_ لم أجد له تخريجا.

<sup>2</sup> - هذا ليس بحديث، ولا وجود له في أي كتاب من كتب السنة التي رجعت إليها.

<sup>3</sup> - البيت من القصيدة لسلطان الأولياء عبدالقادر الجيلاني قدس سره (ت 561هـ).

<sup>4</sup> - وهذه أبيات منها نقلتها من ديوانه. انظر ديوان عبدالقادر الجيلاني: دراسة وتح يوسف زيدان. دارالجيل. بيروت. ص 107-

108. موقع الكتروني. www.wadod.org

وَأَصْبَحَتْ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ جَالِسًا عَلَى طُورِ سَيْنَا فَمَا سَمَوْتُ بِخَلْعَتِي

وَوَطَّأْتُ بِي الْأَكْوَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَصِرْتُ لَهَا أَهْلًا بِتَحْقِيقِ نَسَبَتِي

فَلِي عِلْمٌ فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ قَائِمٌ رَفِيعُ السَّنَا تَأْوِيلُهُ كُلُّ أُمَّةٍ

فَلَا عِلْمٌ إِلَّا مِنْ بَحَارٍ وَرَدْنَهَا وَلَا تَقْلَ إِلَّا مِنَ الْإِمْنِ صَاحِبِ رَوَايَتِي

<sup>3</sup> - روى الإمام مسلم في صحيحه «قال: حدثنا سعيد بن منصور وأبو الربيع العنكي وَفَنَيْبَةُ بن سعيد، قالوا: حدثنا حماد - هو: ابن

زَيْدٍ - عن أَيُّوبَ، عن أَبِي قَلَابَةَ، عن أَبِي أَسْمَاءَ، عن ثَوْبَانَ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي

ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَدَلْتَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». صحيح مسلم: رقم (1920) / ج 13. تح: محمد سيد عبد

رب الرسول. مكتبة أبو بكر الصديق. ط 1. القاهرة. 2006م. ص 58- رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: فِي بَابِ مَنْ يَرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ

فِي الدِّينِ: رَقْمٌ (71) ج 1. ص 89- وَذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ فِي بَابِ "مَا جَاءَ فِي الْأُمَّةِ الْمُضِلِّينَ" رَقْمٌ (2229) ج 5. ص 504.

وقال سيدي محمد بن سليمان الجزولي: "كل ذكر فكر، وكل فكر نور، وكل نور سرّ وكل سرّ غيبة وحضور، وكل حضور شهود، وكل شهود هيبة، وكل هيبة تعظيم، وكل تعظيم تنزيه، وكل تنزيه تمجيد، وكل تمجيد تقريب، وكل تقريب تحديث، وكل تحديث فهم، وكل فهم لذة، وكل لذة شوق. ومن لم يسلك هذه المقامات فعليه بمجالسة<sup>1</sup> أهلها".

### \_ [أقسام العلم]:

وقال ﷺ: العلم علمان: علم الظاهر وعلم الباطن. فعلم الظاهر هو المأخوذ من الأنبياء \_ عليهم الصلاة والسلام \_ وأصله الوحي، وعلم الباطن هو المأخوذ من الله تبارك وتعالى بواسطة الإلهام وطوالع الإقدام. وأما الجاهد المنكر فضل الله على ما أنعم الله عليه بمشاهدة جلاله فهو أعمى، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعمَى﴾<sup>(2)</sup>.

### \_ [أقسام العمى]:

والعمى ينقسم قسمين: منه ما يرجع للبصر، ومنه ما يرجع للبصيرة. فمن كانت بصيرته منطمسة لا ينفعه نور البصر؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(3)</sup>. نور القلب باطن ونور البصر ظاهر. كما أن علم الكتاب ظاهر وعلم القلوب باطن.

### \_ [أقسام العوالم (1)]: والعوالم<sup>(4)</sup> ثلاثة أقسام: عالم الملك، وعالم الملكوت، وعالم

الجبروت. أما عالم الملك ما ظهر لنا من أبصارنا، وعالم الملكوت ما غاب عن أبصارنا،

<sup>1</sup> - في (ب): "بمجالس أهلها".

<sup>2</sup> - سورة الإسراء، الآية 72. وتامها: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

<sup>3</sup> - سورة الحج، الآية 46. وتامها: ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

<sup>4</sup> - في (أ): "والعوالم"، وهو تحريف.

وعالم الجبروت ما غاب عن البصائر. وكل إنسان أيضاً له ملك وملكوت وجبروت. فالجسم منه ملك، والقلب منه ملكوت، والروح منه جبروت؛ كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

ومن ادعى بمعرفة هذه الأشياء فليخبرنا عن هذه الأشياء التي لا يجابوب عليها إلا ذو مقام ذوقي وفتح رباني؛ لأنها مسطرة في الكتب، فلا تعرف إلا بالقلوب.

أجيبوني \_رحمكم الله\_ عن النقطة التي تكمل بها الولاية؟ وما عددها؟ وما هي النقطة؟ / [70و] وما هي صفتها؟ وما محلها؟ وما حولها؟. وكم من أنوار ينظر بها الولي الكامل؟. وصفة معراج الولي في طباق السموات؟ وأين مقام القطب في العرش؟ وأين مقام الأوتاد؟ وأين مقام العرفاء؟ وأين مقام البدلاء؟ وأين مقام الأولياء؟ وكيف يدور الولي بالأفلاك؟ وما صفة البحر السابع؟ وهل بينه وبين سائر البحور فرق، أو هو مثلها في الهيئة واللون والتحريك؟ وما اسم الملك الذي عن اليمين؟ وما اسم الملك الذي عن اليسار؟ وكيف انقسمت الدنيا على الأوتاد؟ وكيف يدور بعضهم على بعض؟ ومن عجز عن معرفة هذه الأشياء فلا يجوز له الكلام في هذه الطريقة، وليقف عند حظه من ربه، ولا يتعداه. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

### \_ [حقيقة الجذب]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما كتب به لبعض أصحابه، ونصه: «الحمد لله الذي جذب أرواح خاصة الخاصة إلى مشاهدة جلاله وجماله، وأغناهم بفضله عن الاستدلال [عليه]<sup>3</sup> بشيء من مخلوقاته، وصان أفكارهم عن الافتراق في ملكه وملكوته، وبهر عقولهم بما تجلى لهم من نور قدسه وكبريائه. سبحان من يخص برحمته من يشاء من

<sup>1</sup> \_ سورة الفاتحة، الآية 2: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة البقرة، الآية 60. وتامها: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

عباده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، تعالى ربنا أن يصل إليه أحد إلا به، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله، والحمد لله أولاً وآخراً، والشكر له ظاهراً وباطناً. أما بعد، أكرمني الله وإياكم بالنظر إلى وجهه الكريم، وسلك بنا وبكم سبيل أولياء الله في هذه الدار بجاه النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة بدوام ملك الملك الجبار.

فاعلم يا أخي أن الطريق إلى الله على عدد المخلوقات، وأفضلها وأطيبها وأقربها وأعلاها وأزكاها طريق الجذب الرباني، فإنه طريق روحاني نوراني، ليس فيه قطاع ولا لصوص، ولا شعاب<sup>1</sup> ولا جبال، ولا أنهار ولا بحار. وبالجملة فليس فيه خوف ولا آفة من الآفات تظهر على سالكيها بوارق الأنوار وخوارق العادات وأنوار التجليات والمشاهدات والمحادثات والفتوحات الربانية. فأرباب هذا المقام غابوا عما يرد عليهم من قبل الحق تعالى. كيف لا يغيب من صار في قبضته، فبه ينطق، وبه يسمع، وبه يبصر، كما جاء في الخبر، وهؤلاء في غاية القلة والندور، فهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً فمن وجد واحداً منهم، فقد [وجد]<sup>2</sup> الحجر الأحمر؛ لكن قليل من يجد الحجر ويعرفه بين الأحجار. لعلك [يا أخي تقول وما السبيل الذي يوصل إلى هذا المقام في الظاهر والباطن؟]. فاعلم<sup>3</sup> يا أخي زادك الله صلاحاً وفلاحاً، أن من أراد الله لهذا المقام فسبيله الخروج عن جميع الأشغال القاطعة عن باب الله تعالى. وأما الباطن فسبيله الخروج عن جميع الحظوظ، وبعد هذا يكون مجذوباً ظاهراً وباطناً، ولا يهم بشيء سوى محبوبه. فهذا هو المجذوب الكامل الجذبة. والجذبة عبارة عن الخروج عن الخلق إلى الخالق ومن الباطل إلى الحق: [طويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَّا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ<sup>4</sup> وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - في (ب) و (د): "شُعْبٌ". وفي (ك): "شعوب".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا).

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط في (ا) و (ك).

<sup>4</sup> - الشطر الثاني من البيت ساقط من (ب).

ومن الظاهر إلى الباطن، ومن الباطن إلى باطن الباطن، ومن باطن الباطن إلى ظاهر الباطن، ومن المعدوم إلى الموجود. فطريق المجنوبين مختلفة على حسب ما تجلى لهم من أنوار الذات، والسالكون مثل ذلك على حسب ما تتجلى لهم من الأفعال والصفات. فالجذبة فعل الحق، والسلوك فعل الخلق. وأفعال الخلق مشوبة بما يناقشها ويفسدها/ [71و]:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(2)</sup>.

### \_ [رسالة إلى صديق]:

ومن كلامه \_ رحمه الله\_ ما كتبه لبعض أصحابه، وهو: «أما بعد فقد انتهى إلينا مكتوبكم وعلما ما أشرتكم إليه من نصيحة من منقول ومعقول، ومعول وغير معول، ودليل وغير مدلول، ومنصوص ومحسوس، ومدرك وذات وصفات ومعنى، وعالم ومتعلم، وبيان وإيضاح.

اعلم يا أخي لكل وضع وضوع، ولكل وضوع وقوع، ولكل وقوع خضوع، ولكل خضوع رجوع ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(3)</sup>. فالويل كل الويل لمن لا يخاف ربه، ولا يراقب

<sup>1</sup> - البيت للشاعر لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، أبو عقيل، من هوازن قيس. كان من الشعراء المعدودين وأحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم. والبيت قاله بمناسبة رثاء النعمان ابن المنذر المتوفى في أول القرن السابع الميلادي بقصيدة بعنوان: "ليبيك على النعمان" يقول في مطلعها:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول	أنحب فيفضي أم ضلال وباطل.
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم	بلى كل ذي لب إلى الله وأسئل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل	وكل نعيم لا محالة زائل
وكل ابن أنثى لو تطاول عمره	إلى الغاية القصوى فالقبر آيل

ذكر الأبيهي في المستطرف ثلاثة أبيات بعد بيت "الصباغ". ينظر شهاب الدين محمد بن أحمد الأبيهي: المستطرف في كل فن مستظرف. تح محمد خير طعمه الحلبي. ط5. دار المعرفة. بيروت، لبنان (1429هـ/2008م). ص14.

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري : اعتنى به حمدو طماس، ط1. دار المعرفة، بيروت. لبنان. (1425هـ / 2004م). ص85.

<sup>2</sup> - سورة النور، الآية21. وتماها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

<sup>3</sup> - سورة البقرة، الآية105. وتماها: ﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.



مولاه الذي خلقه، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(1)</sup>، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾<sup>(2)</sup>، لا يعرف [المنزل]<sup>(3)</sup> إلا من سكنه، ولا يعرف المحل إلا من أحله.

وافهم ذوق الأشياء الكثيفة تعرف بها ذوق الأرواح اللطيفة. فكيف تتكلم أو تقول وكنا قاصر عن العبادة: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءًا وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾<sup>(4)</sup>. والأحمال تختلف باختلاف الأشخاص، وعيون وبحور يعرف منها على قدر كل حوامل ومعادن وطبائع، وسر وإعلان، ويوصل<sup>5</sup> من غير أهله؛ إذ حمل القط لا يحمله الجمل وحمل الجمل لا يحمله القط. ورسومها ثلاثة: الفقه في الأديان، والطب للأبدان، والتصوف للجنان ومجاورة الرحمن في دار القرار. والخلق الغالب عليهم الكثافة والفضاضة وغلظة القلوب. وقد اشتكى إلى رسول الله ﷺ قساوة القلوب، فقال: «عليكم بذكر الله»، وهي من جملة التعليم ومولانا هو المعلم للخاص والعام. فإنما على العبد بالأسباب، وعلى الله بفتح الباب.

والواجب علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما كان طاعة في الشريعة، والأمر بالتعليم على قدر الأمكنة، وعلى قدر كل مثوب إلى الله عزَّ وجلَّ. وما أطلعنا الله عليه من نوره وأنواره كثيرة لا تحصى ولا تتضببط لا لعربي ولا لعجمي، فإن حضرة الألوهية واسعة نور الطبع ونور العقل ونور القلب ونور السر الرباني. وهو أعظم الأنوار كلها وأجلها وأكبرها.

فالفهم على قدر المواهب الفائقة، ويحتاج إلى تحويل وتنزيل وتنقيح. فسبحان من أحصى كل شيء عدداً<sup>(6)</sup>. رحمة الله واسعة، فائق الله يا أخي إن كنت عاملاً فبحر جوده

1 \_ سورة المومنون، الآية 1. وتامها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

2 \_ سورة هود، الآية 105. وتامها: ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

3 \_ ما بين المعقوفين مكتوب في هامش (أ).

4 \_ سورة الإسراء: الآية 20 ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءًا وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

5 - كلمة غير واضحة في جميع النسخ. في (ب): "ويؤمن من غير أهله". وفي (د): غير منكرة.

6 \_ اقتباس من قوله تعالى في سورة الجن، الآية 28. وتتمتها: ﴿لِيُعَلِّمَ أَنْ قَدْ أُلْبَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَخَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

يعم من في البرّ والبحر. وترجّ أيها العارف بالله أن تترقى. فارحل من الأكوان إلى المكون،  
﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾<sup>(1)</sup>، فافهم. والسلام». انتهى.

انظر يا فقيه ما تحت هذا الكلام من العلوم والمعارف والمعاني التي لا تحصى، ولا يعرفها إلا من ذاقها؛ لأن علوم أولياء الله عزيزة جداً، لا يطعم منها إلى من ذاق أو شم.  
قال سيدي موسى [بن عيسى المازوني]<sup>2</sup> [المذكور]<sup>3</sup> رحمه الله: «وفي الحديث: «لا تعطوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم». اختصهم الله بعلوم ربانية وأسرار ملكوتية.

كان الشيخ داداً أبو يعزى عبداً أسود نورَ الله باطنه، فصارت المطايا تعمل إليه من أقاصي البلدان، لما يؤثر عنه من الغرائب والعجائب، وهو أعجمي اللسان. وبعصره ومكانه من هو أحسن منه صورة وأفلق جنانا. فتبين لك من هذا أن سرّ الله ليس هو بفصاحة اللسان ولا بحسن وجهه، وإنما هو بفضل الله وبرحمته وعنايته السابقة. وأنشدوا: [طويل]  
فَكَمْ مِنْ جَمِيلِ الْوَجْهِ لَا عَقْلَ عِنْدَهُ وَمَنْظَرُهُ فِي النَّاسِ مَنْظَرُ عَاقِلٍ  
وَآخِرُ تَنْبُو الْعَيْنِ عَنْهُ وَإِنَّهُ لَصَاحِبُ رَأْيٍ حِينَ تَبْلُوهُ فَاضِلٌ<sup>4</sup>  
هذا الشيخ أبو مدين طار ذكره في الآفاق، وقُصِدَ قبره للزيارة/ [71ظ] من أقصى العراق، وهو لم يقرأ من القرآن إلا تبارك الملك. وبانتهائه إليها انتهت إليه رياضة الوجود». انتهى منه رحمه الله.

\_ [حكم السبحة]: ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله أنه سئل عن السبحة، هل يجوز أخذها باليمين؟ فقال: "يجوز، وهي كالمهماز للفارس"، أو كلام نحو هذا.

<sup>1</sup> - سورة النجم، الآية 42: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ا) و(ك).

<sup>4</sup> - لم أعر على قائل البيتين. وقد وجدتهما مذكورين في كتاب لأبي موسى بن عيسى المازني دون أن يسندها إلى قائلها. ينظر: "مناقب صلحاء الشلف". ص 65.

<sup>5</sup> - في (ب): "كالمهماز".

قلتُ: ويشهد لما قاله سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما ذكره الشطنوفى، ونصه: «قال الشيخ عمر البزار: "وكانت مسبحة تاج العارفين التي أعطها للشيخ محيي الدين سيدي عبد القادر إذا وضعها على وجه الأرض تدور حبة حبة. ولما مات وُجِدَتْ في تكة<sup>1</sup> سراويله. وأخذها بعده الشيخ علي بن الهيتي، وأخذها بعده الشيخ علي بن فايد، انتهى. فهذا من أدلّ الدليل على قول الشيخ سيدي أحمد بن يوسف في جواز أخذ السبحة باليد اليمنى"».

ومنه ما روي عن الجنيد أنه رئي وفي يده سبحة، فقيل له: "أنت مع شرفك تأخذ في يدك السبحة؟!، فقال: "طريق بها وصلت لربي عزَّ وَجَلَّ لا أفارقها". انتهى من سيدي موسى المذكور.

ودليله أيضا ما ذكره سيدي أبو القاسم البرزلي، ونصه: «وروينا في كتاب الغيبة لعياض بسنده إلى الصدفي قال: "سمعت أبا عمر بن علي ورأيت في يده سبحة، وقلت: يا أستاذ مع شرفك وأنت مع السبحة؟! فقال: "لقد رأيت الجنيد بن محمد وفي يده سبحة، فسألته عنها"، فقال: "هكذا رأيت الحارث بن أسد وفي يده سبحة، فسألته كما سألتني عنه"، فقال: "هكذا رأيت أستاذي بشر بن الحارث بن أسد<sup>2</sup> وفي يده سبحة فسألته عنها فقال: "هكذا رأيت عامر بن شعيب وفي يده سبحة، فسألته عنها"، فقال: "هكذا رأيت أستاذي الحسن بن الحسن

<sup>1</sup> - كذا في كل النسخ.

<sup>2</sup> - بشر الحافي: هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر، المعروف بالحافي، أصله من مرو، وسكن بغداد، ومات بها، وهو خال علي بن خشرم. مات سنة سبع وعشرين ومائتين. وكان كبير الشأن، أحد أعلام المسلمين في القرن الثالث الهجري. ولد سنة 179 هـ في بغداد، وعاش فيها إلى أن وافته المنية في بغداد يوم 10 محرم، سنة 227 هـ. ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، موقع الكتروني في الأنترنت.

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

البصري وفي يده سبحة، فسألته عنها"، فقال لي: "هذا شيء استعملناه في البدايات ما كنا لنتركه في النهايات".».

### \_ [ضرورة الذكر]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما كتبه لبعض تلامذته، وهو: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

عليك بذكر الله عند كل نفس داخلاً وخارجاً، واترك الخلق من قلبك نفضاً بمرادك، واذكر حتى تحضر، واذكر حتى تغيب وتحضر، واذكر حتى لا تغيب ولا تحضر، تغيب فيه وتحضر به. كان الله ولا شيء معه. وافهم. والسلام.».

### \_ [فائدة الذكر]:

ومنه: «أوصيكم إخواني، عليكم بذكر الله في السرّ والعلانية، وبالتوكل على الله بالكلية، وعليكم بالعهد الأول يا من عليه معول، وبالرجوع إلى الله والمحبة في الله ولأولياء الله، والزموا أوردكم، وولفوا إخوانكم. ولا تسمع من قائل وطاعن، ومن الذين يستعجزون قدرة الله ومولانا صاحب المواهب العلية. يخص من يشاء بما يشاء، وهو على كل شيء قدير. نفع الله الكل بما قصدوا وأعانهم على ما طلبوا، وكونوا من الله خائفين وبأوامره عاملين، و عما نهاكم عنه ناهين وفي كلام العزيز محبين. اتركوا المشتغلين الصادين عن باب الله. وباب مولانا مفتوح فتاح جواد كريم، صاحب الخزائن الواسعة، التي لا نفاذ لها. والذاكر الله هو الواقف في باب الله. ومن لازم باب الكريم فتح له. والذاكر الله جالس الحق سبحانه؛ ومن جالس الحق سبحانه لا بد أن يهب له أمراً لم يكن عنده. فليس في مولانا الكريم البخل.

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "لانهاية".

واترك الخلق وما يقولون. ومراد الحق ما هم عليه، وحضرة الله لا / [72و] تتضبطن العربي ولا لعجمي. والمقصود الواحد الأحد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(2)</sup>.

فليشتغل العاقل بذكر ربه في يومه وليله وقيامه وقعوده وعلى جنبه وفي كل حاله، ولا تشتغلوا بقبل وقال وفلان وفلانة، فتذهب أعماركم في غفلة وبطالة. واجعلوا همومكم هما واحداً يكفيكم عما سواه. فنسأل الله أن يختم على الكل بالسعادة، وأن ينفع البعض من البعض، إنه سميع بصير قريب مجيب».

\_ [رأيه في قول الشيخ عبد القادر]:

ومنه ما حدثني به سيدي محمد الملقب أقبلي المصراتي أنه قال: «كنا جلوساً عند الشيخ سيدي أحمد بن يوسف مع جماعة من أصحابه، فقال رجل منهم: "انظروا عناية الشيخ سيدي عبد القادر الجيلي<sup>3</sup>، حيث قال: "والسماوات في يدي كفرخ حمام". وكان الشيخ سيدي أحمد بن يوسف متكئاً فجلس، وشمر الكم عن ذراعه الأيمن وهزها. قال المصراتي المذكور: «ورأيت في ذلك اليوم شرطة في ذراعه المباركة وهو يهزها. ثم قال: "صدق الله سيدي عبد القادر ﷺ، وحق له أن يقول هذا وأكثر منه، وكان أحق بها وأهلها<sup>(4)</sup>". وجعل يمدح في سيدي عبد القادر». لكن سيدي عبد القادر أظهره الله في القرن السادس<sup>(5)</sup> أهله أهل صلاح وخير، فلم يجد إلا حبوباً قليلة التقطها. وأما نحن فقمنا في القرن العاشر آخر القرون مع فساد وفساد أهله. ثم أنشأ يقول: [طويل]

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "تنبسط".

<sup>2</sup> - سورة الإخلاص، الآية 3-4: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾.

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "الجيلاني".

<sup>4</sup> - اقتباس من قوله تعالى، في سورة الفتح، من الآية: 26. وتتمتها: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

<sup>5</sup> - كتب في هامش (أ): "قف القرن السادس. مات فيه الشيخ عبد القادر الجيلي. وسيدي أحمد بن يوسف مات في العاشر الهجري".

صَعَدْتُ إِلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ فِي دُفْعَةٍ وَصِرْتُ فِيهَا شَمْساً أَوْ أَزْهَراً  
وَأَمْوَأَجُهَا فِي قَبْضَةِ يَدِي كَنُقْطَةٍ وَأَنَا فِيهَا مُخَيَّرٌ<sup>1</sup>  
ثم غشي عليه ساعة كبيرة ظننا أنه مات، ثم أفاق وهو أصفر [اللون]<sup>2</sup> كالزعفران.

\_ [تعلق على قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي﴾]:

ومنه ما حدثني به المصراتي المذكور أنه قال: «كنا جلوساً عند الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف والطالب يقرأ عليه لوحاً في كتاب الله، إلى أن بلغ<sup>3</sup>: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي﴾<sup>(4)</sup>، ثم غشي على الشيخ ثم أفاق، فقال: «ما أكبر من عيطة أقيمها يوم نأت الله في هيكل عظيم، فيغبطني فيه الأولياء والشهداء، وكلهم يحب أن يكون في ذلك الهيكل».

قلت: ودليله ما روي عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ أنه قال: «إن من العباد لعباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء. قيل: "من هم يا رسول الله؟" قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير مال ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس».

\_ [دعاء]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله \_ أنه قال: «من قال عَلَيَّ ما لم أقله ابتلاه الله بالقلّة والعلة والموت على غير ملة».

\_ [نصيحة]:

ومنه ما قاله لأصحابه، ولفظه: «يا أولادِي، لم أقل: "تَضْرِبُونَ بِيَدٍ وَلَا رِجْلٍ، وَإِنَّمَا قُلْتُ لَكُمْ: "تَذْكُرُونَ اللَّهَ بِالسِّنِّتِكُمْ وَبِقُلُوبِكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ"، لَيْسَ إِلَّا، وَلَمْ أَكَلِّفْكُمْ غَيْرَ هَذَا».

<sup>1</sup> - يظهر من كلام الصباغ أن البيتين مما جادت به قريحة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

<sup>3</sup> - في (د): "وصل".

<sup>4</sup> - سورة القمر، الآية 8. وتامها: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ﴾.

قلتُ: وما قاله هذا الشيخ المبارك يشهد له الحديث الصحيح عنه \_ عليه الصلاة والسلام\_؛ فيما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: "سئل رسول الله: "أي العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة؟"، قال: «الذاكرون الله تعالى كثيراً»، قلت: "ومن الغازي في سبيل الله؟"، قال: «لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه»<sup>1</sup>.

[72ظ] «وَرَوَى الترمذي وابن ماجة عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله: «ألا أنبؤكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق<sup>2</sup>، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: "بلى يا رسول الله"، قال: «ذكر الله تعالى»<sup>3</sup>. انتهى من الجواهر الحسان. وفي الحديث «أن الملك يستأذن الذاكر في قبض روحه». انتهى من سيدي موسى [بن عيسى المازوني]<sup>4</sup> المذكور \_رحمه الله\_.

وقال سيدي الرصاع: «ومن ذكر الله ما يستعمله أهل الجنة في الجنة، ويتلذذون به، وليست دار تكليف بل دار إنعام وفتوح وتعريف. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل عمل في الجنة مقطوع إلا الذكر، فإنكم تلهمون النفس لا تعب عليكم ولا نصب»<sup>5</sup>. انتهى منه \_رحمه الله\_.

<sup>1</sup> - رواه أحمد والترمذي:

- مسند أحمد (رقم: 11720): ج 18 / ص 248 .

- سنن الترمذي (رقم: 3376): ج 5 / ص 458.

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "والفضة".

<sup>3</sup> - رواه أحمد والترمذي وابن ماجة:

- مسند أحمد (رقم: 21702): ج 36 / ص 33.

- سنن الترمذي (رقم: 3377): ج 5 / ص 459.

- سنن ابن ماجة (رقم: 3790): ج 4 / ص 705.

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

## \_ [كتابه لأمير فاس]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما كتب<sup>1</sup> به لأمير فاس في حينه وهو: «المولى جل جلاله مدني بمدده، ووصفني بأوصافه، فصرت أنا هو وهو أنا. يا أمير المؤمنين لا تقهر الفقراء، حتى يعمل لك العلماء برنوسا من الثلج ويلبسوه في السمايم، ومن الماء عمامة، ويشدوها شدا مائلا، ومن الريح قنديلا، ويعملوا منه فتائل». فوصل هذا الرمز للأمير، فأحضر العلماء فسلموا لذلك.

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف أنه قال: «جعلت من الماء عمامة شددتها شدا مائلا، وجعلت من الثلج برنوسا أغطيه إلى السماء، وجعلت من الريح قنديلا، ومن الضباب فتائل».

انظر يا فقيه ما تحت هذا الرمز من العلوم التي لا يفهمها إلا من هو مثل هذا الشيخ العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف، الذي غزل غزلا رقيقا لا ينسجه إلا هو، وأنشدوا:

[طويل]

عَزَلْتُ لَهُمْ غَزْلًا رَقِيقًا فَلَمْ أَجِدْ لَهُ نَاسِجًا غَيْرِي فَكَسَّرْتُ مِغْزَلِي

قال سيدي موسى بن عيسى المازوني المذكور \_رحمه الله\_: «وقد وقع لأبي العباس السبتي \_رحمه الله\_ ونفع به \_رمزا في تأليف له سماه الزيرجة عجز فحول العلماء عن فك تلك الرموز، وهو قليل الوجود».

**قلت:** وهذا دليل على ما قاله سيدي أحمد بن يوسف في رمزه \_رحمه الله\_، وكذلك غيره من الأولياء قد رمزوا، ومن رموزهم ما حكاه صاحب الكتاب المسمى بزهر الأكمام<sup>2</sup> في قصة يوسف عليه السلام. وذكر في ذلك وثيقة عجيبة منظومة بألفاظ غريبة مرصعة

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "ماكتبه".

<sup>2</sup> - في عنوان الكتاب الأصلي وردت "زهر الكمام".



بجواهر المعاني والإشارات في طريق أهل التصوف والولاية، فقف عليها تر أمراً عجيباً فيما شرطه المحب على الحبيب، ونصه:

«ادَّعى<sup>1</sup> أحدُ المحبين حب شخص ورغب فيه أن يكون مملوكاً له، فقال المحبوب: "فقد قبلتك على أن [أعقد عليك عقداً خاصمك]<sup>2</sup> به بين يدي قاضي المحبين". فساروا إلى أديب ماهر وموثق باهر<sup>3</sup>، وكتب بينهما عقداً يقول فيه: «بسم الله الذي جعل الحب وسيلة لأهل القلوب، وصلى الله على سيدنا محمد شفيح أهل الذنوب. هذا ما اشترى فلان بن فلان الفلاني من فلان بن فلان الفلاني، اشترى منه في عقد واحد وصفقة واحدة جميع المحبة المعروفة بحديقة القلب من مدينة الإخلاص [بالمحبة]<sup>4</sup> المعروفة بالدائمة إلى الممات بجملتها وكليتها من حدودها وحقوقها ومجاري مياه الرعاية والكأ فيها، وبكل حق هو لها ومنها، داخل فيها أو خارج عنها/ [73و] من المراعاة والملاحظة والذب والنظر والمحافظة والموافقة والرضا والاحتمال والكظم والغض<sup>5</sup> والبذل والإيثار<sup>6</sup> ورد العذال وتحبب الجاه والإعراض عن الوشاة. وتشتمل عليها حدودٌ أربعة: فالحد الأول: ينتهي إلى الخلة والصفاء. والحد الثاني: ينتهي إلى المراعاة والوفاء. والحد الثالث: ينتهي إلى المساعدة والولاء. والحد الرابع: ينتهي إلى المشاهدة واللقاء. [ويليه بابها]<sup>7</sup>. اشترى في عقد واحد وصفقة واحدة شراءً<sup>8</sup> جائزاً عند أهل الحب ماضياً في شرع المحبين، ماضياً عند أهل الإخاء والمودة بألف ألف في ألف ألف

<sup>1</sup> - هذه القصة مذكورة في ص 108 من كتاب "زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام"، سراج الدين أبو حفص عمر بن إبراهيم الأنصاري الأوسي (ت 751هـ)، تح كمال الدين علام. ط 1. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان (1424هـ/2003م). غير أن المؤلف أو النساخ تصرفوا قليلاً في نقل القصة بما أخل بالمعنى في بعض المقاطع،

<sup>2</sup> - في النص الأصلي: (أن تعقد لي عقداً يخصمك)

<sup>3</sup> - في النص الأصلي (قاهر).

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط في جميع النسخ. ثابت في النص الأصلي: "بالمحبة".

<sup>5</sup> - في (د): "الغيظ"

<sup>6</sup> - كذا في (أ) و(د) و(ك).. أما في (ب): "الإشارة وهي لاتستقيم مع المعنى.

<sup>7</sup> - ما بين المعقوفين ورد هكذا في جميع النسخ. وفي أصل الكتاب ورد: "إليه يشرع بابها".

<sup>8</sup> - في (د): اشتراء.

مدى الأنفاس والأرواح، ما بزغت (شمس في الأفق وغربت في الأرواح من الأجسام)<sup>1</sup> والأشباح.

وشرط كل واحد منهما لصاحبه بذل قلبه وفداءه بنفسه وماله وحبه، ورد النميمة<sup>2</sup> والعدل عنه. ثم تعاهدا بينهما، ونقد كل واحد منهما هذا الثمن لصاحبه ووقع التسليم بما وقع عليه العهد، واعترفا بالبراءة بما<sup>3</sup> اشترطا على أنفسهما. ولا يقبل كل واحد منهما على صاحبه تعرض الوشاة والتباعات، ويدفع عن صاحبه طوارق السوء والشناعات. وقبض كل واحد منهما الثمن والمثمنون في هذا العقد وتراضيا بهذه الوثيقة، وأشهدا على أنفسهما بجميع مضمونها. وضمن كل واحد منهما لصاحبه الدرك والرجوع على ما يوجبه حكم<sup>4</sup> الإخلاص والصفاء. ويقترضيه موجب الشرع والوفاء. فمتى ادعى أو ادعى أحدهما على الآخر، أو ادعى عليهما ما يخالف ظاهراً أو باطناً في سِرِّ سَرِيرِ سِرِّهِ<sup>5</sup> أو خفي ضميرُهُ أو مضمون هواجس (أجناس صفاتها، فَنَفْسُهُ بروح صفاتها نقيّة من الغش، وقلوب وفاتها بريئة من الخيانة ومحبتها محروسة بعين المحافظة، ومعرفتها مصقولة بهم الملاحظة)<sup>6</sup>، لا تدنس بوهم فكر، ولا درن ذكر. فدعوى المدعي بذلك زور وبهتان، وظلم وعدوان. والمخالف لهذه الوثيقة خارج عن تمام التحقيق، داخل في زمرة أهل الدعوى والتمحيق. مخالف لأصحاب المعرفة، والفتوة، مجانِب لأصحاب<sup>7</sup> المحبة، والمروءة، والحق، والصدق، ما تضمنته هذه

1 - في (د): "الشمس في الأفق وغربت في الأرواح والأجسام"

2 - كذا في النسخ الأربع. وفي النص الأصلي في الكتاب: "التهمية". وهو الأصح. فالملاحظ وقوع الصياغ أو النسخ من بعده في تحريف القول المأخوذ من المصدر الأصلي وعدم تحري صحته.

3 - في (ب) و(د): عما اشترطا. وفي النص الأصلي في الكتاب: "على ما يشترطان".

4 - في (ب): "كلام الإخلاص".

5 - في النص الأصلي للكتاب: "سَرَائِرِ سِرِّهِ".

6 - الفقرة الواقعة بين قوسين مخالفة للنص الأصلي من الكتاب وجاءت على الشكل الآتي "هواجس إحساس نفسه وهيئته، فروح صفائهما نقيّة من الغش، وقلوب وفائهما بريئة من الخيانة، ومحبتهما محروسة بعين المحافظة، ومعرفتهما مصقولة بهم المحافظة والملاحظة".

7 - في (ب) و(د) و(ك): "لأرباب المحبة".

الوثيقة، ووقعت عليه شهادة ساداتنا أهل<sup>1</sup> الطريقة، وعلى ذلك ترافعا في صحة ذلك إلى حاكم من حكام المحققين، جازع عند أهل المعرفة والدين، فوقف على تلك الشروط فأثبتها، وأمضاها، وأنفذها، وأجراها في مجلس حكمه، وقضائه، ورضاه، وولايته<sup>2</sup>، وأشهدا على أنفسهما طوعا في يوم اللقاء، من شهر المواصله والبقاء، سنة تحسين الأعمال، وبلوغ الآمال، أشهد عليهما بذلك الألفة، والميل، والمساعدة، والنيل، وزوال الملق، وحسن الخلق، في التاريخ». انتهى.

### \_ حكاية منه في المعنى:

قال مالك بن دينار: أتيتُ المقابر يوماً لأنظرَ في الموتى وأعتبرَ [وأفكر]<sup>3</sup> وأزدجر، فجعلتُ أجولُ في المقابرِ، وأنشدُ بذهنٍ حاضرٍ: [متقارب]

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا      وَأَيْنَ الْمُعَظَّمِ وَالْمُحْتَقَرِ؟!  
وَأَيْنَ الْمُنْذِلِ بِسُلْطَانِهِ؟      وَأَيْنَ الْعَزِيزِ إِذَا مَا قَدَرَ؟!  
وَأَيْنَ الْمُلْبَى إِذَا مَا دَعَا؟!      وَأَيْنَ الْمَرْكَى إِذَا مَا افْتَحَرَ؟!<sup>(6)</sup>

فإذا بصوتٍ حزينٍ، وهو يُنشدُ [ويقول]<sup>7</sup>: [متقارب]

تَقَانُوا جَمِيعاً فَلَا مُخْبِرٌ      وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبْرُ<sup>9</sup>  
تَنُوحُ عَلَيْهِمْ بَنَاتُ النَّرَى<sup>(1)</sup>      بِمَحْوِ مَحَاسِنِ تِلْكَ الصُّورِ

1 - في النص الأصلي: "سادات الطريقة".

2 - في النص الأصلي وردت هكذا: "وقضائه وولائه ورضائه". ينظر: زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام. مرجع سابق. ص108.

3 - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

4 - في (ب) و(د): "قأين". وفي الإحياء لأبي حامد الغزالي أيضاً "قأين". ينظر "الإحياء"، ج5. ص178.

5 - في الإحياء ورد "المدل". المرجع نفسه. ص178.

6 - الأبيات لمالك بن دينار حيث قال: أتيت القبور فناديتها... الأبيات. قال: فتوديت من بينها ولم أر أحداً: تقانوا جميعاً فلا مخبرٌ وماتوا جميعاً ومات الخبر.

7 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب). وفي (د): ورد كالآتي: وهو ينشد (هذه الأبيات).

8 - في الإحياء ورد: "قما". ينظر هذا المرجع. ج5. ص178.

9 - ورد هذا الشطر هكذا في زهر الكمام: "ومَاتُوا جَمِيعاً وَهَذَا الْخَبْرُ". ينظر هذا المرجع. ص53.

لَقَدْ قَدَّ الْقَوْمُ أَعْمَالَهُمْ      فِيمَا نَعِيمٍ وَإِمَّا سَقَرٍ/[73ظ]  
 وَصَارُوا إِلَىٰ مَلِكٍ قَاهِرٍ      عَزِيزٍ مُّطَاعٍ إِذَا مَا أَمَرَ  
 فَيَا سَائِلِي عَنِ أَنْاسٍ مَّضَوْا      فَهَلْ لَكَ فِيمَا مَضَىٰ مُعْتَبَرٌ؟

قال: فنظرت فإذا بهلول المجنون قاعد بين قبرين وهو ينظر إلى السماء فيبتهل، وإلى الأرض فيعتبر، وعن يمينه فيضحك وعن يساره فيبكي. فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: "يا بهلول، أراك تنظر إلى السماء فتبتهل وإلى الأرض فتعتبر، وعن يمينك فتضحك وعن يسارك فتبكي!". فقال: "إذا نظرت إلى السماء ذكرت قول ربي عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(2)</sup>، فحق لمن سمع هذه الآية أن يبتهل. وإذا نظرت إلى الأرض ذكرت قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾<sup>(3)</sup> فحق لمن سمع هذه الآية أن يعتبر. وإذا نظرت إلى اليمين ذكرت قول الله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾<sup>(4)</sup>، فحق لمن سمع هذه الآية أن يضحك، وإذا نظرت إلى الشمال ذكرت قول الله: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾<sup>(5)</sup> فحق لمن سمع هذه الآية أن يبكي".

فقلت: "والله يا بهلول، إنك لحكيم، هل لك من حاجة؟"، قال: "نعم، أريد أن تشتري لي قميصاً جديداً". فأتيت به إليه، فقلبه ورمى به إليّ، وقال: "لست أريد مثل هذا"، فقلت: "صفه لي". فقال: "نعم، أريد قميصاً من قميص أهل الأخلاق، وذوي البصيرة والاختصاص

<sup>1</sup> - في رواية أخرى لعبد الحق الإشبيلي للبيت هكذا:

تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور.

- ينظر: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي: العاقبة في ذكر الموت. تح خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، ط1. الكويت (1406هـ/1986م). ص1. الموسوعة الشاملة موقع الكتروني [www.islamport.com](http://www.islamport.com)

<sup>2</sup> - سورة الذاريات، الآية22: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

<sup>3</sup> - سورة طه، الآية55: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.

<sup>4</sup> - سورة الواقعة، الآية27: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾.

<sup>5</sup> - سورة الواقعة، الآيتان 41-42: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42)﴾.

محفوظاً من الدنس والانتقاص، زُرِعَ قُطْنُهُ فِي حَدِيقَةٍ مَشْرِقَةٍ، بِأَنْوَارِ الْحَقَائِقِ، مَحْرُوسًا مِنْ الْإِعْتِرَاضِ وَالْبَوَائِقِ، سَقِيَ بِمَاءِ السَّلْسِيلِ وَحُفِظَ مِنَ الْعَطَشِ بِجَبْرِيلَ، فَأَيَّنَعَ بِهَاءٍ وَحَسَنًا، وَأَثْمَرَ وَأَنْبَتَ قَطْنًا، حَتَّى نَعَشَ سَاقُهُ وَاعْتَدَلَ قَوَامُهُ، وَإِشْرَاقُهُ، ثُمَّ لُقِطَ بِأَنَامِلِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، التَّالِيْنَ لِسُورَةِ<sup>1</sup> الْحَمْدِ وَالْبَقْرَةِ، ثُمَّ حَلَجَ بِأَكْفُفِ الْوَفَاءِ عَلَى دَفْفِ الصِّفَا بِحَرَكَاتِ الْعَزْمِ مِنْ غَيْرِ خَفَاءٍ، ثُمَّ تَخَلَّلَتْهُ الْأَوْتَارُ الْمَتَّصِلَةُ بِنُورِ الْأَنْوَارِ، ثُمَّ غَزَلَتْهُ بَنَاتُ طَاهِرَتِ وَنَسَاءُ خَيْرَاتِ بِمِغَازِلِ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ وَالْمَحَبَّةِ السَّابِقَةِ وَالْإِعْتِنَاءِ، فَجَعَلَتْ الْجَنَّةَ عَلَى سَبْحِهِ ثَوَابًا، وَكَانَ بَيْنَ لَابِسِهِ وَبَيْنَ النَّارِ حِجَابًا، ثُمَّ قُصِرَ الثَّوْبُ بِمَاءِ مَعِينِ غَدَقٍ، وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمُوسُ الشُّوقِ وَالقَلْقِ، فَانْسَطَعَ بِيَاضُهُ، وَزَالَ إِعْتِرَاضُهُ، وَامْتَازَ بِحَسَنِ الرُّقْعَةِ وَالطَّرَازِ، وَأَعْجَبَ كُلَّ تَاجِرٍ وَبِرَّازٍ. فَظَنَرَ مِنَ الثَّوْبِ بِفِكْرِهِ، وَقَاسَهُ بِشِبْرِهِ، وَمَيَّزَ مَا غَابَ مِنْ قَدْرِهِ. وَأَوْقَعَ فِيهِ الْمَقْرَاضَ بِلَا شَكِّ وَلَا إِعْتِرَاضٍ.

فَجَعَلَ بَدَنَهُ حَقَائِقَ الْإِخْلَاصِ وَقَدَّرَ الْكُمِّيْنَ كَامِلِيْنَ بِلَا انْتِقَاصٍ، ثُمَّ عَلَقَ الْبِنَائِقَ وَأَلْصَقَ النِّيَافِقَ إِيْصَالَ تَحْقِيقٍ بِالْحَقَائِقِ. وَكَانَ الْخِيَاطُ بِرَبِّهِ وَاتِّقَا، وَالشُّكُّ وَالظَّنُّ مَفَارِقًا، وَثُمَّ قَصَّصَ التَّدْوِيرَ وَخَاطَهُ بِلَطَائِفِ التَّدْبِيرِ، ثُمَّ فَتَحَ الْجَيْبَ وَأَمَدَّهُ بِشَوَاهِدِ الْغَيْبِ، وَأَزَالَ عَنْهُ الرِّفْضَ وَالْعَيْبَ. ثُمَّ صَوَّرَ الطُّوقَ وَزَيَّنَهُ بِزَوَاجِعِ الشُّوقِ. فَاعْتَدَلَ الْقَمِيصَ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى فَوْقِ. فَهَلْ تَقْدِرُ يَا مَالِكُ عَلَى هَذَا؟".

فَقُلْتُ لَهُ: "إِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مَنْ خَصَّهُ بِوَصْفِهِ، وَأَلْهَمَكَ بِمَعَانِيهِ، وَكَشَفَهُ، فَصِفْ لِي لِابِسَتِهِ يَرْحَمُكَ اللَّهُ". فَقَالَ: "يَلْبِسُهُ قَوْمٌ خَصَّهُمُ اللَّهُ بِأَنْوَارِهِ، وَكَتَبَهُمْ فِي دِيْوَانِ أَبْرَارِهِ، وَحَبَاهُمْ فِي أَرْزُلِ الْأَرْزُلِ بِالسَّابِقَةِ، وَقَوَّاهُمْ بِالْعِزَائِمِ الصَّادِقَةِ، فَأَجْسَادُهُمْ بَيْنَ الْأَرْضِ تَسْعَى، / [74و] وَقُلُوبُهُمْ فِي غِيَاضِ رِيَاضِ الْمَلَكُوتِ تَرعى، فَمَا يَتَكَلَّمُونَ بِغَيْرِ ذِكْرِهِ لَفْظَةً، وَلَا يَنْظُرُونَ لِغَيْرِهِ لِحْظَةً. فَهَمَّ شَمُوسُ النَّاطِرِينَ، وَأَقْمَارُ الْمَشَاهِدِينَ. بِهِمْ يَقْصُمُ اللَّهُ الْجَبَابِرَةَ، وَبِهِ يَسْلِمُهُمْ، وَيَرْزُقُ عِبَادَهُ

<sup>1</sup> - في (ك): "بسورة" زيادة الباء للسورة.

ويرحمهم. ثم قام وقال: "إليك فر الهاربون، ونحوك قصد الطالبون، وببابك أناخ التائبون". ثم مشى وتركني». انتهى منه رحمه الله.

**قلت:** فهذه الرموز مثل ما رمز به سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله، ونفعتني به وبأمثاله، أمين. قال سيدي موسى المذكور رحمه الله: «ومن رموزهم اللوائح والطواع واللوامع. فاللوائح مثل البروق، وما ظهرت حتى استتارت. والطواع واللوامع أكبر منها، وليس زوالها بتلك السرعة، فقد تبقى وقتين وثلاثة. والطواع أبقى وقتاً وأقوى زماناً، وأدوم مكثاً، وأذهب للظلمة.

ومن رموزهم التواجد، والوجد، والوجود، فالتواجد بداية، والوجود نهاية، والوجد واسطة بينهما. قال بعضهم: "الوجد عند القوم ما يصادف قلبك، ويرد عليك بلا عمل ولا تكلف. وسئل رؤيم عن وجد الصوفية عند السماع، فقال: «يشهدون المعاني التي تعذب عن غيرهم؛ فتشير إليهم إليّ إليّ فيهمون بذلك من الفرح، ثم يقع الحجاب، فيعود ذلك الفرح بكاء، فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يبكي. وكل إنسان على قدره".

وقيل للشبلي: "هل تظهر آثار الوجد على الواجدين؟"، فقال: "تور يزهر مقارنا لنيران الاشتياق، فتلوح على الهيئة كل آثارها". قال ذو النون: "أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقء، إذا وجدت ربي فقدت قلبي، وإذا وجدت قلبي فقدت ربي". وأنشدوا: [وافر]

وَجُودِي أَنْ أَعِيبَ عَنِ الْوُجُودِ      بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مَرَّ الشُّهُودِ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - البيت للجنيد. وجاء الشطر الثاني من البيت في كتاب شرح صلاة القطب ابن مشيش كما يلي:

وَجُودِي أَنْ أَعِيبَ عَنِ الْوُجُودِ      بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ.

- ينظر: أحمد بن عجيبة، كتاب شرح صلاة القطب ابن مشيش. جمع وتقديم العمراني الخالدي عبد السلام، دار الرشد الحديثة. الدار البيضاء - المغرب. د. ت. ص 32. وفي كتاب "السر في أنفاس الصوفية" جاء الشطر الثاني من البيت كالتالي:

وَجُودِي أَنْ أَعِيبَ عَنِ الْوُجُودِ      لِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ.

- ينظر: أبو القاسم الجنيد البغدادي (ت 298هـ/911م): السر في أنفاس الصوفية. نق وتحت وتد عبد الباري محمد داود. دار جوامع الكلم. القاهرة. 2003م. ص 224. ويضيف ابن الزيات في "التشوف" بيتاً آخر إلى هذا البيت ولم يذكر قائلهما:

وَجُودِي أَنْ أَعِيبَ عَنِ الْوُجُودِ      لِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ  
وَمَا فِي الْوُجُدِ لِي فَخْرٌ وَلَكِنْ      فَخَرْتُ بِوُجُدِ مُوجِدِ الْوُجُودِ =

واياك يا أخي أن تنكر على أحد من أهل الدين من عباد الله الصالحين فيما يقع منهم من البكاء والصياح، وخرق الثياب، وغير ذلك؛ عند سماع آية من كتاب الله في الوعظ، أو حديث المصطفى ﷺ، أو عند سماع قصيدة. وبعضهم تصيبه غشية أو انزعاج؛ فقد جاء عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ أن موسى \_ على نبينا وعليه الصلاة والسلام \_ قصَّ في بني إسرائيل، فزقق واحدٌ منهم، فانتهره، فأوحى الله إليه: "يا موسى، بطيبي فأحوا، وبِحبي باحوا، وبوجدي صاحوا، فلم تُتكرُ على عبادي؟!".

وروى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما سمع الشاعر يقول: [المنسرح]

لَقَدْ لَدَعْتُ حَيَّةَ الْهَوَى كَيْدِي فَلَا طَيْبَ لَهَا وَلَا رَاقٍ  
إِلَّا الْحَبِيبُ الَّذِي شَغَفْتُ بِهِ فَعِنْدَهُ رَاحَتِي وَتَرِيَاقِي<sup>1</sup>

قالوا: "فتواجد ﷺ حتى سقط الرداء الطاهر عن منكبيه الكريمين، فشق قطعاً كثيرة".

قال: ابن العربي: «وصلى رجل خلف إمام فقراً: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup> فخر مغشياً عليه ميتاً، فحملوه للمقبرة، وقالوا: "من يُصلي عليه؟"، قال رجلٌ صوفيٌّ: "الذي قتله يُصلي عليه"، يعني الإمام.

وصلى الشبلي وراء إمام في تراويح رمضان، فقراً: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾<sup>(3)</sup>، فزقق زعقاً، قلنا طارت روحه، وهو يرتعد، فيقول: "بمثل هذا يُخاطبُ الأحبابُ"، يردد ذلك.

= ينظر: ابن الزيات: التشوف. ص 76.

<sup>1</sup> - البيتان لشهاب الدين السهروردي (المقتول 587هـ). ذكرهما يوسف زيدان في مؤلفه: شعراء الصوفية المجهولون"، وجاء البيت الثاني كما يلي:

عَبَّرَ الْحَبِيبُ الَّذِي شَغَفْتُ بِهِ فَأَبَتْهُ رُفِيَّتِي وَتَرِيَاقِي

- ينظر: يوسف زيدان: شعراء الصوفية المجهولون". ط2، دار الحيل، بيروت. لبنان. (1416هـ / 1996م). ص 25.

<sup>2</sup> - سورة المطففين: الآية 6

<sup>3</sup> - سورة الإسراء: الآية 86. وتامها: ﴿وَلَنْ نَشِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

ودخل الجنيد على السري فرأى عنده رجلاً مغشياً عليه، فقال: "مَالُهُ؟"، فقال: "سَمِعَ آيَةً من كتابِ اللَّهِ"، فقال الجُنَيْدُ: "لِتَفْرَأْ عليه ثانياً". فقرأتُ فأفاق، فقيلَ له: "من أينَ علِمْتَ هذا؟"، فقال: "إنَّ قميصَ يوسفَ ذهبَ بسببه عيني يعقوب، ثم به عاد بصره. فاستحسن ذلك منه».

### \_ [أقسام العوالم (2)]:

ومن كلام/ [74ظ] سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما كتبه لبعض أصحابه، وهو: «العوالم<sup>(1)</sup> ثلاثة: عالم الملك، وعالم الملكوت، وعالم الجبروت. فعالم الملك من السماء الدنيا إلى ما تحت الثرى، وعالم الملكوت من السماء الدنيا إلى العرش، وعالم الجبروت من العرش إلى ما لا نهاية، وهو بحر العظمة نخوض فيه أنا وأولادي».

### \_ [شروط الشيخ]:

ومن كلامه \_رحمه الله\_ أنه قال: «لا يكونُ الشيخُ شيخاً حتَّى يكونَ مع تلميذه في ثلاثة مواطنَ: عند النَّزْعِ حتَّى يلقنَهُ الشَّهادتين، وعند القبرِ حتَّى يُثبِّتَهُ اللَّهُ بالجوابِ للملكين، وعند العقبَةِ، وأنا فارسُ العقبَةِ».

قال سيدي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي \_نفعنا الله به\_ في تفسيره المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن: «والعقبَة في هذه الآية \_على عرف كلام العرب\_: استعارة لهذا العمل الشاق على النفس؛ من حيث هو بذل مال، تشبيهه بعقبَة الجبل. ﴿وَأَقْتَحَمَ﴾ معناه: اقتحمها وجاوزها بسرعة وضغط وشدة. ثم عَظَّمَ تعالى أمرَ العقبَة في النفس بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ﴾<sup>2</sup>. ثم فسَّر اقتحام العقبَة بقوله: ﴿فَأَكُ رَقَبَةً﴾<sup>(3)</sup>. انتهى منه \_رحمه الله\_.

<sup>1</sup> \_ في (أ): "والعوامل"، وهو تحريف.

<sup>2</sup> - سورة البلد، الآية 12.

<sup>3</sup> - سورة البلد، الآية 13.



## قلتُ:

وقول سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ لا يكون الشيخ شيخاً إلى آخر كلامه يعضده ما قاله الشطنوفي عن سيدي أبي الوفاء، ونصه: قال أبو الوفاء: «لا يكون الشيخ شيخاً حتى يعرف من كاف إلى كاف. قيل له: "وما كاف؟ وما قاف؟"، فقال: "يُطْلِعُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي الْكُونِ مِنْ ابْتِدَاءِ خَلْقِهِ يَكُونُ، إِلَى مَقَامِ ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾<sup>(1)</sup>».

وكان [أحد] المشايخ بالبطايح يقول: «عجبا لمن يذكر أبا الوفاء ولا يمر يده على وجهه، ويسمي الله تعالى، ويصلي على النبي ﷺ كيف لا يسقط وجهه من هيئته». ثم قال: «وهو أول من سمي بتاج العارفين بالعراق فيما أعلم». ثم قال الشطنوفي المذكور: «وَحُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الرَّفَاعِيَّ قَالَ: "الشَّيْخُ مِنْ يَمْحُو اسْمَ مَرِيدِهِ مِنْ دِيْوَانِ الْأَشْقِيَاءِ".

ثم قال: وقيل إن رجلاً دخل على بعض المشايخ بالبطايح، فلما دخل خرج الرجل، وقال لذلك الشيخ لمن حضر، قرأت على جبهة هذا أسطر الشقاوة، ثم أتى ذلك الرجل إلى الشيخ سيدي أحمد الرفاعي، ولبس منه خرقة ثم أتى إلى زيارة ذلك الشيخ، فقال الشيخ: "قد مُجِيَ مِنْ جَبِينِهِ سَطْرُ الشَّقَاوَةِ، وَبُدِّلَ بِسَطْرِ السَّعَادَةِ بِبِرْكَةِ الشَّيْخِ سَيِّدِي أَحْمَدَ الرَّفَاعِيَّ". انتهى منه \_رحمه الله\_.

## \_ حكاية منه في المعنى:

وكان للشيخ سيدي علي بن الهيبي امرأة تخدمه اسمها ربحانة، وتلقب بست البهاء، فمرضت مرضها الذي ماتت فيه، وقالت للشيخ سيدي علي بن الهيبي: "يا سيدي أشتي رطباً". ولم يكن في ذلك الوقت "بزريران" رطب، وكان "بقطفة" رجل صالح اسمه عبد السلام ابن عبد الله القطفي، وكانت له نخلات يتأخر عنده رطبهن، فحول الشيخ وجهه إلى جهة

<sup>1</sup> - سورة الصافات، الآية 24: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.

قطفة، وقال: "يا عبد السلام احمل إلى ريحانة رطبا من رطبك". فأسمع الله عبد السلام صوت الشيخ سيدي علي بن الهيتي، فأخذ عبد السلام من الرطب، وسافر إلى زيربان، وقدم بين [يديها]<sup>1</sup>الرطب، فأكلت والشيخ سيدي علي عندها. فقال لها عبد السلام: "يا سيدة بين يديك ما هو أطيب من هذا!"، فقالت: "يا عبد السلام، أكون خادمة الشيخ ويفوتني شيء من الدنيا والآخرة، اذهب فلتتصّرَن"، ثم ماتت.

فذهب عبد السلام يطلب بعد ذلك فرأى في طريقه نسوة نصارى فافتنن بإحداهن، / [75و] وسألها أن يتزوج بها، فأبت إلا أن يتصّرَ . ففعل وأقام عندها في بلدها مدة ولدت له ثلاثة أولاد. ثم مرض مرضا شديدا أشرف منه على الموت. فقيل للشيخ سيدي علي ابن الهيتي في ذلك، فقال: "إني غضبت لغضب ريحانة، وقد رضيت فأتوني بعبد السلام ما أحب أن يحشر مع أعداء الله". فقال الشيخ سيدي علي بن الهيتي للشيخ عمر البزار، وكان عنده في ذلك الوقت زائرا. اذهب لقرية كذا وادخل على عبد السلام وصب عليه جرة من ماء، وأنتي به.

فذهب الشيخ عمر البزار فوجده مدنفا بالمرض فصب عليه جرة من ماء، فقام وأسلم وأسلمت زوجته وأولادها، وكل من في دارهما، وشفى من مرضه ذلك في الحال، وأتوا كلهم إلى الشيخ سيدي علي بن الهيتي، ورجع لعبد السلام كل ما كان مشتتلا عليه من الخيرات ببركة الشيخ. سكن عليه السلام زيربان بلدة من أعمال نهر الملك إلى أن مات بها في سنة أربع وستين وخمسمائة. وقد علا سنه على مئة وعشرين سنة، وبها دفن وقبره بها مزار. وزيربان بزاء بعدها راء مهملة مكسورة وياء آخر الحروف وبعد راء مهملة وألف ونون على وزن فعيلان وفقيران». انتهى وبعضه تركته لطوله.

**قلت:** فانظر يا فقيه لهذا الأمر العجيب مع أن عبد السلام لم يقل لخادمة الشيخ سيدي علي بن الهيتي شيئا غير قوله لها: "لم تشقيني من قنافة وبين يديك ما هو خير من

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا).

رطبي". فغضبت لذلك، وغضب سيدها وسيدنا علي بن الهيثي، فتتصر الرجل وصار نصرانياً، لولا أن تداركه الله برحمته وفضله بما سبق في سابق علمه؛ بسبب دعوة الشيخ سيدي علي بن الهيثي. فعاد مسلماً \_نعني الله ببركاته وبركة أمثاله\_.

وقد تقدم أن الشيخ سيدي أحمد بن أبي الحسن الرفاعي أنه قال: "لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمحو اسم مريده من ديوان الشقاوة إلى ديوان السعادة"، وذلك قليل في حق أولياء الله، أنالنا الله شيئاً من أنوارهم وجعل البركة في ذريتي بجاههم عنده، وبحبي لهم، آمين يا رب العالمين.

فإياك يا فقيه أن تنكر عليهم ولو بقلبك؛ فإنهم جواسيس القلوب، ومن أنكر عليهم في قلبه فقلَّ أن يفلح؛ إلا أن يرضوا عنه \_رضي الله عنهم\_.

فقد حكى الشطنوفي المذكور عن سيدي الشيخ سيدي حياة بن قيس الحراني<sup>1</sup> [قال ابنه]<sup>(2)</sup>: «جاء رغيب الرحبي من الرحبة إلى حران لزيارة والدي فوافاه بعد صلاة الصبح جالسا على باب داره وبين يديه معزة له، فسلم عليه وجلس بإزائه على الدكائة بالجانب الآخر بينهما أكثر من عشرة أذرع فلم يكلمه والدي. فقال الشيخ رغيب في نفسه: جئت إليه من رحبة واشتغل عني بمعزة ينظر في أمرها، فنظر إليه وقال: "يا رغيب، أمرت أن أغضب فيك شيئاً بسبب اعتراضك عَلَيَّ فاختر إما من ظاهرك وإما من باطنك"، فقال: "يا سيدي بل من ظاهري". فمد والدي يده يسيراً، فسالت عين الشيخ رغيب على خده، فقام وقبل الأرض وعاد إلى الرحبة.

<sup>1</sup> - الشيخ حياة بن قيس الحراني ( 501-581 هـ ) الشيخ القدوة ذو الأحوال والكرامات، شيخ حرّان وزاهدها: حياة ابن قيس بن رجّال ابن سلطان الأنصاري الحرّاني. - زاره السلطان نور الدين الزنكي فقوى عزمه على جهاد الصليبيين. - وزاره القائد صلاح الدين الأيوبي وسأله النصيحة والدعاء. وكان ممن حضر في عام 555 هـ المكرمة والمنحة التي منحها الله عز وجل للشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله بتقبيل يد الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي الشريف أمام آلاف الناس في الحجرة العطره الشريفه، وجميع المصادر تذكر الحادثة ثم تقول: وكان ممن حضر الحادثة من أكابر ذلك العصر الشيخ حياة بن قيس الحرّاني. سير أعلام النبلاء للذهبي ج5.ص245.

<sup>2</sup> \_ ما بين المعقوفين مستدرک في هامش (أ).

قال: ثم لقيته بعد سنين بمكة صحيح العينين، فسألته فقال: "كنت في سماع ببلدنا وفيهم رجل من مريدي والدك، فوضع يده على عيني فعادت صحيحة كما ترى". قال: "ولما أشار والدك ﷺ بأصبعه إلى عيني وسالت على خدي انفتحت في قلبي عين شاهدت بها أسراراً وعجائب من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ". انتهى منه \_رحمه الله\_.

فانظر يا فقيه لهذا العجب العجيب، وصدق بكرامات أولياء الله تسعد في الدنيا/  
[75ظ] والآخرة.

### \_ إردُّ على رسالة موسى بن منصور البلاداوي (1):

ولنرجع إلى كلام الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ فمنه ما كتبه لسيدي موسى بن منصور البلاداوي، وهو: «الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله. من عبد الله أحمد بن يوسف إلى الأخ في الله والحبیب في الله تعالى الفقير سيدي موسى بن منصور البلاداوي.

بعد سلامنا عليكم، والسؤال عنكم وعن أحوالكم، أجزاها الله على وفق مرادكم. قد انتهى إلينا مكتوبكم، وعلمنا ما أنتم عليه في جانب الله وفي جانبنا. نفع الله الكل بما قصد وأعانه على ما وجد له وطلب، والحمد لله على خيركم وعافيتكم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(1)</sup>.

عليك بالتوكل على الله، والرجوع إلى الله والاستناد إلى الله والتعرض لنفحات الله والمحبة لأولياء الله، ولازم ذكر الله، واترك ما سوى الله، ولا تكن لكلام غيره لافظاً، ولا تكن لغير ربك لاحظاً، ولا ترى لنفسك دون ربك حافظاً. واصدق مع الله يربك العجب، وكن بربك ولا تكن بغيره، واسكن الأرض بجسمك والعلا بروحك وكن روحانياً، ولا تكن جثمانياً، وكن لنفسك حراً ولا تكن لها عبداً، وغب عنك وعن غيبتك بمشاهدتك كيف شاء وكيف أراد. وارحل من الأكوان لمكونها تفز بالمقام الأعلى».

### \_ إردُّ على رسالة موسى بن منصور البلاداوي (2):

<sup>1</sup> \_ سورة ابراهيم، الآية 7: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ».

ومنه ما كتبه لتلميذه المذكور وهو: «الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله،  
وعليكم السلام والرحمة والبركة. أخونا في الله سيدي منصور بن منصور.  
قد انتهى إلينا مكتوبكم، وعلمنا ما أشرتُم إليه. عامل الأشياء على ظاهرها مع موافقة  
الشريعة، وكن على حذر من أجرافها وحيلها وغوائلها، وعاشر الذين يخشون الله به تجد ما  
عنده. والسلام عليكم والرحمة والبركة. وكتب أحمد بن يوسف لطف الله به، آمين».

### \_ إردُّ على رسالة موسى بن منصور البلاداوي (3):

ومنه ما كتبه للسيد المذكور، ونصه: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.  
من عبيد الله الفقير إلى رحمة الله، المتعلق بأذيال أولياء الله أحمد بن يوسف \_ أصلح الله  
حاله \_ وبلغ فيما لديه مأموله<sup>1</sup>.

إلى الأخ في الله والمحب من أجله سيدي موسى بن منصور. بعد سلامنا عليكم  
والسؤال عنكم، وعن أحوالكم، أجراها الله على وفق المراد. قد انتهى إلينا مكتوبكم، وعلمنا  
منه ما أشرتُم إليه من بحر وبحور، وغرق وحيرة ودهشة وغير ذلك، ما لبثت معه مادمت  
تلاحظ ما سواه؛ حتى تغيب عنك وعن غيبتك في حضوره، ويكون حيا بحياته، موجودا  
بوجوده، صحوا بصحوه. تقول أنا ولا غيري به لا بك، والسلام عليكم والرحمة والبركة».

### \_ إردُّ على رسالة موسى بن منصور البلاداوي (4):

ومنه ما كتب للفقير المذكور، وهو: «الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،  
أكرمكم الله، وزادكم عزا وشرفا. مقام الأخ في الله والحبیب في الله سيدي موسى بن منصور،  
بعد سلامنا عليكم، قد انتهى إلينا مكتوبكم، وعلمنا منه ما أنتم عليه من مقصد، نحن على  
خير مع ربي والحمد لله والشكر لله. ومراده منا ترك المراد إذا [أوجدتم أو وجود وجود

<sup>1</sup> - في (ب) و (د): "أماله".

غيره<sup>1</sup> وإلا فلا مراد، وكن بلا وجود تكن موجوداً، أو افهم. والسلام والرحمة والبركة. وكتب يوسف بن أحمد لطف الله به».

### \_ [ردُّ على رسالة موسى بن منصور البلاذوي (5)]:

ومنه ما كتبه للسيد المذكور، ونصه: «الحمد لله، والسلام على رسول الله، وعليكم السلام والرحمة والبركة. سيدي موسى بن منصور. قد انتهى إلينا مكتوبكم، وعلمنا منه المقصد وحجة الحديث حيث<sup>2</sup> نزلها الله تنزلاً ليس لغيره وجود حتى يختار. والعارف لا يكدره شيء؛ إذ ليس معه سواه حتى يكدره. ولا وجود مع وجود مولاه، كما لا يصفه كل شيء؛ إذ لا شيء هناك. والكلام فيه طويل عريض. / [76و] والسلام عليكم، والرحمة والبركة».

### \_ [ردُّ على رسالة موسى بن منصور البلاذوي (6)]:

ومنه ما كتبه لصاحبه المذكور، وهو: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أكرمكم الله وتولاكم بخير وعافية. أخونا وولينا وحبيبنا في الله سيدي موسى بن منصور. بعد سلامنا عليكم. قد انتهى إلينا مكتوبكم وعلمنا منه ما أشرتم إليه الحال معروف، اذكر ربك حتى تغيب، واذكره حتى تغيب وتحضر، واذكره حتى تغيب ولا تحضر، وصدق مع الله يريك العجائب. ولا تتظر لشيء دونه؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾<sup>(3)</sup>. والمأمورات كلمة عبودية، لا لشيء، ولا على شيء. وأصل الموجودات صلاة الجنابة، والسلام».

### \_ [ردُّ على رسالة موسى بن منصور البلاذوي (7)]:

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ: عبارة غير واضحة.

<sup>2</sup> - وردت في النسخ: (ب) و(د) و(ك) عبارة غير واضحة. [الحرث الحرث، حيث نزلها الله تنزلاً]

<sup>3</sup> - سورة الأنعام، الآية 91. وتماها: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ دَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

ومنه ما كتبه للعالم المذكور، ولفظه: «الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله. أكرمكم الله وتولاكم بخير من الله وعافية مقام الأخ في الله والحبیب من أجله سيدي موسى ابن منصور. بعد سلامنا عليكم وعلى أهل داركم، لا زيادة إلا الخير وزيادة في الحبیب ونعرفكم [نحن]<sup>1</sup> على النهج الأول، وعليه المعول، واسكن الأرض بجسمك والعلا بروحك إن وجدت محسوساً وإن [غيبك عنك فبخ بخ]<sup>2</sup>. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكتب أحمد بن يوسف لطف الله به».

### \_ الردُّ على رسالة موسى بن منصور البلاذوي (8):

ومنه ما كتبه للولي المذكور، وهو: «الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعليكم السلام والرحمة والبركة، وبعد: فقد لمحنا المكتوب، وعلمنا المقصود، فعلى العبد بالأسباب، وعلى الله بفتح الباب. واترك عنك العلائق تأتيك من ربك الحقائق، وارحل بربك إلى ربك، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾<sup>(3)</sup>، وافهم. ولكل وضع وضوع، ولكل وضوع وقوع، ولكل وقوع خضوع، ولكل خضوع رجوع، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(4)</sup>. والسلام عليكم والرحمة والبركة».

قلت: قول الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ قبل هذا: "وزيادة في الحبیب الحبیب" المراد به الله تبارك وتعالى، وأي حبیب أعظم منه \_جل وعز\_، وأي رحيم بعباده منه لهم؛ كما جاء في الحديث: «أرايتم هذه طارحة ولدها في النار»، قالوا<sup>5</sup>: "لا، يا رسول الله". قال: «الله أرحم بعباده من هذه». انتهى منه باختصار

<sup>1</sup> - ما بين النعوتين زيادة في (ب) و(د).

<sup>2</sup> - كذا ورد ما بين المعقوفين في جميع النسخ المعتمدة.

<sup>3</sup> - سورة النجم، الآية 42: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾.

<sup>4</sup> - سورة آل عمران، الآية 74: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "قلنا".

وقال في زهر الأكمام في قصة يوسف \_ عليه السلام\_ : «وقال عامر الدوسي<sup>1</sup> : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل عليه كساء، وفي يده شيء قد التف عليه، فقال: "يا رسول الله، مررت بغیضة شجر فسمعت فيها أصوات أفرأخ طائر، فأخذتهن ووضعتهن في كسائي، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهن، فوفقت عليهن، فلففتهن في كسائي، فهن هؤلاء معي". فقال: «ضعهن»، فوضعهن، وأبت أمهن إلا لزومهن، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون لرحمة أم الأفرأخ بأفرأخها؟»، قالوا: "نعم"، قال: «والذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من الأفرأخ بأفرأخها»<sup>(2)</sup>، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن». فرجع بهن كما أمره. ذكره أبو داود». انتهى منه \_ رحمه الله\_. ومما يروى أن الله تبارك وتعالى أرحم بعباده ما جاء في الحديث أن إبليس \_ لعنه الله \_ قال لربه عَزَّ وَجَلَّ: "بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم"، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: «بعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني».

ومما روي أن الله تبارك وتعالى أرحم بعباده ما ذكره سيدي موسى بن عيسى المازوني، ولفظه: «وروي أن سبب أمر الله \_ تبارك وتعالى \_ إبراهيم بذبح ولده ما ظهر منه من غلظته على العصاة وقلة رحمته [لهم]<sup>3</sup>، فقد ذكر في بعض التفاسير أنه كان يعرج به/ [76] كل ليلة إلى السماء، فاطلع على مذنب على فاحشة، فقال: اللهم أهلكه ليأكل رزقك ويمشي على أرضك ويخالف أمرك، فأهلكه الله تعالى. ثم اطلع على آخر، فقال: «اللهم

<sup>1</sup> - الطفيل بن عمرو الدوسي صحابي جليل من أوائل السابقين إلى الإسلام وأسلم قبل الهجرة النبوية بمكة في السنة السابعة من البعثة النبوية (617 م - 6 ق.هـ). ثم لحق بالرسول بالمدينة بعد معركة أحد وأقام فيها، استشهد في حروب الردة بمعركة اليمامة. قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي ذكرها ابن هشام المعافري في "السيرة النبوية" في المجلد 1. ج2/ ضبط وتع أحمد عبد الرزاق الخطيب. ط1. دار الإمام مالك، باب الوادي. الجزائر. (1428هـ - 2008م). ص26.27. وذكرها أيضا أبو الفداء إسماعيل بن كثير في "البدایة والنهایة" كتاب السيرة النبوية. ج2/ ط1. دار الإمام مالك - الجزائر (1427هـ - 2006م). ص221.222.223.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين مشترك في هامش (أ).

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).



أهلكه»<sup>1</sup>. فنودي: «كف عن عبادي رويدا رويدا، فإني طالما رأيتهم عاصين». فلما أهبط أوري في المنام ما ذكره الله [تعالى]<sup>2</sup> [عنه]<sup>3</sup> حيث قال: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾<sup>4</sup>. فلما أخذ السكين بيده قال: «اللهم هذا ولدي وثمره فؤادي وأحب الناس إلي». فسمع قائلاً يقول: «أما تذكر الليلة التي [سألت]<sup>5</sup> [هالك عبادي]<sup>6</sup>، أو ما تعلم أنني رحيم بعبادي كما أنت شفيق بولدك، فإذا أنت سألتني هالك عبادي أسألك ذبح ولدك واحدا بعد واحد والبادئ أظلم».

وجاء أنه لما أرى الله إبراهيم ملكوت السموات والأرض، وأشرف على رجل يعمل معصية من معاصي الله فدعا عليه، فهلك وعلى آخر [فهلك، وعلى]<sup>7</sup> آخر فهلكوا فأوحى الله تعالى إليه: «أن يا إبراهيم إنك رجل مستجاب الدعوة، فلا تدع على عبادي فإنهم مني على ثلاث خصال: إما أن يتوب إلي فأتوب عليه، وإما أن نخرج<sup>8</sup> منه نسمة تسبح لي، وإما أن يبعث إلي. فإن شئت عفوت عنه، وإن شئت عاقبته». انتهى منه \_رحمه الله\_.

انظروا لهذا المولى الكريم، ما لطفه وما أرحمه بعبده، فيا عجباً كيف يعصي العبد الذليل المولى الجليل الذي هو أرحم من نفسه وأشفق عليه من الوالدة والوالد بولدهما، فسبحان من هو بالعظمة موصوف، وبالقدرة والحكمة معروف، فهذا من رحمة الله تعالى لعبده الذي هو أشفق وأرحم وألطف بهم من أنفسهم لأنفسهم مما ورد في رحمته لهم. ولطفه

1 - ما بين المعوقين ساقط من (ك).

2 - ما بين المعوقين ساقط من (ا).

3 - ما بين المعوقين ساقط من (ك).

4 - سورة الصافات، الآية 102. وتمامها: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾.

5 - ما بين المعوقين ساقط من (ب).

6 - في (ب) و(د): "إهلك عبيدي".

7 - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و(د). وجاء كما يلي: "فهلك وعلى آخروا آخر فهلكوا".

8 - في (ب) و(د) و(ك): "أخرج".

ورفقه وإحسانه لهم من حين ولادتهم<sup>1</sup> إلى حين انتهائهم لا يحصى ولا يعد. ويكل اللسان ويعيب القلم عنه، مع ما ادخر لهم في الآخرة.

كما روي عنه \_ عليه الصلاة والسلام\_ : «الله مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها ترفع الفرس حافرهما عن ولدها. وأخر تسعة وتسعون رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة. ويروى: كل رحمة كطباق الأرض، أي تغطي الأرض كلها». ومما روي: «إن الله تبارك وتعالى أرحم وألطف بعباده من أنفسهم ما رواه أبو أمامة أن النبي ﷺ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾<sup>2</sup>، أن لكل نفس حفظة من الله يدبون عنها كما دب عن قصعة العسل الذباب. ولو وُكِلَ المرءُ إلى نفسه طرفة عين لاخطفته الشياطين». انتهى من الجواهر الحسان.

وقول الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_: "نحن على النهج الأول"، النهج: الطريق، قاله أهل اللغة. وقوله: "الأول" هو طريق رسول الله ﷺ وسنته وسنة أصحابه، كما قال \_ عليه الصلاة والسلام\_ : [عليكم]<sup>3</sup> بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي. وقال: «خير الطريق ما أنا عليه وأصحابي»<sup>4</sup>. وقال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»<sup>5</sup> إلى غير ذلك. وقوله: "فبخ بخ". قال ابن العربي في القبس قول العرب: «بخ بخ كناية عن تشريف الأمر والرغبة فيه».

### \_ [حجبة الذكر من الكتاب والسنة]:

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "ابتدائهم".

<sup>2</sup> - سورة الطارق، الآية (4).

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا) و(ك).

<sup>4</sup> - الحديث محل خلاف بين علماء الحديث، منهم من رفضه، ومنهم من ضعفه، ومنهم من استحسنته. وقد ورد بصيغ مختلفة منها: قال رسول الله ﷺ: «تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِئَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِئَةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». رواه الترمذي (رقم 2641). ج/5/ص66.

<sup>5</sup> - أجمع علماء الحديث على إنكاره وعدم صحته. وقال البخاري منكر الحديث. وقال الإمام أحمد: لا يصح هذا الحديث. وقال الألباني في "السلسلة الضعيفة" (58): "موضوع".

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله، ونفعنا به، آمين: «والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ليعلم كل من يقف عليه من إخواننا المؤمنين كافة وعمامة وخاصة بارك الله فيكم وفي عمركم، أما بعد. كل كلام/ [77و] ومعه وبعده، فليس في الكون إلا الله وحده، ولا يعلم أحد ما يقضى وما عنده، ونسبة طريق الذاكرين الله تعالى. فمن الكتاب والسنة، قال مولانا \_جل وعلا\_: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(1)</sup>، الذكر على إطلاقه بالجهر والسر، بالجمع والانفراد قائماً وقاعداً، وعلى جنبه طاهراً أو جنباً<sup>2</sup>، وكثير في كتاب الله. ومن السنة، عن رسول الله ﷺ: «أكثرُوا من ذكر الله حتى يقول المنافقون أنكم مراؤون». وقال: «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد»، قيل: "وما جلاؤها يا رسول الله؟"، قال: «ذكر الله»<sup>3</sup>. وقال: «ما من قوم يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا وناداهم مناد: "قوموا مغفوراً لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات"»<sup>4</sup>. وكثير مما لا يخفى على أهل العقول». انتهى باختصار.

**قلت:** ونحو هذا الحديث الذي ذكره سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ نص على مثله ابن العربي في القبس، ونصه: وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه مشى يوماً مع أصحابه حتى وقف على جبل، فقال: «هذا جمران سيروا سبق المفردون»، قيل: "يا رسول الله، من هم؟"، قال: «الذين اهتروا<sup>5</sup> بذكر الله، يضع الذكر عليهم أوزارهم».

<sup>1</sup> \_ سورة الأحزاب، الآية 41، وتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

<sup>2</sup> - في (ب) و(د) : "جنباً".

<sup>3</sup> - رواه أبو نعيم الأصفهاني والبيهقي بلفظ: «هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» قالوا: يا رسول الله فما جلاؤها قال: «قراءة القرآن». - حلية الأولياء: ج 8/ ص 197.

- البيهقي: شعب الإيمان (رقم: 2014): ج 2/ ص 352.

<sup>4</sup> - الحديث ذكره أبو حامد الغزالي: في الإحياء، باب فضيلة مجالس الذكر. ج 1/ ص 447.

<sup>5</sup> - كذا في جميع النسخ. وربما يقصد: "اهتدوا". اهتدوا بذكر الله.

فقوله: "المفردون": الذين أفردوا الله بالوجود الحقيقي، وبعموم القدرة وبعموم الخلق، فلا خالق سواه باختصاص الإرادة، يفعل ما يشاء. ولأن المرجع إليه، ومعناه: لم يروا إلا الله وكأنه يريد الموحدين الذين يرون الله فرداً واحداً.

وقوله: "لا يفتر عن ذكر الله"، يعني: غلب عليهم الذكر في الأقوال والطاعة في الأعمال، حتى يكونوا كما رُوِيَ عن الحسن البصري أنه قال: «أدرکت أقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوكم لقالوا فساق<sup>1</sup>». انتهى منه \_رحمه الله\_ بلفظه. [اللهم انفعنا بأوليائك الصالحين]<sup>2</sup>.

### \_ [رسالةٌ تتضمَّن وصايا]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_، هو: «الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله. من عبد الله أحمد بن يوسف \_أصلح الله حاله، وبلغ آماله\_ إلى إخواننا وأصحابنا وأولادنا كافة وعمامة وخاصة. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد السؤال عنكم وعلى أحوالكم بجملتها؛ جعل الله أحوالكم أفضل الأحوال بمنه وكرمه. أوصيكم إخواني، عليكم بذكر الله في السر والعلانية، والتوكل على الله بالكلية، وبالكتاب والسنة، وعليكم بالعهد الأول؛ فعليه المعول، وبالرجوع إلى الله والاستناد إلى الله، والتعرض لنفحات الله والمحبة في الله وفي أولياء الله. ولازموا أوردكم<sup>3</sup>، واستأنفوا إخوانكم، ولا تسمعوا من قول قائل وطاعن، والذين يستعجزون قدرة الله، ومولانا صاحب المواهب العلية يخص من يشاء بما شاء وهو على كل شيء قدير.

نفع الله الكل بما قصدوا، وأعانهم على ما طلبوا، وكونوا من الله خائفين وبما أمركم به عاملين، وعلى ما نهاكم عنه ناهين، وفي كلامه العزيز محبين، واتركوا المشتغلين الكاذبين الصادين عن باب الله، وباب الله مفتوح، فتاح جواد كريم، [صاحب الخزائن الواسعة

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ. والأصح: فساقا. وربما هو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هؤلاء فساق.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ك).

<sup>3</sup> - في (ا): "أولادكم". وهو غير صحيح.

التي لا نهاية لها، وذكر الله هو الوقوف على باب الله، ومن دق باب الكريم<sup>1</sup>فتح له، والذاكر جليس الحق سبحانه. ومن جالس الحق سبحانه لا بد أن يهب له أمراً لم يكن عنده؛ إذ ليس في مولانا الكريم البخل. واتركوا الخلق وما هم [عليه]<sup>2</sup>يقولون فمراد الحق ما هم [عليه]<sup>3</sup>وحضرة الإلهية هم عليه، لا تتضبط لا لعربي ولا لعجمي. / [77ظ] والمقصود الواحد الأحد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(4)</sup>.

### \_ [معالم الطريق إلى الله]:

ومن كلامه \_رحمه الله ونفعنا به أمين\_، وهو: «الطريق والمقصد إلى الله أربعة أشياء، فمن حازها<sup>5</sup>فهو من الصديقين المحققين، ومن حاز منها<sup>6</sup>ثلاثاً فهو من أولياء الله المقربين، ومن حاز منها اثنتين فهو من أولياء الله المكرمين، ومن حاز منها واحدة فهو من عباد الله الصالحين. أولها<sup>7</sup>: الذكر وبساطه العمل الصالح، وثمرته النور. الثانية: التفكير وبساطه الصبر، وثمرته العلم. الثالثة: الفقر وبساطه الشكر وثمرته المزيد<sup>8</sup>منه. [الرابعة: الحب، وبساطه بغض الدنيا [وأهلها]<sup>9</sup>، وثمرته الوصول إلى المحبوب]<sup>10</sup>.

### \_ [شأن السالكين]:

ومن كلامه \_رحمه الله\_: «شأن السالكين والمريدين من أهل المقامات والجدب لا يخل<sup>(11)</sup> إما أن يكون جمالياً جلالياً أو جلالياً جمالياً، أو لا بهذا ولا بهذا. ومن رأى ذلك

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا). مستدرك من النسخ الأخرى.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا).

<sup>4</sup> - سورة الإخلاص، الآية: 3-4.

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): حازهن. عاملها معاملة جمع المؤنث السالم في كلها.

<sup>6</sup> - في (ب) و(د): منهن

<sup>7</sup> - في (ب) و(د): أولهن.

<sup>8</sup> - في (ك): التجريد.

<sup>9</sup> - ما بين المعقوفين زيادة في (ب) و(د).

<sup>10</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ك).

<sup>11</sup> - كذا في (أ) و(ك): والصواب: "لا يخلو".

أمر فإذا برزت للناس يدهشون منها. فمنهم من يحترق ومنهم من يموت ومنهم من يذوب كما يذوب الرصاص بحسب ما يرى مما تهتز منه العقول والأرواح. وحضرة الألوهية واسعة لا تتضبط [ولا تتحصر]<sup>1</sup> لا لعربي ولا لعجمي؛ إذ ذاك شأن الربوبية، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>، والسلام».

**قلت:** وما ذكره سيدي أحمد بن يوسف في هذا الكلام ذكر مثله الشطنوفي عن الشيخ سيدي جاك، ونصه: «ومن كلام سيدي جاك<sup>3</sup> المشاهدة ارتفاع الحجب بين العبد وبين الرب فيطلع بصفاء القلب على ما أخبر من الغيب، فيشاهد الجلال والعظمة، وتتغير عليه الأحوال والمقامات، فيداخله<sup>4</sup> الحيرة والدهشة، ثم تخرجه الحيرة إلى البهت، فتراه شاخصاً بالحق إلى الحق، وتارة يشاهد الجلال، وتارة يطالع الجمال، وتارة ينظر إلى الكمال، وتارة يلوح له الكبرياء والعزة، وتارة يبدو له الجبروت والعظمة، وتارة يشاهد اللطف والبهجة، فهذا يبسطه وهذا يقبضه وهذا يطويه وهذا ينشره، وهذا يفقده وهذا يوجده، وهذا يبديه وهذا يعيده، وهذا يفنيه وهذا يبقيه، وهذا زائل لكن نعت البشرية قائم بصفات العبودية لا يحس بالأغيار ولا يشهد غير عظمة الجبار». انتهى منه \_رحمه الله\_.

### \_ [توجيهات صوفية (1)] \_:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_: «وهو عليك بتوجه صادق يأتيك حال طارق، وآخره حال خارق، وخبر واثق، وانتقل من عالم الخلق إلى عالم الحق، واطلبه لا لشيء دونه، وقل: "يا رب وصلني إليك بك"، وإلا لا خير فيك إذا تعلقت بك أو بشيء دونه، واطرح نفسك تبلغ الأمل». انتهى.

<sup>1</sup> - ما بين المعرفين زيادة في (ب) و(د).

<sup>2</sup> - سورة يوسف، من الآية 76، وتامها: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): جاكير بياء بعد كاف. وقد سبق وان أشرنا إلى ذلك.

<sup>4</sup> - في (ب) و(د): "فتداخله". بالتأنيث وهو الصواب.

قلت: قول الشيخ سيدي أحمد: "اطرح نفسك تبلغ الأمل" يشهد له قول سيدي أبي يزيد: "إن المؤمن بلا نفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾<sup>(1)</sup>، ومن باع نفسه إلى الله كيف تكون له نفسه؟!". وقال أبو العباس المرسي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾<sup>(2)</sup>، قال: «بقرة كل إنسان نفسه، والله أمرك بذبحها، وقتل النفس مخالفتها».

ويحكي عن أبي الحسن أستاذ الجنيد \_نفع الله بهما\_ أن رجلاً دعاه ثلاث مرات لطعامه ثم يرده، فيرجع إليه بعد ذلك؛ حتى أدخله داره في المرة الرابعة، فسأله عن ذلك فقال: "قد رُضت نفسي على الذل عشرين سنة؛ حتى صارت بمنزلة الكلب يُطردُ فينطرد، ثم يدعى فيعود، ويرمى له عظم فيجيب، ولو رددتني خمسين مرة ثم تدعونني<sup>3</sup> بعد ذلك لأجبتك". انتهى من سيدي موسى بن عيسى المذكور \_رحمه الله\_.

قلت: ومثل ذلك ما حكى عن سيدي إبراهيم بن أدهم/ [78و] \_أعاد الله [علينا وعلى ذرياتنا]<sup>4</sup> من بركاته\_ مع الحجام. ثم قال سيدي موسى المذكور: «وقال أبو يزيد: المؤمن المتواضع الذي لم ير لنفسه مقاما ولا حالاً، ولا يرى في الخلق من هو شر منه. وقال بعض السادات: «طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل».

### حكاية منه في المعنى

روي أن رجلاً من أهل بسطام كان لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد، فقال له يوماً: يا أبا يزيد إن لي منذ ثلاثين عاماً أصوم النهار وأقوم الليل، وتركت الشهوات، ولست أجد في

<sup>1</sup> - سورة التوبة، من الآية: 111، وتامها: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

<sup>2</sup> - سورة البقرة، من الآية: 67، وتامها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): دعوتني.

<sup>4</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د) ورد كما يلي: [عَلَيَّ وعلى ذريتي].

قلبي شيئاً البتة، وأنا آمن بكل شيء تقوله وأصدق به ونصدقك فيه، فقال له: لو صمت مئة سنة وقمتها وأنت على ما (أرى منك لا)<sup>1</sup> تجد من هذا العلم ذرة، فقال له: "ولم؟"، قال: "لأنك عجيب<sup>2</sup> بنفسك"، فقال له الرجل: "هل لهذا دواء ينكشف به الحجاب؟"، قال: "نعم، ولكنك لا تقبل ولا تعمل!"، قال: "بلى أنا أقبل وأعمل". فقال له: "اذهب الساعة للحمام واحلق لحيتك ورأسك وانزع عنك هذا اللباس، واتزر بعباءة، وعلق في عنقك معلافاً واملأها جوزاً، وقل بأعلى صوتك: "يا صبيان، من يصفني صفة أعطيه جوزة، وادخل لسوقك الذي تعظم فيه وينظر إليك كل من يعرفك على هذه الحالة". فقال الرجل: "سبحان الله يا أبا يزيد، ألمثلي تقول هذا؟ أو يحسن لي<sup>3</sup> أن أفعل هذا؟ فقال له: "قولك "سبحان الله" شرك"، فقال: "وكيف يكون هذا شركاً؟"، فقال له: "لأنك عظمت نفسك عما سمعت فسبحتها"، فقال له: "إني لا أقدر على هذا"، فقال له: "ألم أقل لك: "إنك لا تقبل ولا تعمل""، فقال له: "دلني على غيره أفعله"، فقال له: "ابتدئ بهذا قبل كل شيء حتى تذلل نفسك، ثم بعد ذلك أعرفك بما يصلح لك"، فقال: "لا أطيقه".

**قلت:** ومثل ما حكى عن أبي يزيد وقع للشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ على ما أخبرني به سليمان بن المرابط علي بن أحمد الكثيري أحد تلامذة الشيخ المذكور، وذلك أن أباه عليا المذكور حدثه مشافهة أنه جلس ذات يوم عند الشيخ سيدي أحمد إذ جاءه رجل فقال له: يا سيدي أحمد دلني على عمل أصل به إلى مقام الأولياء، فقال له بلسانه الزناتي: لا تقدر، فأجابه بأن قال: "أقدر"، فصار الشيخ يقول: "لا تقدر"، ويجيبه هو بأن يقول: "أقدر" مراراً بألفاظهما الزناتية. ثم إنَّ الشيخ قال له: "افعل ما أمرك به وبعده نستخير الله"، قال له: "قل ما تشاء"، قال له الشيخ: "اذهب إلى موضع كذا تجد رجلاً خماساً يحترث

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "على ما أراك به لم تجد".

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "محجوب بنفسك وفي (ك): "عجوب بنفسك".

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "أويحسن بي؟"



على بقر وعلى رأسه شاشية صوف بيضاء، وعليه كساء بيضاء خشينة، فإذا وصلتته فالطم خده قبل أن تكلمه، وبعدها آتيني أدلك على عمل الأولياء".

ثم إن الرجل ذهب كما أمره الشيخ فوجد الرجل يحرق على النعت الذي بعثه<sup>(1)</sup> له الشيخ، فلم يكلمه حتى لطمه لخده لكمة كبيرة صرع منها، والضارب واقف عند رأسه فلما أفاق قام وأطلق البقر وحبس الرجل الضارب من طرف ثوبه، وقال: اذهب معي نختصم عند القاضي، فأتيا القاضي، فقال لهما: من هو المدعي منكما؟ فقال المضروب: "أنا". فقال: "تكلم بحجتك"، قال: "أيها القاضي"، إن هذا الرجل لطم خدي لكمة عظيمة غشي علي منها، وأخاف أن يكون تألمت كفه من وجهي، ماذا يلزمني في قصاصه مني"، فصاح القاضي صيحة عظيمة غشي عليه منها، وهرب الضارب إلى الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف، وقال له: "لا أقدر على هذا"، بعد أن أخبره بالقصة، فقال له الشيخ: "ألم أقل لك لا تقدر على ذلك؟".

### \_ [السَّير إلى الحقّ]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ وهو: «اعلم يا أخي أن الحقَّ ظاهرٌ جليٌّ، لا يخفى إلا على من عميت بصيرته، وخسرت/ [78ظ] سريرته، واضمحلَّت خليفته. وأمَّا العارفُ الذاكر الله الذي سلك طريقتنا، وجد بسيرنا، وسار سيرنا، فهو متجه إلى الحق ناظر إليه بأذن واعية وأبصار خاشعة، وقلوب خافقة، وعقول طائشة. لم يلذ له طعام ولا شراب، جسمه في الأرض وروحه متعلقة بذكر المالك<sup>2</sup> الديان». انتهى.

**توجيهات صوفية (2):** ومن كلامه \_رحمه الله\_: «ادكُره تجده، واترك نفسك تكن عبده لا عبدها، واصدق مع الله يُريك العجب، وأفرغ بابه تدخل حضرته، وجد به تجده

<sup>1</sup> \_ كذا في (ا) و(ك) وفي (ب) و(د): "تعتة". وهو الأصح.

<sup>2</sup> - كذا (ا). وفي بقية النسخ: "الملك".

مَعَكَ، ثُمَّ جُدَّ بِهِ حَتَّى تَغِيبَ، وَتَحَضَّرَ تَحَضُّرُ بِهِ، لَا بَدَّ يُغَيِّبُكَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ تَسْمَعُ بِهِ وَتُبْصِرُ بِهِ وَتَبْطِشُ بِهِ».

**قلتُ:**

قول الشيخ: "تسمع به وتبصر به وتبتطش به" يعضده الحديث الصحيح عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي يتكلم به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أحبته، إن سألتني أعطيتني»<sup>1</sup>. وفي رواية: «كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومؤيدا».

**\_ [تعليق على قول أبي مدين]:**

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله \_ أن قيل له إن شيخ المشايخ سيدي أبا مدين قال: "تلميذي يلزم الجوع حتى يصير كالشبابة، فيذكر الله بلحمه ودمه، فيدوي كالشبابة"، فقال الشيخ سيدي أحمد: «تلميذي كالنفط<sup>2</sup> لا يدوي إلا بالدك».

**قلتُ:** معناه يأكل كثيرا. وحكي أن هذه كانت حال الشيخ زروق \_ نفعني الله بهم أجمعين آمين \_ ويشهد لصحته ما قاله سيدي أبو العباس القسطلاني، ونصه: «وبعض المشايخ يرى أن تطعم النفس في الخلوة الأدهان، ويأمر بالأكل على قدر الحاجة دون التقليل، ويقول الذكر يذيب ذلك ويفنيه ويطهر ما كان فيه من الخبث». انتهى منه بلفظه.

**\_ [قول في زاويته]:**

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله \_ أنه قال: «زاويتنا كسفينة نوح من دخلها فهو آمن».

**\_ [قول في الاستسلام المطلق للحق]:**

ومن كلامه أنه قال: «أنا جالس في حجر الحق سبحانه يفعل بي ما شاء».

<sup>1</sup> - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع (رقم: 6502): ج4/ص37.

<sup>2</sup> - جاء في لسان العرب "نفت الطبي ينفط نفيطا: "صَوَّتَ"، وكذلك "ترب نزيبا". ينظر: ابن منظور، لسان العرب. ج14. مادة(م،ن). ص325.

قلت: ويعضده ما قاله الشبلي: «الصوفية أطفال في حجر الحق سبحانه». انتهى من سيدي موسى المذكور.

ثم قال: قال الشبلي: «التصوف الجلوس مع الله بلا هم».

وقال الشبلي أيضاً: «والصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق». فقله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي﴾<sup>(1)</sup> قطعه عن كل غير، ثم قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾<sup>(2)</sup>.

وسمع الشبلي رجلاً يبيع الخيار ينادي: "الخيار عشرة بدانق"، فصاح وقال: "إذا كان الخيار عشرة بدانق فكيف الشرار؟".

وجاءت امرأة مع زوجها للجنيد فقالت له: "إنه يريد أن يتزوج عَليَّ امرأة"، فقال لها الجنيد: "ولعلها أجمل منك"، فقالت: "لو جاز النظر للأجنبية لكشفت لك عن قناعي حتى تراني"، فمن يكون له مثلي هل يجوز أن يختار غيري؟!، فصعق الجنيد وخرَّ مغشياً عليه. فلما أفاق وسئل عن حاله، فقال: "ظننت أن الله يقول: «لو جاز النظر لأحد من أهل الدنيا فيراني بعين رأسه لرفعت الحجاب بيني وبين عبدي؛ حتى لا يجوز أن يميل إلى غيري»". انتهى من سيدي موسى المذكور.

فانظر يا فقيه لإشارة القوم للمعاني التي لا يعرفها إلا هم، وإياك والتعرض لظاهر كلامهم، وسلم لهم في إشارتهم وفي ألفاظهم، فإنما يشيرون للمعاني التي تعذب عن غيرهم، نفعني الله بحبي فيهم، وبلغني بقصدي في تعظيمهم وقدرهم، وأنا أتوسل إلى الله بحبي لهم وجاههم عنده أن يحييني على محبتهم، ويميتني على محبتهم وأن يحشرنني في زميرتهم، أمين يارب العالمين.

<sup>1</sup> \_ سورة طه، الآية: 41.

<sup>2</sup> \_ سورة الأعراف، من الآية: 143، وتمامها: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم قال موسى المذكور: «وسمع الشبلي يقول: إذا كان يوم القيامة،/ [79و] أقول: يا رب اجمع بيني وبين محمد ﷺ لأنظره»، فإذا جمع بيني وبينه قلت له: «إن الله أوصلك لمقام المحبة، وأعطاك مقام الشفاعة، فقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾<sup>(1)</sup>، فمن الفتوة ألا ترضى ويبقى واحد من أمتك في النار، وإلا فأنا قد جعلت فداء أمتك، ويدخلني النار بدلا عنهم».

### فصل في الفتوة:

سئل الفضيل عن الفتوة، [فقال:]<sup>(2)</sup> هي الصفح عن عثرات الإخوان ولهم فيها عبارات. وقيل: «أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُوْحًا عَظِيمًا﴾<sup>(3)</sup>». وقال الجنيد: «هي أن لا تتأفر فقيرا ولا تعارض غنيا». وقال القشيري: «أصلا<sup>(4)</sup> أن يكون العبد أبدا في أمر غيره، فقد جاء: «والله في عون العبد ما دام [العبد]<sup>(5)</sup> في عون أخيه<sup>(6)</sup>»، إلى غير ذلك. ثم [سئل] الشبلي عن نظر العين وعن نظر القلب، فقال: العين ترمق للملكوت، والقلب ينظر<sup>7</sup> لِمَلِكِ الملكوت، ثم شهق شهقة وغاص في وجده [وأنشدوا في المعنى]<sup>8</sup>: [طويل]

صِفَاتِي<sup>(9)</sup> لَا مَوْصُوفَ فِيهَا لِأَنِّي قَنَيْتُ [فَلَا رُوحَ أَحْسُ]<sup>(1)</sup> وَلَا شَخْصًا

<sup>1</sup> \_ سورة الضحى، الآية: 05.

<sup>2</sup> \_ ما بين المعقوفين إضافة يقتضيها السياق.

<sup>3</sup> \_ سورة فصلت، من الآية: 35، وتامها: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُوْحًا عَظِيمًا﴾.

<sup>4</sup> - في (ب) و(ج) و(د): «أصلها». وهو الصواب.

<sup>5</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>6</sup> \_ هذا جزء من حديث شريف رواه ابن حبان، وتامه: عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». رواه ابن حبان في صحيحه (ج2/ رقم534 / تح: أحمد شاكر. نشر دار المعارف. 1952م. ورواه مسلم، ج17 / رقم2580 / ص114. والبخاري، ج2/ رقم2442 / ص179 .

<sup>7</sup> - في (ب) و(د): يرمق.

<sup>8</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب)

<sup>9</sup> - كذا في (ب) و(ك) و(د). وفي (ا): «صفات» وهو خطأ. هذا والبيت مكرر، فقد استشهد به المؤلف في ص(56و).

صَلِيْتُ<sup>(2)</sup> بِنَارِ الْوَجْدِ فِي حُبِّ سَيِّدِي دَوَاعِي هَوَاهُ لِلْمُحِبِّينَ لَا تُحْصَى  
صَفَا لِي وَرْدُ الْحُبِّ حَتَّى وَرِدْتُهُ فَأَصْبَحْتُ فِيهِ بِالنَّسْنَمِ مُقْتَنَصًا

فلما أفاق قال مساكين هؤلاء المساكين الذين رمقوا بأعينهم إلى الملكوت  
المخلوقة<sup>3</sup> ورضوا بالجنان المزخرفة، فبقوا ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾<sup>(4)</sup>، والملوك  
الذين عرضت عليهم هذه كلها، فلم يرضوا بها ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ  
رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾<sup>(5)</sup> فرمقوا بقلوبهم ملك الملكوت الدائم الأزلي، ولم يرضوا بدون ذلك، فبقوا معه  
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾<sup>(6)</sup>.

وقال سيدي موسى المذكور يشير بهذا المعنى إلى ما جاء أكثر أهل الجنة البله، قيل  
في تفسير [هـ]<sup>7</sup>: «[إنهم]<sup>8</sup> الذين [لم] يشغلهم نعيم الجنة من اللبس والمأكل والمنكح والمسكن  
عن لذة النظر إلى الله تعالى والكون في حضرة القرب منه»، انتهى منه \_رحمه الله\_.

### \_ [مفهوم التوحيد]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_ [رحمه الله تعالى]<sup>10</sup> \_ في التوحيد: «وهو العقل  
يطلب إدراك الأشياء من علها والوهم يطلب إدراك الأشياء من صورها، والحس يطلب إدراك  
الأشياء من حيث إحاطة الأماكن بها، فالله تعالى ليس له علة فيدركها العقل، ولا صورة

<sup>1</sup> - كذا في (أ). وفي باقي النسخ ورد: (بِلَا رُوحٍ أُحْسُ). والصواب: "فَلَا رُوحًا".

<sup>2</sup> - في (أ): طبت". وهو غير مناسب للمعنى.

<sup>3</sup> - في (أ): "المحوقة". وهو لا يستقيم مع المعنى.

<sup>4</sup> \_ سورة، الفرقان، الآية: 76.

<sup>5</sup> \_ سورة النجم، الآية: 17-18.

<sup>6</sup> \_ سورة القمر، الآية: 55.

<sup>7</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

<sup>8</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>9</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

<sup>10</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

فيدركها الوهم، ولا تحيط به الأماكن فيدركه الحس، وإنما يقول تقريباً لأذهان المخلوقين العجز عن الإدراك إدراك<sup>1</sup> «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>(2)</sup>.

قلت:

ومثل هذا ما ذكره الشطنوفي رحمه الله في كلام الشيخ سيدي عدي بن مسافر نفعنا<sup>3</sup> الله ولفظه ومن كلامه في توحيد الباري عزَّ وجلَّ: «لا تجري ماهيته في مقال، ولا تخطر كفيته ببال، جلَّ عن الأمثال والأشكال. صفاته قديمة كذاته، ليس بجسم في صفاته جلَّ أن يشبه بمخلوقاته، وأن يضاف إلى مخترعاته، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>(4)</sup>، لا سمِّي له في أرضه ولا سماواته، ولا عدل له في حكمه وإرادته. حرام على العقول أن تمثله، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطعه، وعلى الضمائر أن تغمق، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الفكر أن تحيط، وعلى العقول أن تصور إلا ما وصف به ذاته في كتابه العزيز على لسان نبيه ﷺ.»

ثم قال الشطنوفي المذكور: «ومن كلام سيدي علي بن وهب السنجاري: "وهو معرفة الله عزَّ وجلَّ عزيزة لا تدرك بالعقل، بل يقتبس أصلها من الشرع، ثم تتفرع حقائقها على قدر القرب: فقوم عرفوه بالوحدانية فأنسوا إلى الصمدانية، وقوم عرفوه بالقدرة فتحيروا، [79ظ] وقوم عرفوه بالعظمة، فوقفوا على قدم الدهشة، وقوم عرفوه بعزة الألوهية، وقوم عرفوه بصنائه، واستدلوا عليه ببذائعه فشاهدوا في بدائه وصنعه، ورأوه في عطائه ومنعه، وقوم

<sup>1</sup> - ذكر علي بن أبي طالب في ديوانه بيتاً في هذا المعنى: البسيط

العَجْزُ عَنِ الدَّرَكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ وَالْبَحْثُ عَنِ سِرِّ ذَاتِ السَّرِّ إِشْرَاكٌ

ينظر: ديوان أمير المؤمنين، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم. ط1. (1414هـ/1988م). دون ذكر بلد النشر. ص 142.

<sup>2</sup> - سورة الشورى، من الآية: 11، وتامها: «فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأنْعَامِ أَزْوَاجاً يُدْرِكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): نفعني.

<sup>4</sup> - نفس السورة ونفس الآية.

عرفوه بالتكوين، فمنحهم الثبات والتمكين، وقوم عرفوه لا بغيره فأعطاهم ما لا عين رأت [ولا أذن سمعت]<sup>(1)</sup>».

### \_ [خصال الكلب]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ ما حدثني به المرابط يوسف بن الزغل المصراتي أن الشيخ قال: «في الكلب عشرة خصائل<sup>2</sup> محمودة: الأولى: لا يزال حافياً؛ وذلك من علامة الصالحين. الثانية: لا يترك ميراثاً إذا مات؛ وذلك من علامة الزاهدين. الثالثة: ليس له مقام معلوم؛ وذلك من علامة السائحين. الرابعة: لا ينام من الليل إلا قليلاً؛ وذلك من علامة المحبين. الخامسة: لا يترك صاحبه ولو ضربه؛ وذلك من علامة المريدين. السادسة: يرضى بأدنى موضع؛ وذلك من علامة الراضين. السابعة<sup>(3)</sup>: تضربه ثم تعطيه كسرة فيأكلها ولا يحقد ولا يغضب وذلك من علامة المؤمنين. الثامنة لا يتهم صاحبه ولا يفارقه؛ وذلك من علامة العارفين. التاسعة: لا يشكو حراً ولا برداً؛ وذلك من علامة الصابرين. العاشرة: إذا رأى من يأكل وقف بالبعد منه؛ وذلك من علامة المساكين». انتهى.

### \_ [خوف وخفاء]:

ومن كلامه أنه قال: «وَاللَّهِ لَوْلَا خِفْتُ أَنْ أُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَأَطَّهَرْتُ لَكُمْ الْحَقَّ عِيَانًا».

قلت: ما ذكره سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ يعضده قول سيدي أبي العباس المرسي: «لَوْ كُنْثِفَ عَنْ حَقِيقَةِ الْوَلِيِّ لَعَبِدَ؛ لِأَنَّ أَوْصَافَهُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَنُعُوتُهُ مِنْ نُعُوتِهِ».

قال تلميذه السيد ابن عطاء الله: «ولقد أخبرني بعض المريدين قال: "صليت خلف شيخي

1 - ما بين المعقوفين ساقط من باقي النسخ، وهو اقتباس من قوله تعالى في سورة السجدة. الآية 17. «وتمامها: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

2 - كذا في (أ) و(د). وفي (ب) و(ك): "خصال". وهي أسلم وأصح معنى من الأولى

3 - الخصلة السابعة ساقطة من (أ).

صلاة فشهدت ما أبهر عقلي؛ لأنني شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته<sup>1</sup>، وأنشأ<sup>2</sup> الأنوار من وجهه<sup>3</sup>؛ حتى أنني لم أستطع أنظر إليه<sup>4</sup>». انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلتُ:**

وقريب من هذا ما حكي عن رجل يسمى عثمان [القصير]<sup>4</sup> أنه شاهد<sup>5</sup> في الشيخ سيدي أحمد بن يوسف عجائب ربانية<sup>6</sup> وأنوار الألوهية<sup>7</sup>، ويصيح عند ذلك ويقول للجالسين<sup>8</sup> معه عند الشيخ سيدي أحمد بن يوسف: "انظروا لهذه الأوصاف"، فلم يروا ما رأى من الأنوار وما تحقق من الأسرار، ولكنه كما قيل: «ليس من رأى كمن لم ير»، ومعدور من رأى ومعدور من لم ير.

وقيل: إن سيدي عثمان القصير المذكور كان يصيح عند رؤية الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف رحمه الله - ويقول ها هي الكعبة تطوف بالشيخ<sup>9</sup>، أخبرني بهذا جماعة كثيرة<sup>10</sup> يستحيل تواطؤهم<sup>11</sup> على الكذب.

انظر يا فقيه كيف كشف الله لهذا الرجل عما اتصف به الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف من الأوصاف الأزلية والأنوار الربانية.

1 - كذا في (د)، وفي باقي النسخ: "ملأت".

2 - في (د): "ونشت".

3 - في (ب) و(د) و(ك): "وجوده".

4 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

5 - في (د): "شهد".

6 - في (د): "ربانيات".

7 - كذا في (ا)، وفي باقي النسخ: "الاهية". والأصح "الهيئة".

8 - في (ا): "للمجالسين".

9 - في (د): "بشيخي".

10 - كذا في (ا) و(ك)، وفي (ب) و(د): "كبيرة".

11 - كذا في (د)، وفي باقي النسخ: "تواطؤهم". بجعل الهمزة على النبرة وتخفيفها الى الياء. ولكن الأولى أصح.



قُلْتُ: ولا يعترض<sup>(1)</sup> على هذا الرجل الذي يقول ها هي<sup>(2)</sup> الكعبة تطوف بالشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_؛ لأن ذلك جائز واقع كما قدمناه عن سيدي عبد القادر الجيلاني والسيد محمد السنوسي في شرح الوسطى وغيرهما فانظره هناك.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وقال ابن عطاء الله: ولو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من ذلك، وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم؟!؛ الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب، وأنوار قلوب أولياء الله لا كسوف فيها<sup>(3)</sup> ولا غروب، كذلك قال قائلهم: [خفيف]

إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغِيبُ<sup>(4)</sup> بِاللَّيْلِ لِ شَمْسِ الْقُلُوبِ لَيْسَ تَغِيبُ<sup>(5)</sup>

والأنوار الظاهرة في أولياء الله تعالى إنما هي من إشراق أنوار النبوة [80] عليهم فمثل الحقيقة المحمدية كالشمس، وأنوار قلوب أولياء الله كالقمر. وإنما أضاء القمر لظهور نور الشمس فيه ومقابلته إياها، فإذا الشمس مضيئة نهاراً ومضيئة ليلاً؛ لظهور نورها في القمر الممدود منها، فإذا هي لا غروب لها، فقد فهمت من هذا أنه يجب دوام أنوار الأولياء؛ لدوام ظهور نور رسول الله ﷺ فيهم؛ فإنهم آيات الله يتلوها على عباده بإظهاره إياهم واحداً بعد واحد.

1 - كذا في باقي النسخ: وفي (ا): "لا يعترض". وهو خطأ.

2 - كذا في (ا)، و(ك)، وفي (ب) و(د) إضافة: "عين". والقول هكذا: ها هي عين الكعبة...

3 - كذا في (ا) و(ك)، وفي (ب) و(د): "لها". أي لا كسوف لها.

4 - كذا في (ا)، وفي باقي النسخ الثلاث: "تغرب". وهو الأصح كما جاء في الديوان ص 197.

5 - البيت للشهيد أبي عبد الله الحسين بن منصور الحلاج (244هـ-858م / 309 هـ - 922م). والبيت ورد مع بيتين آخرين فقط

في ديوان الحلاج في مجموع ثلاثة أبيات، بمعنى "النتفة" في اصطلاح العروضيين. يقول الحلاج في أولها:

طَلَعَتْ شَمْسٌ مِّنْ أَحَبِّ بَلِيلٍ فَاسْتَنَارَتْ فَمَا لَهَا مِنْ غُرُوبٍ  
إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرُبُ بِاللَّيْلِ لِ شَمْسِ الْقُلُوبِ لَيْسَ تَغِيبُ  
مَنْ أَحَبَّ الْحَبِيبَ طَارَ إِلَيْهِ إِشْتِيَاقًا إِلَى لِقَاءِ الْحَبِيبِ

ينظر شرح ديوان الحلاج: كامل مصطفى الشيباني، ط2، منشورات الجمل، طرابلس الغرب، 1993م. ص 197

إخواني نجوم العلوم وأقمار المعرفة وشموس<sup>1</sup> التوحيد مطالعها وموضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم، وهذه هي الأنوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الأنوار المحسوسة. وإذا تولى الله وليا صان قلبه من الأغيار وحرسه بدوام الأنوار.

قال بعض المشايخ: «إذا كان الله سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب؛ حتى<sup>2</sup> لا يسترق السمع منها، فقلب المؤمن أولى بذلك؛ [قال تعالى: لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن].<sup>3</sup> فانظر هذا الأمر الأكبر الذي أعطيه هذا القلب؛ حتى صار لهذه الرتبة أهلاً. قال الإمام القطب العارف بالله سيدي أبو الحسن الشاذلي \_ نفع الله به وبأمثاله \_ : «لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض، فما ظنك بنور المؤمن المطيع؟!».

وروي أنّ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما \_ نظرَ إلى الكعبةِ ذاتَ يومٍ وقالَ لها: «مَا أَعْظَمَ حُرْمَتَكَ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ مِنْكَ»<sup>(4)</sup>.

وذكر الغزالي حديثاً «أن الله شرف [الكعبة وعظمتها]<sup>(5)</sup> ولو أن عبدا هدمها حجراً حجراً ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله. فقال أعرابي: "يا رسول الله، من أولياء الله؟"، قال: «المؤمنون كلهم أولياء الله»<sup>(6)</sup>. انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** فإذا عرفت هذا \_ أيها المؤمن \_ فاشكر مولاك واحمده على هذه النعمة، واطلبه في دوامها وبقائها وحفظه لها عليك؛ فكل نعمة منه فضل.

1 - كذا في (ب) و(د) و(ك). وفي (أ): "شمس".

2 - في (ب) و(د): "كي".

3 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

4 - الحديث رواه الترمذي في سننه (تح: شاكر): رقم 2032. وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (رقم 6706) ج5/ص296.

5 - ما بين المعقوفين ساقط من (أ). ثابت في بقية النسخ.

6 - أنكره الحافظ العجلوني رحمه الله إذ قال تعليقا عليه بعد أن أورده: "لينظر هل هو حديث؟، وما رتبته؟". كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: ج1/ص272.

## \_ فائدة:

حقيقة فضله تعالى إعطاء العطية بغير عوض، وحقيقة الطاعة امتثال أمر الله. فالواجب على المؤمن المبادرة لطاعة مولاه بالأعمال الصالحة القلبية والبدنية، ويستفرغ فيها مجهوده بالكلية، ويشعر نفسه أن ما يجده من حلاوة الإيمان والطاعة إنما هو من مولاه الذي تفضل به عليه؛ قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضُلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾<sup>(1)</sup>. وكذلك يعتقد ما يخص الله به بعض عبادته في زيادة إيمانهم، وتقوية يقينهم لا أثر فيه لطول العمر ولا لقصره؛ وإنما ذلك من كرمه وفضله تعالى، يخص من يشاء من عبادته بمنه فيدرك في أقل زمان من عطاياه ومواهبه إما ببركة في العمر أونحو ذلك مما لا يدخل تحت حصر، وبالله تعالى التوفيق».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «والبركة في العمر أن يرزق الله العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام أوقاته وانتهاز فرصه؛ وكل ذلك في زمن يسير، وعمر قصير، فيرتفع له في شهر مثلاً ما لا يرتفع لغيره في ألف شهر».

قال سيدي أبو العباس المرسي: «أوقاته كلها \_والحمد لله\_ ليلة القدر، وهذا هو البركة في العمر»؛ قال تلميذه ابن عطاء الله عن بعضهم أنه قال: «قدم علينا أبو العباس، وقال [لي]<sup>2</sup>: اليوم خمس وعشرون سنة، ما حجت فيها عن الله طرفة عين، ثم [غاب]<sup>3</sup> خمسة عشر عاماً، ثم قدم علينا فقال لي: / [80ظ] الآن أربعون سنة ما حجت عن الله طرفة عين». [وقال: «لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين<sup>4</sup> ما أعددت نفسي في

<sup>1</sup> \_ سورة الحجرات، من الآيتين: 7، 8 ، وتامهما: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضُلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8)﴾.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

المسلمين». وقال شيخه سيدي أبو الحسن الشاذلي: «هذا أبو العباس منذ نفذ إلى الله لم يحجب، ولو طلب الحجاب لم يجده». وقال أبو العباس: «لو حجبت عني جنة الفردوس طرفة عين ما أعددت نفسي في المسلمين». وقال: «أطلعني الله على الملائكة ساجدة لآدم ﷺ، فأخذت بقسط من ذلك».

وسئل أبو العباس عن الكمياء، فقال: «ما أصنع بالكمياء؟، والله لقد صحبت أقواما يَعْبُرُ أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير إليها فتثمر رمانا للوقت. فمن صحب هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكمياء؟!».

وذكر أن سيدنا أبا العباس استلقى يوماً على ظهره، وأمسك بلحيته وقال: «لو علمت علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعيرات لأتوها ولو سعيا على وجوههم». انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** وقريب من هذا ما حكى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ أنه قال: «والله ثم والله، من عرفني حتى يندم، ومن لم يعرفني حتى يندم»، ومعناه \_ورك أعلم\_: من عرفه لم يستكمل حقيقة المعرفة؛ لأن الله تبارك وتعالى ألبسه الجلال والبهاء، فهو خليفة في أرض الله، ونائب عن رسول الله ﷺ في<sup>1</sup> دعاء عباد الله؛ لطاعة مولاهم وإرشاده ونصحه لهم، وإنه من الهادين لعباد الله والداعين إليه، يرتفق بالجاهل ويسهل عليه الأمر حتى يتوب ويدخل في الطاعة بقلب سليم. قال سيدي موسى المذكور: «لا جرم أن صحبة السادات الأخيار فيها منافع وأنوار. قال سيدي أبو العباس المرسي: "والله ما سار الأولياء والأبدال من قاف إلى قاف حتى يلقوا واحدا مثلنا، فإذا لقوه كان بغيتهم".

وسأل بعض التلامذة سهل بن عبد الله \_نفع الله به\_: "كيف يعرف أولياء الله؟"، فقال: "إن الله لا يعرفهم إلا لأشكالهم، أو من أراد أن ينفعه بهم، ولو حتى يعرفهم<sup>2</sup> الناس

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "لدعاء عباد الله".

<sup>2</sup> - في (ب) و(د) جاء: "ولو حتى ينفعهم الناس".

لكانوا حجة عليهم، ومن خالفهم بعد علمهم كفر، ومن قعد عنهم خرج". فهذا معنى قول سيدي أحمد بن يوسف: "من عرفني حتى يندم"، إذ لو حتى عرفه لم يقدر على القيام بحقوق الشيخ؛ إذ أوصافه من أوصاف ربه، ونعوته من نعوته، فإذا فرط في ذلك وترك القيام بتلك الحقوق، خفت عليه أن يقع بسبب ذلك في محذورات: [كامل]

يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَا أَحْبَابَهُ      أَنْتُمْ لِاسْقَامِ الذُّنُوبِ شِفَاءُ  
وَيَكُمُ دِفَاعُ اللَّهِ عَنَّا كُلُّنَا      فَلِذَلِكَ أَنْتُمْ سَادَاتُ بُدَلَاءِ

لا يعرف الحق إلا طلابه ولا يضرب بالسيف إلا أربابه<sup>1</sup>. فكذا السادات الفضلاء لا يعرف مثوهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم. ثم قال سيدي موسى المذكور: «وتخرج بصحبة الرجال وخدمتهم خلق كثير ونفعهم الله بذلك فارتفعوا به لأعلي الدرجات.

ولقد كان الشيخ أبو العباس المرسي شديد التعظيم لشيخه أبي الحسن الشاذلي حتى إنك تشهد منه أنه لا ثبات منه لنفسه معه وهم في (المبرة أكد)<sup>2</sup> من الأباء.

وقيل للإسكندر: «ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك؟» قال: «لأن

أبي سبب حياتي الفانية، ومعلمي سبب حياتي الباقية»، وأنشدوا: [بسيط]

وَلِلْمُعَلِّمِ فَضْلٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ      حَنَادِسُ ثُمَّ لَا يَحْوِيهِ فَضْلُ أَبِي  
هَذَا يُدَبِّرُ فِي الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُ      وَذَا يُبَلِّغُهُ لِأَرْزَاقِ الرَّتَبِ

[81و] ثم قال سيدي موسى المذكور: «فمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة

الطيبة، هذا في الحضور والمجالسة، فما ظنك بالصحبة والمؤانسة؟! لا جرم أن صحبة السادات الأخيار فيها منافع وأنوار. وقال سيدي أبو العباس المرسي: "والله ما بيني وبين الرجل إلا أنني أنظر إليه نظرة وقد أغنيته". انتهى من سيدي موسى المذكور.

<sup>1</sup> - لم أهدأ إلى قائل الأبيات رغم الجهد الذي صرفته في ذلك.

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ عبارة غير واضحة. ولعله يقصد "أوكد" أو "أكبر".

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "ولا يحويه".

قلتُ: وقريب منه ما ذُكِرَ لي عن الشيخ العارف بالله سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_، أنه قال: «أنا ألمح بعض أصحابي لمحة فيبلغ بها مقام الأولياء»، أو كلام هذا معناه. ثم قال سيدي موسى المذكور: «وانتهى [أبو العباس المرسي]<sup>1</sup> لمقام عظيم جدا بحيث لا يدانيه في وقته أحد؛ وذلك أنه قال: "ليس الشأن من تطوى [له الأرض فإذا بمكة وغيرها من البلدان]<sup>2</sup>، وإنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند ربه". وكان يقول: "والله ما جلست حتى جعلت الطيران في الهواء والمشي على الماء، وتخطي الأرض تحت سجاتي، وكان يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحن فيه".

وكان كتابه الإرشاد في الأصول، والمصابيح في الحديث، والتهديب والرسالة في الفقه، وابن عطية في التفسير. وكان يقرأ بعض المغربين<sup>3</sup> في العربية فيرد عليه اللحن، وأما علم المعارف والأسرار فقطب رجاها وشمس ضحاها، إذا سمعت كلامه قلت هذا كلام من ليس وطنه إلا غيب الله. قال شيخه الشاذلي أبو العباس: "[يطرق السماء أعلم منه بطرق الأرض]<sup>4</sup>، كنت لا تسمعه يتحدث إلا في الفعل الأكبر والاسم الأعظم والأسماء والحروف ودوائر الأولياء ومقامات المؤمنين والأملك المقربين عند العرش وعلوم الأسرار وإمداد الأذكار، وشأن التدبير وعلم البدء، وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده من حلمه وإنعامه ووجود انتقامه، وغير ذلك مما تضعف عنه عقول كثير من الأكابر". وكان يقول: «أتباع أهل الحق قليلون». وكان يقول: «والله ما دخل بطني حرام قط». وكان مكرماً للفقهاء ولأهل العلم وطلبته إذا جاءوه. وكان يقول لأصحابه: «إذا جاء رئيس أو ذو وجهة عرفوني به». وكان أزهد الناس في ولاية الأمور، فإذا جاءوه أكرمهم، وربما مشى لهم خطوات، وكانت صلواته موجزة في تمام. ويقول: «صلاة الأبدال خفيفة».

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>3</sup> - كذا في (ا) و(ك)، وفي (ب) و(د) "المغربين"، وهي غير واضحة المعنى في جميعها.

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ورد في (د) كالأتي: (يطوف في السماء أكثر من طوافه في الأرض).

ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال أبو العباس في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾<sup>(1)</sup>، ولم يقل: "بنييه ولا برسوله"؛ وهو نبيه ورسوله ﷺ. وإنما كان كذلك؛ لأنه أراد أن يفتح باب السريات للأتباع. فأعلمنا أن الأسرار من بساط العبودية، فكان له كما الإسراء أسري بروحه وجسمه وظاهره وباطنه. والأولياء لهم قسط من العبودية فلهم قسط من الإسراء يسري بأرواحهم لا بأشباحهم». انتهى من سيدي موسى المذكور.

قلت: وقول سيدي أبي العباس \_نفعنا الله به\_: «أن الأولياء يُسرى بأرواحهم لا بأشباحهم» يعضده ما قاله سيدي الرصاع، ولفظه: «وإن الصعود إلى السماء بالجسد ممّا اختص به نبينا محمد ﷺ بالإجماع القطعي والدليل الواضح الجلي»، ثم قال: «ومن كان مظهرًا للولاية قائلًا بأن الله تعالى أكرمه بأن وصل إلى السماء وعابن الحور العين، فهو كاذب مضل يجب قتله<sup>(2)</sup>». ثم قال: «وحاشا أولياء الله تعالى العارفين بالله التابعين لسنة رسول الله ﷺ أن يصدر منهم أو يقولوا/ [81ظ] ما يخالف العلم والسنة رضي الله عنهم ونفعنا بهم، فإنهم محفوظون \_ولله المنة\_. انتهى، وفيه تقديم وتأخير.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وسئل أبو يزيد البسطامي عن معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾<sup>(3)</sup> فقال: معناه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أن يكشف لكم عن نور الحجاب الأعلى، ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فيكشف لكم حجاب النور الأدنى. وذلك كله لا يتم إلا بدوام السُّهَاد، وتقطيع الفؤاد، وتفتيت الأكباد».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «انظروا للحلاوة التي على هذا التفسير، والنور الذي عليه وكذلك تفسير هذه الطائفة لكلام الله ولحديث رسول الله ﷺ بالمعاني الغريبة لا يدفعها إلا القلوب المظلمة. وأما نَيْرُ البَصِيرَةِ فيرى عليه أنوار الحق لائحة، وكيف لا وهو لباب

<sup>1</sup> - سورة الإسراء، من الآية: 1، وتمامها: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

<sup>2</sup> - ورد على الهامش: "قف على من قال من الأولياء عرج بجسمه إلى السماء فهو كاذب".

<sup>3</sup> - سورة آل عمران، من الآية: 31، وتمامها: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الشريعة». ثم قال سيدي موسى المذكور: «وحكي عن أبي يزيد حين اطلع على أنواع العجائب وواجه بسنى الرغائب، وكشف له عن الملكوت الأعلى، فقيل له: "هل استحسنت شيئاً منها؟"، فقال: "لم أر شيئاً استحسنته"، قيل له: "أنت عبد الله حقاً"».

وَحَدَّثَ<sup>1</sup> يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع [الفجر]<sup>(2)</sup> مستوفزاً على صدور قدميه، رافعا أخصهما مع عقبه عن الأرض، ضاربا بذقنه على صدره، شاخصاً بعينه لا بطرفه. قال: "ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد"، فقال: "اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا بذلك، وأنا أعوذ بك من ذلك. وإن قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فانقلبتم لهم الأعيان فرضوا بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك. وإن قوما طلبوك فأعطيتهم رؤية عبدك الخضر فرضوا بذلك فأنا أعوذ بك من ذلك"، حتى عدَّ نيفاً وعشرين مقاما من مقامات الأولياء، ثم التفت فرآني، فقال يحيى: قلت: "يا سيدي"، فقال: "مذ ما<sup>3</sup> أنت ها هنا؟"، قلت: "منذ حين"، فسكت، فقلت: "يا سيدي أبا يزيد حدثني بشيء"، قال: "أحدثك بشيء يصلح لك"، وأدخلني في الفلك الأسفل، فدورني في الملكوت السفلى؛ فأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطاف بي السموات وأراني ما فيها إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال: "سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك. فقلت: "يا سيدي ما رأيت شيئاً أستحسنته فأسألك إياه، فقال أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا لأفعلن بك ولأفعلن فذكر أشياء". قال ابن معاذ: «فهانني ذلك فامتلت به وعجبت منه، وقلت: يا سيدي، لم لم تسأله المعرفة به إذ قال لك مالك الملوك: "سلني ما شئت"، قال فصاح بي صيحة، وقال: "اسكت وبلك، غرت عليه لا أحب أن يعرفه سواه"».

وأنشدوا [في المعنى]<sup>4</sup>: [طويل]

<sup>1</sup> - كذا في (ب) و(د) أما في (ا) و(ك) وردت: "حديث". وهذا لا يستقيم مع المعنى.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقطة من (ا) واردة في بقية النسخ.

<sup>3</sup> - كذا في جميع النسخ. والصواب ربما "منذ متى" حتى يستقيم المعنى

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين إضافة في (ب) و(د).



سَقَانِي شَرَابَ الْأُنْسِ مِنْ كَأْسِ حُبِّهِ      فَأَصْبَحَ قَلْبِي نَاطِقًا بِاسْمِ رَبِّهِ  
 وَشَاهَدَهُ سِرِّي بَعَيْنِ حَقِيقَتِي      فَهَذَا أَنَا مِمَّنْ قَدْ رَأَهُ بِقَلْبِهِ  
 [وَأَمَّا<sup>1</sup> رَأَهُ الْقَلْبُ غَابَ وَلَمْ يَرَ      سِوَى ذَرَّةٍ مِنْ نُورِ أَنْوَارِ قُرْبِهِ

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وقال أبو يزيد: «أحبت الله في ابتداء إرادتي حتى بغضت الدنيا وبغضت نفسي وبغضت الطاعة. وهجرت ما سوى الله حتى وصلت إلى الله. واستغنيت بخدمة الخالق سبحانه عن خدمة كل مخلوق». وقال: «أنا لا أرضى منك إلا بك». وقال أبو يزيد: «عرفت الله بالله، وما دون الله بنور الله». وقال: «اطلع الله على قلوب أوليائه فمنهم من لم يصلح للمعرفة حرفاً فشغله بالعبادة». وقال: «أولياء الله محذرون معه في حجاب الأنس لا يراهم/ [82و] أحد في الدنيا ولا في الآخرة إلا من كان محترماً لهم، وأما غيرهم فلا». وقال: «أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس إلا من كان محترماً لهم». ثم قال سيدي موسى المذكور: «فهم في الناس أعز من الكبريت الأحمر، وأخفى من السها<sup>(2)</sup> في الليل<sup>3</sup> الأقمَر، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(4)</sup>. وأنشد: [بسيط]<sup>5</sup>

لِلَّهِ فِي الْخَلْقِ أَنْوَارٌ وَأَسْرَارٌ<sup>6</sup>      وَيَصْنُفِي اللَّهُ مَنْ يَرْضَى وَيَخْتَارُ  
 لَا تَحْقِرَنَّ فَقِيرًا إِنْ مَرَرْتَ بِهِ      فَقَدْ يَكُونُ لَهُ حَظٌّ وَمِقْدَارُ  
 وَالْمَرْءُ بِالنَّفْسِ لَا بِاللَّبْسِ تَعْرِفُهُ      قَدْ يَخْلُقُ الْغَمْدُ وَالْهِنْدِيُّ بَتَّارُ  
 وَالنَّبْرُ فِي التُّرْبِ قَدْ تَخْفَى<sup>7</sup> مَكَانَتُهُ      حَتَّى يُخَالِصَهُ بِالسَّبْكِ مِسْبَارُ<sup>1</sup>

1 - في (ب) و(د): "فلما".

2 - كذا في (أ) : والمراد "الشعاع".

3- ما بين المعقوفين إضافة في (ب) و(د).

4 - سورة الزمر، من الآية: 18، وتمامها: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾.

5 - جعل الباحث عبد القادر بوباية، محقق كتاب أبي عمران موسى بن عيسى المازوني: "مناقب صلحاء الشلف" الأبيات من بحر الطويل، والصواب ما أتينا. ينظر هذا المرجع . ص63.

6 - في التشوف "لابن الزيات" وردت بهذا الترتيب: أسرارٌ وأنوارٌ. ينظر: التشوف. ص117. ولم يذكر المؤلف قائلها.

7 - ورد هذا الشطر عند موسى بن عيسى المازوني: "والتُّرْبُ فِي التُّرْبِ مَحْبُوبٌ مَكَانَتُهُ". وقد ذكر ثلاثة أبيات فقط مع عدم ذكر قائلها. ينظر: موسى بن عيسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف . ص63.

وَرُبَّ أَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ مُجْتَهِدٍ لَهُ عَلَى اللَّهِ فِي الْإِفْسَامِ إِبْرَارٌ  
وقد جاء: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ  
لَأَبْرَهُ. وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتَقِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ  
يُعْرَفُوا. فُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى. لَا يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلَمَةٍ<sup>(2)</sup>». وقال \_ عليه الصلاة  
والسلام \_ لأبي هريرة في الحديث [الذي نوّه<sup>3</sup> به باسم أويس القرني وأشاد بذكره وَنَبَّهَ على  
عظيم أمره: «يا أبا هريرة، إن لأهل الجنة ملوكا وسادات، وإن هذا الأسود \_ يعني: أويسا  
القرني \_ أصبح من ملوك الجنة وساداتها. يا أبا هريرة، إن الله يحب من خلقه الأصفياء  
الأخفياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم من كسب الحلال. الذين  
إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفقدوا،  
وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلوعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم  
يشهدوا». قالوا يا رسول الله: كيف لنا برجل؟ فقال: «ذلك أويس القرني، أشهل ذو صهوة  
معتدل القامة، آدم، شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى موضع السجود،  
واضعا يمينه على شماله، يتلو القرآن، يبكي على نفسه، ذو طمرين، لا يؤبه له، متزر بإزار  
صوف ورداء صوف. مجهول في أهل الأرض، معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله  
لأبر قسمه». وأنشدوا: [كامل]

أَهْلُ التَّذَكُّرِ عُصْبَةٌ أَخْيَارٌ قَدْ شَمَّرُوا فَلَبَّاسُهُمْ أَطْمَارٌ

<sup>1</sup> - في الأصل "صبار". و في (ب): مصبار. وفي (د): معيار. وفي "النشوف": مِسْبَارٌ. وهو الأصح. لموافقته المعنى ينظر :  
"النشوف"، ص 117. وجاء في لسان العرب: سير الشيء سيرا حزره وخبره، والسير : استخراج كنه الأمر. ينظر: لسان العرب. ج 7.  
ص 108. والأبيات لم نجد لها تحريجا.

<sup>2</sup> - أخرجه الحاكم النيسابوري الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله في المستدرک على الصحيحين عن أبي هريرة (رقم 7932) / ج 4.  
ط 2. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان 1422 هـ / 2002 م. ص 364. وقد ذكره أبو نعيم الأصفهاني في حليته بصيغة أخرى  
مختصرة وهي: عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " أحب العباد إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم  
يفقدوا، وإذا شهدوا، لم يعرفوا، أولئك أئمة الهدى، ومصابيح العلم". ينظر : أبو نعيم الأصفهاني: "حلية الأولياء". (ج 1/15).

<sup>3</sup> - بياض في الأصل في (ب) و(د).

وَحَلَّى عَلَامَ الْغُيُوبِ ضَمِيرَهُمْ<sup>1</sup> فَتَوَقَّدَتْ بِقُلُوبٍ<sup>2</sup> أَنْوَارٌ  
فَهُمُ التَّقَاتُ الْمُخْلِصُونَ لِرَبِّهِمْ وَهُمْ الْهُدَاةُ السَّادَةُ<sup>(3)</sup> الْأَبْرَارُ  
وَهُمُ الَّذِينَ تَوَاضَعُوا لِمَلِكِهِمْ خَوْفًا لِنَلَّا يَعْضَبَ الْجَبَّارُ

ثم قال سيدي موسى المذكور: «أين وصفك من هذه الأوصاف، فهيئات لا تقاس شجرة الزيتون بشجرة الصفصاف. فيا عجا من أحياء تموت برويتهم القلوب، وأموات تحيا بذكرهم القلوب، وأنشدوا: [كامل]

يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَا أَحْبَابَهُ أَنْتُمْ لِأَسْقَامِ الدُّنُوبِ شِفَاءُ  
وَبِكُمْ دِفَاعُ اللَّهِ عَنَّا كُنَّا فَلِذَلِكَ أَنْتُمْ سَادَاتُ بُدَلَاءِ»

ثم قال سيدي موسى المذكور: «ومن أراد أن يتشرف على أحوال السادات الفضلاء كسيدي أبي يزيد وسهل بن عبد الله وأبي القاسم الجنيد وبشر الحافي وسيدي إبراهيم ابن أدهم وسيدي أبي الحسن الشاذلي وتلميذه أبي العباس المرسي والشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني فليلتمسها في كتاب المحاسبي والغزالي ونظرائهم من أكابر الأئمة الواضعين لأحوالهم/ [82ظ] ومقدارهم، وما وصلوا إليه من سنى المقامات وأنشدوا: [بسيط]

[هُمُ الرَّجَالُ وَعُيُنٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِمَعَانِي وَصَفِيهِمْ رَجُلٌ<sup>4</sup>]<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ورد هذا الشطر في كتاب "أبي عمران موسى بن عيسى المازوني": "مناقب صلحاء الشلف" كما يلي: وَصَفًا لِعَلَامِ الْغُيُوبِ ضَمِيرَهُمْ. ينظر المرجع نفسه. ص 76.

<sup>2</sup> - في كتاب "أبي عمران موسى بن عيسى المازوني: وردت "بقلوبهم"

<sup>3</sup> - وردت "السَّادَاتُ" في جميع النسخ، والصواب: ما أثبتنا؛ ليستقيم بها الوزن. وبهذا الشكل وردت أيضا في كتاب "أبي عمران موسى بن عيسى المازوني. وقد ذكر عشرة أبيات في المجموع، ولم يذكر قائلها. ينظر: المرجع نفسه. ص 76.

<sup>4</sup> - هذا البيت ساقط من (د).

<sup>5</sup> - البيت ذكره الشيخ أحمد زروق البرنسي (ت 899هـ) في شرحه "الحكم العطائية" للشيخ ابن عطاء الله السكندري. تح ودراسة رمضان محمد بن علي البديري. دون أن ينسبه لأحد. والكتاب من نشر دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان 2019م. ص 53. والبيت منسوب لأبي محمد المجاصي: وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن إبراهيم بن الناصر المجاصي، الملقب بـ «البيكأ» لكثرة بكائه ورعا وتقوى، وصفه المقري: «بعالم الصلحاء، وصالح العلماء، وجليس النزيل وحليف البكاء والعيول». وكان من أهل الحديث والدين، رحل إلى المشرق في طلب العلم، وتولَّى التدريس والوعظ بتلمسان، ومن أشهر تلامذته: الشريف أبو عبد الله التلمساني، والمقري الكبير، وابن مرزوق الجد، توفي بتلمسان سنة (741هـ). ولما تصفحت كتاب "بغية الرواد" وقفت على خطأ تتسبب البيت للشاعر المجاصي بل أشار صاحب الكتاب إلى أن شخصا مقربا للشاعر المذكور كان يزوره من حين لآخر ذاكرا له أن المجاصي كثيرا ما ينشد قول =

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا شَيْئاً مِمَّا أُعْطِيتَهُمْ، وَلَا تَحْرِمْنَا يَا رَبِّ بِفَضْلِكَ مِنْ شَفَاعَتِهِمْ، وَلَا تُخْرِجْنَا مِنْ كَنْفٍ وَلَا يَتِيهِمْ، وَلَا تَطْرُدْنَا عَنْ بَابِهِمُ الْكَرِيمِ، وَلَا عَنْ مَنْهَجِهِمُ الْقَوِيمِ، وَأُنشِدُوا: [مجزوء الرجز]

لِي سَادَاتٍ<sup>1</sup> مِنْ عَزِّهِمْ أَفْدَامُهُمْ فَوْقَ الْجِبَاهِ<sup>2</sup>  
إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ فَلِي بِذِكْرِهِمْ عِزٌّ وَجَاهٌ

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وجاء أن أهل الجنة بينما هم في نعيمهم إذا سطع لهم نور من فوقهم أضاءت منه منازلهم، كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فنظروا إلى رجال من فوقهم أهل عليين، يرونهم كما يرون<sup>3</sup> الكوكب الذي في آفاق السماء، عليهم الأنوار والجمال والنعيم، فُضِّلُوا عليهم كما فُضِّلَ القمرُ على سائر النجوم، وينظرون إليهم، يطيرون على نُجُبٍ<sup>4</sup> تسرح بهم في الهواء<sup>(5)</sup>، يزورون ذا الجلال والإكرام، فينادون: "هؤلاء يا إخواننا ما أنصفتُمونا كنا نصلي كما تصلون، ونصوم كما تصومون، فما هذا الذي فضلتكم به علينا!". فإذا النداء من قبل الله تعالى: «إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويعطشون حين تروون،

=بعضهم ويقصد هذا البيت: (هم الرجال وغبن أن يقال... إلى آخر البيت). ينظر ترجمته في: - «بغية الرواد» ليحيى بن خلدون (ص34-35)، «وفيات أحمد بن يحيى الونشريسي». تح: محمد بن يوسف القاضي. نشر شركة نوابغ الفكر. ص36. موقع الكتروني <http://albordj.blogspot.com>.

- «كفاية المحتاج» للتبكتي، ج1. ص239، «البستان» لابن مريم. ص121، - «لقط الفرائد» لابن القاضي: ص193، - «نفح الطيب». ج7، ص229.

<sup>1</sup> - كذا في كل النسخ. وفي مرآة المحاسن، وكذا في الروض العطر الأنفاس. وشجرة النور الزكية: بالتاء المربوطة "لي سادة". ولم يذكر مؤلفوا هذه الكتب قائل البيتين، بل اكتفى صاحب المرآة، وصاحب الروض بالإشارة إلى أن أبا العباس المرسي كثيرا ما ينشد البيتين دون أن ينسبهما إليه صراحة. أما مؤلف "شجرة النور الزكية" فقد اكتفى بقوله: ورحم الله القائل. ثم ذكر البيتين. ينظر: - مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن: لأبي حامد محمد العربي الفاسي. ص408. - الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس: لابن عيشون الشراط. ص48. - محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية. ج1. ص630. كما ذكر ابن عطاء الله السكندري في "لطائف المنن"، ص120 بيتين قائلًا بأن الشيخ أبا العباس المرسي كان ينشدهما.

<sup>2</sup> - وجدت القصيدة مذكورة في كتاب المستطرف في كل فن مستطرف للإمام الأبيشي في الجزء الأول، الباب الثاني والأربعين ص491. وهناك من ينسبها للإمام الشافعي.

<sup>3</sup> - في (ب): "كما يُرى"

<sup>4</sup> - النُّجُبُ والنَّجَائِبُ: الإبل والبعير إذا كانا كريمين عتيقين. ينظر: لسان العرب لابن منظور. ج14/ص190.

<sup>5</sup> - في (أ): الهوى.

ويعرون حين تكسون، ويذكرون حين تسكتون، ويبكون حين تضحكون، ويقومون<sup>(1)</sup> حين تتامون، ويخافون حين تأمنون؛ فلذلك فضلوا عليكم اليوم بذلك، قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>. «. فعمرُ العبد ميدان لأعماله الصالحة المقربة له من الله تعالى والموجبة له جزيل الثواب في الآخرة، فكل جزء يفوته من العمر خالياً من عمل صالح يفوته من السعادة بقدره الله دواء المشتغلة بتحصيل الزاد ليوم المعاد، ولم يشغلهم عما هم بسبيله مال [ولا أهل]<sup>3</sup> ولا أولاد، وأنشدوا: [رمل]

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنًا      طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا<sup>4</sup>  
وَكُرُّوا<sup>5</sup> فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا      أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطِنًا  
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا      صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفُنًا

يا فقير من زرع حصد، ومن جد وجد، والراحة لا تتال إلا بالتعب، فإذا أصبحت فخذ معول الكد واحفر، وأنشدوا: [طويل]

فَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ الْمَعَالِي رَخِيصَةٌ      وَلَا أَنَّ إِدْرَاكَ الْمُنَى هَيِّنٌ سَهْلٌ<sup>7</sup>

1 \_ في (أ): يقامون.

2 \_ سورة السجدة، من الآية: 17، وتامها: ﴿فَلَا تَعْلَمْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

3 - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و(د).

4 - الأبيات لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي (150 هـ / 766 م - 204 هـ / 820 م)، أحد أبرز أئمة أهل السنة والجماعة عبر التاريخ، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي. كما يُعدّ مؤسس علم أصول الفقه، وأول من وضع كتاباً لإصول الفقه سماه "الرسالة". وهو مجدد الإسلام في القرن الثاني الهجري

5 - كذا في (ا) و(ك)، وفي (ب) و(د): "فكروا". وفي الديوان: "نظروا". ينظر: ديوان "الإمام الشافعي: المسمى الجوهر النفيس في الإمام محمد بن إدريس. إعداد وتعميق وتوثيق محمد إبراهيم سليم. مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر. د. ت. ص 145.

6 - وردت في الديوان "العلی".

7 - البيت من قصيدة للشاعر العباسي "ابن أبي حصينة" التي مطلعها:

أَبَى قَلْبُهُ مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ أَنْ يَخْلُو      فَلَا تَعْدِلُوا مَنْ لَيْسَ يَرْدَعُهُ الْعَدْلُ  
وَلَا تَطْلُبُوا مِنِّي مَدَى الدَّهْرِ سَلْوَةً      فَمَا يَرْعَوِي عَنْكُمْ فُؤَادِي وَلَا يَسْأَلُو  
إِلَى أَنْ يَقُولَ:      فَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ الْمَعَالِي رَخِيصَةٌ  
فَمَا كُلُّ مَنْ يَسْعَى إِلَى الْمَجْدِ مُدْرِكاً      وَلَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى الْعُلَى نَفْسُهُ تَعْلُو  
وَفَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ آلِ صَالِحٍ قَتَى      مَالَهُ عَنِ شُغْلِهِ بِالْعُلَى شُغْلٌ =

إذا أفيضت الخلع على المحب ورأى الخلائق عراة فرح بها فرحا مسرورا من أجلها. فينبغي لمن أقامه الله عزَّ وجلَّ مرتبة سيئة ألا يتهاون بشيء من الأداب، ولا يستحقرها؛ فإن ذلك من مخامرة الجهل وعدم المعرفة بالله. ومن وقعت منه إساءة أدب فليكن منها خائفا وجلا مستعظما لما همَّ به أو لفظَ به، ويبادر التَّصُلَّ مِنْهُ، ويكثر من الاستغفار لئلا يعاقب من حيث لا يشعر، فقد عوقب كثير من الأولياء الأكابر بأمر عظيمة بسوء أدب رأوا أنه لا طائل تحته.

فمن ذلك ما ذكره الجنيد أنه قال كنت جالسا بمسجد الشونيزية انتظر جنازة أصلي عليها، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرونها، فرأيت فقيرا عليه أثر النسك، فقلت في نفسي: "لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به". فلما انصرفت لمنزلي، وكان لي شيء من الورد بالليل مثل البكاء والصلاة وغيرها، فنقلت علي جميع أورادي فسهرت وأنا قاعد/ [83و] فغلبتني عيناى فرأيت ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود، قالوا لي كل لحمه؛ فإنك اغتبتة. وكشف لي عن الحال، فقلت: "ما اغتبتة إنما قلت شيئا في نفسي"، فقيل لي: "ما أنت ممن يرضى منك بمثله، اذهب واستحله". فأصبحت، ولم أزل أتردد حتى رأيتة في موضع يلتقط من الماء أوراقا من البقل، ومما تساقط من غسل البقل، فسلمت عليه فقال لي: "تعود يا أبا القاسم؟"، فقلت: "لا"، فقال: "غفر الله لنا ولك". وقال الجنيد أيضا: «مرضت مرة فقلت: "إلهي عافني"، فسمعت هاتفا يقول: "ما لك والدخول بيني وبين ملكي؟!«.

وقال بعضهم: «أذنبت ذنبا فأنا أبكي عليه منذ سنة، وكان قد اجتهد في

العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب، قيل له: "وما هو؟" قلت مرة لشيخي: "ليته كان".

= الشاعر هو أبو الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار أبو الفتح بن أبي حصينة السلمى ولد في معرة النعمان بالشام(388-457/988-1065م). ينظر: ابن أبي حصينة: الديوان. سمعه وشرحه أبو العلاء المعري.تح محمد أسعد طلس، ط2/ دار صادر، بيروت، 1419هـ/1999م.ص 176.

وذكر ابن أخي سيدي الرفاعي، قال: "جلست يوماً على باب الخلوة، وليس فيها غيره، ثم سمعت عنده حساً، فنظرت فإذا برجل ما رأيته قط، فتحدثنا طويلاً، ثم خرج من كوة وممر في الهواء كالبرق الخاطف، فقلت لخالي: "من هذا؟"، فقال: "هذا هو الذي يحفظ الله به قطر البحر المحيط، وهو أحد الأربعة الخواص، إلا أنه هُجر منذ ثلاث وهو لا يعلم"، فقلت: "وما سبب هجره؟"، فقال: "وقف بجزيرة في البحر، فوقع مطر، فسالت أوديتها، فخطر في نفسه: أن لو كان هذا في العمران، ثم استغفر الله، فَهَجِرَ لاعتراضه"، فقلت له: "أعرفته؟"، قال: "استحييت"، فقلت له: "أيأذن لي أن أعلمه؟"، فقال لي: "ارتق"، فرقيت، فسمعت صوته: "يا علي ارفع رأسك"، فرفعته، فإذا أنا بجزيرة من جزائر البحر المحيط، فتحيرت في أمري، فقمتم أمشي فيها، فإذا أنا به، فسلمت عليه وأخبرته، وقال: "ناشدتك الله إلا فعلت ما أقول لك"، ضع خرقتي في عنقي واسحبني على وجهي"، ونادي علي هذا جزاء من يعترض على الله، فوضعنها في عنقه، وهممت بسحبه، فإذا بهاتف يقول: "دعه، فقد ضجت ملائكة السماء باكية عليه وسائلة فيه، وقد رضي عنه مولاه، فأغمي علي ساعة، ثم زال عني فإذا أنا بين يدي خالي فما أدري كيف ذهبت ولا كيف رجعت".

**أقوال سهل بن عبد الله:** ثم قال سيدي موسى المذكور: «قال سهل بن عبد الله: جناية المحبِّ عند الله تعالى أشدُّ من معصية العامة. وقال سهل: «ذروا التدبير والاختيار؛ فإنهما يكدران على الناس عيشتهم، وأشدُّ شيء على النفس الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب». وقال له رجل: "أريد أن أصحبك". فقال: "إذا مات أحدنا فمن يصحب الباقي؟"، قال: "الله"، قال: "فليصحه الآن".

وقال سهل: «للعقل ألف اسم، ولكل اسم منه ألف اسم، وأول كل اسم ترك الدنيا». ثم قال سيدي موسى المذكور: «وحكي أن سهل بن عبد الله انقطع للعبادة قبل بلوغه، وحفظ القرآن وهو ابن خمس سنين، وقيل ابن سبع سنين».

وقال سهل بن عبد الله: «خلق الله الخلق، وقال: "تاجوني، فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجتكم بي"». وقال: "لا مُعِين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله ﷺ، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه". وكان لا يأكل الطعام إلا في خمسة عشر يوماً، وقيل: "كان يواصل ستين يوماً، ويفطر كل ليلة على الماء القراح". وكان يقول: "لا تقطعوا أمراً من الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء، تحمدوا العاقبة عند الله تعالى". قيل له: "مَنْ العَلَمَاءُ؟": قال: "الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا، ويؤثرون الله على أنفسهم".

وسئل عن ذات الله تعالى، فقال: [83ظ] "ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا. وهي موجودة بحقائق الإيمان، من غير إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهراً في ملكه بقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليها بآياته. فالقلوب تعرفه، والعقول تدركه. ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهائية".

وسأله رجل عن القوت<sup>1</sup>، فقال: "هو الحي الذي لا يموت"، فقال: "إنما سألتك عن القوام"، فقال: "هو العلم". قيل: "إنما سألتك عن الغذاء"، قال: "هو الذكر". قيل: "إنما سألتك عن طعم الجسد"، فقال: "مالك وللجسد؟!، دع من تولاه أولاً يتولاه آخرًا؛ إذا دَخَلَتْ عليه علة فرده إلى صانعه؛ أما رأيت الصنعة إذا عَيَّبَتْ ردها على صانعها حتى يصلحها؟!".

وقال سهل "الخير في أربع خصال، وبها صار الأبدال أبدالاً: إخماس البطون، والصمت، والخلوة، والسهر، وإذا جنك الليل فلا تأمل النهار حتى تسلخ ليلتك وتؤدي حق الله فيها، وتتصح فيها لنفسك، وإذا أصبحت فكذلك". وأحذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس: الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين. وما طلعت الشمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض إلا وهم جهال بالله، إلا من يؤثر الله على نفسه وروحه ودنياه

<sup>1</sup> - كذا في (ب) و(ك) و(د). أما في (أ): "القورة". وهو غير صحيح.



وأخرته. وقال: "حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون لغير الله. وأول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف أراد، لا تكون له حركة ولا تدبير". وقال: "من زهد في الدنيا أربعين صباحاً صادقاً من قلبه مخلصاً في ذلك يظهر له من الكرامات ما شاء".

**قلت:** ما ذكره سيدي سهل بن عبد الله \_ أعاد الله علينا وعلى ذريتنا من بركاته وأنواره، آمين يا رب العالمين \_ من قوله: «من زهد في الدنيا أربعين صباحاً إلى آخره: يشهد له الحديث الصحيح عنه \_ عليه الصلاة والسلام: «من أخلص لله العبادة أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه. وروى: تفجرت ينابيع الحكمة»<sup>1</sup>.

والأصل في التحديد بأربعين قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾<sup>(2)</sup>. روى أهل السير أن موسى \_ عليه الصلاة والسلام \_ وعد قومه \_ إذ كان بمصر \_ إذا هلك عدوهم ونجوا منه فإنه يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان الحلال والحرام، والحدود والأحكام. فلما حصل الهلاك بعدوهم سأل موسى الكتاب من ربه، فأمره الله بصوم ثلاثين يوماً في ذي القعدة. فلما انقضت أنكر خلوف فمه، فتسوك بعود من خرنبوب. فقالت له الملائكة: "كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك"، فأمره الله أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة ليعود الخلوف. وقال له: "أما علمت أن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك". وكان صوم موسى طياً من غير تخلل أكل، لا صوماً وفطراً بالليل.

وقيل: إن الميقات كان شهر ذي الحجة وعشرة من المحرم، والأول أشهر. فلما وقع التحديد لميقات موسى بالأربعين جعل أهل الطريق ذلك باباً لمدخل المتوجهين، ولم يعينوا

<sup>1</sup> - هذا الحديث ضعفه الألباني في سلسلته، ينظر: ناصر الدين الألباني: كتاب سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، رقم 38، ص 111، المكتبة الشاملة الحديثة موقع الكتروني <https://al-maktaba.org> > book

<sup>2</sup> - سورة الأعراف، الآية: 142، وتامها: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الأربعين لمقصد يخصونه به دون باقي أزمانهم. والحكمة في التقييد بالأربعين والتحديد لها بالتبيين سرّ خفي لا يطلع على سرّ حقيقته [84و] إلا الأنبياء \_ عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ \_، أو من اختصه الله بالعبادة<sup>(1)</sup> من الأولياء؛ وذلك أنه روى أهل [الحق]<sup>2</sup> السير أن الله سبحانه خمر طينة آدم<sup>(3)</sup> بيده أربعين صباحاً فلا يبعد أن الله تعالى لما اصطلحه<sup>4</sup> لعمارة الدارين العاجلة والآجلة كونه من تراب، وجعله تركيباً متناسباً، فعمر به عالم الحكمة والشهادة، وهي دار الدنيا، فلولا تركيبه من أجزائها الكثيفة لما تمكن من عمارتها، لأن وجود المناسبة يقضى بحكم المصاحبة، فلما ركبها من أجزائها \_ أعني الأرضية والسفلية \_ خمره تلك المدة ليبيعه عن عالم السماء بأربعين حجاباً، كل يوم بحجاب، في كل حجاب ابتداء معنى يتأهل به لصلاحية هذه الدار، وتعوق به عن النهوض إلى مواطن القرب من الرب، فأبعد بتلك الحجب عما كان فيه من التراب حتى يقوم بوظيفة الخلافة في الأرض وعمارة عالم الحكمة، فإذا لاح لبصيرته نور الهدى أو خلع على قلبه خلع الرضا تذكر معاهد الأولى عجز إليها. فأقبل بقلبه وتبئلاً إلى ربه وأعرض عن التوجه لتدبير معاشه، فدخل إلى الخلوة لقطع تلك الحجب المتصلة به فما ينقضي عنه يوم إلا وقد ارتفع حجاب، وتجدد له من الجناب الأعلى منزلة اقتراب، فبتمام الأربعين ترتفع الحجب، ويتمكن القرب من الجناب العلي، وتتفجر ينابيع الحكمة على ما علامه من الهمة.

وقد روي أن داود عليه السلام لما ابتلي بالخطيئة خر لله ساجداً أربعين يوماً وليلة، حتى أتاه الغفران من ربه. انتهى من أبي العباس القسطلاني \_ رحمه الله \_ . فهذا هو السرّ في الأربعين يوماً فافهمه.

<sup>1</sup> \_ كذا في (أ)، ولعل المراد: "بالعبادة".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>3</sup> \_ في (أ): مادام.

<sup>4</sup> - في (ب) و(د): استخلصه. وهو الأنسب لاستقامة المعنى.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وسهل بن عبد الله ممن ظهرت له الكرامات واشتهرت عنه الإجابات من نظراء الشيخ سيدي أبي يزيد وأشبابه<sup>(1)</sup>، وكان من ابتدائه لانتهاه محفوظاً على المخالفات، محروساً من الزلات، تكلم مرة في الذكر فقال: "إن الذاكِر لله على الحقيقة لو همَّ أن يحيي الموتى لفعَل، ومسح على رأس العليل فبرئ وقام بين يديه". وقال: "أنا منذ كذا سنة أخاطب الحق سبحانه والناس يتوهمون أنني أكلهمهم".

قال سهل: أول ما رأيت من العجائب والكرامات أنني خرجت يوماً لموضع خال فطاب لي المقام فيه، وكأني وجدت هزة في قلبي إلى الله، وحضر وقت الصلاة، وأردت الطهور، فإني اغتممت لفقد الماء فإذا بدب عظيم يمشي على رجليه ومعه جرة خضراء قد أمسك يديه عليها. فلما رأيت من بعيد توهمت أنه آدمي حتى دنا مني فسلم علي ووضعها بين يدي فجاءني اعتراض العلم، هذه الجرة والماء لا أدري من أين هو؟ فأنتطق الله الدب وقال: "يا هذا قوم من الوحش انقطعنا لله بقدر المحبة والتوكل، فبينما نحن نتكلم في مسألة، إذ نودينا: "ألا إن سهلاً يريد ماء لتجديد وضوءه"، فوضعت الجرة بين يدي وصاحبني ملكان حتى دنوت منك وصبا الماء فيها من الهواء، وأنا أسمع خريره". فغشي علي، فلما فقت فإذا بالجرة موضوعة ولا علم لي بالدب أين ذهب، وتوضأت فلما أردت الشرب منه، نوديت من الهواء: "لم يأذن لك شربه"، فبقيت الجرة تضطرب، وأنا أنظر إليها، فلا أدري أين ذهبت.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وظهر بالأمر المذكور يعقوب بن اللميت<sup>2</sup> علة أعيت الأطباء، فقالوا له: هنا في ولايتك رجل صالح يقال له سهل بن عبد/ [84ظ] الله لو دعا لك لعل الله يستجيب له. فاستحضره، وقال: ادع لي"، فقال: "كيف يستجاب دعائي فيك وفي محبسك<sup>3</sup> مظلومون؟!"، فأطلق يعقوب كل من في حبسه، فقال سهل: "اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة"، وفرج عنه فعوفي فعرض يعقوب ما لا على سهل فأبى من قبوله،

<sup>1</sup> \_ في (أ): "وأشبابه".

<sup>2</sup> - كذا في (ب) و(ك). وفي (د): "الهييت".

<sup>3</sup> - كذا في (ب) و(ك). وفي (د): "مجلسك".

ف قيل له: "لو قبلته ودفعته للفقراء"، فنظر للحصاة في الصحراء فإذا هي جواهر، فقال لأصحابه: "من يعط مثل هذا أحتاج لمال يعقوب؟!".

وكان بالبصرة رجل يقال له إسحاق بن أحمد وكان من أبناء الدنيا، فخرج عن جميع ماله، وتاب وصحب سهلاً، فقال يوماً لسهل: "يا أبا محمد إن نفسي هذه ليست تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام"، فقال له سهل: "خذ هذا الحجر واسأل ربك أن يصيره لك طعاماً تأكله"، فقال له: "ومن إمامي في ذلك حتى أفعل؟! فقال: "إمامك إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يُطْمَئِنُّ قَلْبِي﴾<sup>(1)</sup>، المعنى في ذلك: [أن] النفس لا تطمئن إلا بروية العين؛ لأن من جملتها الشك فقال: "رب أرنى كيف تطمئن نفسي؛ فإني مؤمن بذلك"، والنفس لا تطمئن إلا بروية العين، قال: "فكذلك الأولياء يظهر [الله] لهم الكرامات تأديباً لأنفسهم وتهذيباً لها وزيادة لها".

وكان رجل يصحب سهل بن عبد الله فقال له يوماً: "ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من بين يدي قضبان ذهب وقضبان فضة". فقال له: "أما علمت أن الصبيان إذا بكوا أعطوا خشاشة<sup>4</sup> ليشغلوا<sup>5</sup> بها".

وكان سهل بن عبد الله رضي الله عنهما إذا جاع<sup>(6)</sup> قوي، وإذا أكل شيئاً ضعف. وقيل له: "الرجل يأكل يوماً<sup>7</sup> أكلة؟"، قال: "أكل الصديقين"، قيل له: "فأكلتيني؟"، قال: "أكل

<sup>1</sup> \_ سورة البقرة، الآية: 260، وتامها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يُطْمَئِنُّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>4</sup> - في (ب) و(ك): "خشاشة"، وفي (د): "خشخشة".

<sup>5</sup> - في (ك): "ليشغلوا".

<sup>6</sup> - في (أ): جاء.

<sup>7</sup> - في (ك): "يوم"، والصواب ما أثبتنا.

المؤمنين"، قال: "ثلاثة؟"، قال: "قل لأهله بينوا له معلفاً". انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلتُ:** وما قاله سيدي سهل \_ نفعنا الله به وأفاض علينا وعلى ذريتنا من بركاته وأنواره، أمين\_ في الذي يأكل ثلاثاً \_ أعني ثلاث مرات\_ في اليوم يعني به بعض الأشخاص، وإلا فبعضهم كان لا يكفيه ثلاث مرات بحسب ما أجرى الله عادته في ذلك. وأيضاً قد قدمنا أن سيدي أبا العباس القسطلاني [قال]<sup>2</sup>: إن الذّاكر يأكل الأدهان والطعام في الخلوة، وأنّ الذّكر يُذِيبُ ذلك، فانظره فيما تقدم.

ويشهد له ما ذكره الشطنوفي \_ رحمه الله \_ ونصه: «جاء رجل من العجم اسمه أحمد إلى الشيخ علي بن وهب رضي الله عنه وكان الرجل صاحب قدم ومجاهدة، فقال الشيخ علي: "أريد أن أجلس أنا وأنت في بيت خمسين يوماً نأكل ونشرب ولا ننام ولا نتوضأ"، فقال الشيخ: "يا بني، إني كبر سني، ووهن عظمي، وضعفت قوتي"، فقال له الرجل: "لا بد من ذلك". فقال له الشيخ سيدي علي بن وهب: "على بركة الله، بسم الله"، وقاما ودخلا بيتاً، وقال الشيخ علي لأصحابه: "ايتوني بالطعام والشراب"، فجعل أصحابه يأتونه كل يوم بالطعام والشراب والبطيخ وغير ذلك، فيأكل الليل والنهار مراراً أكثر من عادته، وبقي خمسين يوماً أكل فيها وشرب مما لا يحصيه إلا الله، ومع ذلك لا يبول ولا يتغوط ولا ينام ولا يقوم من مجلسه ليلاً ولا نهاراً. فقَبَلَ الرجل الأعجمي رجل الشيخ سيدي علي بن وهب، وقال له: "أنت شيخي"، ولازم خدمته إلى أن مات». انتهى منه \_ رحمه الله \_.

### حكاية من الشطنوفي المذكور في المعنى:

[85و] ونصه: «قال أبو الحسن علي الخباز: كنت عند بعض أصحابنا ببستان له بالبصرة، فدخل علينا فقير أشعث أغبر وقال لصاحب البستان: "أشبعني"، فقدم إليه وزنة

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ، والصواب: "بينون".

<sup>2</sup> - مابين المعقوفين إضافة يقتضيها السياق .

فأكلها، وقال: "زدني"، فقدم إليه أخرى، فأكلها، وقال: "زدني"، فما زال صاحب البستان يقدم إليه وزنة بعد أخرى، وهو يأكل حتى أكل ألف رطل من التين. ثم أتى نهرا هنالك وجعل يعترف منه بكفيه، فشرب ماء كثيرا وانصرف. ثم بعد مدة قال لي صاحب البستان: "إن غلة تين بستانه تضاعفت أمثالا عن مقدارها كل سنة، ثم حججت في العام الثاني". فبينما أنا أمشي يوما وحدي أمام الركب، فخطر في نفسي شأن ذلك الرجل، وتمنيت رؤيته، فإذا به عن يميني، فدهشت منه، وسررت به، فكان يمشي وأنا معه، فإن جلس نزل الركب جميعا، وإن مشى سار الركب كله. فجاء إلى بركة كبيرة فيها ماء، وقد رسب فيها طين كثير، فجعل يقطع من الطين ويأكل منه كما يأكل أحدنا الحلوى، حتى أكل منه شيئا كثيرا، فألقمني قطعة من ذلك الطين، فإذا هو في فمي ألد من العسل، وله رائحة كالمسك الأدفر، ثم اعترف بكفيه من ذلك الماء وشرب ماء كثيرا، وقال لي: "يا علي هذه الأكلة من تلك الأكلة التي رأيت، وليس بينهما طعام ولا شراب". قلت له: "يا سيدي من أين لك هذا؟"، قال: "نظر إليّ الشيخ أبو محمد عبيد بن عبيد نظرة فملاً قلبي بحبي ووصل سري بربي، وانطوت لي الأكوان، وانقلبت لي الأعيان، وقرب مني البعيد، ونلت المراد بنظرته، وكساني معنى استغنيت به عن الطعام والشراب إلا في وقت عود أحكام البشرية إليّ ثم غاب عني، فما رأيته بعد". انتهى من الشطنوفي المذكور رحمه الله ونفعنا به وبجميع من ذكره من أولياء الله في كتابه، أمين يارب العالمين.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وقال سهل بن عبد الله: ومن أراد أن يكشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنة، ومن ترك الكذب مشى على الماء، ومن ترك الغيبة مشى في الهواء».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «ونذكر مصنف كتاب بهجة الأسرار أنه لما مات سهل بن عبد الله أكب الناس على جنازته، وكان في المدينة يهودي زاد على التسعين سنة، فسمع ضجة، فخرج ينظر ما كان، فلما نظر للجنازة صاح، وقال: "ترون ما أرى؟"، قالوا: "لا".

قال: "أرى قوما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنابة". ثم تشهد وأسلم، وحسن إسلامه». انتهى من سيدي موسى المذكور.

انظر يا فقيه لبركة هذا السيد ما أعظمها، وصدق بكرامات أولياء الله، نفعنا الله بهم وحبنا فيهم، وأنا لني شيئاً من بركاتهم وأنوارهم، وجعل البركة في عقبنا وذريتنا إلى يوم القيامة بجاههم عند الله، فكرامة أولياء الله ثابتة لا يُنكرها إلا مُلحد زائغ جاحد لقدرة الله عزَّ وجلَّ؛ إذ جوده تعالى واسع، وفضله عظيم، وقدرته سالحة.

قال سيدي موسى المذكور: «فإن الجهلة إنما أنكروا كرامة أولياء الله حين لم تسعها قلوبهم السقيمة، فنعوذ بالله من الشكوك في حقائق الغيوب، وأنشدوا: [كامل] [85ظ]

لِلْأَوْلِيَاءِ مَنَاقِبٌ مَشْهُورَةٌ فَاشْهَدْ بِهَا حَقَّ الشَّهَادَةِ وَأَقْطَعْ  
وَرَدَ الْكِتَابُ بِهَا وَسُنَّةُ أَحْمَدَ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ عَلَى الْحُسَامِ الْأَقْطَعِ  
خَرَقُ الْعَوَائِدِ مُمَكِّنٌ لَا سِيَمًا فِي حَقِّ أَصْحَابِ الْمَقَامِ الْأَرْزَعِ  
لَوْ كُنْتَ مِثْلَهُمْ لَنَلْتَ مَقَامَهُمْ<sup>1</sup> لَكِنْ نَزَعْتَ خِلَافَ ذَلِكَ الْمُنْرَعِ<sup>2</sup>

ثم قال سيدي موسى المذكور: «ولو تعرضنا لتكثير نقل الشواهد على صحتها وثبوتها لكننا كما قيل "التعريف بالمعلوم ضرب من الجهل"؛ لأنها في الشهرة والظهور بحيث لا تخفى إلا على من سلب التوفيق. فإن في كتب الأئمة المشهورين ما لا يحتاج معه لإقامة برهان، وأنشدوا: [وافر]

وَأَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ<sup>(3)</sup>».

<sup>1</sup> - في التشوف للتادلي: وردت "منالهم". ينظر: التشوف، ص74.

<sup>2</sup> - الأبيات من بحر الكامل، وقد ذكر منها ابن الزيات التادلي في "التشوف" 13 بيتاً دون أن ينسبها إلى أحد. ينظر التشوف، ص74. كما ذكرها أيضاً أبو عمران موسى بن عيسى المازوني، في: "مناقب صلحاء الشلف". ص85 ولم يذكر قائلها أيضاً. وقد ذكرها أيضاً الحضيكي في طبقاته وأشار إلى أنه نقلها من كتاب التشوف للتادلي، ولم يذكر قائلها. ينظر: طبقات الحضيكي محمد بن أحمد. تح: بومزكو أحمد. ج2/ص593.

<sup>3</sup> \_ البيت لأبي الطيب المتبني: ينظر الديوان: تح، عبد المنعم خفاجي وآخرون. نشر مكتبة مصر. د.ت. ص263.

ثم قال: «انظروا إلى ما في الموطأ عن عمر، في الذي سأله عن اسمه واسم أبيه ومسكنه. وما في العتبية من قصة صاحب عيسى الذي مشى على الماء، وصاحب الرطب. وما في رواية ابن وهب من ذكر البدلاء. وخبر عامر بن قيس مع السبع. وما في كتاب الليث<sup>1</sup> من قصة المتكلم بعد موته. وفي جامع ابن وهب، والمغازي له كثير في جامع ابن عيينة<sup>2</sup> من ذكر الأبدال في هذه الأمة وصفتهم. وفي مصنف عبد الرزاق والجامع له من هذا المعنى كثير. وما في كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك من خبر صلة ابن أشيم في المنديل والرطب، وخبره مع السبع في غزوة "كابل"، وخبر الغمامة التي أظلت عمر بن عتبة، وخبر أويس القرني. وما في كتاب ابن أبي الدنيا من العبر والآيات، وعجائب القبر والأموات. وما في كتاب ابن رزق الأندلسي من درجات الأولياء، ومراتبهم، وما الله صانعه بهم من لطائف كراماتهم، ومواهبهم، وما ذكره ابن عطاء الله في لطائف المنن. وأما القشيري، والغزالي، والجزولي، وأمثال هؤلاء الأئمة المشهورين؛ فتصانيفهم مملوءة بذلك، وتواترت الحكايات عن القوم باختراق الهواء، والمشي على الماء، والصلاة عليه، وانقلاب الأعيان وغير ذلك».

قال أبو الصبر: "سمعت من الشيخ أبي يعزى<sup>3</sup> يقول: "ما لهؤلاء المنكرين لكرامات الأولياء، والله لو كنت قريباً من البحر لأريتهم المشي على الماء عياناً"

1 - الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي القفشندي (94 هـ/713 م - 175 هـ/791 م) شيخ الإسلام الإمام الحافظ العالم فقيه ومحدث وإمام أهل مصر في زمانه، وصاحب أحد المذاهب الإسلامية المندثرة. وُلد في قرية قلقشندة من أسفل أعمال مصر. ينظر: عبد الحلیم محمود: الليث بن سعد، إمام أهل مصر، دار المعارف المصرية، ص 69.

2 - سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي. مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومائة. ومات: سنة ثمان وتسعين ومائة. قال عنه أبو عيسى الترمذي: سمعتُ محمدًا - يعني: البخاري - يقول: ابن عيينة أحفظ من حماد بن زيد. ينظر: سير أعلام النبلاء (ج 15 / 482).

3 - لم يستقر النسخ على وضع واحد في كتابة اسم "أبي يعزى" مرة بالألف الممدودة ومرة بالألف المقصورة. ولكن الأصح بالألف المقصورة بحسب ما وجدته في عدد من المصادر المغربية التي تناولت هذه الشخصية بالدراسة.



وقال أبو العباس المرسي<sup>1</sup>: "كنت أنا وصاحب لي بالمغرب الأقصى بساحل البحر المحيط، وهناك مسجد يأوي إليه الأبدال، فرأيت رجلاً وضع حصيراً في الهواء على مقدار أربعة أذرع من الأرض، وصلى عليه، فجئت أنا وصاحبي ووقفنا تحته، وقلت شعراً: [كامل]

شُغِلَ الْمُحِبُّ عَنِ الْحَبِيبِ بِسِرِّهِ      فِي حُبِّ مَنْ خَلَقَ الْهَوَاءَ وَسَخَّرَهُ<sup>2</sup>  
 الْعَاقِلُونَ<sup>3</sup> عَفُولُهُمْ مَعْقُولَةٌ      عَنِ كُلِّ كَوْنٍ تَرْتَضِيهِ مُطَهَّرَةٌ  
 فَهُمْ لَدَيْهِ مُكْرَمُونَ وَعِنْدَهُ      أَسْرَارٌ [هُم]<sup>4</sup> مَحْفُوظَةٌ وَمُحَرَّرَةٌ

فأوجز في صلاته فقال: "إنما فعلت هذا لأجل هذا المنكر الذي معك، وأنا أبو العباس الخضر، ولم أكن أعلم أن صاحبي ينكر كرامات الأولياء، فالتفتُ إليه وقلت له: "أكنت تتكرها؟"، قال: "نعم"، قلت: "فما تقول الآن؟"، قال: "ما بعد العيان ما يقال".

قال سهل بن عبد الله: "حرام على أولياء الله أن يعينوا من كَذَّبَ بمواهب الله لهم، وأنكر قدرة الله التي كشفها لهم"، فقال له بعض أصحابه: "وهل في الدنيا من يكذب بذلك؟" فقال: "نعم، قوم يزعمون أن الله رفع دليل<sup>5</sup> النبوة، منذ ارتفعت النبوة/ [86و] وأنه متى كانت النبوة دلالة نبيء لغير نبيء اشترك الناس في التفضيل، فمن أجل ذلك جحدوا قدرة الله وأنكروا عظمته، فهم عندي الفجار الكفار أعداء أولياء الله الأبرار، ما لهم توبة إلا الإيمان بالله وقدرته والتصديق بعظمته. وقال من علامة الشقاء إنكار قدرة الله، ومن علامة

<sup>1</sup> - ذكر ابن عطاء الله السكندري هذه القصة في "لطائف المنن" وقد نسيها إلى محي الدين بن عربي قائلاً: "وقال الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه مخبراً عن نفسه كنت أنا وصاحب لي بالمغرب الأقصى بساحل البحر المحيط... إلى آخر القصة، ولم يذكر أبا العباس المرسي. انظر: ابن عطاء الله السكندري: "لطائف المنن"، تح عبد الحلیم محمود. ط2، دار المعارف. القاهرة، مصر 1999م. ص82. وقد ذكر القصة والأبيات أيضاً جلال الدين السيوطي في كتابه "تنبيه الغبي بنبوة ابن عربي" ناسباً القصة والأبيات إلى ابن عربي. ينظر: جلال الدين السيوطي: المرجع المذكور. ويكي مصدر. موقع الكتروني.

<sup>2</sup> - الأبيات لمحيي الدين بن عربي. وقد ذكرها ابن عطاء الله السكندري في "لطائف المنن"، ص82. وقد بحثت عنها في ديوان "ترجمان الأشواق لابن عربي فلم أجدها.

<sup>3</sup> - في "لطائف المنن" لابن عطاء الله السكندري جاءت: "العارفون" وهي الأنسب لمعنى البيت. ينظر هذا المرجع. ص82.

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د). والصواب ما أثبتنا.

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "دلائل".

السعادة أن يكون واسع القلب بالإيمان بها أن الله يختص برحمته من يشاء. وإذا وقع التكذيب بعلم القدرة، وردوا معرفة علم القدرة إلى عقولهم قدح الريب في القدر يردون المشيئة إلى أنفسهم دون عون الله وخذلانه، فعند الحال الأول يسلبون محبة الأولياء ونصرتهم، ويولون موالات الفاسقين وعند الحال الثاني يسلبون حلاوة الإيمان ونوره ويولون طاعة الشيطان. فعند ذلك يدينون بالبدعة، ويصرون على المخالفة، ويفارقون الجماعة، وفي إحداهن الهلاك. قال الإمام الغزالي \_ نفعنا الله به \_ : وهذه أمور \_ يعني ما يظهره الله من الآيات على أيدي أوليائه \_ ممكنة في أنفسهما، فمن لم يحط بشيء منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها، فإن القدرة واسعة، والفضل عظيم، وعجائب الملك والملوك كثيرة، ومقدورات الله عَزَّ وَجَلَّ لا نهاية لها، وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له؛ ولذلك قال الشيخ أبو يزيد البسطامي: «إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب ما وراء ذلك؛ فإن عنده فوق ذلك أضعافاً مضاعفة!».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وأحوال الأولياء وعجائبهم تدهش العقول، لكن العاقل لا ينظر لضعف العبد، وإنما ينظر لقدرة المولى الحكيم ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(1)</sup>، لا يرتاب في كراماتهم إلا زايغ، ولا يكذب بها إلا ملحد؛ فإن كرامة الأولياء المخلصين لاحقة لمعجزات النبيين، ولن يخلي الله أرضه من ولي ما دام للشيطان فيها ولي، وهم آية الله في أرضه، وخلفاؤه في بلاده على عباده. جاء: «والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم من أممي خلفاء من [أهل ودي]<sup>2</sup>»، فالأولياء على حسب معاملتهم ودرجاتهم، يدعون إلى الله على بصيرة، فالرسول \_ عليه الصلاة والسلام \_ يدعو على بصيرة للرسالة الكاملة، وأتباعه من الأولياء يدعون على حسب بصائرهم: قطبانية وصديقية وولاية.

<sup>1</sup> \_ سورة الأنعام، الآية: 124، وتامها: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

<sup>2</sup> - في (ب) و (د): "من حواريبه".

[وصية علي بن أبي طالب]: وفي وصية علي بن أبي طالب عليه السلام لكميل<sup>1</sup> عليه السلام: «أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده وعباده، واشوقاه لرؤيتهم، فهم الملوك وإن لم تخفق لهم البنود، والأعزاء وإن لم تسر أمامهم الجنود، بلغ كثير من الصالحين إلى أن يرى الملائكة، ويحضر مجلسه الخضر، ويعانقه، وتكلمه الأحجار والأشجار، وتتناقد إليه الوحوش والأطيّار، وتظله الغمام.

وتظليل الغمام للأولياء مروى عن كثير من القوم، فقد كان رجل في بني إسرائيل<sup>2</sup> موصوفاً بالعبادة، سياحاً في الجبال، سخر الله له سحابة تسير معه حيثما سار، وتسكب عليه ماء أحلى من العسل متى شاء، فيتوضأ ويشرب إلى أن اعتراه فتور في بعض الأوقات، فأزيلت عنه، فكثر لذلك حزنه ونحيبه وطال كمدّه ووجيبه<sup>3</sup>، وما زال يشتاك لزمان الكرامة، ويبكي ويتأسف إلى أن رأى ربه في منامه، إن شئت أن ترد عليك فامش لفلان الملك، واسأله دعوة الله، فإن الله يردها عليك ببركة دعائه، وأنشدوا: [مخلع البسيط]

أَقْصِدْ إِلَى الصَّالِحِ الْأَمِيرِ      فِي خَطْبِكَ الْوَاقِعِ الْكَبِيرِ  
فَإِنْ دَعَا اللَّهَ جَاءَ مَا قَدْ      سَأَلْتَهُ مِنْ وَابِلِ نَمِيرِ<sup>5</sup>/[86ظ]  
وَسَوْفَ تَلْقَى [مَنْ] لَدَيْهِ أَمْرًا      يُؤْذِنُ بِالْبُشْرَى مَعَ السُّرُورِ  
فَاقْطَعْ لَهُ السَّيْرَ<sup>7</sup> [لَدَى] الْفَيَافِي      وَوَاصِلِ السَّيْرَ مَعَ<sup>1</sup> الْمَسِيرِ

<sup>1</sup> - هو كميل بن زياد النخعي الكوفي، ولد باليمن سنة 633م، وتوفي بالكوفة سنة 701م. وقيل قتله الحجاج بن يوسف الثقفي. ينظر

: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. موقع الكتروني. ar.wikipedia.org

<sup>2</sup> - القنصة المذكورة في "زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام لسراج الدين أبي حفص عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأوسي. وقد أورد قطعة شعرية من ستة أبيات. غير أن "الصباغ" ذكر خمسة أبيات فقط. ص. 197.

<sup>3</sup> - كذا في جميع النسخ.

<sup>4</sup> - في زهر الكمام: "بما".

<sup>5</sup> - في "زهر الكمام" ورد: هَمِيرِ.

<sup>6</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د). وكذا في المقطوعة الواردة في زهر الكمام التي أسقط منها الصباغ بيتاً هو الثالث فيها وهو:

لَقَدْ سَمَا فِي الْمُلُوكِ قَدْرًا      وَجَلَّ فِيهِمْ عَنِ النَّظِيرِ

<sup>7</sup> - في زهر الكمام: فاقطع له "البيد" والفيافي. ينظر ص. 197.

<sup>8</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

لَعَلَّ وَقْتًا<sup>2</sup> بِالْقَبُولِ يَقْضَى فَيُعَقَّبَ الْمَسِيرُ بِالْمَسِيرِ<sup>3</sup>

فقصده فوجد ببابه غلاما فقال له: "أنا مظلوم، قصدت الملك لنازلة أصابتي". فقال: "لا سبيل إليه؛ فإنه جعل للمشتكين يوما، فاذهب حتى إذا جاء ذلك اليوم عدت". فأنكر هذا الرجل حجة الملك على الناس، وقال في نفسه: "كيف يكون هذا وليا، وهو على مثل هذه الحال؟!".

فلما جاء ذلك اليوم جئت للباب، فوجدت عنده أناسا ينتظرون الإذن، فإذا بالملك خرج وعليه ثياب عظيمة، وبين يديه عبيد، فأذن لنا فدخلنا، فوجدنا أرباب دولته حافين به، فجعل وزيره يأتيه بالمشتكين واحدا بعد واحد. فلما جاء بي إليه، قال: "مرحبا بصاحب السحابة، اقعده حتى أصيب<sup>4</sup> إليك". فتحيرت من قوله، واغترت بمنزلته. فلما فرغ وانصرف الناس عنه أخذ بيده وأدخلني قصره، حتى انتهى لباب قصير ففتحه، ودخلنا لدار خرية، وإذا ببيت ليس فيها إلا سجادة وقدر للوضوء وشيء من هذا الخوص، فتجرد من ثيابه ولبس جبة صوف خشينة، وجعل على رأسه قلنسوة لبد، فجلسنا ونادى: "يا فلانة، أتدري من ضيفنا الليلة؟"، فقالت: "صاحب السحابة!" فقال لها: "اخرجي"، فإذا بها كأنها كالخيال، ووجهها كأنه الهلال، عليها جبة صوف وقناع [صوف]<sup>5</sup>. فَعَرَفَهُ بتمسكه للإمارة، وأنه يعمل هذا الخوص وبييعه، ليقتات هو والعجوز من ثمنه منذ أربعين عاما، فتعجب الرجل من حاله.

فلما كان نصف الليل قام الملك وزوجته يصليان وبيكيان، فلما كان وقت السحر دعا الملك الله تعالى أن يرد على الرجل سحابته، وأمنت زوجته. فقبل الله دعوته، وقضى فيه حاجته. فَرُدَّتِ السَّحَابَةُ عَلَى الرَّجُلِ كَمَا كَانَتْ أَوَّلًا. وأنشدوا: [بسيط]

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "بالمسير". وكذا ورد في زهر الكمام

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): لعل وقت القبول. " وكذا ورد في زهر الكمام

<sup>3</sup> - في (ب): فيعقب السير بالمسير. وفي (ك): "المسير باليسير". وفي (د): "العسير بالمسير". وجاء في زهر الكمام: "العسر باليسير". ص 197.

<sup>4</sup> - كذا في جميع النسخ.

<sup>5</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

إِذَا أَرَدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلِّهِمْ      فَاَنْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مِسْكِينِ  
ذَلِكَ الَّذِي حَسُنَتْ<sup>1</sup> فِي النَّاسِ سِيرَتُهُ      وَذَلِكَ يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ  
مَا أَجْمَلَ<sup>(2)</sup> الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا      فِي الْمَرْءِ وَالرَّفْقِ فِي الْإِسْلَامِ وَالدِّينِ<sup>(3)</sup>

والحكايات عن أولياء الله كثيرة. قال ابن مسعدة: "خرجت مع أبي العباس السبتي لبحيرة الناعورة، ومعنا ثالث، وكان بابه مغلقاً فانفتح، فظننا أنه فتحه له رجل خلف الباب، فظننا فلم نر أحداً". فقال: "أتعجبون من انفتاحه ولا تعجبون من هذه السحابة التي اشتد غيمها حتى أظلمتني"<sup>4</sup>. فرفعنا رؤوسنا فرأينا سحابة تظله.

قال أحمد بن إبراهيم السروري: "رأيت أبا علي عمر بن عمران السمائي يسير تحت سحابة تظله". ومثل هذا كثير وتصانيف القوم محشوة بذلك، وأنشدوا: [كامل]

لِلصَّالِحِينَ مَنَاقِبٌ مَأْثُورَةٌ      تَجْلُو<sup>5</sup> مَآثِرَهَا الطَّرِيقُ الْأَوْفَقُ  
شَاعَتْ بِالسَّنَةِ النَّقَاتِ وَكُلُّهُمْ      مُتَحَقِّقٌ فِيمَا رَوَاهُ مُحَقِّقٌ<sup>6</sup>

### [النهي عن الارتباب في كرامات الأولياء]:

لا يرتاب في كرامات الأولياء إلا زائع عن طريق الحق سبحانه ولا يكذب بها إلا خارجي ملحد مارق من الدين، أولئك ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ﴾<sup>(7)</sup> الآية. / [87و] ولا يؤمن بها إلا مؤمن موحد منشرح الصدر سالم من ركام البدعة والجهالة. وكيف يشكك فيها معتوه وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق؟!، وأنشدوا: [بسيط]

<sup>1</sup> - في الديوان : "عظمت". ينظر ديوان أبي العتاهية (210/130 هـ - 826/748 م)، د ط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، (1406هـ/1986م)، ص439. مكتبة نور لتحميل الكتب. موقع الكتروني. مكتبة نور <https://www.noor-book.com>

<sup>2</sup> - كذا في النسخ الأخرى. وفي (أ): "ما أجمع" وهو خطأ.

<sup>3</sup> - البيتان الأولان لأبي العتاهية. والثالث لم أجده ضمن القطعة الشعرية المكونة من سبعة أبيات. المرجع نفسه، ص439.

<sup>4</sup> - في (ب) و(د): "أضلني".

<sup>5</sup> - في التشوف: "يجلو". ينظر التشوف. ص93.

<sup>6</sup> - ذكر ابن الزيات التادلي هذين البيتين ولم ينسبهما إلى أحد. ينظر التشوف. ص93.

<sup>7</sup> - سورة الكهف، من الآية 104 : ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِبُونَ صُنْعًا﴾.

لَا يُنْكِرُ الْخَرْقَ لِلْمُعْتَادِ ذُو بَصَرٍ  
وَالطِّيُّ لِلْأَرْضِ مَعْلُومٌ تَوَاتُرُهُ  
وَعَرْشُ بَلْقَيْسٍ بُرْهَانٌ يَدُلُّ بِهِ  
وَالطِّيُّ قَدْ جَاءَ لِلدَّجَالِ مُشْتَهَرًا  
هَذَا وَحَالَتُهُ كُفْرٌ وَمَعْصِيَةٌ  
فَسَلِّمِ الْأَمْرَ تَخْفَى عَنْكَ غَايَتُهُ  
إِنْ لَمْ تُعَايِنِ مَقَامَاتٍ سَمِعْتَ بِهَا  
فَالْعَقْلُ<sup>1</sup> وَالشَّرْعُ لِلْأَبْدَالِ فِي الْبَشَرِ  
وَالنَّصُّ فِي ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ<sup>2</sup> وَالْأَثَرِ  
عَلَى سِوَاهُ رِجَالِ الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ  
يَطْوِي الْبَسِيطَةَ فِي أَشْيَاعِهِ الْفُجْرِ  
فَكَيْفَ حَالِ رِجَالِ الْجِدِّ وَالْحَدَرِ؟!  
مَنْ لَمْ يَرِدْ لَيْسَ يَدْرِي لَذَّةَ الصِّدْرِ  
فَلَا أَقْلٌ مِنَ التَّصْدِيقِ بِالْخَبَرِ

ومن كذب بكرامات أولياء الله لم ينلها؛ قال أنس بن مالك: «من بلغته فضيلة ولم

يؤمن بها حرمها يوم القيامة». فنعوذ بالله من الحرمان وتسويل الشيطان.

يا أخي، مناقب الصلحاء نقلها الخلف عن السلف من لدن عصر رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الآن، واشتهر ذلك شهرة تقطع ألسنة الزائعين، وتصد في وجوه الجاحدين وضعفاء اليقين، فظهرت في كل شريعة. ونقل ذلك نقل تواتر عن أفاضل علماء كل ملة، واستفاض الخبر بها وشاع التحدث بذلك على ألسنة الأئمة المهتدين، وامتألت بها تصانيف المصنفين من فحول أئمة الدين المتقدمين والمتأخرين، وتكررت روايتها في كل جامع وزاوية في كل مصر، في كل وقت وحين بمشهد الجَمِّ الغفير من علماء المسلمين، فما منهم إلا من يصغي إليها، وينترب لسماعها، ويبكي على ما فاتته من حظها منها، معتقدا لحصتها، معلنا بوجوب الإيمان بها، وإثبات الأئمة المشهود لهم بدرك الحقائق وطول الباع في فنون العلم والعدالة الوارعة الموثوق بنقلهم لها في دواوينهم أصح دليل على وقوعها فوجب التصديق بها، وهم الذين نقلوا لنا الكتاب والسنة، ومهدوا لنا طريق الديانة، وفصلوا لنا معاهد الشريعة، وبينوا لنا ما أحل الله ورسوله \_ عليه الصلاة والسلام \_، فالارتياح في نقل كرامات الصالحين

<sup>1</sup> - في التشوف: بالعقل. المرجع نفسه. ص105.

<sup>2</sup> - في التشوف: "في الفرقان". ولم يسند المؤلف الأبيات إلى أحد. ينظر - ابن الزيات. ص105. وقد بحثنا في عدد من كتب المتصوفين فلم نعرثر على قائلها.

وبراهين الأولياء المتقين ارتياب في الكتاب والسنة؛ لان الجميع عنهم أخذ، وعلى نقلهم اعتمد، وهذه حجة قوية لا يجد معها أهل الزيغ والضلال فارقا.

وهذه المناقب المأثورة عن الصحابة والتابعين وغيرهم من خواص عباد الله منهم من شاهدها في صاحبه أو شيخه، ومنهم من نقلها عن يوثق بصدق قوله بإسناد صحيح برواية العدل عن العدل. وبالجملة لا ينكر ذلك إلا من خلاه الله من توفيقه ودفعه عن دين الحق [وطريقه]<sup>1</sup>. انتهى من سيدي موسى [بن عيسى]<sup>2</sup> المذكور.

### \_ [الدال على الله]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ أنه قال لبعض أصحابه: «يا ولدي، من ذلك على الدنيا فقد أتعبك، ومن ذلك على العبادة فقد أشقاك، ومن ذلك على مولاك فقد نصحك».

قلت: ومثله ما ذكره ابن عطاء الله عن سيدنا ومولانا سيدي أبي الحسن الشاذلي \_أفاض الله علي من بركاته\_، ونصه: «قال أبو الحسن الشاذلي: ليس الشيخ من ذلك على تعبك، وإنما الشيخ من ذلك على راحتك»، انتهى منه \_رحمه الله ونفع به\_.

### \_ [مقام الأولياء]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ / [87ظ] ما قاله لبعض أصحابه: «يا ولدي، غب عن الدنيا والآخرة، وغب عن الحور والقصور والجنة والنار»، فقال له صاحبه: «يا سيدي هذا مقام الرجال، فلم نبلغ نحن مثله»، فقال له: «يا ولدي، هذا قليل في حق أولياء الله؛ فإنه يخصهم بما يخص به الأنبياء». انتهى.

### \_ [همة الأولياء]: ومن كلامه أنه قال: «شتان ما بين هممتنا أن نطلب الحور

والقصور وبين هممتنا أن نطلب رفع الستور ودوام الحضور».

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ا) و (ك).

<sup>2</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و (د).

**\_ [رواية كلام شيخه زروق]:**

ومن كلامه<sup>(1)</sup> أنه قال: «قال لي شيخي زروق: "يا أحمد بن يوسف، أولك قنديل، ووسطك منديل، وآخرك زنبيل"». انتهى.

**قلتُ:** ومعناه أن الشيخ كان في ابتداء حاله قنديلاً يستضاء به، وهذا ظاهر لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته، ثم اتسعت المعرفة فصار منديلاً لتخلقه ببعض أخلاق [سيد المرسلين]<sup>2</sup> سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين في صبره وحلمه وعفوه على كل من يؤذيه، كما هو مذكور في كتاب السير وغيرها. وقد أشرنا إلى بعض ذلك في مناقب سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله \_ أول هذا الكتاب فانظره هناك.

وقوله: "وأخرك زنبيل" زاد اتساع المعرفة اتساعاً لا يعلمه إلا الله الذي خصه بذلك، وجعله كالبحر الذي لا يحاط به، فاتسع عليه بحر المعرفة، فانطوت همته وإشادته في إضاءة الحق تبارك وتعالى. ومثله ما ذكره سيدي موسى بن عيسى \_ رحمه الله \_ عن سيدي أبي العباس المرسي \_ أعاد الله علينا وعلى ذريائنا من بركاته آمين يا رب العالمين \_، ونصه: «قال: سمعت الشيخ أبا العباس المرسي يقول له: كان إذا آذاني إنسان يهلك للوقت، وأنا الآن لست كذلك، فسئل عن ذلك فقال: "اتسعت المعرفة".

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله \_ أنه قال: «عَرَّفَنِي اللهُ بِطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ كُلِّهَا، وَهِيَ مَرْكَبَةٌ مِنْ أَنْوَاعِ شَتَّى، وَهِيَ أَرْضِي وَسَمَاوِي وَهَوَائِي وَحَارٌ وَبَارِدٌ وَجَمَلِي وَبَقْرِي وَغَنَمِي، وَلَا يَخْفَى عَلَيَّ مِنْ طَبَاعِ الْخَلَائِقِ بِأَسْرِهِمْ طَبِيعَةٌ».

**\_ [حيرة رجال]:**

ومن كلامه \_ رحمه الله \_ أنه قال: «لله رجال إذا غاب عليهم ما تصنع نملة يتحيروا». أشار بذلك إلى نفسه \_ نفعتني الله به \_.

<sup>1</sup> \_ ورد على هامش (أ): "قف على مقالة سيدي أحمد الزروق على سيدي أحمد بن يوسف".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).



قلتُ: ومثله ما حكى عن الشيخ سيدي أبي الحسن سيدي علي بن الهيتي \_ نفعنا الله به \_ أنه قال: "لو دبت نملة دهماً في ليلة ظلماء على صخرة سوداء من وراء جبل قاف ولم يعلمني ربي بها منه إليّ بلا واسطة [ويطلعني]<sup>(1)</sup> عليها عياناً لتقطرت مرارتي". انتهى من الشطنوفي \_ رحمه الله \_ وهذا قليل في حق أولياء الله \_ نفعنا الله بهم آمين \_ . فإن أصل هذا ومنبعه وأساسه المقام النبوي والنور الهاشمي، ورشحه ومدده ومورده الإمداد المحمدي، فمن بحره يغترفون، ويسنته يتمسكون، وعلى نهجه وطريقه متبعون وعلى عنايته يعتمدون، أولئك المختارون \_ نفعنا الله بهم آمين، وجعلنا من حزيهم، وأدخلنا في حرمهم وحصنهم، وجعلنا تحت ظل أجنحتهم بجاه عظيم قدرهم آمين يا رب العالمين \_ .

### \_ [الرشح من زق النبوة]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله \_ أنه قال: «كان رسول الله ﷺ زق مسك، ورشح ذلك الزق، فأخذنا نحن من رشحه ﷺ». قلتُ: ومثل أبو يزيد ذلك بزق عسل؛ فما في داخل الزق هو مقام النبوة، وما رشح هو مقام الولاية، وقد تقدم بلفظه مستوعباً في أول الكتاب.

### \_ [اجتماع الذاكرين]:

ومن كلام سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله \_ في اجتماع الفقراء الذاكرين الله عزَّ وَجَلَّ بالجهر/ [88و] في حلق الذكر، ولفظه قال: «نقل ابن الفاكهاني<sup>2</sup> عن ابن عمر

<sup>1</sup> \_ ما بين المعقوفين مستدرك على هامش (أ).

<sup>2</sup> - هو أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، الشهير بتاج الدين الفاكهاني (654 - 734هـ/ 1256 - 1334 م) أخذ عن ابن المنير وغيره. كان فاضلاً متقناً في الحديث والفقه والأصول والعربية والأدب، عالم بالنحو، من أهل الإسكندرية، زار دمشق سنة 731 هـ واجتمع به ابن كثير (صاحب البداية والنهاية) وقال: سمعنا عليه ومعه. وحج ورجع إلى الإسكندرية. له كتب، منها: الإشارة في النحو، والمنهج المبين في شرح الأربعين النووية، والتحرير والتحبير في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والتحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة، وكتاب الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير. واللمعة في وقفة الجمعة، والدرة القمرية في الآيات النظرية. ينظر ابن حجر العسقلاني (ت852هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج3/ص178. ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب/تح محمد الأحمد أبو النور. ج2/ص80-81. ابن مرزوق الخطيب: المناقب المرزوقية هامش ص303.

رضي الله عنهما\_ أن النبي ﷺ دخل المسجد فوجد مجلسين أحدهما يذكرون الله، والآخرين يتفقهون في الدين، فقال\_ عليه الصلاة والسلام\_: «كلا المجلسين على الخير»، ومعلوم قطعاً أنهم لا يجتمعون ويذكرون سرا بل يذكرون جهراً، وإلا فلا فائدة في اجتماعهم ومن الشفاء لابن سبع عن النبي ﷺ قال: «إن للمساجد أوتادا، جلاسهم الملائكة إن غابوا تفقدوهم، وإن مرضوا عادوهم وزاروهم ورحبوا بهم، وإن طلبوا حاجة عانوهم في قضائها. فإن جلسوا للذكر حفت بهم الملائكة إلى عنان السماء، بأيديهم قرطيس الفضة وأقلام من الذهب، يكتبون الصلاة على النبي ﷺ والذكر والدعاء، والتسبيح والتهليل ثم يقولون لهم اذكروا الله يرحمكم الله، اذكروا رحمكم الله، زيدوا رحمكم الله. فإذا استفتحوا في الذكر فتحت لهم أبواب السماء، واستجيب لهم الدعاء، واطلعت عليهم الحور العين، وأقبل الله إليهم بوجهه الكريم ما لم يخوضوا في حديث غيره، أو يفترقوا». انتهى.

### \_ [زيارة الجنّ للشيخ أحمد بن يوسف]:

[ومن كلامه أنه قال: «رأى واحد من أصحابنا رجلا من الجن المؤمن فنظر إليه وقال: "نحن ألف رجل من الجن المؤمن، كل يوم نزور الشيخ سيدي أحمد بن يوسف ونتعلموا<sup>1</sup> منه"»]<sup>2</sup>.

### \_ [كثرة الأصحاب]:

ومن كلامه أنه قال: «رأى بعض أصحابنا فيما يرى النائم أن قيل له إن أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف\_ رحمه الله\_ ثمانون ألفاً، فقال الشيخ سيدي أحمد بن يوسف هذا من الجن، والإنس لا يحصيه إلا الله عزَّ وجلَّ».

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ، والصواب: نتعلم.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

وقال سيدي موسى المذكور: «وأخبار الأولياء مع الجن كثيرة. قال سيدي عبد القادر الجيلاني: «أقمت في البحار خمسة وعشرين عاماً لا أعرف أحداً ولا يعرفني تأتيني رجال الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله».

وذكر أبو نصر البغدادي: قال: "سمعت أبي يقول استدعيت الجان مرة، فأبطأت علي إجابتهم أكثر من عادتهم، ثم أتوني وقالوا: "لا تعد تستدعينا إذا كان الشيخ سيدي عبد القادر يتكلم على الناس، فقلت: "ولم؟"، قالوا: "لأننا نحضره". قلت: "وأنتم أيضاً؟!"، فقالوا: "ازدحامنا عليه بمجلسه أشد من ازدحام الإنس، وأسلمت منا طوائف كثيرة، وتابت على يديه". انتهى من سيدي موسى المذكور.

**قلت:** وقريب من هذا ما حكاه ابن عطاء الله، ونصه: «وذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمته الله أن أبا السعود بن الشبلي كان يوماً في مدرسة سيدي الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني يكنس فيها، فوقف الخضر على رأسه وقال: "السلام عليك"، فرفع أبو السعود رأسه وقال: "وعليكم السلام"، ثم عاد إلى شغله بما هو فيه. فقال له الخضر: "ما بالك لم تهتم لي؟!، كأنك لم تعرفني!"، فقال أبو السعود: "والتفت إلى الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني، لم يترك في هذا الشيخ فضلة لغيره". انتهى منه رحمه الله بحفظه.

انظروا لتعظيم الجن والإنس لسيدي عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به وكيف لا يعظمونه وقد عظمه الله على ما نقله الخلف عن السلف، كما هو في كتب المعتنين بمقامه وجاهه، وما خصه الله به وتعظيم الملائكة واحترامهم له أكثر من تعظيم الجن والإنس، فمن أراد فلينظر الشطنوفي وغيره، ممن تعرض لبعض ذلك، ولكنه كنقطة من بحر / [88ظ] أو كمن جعل إصبعه في بحر أو كطائر ضرب بمنقاره في بحر لأن أوصافه من أوصاف ربه، ونعوته من نعوته. وقد أعطاه الله وفضلَهُ ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(1)</sup>، نفعني الله

<sup>1</sup> \_ سورة الإسراء، الآية 70، وتامها: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

بحبي فيه وبلغني بقصدي ومرادي، وجعلني تحت ظل جناحه، وفي كفالتة وحرمة وكنفه وحفظه، أمين يارب العالمين.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وكان أبو عثمان سعيد بن ميمون أسن<sup>1</sup> الرجراجي من أكابر الأولياء، حدثوا عنه أنه كان له جملة أصحاب من مؤمني الجن، قال التادلي: "قرأت في بعض أخباره أنهم من نفر الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ".

وكان أبو عبد الله الصباغ من أهل الفضل والدين، له صوت حسن، فقام لورده ليلة فخشع، فسمع خلفه حسا، ثم قام لورده بعد ذلك بليال فقراً وخشع، وخنقته العبرة، فسمع خلفه البكاء، فسكت وانقبض، فسمع هاتفا يقول له: "يا أبا عبد الله، لا تخف، فإناجماعة من مؤمني الجن نصلي خلفك لطيب كلامك وصوتك وحسن قراءتك، وما نصل كل ليلة إلى الصلاة خلفك إلا من بلاد الهند. وقد قتلت منا جماعة بحسن نغمتك". فأقام إلى أن صار الجن يكلمه<sup>2</sup> ويحدثه. فقال له: "عسى أن تظهر لي في صورتك التي صورك الله فيها". فقال له: "وما حاجتك في ذلك، فاستغن عنه لئلا يصيبك أمر". فقال: "هي حاجتي إليك"، فقال: "والله إنني لتسهل علي حوائجك، وما أكره<sup>3</sup> أن تراني في صورتني إلا خوفا من أمر يصيبك".

وكان أبو ولجوط<sup>4</sup> زاهدا مجاب الدعوة، وهو المعروف بابن تابرنوست، حدثوا أنه قال<sup>5</sup>: شكا أهل بلادنا كثرة الأمراض، فدعوت جماعة من الجن لشيخي أبي محمد عبد الخالق ياسين، فلما رأني تبسم وقال لي: "سبقوك يا أبا تابرنوست"، فسمعت كلاما كثيرا،

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ.

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "يعلمه".

<sup>3</sup> - في (أ): "وإما أكره".

<sup>4</sup> - أبو ولجوط ثونارت المشنراني ويقال له أبو تيرنوست. كان عبدا صالحا زاهدا شيخه عبد الخالق بن ياسين، كان مجاب الدعوة. اكتفى ابن الزيات التادلي بهذا النزر القليل من المعلومات المتعلقة بهذه الشخصية. ينظر: التادلي: التشوف إلى رجال التصوف. ص 236.

<sup>5</sup> - هذا النص ذكره التادلي في: التشوف إلى رجال التصوف. ص 236-237.

فقلت: "كيف أخاصم قوما لا أراهم، فليقدموا لي<sup>1</sup> واحدا منهم يقوم<sup>2</sup> بحجتهم"، فظهر لي واحد منهم قصير أزرق العينين مشقوقهما طولا، وعليه قميص وقبا<sup>3</sup> وسروال. فقلت لأبي محمد: "إن قوم هذا أضروا بأهل بلدنا، فكلهم مرضى"، فقال<sup>4</sup>: "ما أضررنا أحدا، وما مرضوا إلا من تغير هواء بلدهم فأنصرفنا".

وحدثوا عن إبراهيم وجماعة من أكابر الأولياء، أنهم كان لهم أصحاب من مؤمني الجن، وانقياد الجن للأولياء وبذلهم السمع والطاعة لهم وحضورهم مجالس الأئمة لسماع الذكر والوعظ وتوبة كافرهم وفاسقهم أمر تواترت به الحكايات عن القوم وأحوال الأولياء في ذلك عجيبة كثيرة؛ لأن من أطاع الله أطاعه كل شيء.

قال الواسطي في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(5)</sup>: «أي: بأن سخرنا لهم الكون لئلا يكونوا في تسخير شيء، ويتفرغوا لعبادة ربهم».

قال أبو العباس المرسي: "الأكوان كلها عبيد مسخرة، وأنت عبد الحضرة". وجاء في بعض الكتب المنزلة: «خلقتُ الأشياء كلها من أجلك، وخلقْتُكَ من أجلي، فلا تشتغل بما هو لك عَمَّنْ أنت له».

يا أخي ما للقلب أنفع من ذكر الصالحين، فعند ذكرهم تنزل الرحمة، وتنشرح الصدور، وتلين الجوارح، وتنزاح من القلوب الظلمات. أولئك قوم جعلهم الله رحمة لخلقه، قلوبهم كقلوب الأنبياء، ارتضاهم لعبادته، ونصبهم لخدمته. ومن السعادة والكرامة التي يكرم الله بها عبدا من عبده/ [89و] أن يوقفه لحبِّ الصَّالِحِينَ، ويبسِّره لرؤيتهم وخدمتهم؛ فإنَّ

<sup>1</sup> - في النص الأصلي من التشوف للتادلي: "إِلَيَّ". ص 237.

<sup>2</sup> - في التشوف للتادلي: "يقول بحجتهم". ص 237.

<sup>3</sup> - كذا في كل النسخ ولعله يقصد به "القلمونة" بالتعبير العامي وهو الجزء الأعلى من الثوب يوضع على الرأس لوقايته من البرد والمطر. وفي التشوف ورد: "قبا". ص 237.

<sup>4</sup> - في التشوف: "فقال لأبي محمد". ص 237.

<sup>5</sup> - سورة الإسراء، الآية 70، (سبق إتمامها).

رؤية الصالحين وتحسين الظنّ بهم، وإجلالهم من أكبر نعم الله على العبد، وأنشدوا لشيخ المشايخ: [طويل]

تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَى مِنْ الْقَوْمِ وَاحِدًا      فَمَنْ عَلَيَّ اللَّهُ<sup>1</sup> بِالْخُلُقِ كُلِّهِمْ<sup>2</sup>  
فِيَا حُسْنَ إِضْغَائِي لِمَنْ قَالَ: "لُدَّ بِهِمْ"<sup>3</sup>      وَيَا فُبْحَ عَصِيَانِي لِمَنْ قَالَ: "خَلَّهِمْ"

أراد بقوله: "تمنيت أن ألقى من القوم": واحداً في حال بدايته، فلما ترقى لمنازل السلوك، واستوى على طريق القوم انكشفوا له، فتشبك بهم، فإن الله تعالى أخفى الولي عن أعين الناس، فهو يتعرف بينهم ولا يعرفونه، فسبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليه<sup>4</sup> إلا من أراد أن يوصله إليه.

قال الشيخ ابن عطاء الله: «فأولياء الله أهل كهف الإيواء قليل من يعرفهم». وقال شيخه المرسي: «معرفة الولي أصعب من معرفة الله؛ فإن الله معروف بكماله وجماله، ومتى حتى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب. وقد أخفى الله الولي عن الناس كما أخفى ليلة القدر في الليالي، والساعة التي في الجمعة، واسمه الأعظم في أسمائه الحسنى. لكن الناس في التصديق والتكذيب والتوهم والتشكيك بأولياء وقتهم على فرق، نعم، إن العامة إذا رأوا شخصاً جاء من البراري والقفار ينتسب لطريق الحق سبحانه أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم. وكم من ولي وبدل بين أظهرهم لا يلقون إليه بالاً! وهو الذي حمل أفعالهم ويدافع الأغيار عنهم.

يا أخي حرام عليك أن تراهم حتى تعرفهم، وحرام عليك أن تعرفهم حتى تحبهم، وحرام عليك أن تحبهم حتى تؤثرهم، وحرام عليك أن تؤثرهم حتى تبذل صحبتك<sup>5</sup> في خدمتهم. يا أخي

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "فمن الله عليّ".

<sup>2</sup> - البيتان لشيخ المشايخ أبي مدين الغوث. انظر مناقب صلحاء الشلف لأبي عمران موسى بن عيسى المازوني، ص 86.

<sup>3</sup> - في مناقب صلحاء الشلف ورد: "ويا حسن". المرجع نفسه، ص 86.

<sup>4</sup> - في (ب) و(د): "إليهم".

<sup>5</sup> - في (ب) و(د) "مهجتك"، وفي (ك): "محببتك".

ما للقلب أنفع من ذكر الصالحين، وإياك أن يهجس بخاطرك أن الأرض خالية منهم، إنَّما حَبَّبْنَا عن رؤيتهم ذنوبنا، ولو صفت أعمالنا لرأيانهم ولعرفانهم بسيماهم.

قال الجنيد: «كنت في بداية أمري أرى في منامي ما يجري علي في يقظتي، فأتصفح ذلك حالاً بعد حال، فأكون مترقياً لما رأيته في منامي. وكنت أحب أن أرى الأبدال، فرأيت ليلة كأني جالس على بابنا، إذ مر بي ثلاثة نفر عليهم ثياب خلقة رثة مدنسة<sup>1</sup>، وعليهم ظاهر بلوى، فوقع في قلبي أنهم الأبدال، فاتبعتهم حتى جاءوا مسجداً فدخلوا ودخلت خلفهم. فلما رأوني انقبضوا، فإذا زيهم أحسن زي، وأبدانهم كأحسن الأبدان، وخلقتهم كأحسن الخلق. ثم قالوا لي: "يجزيك؟"، قلت: "نعم"، ثم انتفضوا وعادوا لصورتهم الأولى، ثم خرجوا يمشون حتى جاءوا لحنوت فيه قصب، فتناول أحدهم قصبه فصارت مطية. ثم قال: "يجزيك؟"، قلت: "نعم"، فمضوا وانتبهت. فلما أصبحت جلست على بابنا انتظر ما رأيت في ليلتي، فإذا الثلاثة بأعيانهم، دخلوا المسجد، فدخلت خلفهم، فكان منهم ما رأيت، فلما أرادوا أن يفارقوني قلت لهم: "من الأبدال؟"، قالوا: "فلان وفلان وفلان"، فكأنني أزریت على واحد منهم في قلبي، فقلت: "فلان من الأبدال؟!"، قالوا: "نعم من أهل الأئس بالله"، فما زال الجنيد يقول ثلاثة، فيسأل عنهم ولا يخبر بهم، لكن يقول قد مات منهم وبقي / [89ظ] منهم، وما زال يقول بقي واحد إلى أن مات. وكان الذي أخبر عنه أنه من أهل الأئس بالله أحمد بن مسروق<sup>2</sup>.

وقال معروف الكرخي: رأيت شاباً أحسن الوجه، له ذؤابتان، على رأسه رداء قطن، وعليه قميص كتان، وعلى رجليه نعل طاق، فتعجبت منه في مثل ذلك المكان ومن زيه، فسلمت عليه فرد علي فقلت له: "من أين؟"، فقال: "من دمشق"، قلت له: "متى خرجت منها؟"، قال: "ضحوة". فتعجبت منه، وكان بين المكان الذي رأيته فيه ودمشق مراحل كثيرة،

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "ثياب خلفان رثاً دُنُسا".

<sup>2</sup> - أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق، طوسي الوطن بغدادي المسكن وهو من أجلة المشايخ وعلماء القوم. صاحب الحارث المحاسبي، وسوريا السقطي، مات ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين. ينظر: جامع الأنوار في مناقب الأخيار، عيسى صفاء الدين البندنجي القادري، ص. 330. وطبقات الأولياء: ابن الملقن، ص. 89.

فقلت له: "وأين مقصودك؟"، قال: "مكة". فعلمت أنه محمول، فقلت في نفسي: "لو علم أنه يساق إلى الموت سوفا لرفق بنفسه"، فودعته ومضى، ثم رأيته بعد ثلاث سنين، وكنت قبل رؤيته هذه جالسا في منزلي أتفكر في أمره، إذا بمن يدق<sup>1</sup> الباب، فخرجت فإذا به فرحبت به وأدخلته. فرأيته والها تالفا، عليه زُرْمَانَقَةٌ؟<sup>2</sup>، حافيا حاسرا، فقلت له: "ما الخبر؟"، فقال: "يا أستاذ لاطفني حتى أدخلني الشبكة ورماني، فمرة يلاطفني ومرة يهددني، ومرة يجيعني، ومرة يكرمني. فَلَيْتِيَّتِي وفتت على بعض أسرار أوليائه ثم ليفعل ما شاء". فأبكاني كلامه، فقلت له: "حدثني ما جرى لك منذ فارقتني"، فقال: "هيهات أن أبدية وهو يريد أن يخفيه، لكن [ما فعل]<sup>3</sup> بي في طريقي إليك مولاي"، ثم استغرقه البكاء، "جوعني ثلاثين يوما ثم جئت لقريبة فيها مقتات<sup>4</sup> قد نبذ منها المدود، فصرت آكل منه، فجاء صاحب المقتات، فصار يضرب ظهري وبطني، ويقول: "يا لص ما خرب مقتاتي غيرك، [كم]<sup>5</sup> أنا أرصدك؟". فبينما أنا كذلك إذا بفارس أقبل مسرعا فقلب السوط في رأسه، وقال: "تعمد لولي من أولياء الله، وتقول له يا لص". فأخذ صاحب المقتات بيدي وحملني لمنزله، فما أبقى شيئا [من إكرامه]<sup>6</sup> إلا عجله لي واستحلني، وجعل مقتاته لله ولأصحاب معروف<sup>7</sup>". فقلت له: "صف لي معروفا"، فوصفه فعرفتكم بالصفة التي كنت عليها، فما استتم كلامه حتى دق الباب صاحب المقتات ودخل، وكان موسرا، فأتى بجميع ماله وأنفقه على الفقراء، وصاحب الشاب سنة، وخرج للحج، وماتا

1 - في (د): "وإذا بالدق في الباب".

2 - كذا في جميع النسخ. ربما هو "رداء يرتديه".

3 - ما بين المعوفين ساقط من (د).

4 - في (د): "مقتات".

5 - ما بين المعوفين ساقط من (ك).

6 - ما بين المعوفين بياض في (ب). وفي (د): "من الكرامة".

7 - في (ب) كتب على الهامش قف: كل ماتراه أيها الناظر من البياض فهو في أصل النسخة.



بالريذة<sup>1</sup>، فانظر إلى أثر رحمة الله كيف جعل رؤية هذا الشاب لهذا الرجل سبباً لتخليه من ماله ورجوعه إلى الله. وكثير من القوم يدخلون الفقراء<sup>2</sup> بلا زاد ولا ركوة.

**[أقوال بعض الصوفية]:** قال معروف: "رأيت [رجلاً]<sup>3</sup> بالبادية، طيب الخلق، وضاحك

السن، قوي المشي، فقلت له: "ما معك [طعام ولا ماء!]"<sup>4</sup>، فقال: "أما تستحيي من الله أن أشغل قلبي بغيره؟!"، [فقلت: "ما تصنع]<sup>5</sup> في زادك؟"، فقال: "أما تستحيي من الله يدعوني لضيافته فيجيعني أو يظمئني؟!".

قال سري السقطي: "رأيت معروفاً في النوم [كأنه تحت]<sup>6</sup> العرش<sup>7</sup> والله تعالى يقول

للملائكة: "من هذا؟"، فقالوا: "الله أعلم"، فقال لهم: "هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق إلا بقلائي". قال السري<sup>8</sup>: كنت أطلب رجلاً صادقاً في وقت بيعض الجبال، فإذا أنا بجماعة زمنا<sup>10</sup> وعميان ومرضى، [فسألتهم]<sup>11</sup> عن حالهم، فقالوا: "هاهنا رجل يخرج في السنة مرة [فيدعو لهم]<sup>12</sup>، فيجدون الشفاء". فصبرت حتى خرج ودعا لهم، فوجدوا [الشفاء]<sup>13</sup>، فتعلقت به<sup>14</sup>، فقلت له: "بي علة باطنة، فما دواؤها؟"، فقال: "يا سري خل عني، / [90و]

1 - في (ب): "الريذة".

2 - في (ب): "القفار". وفي (د): "يدخلون البراري".

3 - في (ب): بياض مقدار كلمة.

4 - في (ب): بياض.

5 - في (ب): بياض.

6 - في (ب): بياض.

7 - في (د) حذف مقدار صفحتين.

8 - وجدت هذا النص في كتاب "جامع الأنوار في مناقب الأخيار مع اختلاف قليل لبعض الكلمات سوف أشير إليها مما ورد في نص الصباغ". كل ذلك في ص 385.

9 - في كتاب "جامع الأنوار...": رجلاً صديقاً. ينظر المرجع نفسه، ص 385.

10 - كذا في جميع النسخ. وفي كتاب "جامع الأنوار...": "وردت: زمني" بالألف المقصورة.

11 - في (ب): بياض.

12 - في (ب): بياض.

13 - في (ب): بياض.

14 - في كتاب جامع الأنوار... [فقوت أثرهم، وتعلقت به]. الجملة الأولى ساقطة من كل النسخ المعتمدة. ينظر المرجع السابق، ص 385.

فإنه غيور ولا يراك تساكناً [غيره]<sup>1</sup>، فتسقط من عينه، وما<sup>2</sup> أحد أغير من الله؛ ومن غيرته أن حرم الفواحش". ومعنى وصفه بالغيرة أنه لا يرضى بمشاركة<sup>3</sup> الغير معه فيما هو حَقُّ له من طاعة عبده.

وقال سري السقطي: "ضاقت علي نفسي يوماً فخرجت للمارستان<sup>4</sup>، فلما دخلته وجدت نفسي قد انفرجت، وزال عنها ما كنت أجده، فقلت: "يا رب، إلى هاهنا بعثتني"، فإذا بجارية عليها ثياب حسان ورائحة عطرة، وقد غُلَّت يداها إلى عنقها، وهي تقول: "أعبيدك أن تغل يدي لغير جريمة سبقت تغل إلى عنقي"، وما خانت وما سرقت، فقلت: "اللهم<sup>5</sup> ما هذا؟"، فقال: "خبل عقلها، فحبست لتصلح". فتبسمت، وأنشأت تقول: [خفيف]

مَعَشَرَ النَّاسِ مَا جُنِنْتُ وَلَكِنْ      أَنَا سَكَرَانَةٌ وَعَقْلِي<sup>6</sup> صَاح<sup>7</sup>  
أَنَا مَقْتُولَةٌ بِحُبِّ حَبِيبِي      لَيْسَ<sup>9</sup> أَبْغِي بِهِ قُرْبَانَ بَرَاجِي

فأبكاني كلامها، فلما رأت دموعي تتحدر قالت: "يا سري هذه دموعك على الصفة، كيف لو عرفته حق المعرفة"، قلت: "هذا عجب من أين عرفنتي؟"، قالت: "أهل التحقيق يعرف بعضهم بعضاً"، ثم قالت: [طويل]

<sup>1</sup> - في (ب): بياض.  
<sup>2</sup> - في "جامع الأنوار" وردت بلفظ: "ولا". المرجع نفسه. ص 385.  
<sup>3</sup> - في (أ): "بشكافية".  
<sup>4</sup> - المارستان: لفظ فارسي يفتح الراء، دار المرضى، وهو معرّب. لسان العرب ج. 14. ص 55.  
<sup>5</sup> - في (ب) و(ك): "قلت للقيم وهو الصواب".  
<sup>6</sup> - في المستطرف للأبشيبي: "وقلبي". ينظر المستطرف ج. 1. ص 221.  
<sup>7</sup> - الأبيات لجارية اسمها تحفة لمالكاها وهو تاجر. وحكايتها مع السري السقطي وما دار بينهما من شعر صوفي رائع شائق حين أراد السري السقطي عتقها من مولاها.  
<sup>8</sup> - كذا في كل النسخ. وفي المستطرف: أنا مفتونة. ينظر: المرجع نفسه ج. 1. ص 222.  
 وكان الأبشيبي قد ذكر بيتين قبل بيتي الصباغ وهما على التوالي:  
 تغل يدي إلى عنقي      وما خانت وما سرقت  
 وبين جوانحي كبد      أحس بها قد احترقت .  
 ينظر: المرجع نفسه ج. 1. ص 221.  
<sup>9</sup> - في المستطرف: جاء هذا الشطر كالاتي: لست أبي عن بابه من براح . المرجع نفسه ج. 1. ص 222.

تَحَكَّمَ مَلِيكِي كَيْفَ شِئْتَ فَمَا أَرَى      وَحَقَّكَ قَلْبِي لِدُوكَ ثَانِيَا  
تَحَقَّقْ مِنَ الْحَقِّ فِي جَوْ بَاطِنِي      فَأَصْبَحَ قَلْبِي لِلْحَبِيبِ مُصَافِيَا  
يُؤَانِسُنِي بِالْبِشْرِ عَنْهُ وَبِالرِّضَا      وَالزَّمَنِي التَّعْظِيمِ وَمِنْهُ التَّوَاقِيَا<sup>1</sup>

فقلت لها: "أراك تذكرين المحبة فلن تحيين؟"، فقالت: "لمن تعرف إلينا بآلائه، وتحبب إلينا بنعمائه، وجاد علينا بجزائل<sup>2</sup> عطائه، فهو سبحانه محبوب القلوب، كثير الصفح عن أهل الذنوب، تسمى بعظيم حلیم، ورب رؤوف رحيم". فقلت لها: "أحسنت، فقيم حُيسْتِ؟"، قالت: "قومًا عابوا عليَّ ما سمعتَ، ورُميتُ بالجنونِ، وهم أولى بهذا الاسم مني". قلت لها: "ما اسمك؟"، قالت: "دع الاسم". فقال للقيِّم: سرَّحها، قال: "نعم، وكرامة مجلها، وقال لها الشيخ: اذهبي حيث شئت فقالت: كيف وقد ملك مولاي رقي، فإن رضي ذهبت وإلا صبرت واحتسبت فقلت: هي أعدل مني، فبينما نحن كذلك إلا وجاء مولاهما مع قوم، فقال للقيِّم أين تحفة؟ فقال: دخل عليها السري الساعة، فلما رأني أعظمني، فقلت: "هي والله أولى بالإعظام<sup>3</sup>، فما تتكر من حالها؟"، قال: "كثرة فكرها وقلة شهوتها وسرعة عبرتها، وهي يا أستاذ\_ جل بضاعته ابتعتها بعشرين ألف درهم لصنعتها، وكنت آمل أن أريح فيها، مثل ما ثمنها، قلت: "وما صنعتها؟"، قال: "مطربة"، قلت: "وكم لها منذ حدث منها؟"، قال: "منذ سنة"، فقلت: "ما سببها؟"، قال: كان العود بين يديها تغني عليه هذا الشعر: [وافر]

وَحَقَّكَ لَا نَقَضْتُ الدَّهْرَ عَهْدًا      وَلَا كَدَّرْتُ بَعْدَ الصَّفْوِ وَرْدًا<sup>4</sup>  
مَلَأَتْ جَوَانِحِي وَالْقَلْبَ وَجَدًا      فَكَيْفَ أَقْرُ أَوْ أَسْأَلُو زُهْدًا<sup>5</sup>؟  
فِيَا مَنْ لَيْسَ لِي مَوْلَى سِوَاهُ      تُرَاكَ رَضِيئَتِي مَوْلَى وَعَبْدًا<sup>6</sup>

1 - الأبيات لتحفة.

2 - في بقية النسخ: "بجزيل".

3 - في (ب) و(د): "بالتعظيم".

4 - في المستطرف: ودًا. المرجع نفسه. ج. 1. ص. 222.

5 - ورد هذا الشطر في المستطرف كالاتي: ... فكيف أقرُّ ياسكني وأهدا. المرجع نفسه. ج. 1. ص. 222.

6 - في (ب) و(د): "مولاي عبدا".

فكسرت العود، وبكت بكاء شديداً، فقلت: "هكذا؟"، قالت: "نعم يا سري". فقال الشيخ: "الثلث على أن أرضاك"، فصاح: "واقراه من أين لك ثمنها؟"، فقلت: "لا تعجل حتى تكون بالمارستان حتى أرف لك ثمنها". فمضى الشيخ وعيناه تدمعان. فبينما أنا عند السحر، فإذا بقارع يقرع الباب، فقلت: "من؟"، [90ظ] قال: "حبيب من الأحباب، جاء لسبب من الأسباب، بإذن الملك الوهاب، فتحت الباب، فإذا بأحمد بن المثنى من وجوه بغداد، ومعه خمسة جواهر لا قيمة لهن فقال: "هتف بي هاتف أن أحمل هذه لسري السقطي، يدفعهن لمولى تحفة"، فسجدت شاكرة لله، فلما أصبح، قلت: "تعالى حتى تدفعها أنت من يدك ك ليد [1]مولاها".

فأقبلنا للمارستان، وإذا بمولاها يبكي فقلت: "لا بأس عليك خذ ثمنها"، فقال: "لو أعطيتني وزنها ذهباً؛ هي عندي أفضل مما طلعت عليه الشمس وما غربت"، فقلت: "ولم؟"، فقال: "يا أستاذ، وقع لي البارحة توبيخ، فأقلقني فأشهد الله أنني خارج عن جميع الدنيا". قال: "فالتفت لابن المثنى فقال: "يا أستاذ هي حرة لوجه الله"، فقلت: "ليس كلامك اليوم مثل كلامك الأمس!"، فقال لي: "يا أستاذ وقع لي البارحة توبيخ فوجدته يبكي"، فقلت: "ما يبكيك؟"، فقال: "يا أستاذ جميع ما أملك في سبيل الله فضعه حيث شئت، فأنا هارب لله"، فقلت: "ما أعظم بركتها على الجميع"، فقامت فنزعت ما عليها من الثياب العطرة، ولبست مدرعة من الصوف واختمرت بخمار من الصوف، وقالت: [مجتث]

هَرَبْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ      وَبَكَيْتُ مِنْهُ عَلَيْهِ  
وَحَقُّهُ وَهُوَ سُؤْلِي<sup>2</sup>      لَا زِلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ

ثم غابت [عني]<sup>1</sup>، فحجبت مع مولاها سنة من السنين فبينما أطوف وإذا بصوت

محزون من قلب قريح يقول: [مجتث]

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين بياض في (أ)، بمقدار كلمة.

<sup>2</sup> - كذا في كل النسخ. وفي المستطرف: "مولى". وأراه هو الصواب لاستقامة المعنى.

قَدْ شَهِدْتُ بِحُبِّكَ فَكَيْفَ لِي مِنْكَ بِقُرْبِكَ<sup>2</sup>

فتبعت الصوت فإذا بامرأة كالخيال، فسلمت علي فرددت عليها، وقلت: "من أنت؟ قالت: "لا إله إلا الله، أيقع الشك بعد المعرفة؟!، أنا تحفة"، فقلت: ولهذا صرت؟ فما الذي أفادك الحق بعد انفرادك، قالت: أنالني كل المنى، ثم قالت: يا رب هذا الذي تمنيتُ لا حاجة لي بالبقاء، وسقطت فحركتها فإذا هي ميتة. فلما رآها مولها لم يتمالك أن قال أسأل الله أن يلحقني بها غير مفتون، وكلامه يضعف حتى سقط، فحركته فإذا هو ميت، فأخذت في أمرهما فوالله ما رأيت كمشهدهما.

قال شاه الكرمانى: دخلت البادية فرأيت غلاماً أمرد كأنه موسوس لا يألف أهل الغافلة، فساعة يشير إلى السماء، وساعة يصيح، فقلت لأنظرنَّ في شأنه وأين معاشه؟ وما كان معه لا زاد ولا غطاء ولا وطاء، فراففته يوماً فدخل وسط شجر أم غيلان، فتبعته فإذا هو يجتني من شجرة شيئاً يأكله، فلما أبصرني أنشأ يقول: [رمل]

بَاعْتَرَالِي عَنكُمْ فِي الْخَلَوَاتِ صَارَ طَعَامِي الثَّمَرَ وَسَطَ الْفَلَوَاتِ

قال سهل بن عبد الله: رأيت مغربياً وبين يديه مناد ينادي ويقول: "من أصاب هيماناً<sup>3</sup> فله ألف دينار"، فإذا بأعرج وعليه أطمار رثة، قال له: "ما علامته؟"، فقال: "علامته كذا وكذا، وفيه بضائع لقوم، فتتحوا عن الطريق"، فقال له: "أخبرني بجميع ما فيه"، فعرفه بذلك كله فوجده كما ذكر فدفعه له فقال له: "خذ الألف التي جعلتها لك بشارة على وجدانه"، فقال الأعرج: "لو كان قيمة الهيمان عندي بعرتين ما كنت تراه فكيف آخذ منك ذلك". فمضى وتركه.

<sup>1</sup> - ما بين المعوفين ساقط من (أ).

<sup>2</sup> - الأبيات كلها للجارية المتسكة "تحفة".

<sup>3</sup> - كذا في (أ)، وفي (ب) و(د) و(ك): "هميانا".

قال عبد الله الأقطع: «حجبت على فرد قدم، فلما بلغت المسجدين وقع في سري أنه لم يحج مثلي،/ [90و] فإذا أنا بمقعد يحبو، فوقفت عليه أتعجب منه، فقال لي: "ما لك تتعجب من قوي يحمل ضعيفا؟!".».

وسئل الخواص عن أعجب ما رأى في تروده لمكة قال: «رأيت رجلاً أقطع اليدين والرجلين، وعليه من البلاء أمر عظيم، وهو يزحف زحفا فتحيرت منه فسلمت عليه، فقال: "وعليك السلام يا إبراهيم"، فقلت: "وبم عرفتي؟!"، قال: "الذي جاء بك عَرَفَ بيني وبينك"، فقلت له: "أين تريد؟"، قال: "مكة إن شاء الله"، فبقيت متعجبا أنظر إليه، فنظر إلي شزراً، وقال: "أتعجب من قوي يحمل ضعيفا ويرفق به"، ثم دمعت عيناه فتركته على حاله، فلماً وصلت مكة رأيت في المطاف يزحف».

فإذا علم العبد أن مولاة رحيم به ومعتطف عليه، وناظر إليه فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي أن لا يكثر بذلك ولا يباليه، ويعتقد أن ذلك اختيار الله له، وأن له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها إلا هو؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

قال أبو طالب المكي في هذه الآية: «فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضّر، وهو خير له في الآخرة. وقد يحب الغنى والعوافي والشّهوات وهو شرّ له عند الله. وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾<sup>(3)</sup> قيل: ظاهره العوافي وباطنه البلوى؛ لأنه نعمة الآخرة، فإذا كل ما يصيب الإنسان المؤمن فهو نعمة كائنًا ما كان. وفي التّوير: «إنما يُقَوِّبُهُمْ عَلَى تَحْمُلِ أَقْدَارِهِ شُهُودٌ حَسَنُ اخْتِيَارِهِ».

<sup>1</sup> - تكرار ترقيم الورقة 90 كما هو في (أ)، ناتج ربما عن سهو الناسخ.

<sup>2</sup> - سورة البقرة، من الآية: 216، وتمامها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

<sup>3</sup> - سورة لقمان، من الآية: 20، وتمامها: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾.

قال الجنيد: "كنت نائمًا عند سري السَّقْطِي فقال لي: "رأيت كأنِّي قد وقفت بين يديه فقال لي: "يا سري خلقت الخلق فكلهم ادَّعَوْا محبتي، وخلقت الدنيا فهربت مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر، وخلقت الجنة وهرب مني تسعة أعشار العشر، وبقي معي عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء، فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر، فقلت للباقيين معي: «لا الدنيا أردتم، ولا الجنة أخذتم، ولا من النار هربتم، فماذا تريدون؟»، فقالوا: "إنك تعلم". فقلت: «إني مسلط عليكم من البلاء بقدر<sup>1</sup> أنفاسكم، ما لا تقوم له الجبال الرواسي، أتصبرون؟»، قالوا: "إذا أنت المبتلي فافعل ما شئت"، فهؤلاء عبادي حقا. فإذا كمل نظر العبد وقوي بصره رئي فيما يصيبه من البلايا والمحن والرزايا مصالح وفوائد ما لا يحصى، وما غاب عنه أكثر.

وكان عمر بن الحصين قد استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد، حتى نُقِبَ له على سرير من جديد لغائطه وبوله. فدخل عليه أخوه العلا فجعل يبكي لما رأى من حاله، فقال: "لم تبكي؟"، قال: "لأنِّي أراك على هذه الحال العظيم<sup>2</sup>". قال: "لا تبك؛ فإن أحبَّ إليَّ أحبُّه إلى الله تعالى". ثمَّ قال: "أحدثك بشيء لعل الله ينفعك به، واكنم عليَّ حتى أموت: إن الملائكة تزورني فأنس بها، وتسلم علي فأسمع تسليمها". وقد قيل: "لا يخلو المؤمن من علة أو عيلة أو ذلة".

والحكايات عن القوم في صبرهم ورضاهم بأحكام مولاهم كثيرة. روى عبد الرحمن ابن يزيد أنه خرج مع بعض إخوانه لناحية من نواحي البصرة، فأواهم السير إلى كهف في جبل فإذا فيه عبد أسود مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا، فقالوا له: يا هذا لو دخلت البصرة فتعالج من هذا الذي بك، فرفع طرفه للسماء وقال: يا سيدي بأي ذنب سلطت علي

<sup>1</sup> - في (ب) و(د) بعدد".

<sup>2</sup> - الأصح: "هذه الحال العظيمة" الحال تَوْنَتْ. قال أبو الطيب المتنبّي: عيد بأية حال عدت يا عيد.

هؤلاء ليسخطوني عليك، ويكرهوا إلي سيدي، لك العتبي من ذلك الذنب، وأستغفرك منه لا أعود فيه أبداً، ثم أعرض عنا بوجهه، فانصرفنا وتركناه.

[90ظ] قال بشر الحافي: "رأيت بعبدان رجلاً قد قطعه البلاء، وقد سألت حدقته على خديه، وهو في ذلك كثير الذكر، عظيم الشكر لله تعالى، وإذا هو قد صرع من جنة به، قال: "فوضعت رأسه في حجري، وجعلت أسأل الله تعالى أن يكشف ما به وأدعو، فأفاق وسمع دعائي"، فقال: "من هذا الفضولي الذي يحول بيني وبين ربي، ويتعرض عليه في نعمته علي"، ونحى رأسه من حجري. قال بشر الحافي: "فاعتقدت أن لا أعترض على عبد في نعمة أراها عليه".

وفي بعض الأخبار أن يونس وجبريل \_عليهما السلام\_ التقيا، فقال يونس: "دلني على أعبد أهل الأرض"، فأتى به إلى رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه، وإذا به يقول: "متعتني بهما حيث شئت، وسلبتنيهما حيث شئت، وأبقيت لي فيك الأمل يا برُّ يا \_ وصول". فقال يونس: "يا جبريل، إنما سألت صواماً قواماً"، فقال: "إن هذا كان قبل البلاء هكذا، وقد أمرت أن أسلبه بصره، فأشار لعينيه فسألنا على خديه"، فقال: "متعتني بهما حيث شئت، وسلبتنيها حيث شئت، وأبقيت لي فيك الأمل يا برُّ يا \_ وصول". فقال جبريل: "هلم تدعو وتدعو معك أن يرد الله عليك يديك ورجلك وبصرك فتعود للعبادة التي كنت فيها". فقال: "مَا أَحِبُّ ذَلِكَ"، قال: "وَلِمَ؟"، قال: "إذا كانت محبته في هذا بصحبته أحب إلي من ذلك". قال يونس: "يا جبريل، تالله ما رأيت أحداً أعبد من هذا!"، قال جبريل: "يا يونس، إن هذا طريق ليس يوصل إلى رضاه بشيء أفضل منه".

وجاء: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباها، وإن رضي اصطفاها»، وبذلك يحصل له كفاة الذنوب والخطايا، ويستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا، ولا سبيل له بذلك إلا بما يردُّ عليه من أنواع البلايا.



وذكر ابن العريف في كتابه المسمى "مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الإرادة" أنه: «كان بالمغرب رجل يدعى أبا الخيار جاوز سنه التسعين، وهو في الرِّقِّ لم يعتقه مولاه، وذلك مِنْهُ عَلَى قَصْدٍ وَاخْتِيَارٍ، وَعَمَّ جَسَدَهُ الْجَذَامُ، وَرَائِحَةُ الْمَسْكَ تَوْجَدُ مِنْهُ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ. قَالَ الَّذِي حَدَّثَنِي: «رَأَيْتَهُ يَصْلِي عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ لَقِيتُ بَعْدَهُ مُحَمَّدًا الْإِسْتِجِي، فَإِذَا هُوَ أَبْرَصٌ، فَقُلْتُ لَهُ: "يَا سَيِّدِي كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجِدْ لِلْبَلَاءِ مَحَلًّا مِنْ أَعْدَائِهِ حَتَّى أَنْزَلَهُ بِكُمْ، وَأَنْتُمْ خَاصَّةٌ أَوْلِيَاءَهُ، فَقَالَ لِي: اسْكُتْ، لَا تَقُلْ كَذَلِكَ، إِنَّهُ لَمَّا أَشْرَفْنَا عَلَى خَزَائِنِ الْعَطَاءِ لَمْ نَجِدْ عِنْدَهُ شَيْئًا أَشْرَفَ وَلَا أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ، فَسَأَلْنَاهُ إِيَّاهُ، وَكَيْفَ بَكَ لَوْ رَأَيْتَ سَيِّدَ الزُّهَادِ وَقَطَبَ الْعِبَادِ وَإِمَامَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَوْتَادِ فِي غَارِ بَارِضِ "طَرْسُوسٍ" وَجِبَالِهَا، لَحْمَهُ يَتَنَاقَرُ وَجَسَدَهُ يَسِيلُ قَيْحًا وَصَدِيدًا، وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الذَّبَابُ وَالنَّمْلُ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ لَمْ يَقْنَعْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ عَلَى مَا أَعْطَاهُ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَأَسْكَنَ جَسَدَهُ مِنَ الْعَاقِبَةِ حَتَّى يَشُدَّ نَفْسَهُ بِالْحَدِيدِ، وَيَسْتَقْبِلُ الْقَبْلَةَ عَامَةً لَيْلِهِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ».

ومن اللطائف: "كان أبو العباس المرسي من الثابتين في مركز الصبر، وكانت به أمراض عدة، لو وضع بعضها على الجبال الرواسي لذابت، كان به برد الكلا والحصا، واثنًا عشر باسورا وهو يجلس لا يقطع الجلوس لهم، ولا يعلم الجالس عنده أن به شيئاً من الأمراض، فقالت زوجة "القرشي": "خرجت من عند الشيخ \_تعني "الشاذلي" \_، ولم أترك عنده أحداً"، فسمعت عنده رجلاً يكلمه، فوقفته حتى انقطع كلامه، ثم دخلت فقلت: يا سيدي، خرجت وما كان عندك أحد، والآن سمعت كلاماً عندك، فقال: الشيخ الخضر أثناني بزيتونة/ [91] من أرض نجد فقال: "كلها ففيها شفاؤك"، فقلت: "اذهب أنت وزيتونتك، لا حاجة لي بها". وكان الشيخ به داء الجذام. فانظروا \_رحمكم الله\_ كيف كانت أحوال القوم وصبرهم ورضاهم، ومع ذلك لم يقنعوا من أنفسهم إلا بالجد والتشمير.

قال الحسن البصري: «أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أقبض منكم على دنائيركم ودراهمكم»؛ يقول: "كما لا يُخْرِجُ أَحَدُكُمْ دِينَارًا وَلَا دَرَهْمًا إِلَّا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ، فَكَذَلِكَ لَا

يجوز أن تَخْرَجَ ساعةً من أعمارهم إلا فيما يعود عليهم [نفعه]. وقال السري السقطي: خرجت من بغداد إلى عبدان لأصوم بها رجب وشعبان فاتفق لي في طريقي أن لقيت علياً الجرجاني<sup>1</sup> وكان من الزهاد الكبار\_ فدنا وقت إفطاري، وكان معي ملح مدقوق وأقراص. فقال لي: "ملحك مدقوق ومعك ألوان من الطعام لم تغلج، ولن تبلغ سنن المحبين". فنظرت لمزود كان معه فيه سويق الشعير، فسف منه فقلت: "ما دعاك لهذا؟"، فقال: "إني حسبت ما بين السف والمضغ سبعين تسبيحة، فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة". هكذا وإلا فلا قطع \_والله\_ القوم العلاقات وفارقوا العادات، وتغربوا عن الأوطان والجهات، وهجروا الكرامات<sup>2</sup>، ونبذوا الشهوات، وجلسوا مع الله على بساط الفقر والفاقات. يا فقير من نفقت سوق دينه كسدت سوق حظوظه، وأنت يا مرجول ما أولى بك أن تربط مع العجول.

وفي الخبر: «ما من ساعة تأتي على العبد ولم يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة». ويقال: "إن العبد تُعْرَضُ عليه ساعاته في اليوم والليلة، فيراها خزائن مصفوفة أربعاً وعشرين خزانة، فيرى في كل خزانة نعيماً ولذة وعطاء وجزاء؛ لما كان أنواع خزائنه من ساعاته في الدنيا من الحسنات، فيسره ذلك، ويغتنب به. فإذا مرت به من الدنيا ساعة لم يذكر الله تعالى فيها رآها في الآخرة خزائن فارغة، لا عطاء فيها ولا جزاء عليها، فيسوءه ذلك، ويتحير؛ كيف فاته حيث لا يذكر فيها شيئاً. فيرى جزاءه مدخوراً، ثم يلقي في نفسه الرضا والسكون. وأساس هذا الشأن [على]<sup>3</sup> الجِد والاجتهاد وقطع المألوفات والاعتیاد".

قال الدقاق: «بلغني عن الشبلي أنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم». وقالوا: «لو كانت النبوءة تنال بشدة المجاهدة وكثرة العبادة لنالها الشبلي». وطريق الأولياء لا تدرك بالهويناء، فمن جَدَّ وَجَدَّ. جاهد القوم أنفسهم بالصيام حتى ألفوا

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "القرابات"

<sup>3</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و(د).

الجوع، فمنهم من يقتات<sup>1</sup> بشيء من المنبذات<sup>2</sup>، ومنهم من يقتصر على مباحات نبات الفحوص وتكفيه ومنهم من يطعمه الله سبحانه ويسقيه من كونه وخزائن أرزاقه، أو يسخر له طائراً أو وحشاً عند احتياجه لمأكل.

وذكروا أن واصل الأحذب قرأ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(3)</sup>، فقال: "رزقي في السماء، وأنا أطلبه في الأرض!، والله لا طلبته أبداً". وجاء رجل لحاتم الأصمّ فقال: "من أين تأكل؟"، فقال: "من خزائن الله"، فقال: "أيقع عليك خبز من السماء؟"، قال: "لو لم تكن الأرض له لكان يقع من السماء"، فقال: "أنتم تعرفون الكلام"، فقال: "إنه لم ينزل من السماء إلا الكلام"، قال: "أنا لا أقوى على مجادلتك". فقال: "إن الباطل لا يقوى على [الحق]"<sup>4</sup>.

وأحوال القوم في مقدار المواصلة مختلفة، فمنهم من كان يواصل شهراً، ومنهم من يواصل أسبوعاً. قال سيدي أبو مدين: "رأيت من واصل ستّة أشهر" / [91ظ].

والحكايات كثيرة عن القوم في هذا المعنى. كان سهل بن عبد الله يصبر على الطعام سبعين يوماً. وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوي، وإذا دخل عليه رمضان لا يأكل حتى يرى هلال شوال، ويفطر كل ليلة على الماء القراح. وكان إذا دخل رمضان أمر زوجته أن تطين عليه البيت وتلقي له كل يوم رغيفا من كوة، ففُتِحَ عليه في العيد فوجدتاً لا رغبة كلها ما أكل ولا شرب ولا نام ولا فاتته ركعة.

قال المغربي الرباني لا يأكل إلا في أربعين يوماً والصمداني في ثمانين يوماً. وجاء أن أبا ذر اكتفى بماء زمزم أربعين يوماً. فإن قلت: "إن تلك بركة النبي ﷺ!"، قلنا: "إن بركته لم تنقطع بموته".

<sup>1</sup> - في باقي النسخ: "يقيت نفسه".

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ. ولعله يقصد به النبيذ، أي العصير. جاء في لسان العرب: نبذت التمر والعنب إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً فصرف من مفعول إلى فعيل. لسان العرب، ج14/ص174.

<sup>3</sup> - سورة الذاريات، الآية: 22.

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

قالوا: "إن بعضهم راض نفسه حتى أوقفها على ثلاث تمرات، وثلاث جرعات ماء، وبعد فطره ليلة بذلك ورد عليه بعض بدلاء وقته، فقدم له [طعاماً]<sup>1</sup>، ونال منه يسيراً تنشيطاً له، فتقل بذلك بطنه، فنام ليلته عن ورده فرأى في نومه رجلين عليهما ثياب بيض وبيد أحدهما بطاقة وهو جالس جلسة مهموم، فقال الآخر: "ما لي أراك كئيباً؟"، قال: "كتب ربنا هذه الليلة أربعين صكا بالعتق من النار لأربعين ولياً من أوليائه، وأمر أربعين ملكاً من ملائكة الحجب أن يهبطوا إليهم، فكنت ممن هبط لهذا النائم فوجدته قد ملأ بطنه، ونسي ربه، فاكتأبت لما حرم من ثواب هذه الليلة، فاستيقظ مرعوباً على ما فاتته من ثواب ورده أسفاً".

**[التحذير من الشيطان]:** والمجاهدة على أقسام: منها مجاهدة القلب، فبالقلب يدفع الخواطر الفاسدة، ويرد الوسوسة بذكر الله والاستعاذة به، فإن ما من أحد إلا ومعه شيطان؛ قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾<sup>(2)</sup> الآية. أخبر تعالى أنه سيعصم منه عباده الذين استخلصهم لنفسه؛ إذ لا سلطان له على أحد، ولا تسليط ولا حجة، والحجة لله، والمقدور له، وفعل إبليس لا تأثير له إلا إظهار العلامة على حكم الله في العبد؛ إذ المقدور بالقدرة الحادثة لا يتجاوز محل القدرة، وأحوال إبليس وجنوده مع الأولياء والصالحين والعباد ومراجعتهم معه كثيرة.

قيل: "أَيَّنَامُ إِبْلِيسُ؟"، قال: "لو نام لوجدنا راحة". وممن أجاره الله من الشيطان على لسان الرسول \_ عليه الصلاة والسلام \_ عُمَرُ. وقال لِعُمَرَ: «ما جزت فجا إلا وجاز الشيطان فجا غير فحك هذا». وهو حسنة من حسنات أبي بكر. وأما عثمان وعلي رضي الله عنهما \_ فمعصومان منه، ما نظر قط إليهما، ولا دار حولهما. ولقد كانت أبوابهما مسدودة عنه وخيله ورجله مهزومة دونهما.

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - سورة الإسراء، الآية: 64، وتامها: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْهَدُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

قال ابن العربي: «قد يتفق أن يكون معشر المریدین بینکم وبينه حجاب، فقد جاء: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له» الحديث، كانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسي. ما كف إبليس عن القلوب العارفة إلا سطوة ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾<sup>1</sup>.

قال سيدي أبو العباس المرسي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾<sup>(2)</sup>: فقومٌ فهموا منه أنهم أمرؤا بعبادَةِ الشَّيْطَانِ؛ فَشَغَلَهُمْ ذلك بمحبَّةِ الحبيب. وقومٌ فهموا ذلك أن الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ وأنا لَكُمْ حبيبٌ فاشتغلوا بمحبَّتِهِ فكفاهم من دونه.

وقال أبو حازم: "مِنِ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُهَابَ؟! وَاللَّهِ لَقَدْ أُطِيعَ فَمَا نَفَعَ، وَلَقَدْ عُصِيَ فَمَا أَضَرَ". قال الدَّارَانِيُّ: "ما خلق الله خلقاً أهونَ عليَّ من إبليس، ولولا أَنَّهُ/ [92و] أمرنا أن نتعوذ منه ما تعوذت أبداً. وقيل لبعض العارفين: "كيف مجاهدتك الشيطان؟"، فقال: "وما الشيطان؟!؛ نحن قوم صرفنا هممنا إليه، فكفانا من دونه".

قال الشيخ سيدي عبد القادر: «أتاني مرة شخص كرهه المنظر منتن الرائحة، وقال: "أنا إبليس أتيتك لأخدمك، فقد أعيبتني وأعييت أتباعي"، فقلت له: "اذهب فأبى فجاءته يد من فوقه، وضربت أم رأسه فغاص في الأرض، ثم أتاني ثانية بشهاب من نار يقاتلني به، فأتى رجل ملتئم راكب فرسا أشهب، وناولني سيفاً، فنكص إبليس على عقبيه. ثم رأيتة ثالثة على البعد مني يبكي ويحث التراب على رأسه قائلاً: "قد أيست منك يا عبد القادر"، فقلت: "اخساً يا لعين، فأنا لا أزال حذراً منك". قال: "هذه أشد علي"، ثم كشف لي عن أشراك كثيرة ومصايد ومخاتل حولي. فقال لي: "هذه أشراك الدنيا التي نصيد بها مثلك". فعملت في أمرها سنة حتى تقطعت كلها».

<sup>1</sup> - سورة الحجر، جزء من الآية 42. وتامها: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾. ويحتمل أن تكون الآية 65 من سورة الإسراء ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۖ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾. لتشابه الآيتين في الجزء الأول منهما.  
<sup>2</sup> - سورة فاطر، من الآية: 6، وتامها: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

رُوِيَ عن وهب بن منبه أن رجلاً من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل ستة أيام فسأل الله تعالى أن يوريه كيف تغوي الشياطين الناس. فلما طال عليه ذلك، ولم يوجب قال: "لو أطلعت على خطيئتي [وذنبني]<sup>1</sup> وبين ربي لكان خيراً لي من هذا الذي طلبته"، فأرسل الله إليه ملكاً فقال له: "إن الله تعالى أرسلني إليك وهو يقول لك: «إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلي مما مضى من عبادتك»، وقد فتح الله بصرك، فانظر فانظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض، وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين<sup>2</sup> معه كالذباب"، فقال: "أي ربي من ينجو من هذا؟"، قال: "الورع<sup>3</sup> اللين". انتهى من سيدي موسى بن عيسى المذكور رحمه الله.

**قلت:** وقد روي «أن على رأس إبليس الشيخ اللعين تاجاً عظيماً فإذا اجتمع عليه الشياطين يقول لهم: "أين فيكم صاحب هذا التاج؟" فيقول كل واحد [منهم]<sup>4</sup> أنا صاحبه، فيقول لهم صاحبه من عمل خصلة عظيمة، فيقول واحد منهم: "ما جئت حتى زنى فلان"، فيقول: "ليس هذا من الكبائر؛ الزاني يتوب ويرجع". ويقول آخر: "ما جئت حتى شرب فلان الخمر"، فيقول له: "يتوب ويرجع على الخمر". ويقول آخر: "ما جئت حتى سرق فلان"، فيقول له: "يتوب ويرجع على السرقة". فيقول آخر: "ما جئت حتى شتم فلان والده"، يقول له: "يتوب ويرجع على الشتم". ويقول الآخر: "ما جئت حتى طلق فلان زوجته"، يقول له: "يردها". ويقول آخر: "ما جئت حتى قتل فلان فلاناً"، فيقول: "أنت صاحب التاج"، فيأخذ اللعين التاج من على رأسه، ويضعه على رأس هذا ويقول له: "أنت صاحب الخصلة العظيمة"<sup>6</sup>، انتهى من "البستان".

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - في باقي النسخ: "الشيطان".

<sup>3</sup> - في (أ): جاءت "الوارع". وفي باقي النسخ: "الورع". وهو الأصح، فاثبتناه.

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): هذا ليس من الكبائر! اختلاف ترتيب ملفوظات الجملة.

<sup>6</sup> - الحديث رواه مسلم في صحيحه بهذا المعنى، تحت رقم 2813/ج17، باب تحريش الشيطان، وبعث سراياه لفتنة الناس. ص133.

وقال في الكتاب المسمى بـ "زهر الأكمام في قصة يوسف عليه السلام": لما أبعد الله إبليس وطرده ونزل إلي الأرض هو آدم ﷺ قال: "يا رب أنزلتني إلى الأرض، وجعلتني شيطاناً رجيماً، وسلطت علي آدم وذريته فاجعل لي سلطاناً"، فقال الله: «لا يولد لآدم ولد إلا ولد لك اثنان»، قال: "يا رب زدني"، قال: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ<sup>1</sup> وَالْأَوْلَادِ<sup>2</sup>﴾<sup>(2)</sup>، قال: "يا رب زدني"، قال: «صدورهم لك مساكن»، قال: "يا رب زدني"، قال: «تجري منهم مجرى الدم»، قال: "يا رب اجعل لي طعاماً"، قال: «ما لم يذكر اسمي عليه»، فقال: "فاجعل لي شراباً"، قال: «كل مسكر»، قال: "فاجعل لي بيتاً"، قال: «الحمام»، قال: "فاجعل لي مسجداً"، قال: «الطرق والأسواق»، قال: "فاجعل لي مصيداً"، قال: «النساء»، قال: "فاجعل لي مؤذناً"، قال: «المزمار»، قال: "فاجعل لي قرآناً"، قال: «الشعر».

قال آدم: "يا رب أنزلتني إلى الأرض، وسلطت علي إبليس فاجعل لي سلطاناً"، قال: «لا يولد لك ولد/ [92ظ] إلا وقلت به ملكين يحفظانه»، قال: "يا رب زدني"، قال: «الحسنة بعشر أمثالها وأزيد، والسيئة بواحدة وأغفر»، قال: "يارب زدني"، قال: "باب التوبة [مفتوح]<sup>(3)</sup>". انتهى<sup>4</sup>. [ثم قال سيدي موسى المذكور: «(قال أبو سعيد الخراز)<sup>5</sup>: «رأيت إبليس في النوم (وهو يروغ<sup>6</sup> عني ناحية)<sup>7</sup> فقلت له: [8] [تعال، مالك؟] فقال: "أي شيء أعمل

<sup>1</sup> - في (ب): وردت "المال" ثم صححت على الهامش هكذا (الآية، في الأموال).

<sup>2</sup> - سورة الإسراء، من الآية: 64، وتامها: ﴿وَاسْتَفْرِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْذُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (د). ساقط في (أ) و(ب) و(ك). وبعدها بياض أُشير إليه في الهامس في كل نسخة بعبارة: البياض كله في الأصل.

<sup>4</sup> - كذا في (ب). وفي باقي النسخ ساقطة.

<sup>5</sup> - ما بين القوسين ساقط من (د).

<sup>6</sup> - في (د): "يروغ".

<sup>7</sup> - عبارة ساقطة من (أ). وفي (د): "يروغ".

<sup>8</sup> - ما بين المعقوفين بياض في كل النسخ.

<sup>9</sup> - بياض في كل النسخ.

بكم أنتم طرحتم عن أنفسكم ما أخادع به الناس؟!»، [فقلت: "وما هو؟"]<sup>1</sup>، قال: "الدنيا، غير أن لي فيكم لطيفة"، قلت: "ما هي قال صحبة [الأحداث]"<sup>(2)</sup>».

ثم قال سيدي موسى المذكور: «يا فقراء، الشيطان لا يدور بأحد، ولا يحوم حول داره، إلا أن يرى أنه ينال منه غرضاً، فلا نجاة من غوائله وحبائله إلا بالاستجارة بالله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾<sup>(3)</sup>، فعداوة الشيطان لك أيها المرید نعمة عظيمة من الله عليك ومقتضاها أن يبذل جهده في محاربتك بنفسه وبجهده وبخيله ورجله، ولا طاقة لك على مدافعته بنفسك؛ لضعفك وعجزك، فيضطرك<sup>(4)</sup> ذلك إلى الاستعانة عليه بمولاي القوي، فيوجد منك حينئذ الالتجاء إليه، والتوكل عليه في دفع شره ومكره عنك. فعداوته هي التي رذك الله بها إليه. فهذه غاية المقصود، فعلى المرید أن يعرف قدر هذه النعمة فيتوكل على مولاه في الاستعانة على عدوه ويعتقد أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده ووسعه، بل بفضل ربه وواسع طوله. فمن تحقق بالصفة<sup>5</sup> العلية من الإيمان بالله تعالى والعبودية له[...]<sup>6</sup> والتوكل عليه والملجأ والافتقار إليه والاستعاذة والاستجارة به كيف يكون لعدو الله عليه سلطان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾<sup>(7)</sup>، وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين بياض في (د).

<sup>2</sup> - بياض في (كل النسخ) بمقدار كلمة وهي: "الأحداث". وقد استدركنها من كتاب أبي سعيد الخراز. ديوان أعلام التصوف. موقع الكتروني. أحلى منتدى. ahlamontada.com.

<sup>3</sup> - سورة فاطر من الآية: 06، (سبق إتمامها).

<sup>4</sup> - كذا في (ب) و(د)، وفي (ا) و(ك): فيضرك.

<sup>5</sup> - في باقي النسخ: "الصفات".

<sup>6</sup> - نقصان صفحتين من (ب). أي الورقة 142. (وجه، وظهر).

<sup>7</sup> - سورة الإسراء، الآية: 65.

<sup>8</sup> - سورة النحل، الآية: 99.



قال مالك بن دينار: «يراك ولا تراه لشديد المؤونة؛ إلا من عصمه الله منه». وقال بعضهم: «لكل أحد من الناس وسواس موكل مستوطن قلبه واقع<sup>1</sup> خرطومه عليه، فإذا غفل العبد وسوس، وإذا ذكر الله خنس»، أي: تأخر، ومن أهمل ذلك وغفل عنه غلبه لا محالة لثبوت سلطنته عليه ووصوله بالوسوسة التي بها يتسلط على الإنسان لا توجد منه غفلة ولا فترة ولا ضلال<sup>2</sup>، لا سيما إذا تلبس العبد بالصلاة التي هي أشرف أصول الدين حتى (يصيبه ثم صلى)<sup>3</sup>؛ فإنه جاء: «ينفر من الآذان والإقامة»، وإذا تهيأ العبد للصلاة جاءه وقال: "اذكر كذا وكذا"، حتى يوقعه في السهو والغفلة، وقد علمت أن ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل [منها]<sup>4</sup>.

**[فضل الصلاة]:** قال أبو طالب المكي: حدثت أن [المؤمن]<sup>5</sup> أعارف إذا توضعاً للصلاة نفرت<sup>6</sup> عنه الشياطين [في أقطار الأرض خوفاً منه؛ لأنه]<sup>7</sup> يتأهب للدخول على الملك. فإذا كبر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه سرادق ينظر<sup>8</sup> إليه، وواجهه الجبار بوجهه. فإذا قال: "الله أكبر" اطلع الملك على قلبه، فإذا ليس فيه أكبر من الله. فيقول الملك: "صدقت الله في قلبك كما تقول". فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش، فينكشف له ما في ملكوت السموات، ويكتب له حشو ذلك النور حسنات. قال: وإن الغافل الجاهل إذا قام للوضوء احترشته<sup>9</sup> الشياطين كما تحترش الذباب على قطعة العسل. فإذا كبر اطلع الملك على قلبه، إذا كان شيء في قلبه أكبر من الله عنده، فيقول: "كذبت، ليس الله في قلبك كما

1 - في (د) و(ك): "واضع" وهو الأصح.

2 - في (د): "عن التوسوس والإغراء والإضلال". وفي (ك): "لا توجد قليلة ولا كثيرة عن الإغراء...".

3 - في (د): "حتى ينسيه كم صلى". وهو الصواب.

4 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

5 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

6 - في (د): "فرت".

7 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

8 - بياض في (د).

9 - في (د) احتشوته... كما يستوحش الذباب. وفي (ك): احتوشته... كما تحتوش. وربما يقصد المؤلف "احترش" وهو من التحريش، ومعناه: التحريض.

نقول". قال: فيثور من قلبه دخان يبلغ عنان السماء، فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت. قال: فيرد ذلك الحجاب صلاته، وتلتقم<sup>1</sup> الشياطين من قلبه ولا تزال تنفخ فيه/ [93و] وتوسوس إليه، وتزين له حتى ينصرف من صلاته وهو لا يعقل ما كان فيها. فاقتد في صلاتك بالخشعين لا<sup>2</sup> بالغافلين؛ فإن الصلاة أم العبادات ورأس الخيرات، وهي طهارة للعبد<sup>3</sup> من أدناس الذنوب، واستفتاح لباب الغيوب، فإن القلوب إذا نظرت<sup>4</sup> وتزكت رفع عنها الحجاب والأستار، فرأت ما غاب عنه [من الأسرار]<sup>5</sup>، وإن الصلاة محل المناجاة، ومعدن المصافاة. تتسع فيها [ميادين]<sup>6</sup> الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، فيكون قلبك نوراً [على نور]<sup>7</sup>. يا فقراء الصلاة أجّل ما يتحف الله به عباده ويهديه [إليهم]<sup>8</sup>. فقد جاء: «ما أوتي عبد في الدنيا خير من أن يؤذن له في ركعتين يصليهما».

قال أبو سليمان الدراني: «لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت ركعتين، لأنني في الفردوس بحظي، وفي الركعتين بري». فبالصلاة تحصل لهم الخلوة مع ربهم والانفراد والمجالسة والانقطاع إليه، وفيها تكون المناجاة والمعافة. قال \_عليه الصلاة والسلام\_: «وَجُعِلَتْ قِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»؛ وما ذلك إلا لشهوده فيها جلائل مشهودة، وهو \_عليه الصلاة والسلام\_ لا تقر عينه بغير ربه، فكيف وهو يدل على هذا المقام، ويأمن به من سواه بقوله: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»!، ومحال أن يراه ويشهد معه سواه. فالصلاة عماد الدين، وأول شيء فرض الله على المؤمنين. وهي إقبال الله على العبد ليقبلوا إليه في صورة العبيد: فالتكبير تسليم، والثناء والتلاوة تذلل، والركوع تخضع، والسجود تخشع، والجلوس

1 - كذا في جميع النسخ.

2- في (د): "ولاتكن من الغافلين".

3 - في (د): "طهارة القلوب".

4 - كذا في (ا) و(ك). أما في (د): "تطهرت". وهو الصواب.

5 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

6 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

7 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

8 - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

ترغب، والتشهد تملق. قال محمد بن علي الترمذي: «فإقبال العبد بهذه الصور ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتقبل والتكريم والتقرب. فليس شيء من أمر الدين أعظم من الصلاة». ولهذا روي عنه \_ عليه الصلاة والسلام \_ إنها «عِمَادُ الدِّينِ»<sup>(1)</sup>، وعنه \_ عليه الصلاة والسلام \_: «لا يزال الله مقبلاً على العبد بوجهه ما دام في الصلاة». وعنه \_ عليه الصلاة والسلام \_: «إذا قام العبد للصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه، وواجهه بوجهه، وقامت الملائكة من لدن منكبیه إلى الهواء يصلون بصلاته، ويؤمنون على دعائه». فلا تكن من الغافلين، فتسخر بعبادتك الملائكة<sup>2</sup>.

وجاء أن من أذن في فلاة من الأرض صلى خلفه أمثال الجبال من الملائكة، فأقدروا \_ وفقكم الله \_ النعمة<sup>3</sup> حق قدرها حيث تكون ملائكة الرحمن تأتم بصلاتكم. جاء: «إن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء لمفرق رأسه، ويناديه مناد: "لو يعلم المناجي من يناجي ما انفلت من صلاته"»، وأن أبواب السماء تفتح للمصلي. وأن الله تعالى يباهي ملائكته بصوف المصلين.

وقال سيدي محمد بن علي الترمذي: «دعا الله تعالى الموحدين لهذه الصلوات الخمس رحمة منه، وهياً لهم فيها ألوان الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطايها، والأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة. وهي عرس الموحدين، هياًها لهم رب العالمين. فأهل رحمته عليهم كل يوم خمس مرات؛ حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار». انتهى.

<sup>1</sup> - الحديث ضعفه معظم علماء الحديث. وجاء في الموطأ بلفظ آخر وفيه: «عن هشام بن عروة عن أبيه أن المسور ابن مخرمة أخبره أنه دخل على عمر بن الخطاب من الليلة التي طعن فيها فأيقظ عمر لصلاة الصبح، فقال عمر: نعم ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فصلى عمر وجرحه يثعب دماً». الحديث رقم 79 متن موطأ الإمام مالك على رواية يحيى بن الليثي: دار الكتب الجزائر. 1985م. ص 26.

<sup>2</sup> - في (د): "فتسخر بعبادتك الشياطين".

<sup>3</sup> - في (د): "الملائكة".

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، ما تقول ذلك يبقي من درنه شيئاً؟»، قالوا: «لا يبقي من درنه شيئاً». قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا<sup>1</sup>».

وقال ابن العربي في "سراجه": «لا يتقرب العبد من ربه بشيء أفضل من الصلاة؛ فإنه يستقبله فيها ويناجيه، وأي شيء أعظم من المناجاة<sup>2</sup> والاستقبال، وهي خصيصة/ [93ظ] موسى عليه السلام، وشرف محمد، وحالة يونس، وملجأ أيوب، ودعوة سليمان، وتوبة داود؛ وبذلك سميت الأعمال الصالحات قربات. ولن يفرج الكربات إلا القربات، ولا تكون قرية إلا بنية». وقال أيضاً في "سراجه": «واعلموا معشر المریدين أن الصلاة إن لم تكن بقلب ونية، وتقام بالسر والجهر كانت مردودة على صاحبها؛ فإنها ناقصة في ذاتها. ولو نقص شرط من شروطها لكانت ناقصة، فكيف إذا ذهب روحها. ولو أن عبداً يخدمك وقلبه مع غيرك لاستحق عنك<sup>(3)</sup> العقوبة واستوجب الخيبة». انتهى من سيدي موسى المذكور.

قلتُ: فعلى العبد المؤمن أن يعظم ما عظمه الله من أمر الصلوات الخمس، ويحافظ عليها في أوقاتها، فمن حافظ عليها حفظه الله، ومن داوم عليها فاز بستة عشر خصلة<sup>(4)</sup>؛ ودليله ما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «الصلاة مرضاة الرب، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وإجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وسلاح الأعداء، وبركة في الرزق، وكراهية الشيطان، وشفيع بين صاحبها ومالك الحق، وسراج في القبر، وفراش تحت جنبه، وجواب منكر ونكير، ومؤنس معه، وزائر في القبر إلى يوم القيامة». ويقال: «من داوم على الصلاة في وقتها أعطاه الله خمس خصال: دفع الله عنه ضيق المعيشة<sup>5</sup> وعذاب القبر، وأعطاه كتابه بيمينه، ومر على الصراط كالبرق الخاطف،

<sup>1</sup> - صحيح البخاري: باب الصلوات الخمس كفارة، ج1/ رقم 528، ص254. وذكره مسلم في صحيحه تحت رقم 667/ج5، ص151.

<sup>2</sup> - هنا نهاية الصفحتين الناقصتين من (ب). أي الورقة 142. ما يقابل الصفحتين (92ظ/93و) في النسخة (1707a) .

<sup>3</sup> - كذا في (أ)، ولعل المراد: عندك.

<sup>4</sup> - يبدو أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، ولعل المراد: "فمن حافظ عليها وداوم عليها حفظه الله بست عشرة خصلة...".

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "المعيش".

وأدخله الجنة بغير حساب". ومن تهاون بالصلاة في الجماعة ابتلاه<sup>1</sup> الله باثني عشر خصلة<sup>2</sup>: ثلاثة في الدنيا، وثلاثة عند الموت، وثلاثة في القبر، وثلاثة يوم القيامة. أما الثلاثة التي في الدنيا: فترفع البركة من رزقه، وتترفع سيماء الصالحين من وجهه، ويكون بغيضا عند<sup>3</sup> الناس. وأما التي عند الموت: فيقبض عطشاناً، جائعاً، ويشتد<sup>4</sup> نزعه. وأما التي في القبر فمساءلة منكر ونكير، وظلمة القبر، وضيقه. وأما التي في القيامة: فيشتد حسابه، ويغضب عليه الرب، ويعاقبه بالنار<sup>5</sup>.

قال الغرناطي: «ولتعلم أن آداب الصلاة عشرة: تقوم بالأمر، وتمشي بالاحتساب، وتدخل بالسنة، وتكبر بالتعظيم، وتقرأ بالتنزيل<sup>6</sup>، وتركع بالخشوع، وتسجد بالخضوع، وترفع بالسكينة، وتتشهد بالإخلاص، وتُسَلِّم بالرحمة.

ومعرفتها عشرة: فإذا قمت إليها فاعلم أن الله مقبل عليك فأقبل على من هو مقبل عليك. واعلم بحقيقة التصديق من قلبك أن الله قريب منك، قادر عليك، ناظر إليك، آخذ بناصيتك. فإن كنت لا تراه فإنه يراك من حيث لا تراه، ومثل الموت بين حاجبيك، والجنة عن يمينك والنار عن شمالك، والصراط تحت قدميك وملك الموت من وراء ظهرك، فإذا ركعت فلا تأمل رفع رأسك، وإذا سجدت فلا تأمل أن ترفع جبهتك. فإذا رفعت رأسك فلا تأمل أنك تضعها في الأرض، واتبعها بالوجل، فلا تدري أتقبلت منك أم لا».

<sup>1</sup> - في (ب): في الجماعات عاقبه الله .

<sup>2</sup> - في (ك): "خصال".

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "في قلوب الناس"

<sup>4</sup> - في (ب) و(د) : "يشد".

<sup>5</sup> - هو حديث موضوع مكذوب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكره الإمام الذهبي في ميزان الإعتدال وحكم بأنه باطل، وأقله الحافظ ابن حجر: في لسان الميزان، الجزء 6/368-369 وقال وهو ظاهر البطلان.

<sup>6</sup> - في (ب) و(د): "بالترتيل".

ثم قال الغرناطي المذكور: «ولتعلم أن للصبح من الحسنات أربعة آلاف حسنة، وستمئة حسنة، وثمانين حسنة. وللظهر تسعة آلاف حسنة، وثلاثمئة وستين حسنة. وللعصر مثل ذلك. وللعشاء مثل ذلك. وللمغرب ستة آلاف حسنة وثلاثمئة حسنة وأربعين حسنة». ثم قال: «ولتعلم أن عدد تكبيرات الصلوات الخمس في اليوم واللييلة ثلاث وتسعون تكبيرة، خمسة منها فرض والباقي سنة، وعدد ركوعها سبع عشرة ركعة وعدد سجودها أربع وثلاثون سجدة. فيتحصل من الصلاة في السنة ألف صلاة وثمانمئة [صلاة]<sup>1</sup> ومن الركوع ستة آلاف ومئة/ [94و] وعشرون ركعة. ومن السجود لها عشرة آلاف سجدة، ومن التكبير ثلاث وثلاثون ألف تكبيرة وثمانمئة وأربعون تكبيرة». انتهى من الغرناطي المذكور رحمه الله.

قلت: وقد جمع الله لأمة سيدنا محمد ﷺ في الصلاة جميع عبادة الملائكة؛ لأن بعضهم راعع أبداً وبعضهم ساجد أبداً، وبعضهم قائم أبداً، وبعضهم جالس أبداً، وبعضهم قارئ أبداً، وبعضهم مكبر أبداً، وبعضهم مهلل أبداً، وبعضهم مسبح أبداً، وبعضهم مستغفر أبداً، وبعضهم داع أبداً، وبعضهم يصلي دائماً على سيدنا محمد ﷺ أبداً، ونحو ذلك من الذي كلف الله به الملائكة عليهم السلام \_ أعني أمرهم به \_ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(2)</sup> فجميع ما أمروا به داخل في الصلاة، فهذا من رحمة الله وعناية ركننا ووسيلتنا سيدنا ومولانا محمد ﷺ علينا يا أمة محمد.

قلت: وكذلك جميع الطاعات داخلية في الصلاة، فالإمساك عن الأكل والشرب فيها، مثل الصوم ولزوم موضع من السجود مثل الاعتكاف، ونحو هذا. وقد أشار إلى ذلك سيدي أبو العباس سيدي أحمد الفلشاني رحمه الله \_ في "شرحه على الرسالة" عند قول الشيخ سيدي عبد الله بن أبي زيد \_ رحمه الله \_ : «والمصلي يناجي ربه»، ونصه: «نكتة: قيل الصلاة

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - سورة النحل، من الآية: 50، وتامها: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

جامعة للعبادات وزيادة عليها؛ لأنها متوقفة على بذل مال يجري مجرى الزكاة فيما يستر به المصلي عورته ويتطهر به من الماء، وإمساك عن الأكل والشرب يجري مجرى الصوم، وإمساك في مكان مخصوص يجري مجرى الاعتكاف، وتوجه إلى الكعبة يجري مجرى الحج، ومجاهدة النفس في مدافعة الشيطان يجري مجرى الجهاد، وذكر الله ورسوله يجري مجرى الشهادتين. وفيها زيادة على العبادة وهوما اختصت به من وجوب قراءة القرآن وإظهار الخشوع والركوع والسجود وغير ذلك». انتهى منه \_رحمه الله\_ [يلفظه]<sup>1</sup>.

[قلت: ومثل هذا ما ذكره بعض شراح الرسالة أيضا ونصه]<sup>2</sup> قال بعض العارفين من العلماء: «في الصلاة أربع هيئات وستة أذكار: فالهيئات الأربع القيام، والقعود، والركوع، والسجود. والأذكار الستة: التلاوة، والحمد، والاستغفار، والدعاء، والتكبير، والصلاة على النبي ﷺ، فصارت عشرة كاملة. تفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف من الملائكة، فيجتمع في الركعتين ما يفرق<sup>3</sup> على مئة ألف من الملائكة. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»<sup>4</sup>. وقيل أوحى الله إلى بعض الأنبياء: «إذا دخلت إلى الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع، ومن يديك الخضوع، ومن عينيك الدموع؛ فإني قريب».

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من 'ب' و(د).

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا) إضافة من النسخ الأخرى.

<sup>3</sup> - كذا في كل النسخ. ولعله يقصد "ما يفوق". وبه المعنى يستقيم.

<sup>4</sup> - لهذا الحديث صيغ روائية متعددة تنتهي كلها كما يلي: "فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه". الراوي: عبد الله بن عمر المحدث الألباني: المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: (1398)، وقال المحدث: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

## [آداب الصلاة]:

وعنه \_ عليه الصلاة والسلام\_: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن أطرافه، ولا يتمايل تمايل اليهود، فإن سكون الأطراف من تمام الصلاة»<sup>1</sup>.

وجاء عنه \_ عليه الصلاة والسلام\_: «سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بشيء»<sup>2</sup>. وقيل: السهو والشك.

وقد روي عن ابن عباس \_ رضي الله عنهما\_ «أن الخشوع أن لا يعرف من عن يمينه أو عن شماله»<sup>3</sup>. وقال ابن عباس أيضاً: «من لم يخشع فسدت صلاته». قال معاذ ابن جبل: «من عرف من عن يمينه أو عن شماله متعمدا فسدت صلاته». وسئل عقبة ابن عامر عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾<sup>(4)</sup>، أهم الذين يصلون أبداً؟، قال: «لا، ولكنهم/ [94ظ] الذين إذا صلوا لم يلتفتوا عن يمينهم ولا عن شمالهم ولا إلى خلفهم». وقال ﷺ: «الالتفات في الصلاة اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم»<sup>5</sup>.

وقال الفضل ابن عباس: "قال رسول الله ﷺ: «الصلاة مثني مثني، تشهد في كل ركعتين

<sup>1</sup> - رواه الحكيم الترمذي وأبو نعيم الأصبهاني: - نوارد الأصول: ج2/ص 171 - جلية الأولياء: ج9/ص 304. وهو حديث موضوع لا تحل نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما بين أحمد بن الصديق أبو الفيض الحافظ الغماري في "المداوي لعل الجامع الصغير وشرحي المناوي": الطبعة الأولى، دار الكتبي، القاهرة. جمهورية مصر العربية. 1996م. ج1/ص 435.

<sup>2</sup> - هذا الحديث رواه بلفظ قريب من هذا الترمذي في جامع: سنن الترمذي (رقم: 2748): ج4/ص 384. وهذا اللفظ الذي ذكره المؤلف هو ما ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين: المكتبة التوفيقية، القاهرة ج1/ص 240. د ت. وهو حديث ضعيف

<sup>3</sup> - هذا ليس من كلام ابن عباس رضي الله عنه، بل هو حديث مقطوع من كلام سعيد بن جبير رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: "عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} يعني: متواضعين لا يعرف من عن يمينه ولا من عن شماله، ولا يلتفت في الخشوع لله عزَّ وجلَّ". الجامع لتفسير الإمام عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي: جمع وترتيب: طارق بن عوض الله. الطبعة الأولى. دار العاصمة - المملكة العربية السعودية. 1422هـ - 2001م. ج2/ص 18.

<sup>4</sup> - سورة المعارج، الآية: 23. وفي (أ): "... فِي صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ"، وهو تحريف.

<sup>5</sup> - رواه البخاري في صحيحه في باب الالتفات في الصلاة (رقم: 751): ج1/ص 324. مصدر سابق.



وتضرع وتخشع وتسكن، ثم تقيم يديك ترفعهما إلى ريك مستقبلاً بطونهما إلى وجهك، تقول: "يا رب يا رب"، فمن لم يفعل ذلك فهي خداج<sup>(1)</sup>.

وقيل لبعض العارفين: "كيف تكبر التكبير الأولى؟"، فقال: "ينبغي إذا قلت: "الله أكبر" أن يكون مصحوبك في الله التعظيم في الألف والهيبة مع اللام والمراقبة مع الهاء".

واعلم أن من الناس من إذا قال: "الله غاب في مطالعة العظمة والكبرياء، وامتلأ باطنه نورا، وصار الكون بأسره في فضاء شرح صدره كخردلة في فلاة من الأرض.

وقيل لحاتم الأصم: "أخبرنا كيف تصلي؟"، قال: "نعم أتوضأ كما أمرني الله، ثم أقوم باستقبال القبلة، فأجعل الجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت خلفي، والصراف تحت قدمي، والميزان فوق رأسي، وكأني واقف بين يدي ربي، ثم أكبر تكبيرا بتحزين، وأقرأ قراءة بتحنين، وأركع ركوعا بتواضع، وأسجد سجودا بخضوع، واتبع صلاتي بالإخلاص، ولا أدري هل قبلت مني أو لم تقبل". وقال ﷺ: «من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا<sup>(2)</sup>». ولهذا شرع الشارع تكبيرة الإحرام عند افتتاح الصلاة ليشعر المصلي معناها؛ إذ معناها أنه الموصوف بعظم الشأن وكبر الجلال، وأن كل شيء دون جلاله وسلطانه حقير، وأنه جل وتقدس عن شبه المخلوقين والفانين».

قلتُ: وذكر سيدي موسى بن عمران الجزيري في شرحه لألفاظ ابن الحاجب والرسالة مثله، ونصه: «قال ابن الخطيب: «معنى "الله أكبر" أن جميع ما تتوهمه في عظمة الله وجلاله فالله أكبر منه». وقال غيره: «إن المصلي إذا ركع وسجد وتذلل قال الله أكبر أي حقه أكبر، وما يجب من جلاله أكبر».

<sup>1</sup> - الخداج : معناه نقصان، وجاء في الحديث: "كل صلاة لا يقرأ فيها بفتحة الكتاب فهي خداجٌ". أي نقصان. ينظر لسان العرب: مادة "خدج". ج 5/ ص 25. والحديث رواه أحمد والطبراني: - مسند أحمد (رقم: 17525): ج 29/ ص 68. مصدر سابق. - المعجم الكبير للطبراني (رقم: 757): ج 18/ ص 295. مصدر سابق.

<sup>2</sup> - رواه الطبراني: - المعجم الكبير للطبراني (رقم: 11025): ج 11/ ص 54.

قال القاضي: «وحكمة تقديم هذا اللفظ أمام فعل الصلاة تنبيها للمصلي على معنى هذه الكلمة التي معناها أنه الموصوف بالجلال وكبر الشأن، وأن كل شيء دون جلاله وسلطانه حقير وأنه جل وعز وتعالى عن شبه المخلوقين والفانين. وليشغل المصلي خاطره بمقتضى هذه اللفظة ويستحقر أن يذكر معه غيره أو يحدث نفسه بسواه جل اسمه، وأن من انتصب لعبادته وتمثل بين يديه أمن من كل شيء يشتغل بذكره كما هو قد تفرغ له من طاعته». انتهى من الجزيري المذكور.

وقال شارح الرسالة المذكور قبل هذا: «وكان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا قام للصلاة يتغير وجهه فسئل عن ذلك فقال: أتدرون بين يدي من أقف، أقف بين يدي جبار السموات والأرض.

وقال أبو قلابة: قال مسلم بن يسار إنك ما كنت قائماً بين يدي أمير أحببت أن يراك خاشعاً ليقض لك حاجتك، فبين يدي ريك أوجب وأفضل، قيل: فأين منتهى البصر في الصلاة قال منتهى السجود حسن.

وقال ميمون بن حيان: «ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاته قط خفيفة ولا طويلة. ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففرع أهل السوق لصوته وهو في المسجد فما التفت».

وكان الربيع بن خيثم يصلي بالليل على السطح فلما مات قالت ابنة جاره: "يا أبت أين الخشبة التي كانت على السطح بدار جارنا؟"، قال: "يا ابنتي ذلك الربيع بن خيثم"، وكانت تظنه خشبة لأنه كان لا يتحرك.

[95] وكان ابن الزبير رضي الله عنهما يصلي عند الكعبة وحجارة المنجنيق تمر على يمينه وشماله وهو لا يلتفت. وكان أبو إسحاق الجبنياني إذا قام في الصلاة يتحدث أولاده ويرفعون كلامهم، وهم معه في البيت، وهو لا يشعر بهم. وكان بعضهم إذا دخل في

الصلاة تلعب ابنته بالدف وتضربه ولا يشعر بشيء من ذلك. وكان بعضهم إذا دخل في الصلاة يؤتى بالقنديل إلى وجهه فلا يشعر به ولا يلتفت إليه.

وذكرَ لمسلم بن يسار قلة التفاته في الصلاة، قال: «وما يدريكم أين قلبي». وروي عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه رمي بسهم ثم بسهم حتى كاد ينزفه الدم. ثم سلم فقبل له في ذلك وهو في الصلاة فقال شغلتي آية كنت أتأملها في صلاتي فما شعرت بشيء. وقطعت رجل عروة بن الزبير وكويت بالنار وهو في الصلاة، ولم يشعر حتى فرغ. وقد كانوا دعموه من تحت كتفيه لئلا يسقط. وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «ركعتان مقتصدتان في تكبير خير من قيام ليلة، والقلب ساه».

وذكر سيدي موسى بن عيسى المازوني المذكور \_رحمه الله\_ أن سيدي أبا القاسم الجنيد كان يدخل كل يوم حانته ويسبل الستر ويصلي أربعمئة ركعة ثم يعود لبيته فانظروا \_وفقني الله وإياكم\_ لهذا الاجتهاد العظيم. فإذا كان هذا ورده بالنهار من الصلاة، فما مقدار ورده في بقية النهار، وفي جملة الليل من التهليل والتسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار والدعاء والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ؟! وبعض المشايخ يكون له ورد من البكاء والفكرة؛ لأنها مفتاح العبادة. فينبغي أن تكون أوقات المرید مقبوضة، ولْيُؤفَّ كل وقت ورده من ذكر أو دعاء أو تلاوة.

وبعضهم يوظف على نفسه من ذلك أعداداً معلومة، آلاف تهليلة ومثلها وأكثر من التسبيح وغيره، والتتفل بالصوم مرغب فيه؛ لما جاء من فضله. فلا يجعل يوم صومه كيوم فطره سواء؛ فيحفظ لسانه وجوارحه. ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله به حاجة أن يدع طعامه وشرابه لا سيما إن كان معتزلاً عن الناس في بيته أو مغارته. فإن العزلة في الحقيقة إنما هي اعتزال الخصال المذمومة.

قال أبو طالب [المكي]<sup>1</sup> \_ نفعنا الله به \_ : «ومداومة الأوراد من أفعال المؤمنين وطريق العارفين وهي مزيد الإيمان وعلامة الإيقان وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلت». ولا ينبغي للمريد \_ معتزلاً كان أو غير معتزلاً \_ أن يحمل نفسه ويلزمها من الأوراد ما عساه أن يعجز عنه، لكن يروض نفسه على ما يقدر عليه؛ حتى يألفه، ثم يتدرج قليلاً قليلاً، حتى في قلة الأكل وفي اللباس وفي الصيام وفي الصمت وفي خلطة الناس. وما زال الناس يعتزلون ويخالطون كل واحد على ما يعلم من نفسه، ويتأتى له من أمره.

**[في الخلوة وشروطها]:** وقد كان العمري الزاهد بالمدينة معتزلاً. وكان مالك مخالطاً ثم اعتزل في آخر عمره، حتى روي أنه أقام بالمدينة ثمان عشرة سنة لم يخرج إلى المسجد، فكلّم في ذلك فقال ليس كل أحد يمكن أن يخبر بعذره. وتأول الناس في ذلك تأويلات، فقيل: "لئلا يرى المناكر"، وقيل: "لئلا يمشي للسلطان". وإنما أوجب الاعتزال عن الناس كثرة الفساد وعدم الصيانة، وإلا فالسنة مخالطتهم والمحافظة على حدود الله معهم، والتعاون على البر والتقوى. وقد كانت معرفتهم / [95ظ] نعمة وائتلافهم منة. ثم انقلب الحال فكان ما أنذر به \_ عليه الصلاة والسلام \_ من إثارة الفتن وحوالة الزمان، حتى قال: يأتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن فعلى المعتزل في داره أو في مسجد أو زاوية أو كهف بقرن جبل أو بطن واد أن يكف لسانه عن السؤال عن أخبار الناس وما هم عليه ومشغولون به ومنهمكون<sup>2</sup> فيه ومكبون عليه.

فإن قلت: وما تصنع بقوله \_ عليه الصلاة والسلام \_ : «عليكم بالجماعة فإن يد الله عليها، والشيطان ذئب الإنسان يأخذ الشاة القاصية<sup>(3)</sup>». «

قلنا: إنه ضعيف، ومعناه حق، والجماعة لا تفارق في الاعتقاد والعمل إذا كانت على حق وهدنة، وأما إذا كثرت الباطل والفتنة فليس إلا العزلة وملزمة السكوت إلا عن ذكر الله

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

<sup>2</sup> - كذا في (د). أما في (ا) و(ب) و(ك). "منهملون". وما أثبتنا هو الصواب.

<sup>3</sup> - رواه أحمد في مسنده (رقم: 22107): ج36/ ص421 - والطبراني في المعجم الكبير (رقم: 344): ج20 / ص164.

ومناولة علم كما يجب. وقد قال ابن مسعود لابنه: «ليسعك بيتك، وأمسك عليك لسانك، وابك من ذكر خطيئتك».

وقد قيل: إن العبد ليعقد في خلوته على خصال من الخير يعملها، فإذا خرج إلى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة، حتى يرجع لبيته وقد انحلت العقد كلها، فيجتنب صحبة من لا يضبط لسانه من الاسترسال في دقائق الغيبة والوقية والتعريض بالطعن على الناس. فإن ذلك مما يكره صفاء القلب ويؤدي لارتكاب مساخط الرب، ويهجر من هذه صفته، ويفر منه فراره من الأسد، وينكر عليه غاية الإنكار، ويقبح له حاله ولا يجتمع معه في مكان البتة، ولينكر على من هذا شأنه، ولو كان منسوباً إلى علم أو دين فضلاً عن غيرهم، ويتمثل في ذلك قول رسول الله ﷺ: «مثل الجليس السوء كمثل نافخ كير إن لم تحرقك ناره تلوثت بدخانه»<sup>1</sup>. ولا سبب أقرب للنجاة والخلص في هذا الزمان الذي عدم فيه المساعدة على الدين أقرب أن يغلق المرء على نفسه باب بيته ولا يخرج إلا لأداء فريضة أو يتغرب من وطنه لموضع لا يعرف فيه. فإن اختار الخلوة على الخلطة فتكون بشروطها. وقد ذكر أبو حامد الغزالي منها جملة شافية فالتمسوها من الإحياء». انتهى من سيدي موسى بن عيسى المازوني المذكور رحمه الله.

**قلت:** وقد ذكر سيدي أبو العباس القسطلاني رحمه الله بعض شروطها، ونصه: «[فإذا] عزم المرید على الدخول في الخلوة فلا بد له من شروط قبلها. منها شيخ يسوسه، فإن تعذر فصاحب يؤنسه. ومنها الرياضة على ما شرطه الناظر من التنقيص بالتدرج، فيأكل قدر ثلثي ما كان يأكل ثم لا يزال ينقص كل يوم شيئاً إلى مقدار الثلث. واختلف في حد الجوع المفرط: فقال بعضهم لا يميز من الخبز وغيره يعني في الأكل. وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يطوي ستاً. وعن ابن الزبير أنه كان يطوي سبعا.

<sup>1</sup> - رواه البخاري ومسلم: - صحيح البخاري (رقم: 5534): ج3/ص 369. - صحيح مسلم (رقم: 2628): ج16/ص 154.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

وروي عن الشيخ المعروف بعمرية<sup>1</sup> أنه كان يطوي أربعين يوماً. وأقصى ما بلغ من الطي في [هذا]<sup>(2)</sup> المعنى رجل أدركنا زمانه وما رأيته كان في [أبهر]<sup>3</sup>، يقال له الزاهد، كان يأكل في كل يوم لوزة. وكان في أول أمره ينقص القوت بنشاف العود الأخضر. ثم طوى حتى انتهى إلى اللوزة في الشهر.

فإذا دخل المرید إلى مكان خلوته بدأ باليمين في دخوله وصلى ركعتين ينوي بهما التوبة، ويستكثر من الاستغفار والتضرع والخضوع والبكاء والاستكانة، ويقدر نفسه كعبد أبق دهرًا، ثم عاد من إياقه يطلب رضا سيده. ثم يمكث في موضعه ذاكرة لا يفتر ولا يقصر، دائم الطهارة، لا ينام إلا عن غلبة، ولا يخرج إلا لصلاة جماعة أو جمعة، وليجعل وقته كله في خلوته/ [96و] وَقَتَ رَضِيَ عَنِ اللَّهِ فِيمَا<sup>4</sup> يقيمه فيه من طاعته. فمن دخل الخلوة على صحة عزم وقوة يقين وهمة فتحت له أبواب الزيادة وأشرقت عليه أنوار السعادة. ومن دخلها ليرى ويسمع ويخاطب ويكلم ويشرف على عالم<sup>5</sup> الغيب، ويشاهد أحوال القبضتين عند النشاطين، ويعظم في أعين العباد بما يتم له المراد أو ليكون من جملة المقربين الأبرار لم يكن سعيه مشكورًا، ولا حظه من الله موفورًا، بل إنما يدخلها لما قدمنا، وأنه يلزم تلك البقعة ملازمة الميت لبقعة قبره، خاليا عن إرادته. وليوزع أوقاته على تلاوة القرآن إن كان يحفظه، وإلا ما تيسر منه، وإلا قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>6</sup>، أو صلاة نافلة أو مراقبة.

فمهما أحسَّ بفتور أو بعجز نام حتى يزول ما يجده، وإن وظف على نفسه أنكارا معدودة فلا بأس به. وأفضل الذكر "لا إله إلا الله"، فإن لها خاصية عظيمة، إذا ذكرت

1 - في (ب): "بعمورية".

2 - ما بين المعقوفين مستدرك على هامش (أ).

3 - ما بين المعقوفين ساقط من (د). وأبهر : هي مدينة إيرانية تقع في محافظة " زنجان".

4 - في (ب) و(د): "بما يقيمه".

5 - في (ب) و(د): "علم الغيب".

6 - سورة الإخلاص: الآية: 1.

بشروطها، فليداوم العبد على ذكر هذه الكلمة في خلوته لا يفتر عنها حتى تتمكن من قلبه<sup>1</sup> وتنزل<sup>2</sup> بمنزلة حديث نفسه فإذا تسهلت<sup>(3)</sup> على لسانه تأصلت في قلبه، وبقي القلب ذاكرة واللسان ساكتاً. فيتجوهر القلب ويستقر فيه نور اليقين ويتحد الذكر مع رؤية عظمة المذكور جَلَّ وَعَلَاً، فيكون الذكر إنداك ذكر الذات، وذلك هو المكاشفة والمشاهدة والمعانية فيتجوهر القلب بنور الذكر، فهذا معنى قوله \_ عليه الصلاة والسلام \_: « [اللهم]<sup>4</sup> اجعلنورا واجعل لي<sup>(5)</sup> نوراً<sup>6</sup>»، وهذا هو أقصى موضوع الخلوة عند أهلها، وهي موهبة عظيمة ومرتبة عليّة.»

### [ فضيلة الذكر بـ "لا إله إلا الله" ]

قلتُ: وقول [سيدي]<sup>7</sup> أبي العباس القسطلاني: «أفضل الذكر<sup>(8)</sup> "لا إله إلا الله" شاهده قول رسول الله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون<sup>(9)</sup> من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له<sup>(10)</sup>»، رواه مالك في الموطأ. زاد الترمذي في روايته: «له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». وروى النسائي أنه ﷺ قال: قال موسى ﷺ: «يا رب علمني ما أذكرك به وأدعوك به»، فقال: «يا موسى قل لا إله إلا الله». قال موسى ﷺ: «يا رب كل عبادك يقولون هذا»، قال: «قل لا إله إلا الله»، قال موسى: «لا إله إلا أنت، إنما أريد شيئاً تخصني به»،

1 - في (ب) و(د): "في قلبه".

2 - في (ب) و(د) و(ك): "تنزل منزلة".

3 - في (أ) تسهلت، وفي (ب) و(د) و(ك): "تسهلت". وهو الصواب، فأثبتناه.

4 - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

5 - كذا في (أ)، والصواب: "اجعلني".

6 - في (ب) و(د): "اللهم اجعل في قلبي نورا إلى أن قال اجعل لي نورا واجعلني نورا". هكذا.

7 - ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ك).

8 - كذا في (أ)، والأصوب: "أفضل الذكر".

9 - في (أ): "والنبيين".

10 - رواه مالك، ورواه الترمذي بلفظ: «وخير ما قلت أنا ..»: - الموطأ، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء (رقم: 500).

ص108. - الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة (رقم: 3585): ج5، تح وتع: إبراهيم عطوة عوض. ط2. مطبعة

مصطفى الباي الحلي، مصر (1395هـ/1975م) ص572. وعلق الترمذي قائلا: "هذا حديث غريب من هذا الوجه.

قال: «يا موسى، لو أن السموات السبع وعامهم غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله»<sup>1</sup>.

وقال ﷺ: «يؤتى برجل إلى الميزان، ويؤتى بتسعة وتسعين سجلاً، كل سجل منها مدّ البصر. فيها خطاياها وذنوبه، فتوضع في كفة الميزان، ثم تخرج بطاقة مقدار الأنملة فيها شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله، فتوضع في الكفة الأخرى فترجح بخطاياها وذنوبه»<sup>(2)</sup>.

وروى الترمذي أن النبي ﷺ قال: «التسييح نصف الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب، ثم تخلص إليه»<sup>(3)</sup>. وقال ﷺ: «ما قال أحد لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء، حتى تقضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر»<sup>(4)</sup>. وقال لأبي طالب: «يا عمّ، قل "لا إله إلا الله" كلمة أحاجُّ بها عند الله»<sup>(5)</sup>. وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم

<sup>1</sup> - رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، وابن حبان، والحاكم وغيرهم: - عمل اليوم والليلة، باب أفضل الذكر وأفضل الدعاء (رقم: 834): ص 482. - صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب ذكر سؤال كليم الله ربه أن يعلمه شيئاً يذكره (رقم: 6218): ج 14/ص 102 - المستدرک، كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسييح والذكر (رقم: 1936): ج 1/ص 710 وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ج 11/ص 208.

<sup>2</sup> - رواه أحمد والترمذي وابن ماجه: - مسند أحمد (رقم: 6994): ج 11/ص 570 - سنن الترمذي، كتاب صفة جهنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (رقم: 2639): ج 4/ص 321 - سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (رقم: 4300): ج 5/ص 356.

<sup>3</sup> - رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب من التسييح (رقم: 3518): ج 5/ص 536.

<sup>4</sup> - رواه الترمذي والنسائي في عمل اليوم والليلة: - سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة (رقم: 3590): ج 5/ص 467. - سنن النسائي: عمل اليوم والليلة، باب أفضل الذكر وأفضل الدعاء (رقم: 833): ص 482.

<sup>5</sup> - رواه أحمد والبخاري وغيرهما: - مسند أحمد (رقم: 23674): ج 39/ص 78. - صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (رقم: 3884): ج 2/ص 531. والحديث طويل لم يكمله المؤلف، ويسجل لحظة حضور الوفاة بأطالب وإصرار الرسول (ص) على تلقينه الشهادة فنزلت الأيتان: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. التوبة (113). ونزلت فيه ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. القصص (56).



وأموالهم إلا بحقها<sup>(1)</sup>». وقال ﷺ: «أتاني آت من ربي أخبرني أنه من مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فله [الجنة]<sup>(2)</sup>، فقال أبو ذر: "وَأَنْ رَزَى وَسَرَقَ؟!": فَقَالَ: «وَأَنْ رَزَى وَسَرَقَ»<sup>(3)</sup>».

وقال رسول الله ﷺ: «من دخل القبر بلا إله إلا الله خلصه الله من النار»<sup>(4)</sup>. وقال ﷺ: «من مات وهو يعلم أنّ [96ظ] لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(5)</sup>. وقال ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه»<sup>(6)</sup>.

وعن عثمان بن مالك أنه قال: غداً رسول الله ﷺ فقال: «لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرمه الله على النار»<sup>(7)</sup>. وعنه ﷺ أنه قال: «لقتوا موتاكم لا إله إلا الله؛ فإنها تهدم الذنوب هدماً»، قالوا: "يا رسول الله، فإن قالها في حياته"، قال: «فهي أهدم وأهدم»<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> - رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم: - مسند أحمد (رقم: 67): ج1/ص228 - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} (رقم: 25): ج1/ص67 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (رقم: 35): ج1/ص170.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين "ساقطة" من (أ).

<sup>3</sup> - رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم: - مسند أحمد (رقم: 21466): ج35/ص370 - صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الثياب البيض (رقم: 5827): ج3/ص464 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار (رقم: 43): ج1/ص182.

<sup>4</sup> - رواه النسائي في عمل اليوم والليلة، باب ما يقول عند الموت (رقم: 1111): ص596.

<sup>5</sup> - رواه أحمد ومسلم وغيرهما: - مسند أحمد (رقم: 464): ج1/ص509 - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم على النار (رقم: 43): ج1/ص55.

<sup>6</sup> - رواه أحمد والبخاري وغيرهما: - مسند أحمد (رقم: 8858): ج14/ص446 - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (رقم: 99): ج1/ص49.

<sup>7</sup> - رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله (رقم: 6423): ج4/ص6.

<sup>8</sup> - قوله صلى الله عليه وسلم: «لقتوا موتاكم لا إله إلا الله» مشهور، رواه أحمد ومسلم وغيرهما: - مسند أحمد (رقم: 10993): ج17/ص19 - صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله (رقم: 916): ج6/ص201. أمّا باللفظ التام المذكور فرواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ج1/ص89.

وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: "لا إله إلا الله" نفعتة يوماً من دهره أصابه بذلك ما أصابه<sup>(1)</sup>».

وفي الإحياء: قال \_ عليه الصلاة والسلام \_: «لو جاء<sup>(2)</sup> قائل "لا إله إلا الله" صادقاً بقراب الأرض ذنوباً غفر له ذلك<sup>(3)</sup>».

وفيه أيضاً: «قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور، وكأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾»<sup>(4)</sup>.

وفيه: «وقال ﷺ لأبي هريرة: «يا أبا هريرة، إنَّ كلَّ حسنة تعملها تُوزنُ يوم القيامة إلاَّ شهادة لا إله إلاَّ الله، فإنَّها لا تُوضعُ في الميزان؛ لأنَّها لو وُضعتُ في ميزانٍ من قائلها صادقاً وُضعتِ [السَّمَوَاتُ]<sup>(5)</sup> السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبْعُ وما فيهنَّ<sup>(6)</sup> كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك<sup>(7)</sup>».

<sup>1</sup> - رواه البزار والطبراني في الأوسط والصغير وغيرهما: مسند البزار، (رقم: 8292) ج: 15 / ص 66- المعجم الأوسط (رقم: 6396) ج: 6 / ص 273- المعجم الصغير (رقم: 393) ج: 1 / ص 241 .

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ. وربما الأصح: "لو قال قائل".

<sup>3</sup> - ذكره الإمام تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي رحمه الله في أحاديث إحياء علوم الدين التي لم يجد لها إسناداً، طبقات الشافعية الكبرى: ج 6 / ص 302. وفي الإحياء جاء: "... بقراب الأرض ذنوباً لغفر الله له ذلك". ينظر: أبو حامد الغزالي: الإحياء، كتاب الأذكار والدعوات. ج 1. ص 449. وعلق المحقق في الهامش على الحديث وقال: "غريب بهذا اللفظ".

<sup>4</sup> - رواه الطبراني والبيهقي: - المعجم الأوسط (رقم: 9478) ج: 9 / ص 181. - شعب الإيمان، باب في الإيمان بالله عزَّ وجلَّ (رقم: 100) ج: 1 / ص 110. وهو حديث ضعيف. والآية رقم 34 من سورة فاطر ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (34)

<sup>5</sup> - ما بين المعقوفين مستدرك على هامش (أ).

<sup>6</sup> - في كتاب الإحياء: "وما فيها". ينظر المصدر نفسه. ص 449.

<sup>7</sup> - الحديث ذكره أبو حامد الغزالي: في الإحياء. كتاب الأذكار والدعوات. ج 1. ص 449. وذكره أيضاً الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي رحمه الله في أحاديث إحياء علوم الدين التي لم يجد لها إسناداً، طبقات الشافعية الكبرى: ج 6 / ص 302.

وفيه: قال: «من قال: "لا إله إلا الله" مخلصاً دخل الجنة<sup>(1)</sup>». وقال: «لتدخلن الجنة كلكنم إلا من أبى وشرد عن الله شرود البعير عن أهله». فقيل: "يا رسول الله: من الذي يأبى؟!"، قال: «من لم يقل لا إله إلا الله. فأكثرُوا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها؛ فإنها كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى، وهي الكلمة الطيبة، وهي دعوة الحق، وهي العروة الوثقى، وهي ثمن الجنة<sup>(2)</sup>». وفيه: «قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾<sup>(3)</sup>، فقيل: "الإحسان في الدنيا لا إله إلا الله وفي الآخرة الجنة"، وكذلك قوله: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>(4)</sup>».

وفيه: ويروى أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت صحيفته فلا تمرُّ على خطيئة إلا محتها، حتى تجد حسنة مثلها، فتجلس إلى جنبها.

وفي كتاب عبد الغفور عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تبارك وتعالى عموداً من نور بين يدي العرش، فإذا قال العبد: "لا إله إلا الله" اهتز ذلك العمود، فيقول الله تبارك وتعالى له: اسكن، فيقول: "كيف أسكن ولم تغفر لقائلها؟!"، فيقول الله: قد غفرت له فيسكن عند ذلك»<sup>5</sup>.

وفيه: «عن أبي ذر قلت: "يا رسول الله أوصني"، قال: «أوصيك بتقوى الله العظيم، وإذا عملت سيئة فأتبعها بحسنة تمحوها». قلت: [6] "يا رسول الله أمن الحسنة لا إله إلا الله؟"، قال: «من أفضل الحسنات»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - رواه الطبراني في المعجم الكبير (رقم 5074): ج5/ص197. الحديث أورده أيضاً أبو حامد الغزالي في الإحياء وذكر أنه أخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف. الإحياء. ص450.

<sup>2</sup> - أصل هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه (رقم: 7280): ج4/ص335، وأما تمامه كما ساقه المؤلف فقد عثرت عليه في الإحياء لأبي حامد الغزالي. ح.1. ص450.

<sup>3</sup> - سورة الرحمن، الآية: 60.

<sup>4</sup> - سورة يونس، من الآية: 26، وتامها: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. والحديث ذكره كاملاً صاحب "الإحياء". ج1/ص450.

<sup>5</sup> - رواه البرزاري وضعفه: مسند البرزاري، (رقم: 8065): ج14/ص361.

<sup>6</sup> - بداية من هذا القوس تم تسجيل نقصان صفحتين من (د).

وفيه: «عن كعب الأحبار أوحى الله إلى موسى في التوراة: "لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا"»<sup>2</sup>.

وفيه: «وقال رسول الله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله ثلاث مرات في يومه كانت له كفارة بكل ذنب أصابه [في ذلك اليوم]"»<sup>4</sup>.

وفيه: «وذكر أبو الفضل الجوهري: قال: «إذا دخل أهل الجنة سمعوا أشجارها وأنهارها وجميع ما فيها يقولون لا إله إلا الله، فيقول بعضهم لبعض: "كلمة كنا نغفل عنها في الدنيا"»».

وفيه: «وحدث أيضاً قال: «يهتز العرش / [97و] ثلاث: لقول المؤمن لا إله إلا الله، ولكلمة الكافر إذا قالها، وللغريب إذا مات في أرض غربته».

وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ومدّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر، قيل: "فإن لم تكن له هذه الذنوب"، قال: «يغفر له من ذنوب أبويه وأهله وجيرانه».

وذكر عياض في المدارك عن يونس بن عبد الأعلى أنه أصابه شيء فرأى في المنام قائلاً يقول له اسم الله الأكبر لا إله إلا الله، فقالها: "ومسح وجهه فأصبح معافى". وذكر ابن الفاكهاني أن ملازمة ذكرها عند دخول المنزل ينفي الفقر.

ومن فضائله وضع البركة في الطعام ونحوه، حتى يكثر القليل ويكفي اليسير، وهذا مشاهد لأولياء الله تعالى كثيراً. ومنها تيسير دنائير أو دراهيم أو كليهما أو غير ذلك مما

<sup>1</sup> - رواه البيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في فضل الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام وهي كلمة التقوى ودعوة الحق لا إله إلا الله (رقم: 202) ج1/ص 269.

<sup>2</sup> - هذا الأثر ذكره أبو نعيم في حليته وذيئله في مسنده: - حلية الأولياء: ج2/ص343 - الفريديوس بمأثور الخطاب (رقم: 504): ج1/ص142.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>4</sup> - لم أعثر عليه في الصحيحين. وذكره أبو حامد الغزالي في الإحياء بشيء من الاختلاف وقال: "عشر مرات" بدل ثلاث. ينظر الإحياء ج1/ص 451. ولا بد من الإشارة إلى أن أغلب الأحاديث السابقة قد نقلها المؤلف من هذا المصدر.

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "ما وجعه".

تدعو إليه الحاجة. وقد ذكر بعض المشايخ في أول أمره حدادا فتعذر عليه شغل الحدادة تعذرا شرعيا، فكان إذا قضى وظيفة ذكره يرفع رأسه فيجد في حجره دراهم يشتري بها قوته ذلك اليوم.

ونقل عن الشيخ أبي عبد الله التاودي<sup>1</sup> أنه احتاج لكسوة لأولاده وزوجته وكان كثير الأولاد فاشترى شقة وذهب بها إلى الخياط فأعطاه طرفها الواحد وأمسك تحته طرفها الآخر، فجعل الخياط يجذبها ويفصل منها شيئا بعد شيء، حتى صنع أثوبا عديدة تشهد العادة بأن ذلك لا يكون من شقة، فطال ذلك على الخياط فقال له: يا سيدي هذه الشقة ما تتم أبدا؟ فقال الشيخ \_خوف الفتنة\_ : قد تمت، ورمى بباقيها من تحته.

وكان بعض المشايخ لا ينتصب لذكر ولا لصلاة على سجادته في خلوته إلا ويخلق الله تعالى على سجادته وتحتها<sup>2</sup> دراهم جددا. وكان له عائلة وأولاد، فكان معشر أولاده إذ رآه يأخذ في التوجه إلى الصلاة يحدقون به يرتقبون انفصاله. فإذا انفصل التقطوا تلك الدراهم، فمنهم المقل، ومنهم المكثر. وداموا على ذلك حتى تحدثوا به وشاع الحديث فانقطع ذلك. ومنها أن يكشف له عن حقيقة ما يريد استعماله من الطعام فيعرف حلاله من حرامه من متشابهه بأمانة يجدها، إما من باطنه أو ظاهره أو غيره.

وكرامات هذا الباب كثيرة لا تتحصر إلا أن المؤمن لا ينبغي أن يقصدها بشيء من طاعته، وإلا دخل عليه الشرك الخفي ومكّر به والعياذ بالله؛ إذ هذه مما يجب أن يصفى منها قلبه عند ذكر كلمة التوحيد فليقطع التفاتة إليها بالكليّة، وليكن مقصوده رضا مولاه الذي لا خلف له منه، ولا غناء لمخلوق عنه، وكشف الحجاب عن عين قلبه، حتى ينتزه في ذلك الجلال العديم المثال، ويواجهه مولاه بعجائب وأسرار لا يمكن أن يعبر عنه المقال. اللهم افتح لنا في ذلك، وزدنا من فضلك دنيا وأخرى يا أرحم الراحمين بجاه سيد الأولين والآخرين

<sup>1</sup> - هو أبو عبد الله التاودي المعلم، من أهل فاس، من أصحاب أبي يعزى، مات بفاس عام ثمانين وخمسائة هجرية. ترجم له ابن الزيات التادلي في: التشوف إلى رجال التصوف ص220.

<sup>2</sup> - في (ا) و(ك): "تحتة".

نبينا وسيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى إخوانه من النبيئين والمرسلين، وعلى جميع الملائكة والمقربين». انتهى من شرح الصغرى لسيدي محمد السنوسي \_نفعنا الله به\_.

ثم قال: «والى فضل هذه الكلمة وما يحصل لذاكرها من الفوائد أشرت بقولي في أصل العقيدة يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر». ثم قال: «وفضل هذه الكلمة كثير لا يمكن استقصاؤه، ولهذا اختار الأئمة ملازمة هذا الذكر في كل حال، حتى إن منهم من لا يفتر عنه ليلاً ولا نهاراً. ومنهم من يذكره بين اليوم واللييلة سبعين ألف مرة/ [97ظ] وأهل السبب والمشغولون<sup>(1)</sup> بالخدمة والصنائع اثني عشر ألف مرة.

وروي أن من قالها سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار. وقد ذكر الشيخ أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي في كتابه "الإرشاد والتطير في فضل لا إله إلا الله وتلاوة كتابه العزيز"<sup>2</sup> عن الشيخ أبي يزيد القرطبي<sup>3</sup> أنه قال: سمعت في بعض الآثار أنه من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار، فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد أعمالاً ادخرتها لنفسي، وعملت منها لأهلي، وكان إنداك يبيت معنا شاب كان يقال إنه يكشف في بعض الأوقات بالجنة والنار وكان في قلبي منه شيء، فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منزله، فنحن نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكراً واجتمع في نفسه وهو يقول: يا عم<sup>4</sup> هذه أمني في النار، وهو يصيح بصياح عظيم، لا يشك من سمعه أنه عن أمر، فلما رأيت ما به قلت في نفسي: اليوم أجرب صدقه فألهمني الله إلى السبعين ألفاً، ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى، فقلت في نفسي الأثر حق والذين رووه لنا صادقون. اللهم إن السبعين ألفاً فداء هذه المرأة أم هذا الشاب، فما استتمت خاطر في

<sup>1</sup> \_ كذا في (أ): وكتب في الهامش: "المشتغلين". وفي (ب) و(ك) و(د): "المشتغلين والصواب: "المشتغلون".

<sup>2</sup> - وفي (ك): "في فضل الله...". وفي (ب): "في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز". وهو الأصح.

<sup>3</sup> - هو عبد الرحمن بن إبراهيم أبوزيد القرطبي (ت258) وهو من الفقهاء الموصوفين « بالعلم والفقہ والثقة.

<sup>4</sup> - في (ب) و(د): "يا عمي"

نفسى إلى أن قال: "يا عم ها هي أخرجت الحمد لله". فحصلت لي فائدتان: إيماني بصدق الأثر، وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه.

ثم قال: «وقد علمت أن هذه الكلمة من أفضل الأذكار»<sup>1</sup> وأشرفها عند مولانا جل وعلا<sup>2</sup>، فينبغي للمؤمن أن يعتني بشأنها، فيتوضأ لها ويلبس ثياباً طاهرة، ويقصد بها موضعاً طاهراً كما يقصده للصلاة، ويقصد الخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع، ويقصد الأزمنة المشرفة كما بعد الفجر إلى طلوع الشمس وبعد العصر إلى غروبها وبعد العشاءين والسحر، ثم يستقبل القبلة ويفتح ورده أولاً بالاستغفار ولو مائة مرة، ثم يصلي على سيدنا ومولانا محمد ولو خمسمائة مرة من كيفية الصلاة التي تليق به ﷺ.

ثم يتمادى على ذلك مستحضراً لصورته ﷺ التي ليس ثم في المخلوقات مثلها في الجمال، مستشعراً عظيم حرمة عند العلي ذي الجلال [والإكرام]<sup>3</sup>، ذاكرة عظيم شفقتة ورأفته بالمؤمنين، وشدة ابتهاله بهم<sup>4</sup> في حياته، وبعد مماته، والسعي في مرادهم وإنقاذهم من كل هول دنيا وأخرى ﷺ وعلى سائر أنبيائه ورسله أجمعين. فإذا فرغ من ورده من الصلاة على سيدنا ومولانا محمد ﷺ حمد الله على التوفيق لبدء ذلك وتمامه ليفيد بالشكر هذه النعمة العظمى؛ خشية السلب عليها؛ وأقل ذلك ثلاثاً أوسعاً يقول في هيئة ذلك: "الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام وهدانا بسيدنا ومولانا محمد ﷺ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾<sup>(5)</sup>. ثُمَّ لِيُجِبْ أَمْرَ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ: «لَبَّيْكَ مَوْلَايَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ، وَهَا هُوَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الْحَقِيرُ يُوْحِدُكَ بِالتَّهْلِيلِ مَخْتَلِعًا مِنْ كُلِّ شَرِكِ

<sup>1</sup> - عند نهاية القوس المعقوف نهاية الصفحتين الناقتين في (د). أي (ص188.189).

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): جلَّ وعزَّ .

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>4</sup> - في (ب) و(د): "ابتهاله لهم".

<sup>5</sup> - سورة الأعراف، من الآية: 43، وتمامها: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَفَقَدَ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ومن كل تغيير وتبديل»، يقول مخلصاً من قلبه ذاكرة لربه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ إلى آخر ورده وسبحته من التهليل فيشفعها بإثبات رسالة سيدنا ومولانا محمد ﷺ<sup>1</sup>.

### [أفضلية الرسول ﷺ على سائر الأنبياء والرسل]

وهكذا ينبغي لكل ذكّرٍ من أدكارِ الله تعالى أن لا يغفل المؤمنُ فيه عن ذكر سيدنا ومولانا محمد ﷺ، إما بأن يصلي عليه إثره، أو يقرُّ برسالته مع الصلاة عليه/ [98و] ﷺ أو نحو ذلك مما يوجب تعظيمه والتمسك بأذياله؛ إذ هو باب الله الأعظم الذي لا ينال كل خير دنيا وأخرى إلا بالتعلق به. فمن غفل عن ذكره ﷺ لم ينل مقصوده، وكان مرمياً به في سجن القطيعة، [محروماً]<sup>2</sup> من خير الدنيا والآخرة. وسيدنا محمد ﷺ هو دليل الخلق إلى الله تعالى، فكيف يصل إلى الله تعالى من غفل عن ذكر دليله، إذ هو ﷺ نازل عند الله تعالى منزلة لا يمكن أن تلحق». انتهى منه [يلفظه]<sup>(3)</sup> \_رحمه الله\_ ونفعنا به آمين يا رب العالمين\_.

قال ابن العربي في القبس: «ومقامته ﷺ في الشرف كثيرة، فمنها أنه \_تعالى\_ أقسم بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾<sup>(4)</sup>، ثم زاده شرفاً فأقسم بغبار خيله فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾<sup>(5)</sup>. انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_. إلا أن فيه تقديمًا وتأخيرًا.

ومن شرفه وفضله ﷺ تمنى الخليل والكليم والروح \_عليهم الصلاة والسلام\_ أن يكونوا من أمته ﷺ. فمن ذلك ما ذكره سيدي موسى بن عيسى المازوني المذكور \_رحمه الله\_ قال: «وجد الخليل ﷺ فضائل هذه الأمة، فقال: "يا رب اجعلهم أمتي"، فقيل: "هم أمة محمد ﷺ". فقال: "يارب أعطني لسان الثناء فيهم"، فشرعت التحيات في الصلاة ليدعى له ولأهله. ورأى الكليم ﷺ مدحهم في التوراة فقال: "يا رب اجعلهم أمتي"، فقيل: "هم أمة محمد ﷺ"، فقال: "يا رب اجعلني منهم". وكذلك عيسى ﷺ طلب مثل ذلك لما رأى في الإنجيل من فضل هذه

1 - ما بين المعقوفين مستدرك على الهامش في (أ).

2 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

3 - ما بين المعقوفين مستدرك على هامش (أ).

4 - سورة الحجر، الآية: 72.

5 - سورة العاديات، الآية: 1.



الأمة، [فأجيب بأن رفعه الله إليه ثم ينزله في آخر الزمان كما تظاهرت به الأخبار، فيكون من هذه الأمة]<sup>1</sup>».

فإذا كان خليل الله وكليمه وروحه \_عليهم السلام\_ يتمنون أن يكونوا من أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ فما بالك بأشرف خلق الله وأكرمهم عند الله سيدنا ومولانا محمد ﷺ فهو أفضل الخلق عند الله بلا شك ولا ريب ولا خلاف في ذلك. قال العارف بالله سيدي محمد بن يوسف السنوسي في شرحه لعقيدته صغرى الصغرى: «وقد ثبت الإجماع على أفضليته ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين وشواهد ذلك من الكتاب والسنة لا تكاد تتحصر». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله ونفعني به أمين\_. ورحم الله صاحب البردة حيث قال: [يسيطر]

فَأَقِ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ      وَلَمْ يُدْأِئُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ<sup>2</sup>  
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ      غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيْمِ

إلى آخر كلامه. ولكن يا فقيهه، إياك أن يخطر ببالك أن مقام النبوة كمقام الولاية، فمن اعتقد هذا فهو كافر بإجماع. وما صدر من خليل الله وكليمه وروحه \_عليهم الصلاة والسلام\_ من أقوالهم في كونهم تمنوا منه أن يكونوا من أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ، فيجب تأويله على أحسن ما يليق بمنصبهم ومقامهم وشرفهم \_عليهم الصلاة والسلام\_.

فمن التأويل في ذلك ما ذكره الشيخ العارف بالحقيقة والشريعة سيدي أبو يزيد البسطامي \_نفعني الله به [وبأمثاله]<sup>3</sup> أمين\_ على ما نقله سيدي موسى بن عيسى المازوني المذكور، ولفظه: «إن مثل مقام الولاية كزق فيه عسلٌ ترشح منه قطرة، فما في داخل الزق فهو مقام النبوة، وما رشح منه \_وهو القطرة\_ فهو ما لجميع الأولياء». وقد تقدم هذا في كتابنا/ [98] هذا إلا أنه تكرير لا تكرار فافهم الفرق بينهما.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ك).

<sup>2</sup> - البيتان للإمام البوصري في البردة. ينظر: ديوان البوصيري، المكتبة الشاملة. موقع الكتروني. <http://www.shamela.ws> ص240. وكذا "النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية. مرجع سابق، ص320.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

ومن التأويل أيضا ما نقله سيدي موسى المذكور عن شيخ المشايخ سيدي أبي مدين \_نفعنا الله به\_، ونصه: «قال شيخ المشايخ: جرى ذكر ما وقع من قول إبراهيم وموسى وعيسى \_عليهم الصلاة والسلام\_ بين يدي أبي يزيد فقال: "أتظنون أنهم اشتهاوا فضائلكم؟!، بل رأوا رجالا جاوزت رؤوسهم الهواء وأرجلهم الثرى، وهم مشفقون بين ذلك"، انتهى. فإذا فهمتَ هذا وعلمتَ أن مقام النبوة ليس كمقام الولاية فتعتقد أن أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ أفضل الأمم؛ والدليل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة:

**[أفضلية أمة سيدنا محمد ﷺ على سائر الأمم]:** \_ أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾<sup>(1)</sup>. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(2)</sup>. قال ابن عيينة<sup>3</sup>: «فأكرم الله أمة محمد بالصلاة عليهم، كما صلى على الأنبياء». إلى غير ذلك من الآيات.

\_ وأما السنة فقال \_عليه الصلاة والسلام\_ في بعض صفات الصالحين: علماء حلماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء. وقال \_عليه الصلاة والسلام\_: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، إلا أنهم لا يوحى إليهم». ومثل هذه الأحاديث كثيرة.

\_ والإجماع على أنهم أفضل الأمم بدليل أفضلية متبوعهم \_عليهم الصلاة والسلام\_؛ لأنه سيد ولد آدم ولا فخر، كما قال \_عليه الصلاة والسلام\_. فذلك أمة أفضل الأمم. وجاء عنه \_عليه الصلاة والسلام\_: «الجنة محرمة على جميع الأمم حتى تدخلها أنت وأمتك»، فيما حكاه عن ربه تبارك وتعالى. ما أعطاه الله من التشريف والتعظيم والتخصيص في ذلك اليوم العظيم من تخفيف الحساب والشفاعة، ونحو ذلك مما لا يعد ولا يحصى ولا يحتوي

<sup>1</sup> \_ سورة آل عمران، من الآية: 110، وتامها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة الأحزاب، من الآية: 43، وتامها: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

<sup>3</sup> - هو سفيان بن عيينة: الإمام الكبير حافظ العصر الكوفي ثم المكي، ولد سنة سبع ومائة، لقي الكبار وحمل عنهم علما جما، وجمع وصنف وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. قال عنه الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز. ينظر: الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء/ج8، ط7/ص455. المكتبة الإسلامية. موقع الكتروني إسلام ويب. ISLAMWEB.NET. تاريخ التصفح: 23 مارس 2023م. سا14 و6د.

عليه ديوان ﷺ وعلى آله وأزواجه وذرياته [وعترته]<sup>1</sup>، ورضي الله عن أصحابه وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. فنسأله سبحانه أن يجعلنا بجاهه عند الله من خيار أمته وأن يميّتنا على محبته [ومحبة]<sup>2</sup> أهل بيته، وأن يحشرنا في زميرتهم، وأن يجعلنا من التابعين لنهجم وطريقهم، وأن يحيينا على كلمتي التوحيد والشهادة، ويميّتنا عليها، ويبعثنا عليها لا مبدلين ولا مغيرين، وأن يجعلنا من الذين لا عقاب لهم ولا حساب، ولا عذاب عليهم في الآخرة، كما قال سيّدنا وركننا وعنايتنا ووسيلتنا سيّدنا ومولانا محمد ﷺ: «أُمَّتِي [أمة] مَرْحُومَةٌ لَا عَذَابَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، عَجَّلَ عِقَابَهَا فِي الدُّنْيَا الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ». انتهى من سيدي عبد الرَّحْمَنِ الثَّعَالِبِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ [المسمى]<sup>4</sup> "الجواهر الحسان".

قلت: ومن الدليل على أفضلية أمة محمد ﷺ ما ذكره سيدي الرصاع ونصه: «وجاء إذا كان يوم القيامة تنصب على أمة محمد ﷺ سرادقات خضر ثم ينادي مناد: "يا أمة محمد سترون زلازل وأهوالاً، فإذا رأيتم ذلك فلا تخافوا، فالمراد بذلك غيركم". ثم قال: «وجاء أن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألف عام وستمائة عام ثم أمر بوضعه على العرش، ثم نادى يا أمة محمد: «رحمتي سبقت غضبي، أعطيتكم قبل أن تسألوني، واستجبت لكم قبل أن تدعوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، من لقيني منكم وهو يشهد أن لا إله إلا الله صادقاً من قلبه، وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة». انتهى منه \_رحمه الله\_.

وقال العارف بالله سيدي السنوسي في عقيدته/ [99و] صغرى الصغرى: «وقد أطلع الله الأمة المشرفة على مساوى الأمم الذين خلوا من قبلهم وأطلعهم على العقوبات التي نزلت بهم؛ ليعتبروا بذلك، ويرتدعوا على المعاصي، ولا يغتروا بالمهلة ومتعة الدنيا، كما اغتر بذلك الذين هلكوا قبلهم. فجعل مولانا بفضل أمة محمد معتبرين لا معتبرا بهم،<sup>5</sup> ومتعظين لا

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "معتبرا بهم".

متعظاً بهم، شاهدين على غيرهم لا مشهودا عليهم. وأظهر سبحانه محاسنهم لمن مضى من الأمم، وستر مساوئهم. بل نوه مولانا الكريم بقدرهم وقدر نبيهم سيدنا ومولانا محمد ﷺ تنويهاً عظيماً، تمنى بسببه كلهم الله موسى \_ صلى الله عليه وسلم \_ أن يكون من هذه الأمة». انتهى منه بلفظه [رحمه الله]<sup>1</sup>.

فقد بان لك أن الأمة المحمدية أفضل الأمم بصدقهم ومتابعتهم لشريعة متبوعهم سيدنا ومولانا محمد ﷺ، واغترافهم من بحر أنواره ﷺ. فأتمته أفضل الأمم كما أنه أفضل الأنبياء؛ لأنه أوتي من المعجزات أعظم ما أوتي نبيء قبله. قال سيدي موسى بن عيسى المازوني المذكور \_ رحمه الله \_ : «ولئن فرق الله البحر لكليمه، وناداه من الشجرة المباركة وكلمه حقيقة، فقد أسرى بنينا \_ عليه الصلاة والسلام \_ من المسجد الأقصى ورفعاه إلى السموات العلا ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَنْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَبْرَىٰ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾<sup>(2)</sup> مع ما كان في مسراه من العجائب. ولئن فجر الله لكليمه الماء من الحجر فما ذاك بأعجب من تفجيريه الماء لمحمد ﷺ من بين أصابعه في مواطن وهم جمع كثير، فتوضأوا وشربوا. ولئن سخر الله الريح لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر فما ذاك بأعجب من إسرائئه بمحمد ﷺ على ظهر<sup>3</sup> البراق في ليلة من مكة لبيت المقدس، وبينهما مسيرة شهر. ثم صعوده هنالك في المعراج إلى السماء السابعة بشخصه يقظانا وإمامته هُنَاكَ، بآدم وغيره من الأنبياء \_ عليهم الصلاة والسلام \_ . ولئن كان عيسى ﷺ يحيي الموتى فما ذاك بأعجب

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د)

<sup>2</sup> - سورة النجم، الآيات: من 07 إلى -18. وما بين المعقوفين ساقط من كل النسخ.

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "صهوة".

من نطق الذراع المسمومة بعد الطبخ لمحمد ﷺ، ومن جنين الجذع، وكلام الجمادات والعجاوات؛ كالذئب والشجر وغيرها من الآيات». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله [تعالى] 1\_.

### [معجزة الإسراء]

**قلت:** كيف يقاس الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر المسخرة لسيدنا سليمان ﷺ مع ما أعطى لنبينا وسيدنا وحبينا ومولانا محمد ﷺ في كونه أعرج به إلى قاب قوسين، فتناول من ثمار القرب مع ما رأى من عجائب الله، وما أعطي من التشريف في ذلك المقام الأسنى، ثم رجع إلى فراشه والليل على حاله.

ولتعلم أن مقدار صعوده ورجوعه في السبع الطباق أربعة عشر ألف سنة<sup>2</sup>. وبيان ذلك أن غلظ السماء الأولى خمسمائة؛ حسبما ورد به الحديث الصحيح عنه ﷺ. ثم ما بينهما وبين الثانية من فراغ خمسمائة سنة، ثم غلظ الثانية خمسمائة سنة، ثم ما بينها وبين الثالثة خمسمائة سنة إلى آخره. فيتحصل فيها سبعة آلاف سنة في كل الصعود، ثم في الرجوع مثل ذلك مجموع ذلك أربعة عشر ألف سنة<sup>3</sup>. وأما صعوده واختراقه لسبعين حجاباً ورجوعه عليها كما ثبت عنه قال: «جاوزت سبعين حجاباً غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، فيتحصل بها سبعون ألف سنة في الصعود ومثلها في الرجوع» [99ظ] مع الأربعة عشر ألف سنة<sup>4</sup> التي في السبع الطباق، فذلك مئة ألف سنة وأربعة وخمسون ألف سنة، فهذا ما ظهر لي عدد صعوده ورجوعه ﷺ في السموات السبع وفي سبعين حجاباً كما أخبر به ﷺ في حديث المعراج، فاعرف ذلك أيها الواقف، وادع لي لكوني أفدتك هذه الفائدة في تحقيق العدد فيما ترقاه ﷺ من السبع الطباق والحجب<sup>5</sup> السبعينية ورجوعه عليها والليل على حاله دون ما وراء ذلك من انتهائه إلى قاب قوسين أو أدنى، كما أخبر به الجليل جل جلاله في كتابه

1 - ما بين المعرفين إضافة من (ك).

2 - كذا في جميع النسخ. والصواب: "ألف"، بدل "آلاف". لأنه تمييز منصوب.

3 - كذا في جميع النسخ. والصواب: "ألف"، بدل "آلاف". لأنه تمييز منصوب.

4 - كذا في جميع النسخ. والصواب: "ألف"، بدل "آلاف". لأنه تمييز منصوب.

5 - كذا (أ)، وفي باقي النسخ: "الحجوب".

مما لا يعلم عدده إلى هو تبارك وتعالى. فكيف يقاس هذا المقدار العظيم المعظم [يتعظيم]<sup>1</sup> من سار فيه سيدنا وملجؤنا سيدنا ومولانا محمد ﷺ الذي لم ينله ملك مقرب ولا نبي مرسل بالريح التي غدوها شهر ورواحها شهر. فهل هذا مع ذلك إلا كنقطة من بحر مع ما رأى من عجائب الله تبارك وتعالى ولقاء<sup>2</sup> الأنبياء وترحيبهم به ودعائهم له وإمامته بهم<sup>3</sup>. وما قال له موسى ﷺ: «فسأل لأمتك التخفيف والتيسير في الصلاة» فصار يذهب لربه ويرجع حتى بقيت خمس صلوات، ودخوله الجنة ورؤيته ما فيها وما أعد الله له ولأمته من القصور والأنهار وشجرة طوبى وسدرة المنتهى ونحو ذلك، مما هو مشروح مسطر في حديث مسراه ﷺ مما يكل الإنسان عن عده، فمن أراد فلينظر كتب السير كابن إسحاق وغيره \_رضي الله عنهم، ونفعنا بهم آمين\_.

قال سيدي قاسم الرصاع: «وقضية الإسراء عجيبة، وما أودع الله فيها من الخوارق للعادة، وقطع المسافة التي لا يمكن قطعها إلا بقوة القوي القادر غريبة فإن رسول الله ﷺ قطع في قطعة من الليل مسيرة آلاف من السنين التي لا يعلم قدرها إلا الله، ولا يقدر على تحملها إلى رسول الله ﷺ». انتهى منه \_رحمه الله\_.

قلت: ورحم الله صاحب البردة حيث قال: [بسيط]

سَرِيَتْ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ	كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نَلْتِ مَنْزِلَةً	مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِ
وَقَدَّمْتِكِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا	وَالرُّسُلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأَنْتِ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ	فِي مَوْكِبٍ كُنْتِ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعِ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ	مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَتِمِ
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ	نُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

<sup>2</sup> - في (ب) و(ك): ولقياه. وفي (د): ولقائه.

<sup>3</sup> - في (ب): وإمامته بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

كَيْمَا<sup>1</sup> تَقُورَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَتِرٍ عَنِ الْعُيُونِ وَسِرِّ أَيِّ مُكْتَتِمٍ  
فَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرِكٍ وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحِمٍ  
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا أُولِيَتْ<sup>2</sup> مِنْ رُتَبٍ وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُوتِيَتْ<sup>3</sup> مِنْ نِعَمٍ<sup>(4)</sup>»

انتهى منه \_رحمه الله ونفعنا به وبأمثاله آمين\_. نسأله سبحانه بجاه السيد الكريم العزيز القدر عند الله المفضل على جميع خلق الله سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ، وأن يختم لنا بما ختم به للسعداء من عباده وأن يجعلنا من الذين أنعم الله عليهم من العلماء العاملين المتبعين لسنة سيد الأولين والآخرين سيدنا وحبیبنا ومولانا سيدنا محمد ﷺ / [100و] وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن أصحابه السادات الأكرمين.

**قلتُ:** وأما ما نقله سيدي الشيخ السنوسي في شرح عقيدته صغرى الصغرى عن السيد الإمام العارف بالحقيقة والطريقة سيدنا محمد بن عبّاد \_نفعني الله بهما\_ من اعتراضه على علمائنا في قولهم: "لئن أُعطي موسى كذا وسليمان كذا وعيسى كذا فقد أُعطي نبيناً محمد ﷺ ما هو أكبر منه" إلى آخر ما ذكر في ذلك. ثم قال سيدي محمد بن عبّاد بعد كلام له تركته لطوله «وإن علماءنا في ذلك ليسوا بمنزلة من هدم قصراً وبنى مصرأ أو بنى قصراً وهدم مصرأ، ولكن بمنزلة من هدمها جميعاً» إلى آخر كلامه. فنقول \_والله أعلم\_: إن علماءنا \_رضي الله عنهم\_ يتحققون ويعتقدون أن رسل الله \_عليهم الصلاة والسلام\_ كلهم خيرة الله من خلقه، وأنهم معصومون من جميع المعاصي قبل النبوة وبعدها، وأفضلية بعضهم على بعض وردت بها آيات قرآنية وأحاديث نبوية:

1 - في الأصل (أ): "كما". والصواب ما أثبتنا.

2 - كذا في جميع النسخ، وفي ديوان البوصري: "وَأُوتِيَتْ". ينظر: الديوان، ص248. وكذا في كتاب "النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية"، للشيخ حسن العدوي الحمزاوي (ت1303هـ). تخ وتع أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1971م. ص324.

3 - كذا في جميع النسخ. وفي الديوان: "أُولِيَتْ". ص248. وكذا في كتاب "النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية". ص324.

4 - والقصيدة في إسرائ الرسول (ص) ومعراجه للشاعر البوصري، ينظر: المرجع نفسه. ص324. وكذا الديوان، ص248. المكتبة الشاملة. موقع في الأنترنت <http://www.shamela.ws>.

فَمِنَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(1)</sup> فَقَالَ الْمُفَسِّرُ: «الذي رفع الله درجات هو نبينا ومولانا محمد ﷺ».

وأما الأحاديث النبوية فمن ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال في الليلة التي أسري به قال لي ربي: "سل يا محمد". قلت: "يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيتَه ملكاً عظيماً، وكلمت موسى تكليماً، وأعطيت داود ملكاً عظيماً، وأنت له الحديد، وسخرت له الجبال. وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً، وسخرت له الجن والشياطين، وأعطيتَه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده. وعلمت عيسى الإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص". قال رب العزة \_جل جلاله\_: "قد اتخذت خليلاً حبيباً، وهو مكتوب في التوراة: "محمد حبيب الرحمن"، وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبيد ورسولي، وجعلتك أول النبيين خلقاً، وآخرهم بعثاً، وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها لنبيء قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم من الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم شهر رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنزلت عليك سيد الكتب كلها ومهيمناً عليه، ورفعت لك ذكرك حتى تُذَكَّرَ كُلَّمَا ذُكِرْتُ، وأعطيتك مكان التوراة السبع المثاني ومكان الإنجيل الطواسيم، ومكان الزبور الحواميم، وفضلتك واصطفيتك بالمفصل، ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(2)</sup>». ثم قال: «وروي أن موسى ﷺ في مناجاته سأل الله عَزَّ وَجَلَّ: «أقرب أنت فأناجيك»، فقال المولى \_جل جلاله\_: «يا موسى أتريد أن أكون أقرب إليك من الذكر إلى لسانك؟»، قال: «نعم»، فقال: «يا موسى صل على محمد خير

<sup>1</sup> \_ سورة البقرة، من الآية: 253، وتمامها: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة الأعراف، من الآية: 144، وتمامها: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَاتِي فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.



البريئة». ولما ضرب البحر بعصاه فلم ينفلق له حتى قال الله له: «صل على محمد خير البريئة عشر مرات»، ففعل ما أمر به فضرب البحر فانفلق عند ذلك».

ثم قال: «وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ذات يوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أحسن وجهك، وأحلى منطقتك، وأصدق حديثك، وأرف مودتك، وألين عريكتك، وأحسن بشاشتك، وأزين مخالطتك عند الله وعند الناس!».».

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عمر بن الخطاب، أتدري من أنا؟ أنا الذي اشتق الله سبحانه اسمي من اسمه، فإنه محمود وأنا محمد، ولا فخر. يا عمر، أتدري يا عمر من أنا؟ أنا الذي خلق الله عزَّ وجلَّ نوري أول كل شيء فسجد / [100ظ] لله عزَّ وجلَّ فبقي في سجوده سبعمئة عام، فأول شيء سجد لله نوري ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله نور الشمس والقمر ونور الأبصار ونور المعرفة الذي في قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله العرش فاضطرب ولم يسكن حتى كتب عليه اسمي مع اسمه، فكتب على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش، وذلك قبل أن يخلق الله الخلق بسبعين ألف عام ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي عرف الله ملائكته فضلي قبل أن يسمعوا بذكر آدم باثني عشر ألف عام ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله آدم وذريته على حروف هجاء اسمي، فالرأس والوجه بمنزلة الميم، واليدان إذا مددتها بمنزلة الحاء، والبطن بمنزلة الميم والرجلان بمنزلة الدال، ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا الذي قال جبريل عليه السلام: أتدري يا محمد لِمَ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بالسجود لآدم فسجدوا كلهم؟ تعظيماً لك إذ كنت في صلبه، ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي توبه آدم فتاب حين توسل إليه، فقال: "بحق محمد"، ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي بادرت بالجواب حين أخذ ربك العهد من بني آدم من ظهورهم وذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فبادرت بالجواب، فقلت: بلى أنت ربنا، فاستحسن الله ذلك مني وأمر أرواح البهائم يسجدون لنوري إذ رأوا نوري في أصلاب آبائي

وأجدادي يتشعشع في جباههم فسجدوا لنوري ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي أخذ الله ميثاق الأنبياء والرسل [والأمم]<sup>1</sup> بإقرارهم بنبوءتي وفضلي وأن يتواصوا قرناً بعد قرن، قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ في آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله مصدق لما معكم من نعته وصفته لتؤمنن به، فأقروا بذلك قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ بأن خيرتي من خلقي وصفيي محمداً بخاتم النبيين وسيد المرسلين وحبیب رب العالمین وحجة الله على الخلائق أجمعين ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي: عهدي وميثاقي، ﴿قَالُوا أَفَرَأَيْنَا﴾، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(2)</sup>. إن خيرة خلقي وصفيي محمداً ﷺ ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>3</sup> ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي دعا صالح ربه أن يخرج الناقة من الصخرة فقال: بحق محمد خاتم النبيين إلا ما خرجت، فلما قالها خرجت الناقة ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي من أجلي قال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ﴾<sup>4</sup>، لما كنت أنا في صلبه ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الإنجيل لعيسى وفي الزبور لداود ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي في السماء أحمد، وفي الأرض محمد، وفي البحار الماحي، وفي القيامة الحاشر، وفي الجنة القاسم، وفي النار العاقب، لا يكون في عقبي نبيء ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الأول في الذكر، وأنا الآخر في البعث، وأنا الحاشر المقفي والرسول والماحي ونبي الرحمة ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود،

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

<sup>2</sup> - سورة آل عمران، من الآية: 81، وتامها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَأَيْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. من الواضح أن النسخ لم يجعلوا مايفرقون به بين كلام الله وكلام المؤلف ، وربما كان ذلك من المؤلف نفسه. ولذلك عدنا إلى المصحف الشريف في كل مرة ووقفنا على تخريج الآيات القرآنية وتحقيقها سورة ورقما، وهذا في جميع متن المخطوط من أوله إلى آخره وقد تطلب منا هذا العمل جهداً إضافياً غير يسير.

<sup>3</sup> - سورة آل عمران، من الآية: 82.

<sup>4</sup> - سورة الأنبياء، الآية: 69، وتامها: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبرَاهِيمَ﴾.

والمحضر المشهود، والأزواج الطاهرات،/ [101و] والعلو في الدرجات ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا صاحب لواء الحمد، ولوائي يبلغ ما بين المشرق والمغرب والأنبياء والرسل والمؤمنون كلهم تحت لوائي ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي بعثني الله بالحق بشيراً ونذيراً وعملت بالحق، وضربت بالحسام الملتزم حتى كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا النبي العربي القرشي الهاشمي المكي المدني التهامي الأبطحي البشير النذير السراج المنير ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مَقْمُوم بن ناحور بن يتوخ بن يعرب بن قحطان بن يشخب بن يافث بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن ناحور بن ساروح بن راغو بن فالخ بن عبير بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس النبي بن فدد بن مهلايل بن قينان بن يانوش بن شيت بن آدم وآدم من تراب، والتراب من الأرض، والأرض من الزبد والزيد من الموج، والموج من الماء، والماء من الدرة، والدرة من الضبابة، والضبابة نشأت من نور محمد ﷺ ولا فخر. يا عمر، أتدري من أنا؟ أنا الذي حرم الله الجنة على جميع الأنبياء والمرسلين حتى أدخلها أنا وأمتي ولا فخر. يا عمر أنا محمد ﷺ طب نفساً وقر عينا فأنت من رفقائي يوم القيامة». انتهى.

ثم قال: «وَرُوِيَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ مِنْهُ يَقُولُ بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «بَابِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَئِنْ كَانَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ أَعْطَاهُ اللَّهُ حَجْرًا تَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، فَمَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ أَصَابِعِكَ حَتَّى نَبَعَ الْمَاءُ مِنْهَا بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!. لَئِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَعْطَاهُ اللَّهُ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ، فَمَاذَا بِأَعْجَبَ مِنَ الْبُرَاقِ سِرَّتَ عَلَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فِي لَيْلَتِكَ ثُمَّ صَلَّيْتَ الصُّبْحَ بِالْأَبْطَحِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمْ بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!. لَئِنْ كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْطَاهُ اللَّهُ

إِحْيَاءَ الْمَوْتَى، فَمَاذَا بِأَعْجَبَ مِنَ الشَّاةِ حِينَ كَلَّمْتِكَ بِضَعَّةٍ مِنْهَا وَهِيَ مَشْوِيَّةٌ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ!. لَقَدْ دَعَا نُوحٌ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾<sup>(1)</sup>، وَلَوْ دَعَوْتَ مِنْهَا عَلَيْنَا لَهَلَكْنَا عَنْ آخِرِنَا، فَلَقَدْ وَطِئَ ظَهْرَكَ وَأُدْمِيَ وَجْهَكَ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُكَ فَأَبَيْتَ أَنْ نَقُولَ إِلَّا خَيْرًا فَقُلْتَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". انتهى منه باختصار \_ نفعني الله به، آمين يا رب العالمين\_.

فهذه النصوص مؤيدة وعاضدة لقول علمائنا \_ رضي الله عنهم ونفعنا بهم، آمين\_ . وما نسبه إليهم سيدي محمد بن عباد فهم بُرَاءٌ منه؛ لأنهم يتحققون أن الرسل \_ عليهم الصلاة والسلام \_ منزهون عن جميع النقائص، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض على ما أخبر به الصادق الصدوق سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

وكذلك أفضليته هو \_ عليه الصلاة والسلام \_ في الأحاديث المأثورة كما قدمنا قبل هذا، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى. ولو تتبعنا ذلك لخرجنا عن مقصدنا. ومن أَرَادَهُ فَلْيَنْظُرْ فِي كِتَابِ عِلْمَانِنَا، فَإِنَّهَا مَمْلُوءَةٌ بِذَلِكَ نِظْمًا وَنَثْرًا، وَاللَّهُ وَلِي التَّوْفِيقِ.

فنسأله سبحانه/ [101ظ] أن يتم علينا نعمة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأن يحيينا على ذلك، و يميتنا عليه، ويبعثنا عليه لا مبدلين ولا مغيرين بجاه من له الجاه عند الله، ومن توصلت به جميع المخلوقات إلى الله، ومن تقضى به الحوائج من الله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله ما دام ملك الله، ورضي الله عن السادات الذين اختارهم لصحبة رسول الله ﷺ. وحسبنا الله ونعم الوكيل. والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> \_ سورة نوح، الآية 26 وتتمتها: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة الأعراف: الآية 43. وتتمتها ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأُنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رِيثَتُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

فصل في تلامذته<sup>(1)</sup> الأخيار السادات الأبرار

**\_ نفني الله بهم<sup>2</sup> [وبحبي فيهم]<sup>3</sup> آمين يا رب العالمين \_:**

**\_ [مناقب أبي عبد الله محمد الشريف]:**

فمنهم السيّد الوليُّ الصالح المكاشف بالأسرار، الناطق بالحقائق والأنوار أبو عبد الله سيدي محمد الشريف الذي ضريحه في بلدة الجزائر، نفني الله به وأنالني شيئاً من أنواره، وجعل البركة في عقبنا وذريتنا إلى يوم الدين بجاهه وجاه جده سيدنا محمد ﷺ. وقد اشتهر ذكره في أقطار الأرض كلها، وله كرامات عديدة يكل الإنسان عن حصرها، وهو من أعاجيب الزمان.

ومن كراماته ما أخبرني من أثق به أنه كان يتعبد في كهف بأعلى مداشر<sup>4</sup> مصراتة أحد مداشر هواره \_ حماها الله \_ إلى ذات يوم أتى فوق دار الشيخ الغوث الرباني سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله \_ وصار يقول: "يا أحمد يوسف اشتغلت بالنساء" وكذا وكذا من كلامه في حالة الجذب؛ لأن الشريف المذكور أكثر حالة السكر والغيبة، لا يصحو من ذلك إلا قليلاً. فقال بعض أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الجالسين معه: نخرج لهذا ونضربوه<sup>5</sup> ضرباً وجيعاً على أقواله هذه. فما استتموا كلامهم حتى ناداهم من فوق دار الشيخ سيدي أحمد بن يوسف من موضع ناءٍ: "الخروف لا يلعب إلا على ظهر أمه"، وصار يكرر هذا اللفظ. فقال الشيخ سيدي أحمد بن يوسف لجلسائه: «أما يكفيكم اطلاعه على قلوبكم وما قلتم وهو بعيد عنكم». ثم إن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف قال لهم: «هذا الرجل وصل إلى الله بالعناية الأزلية في ثلاثة أيام».

<sup>1</sup> \_ كذا في (ب) و(ك). أما في (أ): "تلامته". وهو خطأ واضح من الناسخ. في (د) فصل في "تلامذة الشيخ البركة".

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "بحبي فيهم".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ك).

<sup>4</sup> - في (ب): "مجشر مصراتة أحد مجاشر هواره".

<sup>5</sup> - كذا في جميع النسخ. والصواب: "نضربه".

قلت: ويشهد له ما ذكره الشطنوفي ونصه: «قال الشيخ سيدي أبو بكر بن هواري قد وصل أبو محمد الشنبيكي إلى الله في ثلاثة أيام. قيل لسيدي محمد الشنبيكي كيف وصلت إلى الله في ثلاثة أيام؟ فقال: "تركت الدنيا في اليوم الأول والآخرة في اليوم الثاني، [واليوم الثالث] طلبت الله<sup>(2)</sup> عن من سواه فوجدته". انتهى منه بلفظه رحمه الله.

ومثله ما حكي عن سيدي أبي العباس المرسي نفعنا الله به، أمين، ثم قال الشطنوفي المذكور: «وأبو محمد الشنبيكي رحمه الله منسوب إلى الشنابك قبيلة من الأكراد سكن الحدادية قرية من البطايح، وفيها مات وقبره ثم ظاهر يزار». ثم قال: «قال رجل للشيخ سيدي أبي محمد الشنبيكي: "إذا حضرت الملك فاسأله عني". فأطرق الشيخ سيدي أبو محمد ساعة، ثم قال: "قد سألته عنك، فقال: نعم العبد إنه [أواب]<sup>(3)</sup>، وسترى الليلة في منامك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرك بذلك". فأخبر الرجل أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وقال له: «صدق الشيخ أبو محمد الشنبيكي، وقد قيل في حقاك: "نعم العبد إنه أواب"». انتهى لفظه رحمه الله.

[102و] ومن مناقب سيدي محمد الشريف المذكور [ما حكي]<sup>4</sup> أنه كان في قلعتنا قبل مجيء الإسكندر والأتراك إليها، فيدخل المسجد حافيا ويقول: "أنا ألوثه وأنجسه قبل أن ينجسه الكفار". فلم يكن إلا قليلا حتى قدم عراج والإسكندر والأتراك، فذهبوا لتلمسان فبقي عراج فيها ورجع الإسكندر للقلعة فحصر فيها وقتل. ودخل النصارى دمرهم الله الجامع الأعظم من القلعة المذكورة ونجسوه كما أخبر بذلك الشريف المذكور، بهذا أخبرني أكابر قلعتنا لأنني كنت حينئذ صغيرا دون الأتغار.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

<sup>2</sup> - بياض في (أ)، بمقدار كلمتين. وفي (ب) و(د) و(ك): "طلبت الله طلبا مجردا عما سواه". وفي (ك) أيضا: "وردت" عن من سواه.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

[ومنها ما]<sup>1</sup>حدثني من أثق به<sup>2</sup> أن الشريف المذكور كان بموضع متعبده من قلعتنا \_حماها الله\_ حتى صاح وهاج بكلام وهو يقول: "التواتي هذا ما يواتي" يشير إلى بجاية \_أعادها الله للإسلام\_، فلم يكن إلا قليلا حتى أخذ الروم<sup>3</sup> بجاية.

ومنها ما حدثني به المرابط عبد الله الملقب أخلال القلعي أن الشريف المذكور قال له: "النصارى يأخذون تلمسان". قال: "فقلت له: كيف وأبو مدين فيها؟!"، قال: "يطأون على بطنه"، أو نحو هذا الكلام. فكان الأمر كما قال \_نفعني الله به\_: "أخذها الكفار، وأسروا حريمها، وأفسدوها وخربوها وقت قدوم الأمير أبي عبد الله بهم من وهران عام خمسين وتسعمائة".

ومنها ما حدثني به المرابط أحمد بن محمد عرف بأفجاج<sup>4</sup> القلعي، قال: «كان السيد الشريف المذكور عندي وكنت أطبخ الصابون، فقال لي: "أعطني أشرب الزيت"، فأعطيته الزيت فشربها، ثم جعلت أطبخ الصابون فكلما طبخت تَزِيدُ الزيتُ وَتَكْتَرُ حتى تعجبت من ذلك انتقصت»<sup>5</sup>.

ومنها ما حُكِيَ أن رجلين سرقا ولم يعلم بهما أحد إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، فلما قربا من موضع متعبده قال لهما مبادرا: "أرجعا ما سرقتما"، فأقرا بذلك، وأرجعا السرقة لربها. ومنها ما حُكِيَ أن رجلين صرعا عبدا، وأخذا له كساء، فباعاها، واشترى ببعض ثمنه تيناً. وأتيا به هدية إلى الشريف المذكور. فلما أن قربا من مغارته خرج وطردهما، وصار يرميهما بالحجارة، ويقول لهما: "اذهبا يا خائنان تطعمان الحرام"، ونحو ذلك من كلامه، ولم يعلم بذلك إلا الذي أطلعه على السرائر.

1 - ما بين المعرفين ساقط من (د).

2 - في (ب) و(د): "أثق بقوله".

3 - يقصد الاحتلال الإسباني في هذا العهد.

4 - في (ك): عرف بالحاج القلعي.

5 - كذا في جميع النسخ، ولعله يقصد: "وما انتقصت كمية الزيت".

ومنها ما حدثني به السيد<sup>1</sup> أحمد الخطيب القلعي، وذلك أنه قال ذهب لي حمار وصرت أبحث عليه في أحواز القلعة. وكان السيد الشريف المذكور في مغارته بموضع يقال له "عين مجفوط"، بل فوقها بالقرب من قلعتنا \_حماها الله\_. فقال لي من داخل المغارة: "لا تتعب نفسك أيها الخطيب، حمارك أكله السبع في موضع كذا"، فذهبت فوجدته كما قال. وأنا لم أعرف به في المغارة، ولا شعور لي به إلا كوني مررت بقرب مغارته.

ومنها ما أخبرني به من يوثق بقوله أن الشريف المذكور كان مع رفقة في دوار فصلوا الصبح وهو جالس لم يصل فقالوا في أنفسهم: "كيف يكون هذا وليا مع أنه لم يصل الصبح معنا؟!". فأطلعه الله على ما في قلوبهم، فقال: "يا أخي صلَّيتُ في موضع لا تعلمونه"، أو نحو ذلك من كلامه ﷺ.

قلتُ: إياك أيها المستمع لهذا الكلام أن يخطر ببالك أن السيد الشريف المذكور لم يُصلِّ كما رآه رفاقوه، فلعله صلى عند الكعبة أو غيرها من الأماكن الشريفة من حيث لم يره هذا المحجوب بذنوبه. ويشهد لصحة ما قلناه في سيدي الشريف المذكور ما قاله الشطنوفي \_رحمه الله\_، ونصه:

### [مناقب قضيب البان]:

«ذُكِرَ قضيب البان<sup>(2)</sup> عند سيدي عبد القادر<sup>(3)</sup> \_نفعني الله بهما\_ / [102ظ] فقال: "هو ولي مقرب ذو حال مع الله"، وَقَدَّمَ صِدْقٍ عنده. ف قيل له: "إِنَّا مَا نَرَاهُ يَصَلِي". فقال: "إنه يصلِّي من حيث لا ترونه ولا يخرج يوم وليلة وعليه منها فرض أبدا. واني أراه يصلِّي إذا صلى بالموصل وغيرها من آفاق الأرض يسجد عند باب الكعبة" انتهى منه

<sup>1</sup> - في (ب) و(ك): "سيدي أحمد الخطيب".

<sup>2</sup> - هو أبو عبد الله الحسين بن عيسى بن يحيى الحسني، المعروف بقضيب البان: مولده سنة 471هـ/ 1079م. متصوف من أهل الموصل. تفقه حنبليا وصحب عبد القادر الكيلاني وغيره. له أخبار في الزهد كثيرة. ووفاته سنة 573هـ/ 1177م. تنظر ترجمته في: الأعلام: للزركلي ج2/ ص 251.

<sup>3</sup> - يقصد: عبد القادر الجيلاني (أو الكيلاني).



. ثم قال: «وكان الغالب على قضيب البان الاستغراق والوله وكراماته واختراقه جوانب الأرض بالخطوة ووقائعه مع الأشياخ والأولياء كثيرة مشهورة. فمن ذلك ما أخبر به قاضي الموصل أنه قال: «كنت سيء الظن بقضيب البان على كثرة ما بلغني من كراماته ومكاشفاته، وكنت عزمت أن أقول للسلطان في إخراجه من الموصل وما اطلع على ذلك مني سوى الله عَزَّ وَجَلَّ فبينما أنا في أزقة الموصل إذ رأيت قضيب البان مقبلاً من صدر الزقاق على هيئته المعروفة. ولم يكن ثم غيري وغيره، فقلت في نفسي: "لو كان معي أحد أمرته بإمساكه"، فمشى خطوات وإذا هو على هيئة بدوي بصورة غير الصورتين الأوليتين<sup>1</sup>، ثم مشى خطوات وإذا هو على صورة فقيه، وقال لي: "يا قاضي هذه أربع صور رأيتهن<sup>2</sup> فمن هو قضيب البان منها حتى تقول للسلطان في إخراجه من الموصل". فلم أتمالك أن أقبلت على يديه أقبلهما وأستغفر الله مما خطر في قلبي وعزمت عليه».

ثم قال الشطنوفي المذكور: «وكان عدي بن مسافر رضي الله عنه يأتي إلى قضيب البان ويقف على رأسه ويقول هنيئاً لك يا قضيب البان، قد اختطفك الشهود الإلهي، واستغرقك الوجود الرباني».

ثم قال الشطنوفي المذكور: «وَحُكِّيَ أن الشيخ الصالح أبا حفص عمر المعدني قال: "أذن الظهر يوماً عندنا بالزاوية "بلالش" فوثب قضيب البان وخرج فقلت له: "هل لك في الصحبة؟"، قال: "نعم، يا أخي بشرط ستر الحال"، قلت: "نعم". فمشينا غير بعيد فأتينا مدينة لا أعرفها، ولا أدري بأي أرض هي، فقام إليه أهلها فتلقوه وبالغوا في الكرامة<sup>3</sup>. وإذا هم من أكمل الناس أدباً، وأوفرهم عقلاً، وأكثرهم خشوعاً. فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وخرجنا من عندهم وقت الإسفار، وما أكلنا ولا شربنا. فسار غير بعيد وصار

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ. والأصح: "الأولين".

<sup>2</sup> - كذا في جميع النسخ. والأصح "رأيتها".

<sup>3</sup> - كذا في (ا) و(ك). وفي (ب) و(د): "إكرامه". وهو الأصح.

يلقمني من أنواع الفواكه والخلوى، وسقاني ماء. ووالله ما أكلت ولا شربت أذَّ مما أطعمني وسقاني. وقد خرجنا من تلك المدينة وما معه شيء. فلم يكن إلا يسيرا حتى أتينا "لالش"<sup>1</sup>، فقلت له: "ما تلك المدينة؟"، قال: "يا أخي هذه مدينة من وراء بحر الهند، وأهلها مسلمون يصلي بهم كل ليلة ويوم ولي من أولياء ذلك الزمان وأنه لا يدخلها عليهم إلا ولي. ولو لم يُؤدَّن لي في مُصاحبتك لَمَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تُرَافِقَنِي".»

ثم قال الشطنوفي المذكور: «وَحَكِيَّ أَنْ أبا عبد الله البلقى رضي الله عنه قال: "كنت في بعض السنين مجاورا لحرم مكة \_شرفها الله\_ فبينما أنا جالس يوما وقت الضحى في مقام إبراهيم \_صلوات الله على نبينا وعليه\_ إذ دخل الشيخ أبو محمد البصري المقام ومعه أربعة نفر، فصلى بهم ركعات، ثم طافوا سبعا. فلما أتموا الطواف خرجوا من باب بني شيبه، فتبعتهم فردني أحدهم، فقال له الشيخ أبو محمد: "دعه". ثم وقف أمام الجماعة وَصَفَّهُمْ خمسة صفوف، كُلُّ صَفٍّ رَجُلٌ يَلِي الرَّجُلَ الَّذِي قدامه. وكنت أنا في آخرهم وأمر كلا منا أن يضع قدمه في الموضع الذي يرفع قدمه منه [الذي قدامه]<sup>2</sup>. ثم سار الشيخ ونحن خلفه، كما أمر والأرض تطوى تحت أقدامنا طيا فلم نلبث إلا يسيرا فإذا نحن/ [103و] بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فزرنا وصلينا بها صلاة الظهر، ثم خرج وخرجنا خلفه [على الترتيب المذكور فلم نلبث إلا يسيرا فإذا نحن ببيت المقدس فصلينا بها العصر ثم خرجنا] فلم نلبث إلا يسيرا [وإذا نحن]<sup>3</sup> بسدِّ ياجوج وماجوج فصلينا به صلاة العصر. ثم سار ونحن خلفه، وإذا نحن بجبل قاف فصلينا به العشاء الآخرة<sup>5</sup>، وجلس الشيخ على ذروة<sup>6</sup> من الجبل ونحن خلفه. فأتاه رجال من أقطار الجبل كالأسود مهابةً، لهم أنوارٌ أضوأ من الشمس

<sup>1</sup> - لالش: مدينة من وراء بحر الهند حسب المؤلف. أهلها مسلمون.

<sup>2</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (د).

<sup>3</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ا).

<sup>4</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ا).

<sup>5</sup> - كذا في جميع النسخ، والأصح "الأخيرة".

<sup>6</sup> - في (ك): "ذرة".

والقمر تسعى بين أيديهم، فيسلمون عليه، ويجلسون بين يديه ويتأدّبون معه، ونزل عليه رجال آخرون من الجو، سائرين في الجو كالبرق الخاطف، وأحدق الجميع به وسألوه أن يتكلم معهم، فتكلم فكان منهم من يصعق ومنهم من يردد ومنهم من تنهمل دموعه، ومنهم من يصيح ويغدو في الهواء؛ حتى يغيب عن النظر. وكان يُخَيَّلُ لي أنّ الجبل يضطرب تحتنا. ولم يزل الحال كذلك إلى أن طلع الفجر، فصلّى بهم الشيخُ صلاة الصُّبح، ثمّ نزل إلى وراء الجبل، فإذا أرضٌ شديدةُ البياض، كثيرةُ الأنوارِ، لطيفةُ الجرمِ، لا تشبهُ أراضي الدنيا ولا يُرى لها طرف. وكانت روائح المسك تفوح من تحت أقدامنا، وكنا نمر بطوائف صورهم [كصور] <sup>(1)</sup> الأدميين، يذكرون الله تعالى بأنواع التسبيح بأصوات لم يسمع السامعون مثلها، قد غشيتهم <sup>2</sup> أنوار تكاد تخطف أبصار الناظرين. فكان الشيخ أبو محمد يصيح في وطأة تلك الأرض ويميل به <sup>3</sup> الوجد يمينا وشمالا، وتارة يقول الشوق إليك يقلقني <sup>4</sup>، والبعد عنك يقتلني، والخوف منك يتلفني، ورجائي فيك يحبسني، وإعراضك عني يميّتي، وحبك يهيمني، وقربك يجمعني، والأنس بك يبسطني، وخلوتي بك تجمعني، ومشاهدتي لك تطويني، وتنتشرني، فارحم من أزمته بيدك، وما زال حال الشيخ إلى وقت الضحى، ورجع إلى الموضع الذي جئنا منه. وسار ونحن خلفه كسيرنا بالأمس. فلم نلبث إلا يسيرا حتى انتهينا إلى مدينة مبنية بالذهب والفضة، فيها أشجار متعانقة، وأنهار مطردة، وثمار منضودة، وفواكه كثيرة. فدخلناها وأكلنا من ثمارها وشربنا من مائها. ثم أمر الشيخ كل واحد منا أن يأخذ تفاحة مما هنالك، فأخذنا إلا الرجل الذي رَدَّنِي بِأَنَّ يَدَهُ لم تمتد، ولم يستطع أن يأخذ شيئاً، فقال له الشيخ: هذا [يسوء أدبك] <sup>5</sup>، وكسرك خاطر هذا، وأشار إليّ، فاستغفر الرجل

<sup>1</sup> \_مايين المعقوفين ساقط من (ك)..

<sup>2</sup> - كذا في (ب) و(ك). وفي (ا): "غشيتهم". وفي (د): "فأغشيتهم".

<sup>3</sup> - في (ك): "بها". وبها لا يستقيم المعنى.

<sup>4</sup> - في (د): "يقتلني".

<sup>5</sup> - مايين المعقوفين بياض في (د).

الله، فقال: "بني هذا الأمر على محافظة الأداب ومراعاة أحكامها"، ثم قال: "خذ واحدة كأصحابك"، فمد يده فامتدت، وأخذ تفاحة. ثم قال الشيخ: "هذه مدينة الأولياء لا يدخلها إلا ولي بريء".

ثم غاب هو ومن معه فلم نرهم حتى بعد مدة اشتقت رؤيته فسافرت إلى البصرة، وأقمت عنده أياماً فخرج يوماً إلى ظاهر البصرة وأنا معه يزور قبر طلحة بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ، فلما رأى القبر من بعيد رجع القهقرا، ثم رجع فأتى القبر وزار [هـ]<sup>1</sup> وهو مطرق متأدب. فلما رجع سألته عن ذلك، فقال: لما أقبلت على قبره رأيتَه جالسا وعليه حلة خضراء وتاج مكلل بالدر والجوهر وعنده حوريتان<sup>2</sup>، فاستحييت ورجعت بوجهي. فأقسم عَلَيَّ بالنبي ﷺ أن أرجع إليه فرجعت إليه. قال الراوي: "ولم أخبر أحدا بشيء من ذلك حتى مات الشيخ رحمه الله".

قال الشطنوفي المذكور: «وسمع الشيخ أبو الفتح نصر الله بن منصور بن أحمد المكي الفرتي يقول: زرت جبانة هنا<sup>3</sup> سنة أربعين وستمائة في وقت الظهر، ولم يكن ثم غيري، فرأيت أنوارا خرجت من قبر الشيخ عبد الرحيم، ومن قبر الشيخ أبي الحسن علي الصباغ حتى توارى عني نور الشمس لكثرة ضيائها، وسمعت قائلاً يقول من قبر الشيخ أبي الحسن: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾<sup>(4)</sup> / [103ظ]. ثم سمعت قائلاً يقول من

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د) و(ك). أي هاء الضمير المتصل.

<sup>2</sup> - كذا في (ب) و(ك) بالرفع بالألف. على الابتداء. وفي (ا) و(د): "حوريتين" بالجر بالياء. وهو خطأ. أي من حور العين وهن نساء الجنة كما وعد الله المؤمنين بهن حيث قال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾. سورة الرحمن: الآية (72).

<sup>3</sup> - في (ب) و(ك): "جبانة فنا".

<sup>4</sup> - سورة النور، الآية 35. وتكلمتها: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قبر الشيخ عبد الرحيم: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي [اللَّهُ] 1 لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(2)</sup>، قال: "فخررت<sup>3</sup> مغشياً عليّ".

ثم قال الشطنوفي المذكور: «قال أبو العزائم مقدم بن أبي صالح البطائحي: "زرت مع إبراهيم الأعزب قبر الشيخ أبي محمد الشنكي بالحدادية، فقال الشيخ إبراهيم: "سلام عليكم دار قوم مؤمنين"، فسمعت الشيخ أبا محمد من قبره يقول: "وأنت عليك السلام يا شيخ إبراهيم"، فتواضع له الشيخ إبراهيم فقال له الشيخ أبو محمد: "مثلك من يكون شيخاً مكملًا"، ثم قال له يا شيخ إبراهيم: "هبنى مقداً يكون عندي فإني أحب تلاوة القرآن"، فقال له الشيخ إبراهيم: أنا ومقدم بين يديك"، فقال: "لا بد من إذك في ذلك"، فقال لي الشيخ إبراهيم: "يا مقدم قد سمعت ما قال الشيخ أبو محمد؟"، فقلت: "سمعا وطاعة". وودعت الشيخ إبراهيم وجلست عند قبر الشيخ أبي محمد الشنكي أتلو القرآن، فقيل إنه تلا عند قبر الشيخ أبي محمد ثلاثين ألف ختمة". انتهى منه رحمه الله، ونفعني به وبجميع من ذكره في كتابه، أمين يا رب العالمين.

ومن مناقب سيدي محمد الشريف المذكور قبل هذا. فمن ذلك ما حدثني من أثق به أن الشريف دخل ذات يوم بيت خديم له وهو أبو زيد المصراتي، فوجد كلبة ترضع أولادها فرق قلبه لها، فقال لزوجته خديمه المذكور: "اجعل لي قصعة ثريد". فبادرت إلى ذلك، وجعلت الثريد، وأتت بالإناء الذي فيه السمن، وصارت تزيل منه السمن وتجعله في الثريد، والسيد المذكور يقول لها: "زيد"، وزوجها يقول لها: "اتركي لي شيئاً من السمن؛ لأنني اشتريته لخماستي أخدم الحرث فأكل منه". فلم تلتفت لقول زوجها؛ لكونها مطيعة خادمة للشيخ المذكور، فلما فرغت من إصلاح قصعة الثريد، وقربتها للسيد المذكور، نادى الكلبة وأعطاهما القصعة، فأكلتها فلم يرضيا بذلك؛ لأنهما أحبا أن يأكلها هو. ثم بعد ساعة أرادت

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ا).

<sup>2</sup> - سورة النور، الآية 35.

<sup>3</sup> - في (ا) و(ك): "خرجت مغشياً علي". وفي (ب) و(د): "خررت" وهو الصواب لمناسبة المعنى، فأثبتناه.

المرأة أن تجعل السمن في طعامهم فأخذت إناء السمن، فوجدته سمناً مملوءاً بقدره الله وببركة الولي المذكور. فنادت المرأة زوجها وقالت له: انظر الإناء مملوء سمناً، مع أنها لم تترك فيه إلا شيئاً يسيراً. فتعجب من ذلك. ثم إن الشريف المذكور أتى وقال للزوجة: "والله، ثم والله، لو لم تُرِي الإناء لزوجك لأكلتم منه ما بقيت الدنيا.

\_ [مناقب محمد الهواري]:

قلت: وما ذكر عن السيد الشريف المذكور في إعطائه قصعة الثريد للكلبة وقع أكبر منه للشيخ سيدي محمد الهواري الذي كان في بلدة وهران \_ أعادها الله دار إسلام \_ على ما أخبرني به أكابر قلعتنا ينقلون ذلك خلفاً عن سلف أن امرأة أسر ولدها فأنتت إلى الهواري المذكور تشكو أسره، فقال: اذهبي واجعلي قصعة من الثريد واللحم وجيئي بها. ففعلت وامتنلت أمر الشيخ سيدي محمد الهواري \_ نفعني الله به وبأمثاله آمين \_، ثم أنتت بالقصعة كما أمرها الشيخ محمد الهواري \_ نفعني الله به وبأمثاله آمين \_، ثم أعطاها لسلوقية كانت عنده ترضع أولادها فأكلتها.

فلما أن فرغت من أكلها قال لها اذهبي لموضع كذا من بلدة كذا من عدوة بر النصارى \_ أهلكهم الله \_ وجيئني / [104و] بابن هذه [المرأة]<sup>1</sup> الأسير. فذهبت في الحين وقطعت البحر بقدره من سخره لأوليائه. فَحُكِيَ أنها وجدت الأسير ابن المرأة المذكور اشترى [فؤادا]<sup>2</sup> للنصرانية التي هو عندها، فخطفته من يده السلوقية الموصوفة قبل هذا، وصار يتبعها خوفاً من النصرانية إلى أن عرضت له ساقية فقطعها وهو البحر<sup>(3)</sup> بقدره القادر على كل شيء، ثم تبعها إلى أن دخلت على أمه في وهران \_ أعادها الله دار إسلام وإيمان \_، وهذا قليل في حق أولياء الله \_ نفعني الله بهم أجمعين \_ . ومناقب سيدي محمد الهواري كثيرة إلا أنني لم أقف عليها.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

<sup>2</sup> - الكلمة التي بين المعقوفين غير واضحة في جميع النسخ. وربما هي كلمة عامية يقصد بها المؤلف: "الرتنين" بالتعبير المحلي.

<sup>3</sup> \_ كذا في كل النسخ ويبدو أن في العبارة سقطا.

## \_ حكاية في المعنى:

قال الشطنوفي: «وحكي أن الإفرنج أسروا ولدا لامرأة من أهل همذان، فجاءت إلى الشيخ سيدي يوسف بن أيوب الهمذاني<sup>1</sup> باكياً، فصبرها فلم تصبر، فقال: "اللهم فُكَّ أسره، وعجل فرجه". ثم قال لها: "أذهبي إلى دارك تجديه بها إن شاء الله". فذهبت المرأة فإذا ولدها في الدار، فتعجبت من ذلك، وسألت ولدها، فقال لها: "إني كنت الآن بالقسطنطينية العظمى، والقيود في رجلي والحراس عَلَيَّ، فأتاني شخص ما رأيته قط، فاحتلمني وأتى بي إلى هنا كلمح البصر". فأنت المرأة إلى الشيخ سيدي يوسف بن أيوب المذكور، فقال لها: "اسكتي، أتعجبين من أمر الله". انتهى منه \_رحمه الله\_. ومن مناقب محمد الشريف المذكور ما حدثني من يوثق بقوله أنه ألقى مرقعته في النار، فلم تعدُ عليها. وكذلك ألقى هو نفسه في النار مرة أخرى فلم تضره<sup>(2)</sup>، ولم تعد عليه.

## \_ حكاية في المعنى:

قال الشطنوفي: «وقع بقرية "مارديس" حريق فاضح، واستطار في أقطار البلد استطارة كثيرة، فضج الناس إلى الشيخ سيدي موسى بن ماهين الزولي<sup>3</sup> فأعطاهم عكازه، وأمرهم أن يلقوه في النار. فذهبوا وألقوه فيها، فانطفأت لوقتها، كأنها لم تكن. وجاعوا فأخرجوا العكاز فما رأوه احترق ولا أسودَّ ولا سحن. فأتوا به إلى الشيخ سيدي موسى، فقال: "إن الله عَزَّ وَجَلَّ وعدني أن النار لا تحرق من مسته يدي". انتهى منه \_رحمه الله\_.

<sup>1</sup> - يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسن الهمذاني، أبو يعقوب: زاهد متصوف، تفقه ببغداد، ولد في حدود سنة أربعين وأربعمئة هـ. وقدم بغداد شاباً، فوعظ بها، وأقبل عليه الناس، سكن بمرور، وبها قبره. ووفاته في إحدى قرى هراة، في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمس مائة وله بضع وتسعون سنة، رحمه الله. له كتب منها: "منازل السالكين"، و"زينة الحياة"، وكلاهما في التصوف. الزركلي: الأعلام، ج8. ط5. دار العلم للملايين. بيروت لبنان. 1970. ص219.

<sup>2</sup> \_ في (أ): تضروه. وهي "خاطئة".

<sup>3</sup> هو أُوحد الأئمة أبرز الله تعالى له المغيبات، وخرق له العادات وأوقع له الهيبة في القلوب وانعقد عليه إجماع المشايخ وقصد بالزيارات، ولحل المشكلات، وكشف خفيات الموارد، وكان الشيخ عبدالقادر رضي الله عنه يثني عليه، ويعظم شأنه وقال مرة: يا أهل بغداد ستطلع عليكم شمس ما طلعت عليكم بعد فقيل له: ومن هو؟ قال الشيخ موسى الزولي. لم يذكر تاريخ وفاته. الشعراني: الطبقات الكبرى. ص203.

قلت: وهذا من العناية النبوية المحمدية، ودليله ما ذكره سيدي موسى بن عيسى المذكور ونصه: «وخرجت نار بالحوة فجاء عمر لتميم الداري رضي الله عنهما فقال عمر: قم لهذه النار»، فقال له تميم: "أنا وما أنا؟!"، يعني يعظم نفسه. فلم يزل به حتى قام معه فانطلقا إليها. وجعل تميم: "يحوشها بيده حتى دخلت في الشعب، فدخل خلفها وجعل مولانا عمر يقول: ليس من رأى كمن لم ير".»

ثم قال سيدي موسى المذكور: «وذكر مسلم عن عبادة بن عبد الصمد أنه قال: "أتينا أنس بن مالك ففعدنا عنده، ثم أتت الجارية بمنديل وسخ، فأمرها أن تطرحه في التتور، فطرحته فيها، فأخرجته أبيض وزال وسخه". فقيل له: "ما هذا؟"، فقال: "إنه منديل كان رسول الله ﷺ يمسح به وجهه، فإذا اتسخ صنعنا به هذا؛ لأن النار لا تأكل شيئاً مسه الأنبياء". ونحو من هذا ما ذكره القشيري عن بعض الأولياء مع يهودي، أنه قال: "أرني آية"، فأخذ الولي ثوب اليهودي، ولفه في ثوبه ورمى بهما في مستوقد النار، فاحترق ثوب اليهودي في داخل ثوب الولي، ولم تعد النار على ثوب الولي. وحكى غيره في قلة اعتداء النار فيما كان بسبب الصالحين أموراً كثيرة». انتهى من سيدي موسى المذكور.

قلت: وقد وقع/ [104ظ] ما هو أكبر من هذا لتلميذ من تلامذة الشيخ سيدي أحمد ابن يوسف رحمه الله، نفعني الله بهما يسمى الديلمي على ما أخبرني به من أثق بقوله، وذلك أن التلميذ المذكور دخل فرناً يتأجج ناراً، وأخذ يطبخ الخبز ويقول هذه للمسلم، وهذه لليهودي. وصاحب الفرن يتعجب في ذلك - أعني في قلة اعتداء النار، وفي كونه يفرق بين خبز المسلمين وخبز اليهود - إلى أن فرغ الخبز كله وخرج، ولم تضره النار لا في ثيابه ولا في بدنه. أخبرني بهذا جماعة كثيرة يستحيل تواطؤهم على الكذب. وأن هذه الواقعة في تلمسان كلاها<sup>1</sup> الله وقعت.

<sup>1</sup> - كذا في جميع النسخ: ولعله يقصد "حماها". ويستقيم المعنى بإعادة ترتيب الجملة الأخيرة كما يلي: وأن هذه الواقعة وقعت في تلمسان حماها الله.



قلتُ: وقد ذكر صاحب الكتاب المسمى بزهر الأكمام في قصة يوسف عليه السلام حكاية في قلة اعتداء النار في رجل حداد، ونصه: «حُكِيَ إن رجلاً من البدلاء بلغه أن في مدينة كذا وكذا حدادا يدخل يده في النار ويأخذ الحديد المحمأة بيده، فلا تعدو عليه النار فقصد الرجل تلك البلدة فلما دخلها سأل عن الحداد فدل عليه، ثم أتاه فسلم عليه وقال له: "إني أريد أن أكون الليلة ضيفك"، قال: "نعم، حباً وكرامة"، فاحتمله إلى منزله، وتمسّى معه، وباتا جميعاً. فلم ير له أثر قيام ولا عبادة، فقال لعله يستتر مني فبات عنده ليلة ثانية وثالثة. فرآه لا يزيد على المفروض إلا اليسير، ولا يقوم من الليل إلا القليل. فقال له: "يا أخي إني سمعت بما أكرمك الله به ورأيتك بادياً عليك، ثم نظرت إلى اجتهادك فلم أر عمل من ظهرت عليه الكرامات، فمن أين لك هذا؟". فقال له: "نعم، أنا أحدثك. وذلك أنه كانت لي جارية<sup>1</sup>، وكنت بها مولعاً فراودتها عن نفسها، فلم أقدر عليها قط؛ [لاعتصامها بالورع]<sup>2</sup>. فجاءت<sup>3</sup> سنة قحط وشدة، فَعُدِمَ الطَّعام، وعمَّ الجوعُ. فبينما أنا في يوم من الأيام [قاعد]<sup>4</sup> إذا بقارع يقرع الباب، فخرجت فإذا بها واقفة، فقالت: "يا أخي أصابني الجوع"، فرفعت رأسي إليك، لتطعمني الله عَزَّ وَجَلَّ، فقلت لها: ألا تعلمين ما كابدت من أجلك، وقاسيت من أجلك، وأنا لا أطعمك إلا أن تمكينيني من نفسك. فقالت: "الموت ولا معصية ربي"، فرجعت.

فلما كان بعد يومين عادت وقالت لي ما قالت المرة الأولى، فجاببتها مثل جواب الأول، فدخلت وقعدت في البيت، وقد أشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها بالدموع، فقالت: تطعمني الله؟ فقلت: "لا، إلا أن تمكينيني من نفسك"، فقالت: "الموت خير لي من عذاب الله"، ثم قامت وتركت الطعام، وخرجت ولم تأكله.

<sup>1</sup> - كذا في (ا) و(د). وفي (ب) و(ك): "جارية".

<sup>2</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ك).

<sup>3</sup> - في (ك): " فكانت سنة قحط".

<sup>4</sup> - ما بين المعوقين إضافة من (ب) و(د).

قال: فلما كان بعد يومين إذا بها تفرع الباب، فخرجت إليها وهي واقفة، وقد قطع الجوع صوتها. فقالت لي: "قد أعتيتي الحيل، ولا أقدر على إبدال وجهي لأناس غيرك، فهل تطعمني الله؟"، فقلت: "لا، إلا أن تمكينني من نفسك". قال: فدخلت وقعدت في البيت، ولم يكن عندي طعامٌ مُهيأً، فقامت وأضرمت النار، وصنعت الطعام. فلما طاب الطعام وجعلته في القصعة تداركني الله بلطفه، وقلت لنفسي: "ويحك هذه امرأة ناقصة عقل ودين تمتع عن الطعام. ولا قدرة لأحد على الصبر دونه على ما بها من الجوع، وترددت المرة بعد المرة وأنت لا تنتهين عن معصية ربك، إنني أتوب إلى الله ممّا خطر بيالي". فقامت بالطعام، فدخلت عليها وقلت لها: "كلي ولا روع عليك، فإنه الله تعالى". قال: فرفعت عينيها إلى السماء وقالت: "اللهم إن كان صادقاً فحرم النار عليه في الدنيا والآخرة." [105] فتركها تأكل وقامت لأزبل النار من الكانون، وكان فصل البرد، فوقعت جمرة على قدمي فلم أجد لها ألماً، فوقع في نفسي أن دعوتها قد أجيبت، فأخذت الجمرة بيدي فلم تحرقني، فدخلت عليها، وقلت لها: "أبشري، فقد أجاب الله دعاءك". فرمت الطعام وسجدت شكراً لله فقالت: "اللهم كما أرينتني مرادي وأجبت دعوتي فاقبض روحي الساعة". فقبض الله روحها تلك الساعة، رحمها الله. انتهى منه \_رحمه الله، ونفعني به وبأمثاله، آمين\_.

انظر يا فقيه لبركة هذه المرأة نفعني الله بها وأنا لني شيئاً من بركتها كيف فتح الله لهذا الرجل وصار من الأولياء على يدها، ومن بركتها أن النار لا تحرقه دنيا ولا أخرى. وأي بركة ونعمة أعظم من هذا، ولا يستغرب هذا في قدرة الله عزَّ وجلَّ؛ إذ القدرة سالحة والجود واسع، وقد يخصُّ من يشاء بما شاء، ولا فرق بين الرجال والنساء في المواهب الربانية؛ وربما يعطي الله للمرأة ما لم يعط للرجل من الكرامات وإجابة الدعوات.

قال في زهر الأكمام: «بينما بعض السادات يطوف بالكعبة في ليلة مظلمة، إذ سمع صوتاً حنيناً ينطق به من تخاله حزينا، وهو يقول: "يا كريم لطفك القديم، فإن قلبي على العهد القديم". قال: فتطاير قلبي لهذا السماع تطائراً أشرفت منه على الموت. فقصدت نحوه،

فإِذَا هِيَ امْرَأَةٌ، فَقُلْتُ: "السلام عليك يا أمة الله"، فقالت: "وعليك السلام ورحمة الله وبركاته".  
 فقُلْتُ: "أسألك بالله العظيم ونبيه الكريم، ما العهد القديم الذي عليه قلبك مقيم؟". قالت: "لولا  
 قسمك علي بالجبار ما أطلعتك على الأسرار، وانظر لهذا الصبي النائم بين يدي، فإذا صبي  
 يغطّظ في نومه". قالت: "خرجت وأنا حامل به لأحج هذا البيت، فركبت البحر في سفينة،  
 فهال البحر علينا واختلفت الرياح، وتكسرت السفينة، فنجوت على لوح منها، فوضعت هذا  
 الصبي وأنا على ذلك اللوح. فبينما أنا به في حجري والأمواج تضربني، وإذا برجل من خدمة  
 السفينة قد وصل إلي وحصل معي على ذلك اللوح، وقال لي: "ما زلت أهواك، وأنا في  
 السفينة، وقد حصلت معك. فمكيني من نفسك وإلا رميتك من هذا العود في البحر"، فقُلْتُ:  
 "ويحك أما كان لك فيما رأيت تذكرة، ومعتبراً؟"<sup>(1)</sup>، فقال لي: "قد رأيت مثل هذا مرارا ونجوت،  
 فأنا لا أبالي"، ثم أَلَحَّ عليّ فخفت منه وأردت أن أمانعه<sup>2</sup>. فقُلْتُ: "مهلاً حتّى ينأى هذا  
 الصَّبِيُّ". فأخذته من حجري ورمى به في البحر، فلما رأيت جرأته وما حلّ بالصبي طار  
 قلبي [وازداد كرباً]<sup>3</sup>، فرفعت طرفي إلى السماء، وقُلْتُ: "يا من يحول بين المرء<sup>4</sup> وقلبه حُلبيني  
 وبين هذا العدو". فَوَعَزَّتِهِ ما فرغت من الكلام إلا ودابة خرجت من البحر فاخترطته وبقيت  
 وحدي. فزاد اشتياقي على الصبي.

قالت: فبقيت يومي ذلك إلى الليل، فلما أصبح الصبح عليّ إذا أنا بقلاع يلوح في  
 البحر، فمازالت الأمواج تقذفه، والرياح تسوقه حتى وصلت السفينة إليّ، فأخذوني من اللوح،  
 ورفعوني إليهم في الزورق، فإذا الصبي بينهم فترايمتُ عليه، وقُلْتُ: "يا قوم من أين لكم  
 هذا؟"، قالوا: "بينما نحن نسير إذ وقفت السفينة، فنظرنا فإذا بدابة كأنها المدينة العظيمة،

<sup>1</sup> \_ في العبارة غموض ناتج عن تقديم وتأخير للألفاظ، وأصل العبارة: "ويحك، أما كان لك فيما رأيت تذكرة ومعتبراً؟!".

<sup>2</sup> - في (ب): "أصانعه".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

<sup>4</sup> - كتب على هامش (243ك): قال تعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره». بدون شكل، والآيتان 2 و3 من سورة الطلاق وتتمتهما: ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿3﴾.

وهذا الصبي على ظهرها، يمص إبهامه". فأخذته وشكرت ربي على ما أنالني، وعاهدته أن لا أبرح عن بيته ولا أنثني عن خدمته. وما أقدر أودّي شكر ما أعطاني. قال: "فمددت يدي إلى نفقة". فقالت: يا بطل: أحدثك بأفضاله وكريم أفعاله، وأخذ الرفق على يد غيره. فلما لم أقدر عليها أن تقبل مني شيئاً تركتها وانصرفت». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

فانظر/ [105ظ] يا فقيه كيف أجاب الله دعاءها وجمع بينها وبين ولدها، وخلصها من جميع المحن \_أنالني شيئاً من بركتها، آمين\_.

وذكر صاحب الكتاب المذكور<sup>(1)</sup> حكاية أخرى في قضية امرأة، ونصه: «كان في بني إسرائيل قاض من قضاتهم، وكانت له زوجة بديعة الجمال كثيرة الصون والاحتمال. فأراد القاضي النهوض إلى حج بيت المقدس، وكان له أخ فاستخلفه على القضاء وأوصاه بزوجته، وكان أخوه قد سمع عنها وشغف بها، فلما سار أخوه وجّه إليها وراودها عن نفسها، فاعتصمت بالورع. فلما يئس منها خاف أن تخبر أخاه بصنيعه معها. فادّعى عليها بشهود زور بالزنى، ورفع مسألتها إلى ملك ذلك الزمان، فأمر برجمها، وقال تكون الحفرة قبرها. فحفر لها حفرة وأقعدت فيها، فرجمت حتى غطتها الحجارة. فلما جن الليل صارت تنن لشدة ما نالها. فمر رجل يريد قريته. فلما سمع أنينها قصدتها وأخرجها واحتملها إلى زوجته، وأمرها بمعافاتها<sup>(2)</sup> حتى برئت، وكان لهما ولد، فدفعاه إليها، فصارت تكفله وتبيت به في بيت آخر. فرآها بعض الشطار قطع فيها، وراودها عن نفسها، فاعتصمت منه بالورع، فعزم على قتلها وجاء بالليل، فدخل عليها البيت وهي نائمة، فأهوى بالسكين إليها<sup>3</sup> فجاءت في الصبي فذبحه، فلما تحقق أنه ذبح الصبي أدركه الخوف وخرج من البيت. فعصمها الله منه. فأصبح الصبي مذبوحاً فجاءتها أمه، وقالت: "أنتِ ذبحتِ ولدي"، فضربتها ضرباً وجيعاً. فجاء الرجل وقال لزوجته: "إنها والله لا تفعل ذلك"، فأنقذها منها. وخرجت المرأة فارة بنفسها

<sup>1</sup> \_ إشارة إلى كتاب زهر الأكمام في قصة يوسف عليه السلام.

<sup>2</sup> \_ كذا في (أ)، ولعل المراد: بإعانتها، أو بمعافاتها.

<sup>3</sup> - كذا في جميع النسخ: والأصح: "عليها".

لا تدري أين تتوجه \_وعندها بعض الدراهم\_ فمرت بقرية من القرى، والناس مجتمعون ورجل مصلوب على جذع، فقالت: "يا قوم ماله؟"، قالوا لها: "أصاب ذنبا لا يكفره إلا قتله أو صدقة كذا وكذا من الدراهم". فقالت: خذوها وخلوا سبيله. فأخذوها منها وسرحوه، فتاب على يدها، وحلف حتى يخدمها الله عَزَّ وَجَلَّ، حتى يتوفاه الموت. فبنى لها صومعة وأسكنها فيها، وصار يحتطب ويأتيها بقوتها، واجتهدت هي في العبادة؛ حتى كانت لا يأتيها مريض إلا دعت له ولا ذوعاهة فتدعو له إلا شفاه الله.

وكان الله قد أنزل بأخي القاضي عاهة في وجهه وأنزل بالمرأة التي ضربتها برصا، وامتنح الله اللص الذي ذبح الصبي بأن أفعده من رجله، فصار مقعدا، فكان القاضي حين جاء من الحج سأل أخاه عن زوجته فقال له: قد فعلت كذا وكذا ورجمت فماتت، فأسف عليها، واحتسبها الله عَزَّ وَجَلَّ. ثم تسامع الناس بالمرأة فكانوا يأتيونها من أطراف الأرض، فقال القاضي لأخيه: "لو قصدت هذه المرأة الصالحة لعل الله يجعل لك على يدها شفاء". فقال: "يا أخي احملني إليها". وسمع بها زوج المرأة المبروصة فحملها. وسمع بها المقعد الذي ذبح الصبي فسار إليها واجتمع الجميع عند باب صومعتها.

وكانت ترى من يأتيها من صومعتها ولا يراها. فطلبوا خديمها أن يسألها عليهم، ففعل، قال: فتتقبت عند الباب تنظر لزوجها وأخيه واللس والمرأة. فعرفتهم وهم لا يعرفونها، فقالت لهم: "يا هؤلاء، إنكم لا تستريحون مما بكم إلا أن تعترفوا بذنوبكم السالفة فإن العبد إذا اعترف بذنبه تاب الله عليه، وأعطاه ما قصد فيه إليه. فقال القاضي لأخيه: "تب إلى الله ولا تُصِرَّ على عصيانك".

فقال له أخوه الآن / [106و] أقول الحق: "كذبتُ على زوجتك وجعلتُ عليها شهودَ زورٍ، ورجمتها ظلماً وعدواناً؛ لئلاً تخبرك بما قلتُ لها؛ لمنع نفسها مني. وقالت المرأة المبروصة: "كانت عندي امرأة تُربِّي ولدي، فأصبح ولدي ذات ليلة مذبوحة، فضربتُها ضرباً وجيعاً تعدياً وعمداً ونفيتُها". وقال اللص: "راودتُ امرأة على الزنا، فاعتصمت مني بالورع

ومنعَتْ نفسَهَا، فدخلتُ عليها ليلةً لأقتلَهَا؛ فذبحتُ صبياً كان بين يديها". ففتحت باب صومعتها وأبدت وجهها إليهم فعرفوها وخضعوا بين يديها. فقالت: "اللهم كما أريتهم ذل المعصية فأرهم عز الطاعة". فشفاهم الله عزَّ وَجَلَّ في الحين ببركة دعائها، فرجع إليها زوجها القاضي المذكور، ولزم الجميع خدمتها حتى أتاهم الموت». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_.

ومناقب سيدي الشريف المذكور [قبل هذا]<sup>1</sup> كثيرة إلا أنني لم أقف إلا على ما نقلته هنا، وقد ظهرت بركته في مليانة وفي الجزائر مدة حياته \_نفعني الله به\_.  
وأما وقت كونه يتعبد في قلعتنا وفي مصراتة فأمر مشهور. وكذلك إشارته ﷺ وإخباره بالغيوب. فقد وقع كما أشار وظهر كما أخبر \_نفعني الله به\_، وقبره الآن بالجزائر بداخلها، في موضع بأعلاها مما يلي قصبتها ترياق يستشفى به من الأمراض والأوجاع والأسقام. وكذلك إذا استغاث المكروب والمغموم به عند قبره فرج الله كربه وكشف غمه. وقد جرب ذلك عياناً. أما أنا فجنَّته فدعوت الله عند قبره فكشف الله همي وأزال غمي \_نفعنا الله به وبأمثاله، آمين\_.

### \_ [مناقب أبي الحسن علي بن عبد الله الفلالي]<sup>2</sup> :

ومن تلامذة سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله وأنالني شيئاً من أنواره وأفاض علينا وعلى ذرياتنا من بركاته، آمين يا رب العالمين\_ السيد الولي العالم التقى الزكي سيدي أبو الحسن سيدي علي بن عبد الله الفلالي \_نفعني الله به\_.  
فمن مناقبه ما حدثني به السيد محمد المكنى أبو الطرق وفي لغة زناتة أبو يبريدن المصراتي. وذلك أنه قال: اجتزت أنا وسيدي علي الفلالي بأعلى جنانهم بعدوة مصراتة، فدخلته وأخذت منه رمانة في وقت الخريف، فأتيت بها ليأكلها فأخذها في يده، وقال لي:

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

<sup>2</sup> - كذا في (أ) و(ك). وفي (ب) و(د): وردت "الفيلاي" بإضافة الياء بعد الفاء.

قالت لي هذه الرمانة: "أنا مشتركة"، فألقاها من يده. فقلت له: "صدقت يا سيدي"؛ لأنَّ الجنان بيني وبين أعمامي [مشترك]<sup>1</sup> [انتهى].<sup>2</sup>

**قلتُ:** ويؤيده ما قاله سيدي موسى بن عيسى المازوني المذكور \_رحمه الله\_، ونصه: «وقد كثرت الحكايات عن القوم بمخاطبة الأطعمة إياهم أنها حرام، وآخر لا تمتد يده إليه، وآخر يضرب على أصبعه عرق، وآخر يعاين فيه الدود، وآخر يعاين فيه الذباب، وآخر لا يسيغه لتحجره في فمه أو يجد فيه مرارة. وآخر يكشف أن صانعه مقهور على عمله من آمة أو زوجة، وآخر يتوقف عنه ويخبر أن صانعه لا يصلي. وآخر يخلط له الحلال بالحرام، فيهديه الله لتناول الحلال ويجنبه الحرام. تضافرت الحكايات بهذه المعاني عن القوم كل بفضل [الله]<sup>3</sup> وصدق الاتباع لسنة رسول الله ﷺ». انتهى منه \_رحمه الله\_.

ومن مناقبه ما حدثني به الطالب محمد الملقب أقمقام البطحي النسب المصراتي المنزل أنه قال: «أردت السفر مع الطُّبَّة؛ يطلبون الأعراب على عادتهم في ذلك، فشاورت السيد الفلالي المذكور، فقال لي: "اجلس، لا خير لك في السفر" / [106ظ] فعصيته وذهبت مع الطُّبَّة، وطلبنا ما جرت به عادة الطُّبَّة من الصوف والزيد وغير ذلك. فأتينا به إلى بعض الطريق وعرض لنا غارة أخذوا ما طلبنا، وجردوا ثيابنا. فقال سيدنا الفلالي لأمي وقتئذ: "اطلبي كساء لابنك"<sup>(4)</sup>؛ فقد جرده اللصوص، ونحن لم نصل إلى مصراته\_، فظننت أنه يمازحها. ثم بعد ساعة قدمت عريانا، وبعثت إليها فطلبت لي كساء لبسته ودخلت مصراته.

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ك).

<sup>2</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (د) و(ك).

<sup>3</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و(د).

<sup>4</sup> - كذا في (أ)، والصواب: لابنك.

ومنها ما حدثني من أثق به أن سيدنا علياً المذكور كان جالسا مع بعض أصحابه في مصراته، فعطشوا فقال لهم: "أعطوني إناء أسقيكم به" فبحثوا في البيت فلم يجدوا إناء. فقال لهم: "والله لو أعطيتموني الإناء لأسقيتكم من بئر زمزم" انتهى.

**قلت:** وهذا قليل قليل في حق أولياء الله \_ نفعني الله بحبي فيهم\_. وقد وقع لأبي تراب النخشي مع أصحابه ما هو أكبر من هذا، على ما ذكره ابن عطاء الله، ولفظه: «وعطش أصحاب أبي تراب في سفرهم لمكة فضرب بيده الأرض، فنبع الماء، فقال فتى: "أريد أن أشربه في قدح". فضرب بيده الأرض فناوله قدحا من زجاج أبيض، فشرب وسقانا. قال [أبو العباس الرقي] <sup>1</sup>: "وما زال القدح معنا إلى مكة". انتهى منه بلفظه \_ رحمه الله \_.

ومنها ما أخبرني من أثق بقوله أن رجلا مصراتيا كان يخدم سيدي علي الفلالي المذكور، فشكا له ذات يوم الفقر، فقال له: "اذهب لموضع كذا بقرب مدشر <sup>2</sup> تافسرا من مداشر هواره \_ حماها الله\_. تجد كنزا، فخذ منه ما يكفيك". فذهب الرجل للموضع الذي نعت له الشيخ، فوجده على الصفة الموصوفة، وعابن ذهباً كثيراً، ثم إنه تركه وذهب لأخيه، وقال: خذ وعاء تملأه من الكنز. فذهب للموضع، فلم يجد شيئاً، فبقيا يبحثان النهار كله، فلم يظهر لهما شيء، فانصرفا. فلما قدم الخديم على الشيخ، قال له قبل أن يتكلم: "أنت محروم، قلت لك اذهب وحدك وخذ منه ما يكفيك، فصرت تأتي بأخيك وغيره؟. مولانا لم يعطك شيئاً"، أو كلام هذا معناه.

ومناقب الفلالي المذكور كثيرة جدا \_ نفعني الله به وبأمثاله، آمين\_. وقد ظهرت بركته على خدامه بمصراته، وقت كونه بها مجاوراً لشيخه سيدي وملاذي سيدي أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف \_ رحمه الله، ونفعني به، آمين\_.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ك).

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): مجشر... من مجاشر.



ومن جملة خدام الفلالي المذكور سيدي محمد أبو بيريذن \_بلغة زناتة\_ المذكور \_نفعه الله بخدمته دينا ودنيا\_ ، وذلك مشاهد. أما الدين فهو أحد الأتقياء بوطننا، وأما الدنيا فقد أعطاه الله المال والأولاد. وقد صرح لي بذلك غير ما مرة، وأنا الذي أعطاني الله من خدمة سيدي علي الفلالي.

وقد شهد لسيدي علي الفلالي شيخه أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف بالولاية، ونص كلامه: أَقْشِيْشُ أَرْيُوْرَانُ يُوْعَزُ<sup>1</sup> اللّهُ أَطَّاسُ. وَجُلُّ كَلَامِهِ بِلِسَانِهِ الزَّنَاتِي. ومعناه بالعربية: "رجل قليل أعطاه الله مقاما عظيما"، نفعني الله بهما.

### \_ [مناقب محمد العنتري العربي]:

ومنهم السيد الولي الصالح العالم سيدي محمد العنتري العربي. وله مناقب كثيرة. فمنها ما حكاه عنه غير واحد ممن يعتمد على نقله. وذلك أن رجلين يذكران الله بأعلى أصواتهما أمام الشيخ سيدي أحمد بن يوسف. فأعجب الناس حسن صوتيهما، فتواجد السيد العنتري المذكور، وصاح ومزق ثيابه، وقال: "يذكران أو لا يذكران! يموتان حرصيين" \_أعني عونين من أعوان الظلمة\_. فكان الأمر كما قال \_نفعني الله به\_. أما أحدهما فمات على الصفة المفسرة. / [107و] وأما الآخر فهو حي على النعت المنعوت، نعوذ بالله من سخطه وعقوبته.

ومنها ما حدثني به السيد محمد الملقب قرورة حفيد سيدي علي بن حمزة القلعي أنه قال: سمعت السيد العنتري يقول: "إن الله عابدا يمشون بين النجوم كما يمشي الرجل بين إبله، يعني به نفسه ﷺ ونفعني به. ومنها [ما حدثني]<sup>(2)</sup> به قرورة المذكور أن العنتري المذكور قال له ذات مرة: تعال تسمع لحمي، وكل عظم، وشعر مني يذكر الله تعالى. انتهى.

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "أَقْشِيْشُ أَنْ يُوْرَانُ يُوْعَزُ اللّهُ أَطَّاسُ".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين إضافة يقتضيهما السياق.

قلتُ: ويشهد لصحة ما ذكره الشطنوفي، ونصه: قال أخبرنا أبو الفتح أخبرنا علي ابن إدريس اليعقوبي، قال: سمعت علي بن الهيثمي [رضي الله عنه]<sup>1</sup> يقول: طرقت منزلة من منازل الغيب عشرة من الأولياء على زمن شيخنا تاج العارفين أبي الوفاء عليه السلام، وأشركت<sup>2</sup> فيها أسرارهم، وأشكل شيء من أمرها عليهم فاجتمعوا وأتوا تاج العارفين ليسألوه عنها فوجدوه نائماً، وسمعوا كل عضو منه ينطق بالتهليل والتسبيح. فجلسوا ينتظرون يقظته، فنطقت لهم أعضاؤه وخاطبتهم بمنزلتهم، وكشف لهم منها ما أشكل عليهم فانصرفوا قبل أن يستيقظ عليه السلام. وكذلك سيدي عبد القادر الجيلي<sup>3</sup> عليه السلام وقع له مثل هذا. وذلك قليل في حق أولياء الله، رزقني الله شيئاً من أنوارهم.

ومن مناقب السيد العنترى المذكور ما حدثني به المرابط محمد الملقب القبي ابن محمد بن الحاج القلعي، قال: «كان السيد العنترى في داري بينما أنا ذات ليلة قاعد إذ سمعت حساً كثيراً، فخرجت فإذا أنا بخيل بإزاء باب داري، فنزل فارس منهم وفتحت له الباب بقدرة الله، ودخل وأنا انظر. ثم دخل على السيد المذكور في بيت كان يتعبد فيها في داخل داري. فجلس عنده ساعة وخرج إلى أصحابه. فغلقت الباب، ثم ركب وساروا. فمن الغد قلت له: "توسلت إليك برسول الله عليه السلام إلا ما أعلمتني بالفارس الذي دخل عندك البارحة". قال: "أو رأيته؟". قلت: "نعم". قال لي: "ذلك رئيس من رؤساء الجن المؤمن من خدامنا، أتى إلينا زائراً". وقد قدمنا قبل هذا خدمة الجن للأولياء الصالحين، فأغنى عن إعادته [ها]<sup>4</sup> هنا.

ومن مناقبه ما حدثني به القبي المذكور أن العنترى المذكور قال له ذات يوم: "أتحب كنوز الدنيا والآخرة؟"، قلت: "نعم"، قال: "قم عند الثلث الأخير من الليل، وصل ركعتين فذلك كنوز الدنيا والآخرة".

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "اشتركت".

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "الجلاني".

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

**قلت:** وبؤيده قوله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء<sup>1</sup> الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل» إلى آخر الحديث. فمعناه عبارة عن قبول الأعمال تلك الساعة وإجابة الدعاء، وغفران الذنوب، ونحو ذلك من عطاياه ومنته وفضله وكرمه تبارك وتعالى على عباده. قال البوني<sup>2</sup> في كتابه "علم الهدى وقبس الاقتداء": «إن نصف الليل هو وقت الخلّة والمناجاة لأحباب والمصافات لرب الأرباب في الساعة السادسة، وهي ساعة يسجد فيها كل شيء لله تعالى حقيقة، كل ذات آدمية أو غير آدمية من أنواع الجمادات والحيوانات [والنباتات]<sup>3</sup>، والبحار والجبال، والأرضين وأهل السموات. وهو الوقت الذي يُظهِرُ اللهُ فيه الولاية لأوليائه، والخلّة لأصفيائه. وأن الأولياء يراقبونها في سائر دهرهم، متخذين في الزيادة. ومن راقبها تسعة وتسعين ليلة يصلي في كل ليلة/ [107ظ] اثنا عشر ركعة يقرأ في كل ركعة بقل هو الله أحد خمسة وعشرين مرة، وإن بقي من الساعة شيء فليجلس يذكر الله إلى أن تتشرف الساعة على الذهاب. فليدع بما شاء يقضي الله حاجته. وهي من أوقات المحققين لله تعالى، وهي الساعة التي يحلى فيها ماء البحر». انتهى منه \_رحمه الله\_ [بلفظه]<sup>4</sup>.

ومن مناقب العنترى المذكور ما حدثني من يوثق<sup>5</sup> به، أن خديماً للسيد المذكور حدثه وأنه قال: «دخلت على الولي المذكور ذات ليلة في بيت مظلم بطعام من غير مصباح، فقلت له: "يا سيدي، كيف تجلس في الظلام؟!"، فرفع إصبعه ونفخ فيه فصار مصباحاً، واستضاء البيت».

### [مناقب بقية تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف]

1 - كذا في كل النسخ: والصواب: "السماء".

2 - أحمد بن علي البوني هو شرف الدين أو شهاب الدين أحمد بن علي بن يوسف البوني المالكي. ولد في مدينة بونة (عناية بالجزائر سنة 520 هـ تقريباً. وتوفي بالقاهرة سنة 622 هـ/ 1225م. ويعتقد انه مؤلف كتاب. علم الهدى وأسرار الاهتداء في فهم معنى سلوك أسماء الله الحسنى. ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر. ص48. وورد هذا الكتاب في (ا) و(ك) بعنوان: علم الهدى وقبس الاهتداء.

3 - ما بين المعقوفين ساقط من (ا).

4 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

5 - في (ب) و(د): "من أثق به".

قلتُ: وبعضه ما ذكره سيدي موسى بن عيسى المذكور، ولفظه: «وقد تَوَارَثَ الأولياءُ مثلَ هذه الأنوار من نور سيدنا المصطفى ﷺ، حتى إنه لتروى عن كثير منهم في مثل هذا الباب مغريات يكاد العقل يستحيلها.

وذكر البخاري ﷺ آية إضاءة غصنين لرجلين من أصحابه خرجا من عنده في ليلة مظلمة. ومثلها أو قريب منها في مناقب الشيخ الغوث سيدي عبد القادر، وتحكى عن غيره أيضاً. وذكر ابن إسحاق آية نور سوط الطفيل الدوسي»<sup>1</sup> انتهى. وبعضه تركته لطوله. ومن مناقب العنتري المذكور ما حدثني به القبي ابن أفجاج المذكور أنه دعا بالبركة في طعام قليل، فأكل منه خلق كثير. ومناقبه ﷺ كثيرة لكن لم يبلغني منها غير ما نقلته هنا، وهو \_رحمه الله\_ قد جمع بين علم الظاهر وعلم الباطن، \_نفعي الله ورزقني من أنواره، آمين\_.

#### \_ [مناقب أحمد بن موسى القلعي]:

ومن تلامذة سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ أيضاً السيد أحمد بن موسى القلعي، وله كرامات وخوارق عادات، لكني لم أقف عليها، غير أن بعض أكابر قلعتنا<sup>(2)</sup> قال الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ قال: «ابن موسى رجل يعظم شأنه عند الله بما أعطاه من الأسرار الإلهية والمواهب الربانية»، \_نفعي الله به وبشيخه، آمين\_.

#### \_ [مناقب محمد بن محمد بن بلوطة القلعي]: ومنهم المرابط محمد [بن محمد]<sup>3</sup> بن

بلوطة القلعي، وقد أدركته شيخاً كبيراً، وصليت معه، ودعا لي بالخير غير ما مرة. وقد أخبرني بعض الأولياء أن الكعبة تطوف بآبِن بلوطة المذكور، ولم يعلم بذلك غير الولي

<sup>1</sup> - ملاحظة جد هامة: عند نهاية القوس المعقوف تنتهي السخة المغربية رقم 243ك التي رمزنا لها بالرمز (ك) ويختتمها ناسخها "عبده محمد بن عمر" كما يلي: (آية نور سوط الطفيل الدوسي، ومناقب الأولياء كثيرة لاتعد ولا تحصى وتلامذة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف لا يحصى عددهم إلا الله تعالى نسأله سبحانه وتعالى بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وجاه أوليائه أن يحيينا ويميتنا على السنة والجماعة وأن يجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تم بحمد الله تعالى وحسن عونه، ووقع الفراغ منه أواخر شهر رجب سنة ثمانية ومانتين وألف على يد كاتبه "عبده محمد بن عمر الجزائري". واستودع كاتبه شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

<sup>2</sup> - كذا في (أ)، ولعل المقصود: غير أن بعض أكابر قلعتنا.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

سيدي أحمد المغراوي المدفون الآن في قلعتنا، بهذا أخبرني أهل قلعتنا، ولا شعور لابن بلوطة بذلك وكثير من الأولياء لا علم لهم بما خصهم الله من الكرامات وقد يشاهدها غيرهم ولا شعور لهم بذلك.

ولتعلم أن الأولياء على أربعة أقسام: منهم من يعرفه الناس ويعرف نفسه، ومنهم من لا يعرفه الناس ولا يعرف نفسه، ومنهم من يعرف نفسه ولا يعرفه الناس، ومنهم من يعرفه الناس ولا يعرف نفسه. وقد تقدم هذا في كلام سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_.

### \_ مناقب عبد الرحمن المرثي القلعي:\_

ومنهم المرابط الخَيْرُ عبد الرحمن المرثي النسب القلعي الدار. وقد كان من الذاكرين كثيراً. لا يغفل عن ذكر الله في غالب أوقاته، وكنت إذا جلست حذاءه تسمع لصدده دويًا بالذكر؛ لأنه امتزج الذكر بلحمه ودمه حتى صار من المستغرقين في ذكر الله. قال سيدي عبد الرحمن [بن مخلوف] الثعالبي: <sup>1</sup>«وإنَّ المستغرقين في بحر<sup>2</sup> معرفة الله تعالى عادتهم في أول الأمر أن يواضبوا على الذكر اللساني مدّة، فإذا امتلأ القلب من نور ذكر الله تعالى سكتوا باللسان وبقي الذكر بالقلب<sup>3</sup>. ولذلك قالوا: "من عَرَفَ اللهَ كَلَّ لِسَانُهُ". انتهى من الجواهر الحسان.

**قلت:** ومعنى "كَلَّ لِسَانُهُ" أي سكت اللسان / [108و] عن الذكر وصار القلب يستحضر معاني الذكر والمعرفة واستدامتهما والله أعلم. والمرثي المذكور شيخ كبير قد قارب المئة، ومع ذلك لا يفتر عن القيام والصيام وسائر الطاعات، أفنى عمره في المجاهدة \_رحمه الله، ونفعني به آمين\_.

### \_ مناقب سليمان بن حفصة القلعي:\_

القلعي له مناقب جليلة وكرامات عديدة ومطالعة على ما في الضمائر، وإجابة الدعوة وغير

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "بحار".

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "في القلب".

ذلك من العناية الربانية والأسرار الملكوتية، وقد كان شيخه سيدي أحمد بن يوسف يعظمه ويثني عليه خيراً، ويفضله على أولاد صلبه، \_نفعني الله به، آمين\_.

### \_ [مناقب محمد بن معزى القلعي]:

ومنهم الولي النقي سيدي ووالدي محمد بن معزى القلعي، سُمِّيَ بِأَمِّهِ \_رحمه الله\_. فقد أخبرني من أثق به أنه كان صَوَّامًا قَوَّامًا، من عظماء الأولياء وكبار الأتقياء، ممن خدم الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ بالقلب والجوارح، ومن نيته ومحبه لشيخه إذا أراد الشيخ غسل ثيابه غمسها في الماء وعصرها وشرب ذلك الماء. ومدح شيخه بأشعار، لم أحفظ منها شيئاً؛ لأنَّه مات وتركني صغيراً دون الأثغار. ومات شهيداً \_رحمه الله\_ في معركة الأتراك والنَّصارى الواقعة بمجشر السوخ من [حومة]<sup>1</sup> القلعة، وتاريخها تقدم.

ومن محبَّة أبي وخدمته لشيخه عاش سعيداً، ومات شهيداً، وبعدها منَّ اللهُ علينا بِالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْمَحَبَّةِ لِأَهْلِ الْفَلَاحِ وَالصَّلَاحِ. وهذا من فضل الله علينا ومن بركة خِدْمَةِ أَيْبِنَا لِشَيْخِهِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ. نسأله سبحانه ببركة سيدنا ومولانا وعنايتنا ووسيلتنا سيدنا محمد ﷺ أن يجعل البركة في ذريتنا، وأن يلحق خلفنا بسلفنا إنه سميع مجيب، وأن يجعلهم من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>(2)</sup>، على أحد التأويلات، آمين يا رب العالمين. وقد كان أبي عالماً بالله، ورعاً، زاهداً، ممن له أحوال وأسرار، ليس له معرفة إلا بأهل الله. وأما أهل الدنيا فمجانب لهم، مباحد عنهم، بهذا أخبرني الفضلاء من قلعتنا وغيرهم.

### \_ [مناقب محمد الملقَّب أفتيش الهواري القلعي]: ومنهم السيِّد الوليُّ محمد الملقَّب

أفتيش الهواري النَّسَبُ الْقَلْعِيُّ الْمَنْزَلِ. كان سيِّداً فاضلاً ممَّنْ صاحب الشَّيْخِ سَيِّدِي أَحْمَدَ ابْنِ

1

<sup>2</sup> -سورة الطور: من الآية (21). وَتَتَمَّتْهَا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾.

يوسف، وانتفع بمحبته دنيا وأخرى، مجاب الدعوة، وله كراماتٌ \_رحمه الله، ونفعني به، أمين\_.

### \_ [مناقب عبد الله الملقب أخلال القلعي]:

ومنهم المرابط الخَيْرُ عبد الله الملقب أخلال القلعي، وقد ظهرت بركة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف عليه في الدنيا لأنه كان فقيراً، فدعا له الشيخ ذات يوم فقال اللهم أعطه بالصاع الوافي، أو كلام نحو هذا. فأعطاه الله مالا كثيراً، وصبه عليه صبا. غير أنه يؤدي زكاته على ما ينبغي، وأما صدقة التطوع فلا تحصى، فيعطيها للفقراء والمساكين وغيرهم. وكذلك في فك الأسارى ومن علمه فقيراً من بيوت القلعة وغيرهم لا يسأل الناس لعفته يدفعها في داره أو في الطريق خفية، ونحو ذلك \_نفعه الله بنيته ويقصده في الدار الآخرة\_.

### \_ [مناقب قاسم بن سعيدة القلعي]:

ومنهم المرابط قاسم بن سعيدة القلعي فقد كان من أهل المكاشفات والإخبار بالمغيبات. وله مناقب كثيرة، غير أنه لم يبلغني منها شيء؛ لأنه مات في الملاحم الواقعة بقلعتنا وقت حلول الإسكندر والأتراك بها مع النصارى \_دمرهم/ [108ظ] الله\_، ومات شهيداً \_رحمه الله\_. قتله الكفار وقتلوه وهو يقول: "الله، الله؛" لأن الغالب عليه الذكر. وقد قيل لي: إنه من الذاكرين الله كثيراً، لا يفتر عن ذكر الله في جل أوقاته \_رحمه الله، ونفعنا به، أمين\_. وتاريخ الملحمة تقدم فانظره هناك.

### \_ [مناقب أحمد بن قاسم المعروف بأحمد بن الحولا]:

ومنهم ولد قاسم المذكور وهو أحمد عُرفَ بأحمد بن الحولا؛ لأنه سُمِّيَ بأمه، فقد كان ملازمًا للأذان إلى الآن في جامع الخطبة من قلعتنا \_حماها الله\_، مواظباً على الأوقات أثناء الليل وأطراف النهار محتسباً أجره على الله لا يأخذ على الأذان أجراً لما علم من الثواب في الأذان لوجه الله عزَّ وجلَّ. وأما ذكر الله فلا يفتر عنه في غالب أوقاته بعد معرفته بما

يخصه في دينه من فرائض وسنن وفضائل محبباً لأهل العلم، مجالسا لهم \_ نفعني الله به، آمين\_.

### \_ [مناقب عبد الرحمن بن أبي يلولة القلعي]:

ومنهم المرابط عبد الرحمن بن أبي يلولة القلعي شهد له الأولياء أنه يصلي بمكة، وعابنوه بها، وتحققوه، مع أنه من أهل صناعة الخرازة، يعمل في داره لا يخالط أحداً. ملازم السكوت إلا عن ذكر الله، زاهد في الدنيا. قد خصه الله بعلوم لدنية وعجائب ربانية، مع أنه أمي، لكن ﴿فضل الله يؤتیه من يشاء﴾، والله ذو الفضل العظيم<sup>1</sup>، وتخصيصه تعالى بما يشاء لمن يشاء ثابت عقلاً ونقلاً، لا ينكره إلا جاهل بقدرة القوي القادر على كل شيء. وقد قال السيد ابن عطاء الله: «لا تتظروا لضعف العبد ولكن انظروا لقوة السيد». انتهى نقله بالمعنى. وابن أبي يلولة هذا لم يعلم به أحد لولا الفضلاء من أولياء غريس<sup>2</sup> موضع في بني راشد \_ نفعني الله بهم، آمين\_ هم الذين أشهروه لانه يختفي \_ نفعني الله به، آمين\_.

### \_ [مناقب محمد بن سعيد بن عبد الله بن عمر بن جابر المعروف بالصنهاجي]

**[القلعي]:**

ومنهم السيد العالم الفرضي سيدي محمد بن سعيد بن عبد الله بن عمر بن جابر عرف بالصنهاجي القلعي كان \_ رحمه الله\_ ورعا زاهدا فاضلا من أهل العلم، لا سيما علم الفرائض، فقد حاز السبق في ذلك، ثم في آخر عمره اشتغل بالعبادة والذكر وسائر الطاعات \_ نفعني الله به\_، وقد رأى رؤيا تدل على ثبوت ولاية سيدي أبي العباس سيدي أحمد ابن يوسف \_ رحمه الله\_ على ما نقلته من خط الفقيه العالم سيدي أحمد بن العباس البطحي؛

<sup>1</sup> - اقتباس من سورة الجمعة الآية رقم 4. وتامها: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

<sup>2</sup> - غريس "سهل من سهول الوطن الراشدي سمي غريسا لأنه كان مغروسا بأنواع الأشجار نوات الأثمار، وسكانه هم بنو زروال وبنو توجين ومغراوة، والوطن الراشدي عاصمته معسكر غرب الجزائر يحده شرقا جبل المناور وغربا جبل كرسوط، وجنوبا جبل البنيان، وشمالا القلعة". وبنيت معسكر على عهد بني زيان في القرن السابع الهجري. ينظر: عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس. ص 8.



وذلك أنه رأى النبي ﷺ في النوم ولفظه: «كاتب هذه الأحرف بيده الفانية محمد بن سعيد ابن عبد الله بن عمر بن جابر الصنهاجي. بينما أنا قائم في الليلة الأولى من شعبان، وهي ليلة السبت من سنة تسع عشرة سنة وتسعمائة، وإذا أنا في وطاية كوطاية "شلف"، فرفعت رأسي فرأيت نورا أضواء<sup>(1)</sup> ما بين الخافقين<sup>2</sup>، فمشيت نحوه، وهو مقبل إليّ حتى وقف عليّ صاحب النور هو وجملة من أصحابه راكبين على رفر فبينه وبين الأرض نحو القامتين، وهو يمشي بلا أقدام بقدرة الله عزَّ وَجَلَّ حتى قرب مني. قال صاحب النور السلام عليكم، فقلت له: وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته، فقال لي: "بلغ السلام لأحمد بن يوسف وقل له: قال لك رسول الله ﷺ. فلما سمعت بذكر رسول الله ﷺ وقعت في الأرض، وصرت أصيح: "يا رسول الله كن لي شفيعا غدا يوم القيامة"، وصرت أتابعه، وأنا تحته، وهو مرتفع عني، فقال لي: بركة. قل لأحمد بن يوسف أنت سلطان الوقت، أنت قطب الوقت. فوادعت النبي ﷺ ومشيت ما شاء الله فتعرض لي روض لا يرى إلا في النوم فدخلت فيه ومشيت ما شاء الله، / [109و] فلقيت الشيخ سيدي أحمد بن يوسف مع جماعة كبيرة من أصحابه وهو يمشي على قدميه وكذلك أصحابه، فسلمت عليه، وهو عليه ثياب بيض وعلى رأسه عمامة بيضاء، وعليه برنوص أبيض لا يرى إلا في النوم من شدة بياضه، فقال لي قبل أن تتكلم<sup>3</sup>: "بَلِّغْ ما قيل لك"، فقلت له: "يا سيدي [بيني وبينك أو على رؤوس الأشهاد؟]"<sup>4</sup>، فقال: "رسالة النبي ﷺ لا تذكر خفية، ثم مثلت بين يديه ثلاثة أدرج بيض مثل الثلج، فجلس على الثلاثة وقال لأصحابه: "اقعدوا حتى تسمعوا رسالة النبي ﷺ"، ففعدوا، وقال لي: "تكلم". فقلت له: "رسول الله ﷺ مسلم عليك"، قال: "وعليه [الصلاة]<sup>5</sup> والسلام ورحمة الله وبركاته"، فقلت له: قال لك:

1 \_ كذا في (أ): أما وفي (ب): "تألاً".

2 - في (د): "الخفقين".

3 - في (أ) و(د): "قبل أن أتكلم".

4 - كذا في النسخ الثلاث

5 - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و(د).

"أنت سلطان الوقت، أنت قطب الوقت". فقال: "الحمد لله والشكر لله" \_ ثلاث [مرات]<sup>1</sup>. فقامت تلك المخلوقات فصلوا على النبي ﷺ ثلاث مرات، فاستيقظت وقلبي يرفرف كما يرفرف الطير عند طيرانه». انتهت من خط ناقله ابن العباس المذكور وصاحب الرؤيا من أهل العلم الكاملين ومن أولياء الله الصالحين \_ رحمه الله \_.

**قلت:** ومثل هذا ما وقع للشيخ أبي العباس السبتي \_ نفعني الله به \_ على ما ذكره سيدي موسى بن عيسى المازوني، ونصه: «قال التادلي: أخبرني أبو يزيد<sup>2</sup> عبد الرحمن بن يوسف الحسني، قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: "يا رسول الله، إني أريد أن أراك في النوم كل ليلة"، فقال لي: "هذا لا يمكن، فإني مطلوب في المشرق والمغرب". فشكوت له حالي وفقري، فقال لي: "الفقر أضر بك". فمرَّ علينا ابن دَرَنَاس وهو رجل صالح من الأولياء الأخفاء لا يمسك شيئاً، وربما تجرد من أثوابه وتكرم بها وتستتر بالأبواب. فسلم علينا وانصرف. فقلت: "وهذا يا رسول الله؟"، [فقال:]<sup>(3)</sup> البخل أضرَّ به. فحرت لِمَا أَعْرِفُ مِنْ كَثْرَةِ إِيْثَارِهِ. فقلت له: "فَسَّرْ لِي هَذَا الْبَخْلَ". فقال: "لَأَقُولَنَّ لَكَ فِيهِ قَوْلًا لَنْ يَنْقَلَهُ عِلْمَاؤُكُمْ. إِذَا خَطَرَ لِأَحَدِكُمْ خَاطِرٌ بِالْعَطَاءِ ثُمَّ عَاقَبَهُ خَاطِرٌ آخَرَ بِالْمَنْعِ، فَالْتَرَدُّ فِي الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ بَخْلٌ". فسألته عن الشيخ أبي العباس السبتي وكنت سيء الاعتقاد فيه، فتبسم ﷺ ثم قال لي: هو ممن يجوز على الصراط كالبرق الخاطف. فلما أصبح لقيت أبا العباس فبادرني وقال لي رأيت البارحة النبي ﷺ إلى آخر ما وقع بيني وبينه ﷺ. فقلت له: "دعني"، فقال: "والله لا تركتك حتى تعرفني". فذهبت معه لحانوت ابن مساعد. فأنشأت أحدثه، إلى أن قلت له: "التردد في الخاطر الأول بخل"، فصاح وغشي عليه. فلما أفاق قال: "كلمة الصفا من المصطفى". وصار متى يذكر هذا يغشى عليه». انتهى منه \_ رحمه الله \_.

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "أبو زيد".

<sup>3</sup> - ما بين المعوقين إضافة يقتضيهما السياق.

قلتُ: وقوله \_ عليه الصلاة والسلام\_ : «لَأَقُولَنَّ لَكَ فِيهِ قَوْلًا لَنْ يَنْفُلَهُ عُلَمَاؤُكُمْ» فيه حجةٌ قويةٌ على الفقهاء الذين يُنكرون علمَ الباطنِ، وأنَّ احتجاجَهُم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>(1)</sup>، الآية. قصورٌ منهم وعدمُ فهمهم بكتابِ الله وأحاديثِ رسولِ الله ﷺ. فنقول والله أعلم: فالكتمان محال في حق الرسل \_ عليهم الصلاة والسلام\_ فيما أمروا بتبليغهِ. وهذا لا يجمله العلماء بالله كما قدمناه في فصل العلم اللدني الذي اختص الله به الخضر ﷺ على ما نقله سيدي/ [109ظ] موسى المذكور في ذلك، وكذلك رده على من أنكر علوم القوم، وإبطال احتجاجهم بالآية؛ لعدم فهمهم لأسرار الشريعة من الكتاب والسنة. وقد أشبع الكلام في ذلك \_ رحمه الله، ونفعه بنيته في علماء الباطن أولياء الله، نفعني الله بهم أمين\_، فانظره هنالك.

ثم قال سيدي موسى المذكور: «واعلموا أنه ليس كل شيء اطلع عليه رسول الله ﷺ يلزمه الإعلام به؛ فإنه جاء عنه \_ عليه الصلاة والسلام\_ : «علمني ربي ثلاثة علوم: علم أمرني بإفشائه، وعلم نهاني عن إفشائه، وعلم خيرني في إفشائه». انتهى \_ رحمه الله\_ . وقال ابن مرزوق في شرحه على قصيدة البردة، ونصه: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال: «علمني ربي ليلة الإسراء علوما أمرني بكتمها، وعلوما خيرني فيها بين أن أخبركم بها أو أدع». انتهى منه بلفظه.

وقال صاحب الكتاب المسمى بزهر الأكماء في قصة يوسف عليه السلام: «والعلم علمان موهوب ومكسوب، فالمكسوب ما يأتي بالدرس والحفظ. والموهوب علم الله تعالى الذي يهبه لأنبيائه كعلم الخضر؛ حيث قال فيه: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(2)</sup>، وكعلم نبينا وسيدنا ومولانا محمد ﷺ حيث قال: وضع ربي يده بين كتفي. \_ واليد الإحسان الذي خصه الله به في ذلك الوقت\_ . فوجدت بردها بين ثوبي. فعلمت علم الأولين والآخرين. وعلمني

<sup>1</sup> \_ سورة المائدة، الآية 67: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

<sup>2</sup> \_ سورة الكهف، الآية 65: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

ربي علوما: فعلم أخذ عليّ كتمانته، إذ علم ربي لا يسع أحدا علمه، وعلم خيرني فيه، فأنا أسر فيه لأبي بكر وعمر، وعلم أمرني ربي بتبليغيه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾<sup>1</sup>، ولقد عاجلتُ جبريل في آية نزل بها عليّ؛ فأُنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>2</sup>. وهل يعترض فعل من ينزل عليه جبريل ويأتي إليه بوحى الله كما قال الخضر لموسى حين قال له ما غاب عنه: وما فعلته عن أمري.

ثم قال: روي أن نبيا كان يتعبد في جبل مرتفع وتحتة عين ماء تجري. فكان في النهار يجلس في أعلى الجبل من حيث لا يراه الناس، يذكر الله عز وجل، وينظر إلى من يرد العين من الناس. فبينما هو في يوم من الأيام قاعد ينظر إذ بفارس قد أقبل إلى العين فنزل عن فرسه، وأزال قرابا كان في عنقه، واستراح وشرب [الماء]<sup>3</sup>، ثم قام وترك القراب. وكان فيه دنانير. فإذا برجل آخر جاء إلى العين، فأخذ القراب وما معه من الدنانير وانصرف هاربا<sup>4</sup>. فإذا بحطاب يحمل حزمة حطب ثقيلة على ظهره قد جاء وأنزلها، وقعد على العين فغسل وجهه. وإذا بفارس قد أقبل لهفانا، فقال للحطاب: "أين القراب؟"، قال: "لا أدري". قال: "فيه ألف دينار". قال: "لا أدري"، فضربه الفارس فقتله. وسار، فقال "ذلك النبي: يارب ما هذا؟ واحد أخذ ألف دينار، وآخر قتل ظلما!". فأوحى الله إليه: "اشتغل بعبادتك؛ فإن تدبير أسرار المملكة ليست من شأنك: إنَّ والدَ الفارِسِ كان قد عَصَبَ ألفَ دينارٍ من مالِ والدِ الرَّجُلِ، فمكَّنْتُ الولدَ من مالِ أبيه. وأنَّ الحطَّابَ كان قد قتل والدَ الفارِسِ فمكَّنْتُ

<sup>1</sup> - سورة المائدة الآية 67. وتتمتها: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

<sup>2</sup> - سورة طه: الآية 114. وتتمتها: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

<sup>3</sup> - مابين المعوقين إضافة من (أ) و(د). وفي النص الأصلي من كتاب "زهر الكمام" ص 267: "وشرب من الماء".

<sup>4</sup> - في النص الأصلي من كتاب "زهر الكمام": "انصرف سالما".

ملاحظة: هذا النص نقله المؤلف من كتاب "زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام" كما نقل نصوصا أخرى منه أيضا. غير أنه في كثير من الأحيان ينقل الصباغ نقوله من الكتب عامة بتصرف مطلق يبدل الكلمات ويغير من أشكال الأبيات الشعرية فلا تتطابق تمام التطابق مع أصولها.

الولد من القصاص. فقال النبي: "لا إله إلا أنت، سبحانك أنت علام الغيوب". [ثم قال]<sup>1</sup>:  
وأشدوا [في المعنى]<sup>2</sup>: [بسيط]

دَعِ اعْتِرَاضَكَ يَا هَذَا فَإِنَّ لَنَا فِي الْخَلْقِ سِرًّا خَفِيَّ النَّفْعِ وَالضَّرْرِ  
[110و] سَلَّمَ لِأَحْكَامِنَا وَأَخْضَعَ لِعِزَّتِنَا فَحُكْمُنَا قَدْ جَرَى فِي الْخَلْقِ بِالْقَدْرِ<sup>4</sup>

وبعض الشعر تركته لطوله. ثم قال: «قال وهب بن منبه رضي الله عنه: فلما<sup>5</sup> خرب بخت [نصر]<sup>6</sup> بيت المقدس، وحرقت التوراة، وسبى الذراري<sup>7</sup> والنساء، وأسر الأنبياء. وكان فيهم عزيز رضي الله عنه، فبلغ عمره أربعين سنة. وهو أسير بأرض بابل، فسهر ليلة [من الليالي]<sup>8</sup> وتفكر في محنة الأنبياء وفي خراب بيت المقدس وتمزيق كتبه. فقال: "اللهم إنك خلقت الأرض، فكانت على مشيئتك، ثم أنبت آدم منها بشرا سويا، وأسجدت له ملائكتك بعد أن نفخت فيه من روحك، وأسكنته جنتك، وعهدت إليه عهدك، فلما ضيعه أخرجته من دارك، وأسكنته الأرض وصنعت له الصنائع، وقضيت عليه الموت، ثم تخيرت رسلك، وعينت أنبياءك، وبوات بني إسرائيل الأرض المقدسة. فلما كثر العاصون منهم، سلطت عليهم عدوهم وأنزلت

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين زيادة من (ب)

<sup>3</sup> - في (ب): جاء البيت هكذا: دَعِ اعْتِرَاضَكَ يَا هَذَا فَإِنَّ لَنَا سِرًّا خَفِيًّا بِالنَّفْعِ وَالضَّرْرِ

فالبيت الأول أصح من هذا عروضيا لنقصان كلمة "في الخلق" من (ب).

<sup>4</sup> - جاء شَطْرًا لِلْبَيْتَيْنِ فِي "زَهْرِ الْكَمَامِ" جِلَافَ مَا أَوْزَدَهُ الصَّبَّاحُ. على الشكل الآتي:

دَعِ اعْتِرَاضَكَ يَا هَذَا فَإِنَّ لَنَا فِي الْخَلْقِ سِرًّا خَفِيَّ عَنِ حِدَّةِ النَّظْرِ

سَلَّمَ لِأَحْكَامِنَا وَأَخْضَعَ لِعِزَّتِنَا فَحُكْمُنَا قَدْ جَرَى بِالنَّفْعِ وَالضَّرْرِ

- انظر "زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام": سراج الدين أبو حفص عمر بن إبراهيم الأنصاري الأوسي، ص 268.

<sup>5</sup> - في (ب) و(د): "لما".

<sup>6</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>7</sup> - كذا في النسخ الثلاثة، فهي عندي لفظة عامية وذلك بعد تصفحي للسان العرب لابن منظور وعدم عثوري عليها فإزداد يقيني بما ذهبت إليه، وقلت الأفصح نقول: "الذرية"، أو "الأولاد"، أو "الأبناء". ولكن إصراري على تحقيق مصدر النص الأصلي مكنتني من تأكيد صحة ورودها بصيغة ذراريهم، وذلك في مصدر من أمهات مصادر تراثنا الديني أعني كتاب "قصص الأنبياء" للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ)، تح محمد سيّد، ط2/مكتبة أبو بكر الصديق، القاهرة. 2005م. ص 229.

<sup>8</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

بهم عقوبتك، فقتل أبناؤهم ومزقت كُتُبهم<sup>1</sup>، وحُربَ بيتَ عِبَادَتِهِمْ. فقتلَهُم قومُ أخطأوا، فعذبوا بمن لا خطأ لهم. فنظرت منذ ثلاثين سنة فإذا الذين يعذبونهم أكثر منهم في الخطأ والصد عن بابك، [فأرسل الله إليه ملكاً فسلم عليه ثم قال له يا عزيز لقد أهمتك الدنيا وأحزنتك شأنها أتريد]<sup>2</sup> أن تعلم سر قضاء الله تعالى. قال: "نعم"، قال: "الله أرسلني إليك، فتخبرني وأقول لك فتسمع. يا عزيز أريد منك أن تَصُرَّ لي صُرَّةً مِنَ الشَّمْسِ وَتَكِيلَ لِي مَكِيلًا<sup>3</sup> مِنَ النُّورِ، وَتَرِنَ لِي مَثَالًا مِنَ الرِّيحِ. وَتَرِدَ لِي يَوْمَ أَمْسٍ. قَالَ: وَمَنْ يَطِيقُ هَذَا؟. قَالَ: مَنْ يَسْأَلُ عَمَّا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ بَعْلَمُهُ، وَلَمْ يَكْفِ النَّظَرَ فِيهِ. يَا عَزِيزُ إِذَا عَجَزْتَ عَنْ هَذَا فَكَيْفَ لَوْ سَأَلْتُكَ كَمْ تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْ يَنْبُوعٍ، وَكَمْ فِيهَا مِنْ مَثَالٍ، وَكَمْ فِي الْبَحْرِ مِنْ نَقْطَةٍ؟ وَكَمْ عَدَدُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ قَطْرَةٍ؟ وَكَمْ أَرْوَاحُ الْمَوْتَى، وَكَمْ أَبْوَابُ الْقُبُورِ؟ وَكَمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ؟ وَكَمْ عَمَقُ الْبَحَارِ، وَأَيْنَ طَرِيقُ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَذَا. فَقَالَ: إِذَا لَمْ تَعْلَمْ وَأَنْتَ تَدْرِكُهُ بِبَصْرِكَ وَتَعْرِفُهُ بِعَقْلِكَ، فَكَيْفَ تَرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ عِلْمَ اللَّهِ الَّذِي تُوْحِدُ بِهِ، وَغِيْبَهُ الَّذِي حَجَبَهُ عَنْ خَلْقِهِ وَاخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ. ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ: يَا عَزِيزُ، سَلِ الْأَرْضَ مَا لَهَا تَطُولُ أَشْجَارُهَا وَتَخْضُرُ وَرَقُهَا وَتُظْهِرُ ثَمَارُهَا فِي وَقْتِ إِبَانِهَا، وَإِذَا بَلَغَتْ حَدَهَا زَالَ ذَلِكَ عَنْهَا أَلَيْسَ الْمَاءُ مِنْ تَحْتِهَا يَجْرِي وَالْهَوَاءُ مِنْ فَوْقِهَا يَسْرِي؟! يَا عَزِيزُ سَلِ الْبَحَارَ مَا بِهَا تَعْلُو أَمْوَاجُهَا وَتَتَدَفَّعُ، فَإِذَا بَلَغَتْ حَدَهَا رَدَّتْ لَزِمَامِ الْقَهْرِ إِلَى الْقَعْرِ. أَرَأَيْتَ يَا عَزِيزُ لَوْ اخْتَصَمْتَ إِلَيْكَ الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ فَقَالَتِ الْأَرْضُ: قَدْ ضُغْتُ بِجِبَالِي وَأَشْجَارِي وَمَا فِيهَا مِنْ خَلْقِ رَبِّي وَأُرِيدُ أَنْ أُمْتَدَّ فِي الْبَحْرِ وَأَتَسَّعَ فِيهِ، وَقَالَتِ الْبَحَارُ قَدْ<sup>4</sup> ضُغْتُ بِأَمْوَاجِي وَمِيَاهِي وَحَيْتَانِي وَأُرِيدُ أَنْ أُوْتَسَّعَ فِي الْأَرْضِ، فَمَاذَا كُنْتُ تَقْضِي بَيْنَهُمَا. فَقَالَ عَزِيزُ: أَقُولُ لِهَاتَا كِلَا كَمَا قَدْ جَاءَ بِحُجَّةٍ لَا تَنْفَعُهُ، وَإِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا حُدَا هُوَ بِالْغَيْهِ، وَمُدَّةٌ لَا يَتَعَدَاهَا. فَقَالَ الْمَلِكُ: "نَعَمْ مَا وَصَفْتَ وَقَضَيْتَ". كَمَا قَضَيْتَ

<sup>1</sup> - في (ب) و(د): "ثيابهم".

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "مكياً لا".

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

لغيرك فاقض على نفسك، إن الله قد أجل لأهل الدنيا أجلا هم بالغوه، ووعدا لا بد لهم أن يصلوه. ولا ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يسأل عن علم السماء الذي حجه عن عباده، وخص به نفسه». انتهى من [الكتاب المسمى] بزهر الأكمام في قصة يوسف عليه السلام.

**قلت:** وهذه الأنقال مصرحة بالعلم اللدني الذي اختص الله به أوليائه وعلمهم إياها بالإلهام.

قال سيدي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>(2)</sup> / [110ظ] بعد كلام له تركته لطوله، ولفظه: قلت: قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد الله بن أبي جمرة [رحمه الله] وأفاض علينا من أنواره<sup>3</sup>: "تعليمه سبحانه لآدم الأسماء كلها إنما كان بالعلم اللدني بلا واسطة". انتهى من كتابه الذي شرح فيه بعض أحاديث البخاري الصحيحة من تفسيره المسمى بالجواهر<sup>(4)</sup> الحسان.

ولم تنزل \_والمنة لله\_ سلسلة الصلاح والولاية والصدقية والقبطانية تمتد من ذلك البرزخ الأعلى سيدنا ومولانا وركننا وعنايتنا سيدنا محمد ﷺ إلى وقتنا هذا، بل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

قال سيدي ومولاي سيدي أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_: طريقتنا هذه عن<sup>5</sup> فلان عن فلان إلى رسول الله ﷺ. أخبرني بهذا مَنْ سَمِعَهُ مِنْ فِيهِ، وهو ممن يوثق بقوله. فهل بقي بعد هذه الأنقال لأحد كلام فيما يعطيه سيدنا أبو العباس سيدي أحمد ابن يوسف \_رحمه الله\_ من معاني الحروف والأسماء. ويكفيك تعظيم رسول الله ﷺ له، وتسليمه عليه على ما ذكره صاحب الرؤيا تلميذه الفقيه الصنهاجي القلعي المذكور قبل هذا. مع أنه

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د).

<sup>2</sup> - سورة البقرة، الآية 31: ﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(د).

<sup>4</sup> - في (أ): "جواهر الحسان". والأصح: "الجواهر".

<sup>5</sup> - في (د): "من فلان عن فلان".

من أهل العلم المحققين ومن السادات العاملين. ورؤياه صحيحة لا شك فيها، ودليلها ما ذكره صاحب الكتاب المسمى "بزهرة الأكماء في قصة يوسف عليه السلام"، ونصه: «وقال ابن عمر: "من بات على وضوء وطهارة، كان فراشه مسجداً، وجسده نورا وعانقه<sup>1</sup> [ملك]<sup>2</sup>. فإن رأى رؤيا كانت حقا. وإن بات على غير طهارة كان فراشه حفرة، وجسده جيفة، وعانقه الشيطان، فما رأى فهو حلم".

وقال جابر بن عبد الله: "جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: "يا رسول الله، إني رأيت في المنام كأن رأسي قد قطع"، فضحك رسول الله ﷺ، وقال: «إذا لعب الشيطان بأحدكم فلا يحدث الناس». ذكره مسلم وأبو داود».

#### قلت:

ومعنى قوله ﷺ: «فما رأى الذي بات على غير طهارة فهو حلم»، يعني وربك أعلم: في غالب الأشخاص، وقد تقع الرؤيا من الكافر؛ كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾<sup>3</sup> ﴿(4) الآيات، وهو ريان الملك بن الوليد على ما قاله أهل التفسير، والله أعلم.

#### قلت:

ولتعلم أن الرؤيا في النوم بغير تاء، قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾<sup>(5)</sup> وقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾<sup>(6)</sup>. وأما رؤية العين فهي بالتاء والله

1 - في (ب) و (د): "غشيه".

2 - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

3 - ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

4 - سورة يوسف، الآية 43: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.

5 - سورة يوسف، الآية نفسها.

6 - سورة الفتح، الآية 27، وتتمتها: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.



أعلم. ودليله ما قاله ابن العربي في القبس: «نقولُ رأيتُ رؤيَةً: إذا عاينت ببصرك، ورأيتُ رؤيَا بغير تاء: إذا رأيت شيئاً في منامك». انتهى منه باختصار.

### \_ [مناقب محمد الملقَّب الوافي بن محمد بن سعيد الصنَّهَاجي]:

ومن تلامذة سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ السيّد الفقيه المحدث سيدي محمد الملقَّب الوافي بن محمد بن سعيد الصنَّهَاجي المذكور، كان من المجتهدين في العبادة والمحافظة على الصلوات ومراعاة الأوقات؛ لأنه كان مؤذناً، ورعاً، زاهداً في الدنيا، ممن طلقها ثلاثاً، كما قال بعض [الصوفية]<sup>1</sup> في الدنيا، وطلاقك في شريعتنا<sup>2</sup> ثلاثاً، وكان الوافي المذكور دائم السكوت إلا عن ذكر الله. لا يخالط [أبناء الدنيا]<sup>(3)</sup>، ولا يعرفهم. وله كرامات \_رحمه الله، ونفعني به\_.

### \_ [مناقب أبي العباس أحمد بن أبي معزى الراشدي]:

ومنهم السيد التقي الورع العارف بالله/ [111و] سيدي أبو العباس سيدي أحمد بن أبي معزى الراشدي \_رحمه الله\_، وله تلامذة أخيار سادات أبرار. كان رضي الله [عنه]<sup>(4)</sup> من أجلاء علماء الباطن، ممن ظهرت له كرامات يكل اللسان ويعيب القلم عن عدها. وإنما لم آت ببعضها لكوني ناءٍ عن موضعه وهو بقرية تسمى "طرطوش"<sup>5</sup> من عمالة أم العساكر<sup>(6)</sup>، وقبره بالقرية المشهورة المذكورة مشهور مزار \_نفعني الله به وبأمثاله، أمين\_.  
وقد اشتهر أمر الشيخ سيدي أحمد بن معزى \_رحمه الله\_ في أقطار الأرض وقصد بالزيارة من كل مكان، وصار أعجوبة في الزمان. وقد أخبرني من أثق به أن بعض أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ قال له ذات يوم: "ما رأينا احترامك لأحد مثل

1 - ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

2 - في النسخة (ب): "في شرعنا".

3 - في (أ) بياض.

4 - ما بين المعقوفين إضافة يتطلبها السياق.

5 - في (ب) و(د): تسمى "تكرطوش".

6 - الإشارة إلى المدينة المعروفة عندنا اليوم "معسكر".

احترامك لابن أبي معزى!"؛ وذلك أن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف كان إذا قدم عليه سيدي أحمد بن أبي معزى يقوم له إجلالاً وتعظيماً. فقال سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ لصاحبه: "كيف لا أعظم ابن أبي معزى وهو ممن رباه رسول الله ﷺ"، أو كلام هذا معناه. ثم إن صاحب سيدي أحمد بن يوسف ذهب لزيارة ابن أبي معزى، فلما قدم عليه بادره وقال له: "أَبَيْتَ أَنْ تُصَدِّقَ حَتَّى قِيلَ لَكَ كَذَا وَكَذَا". فأخبره بما وقع له مع سيدي أحمد ابن يوسف، فصَدَّقَ حينئذٍ وتاب.

**قلتُ:** أما قول سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ رياه رسول الله ﷺ يعضده ما روي عن الشيخ سيدي مكين أنه قال: "ما رباني إلا رسول الله ﷺ". وقد ذكرنا هذه الحكاية قبل هذا. وقد كان الشيخ سيدي أحمد بن أبي معزى متفرساً حد الفراسة مكاشفاً بخبر الزوار والواردين إليه قبل أن يصلوا إليه، ويخبر بما جرى لهم في طريقهم \_نفعنا الله به\_.

ثم قال سيدي موسى بن عيسى المذكور: «وللقوم في الفراسة عبارات، فقيل هي التفرس في الشيء أصالة<sup>(1)</sup> النظر فيه. وقال سيدي عبد القادر: «هي نور يقع في القلب من لطف لطائف الرب، فيجري على لسان سر الغيب، فيأخذ من الغيب ما هو في الغيب، إذ معه سر صاحب الغيب». ومناقب أبي معزى كثيرة \_نفعني الله به وبأمثاله، آمين\_.

### \_ [مناقب داود بن يحرثن الكثيري]:

ومنهم السيد العالم سيدي داود بن يحرثن الكثيري \_رحمه الله\_ كان عالماً مدرساً ورعاً زاهداً، صاحب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ وانتفع بصحبته وخدمته، وبلغ في الولاية مقاما عظيماً، وله مناقب جليلة وخوارق [عادات]<sup>2</sup> كثيرة<sup>3</sup>، إلا أنني لم أقف على صحتها \_نفعني الله به\_.

<sup>1</sup> \_ كذا في (أ)، ولعل المراد: إطالة.

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>3</sup> - في (ب): عديدة".

وكذلك أخوه سيدي عمر بن يحرثن من أصحاب الشيخ المذكور له كرامات عديدة ممن ظهرت عليه بركات شيخه في الدنيا، وكذلك في الآخرة إن شاء الله \_ نفعني الله به\_.

\_ [مناقب محمد بن عبد الله الكثيري]:

ومنهم السيد النقي الزكي الولي سيدي محمد بن عبد الله الكثيري، كان يسكن الكهوف التي تحت مجسر<sup>1</sup> "المشارف" من وطن "بني كثير" من حدود "عين عياش" أحد سدس<sup>2</sup> "هواره" حماها الله\_. وقد اشتهر أمره بتلك الكهوف. قصده الناس للتبرك به \_ نفعني الله به\_ وانقطع في آخر عمره لعبادة ربه في تلك الكهوف، حتى أتاه الموت، فجاءه الناس من كل مجسر ودوار من وطننا "هواره" كالأها الله\_ وكنت أنا حديث السن حضرت جنازته فصلى على جنازته خلق لا يحصي عددهم إلا الله تعالى.

قلتُ: وحضور الجموع للصلاة أمر مشهور. قال سيدي موسى المذكور \_رحمه الله\_: «حضور الجموع الكثيرة/ [111ظ] على الجنازة وتزاحمهم عليها أقوى دلالة على فضل صاحبها، وأنه لما توفي الشيخ سيدي أبو مدين حضرت جنازته جموع كثيرة وتزاحم الناس على جنازته، فما كان أعز من الفقراء في ذلك اليوم ولا أذل من الأغنياء.

ولما تُوفِّيَ بشر "ببغداد" حضرت جنازته من الزهاد والعباد والنساء والأولاد مئة ألف. وبلغ ثمن الإزار الذي كان على الجنازة ألف درهم، وكان ثمنه عشرة دراهم. وكان رجل من أهل "بغداد" أوصى أنه إذا مات أن يحمل على ذلك النعش تبركا به.

ولما مات أبو موسى بن سليمان جاء العباد لحضور جنازته من كل أفق وجاء أكثرهم من بلاد بعيدة، واجتمعت عصيهم في بيت أبي موسى، فبلغت خمسمائة عصا». انتهى منه بلفظه \_رحمه الله\_. والحكايات في هذا المعنى كثيرة عن أولياء الله \_ نفعني الله بجميعهم وأفاض عليّ من أنوارهم آمين\_.

<sup>1</sup> - يقصد مدشر

<sup>2</sup> - عبارة غير واضحة هكذا وردت في النسختين المتبقيتين (ب) و(د).

### \_ [مناقب أبي زكرياء السيّد يحيى بن عليّ المغراويّ المصراتي]:

ومنهم السيد الزاهد أبو زكرياء السيد يحيى بن عليّ المغراويّ النسب المصراتي المنزل، كان عليه السلام دائم السكوت، لا يفتر عن الذكر، قوَّامًا صوَّامًا، لا ينام اللَّيْلَ لاجتهاده في العبادة، وليست له حرفةٌ غيرَ ذكرِ مولاه، منقطعًا عن النَّاسِ، مشتغلًا بقراءة القرآنِ وسائر الأذكارِ آناء اللَّيْلِ وأطرافِ النَّهارِ. وكان من المتبتّلين المنقطعين. قال المازونيّ المذكورُ: «والمبتبّلُ هو الذي قطعَ نفسه عن غيرِ الله، وأقبلَ على الله بكلِّيته. وقد أمرَ اللهُ تعالى نبيّه \_ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ \_ به في قوله تعالى: ﴿فَمِ اللَّيْلِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾<sup>(1)</sup>، أي: أَخْلِصْ له، وقيل: أَعْطِهِ قَلْبَكَ». انتهى منه \_ رحمه الله \_.

### \_ [مناقب أبي الحسن سيدي عليّ بن عومر المكنى أبو مصلاة الرّاشدي]:

ومنهم السيد العابد الولي الصالح سيدي أبو الحسن سيدي عليّ بن عومر المكنى أبو مصلاة الراشدي النسب والدار. «ومعنى أبو مصلاة العصا؛ لأن له عصا فكني بذلك في لغة العامة. وكما كني الفقيه أبو عبد الله محمد بن عليّ البطيويّ بأبي مقرع؛ لأنه كان يجعل على عاتقه مقرعا في سفره». انتهى من الجداري<sup>2</sup> في شرحه لرجز الإمام أبي مقرع \_ نفعتي الله بهما \_.

وقد كان سيدي عليّ بن عومر المذكور من أهل السياحة؛ إذ انقطع لعبادة الله، وبلغ في الولاية [مقاما عظيما]<sup>(3)</sup> ارتقى فيه عن أبناء جنسه، وله مواهب وأسرار شهد الجم الكثير له بها من أولياء بني راشد وفضلائهم. وقيل لي إنه لم يتزوج قط، ولازم في آخر عمره وطنه. وقبره في موضع منها يسمى [...]<sup>(4)</sup>. \_ نفعتي الله بهم، آمين \_.

<sup>1</sup> \_ سورة المرمل، الآية 8: ﴿وَأذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾.

<sup>2</sup> - في (ب) و(د): "الجداري".

<sup>3</sup> \_ كذا في (د)، وفي (ب): "إلى مقام". وفي (أ) مستدرک على الهامش.

<sup>4</sup> \_ بياض في كل النسخ، بمقدار كلمة أو كلمتين.

ومنهم السيد الصالح الزاهد في الدنيا سيدي أبو الحسن سيدي علي بن الزغل المصراتي \_رحمه الله، ونفعني به\_ كان الغالب عليه الجذب، فينطق بالفحش والحلف بالحرام، ونحو ذلك. فسئل عن ذلك فقال: "أردت حرام الدنيا"؛ لأنه لم تكن له زوجة في آخر عمره. وكان شيخاً كبيراً من عقلاء المجانين، وكان مجاب الدعوة، وله كرامات عديدة. وكان قد انقطع لعبادة الله مع كبر سنه. \_نفعني الله به، آمين\_.

**قلت:** وطريقة هذا السيد، وأقواله ونطقه بالفحش والحرام، وضرطه بفمه ونحو ذلك، مثل طريقة سيدي أبي العباس السبتي \_أفاض الله علي من بركاته\_، علي ما نقله سيدي موسى بن عيسى المذكور \_رحمه الله\_، ولفظه: «قال علي بن أحمد الصنهاجي: "خدمتُ أبا العباس السبتي أربعة أعوام، وأنا أعتقدُ فيه الكفر"، فصليتُ معه فقلتُ في نفسي: "إن لم يقع منه استحسان لصلاتي، وإلا قتلته لزندقته، وأرحت الناس منه". فلما فرغت أخذ بيدي وقبلها، وقال: "مرحبا بقرآن مع القرون". / [112و] فقلتُ: "ولم تُعيرني بهذه الكلمة؟"، فقال لي: "ليس هذا الكلام شتماً!، وإنما يكون شتماً لو قلت لك: يا قرآن، وإنما أردت بقولي لك: يا قرآن؛ لأنك تقرن بين الصدقة والصلاة"».

ثم بعد كلام تركته لطوله اختصاراً قال سيدي أبو العباس السبتي لخدمته الصنهاجي المذكور: «أفي نفسك شيء؟»، قال: "بل أشياء كثيرة". قال: "أخبرني بها"، فقال له: "إني خلوت بك في مواضع كثيرة، ولم تفدني بشيء، ولم تحصل لي معك حقيقة!، فقال لي: "والله الذي لا إله إلا هو، لا أخفيت عنك شيئاً"، فقبلت يده، وقلت له: "إن الناس يقولون إنك تستبيح الفروج بغير نكاح شرعي". فقال: "مُيزَ الشيطانُ بالافتراءِ والكُفَّارِ بالإصغاءِ". فقلت له: "ما هذا؟"، فقال لي: "حصلت بين مقامين مقام الشيطان، ومقام الكفار؛ لأنك أصغيت لمن قال ثم افتريت الآن علي، فنتب علي هذا، ولا تعتقده. فمن اعتقد تحليل الفروج بغير نكاح شرعي فهو كافر، وأقوال الناس كثيرة، وقد قالوا إن الله صاحبةٌ وولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً". ثم قال لي: "هل رأيتني نكحتُ محرماً؟، أو قلتُ بتحليل محرماً؟"، فقلت

له: "لا". فقال: "اذكر ما تحققتُه مني"، فقلت: "رأيتك في أوقات الصلاة تمر بالمسجد ولا تصلي"، فقال لي: "ما وجدت شفيحاً أقدمه، وقد قال \_عليه السلام\_: «أتمتكم شفعاؤكم فاختراروا بمن تستشفعون»، ومن قال بترك الصلاة فهو كافر. وما قلت إنه عندك حقيقة ليس كذلك. اذكر لي ماذا سئلت عنه غدا بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، وقيل لك: ما تعرف في هذا، أَشْهَدْتَ عَلَيْهِ بِحَقٍّ أَمْ لَا؟ فقلتُ له: لَا أَعْرِفُ حَقِيقَةً إِلَّا كَلَامَهُ بِالْفَحْشِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرُهُ يَقُولُ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾<sup>1</sup>، فقال لي: "ما الذي تنكره علي من الفحش؟"، قلت: "قولك للناس تُيُوس"، وهو كلام يغير القلوب. فقال لي: "وما رأيت أحدا من الناس إلا وهو يحب التقدم، ومن شأن التيس أن يتقدم قلت له". وتقول للمخاطب، أيضا: "يا قطيم"، فقال لي: "القطيم: الذي يحرص على تحصيل الدنيا ويجمعها، ولا يخرج شيئا"، قلت له: "ومن شكَّا لَكَ بِأَمْرٍ أَمْرَتُهُ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ، قُلْتُ: "اجعل على ظهرك أسود"، فقال لي: "ما أمر أحدا إلا بما ينتفع به، أمرته أن يحمل مشقة الصلاة بالليل". فقلت له: "هلا [قلت له:]<sup>(2)</sup> قم الليل"، فقال: لو قلت له لقبل يدي ودخلني العجب والكبر وما طرد إبليس من جوار الله إلا لذلك». انتهى منه، وبعضه أسقطته لطوله.

### \_ [مناقب يوسف بن الزغل]:

ومنهم المرابط يوسف بن الزغل أخو سيدي علي المذكور، وقد أخبرني بمنقبة وقعت له مع شيخه سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ في عنقود العنب المذكور وقد ذكرناها بتمامها في أول الكتاب فانظرها هنالك.

### \_ [مناقب عبد القادر بن حماسة المصراتي]:

ومنهم المرابط الخَيْرُ الدِّينُ عبد القادر بن حماسة المصراتي \_رحمه الله\_، من أولياء الله الصالحين، ولم يعلم به أحد غير المعلم النقي الزكي علي بن عروس المصراتي وجده

<sup>1</sup> - سورة "ق". الآية 18.

<sup>2</sup> - كذا في (ب) و(د). وفي (ا) ساقطة.

مرة في شعاب مصراته مع الحجل تقلي ثوبه، فلم يخبر بذلك أحداً إلا بعد موته [لأنه أخذ عليه العهد ألا يخبر أحداً إلا بعد موته]<sup>1</sup>. وكنت إذا رأيته لا تلقي له بالا ولا تظهر لك عليه علامة الأولياء، لإخفائه عن الناس وهو من الذين قال فيهم ﷺ: «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبرّ قسمة»<sup>2</sup>.

**قلت:** وما وقع لابن حماشه المذكور في كون الحجل تقلي ثيابه. فذلك أمر متواتر عن أمثاله من أولياء الله \_ نفعني الله بهم، آمين\_. قال سيدي موسى بن عيسى المازوني المذكور / [112ظ] \_رحمه الله\_: «وكانت لأبي زكرياء دار بظهر مسجده، ومن ورائه أشجار قريبة من الجبل، فكان يدخل بين الشجر وعليها الحجل، فإذا رآته تنزل إليه فيسقيها واحدة بعد واحدة، فتحرك يوماً تلميذ من تلامذته بين الشجر، فالتفت إليه وقال له: أنت هاهنا مطلع على سري، لا صحبتني<sup>3</sup> أبداً. ويحكى عن كثير منهم في هذا المعنى العجب». انتهى منه \_رحمه الله\_.

### \_ [مناقب محمد بن عليّ المعروف بطكوك المصراتي]:

ومنهم المرابط محمد بن علي عرف بطكوك المصراتي، كان \_رحمه الله\_ قد خصه الله بسرّاً، فإذا نطق بشيء يقع كما يقول. وقد ظهرت له منقبة عظيمة في تلمسان، وذلك أن الأمير عبد الله أمر بأن يلقي للأسد كانت عنده ففعل به ذلك، فلم تضره. وأقبلت تبصّبص إليه، فتاب الأمير حينئذ وأعطاه مصمداً تراباً، هو بيد أولاده الآن في قرية مصراته من وطن هواره \_حماها الله\_، وكتب له ظهيرا به وبتحرير جنانه وكرّمه، وصار يعظمه من يومئذ وله مناقب وكرامات \_رحمه الله\_، ونفعني به، آمين\_.

### \_ [مناقب محمد المعروف بالبهلول المصراتي]: ومنهم المرابط الخير الولي النقي

محمد عرف بالبهلول المصراتي، كان من الأولياء الأخفيا، ممن انتفع بخدمته لشيخه سيدي

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب) و(د)

<sup>2</sup> - سبق ذكر هذا الحديث، وتم تحريجه في ص 751.

<sup>3</sup> - في (ب) و(د): "لا تصحبني".

أحمد بن يوسف \_رحمه الله، ونفعني به، أمين\_. وقد رُئيَ بعد موته في مرتبة من مراتب الأولياء العظماء وما ذلك إلا من بركة صحبتته لشيخه سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_.

### \_ [مناقب موسى القديدي]:

ومنهم السيد الصالح الولي الزاهد العابد سيدي موسى القديدي، كان \_رحمه الله\_ من العلماء الأولياء بمجشر "قديدة" إحدى مجاشر قلعتنا \_حماها الله\_، واشتهر أمره بها، وقصده الزوار من أقطار الأرض للتبرك بدعائه، وكان شيخاً كبيراً قد قارب المئة، زرتة أنا غير ما مرة وقبره الآن بقديدة مشهور يتبرك بالدعاء عنده، وأما مناقبه فلم أقف على شيء منها.

### \_ [مناقب محمد بن شعاعة العربي]:

ومن مشاهير تلامذة سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ وهو الولي الصالح سيدي محمد بن شعاعة العربي \_أفاض الله علينا من بركاته\_، وله كرامات ومواهب ساميات، وتتلذذ له خلق كثير، وانتفعوا بخدمته وصحبته. وقد أعطاه الله فصاحة في اللسان في مدح سيد ولد عدنان سيدنا ومولانا محمد ﷺ صلاة دائمة بدوام ملك الله الملك الديان، وكذلك في التوحيد وفي أحوال القبر وأهوال يوم القيامة، ونحو ذلك من القصائد التي فتح الله له فيها. وقد أخبرني من أثق به أن شيخه سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ أذن له في سرّ الأسماء ومعاني الحروف، وقد ظهرت له كرامات وخوارق عادات \_نفعني الله به وبأمثاله، أمين\_.

### \_ [مناقب عيسى بن أبي الفضل الزجراوي]:

ومنهم السيد العالم سيدي عيسى بن أبي الفضل الزجراوي. كان \_رحمه الله\_ معتنياً بكتاب "الرقائق" لا سيما بعض أسفار من "الإحياء" للغزالي. وانتفع بذلك ببركة صحبة شيخه سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_، وفتح عليه الله في الحفظ من كلام أهل الطريق. فإذا لقيته تسمع منه كلاماً نفيساً من أجل اعتنائه بذلك وارتقى لمقام السعداء؛ بسبب ذلك كما حكى عن سيدي واضح المكناسي \_نفعني الله به\_ أنه لازم للإحياء لأبي حامد الغزالي، فما



ختمه حتى ارتقى لمقام الأولياء الأبرار، وظهرت عليه من أسرار الغيب أنوار. فهذا هو<sup>(1)</sup> الفائدة في مطالعة كتب "الرقائق" وسماعها». انتهى من سيدي موسى المازوني المذكور \_رحمه الله\_.

### \_ [مناقب محمد بن غالبية الرباطي]:

ومنهم السيد محمد بن غالبية الرباطي. كان \_رحمه الله\_ من الأولياء الفضلاء. وقد أخبرني ولده الحاج الأبر / [113و] حاج الحرمين محمداً أن أباه مرض حين كان ساكناً في القلعة، وزوجته أم الحاج المذكور معه في البيت؛ إذ سمعته يقول: "يا أبا راس كيف تركتني وغررت بي؟"، فقال له: "لا تخف أنا معك"، ونحو هذا الكلام. فقالت له الزوجة: "مع من تتكلم؟"، فقال: "ما تكلمت مع أحد". فقالت له: "قلت كذا وكذا"، فقال لها: "لعلك نائمة"، وأخفى عليها ما وقع له مع شيخه سيدي أحمد بن يوسف.

وحدثني ولده المذكور أن أباه كان يغزو مع السيد الولي الصالح سيدي محمد عرف بالشريف البوعمراني \_نفعني الله به، آمين\_ كل ليلة يغزو إلى بلاد النصارى الكفار. وربما أصابت السيد المذكور البوعمراني جراحات فيخفيها، ويمرض منها، ولا يطلع عليها إلا خواصه، كابن غالبية المذكور ونظرائه.

وللبوعمراني المذكور كرامات؛ سيما في كشف الشيء المسروق، فقد حاز السبق. وكذلك إجابة الدعوة، ونحو ذلك من المواهب الربانية، حتى كاد أن يلتحق بجده سيدي يحيى ابن علي بن محمد بن الشيخ الغوث القطب طيبب "هواره" سيدي أبي عمران \_نفعني الله بالجميع إنه هو العليم السميع\_، ورحم الله الشاعر حيث قال: [بسيط]

الْمَرْءُ يَنْشَأُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ      إِنَّ الْأُصُولَ عَلَيْهَا تَنْبُتُ الشَّجَرُ<sup>2</sup>

وفروع سيدي أبي عمران باقية إلى الآن، والحمد لله \_نفعني الله به، آمين\_.

<sup>1</sup> \_ كذا في (أ)، والأصوب: فهذه هي الفائدة.

<sup>2</sup> - هذا البيت قد سبق الاستشهاد به في ص (53) = ص 609 من هذا البحث.

**\_ [مناقب محمد بن محمد بن غالبية]:**

ومن تلامذة سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ سيدي محمد الحاج ولد سيدي محمد بن غالبية المذكور قبل هذا. وقد كان من أصحاب الشيخ المذكور الأخيار الأتقياء الأبرار. ووقعت له شدة ومحنة في البحر حين سافر للحج، فاستغاث بشيخه سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_. فأزال الله كربه وكشف غمه. وقد أخبرني بذلك، وأنه عاين الشيخ معه في البحر، وذكر لي أنه استغاث به مرتين، فوجده معه عياناً. وقد انتفع بصحبته لشيخه سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ كما انتفع أبوه وعمه وذلك أن أباه ارتقى لمقام الأولياء الأتقياء ومن بركات شيخه عليه أن رزقه الله ثلاثة أولاد ذكورا أولياء، وخصوصاً الحاج المذكور. وقد ظهرت له كرامات وخوارق عادات، \_نفعي الله به وبأبيه، آمين\_.

**\_ [مناقب مسعود العروني]:**

ومنهم السيد الولي الصالح سيدي مسعود العروني \_نفعي الله به\_، ومن كرامته أن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف \_رحمه الله\_ أتى خاطباً عند التاجر<sup>(1)</sup> محمد الملقب الدرزي القلعي ابنته المسماة كليلة، فامتنع من ذلك، وحلف بإيمان الفساق لا أعطيتها له، فقال له سيدي مسعود المذكور: "قد أعطها الله له في السماء، وحضر لذلك جبريل وسيدنا ومولانا محمد ﷺ والخلفاء الأربعة والملائكة". فكان الأمر كما قال سيدي مسعود، فتزوجها الشيخ سيدي أحمد رغماً على أنف أبيها الدرزي المذكور بما سبق في سابق علمه \_جل وعز\_. فانقاد أبوها ورجع عن يمينه وأعطها برضاه بعد امتناعه وعناده لما قدره<sup>2</sup> الله وقضاه. بهذا حدثني من يوثق به ممن حضر لذلك من كبار قلعتنا \_حماها الله\_، بيد أنني اختصرت القصة لطولها.

<sup>1</sup> \_ كذا في (ب). وفي (ا) التاجر، ولفظ "التاجر" طريقة في النطق.

<sup>2</sup> - في (د) سقوط هاء الضمير.

قلت: وما ذكره هذا الولي من حضور الملائكة والنبى ﷺ والخلفاء الأربعة لعقد نكاح الغوث سيدي ومولاي سيدي أحمد بن يوسف \_ نفعني الله بنيتي فيه، أمين\_ مع زوجته كليلة المذكورة، ابنة التاجر المذكور يقرب منه ما حكاه في الكتاب المسمى "بزهرة الأكمام في قصة يوسف عليه السلام"، ونصه: «جهز عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جيشاً/ [113ظ] من المسلمين تجاه العدو في بلاد الشام، فحاصر المسلمون حصناً من حصون الكفار حصاراً شديداً. وكان في المسلمين رجالان أخوان قد أتاها الله نجدة وجرأة على العدو. وكان أمير ذلك الحصن يقول لأخيه وأبطاله لو أن هذين المسلمين قتلنا لكفيتم من سواهما من المسلمين. فما زال الكفار يستعملون الحيل والمكايد إلى أن أسروا واحداً وقتلوا الآخر. فاحتمل المسلم إلى أمير ذلك الحصن. فلما أن نظر إليه قال: "إن قتل هذا لمصيبة، وأن رجوعه للمسلمين لكبيرة. وددت لو دخل في ديننا، وله من مالي كذا وكذا فإنه يكون لدين النصرانية عوناً وعضداً". فقال له بطريق من بطارقه: "أيها الأمير أنا أفنته عن دينه؛ وذلك أن العرب يكثرون المحبة للنساء، وعندى بنت لها كمال وجمال، فلو رآها لفتن بها". فقال: "هو لك فاحمله". قال: ففرش المنزل وألبس ابنته ما زاد في زينتها أو جمالها وأدخلها على الأسير المسلم وأحضر الطعام، ووقفت الصبية كالخادم لسيدها تنتظر أن يأمرها بشيء. فلما رأى المسلم ما نزل به اعتصم بالله، وغض بصره، واشتغل بعبادة ربه وقراءة القرآن، وكان له صوت حسن، وقريحة مؤثرة في النفس. فأحبهته الصبية حباً شديداً وكافت به كلفاً عظيماً. فما زال على ذلك سبعة أيام حتى صارت تقول لبيته لو علم بدخولي في الإسلام. فلما عيل صبرها وضاق ضرعها ترامت بين يديه، وقالت: "أسألك بدينك إلا سمعت كلامي". قال: "وما كلامك؟"، قالت: "أعرض عليّ الإسلام"، فعرضه عليها، فأسلمت وتطهرت وعلمها كيف تُصلي. فلما فعلت ذلك قالت يا أخي، إنما كان دخولي في الإسلام بسببك. فقال لها: "إن الإسلام يمنع من النكاح إلا بشاهدين عدلين ومهر، وأنا لا أجد الشاهدين والمهر. فلو تحايلت في خروجنا من هذا الموضع لرجوت الوصول إلى الإسلام. وإنى أعاهدك لا تكون

لي زوجة في الإسلام سواك". فقالت: "أنا أحتال لذلك". فدعت أباه وأمهًا وقالت لهما: "إن هذا المسلم قد لَانَ ومالَ قَلْبُهُ إِلَيَّ وَنَدْبَتُهُ إِلَى الدخول في الدين، وأن أُوصِلَهُ من نفسي ما يريد". فقال لي: "إنَّ هذا لا يتفقُ لي في بلدٍ قُتِلَ فيه أخي، فلو خرجتُ منه لَسَلًا قلبي"، ولفعلت ما هو المراد مني، ولا بأس أن تخرجوني معه إلى قرية كذا فإنني ظامنتُهُ لكم منه ما يريد وللملك منه ما يريد. قال: فمشى والدها إلى الملك وعرفه بما قالت ابنته فسرَّ بذلك سرورا كثيرا، وأمر بإخراجها معه إلى القرية. فخرجت. فلما وصلا إلى القرية بقيا يومهما ذلك. فلما جن الليل أخذَا في الرحيل، وقطع السبيل. فسارا ليلتهما تلك. وكان الشاب قد ركب جوادا سابقا، وأردفها خلفه. فما زال يقطع الأرض حتى قرب الصباح، فمال بها عن طريقه وأنزلها وتوضيا جميعا ليصليا. فبينما هو كذلك إذ سمع قعقعة اللجوم وخشخشة السلاح وكلام الرجال، ودوي حوافر الخيل. فقال لها: "يا فلانة هذا تبع النصارى قد أدركنا، فما تكون الحيلة، والحصان قد كل ولا يقدر أن يخطو بنا؟". فقالت له: "ويحك خفت علي؟!"، قال: "نعم، خفت عليك". قالت: "وأين ما كنت تحدثني به من قدرة ربك وغيائته للمستغيثين به. قم فتضرع له، وندعوه فلعله أن يعيننا بغيثه، ويتداركنا بلطفه". فقال لها: "نِعْمَ والله ما قُلْتُ". فأخذَا في التضرع إلى الله تعالى. فبينما هو يدعو والجارية تؤمن على دعائه ووجبة الخيل تقرب منه إذ سمع كلام أخيه الشهيد/ [114و] وهو يقول له. [ياأخي...]<sup>(1)</sup>[168ظ] لا

<sup>1</sup> \_ ما بين المعقوفين يبدو جلياً أنَّ هناك بترا لعدد من الصفحات في (أ) قيل نهايتها وذلك لعدم موافقة التَّعْقِيبَةِ الورقة الموالية. وقد تم استدراكها من النسختين الأخرين (1708ب) و(2625د). ويتعلق الأمر بإضافة ذكر عدد من تلامذة الشيخ أحمد ابن يوسف ممن أسقطهم ناسخ هذه النسخة (ا). وعليه سوف أعمد بداية من هذه الصفحة على ترقيم الصفحات الباقية انطلاقاً من النسخة (ب) وتوافق ص [114] في (ا) ص [168] في (ب). وذلك لكمال منتهى، ولوضوح خطها وجمال عباراتها. مع الاستئناس بالنسخة (د) المتفقة معها إلى حد كبير. وقد أشرت سابقاً أن ناسخ النسخة (د) اعتمد كلياً على النسخة (ب). ولكن رغم هذا جدير بنا أن نلاحظ اختلافاً بينا بين نهايات هذه النسخ الأربعة، بمعنى كل نسخة تتميز بنهاية مختلفة عن الأخرى، إضافة إلى عدم اتفاقها في أحجامها. فقد انتهت النسخة (243ك) قبل باقي النسخ الأخرى. وهاهي النسخة العمدية رقم (1707a) تترك نهايتها قبل النسخة (1708) والنسخة (2625د). ونظراً لعدم انسجام النهايات سوف أضطر إلى تعيين شكل نهاية النسخة العمدية (1707a) هنا على الهامش لمزيد من التوضيح من جهة ولمسايرة باقي النسخ الأخرى في ما أضافته من إضافات إلى غاية نهايتها من جهة أخرى. وهذه هي نهاية (1707a): [سمع كلام أخيه الشهيد/ [114و] وهو يقول له ياأخي...] ونشرته لشمس الذل حتى يبس، وجعلته في مهراس التقوى، ودقيته بمدقة الهدى دقا نعيماً، وغربلته بغربال الصفا على رقعة الوفا، وعجنته بماء الملح في قصعة التوكل، وملحته بملح الصبر، وجعلته في قدرة

تخف ولا تحزن فالوفد وفد الله أرسله إليكما يشهدون عليكما بالتزويج، وأن الله تبارك وتعالى قد باهى بكما الملائكة وأعطاكم أجر السعداء الشهداء وطوى لكما الأرض وأنكما بجبال المدينة فإذا اجتمعت بعمر بن الخطاب فأقرأ عليه مني السلام وقل له جزاك الله عن الإسلام خيراً فلقد نضجت [...] قال<sup>1</sup> ثم رفعت الملائكة أصواتها بالسلام عليه وعلى زوجته وقالوا إن الله تبارك وتعالى قد زوجها منك قبل خلق آدم أبيكما عليه السلام بألفي عام. قال فغشاهما البشري والسرور والأمن والحبور، وزاد اليقين، وثبتت هداية المتقين. قال فانصدع الفجر فصلياً الصبح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُعَلِّسُ بصلاة الصبح وربما دخل المحراب وخلفه رجلان فيبتدئ<sup>2</sup> بسورة الأنعام أو سورة النساء فينتبه النائم ويتوضأ المتوضئ ويأتي البعيد فما يتم القراءة في الركعة الأولى الا والمسجد قد امتلأ بالناس فيصلي الركعة الثانية بسورة خفيفة. [169و] فلما كان ذلك اليوم صلى الركعة الأولى بسورة خفيفة وأوجز فيها ثم في الثانية كذلك فتعجبوا. فلما سلم قال لأصحابه اخرجوا بنا نلتقي العروسين فزاد تعجبهم ولم يفهموا كلامه فتقدم عمر والصحابة خلفه حتى خرج على باب المدينة. وكان الشاب عندما ظهر الضوء رأى جبال المدينة ونواحيها، فأنزل زوجته من خلفه، فلقية عمر رضي الله مع المسلمين، فسلموا عليه، ثم أمر عمر أن يصنع لهما وليمة، فحضر المسلمون وأكلوا، ودخل

الرجاء، ووقدت تحته نار الخوف، وحركته بعود التفكير حتى طاب، ونزلته منزلة الحب، وروحت عليه بمروحة الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتعظيم والتقدیس والتنزيه، وغطيته بغطاء الصمت، لئلا تمسه رياح الرياء، فأخذت من ذلك شربة على الريق دبر كل صلاة في كل يوم وليلة، في موضع لا يراني فيه أحد إلا الله عزَّ وجلَّ، ولزمت مكان الالتزام، وقمت مع الله أحسن القيام، ولم أئل ذلك إلا بالسهو والصيام. فهذه طريقة شفيح الأنام \_عليه الصلاة والسلام\_، وأولياء الله الكرام. بهذا تتال المقام الأكبر والحظ الأوفر. والسلام] هذه الفقرة لا تتسجم مع ماسبقها تماماً وأحدثت اضطراباً وخللاً في المعنى. والغريب أن هذه الفقرة غير واردة في باقي النسخ الأخرى. وأخيراً يختم الناسخ كلامه بالصلاة على سيد المرسلين حيث يقول: [وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ نَسْخِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ ضَحْوَةَ الْأَرْبَعَاءِ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُعْظَمِ صَفَرِ عَامِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِئَةٍ وَأَلْفٍ. عَرَفْنَا اللَّهَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ. وَوَقَّانَا شَرَّهُ وَشَرَّ مَا بَعْدَهُ، آمِينَ. عَلَى يَدِ أَصْغَرِ الْعَبِيدِ، وَأَحْفَرِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ الْمَجِيدِ، الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الدَّوَادِيِّ نَسَبًا، الْبُسْنَائِسِيِّ مَنَشَأً، الْأَشْعَرِيَّ اعْتِقَادًا. غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَرِوَالِدِيهِ جَمِيعًا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]. انتهت النسخة (1) رقم (1707a). سنة 1140 هـ.

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين بياض مقدار كلمة في النسختين المعتمدتين للكلمة (ب) و(د).

<sup>2</sup> - في (د): "يقرأ".

الشاب بزوجته، فرزقه الله منها أولادا يقاتلون في سبيل الله<sup>1</sup> ويقتلون في سبيل الله انتهى منه رحمه الله.

**قلت:** وفي هذه الحكاية فوائد كثيرة لمن له فهم ومشاركة وذوق في علوم القوم نفعني الله بهم. آمين. آمين. آمين يارب العالمين.

### [مناقب إبراهيم بن الزجراري]:

ومن تلامذة سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله المرابط التقي الزكي الولي الصالح إبراهيم بن<sup>2</sup> الزجراري كان من أولياء الله الصالحين. ومن عباده المتقين وأصفيائه المخلصين، له كرامات. وقد شهد بولايته جماعة كثيرة، وَحَكِيَّ عنه رحمه الله أن الحجل تقلي ثوبه وأن رجال الغيب تزوره وغير ذلك مما خصه الله به، نفعني الله به.

### [مناقب سيدي عثمان القصير العربي].

ومنهم سيدي عثمان عرف بالقصير العربي. كان رحمه الله ممن كشف الله له أنواراً وأسراراً في شيخه سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله، وقد تقدم ذكرنا في كلام سيدي أحمد وأن أنوار الولي من أنواره تبارك وتعالى وتُعوته من نعوته، وغير ذلك، فانظره هنالك. نفعني الله بجمعهم، وبنيتي فيهم آمين.

### [مناقب علي بن محمد الملقب عمار الصفصافي] ومنهم المرابط الخير الصالح، علي

بن محمد، الملقب عمار الصفصافي، كان رحمه الله من الأولياء الأخفاء، لم يعلم بولايته إلا الأفراد الأتقياء من نظرائه، وله مناقب كثيرة، [ نفعني الله به ]<sup>3</sup>.

### [مناقب سيدي صالح العربي]

ومنهم السيد الأجل التالي لكتاب الله عز وجل سيدي صالح العربي، وقد كان الغالب عليه الجذب. وقد حدثني من يوثق به أنه كان يأوي إلى كهف بأعلى السند من قلعتنا حماها

<sup>1</sup> - في (ب): بياض. مكتوب على الهامش بياض في الأصل.

<sup>2</sup> - في (ب): بياض مقدار كلمة.

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (د). ساقط من (ب).

الله، وكان لا يتم الكلمة المشرفة وهي لا إله إلا الله، ويقول في ذكره لها "إلا الله"، فنقول في تأويل ذلك والله أعلم أنه قد تحقق [عنده]<sup>1</sup> الإثبات، فلا يحتاج [حينئذ]<sup>2</sup> إلى نفي، لأنه رسخ، وثبت، وتمكن [في لحمه]<sup>3</sup>، [وفي عظمه]<sup>4</sup> الاسم المعبود بحق، وهو الله تبارك وتعالى، فلأجل ذلك ينطق بإثبات الألوهية للفرز الواحد جلّ وعزّ، الذي لا يستحق أن يعبد إلا هو المستغني عن كل ما سواه وهو مولانا جلّ وعلا، وتحقق عنده أن كل ما سواه لا يخطر [169ظ] بباله. هذا معنى نطقه بالذكر بما بعد إلا الاستثنائية. وله دلائل من كلام القوم والله أعلم. وقد يتأول لهم في نطقهم وفي كلامهم وأفعالهم بما يليق بمنصبهم، ومنزلتهم عند مولاهم بأحسن التأويلات، نفعمني الله بقصدي، ومرادي فيهم آمين.

### [مناقب حمودة بن العلاوي]

ومن تلامذة سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله المرابط الخيّر الدّين حمودة بن العلاوي وكان رحمه الله من عباد الله الصالحين ممن حبب الله إليه النحل، كانت له نحل كثيرة في موضع يقال له "تَيْرَعَتْ"<sup>5</sup> من وطن "أولاد علي" من عمالة قلعتنا حماها الله تبارك وتعالى، يقصده الزوار في مجشره<sup>6</sup> فيطعمهم العسل والخبز وغير ذلك من الطيبات ابتغاء مرضات الله وامتنالاً لقول رسول الله ﷺ من لئذ أخاه في الله بما يشتهييه كتب الله له ألف درجة<sup>7</sup> في الجنة، وأطعمه من ثلاث جنات، جنة الفردوس، وجنة عدن، وجنة الخلد. انتهى من سيدي موسى المذكور. وكان حمودة المذكور دائم السكوت إلا عن ذكر الله، وما رآه أنه ضحك لاشتغاله بعبادة مولا، وله كرامات، نفعمني الله به.

<sup>1</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (ب).

<sup>2</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (د).

<sup>3</sup> - ما بين المعوقين إضافة من (د). ساقط من (ب).

<sup>4</sup> - ما بين المعوقين ساقط من (د).

<sup>5</sup> - في (د): "تَيْرَعَتْ"

<sup>6</sup> - يقصد: مدشره.

<sup>7</sup> - في (د): حسنة.

## [مناقب أبي علي سيدي أحمد بن علي البوعمراني]

ومنهم السيد أبو علي سيدي أحمد بن علي البوعمراني، كان من الأفراد، وكان المساكين لايفارقون منزله، فتارة يخرج إليهم بصدقات يفرقها عليهم وربما أطعمهم في داره وأشبعهم لاسيما في سنتي المسغبة الواقعتين بوطننا "هواره" المؤرختين بعام ثمانية و عام تسعة وخمسين وتسعمائة، فجاهد في ذلك جهادا كبيرا في إطعام ذوي الفاقة، والفقراء، والمساكين، مدة الشدة والضرورة في السنتين المحدودتين<sup>1</sup>، إلى أن أبدلهما الله بالخصب والرخاء، فجزاه الله خيرا، وقد خصه الله بإطعام الطعام في كل زمان وفي كل وقت، ويأكل هو الخشين من الطعام، ويطعمهم الطيب من الطعام، كالثرید ونحوه.

وقد حُكِيَ أن نبي الله سليمان عليه السلام أن هذه كانت حاله وحال نبي الله يوسف عليه السلام، وكان سيدي علي بن أحمد بن علي المذكور متواضعا للصغير والكبير ساعيا في قضاء حوائج المسلمين عند القواد<sup>2</sup> والأعراب، وبني راشد وغيرهم من العمال وللغصاب<sup>3</sup> مع كل باد وحاضر لايرد من طلبه في الذهاب معه إلى أي ناحية طلب إليها وعلى كل حال تارة راكبا وتارة على رجليه مع طلاقة الوجه وبشاشته<sup>4</sup> [وحسن<sup>5</sup> الخلق، فيقضي الله بسببه حوائج كثيرة ببركة نيته، وقصده في عباد الله على العموم.

قال سيدي موسى بن عيسى المازوني رحمه الله ولايد من<sup>6</sup> طلاقة الوجه للمسلمين والانبساط [...]<sup>7</sup>المحمود المشروع المثاب عليه. جاء عنه عليه السلام : «المؤمن الذي

<sup>1</sup> - في (د): "المحدودة"، وكلاهما خطأ والصواب: المحددتين. أو المعينتين.

<sup>2</sup> - في(د): "القياد".

<sup>3</sup> - كذا في النسختين (ب) و(د).

<sup>4</sup> - بياض مقدار كلمة في النسختين

<sup>5</sup> - الكلمة بين المعقوفين يقتضيهما السياق وهي الكلمة التي قدرناها في البياض الموجود في النسختين.

<sup>6</sup> - ما بين المعقوفين بياض في أصل النسختين وقدرنا تلك الإضافة وفق ما يقتضيه سياق النص وهو اجتهاد منا .

<sup>7</sup> - ما بين المعقوفين بياض في (ب) و(د). وقد أشار ناسخ المخطوطة (ب) على الهامش أن جميع البياض الذي تراه واردا في هذه النسخة فهو في أصل النسخة.



يداخل [...] <sup>1</sup> خير من المؤمن الذي لا يداخلهم. «انتهى. وأوصاف البوعمراني المذكور قليلة في زماننا نفعني الله به وبأمثاله [آمين] <sup>2</sup>.

### [مناقب سيدي سليمان]

ومنهم السيد الأجل سيدي [سليمان] <sup>3</sup>، [170و] كان من أولياء الله الصالحين وله كرامات وخوارق عادات. وقد أخبرني بمنقبة شيخه سيدي أحمد بن يوسف وقد تقدمت فأغنى عن إعادتها هنا.

وحدثني من أثق به أنه كان يصلي مع المرابط [سليمان بن محمد] <sup>4</sup> المناسبي فإذا سجد المرابط تنفتح له الأرضون السبع. وإذا رفع رأسه تنفتح السموات السبع له ولم يشعر بذلك المرابط سليمان المذكور [...] <sup>5</sup> محمد بن عثمان المذكور فكان يخبره رجل إذا سجد تنفتح له الأرضون السبع، وإذا رفع تنفتح له السموات السبع فيقول له المرابط سليمان عليّ أزوره وأتبرك به فيقول له سنريكه ويتشوف عليه إلى أن مات المرابط سليمان، وحينئذ أخبر بذلك سيدي محمد المذكور، وسليمان هذا هو من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله قد ظهرت له كرامات وخوارق عادات، وهو من أولياء الله الصالحين، ومن عباده المخلصين انتفع بصحبته <sup>6</sup> وخدمته لشيخه رحمه الله [ونفعني به آمين] <sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - مابين المعقوفين بياض في النسخة (ب) وفيه حذف مقدار كلمة قدرناها حسب مقتضى السياق "الناس".

<sup>2</sup> - مابين المعقوفين إضافة من (د).

<sup>3</sup> - مابين المعقوفين ساقط من (ب) وفيها بياض مقدار ثلاث كلمات. ويظهر ذلك في تقديم اسم الولي سيدي سليمان تقديمًا مبتورا من أي لقب أو نسبة.

<sup>4</sup> - مابين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>5</sup> - بياض في أصل النسخة بمقدار ثلاث كلمات أو أكثر وقد تسبب في تشوه نسق الكلام وعدم التمكن من ربط المعنى السابق باللاحق.

<sup>6</sup> - في (د): "بمحبته لشيخه سيدي أحمد وخدمته رحمه الله".

<sup>7</sup> - مابين المعقوفين ساقط من (د).

**[مناقب محمد المكنى أبوراس التلوانتي]**

ومنهم السيد التقي الزكي سيدي محمد المكنى أبوراس التلوانتي .كان رحمه الله من الأولياء الأتقياء ممن ظهرت له مناقب، وقد خصه الله بإجابة الدعوة رحمه الله [ونفعني]<sup>1</sup>.

**[مناقب الناصر الطهري]<sup>2</sup>**

ومنهم السيد الولي الصالح سيدي الناصر الطهري كان من كبار الأولياء له كرامات ومناقب إلا أنني لم أقف عليها. رحمه الله [ونفعني به. آمين]<sup>3</sup>.

**[مناقب عمر الثوري]**

ومنهم الولي الوفي سيدي عمر الثوري له مقام عظيم في الولاية وتشهد له الثقات ممن عاصره وتحققت ولايته عندهم، كم له من أنوار ربانية وأسرار الهيئة. نفعني الله به.

**[مناقب أبي العباس أحمد البطحي]**

ومنهم السيد الفقيه العالم الزاهد سيدي أبو العباس أحمد البطحي وهو الذي قال في الشيخ سيدي أحمد بن يوسف قصيدة نحو المائة ونيف بيتا مما تقدم في أول الكتاب يمدح الشيخ بها نفعه الله بنيته وقصده.

**[مناقب عمر بن عبد الجبار الصبيحي]**

ومنهم الفقيه الخَيْرُ الدَّيْنُ سيدي عمر بن عبد الجبار الصبيحي النسب المكناسي الدار وكان من البكائين لا يحدثك بحديث إلا وبكى وهو من المحبين للشيخ سيدي أحمد ابن يوسف نفعه الله بمحبته في شيخه وقد زرته بعد أن كان أعمى في مجسر "بني متاسن" أحد مجاشر "هواره" كلاها الله، وأخبرني بمنقبة شاهدها من شيخه وقد ذكرناها قبل هذا ودعا لي بخير، وحرصني على محبة الشيخ، وقال لي سمعت سيدي أبا عبد الله بن واضح يقول:

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د). وينبغي إضافة كلمة "به" ليتم المعنى.

<sup>2</sup> - في (د): "السمراري".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

لأصحاب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف كيف هو الكبريت الأحمر يعني بذلك سيدي أحمد ابن يوسف فقال له صاحب الشيخ سيدي أحمد يا أبا عبد الله هذا الشيخ غريب يا ولدي وصار يكرر قوله غريب مرارا. قال لي الصبيحي المذكور وفي كلام سيدي أبي عبد الله خفة انتهى. قلت ومعنى قول سيدي أبي عبد الله غريب : قليل الوجود [170ظ] في زمانه لأن الله خصه بما لم يخص به أهل زمانه من الأسرار الملكوتية والمواهب الربانية ﴿ وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (4) <sup>1</sup>.

ويقرب منه ما حكاه الشطنوفي ونصه: والغريب من انقطعت النسبة بينه وبين الخلق إلا من مولاه فمن قابله بغير نفسه احترق. وحقيقة الغربة سقوط الأمر [ومحو الرسم]<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ <sup>3</sup>. وعلامته: لا يدعو إلا سمع الأمر في الوقت المخصوص، لأنه كشف الأسباب، وارتفع عنه الحجاب، فيطلع الله سبحانه على بواطن الأمور كشفا وفراسة، يدركها تفصيلا على أصل الوضع، وحقيقة الرسم، فيخاطب الأرواح من حيث وضعها، ويخاطب الأجسام من حيث تركيبها، ويشير إلى العلم برموز الإشارة، فيفهم كشف العبارة. انتهى منه رحمه الله.

### [مناقب أبي العباس أحمد بن مفلح الزردالي]

ومن تلامذة سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله السيد الولي الصالح أبو العباس أحمد بن مفلح الزردالي كان من أهل الخطوة وممن تطوى له الأرض، شهد له بذلك الجم الغفير

<sup>1</sup> - سورة الحديد الآية رقم 29: وتكملتها ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله ۗ وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ۗ والله ذو الفضل العظيم ﴾ (29).

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>3</sup> - سورة النساء. الآية: 100. وتكملتها: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

من الأولياء ممن شاهده على تلك الحال. وله مواهب وكرامات وخوارق عادات نفعني الله به أمين.

### [مناقب أبي العباس أحمد بن رحو الزردالي]

ومنهم السيد الأجل العارف بالله أبو العباس سيدي أحمد بن رحو الزردالي، كان قد خصه الله بأسرار ومعرفة الأولياء الأخفياء ممن كان معاصراً له، وكذلك الفراسة وقد تقدمت حقيقتها فأغنى عن إعادتها، ولقد أخبرني أبوسحابة بن عيشوش الزردالي أنه قال انتفعت من خدمتي لسيدي أحمد المذكور وعرفني بولي خراز في غرب "الزردالة" من وطن "هواره" وذهبت إليه مع سيدي أحمد المذكور وطلبت له أن يدعو لي فدعا لي بخير. وقال أبوسحابة المذكور قال لي سيدي أحمد انظر إلى عمر الخراز كيف يرمق الكعبة الشريفة ببصره فتحققت ذلك وانتفعت منهما جميعاً ثم كمل الله عليّ بمحبتتي للشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله فانتفعت منه وأوصلني إلى مقام الرجال، وهذا لفظ أبوسحابة وهو من تلامذة الشيخ المذكور.

### [مناقب علي الشريف الحسني الراشدي]

ومنهم السيد الولي سيدي علي الشريف الحسني الراشدي. كان من تلامذة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف نفعنا الله بهما. وقد أخبرني من أثق بقوله أن الشريف المذكور ظهرت له كرامات ومن بعضها أن أمير تلمسان في حينه عزم على أن يقتل سيدي محمد عرف بابن مرزوقة ولد الشيخ المذكور فاهتم بعض خدام الشيخ من ذلك فقال له الشريف المذكور لاتخف فرسان الخيل عنده فليل له ومن هم؟ قال أنا واحد منهم فكان الأمر كما ذكر الشريف المذكور. ومناقب الشريف كثيرة نفعني الله به وبأمثاله أمين. [171] ومن كرامات الشيخ الشريف المذكور ما أخبرني من أثق به أنه قيل له لم تركت السبحة؟ قال أنا كنت بالمرص والآن مطلق أذكر الله بالفكرة. انتهى كلام الشريف المذكور.

**قلت:** ويشهد لصحة قوله ما قاله ابن عطية ونصه: قال: وحدثني أبي رضي الله عنه عن بعض علماء المشرق، وقال: كنت بائناً في مسجد الأقدام بمصر فصلينا العتمة فرأيت رجلاً قد اضطجع في كساء مسجنا بكسائه حتى أصبح، وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا. فلما أقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة فصلى مع الناس، فاستعظمت جراته في الصلاة بغير وضوء، فلما فرغت الصلاة خرج، فتبعته لأعظه، فلما دنوت منه سمعته ينشد [المنسرح]

مُنْسَحِقُ الْجِسْمِ غَائِبٌ حَاضِرٌ      مُنْتَبِهٌ الْقَلْبِ صَامِتٌ ذَاكِرٌ  
مُنْبَسِطٌ فِي الْغُيُوبِ مُنْقَبِضٌ      كَذَلِكَ مَنْ كَانَ عَارِفًا فَاكِرًا<sup>2</sup>  
يَبِيتُ فِي لَيْلِهِ أَحَا فِكْرٍ      فَهَوَ مَدَى اللَّيْلِ نَائِمٌ سَاهِرٌ

فعلت أنه ممن يعبد الله بالفكرة. انتهى من ابن الفاكهاني في شرحه لكلام الشيخ. والفكرة في أمر الله مفتاح العبادة.

**قلت:** وأهل الفكرة قوم خصهم الله بها، قال الحسن بن أبي الحسن: الفكرة مرآة المؤمن ينظر بها إلى حسناته وسيئاته. وقال ابن عباس وأبو الدرداء: فكرة ساعة خير من قيام ليلة. وقال سري السقطي: فكرة ساعة خير من عبادة سنة ما هو إلا أن تحل أطاب خيمتك فتجعلها في الآخرة. انتهى من الشرح المذكور.

**[مناقب موسى بن علي الكثيري]:** ومنهم السيد الولي التقي سيدي موسى بن علي الكثيري كان من الأولياء الأخيار ممن صاحب الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله في

<sup>1</sup>- في كتاب "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي" جاء ترتيب كلمات الشطر الأول من البيت كالتالي:

مُنْقَبِضٌ فِي الْغُيُوبِ مُنْبَسِطٌ      كَذَلِكَ مَنْ كَانَ عَارِفًا ذَاكِرًا

ابن عطية الأندلسي (ت 546هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1، ج1. دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. 1422هـ/2001م. ص555.

<sup>2</sup>- ورد في النسختين (ب) و(د): "بالرفع". وقد أورده ابن عطية الأندلسي "بالنصب" وهو الأصح. ينظر هذا المرجع ص555.

ابتداء أمره وعرفه قبل أن يعرفه الناس وانتفع بصحبته وخدمته ومحبته لشيخه سيدي أحمد بن يوسف نفني الله بهما.

وَحُكِّيَ أَنَّ سَيِّدِي مُوسَى الْمَذْكُورَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: ابْقَا<sup>1</sup> بِالسَّلَامَةِ يَا دُنْيَا، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ، ثُمَّ خَرَجَتْ رُوحُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَمِثْلُهُ حَكَى الشُّطْنُوفِيُّ عَنِ سَيِّدِي خَلِيفَةِ بْنِ مُوسَى النَّهْرْمَالِكِيِّ نَفَعْنَا اللَّهُ بِهِ وَنَصَهُ: وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ<sup>2</sup> تَشَهَّدَ وَتَهَلَّلَ وَجَهَرَ بِالسَّرِّ وَالِاسْتَبْشَارِ وَقَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَبْشُرُونِي بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَصَلَوَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَعْجِلُونِي لِلْقُدُومِ عَلَى الْكَرِيمِ ثُمَّ ضَحَكَ وَقَالَ إِذَا تَجَلَّى الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ قَبْضِ رُوحِهِ قَالَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾<sup>3</sup>. فَلَمْ يَتِمَّ تِلَاوَةُ الْآيَةِ حَتَّىٰ فَاضَتْ نَفْسُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَلَمَّا وَضَعَ عَلَى السَّرِيرِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ سَمِعَ النَّاسَ نِدَاءً عَالِيًا مِنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ وَلَا يُرَى [171ظ] الْمُنَادِي مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ الصَّلَاةَ عَلَى الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا. انْتَهَى مِنْهُ بَلْفُظُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم قال: وكان الشيخ خليفة كثير الرؤيا لرسول الله ﷺ يقظة<sup>4</sup> ومناما<sup>5</sup>، وكان يقال أكثر أفعال الشيخ خليفة متلقات<sup>6</sup> من النبي ﷺ بأمر منه إما في اليقظة أو في المنام. وقال له مرة يا خليفة ألا أعلمك استغفارا تدعو به؟. فقال بلى يارسول الله، فقال له قل اللهم إن حسناتي من عطائك وسيئاتي من قضائك فجد بما أنعمت عليّ فيما قضيت وامح ذلك بذلك، اللهم إنك لن تطاع إلا بإذنك أو تعصى إلا بعلمك. اللهم ما عصيتك حين عصيتك استخفافا بحقك، ولا استهزاء بعذابك، لكن بسابقة سبق بها علمك، والتوبة إليك والمعذرة [إليك]<sup>7</sup>، انتهى.

<sup>1</sup> - كذا في النسختين (ب) و (د) بالألف الممدودة. والأصح: "ابْقِي بالسَّلَامَةِ يَا دُنْيَا".

<sup>2</sup> - وردت في النسختين (ب) و (د) بالتاء المفتوحة: "الوفات". وهو خطأ

<sup>3</sup> - سورة الفجر، الأيتان: 27 - 28.

<sup>4</sup> - وردت غير مشالة في النسختين (ب) و (د).

<sup>5</sup> - في (د): "توما".

<sup>6</sup> - كذا في النسختين: ربما يقصد: متلقاة أي تلقاها من النبي.

<sup>7</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

ثم قال: كان شيخه "أبو سعيد القيلوبي" يثني عليه كثيراً وقال في حقه الشيخ خليفة شيخ مكمّل، وقال مرة: الشيخ خليفة من خلفاء الله على أسرار الولاية. ثم قال وَحُكِيَ عن بعض الصالحين من أهل بغداد قال: انتبعت ليلة وقت السحر وبايعت الله تعالى أن أجلس في جامع الرصافة متوكلاً من حيث لم يشعر بي أحد من الخلق وأتيت في وقتي الجامع وجلست فيه يوم الإثنين والثلاثاء ويوم الأربعاء فما رأيت فيها أحداً ولا أكلت طعاماً، واشتد جوعي وخفت من السقوط وكرهت الخروج من تلقاء نفسي واشتهيت شواء سخناً<sup>1</sup> وخبزاً صافياً وتمراً برياً فأنا في ذلك وإذا بحائط المحراب قد انشق وخرج لي منه رجل كهيفة أهل السواد وبيده مئزر فوضعه بين يدي وقال لي: قال لك الشيخ خليفة كل شهوتك واخرج من هنا فما<sup>2</sup> أنت من أرياب مقام التوكل.

ثم غاب الرجل عني ففتحت المئزر فإذا فيه شواء سخن وخبز صاف وتمر بري وخرجت وأتيت الشيخ خليفة بنهر الملك، فلما رأني قال لي يا هذا لا ينبغي للرجل أن يجلس متوكلاً حتى يُحَكِّمَ إمامته في قطع العلائق باطناً وظاهراً وإلا كان عاصياً في ترك الآداب. انتهى منه رحمه الله ونفعني به وبجميع أولياء الله الأحياء والأموات آمين يارب العالمين.

ونختم كتابنا هذا بأبيات قلتها في صفة قبوري الشيخين الكريمين، السيدين الفاضلين، الصالحين، الوزيرين، الخليفين، المختارين على جميع أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ وهما العمران: سيدنا ومولانا أبوبكر، وسيدنا [ومولانا]<sup>3</sup> عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ونفعني بحبي فيهما وفي جميع أصحاب المصطفى ﷺ وفي كيفية الوضع لهما في القبرين<sup>4</sup> مع صاحبهما ومن حث على محبتهما ومحبة سائر المهاجرين والأنصار، وأنه لا يجبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، وهو سيدنا ومولانا وحبیبنا وعنايتنا وملجأنا وركننا ووسيلتنا

<sup>1</sup> - في (د): "سخونا".

<sup>2</sup> - في (د): "ليس".

<sup>3</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>4</sup> - في (د): "في القبر".

سيدنا ومولانا محمد ﷺ على ما ذكره عروة بن الزبير منثوراً في صفة القبور الثلاثة في القبة المشرفة المطهرة [المرفعة]<sup>1</sup> على ساكنها [الصلاة]<sup>2</sup> والسلام وأن وجه سيدنا أبي بكر عند ظهر النبي ﷺ ورأس سيدنا عمر عند رجلي سيدنا أبي بكر، وهذه صفة القبة والقبور الثلاثة جعلني الله من المحبين فيهم ببركتهم حيا وميتا وبعثا ، أي على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث آمين<sup>3</sup> [يارب العالمين]<sup>4</sup> على ما وصفها ابن سبع وأما غيره فوصفها بأحسن من هذا رحمهم الله ونفعهم بقصدهم وحبهم في سيدهم وسيدنا ومولاهم ومولانا محمد ﷺ، ونصه، وصفة قبر النبي ﷺ ووزيره أبي بكر وعمر رضي الله عنهما<sup>5</sup> [وهي هذه]<sup>6</sup> انتهى<sup>7</sup>.

وها أنا أذكر الأبيات التي قلتها في سيد أهل الأرض والسموات سيدنا محمد ﷺ وعلى أولاده وذرياته وأصحابه الفضلاء السادات، وإن كنت قاصراً في عروض الشعر فلا اعتراض عليّ في خلل يوجد فيها، ورحم الله ابن فرقد<sup>8</sup> القائل: وإن تجد عيباً فسد الخلل [فَجَلَّ من لا عيب فيه وعلا]<sup>9</sup>. ولفظ الأبيات: [طويل]

يَاقَاصِدًا بِاللَّهِ بَلَّغْ تَحِيَّتِي إِلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مُحَمَّدِ الْهَادِي  
فَيَأْتِي قَلْبِي كَانَ أَرْضًا لِقَبْرِهِ أَضْمُ أَعْظَمَهُ يَفُورُ مَسْعَدِي  
فَأَفْتخر على البقاع بأسرها وأنجو من النار العظيمة موقدي

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

<sup>2</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (ب).

<sup>3</sup> - في (ب): تكررت لفظة "أمين" ثلاث مرات.

<sup>4</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).

<sup>5</sup> - في (ب): إضافة على الهامش "ونفعني بهم أمين".

<sup>6</sup> - ما بين المعقوفين إضافة من (د).

<sup>7</sup> - في (ب): يوجد رسم إطار مربع الشكل يحوي في داخله ثلاثة قبور متجاورة مرتبة وفق الترتيب المذكور في المتن: قبر الرسول ﷺ من أعلى، يليه قبر سيدنا أبي بكر، ثم بعده قبر سيدنا عمر الفاروق. وقد ميز الناسخ بين القبور بأن جعل قبر الرسول ﷺ بارزاً بواسطة الحبر الداكن المغلط الخطوط المحيطة به. أما في (د): فيوجد بياض ولا أثر لرسم القبور الثلاثة.

<sup>8</sup> - كذا في (ب). وفي (د): "ابن بزيرة". وبدلها كتب: "إلى آخره".

<sup>9</sup> - ما بين المعقوفين ساقط من (د).



وأبلغ سلامي للضجيعين<sup>1</sup> معه  
 فأعرف حق الموضع في الدجى لهما  
 فرأس عتيق عند ظهر المصطفى<sup>2</sup>  
 وأبلغ سلامي للتاليين لهما  
 وأبلغ سلامي للمكمل بهم  
 وأبلغ سلامي للحفايد والبنين  
 وأبلغ سلامي للحرائر والإماء  
 [عدا واحدة زوجت في حياته  
 وأختم أبياتي بحمد الالهنا<sup>6</sup>  
 فناظمها محمد بن محمد سليل الصباغ علي .

1- في (د): "المضطجعين".

2- في (د): "المختم".

3- في (د): "سفرا" بالسين

4- من الواضح الإشارة إلى عدم وضوح ألفاظ الشطر الثاني من هذا البيت في النسختين (ب) و(د). والمعنى هنا تقريبي فقط من اجتهاد الباحث.

5- هنا تنتهي أبيات النسخة (2625د)، وقد ختمتها ناسخها بالدعاء سأذكره هنا على الهامش على سبيل الإفادة.

قال بعد بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم إني أسألك باحتياط قاف، بهول يوم تخاف، بعلم القلم، بحجاب العرش، باتساع الكرسي، بضوء النهار، بظلام الليل، بجري الماء، بعلوم السماء، بشعاع الشمس، بنور القمر، بخلق الإنس بالطور، بحج الكعبة، بشدة الحديد، ببيت المقدس، بقوة الجبال، بعدد الملائكة، بمدد الرزق، بحمالة العرش، بضياء النجوم، بعلم الأنبياء، بنزول المطر، بعلم الخضر، ببده الأمر، بيوم الحشر، بعجائب الدنيا، بكثرة أسمائك، بخزائن نعمائك، بقابض علمك، بمكتوم سرك، بوفاء عهدك، بقرب الجنة، ببعد النار، بعدل الميزان، بغريق الطوفان، بقوة الرحمان، بكرامة الإيمان، بحدة الصراط، بقرب المشرق، وبعد المغرب، بأهله الشهور، بساعة الدهور، بيوم الجمعة، بحلة آدم وحواء، بصحف شيت، برفعة إدريس، بسفينة نوح، بقميص يوسف، بحزن يعقوب، بنبوءة داود، بصير أيوب، بملك سليمان، بحكمة لقمان، بعلم الصحف، بطول التوراة، بعجائب الإنجيل، بأخبار الزبور، بأية الفرقان، بسعة النار، بتحت التحت، بما فوق الفوق، بواد هارون، بعصا موسى، بإنجيل عيسى، بسيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين بالقرآن العظيم، بالذكر الحكيم، بالفرقان، والقبلة والإسلام، والفرض والسنة، والحج والإحرام، والزمزم والمقام والمشعر الحرام، وبفضيلة الصيام، وبحق نبيك عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. كمل الدعاء المبارك بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ولا حولاً ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل. اه اه اه... انتهى الدعاء. وبانتهائه انتهى المخطوط الحامل رقم (2625 د).

6- كذا في (ب): والأصح "الهنا".

انتهت الأبيات والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، فكتبت الأبيات وبعثتها للسيد الإمام الحافظ اللبيب النجيب الفقيه العالم المرابط المجاهد في سبيل الله ومحب أولياء الله سيدي محمد بن محمد بن عمر التراري نفعني الله به، فتأملها فجاوبني بأبيات أذكرها بعد هذا تبركا بها وهي هذه<sup>1</sup> ... ]

انتهى الكتاب المبارك في مناقب الشيخ الولي الصالح العارف بالله الرباني سيدي أحمد بن يوسف نفعنا الله به ورزقنا رضاه وأفاض علينا من أنواره آمين يارب العالمين على يد العبد الفقير الحقير الذليل المراعي رحمة مولاه الغني الجليل عمر بن أحمد ابن حسين الملياني دارا، ومنشأ، الأشعري مذهباً، المالكي، تغمده الله برحمته، وغفر له، ولوالديه، ولأشياخه، وقرابته، وجميع المسلمين، عشية السبت، التاسع لأيام من الشهر المعظم جمادي الآخر عام...<sup>2</sup>

[ونشرته لشمس الذل حتى يبس، وجعلته في مهراس التقوى، ودقيته بمدقة الهدى دقا نعيماً، وغربلته بغربال الصفا على رقع الوفا، وعجنته بماء الملح في قسعة التوكل، وملحته بملح الصبر، وجعلته في قدرة الرجاء، ووقدت تحته نار الخوف، وحركته بعود التفكير حتى طاب، ونزلته منزلة الحب، وروحت عليه بمروحة الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتعظيم والتقدیس والتتزيه، وغطيته بغطاء الصمت، لئلا تمسه رياح الرياء، فأخذت من ذلك شربة على الريق دبر كل صلاة في كل يوم وليلة، في موضع لا يراني فيه أحد إلا الله ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾<sup>3</sup> ، ولزمت مكان الالتزام، وقمت مع الله أحسن القيام، ولم أنل ذلك إلا بالسهر والصيام.

<sup>1</sup> - يوجد بياض مكان الأبيات. أي لاتوجد الأبيات الشعرية التي وعد بها الناسخ.

<sup>2</sup> - ملاحظة انتهى الكتاب المخطوط رقم (1708) عند هذا الحد ولم يكمل الناسخ المعلومات الخاصة بالعام الذي كتبه فيه أو ربما أكملها ولكنها تعرضت للمحو، يدل على ذلك وجود البياض في باقي الصفحة.

<sup>3</sup> - سورة "ق". الآية 18.

فهذه طريقة شفيح الأنام \_ عليه الصلاة والسلام\_، وأولياء الله الكرام. بهذا تنال المقام الأكبر والحظ الأوفر. والسلام.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ نَسْخِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ ضَحْوَةَ الْأَرْبَعَاءِ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُعْظَمِ صَفَرِ عَامِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِئَةٍ وَأَلْفٍ. عَرَفْنَا اللَّهَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ. وَوَقَّانَا شَرَّهُ وَشَرَّ مَا بَعْدَهُ، آمِينَ. عَلَى يَدِ أَصْغَرِ الْعَبِيدِ، وَأَحْقَرِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ الْمَجِيدِ، الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الدَّوَادِيِّ نَسَبًا، الْبَسْنَاسِيَّ مَنَشَأً، الْأَشْعَرِيَّ اعْتِقَادًا. غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَشْيَاخِهِ جَمِيعًا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - ما بين المعقوفين هو الجزء الذي يبين نهاية النسخة رقم [1707] الجزائرية. ومن هنا نكتشف أن نهايات النسخ الأربعة مختلفة اختلافًا بينا. ولاشك أن هذا الاختلاف يعود أساسا إلى النساخ الذين لم يلتزموا بضوابط النسخ وأمانة النقل.

القسم الثالث:

الفهارس

## فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.	2	الفاتحة	699
﴿ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ... ﴾.	31	البقرة	868
﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ ... الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.	60	البقرة	699
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ... مِنْ الْجَاهِلِينَ ﴾.	67	البقرة	732
﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.	105	البقرة	593
﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾.	163	البقرة	428
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ ... يَعْقِلُونَ ﴾.	164	البقرة	432
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ... وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.	255	البقرة	428
﴿ أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾.	2-1	آل عمران	429
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ... إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾.	7	آل عمران	590
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.	31	آل عمران	748
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا ... بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.	37	آل عمران	441
﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.	74	آل عمران	593-479
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ ... وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.	110	آل عمران	823
﴿ فَارْحَبِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.	170	آل عمران	445
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ... إِنَّمَا عَظِيمًا ﴾.	48	النساء	688
﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ ... أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾.	69	النساء	545
﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾.	76	النساء	683
﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ ... الشَّيْطَانِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.	83	النساء	591
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ ... عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.	41	المائدة	479
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ ... لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾.	67	المائدة	865-589
﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً ... فَارْتَدُّوا مَعَهُ ﴾.	83-82	المائدة	624
﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ ... رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾.	38	الأنعام	431

547	الأنعام	52	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ ... مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.
439	الأنعام	90	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدِهْ ... إِلَّا نَذَرُوا لِلْعَالَمِينَ﴾.
529-494 723	الأنعام	91	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا ... خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.
642	الأنعام	94	﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ ... كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.
689	الأنعام	160	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ... يُظْلَمُونَ﴾.
480	الأعراف	12	﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ... مِنْ طِينٍ﴾.
833-820	الأعراف	43	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ ... بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
515	الأعراف	54	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.
610	الأعراف	92	﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا ... كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾.
758	الأعراف	142	﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا ... سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.
736-656	الأعراف	143	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ... أُولُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
829	الأعراف	144	﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ ... وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.
490	الأعراف	171	﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.
611	الأعراف	172	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ... إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.
478	الأعراف	175	﴿وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ ... الْغَاوِينَ﴾.
586	الأعراف	180	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا .. مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
732	التوبة	111	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ... هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.
816	يونس	26	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ... الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.
557	يونس	32	﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ...﴾.
437	يونس	62	﴿إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.
532	هود	29	﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ... أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.
533	هود	30	﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.
533	هود	31	﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ... إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

702	هود	105	﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.
467	هود	120	﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ... وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
683	يوسف	28	﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ﴾.
435	يوسف	37	﴿قَالَ لَا يَا بُنَيَّ أَتَأْتِكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ .... بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.
869	يوسف	43	﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ ...﴾.
592	يوسف	56	﴿كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ... أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.
731-433	يوسف	76	﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ... ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.
617	الرعد	11	﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ... مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.
721	إبراهيم	7	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ...﴾.
432	الحجر	21	﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.
482	الحجر	30	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.
794	الحجر	42	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.
821	الحجر	72	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.
640	النحل	18	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.
803	النحل	50	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.
530	النحل	53	﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ... مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَاغِيهِ تَجَارُونَ﴾.
696	النحل	71	﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾.
797	النحل	99	﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.
748	الإسراء	1	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ... السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
702	الإسراء	20	﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾.
504	الإسراء	44	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ ... إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.
481	الإسراء	62	﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ... نُرِّيْنَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾.
796-793	الإسراء	64	﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَنْطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ... الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.
797-794	الإسراء	65	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۖ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.
778-776	الإسراء	70	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ... كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

698	الإسراء	72	﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ... وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.
716	الإسراء	86	﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهِبَنَّ بِالَّذِي أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ ...﴾.
593	الكهف	9	﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.
452	الكهف	14	﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ... فَلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾.
691-548	الكهف	28	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ ... أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.
435.432 864.583	الكهف	65	﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً ... وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.
435	الكهف	82	﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ... عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.
770	الكهف	104	﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.
390	مريم	25	﴿وَهَرِي إِلَيْكَ بِحُذُوعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَنِيبًا﴾.
588	مريم	52	﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.
619	مريم	85	﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾.
501	طه	14	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.
497	طه	17	﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾.
736	طه	41	﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.
713	طه	55	﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.
865	طه	114	﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.
618	الأنبياء	23	﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.
831	الأنبياء	69	﴿فَلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.
514	الحج	41	﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ... الْأُمُورِ﴾.
698	الحج	46	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ ... الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.
702	المؤمنون	1	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.
477	المؤمنون	60	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.
445	المؤمنون	111	﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.



701	النور	21	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ ... سَمِيعٍ عَلَيْهِ ﴾.
841	النور	35	﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.
696	النور	37	﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ... الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ﴾.
738	الفرقان	76	﴿ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾.
451	الشعراء	62	﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾.
423	الشعراء	277	﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ... ﴾.
593	النمل	38	﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾.
686	النمل	59	﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ ... أَمَا يُشْرِكُونَ ﴾.
451	النمل	62	﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾.
787	النمل	20	﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ ... كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾.
695	لقمان	27	﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ... عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.
623	لقمان	28	﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.
754-740	السجدة	17	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.
421	الأحزاب	21	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ... الْأَخْرَجَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴾.
728	الأحزاب	41	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾.
823-497	الأحزاب	43	﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ... بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾.
483	فاطر	1	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.
797-794	فاطر	6	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ... مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾.
815	فاطر	34	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ... رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.
718	الصفات	24	﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾.
688	الصفات	96	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.
726	الصفات	102	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا ... اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾.
481	ص	76	﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾.
679	الزمر	18	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ... أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾.
737	فصلت	35	﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾.

739-687	الشورى	11	﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ ... السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.
424	الزخرف	13	﴿ تَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ... لَهُ مُفْرِنِينَ ﴾.
691	الزخرف	36	﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾.
544	الزخرف	67	﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾.
545	الجاتية	32	﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ ... بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾.
636	الأحقاف	29	﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ ... إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾.
706	الفتح	26	﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.
869	الفتح	27	﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا ... ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.
744-492	الحجرات	8-7	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ ... عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.
792-713	الذاريات	22	﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾.
859	الطور	21	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ... كُلُّ امْرَأٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ﴾.
825-738	النجم	18-7	﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾.
724-703	النجم	42	﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾.
707	القمر	8	﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ ﴾.
-444	القمر	55	﴿ فِي مَفْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ ﴾.
738-694			
661	الرحمن	20-19	﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾.
713	الواقعة	27	﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾.
713	الواقعة	42-41	﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ... ﴾.
534	الحشر	9	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ... فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.
689	الحشر	21	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ ... لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.
491	الجن	27-26	﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ ... خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾.
702	الجن	28	﴿ لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ ... كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾.
873	المزمل	8	﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾.
716	المطففين	6	﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

717	البلد	12	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ﴾.
717	البلد	13	﴿فَكُ رَقِيبَةٌ﴾.
737	الضحى	5	﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.
730-706	الإخلاص	4-3	﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

## فهرس الأحاديث الواردة في الكتاب

الصفحة	نص الحديث
384	«لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَلَيَّ يَدَكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ...»
397	«يَا عُمَرُ وَيَا عَلِيُّ إِذَا أَنْتَمَا أَلْفَيْتُمَاهُ فَاطْلُبَاهُ يَسْتَعْفِرُ...»
403	«اللهم بارك فيها وفي نسلها...»
421	«روي عنه _ ﷺ _ أَنَّ كَعْبَ بْنَ زَهِيرٍ أَنْشَدَ قَصِيدَتَهُ «بِأَنْتَ سَعَادُ...»
421	«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُؤَيِّدُ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ بِرُوحِ الْقُدْسِ بِمَا يَنْفَعُ...»
422	«خَلَّ يَاعْمَرُ عَنْهُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ.»
422	«قَلَّ شَعْرًا تَغْضِبُهُ الْآنَ...»
428	«اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿وَاللَّهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ...»
429	«اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُورٍ...»
434	«مَنْ عَمِلَ بِمَا لَمْ يَعْلَمْ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.»
434	«الْعِلْمُ عِلْمَانُ: ظَاهِرٌ وَهُوَ حِجَّةُ اللَّهِ...»
436	«مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمَحَارِبَةِ.»
437	«لِيَجِدَنَّ ابْنَ مَرْيَمَ حَوَارِيَّيْنِ مِنْ حَوَارِيِّهِ.»
439	«يَكُونُ فِي الطَّائِفَةِ مِنْ أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مِئَةَ صَالِحٍ...»
440	«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَطْلُعَ...»
440	«يَلْتَقِي الْخَضِرُ وَالْيَاسُ فِي كُلِّ عَامٍ بِالْمَوْسِمِ، فَيُحَلِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ...»
466	«مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَشَرَ مَعَهُمْ.»
473	«اللَّهُمَّ جَعَلْتَ لِكُلِّ رَسُولٍ عِلْمًا...»
477	«أَيَخَافُ الرَّجُلُ يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرِبُ الْخَمْرَ؟...»
482	«إِنَّ الْمَلَائِكَةَ خُلِفُوا مِنْ نُورٍ عَظِيمٍ.»
482	«إِنَّ سَكَانَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَلَائِكَةٌ ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى...»
483	«أَنَا أَوَّلُ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى...»
486	«بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ.»

486	«إن لم تسعوا الناس بأموالكم فاسعوهم ...
486	«سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل» .
488	«أفضل المؤمنين إيماننا أحسنهم أخلاقا».
490	«اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ».
490	« مازال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فَإِذَا أَحَبَّهُ ...
491	«في بعض صفات الصالحين علماء حلماء ...
823-491	«علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل إلا أنهم لا يوحى ...
494	«إن الله يخلق ملكا على صورة الآدمي ...
496	«لما كانت الليلة التي أسري بي ...
497	«إنه لو ضرب بسيفه في الكفار ...
497	«يأتي على الناس زمان يحج ...
510	«من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب».
510	«من احتمى بي حميته، ومن توكل عليّ ...
512	«لتأمرون بالمعروف ولتتهون عن المنكر ...
513	«إن الله أوحى لجبريل أن اقلب مدينة ...
513	«إن الله أهلك قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم ...
513	«إن الله أوحى ليشع أني مهلك من قومك ...
513	«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا ...
523	«أن رجلا من حمية يتقطع من الجذام ...
527	«ثبت أن النبي ﷺ استمع لجاريتين من الأنصار ...
528	«لا إله إلا الله، وسبحان الله والحمد لله».
528	« كلا المجلسين على الخير».
529	«لا تقوم الساعة حتى لا يقال ...
529	«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ...
530	«ارجعوا على أنفسكم، أي: ارفقوا فإنكم لا تدعون أصمّ ...

533	«أنته الدنيا بحذافرها فأعرض عنها ولم يلتفت إليها».
535	«لقد عجب الله من فعلكما البارحة».
535	«إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صيام ...
535	«الإيثار على النفس إكرام خلق الله».
536	«ما حملهن على هذا البر ...
536	«أكلك مع أهلك صدقة».
538	«إذا أراد الله بعبد سوءا جعل له في طبيخين ...
538	«من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة».
539	«يا رب لا أسألك فاطمة ابنتي، ولا عائشة زوجتي...»
540	«من أطعم أخاه المؤمن حتى يشبعه ...
541	«أنه كان يمازح أصحابه ويخالطهم ...
541	«الفقراء ضحكهم عبادة، ومزاحهم تسبيح ...
542	«وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتبازلين فيّ، والمتزاورين فيّ».
542	«من نظر إلى أخيه نظر ود غفر الله له».
542	«من مشى إلى فقير يزوره عشرين خطوة كتب الله له ...
543	«إن في الجنة لعمودا من ياقوتة خضراء...»
543	«إن أحب عبادي إليّ المتبازلون فيّ، الذين يعمرن مساجدي ...
544	«المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء ...
544	«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ولا يلقي لها بالا ...
545	«أكثرنا من صحبة الصالحين فإن فيهم الشفاعة والشفعاء».
545	«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَوَاحُيِهِمْ ...
547	«اللهم أحبيني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرنى مع المساكين».
548	«أكثرنا من معرفة الفقراء واتخذوا منهم الأيادي فإن لهم دولة ...

549	«يقول الله تعالى للرجل يوم القيامة: «وعزتي وجلالي...»
549	«أكرموا الضعفاء فإنما تتصرون وترزقون بضعفائكم».
549	«إن الله ينصر المسلمين بدعاء المستضعفين».
549	«بفقراء أمتي تنزل الرحمة في الدنيا والآخرة».
549	«إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها، بدعائهم ...»
549	«من أكرم الضعيف أكرمه الله ومن أبغض الضعيف أبغضه الله».
549	«ألا أخبركم من ملوك الدنيا؟ كل أغبر ذو طمرين ...»
549	«إن كنت أغضبت على الضعفاء فقد أغضبت ربك».
549	«لولا الفقراء لهلك الأغنياء».
549	«جالسوا المساكين؛ فإن رحمتي لا تفارقهم».
549	«ما أهلك الله قوما وإن عملوا ما عملوا حتى أهانوا بفقرائهم».
550	«من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة».
552	«ما فاقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام وإنما فاقكم بشيء...»
554	«أي جلسائنا خير؟»، قال: «من ذكركم بالله رؤيته ...»
554	«افتترقت أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها في ...»
557	«أحتاج لجذوع للمسجد ...»
589	«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا».
590	«علمني ربي ثلاثة علوم: علم أمرني بإفشائه ...»
591	«أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه ...»
594	«كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في...»
599	«المسخ رفع عن هذه الأمة المحمدية».
599	«يخرج في آخر الزمان ريح حمراء ...»

600	«أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن ...
610	«إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة» ...
624	«لأن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً ...
636	«إن الله أمرني أن أقرأ ...
636	«لا تستجروا بالروث ...
637	«ماء زمزم لما شرب له».
679	«ذلك عبد الله بن عمرو بن حزام
680	«لم يتكلم في المهد إلا سبعة ...
683	«إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان».
687	«إذا ثبت الود سقط التكليف ...
688	«أقسم الجليل ﷺ: "ما خلقت أفضل من المعرفة ...
690	«الحب في الله والبغض في الله».
696	«إن من أمتي لمحدثين ومكلمين».
696	«إن لله رجالا لا ينظرون إلا الله ولا يأخذون ...
696	«السلام عليكم يا جلساء الله ...
697	«إن لله رجالا أجسادهم مع ...
497	«لا تزال طائفة من أمتي ...
702	«عليكم بذكر الله».
707	«إن من العباد لعبادا يغطهم ...
708	«الذاكرون الله تعالى كثيرا ...
708	«ألا أنبؤكم بخير أعمالكم وأزكاها ...
708	« إن الملك يستأذن الذاكر في قبض روحه».



708	«كل عمل في الجنة مقطوع إلا الذكر...»
716	«أن موسى ﷺ قص في بني إسرائيل ...»
716	«أن رسول الله ﷺ لما سمع الشاعر يقول: لَقَدْ لَدَعْتُ حَيَّةَ الْهُوَى كَبِدِي...»
724	«أرأيتم هذه طارحة ولدها في النار ...»
725	«أتعجبون لرحمة أم الأفراخ بأفراخها؟ ...»
727	«الله مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة ...»
727	«عليكم بسنتي وسنة ...»
727	«خير الطريق ما أنا عليه وأصحابي.»
727	«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.»
728	«أكثروا من ذكر الله حتى يقول المنافقون ...»
728	«إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ...»
728	«ما من قوم يذكرون الله تعالى لا يريدون ...»
728	« هذا جمران سيروا سبق المفردون...»
735	«لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ...»
735	«كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويذا ومؤيدا.»
743	«أن الله شرف الكعبة وعظمتها ...»
743	« المؤمنون كلهم أولياء الله .»
743	«ما أعظم حرمتك والمؤمن أعظم منك ...»
751	«رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ تَنَبُّوْا عَنْهُ ...»
751	« إن لأهل الجنة ملوكا وسادات ...»
758	«من أخلص لله العبادة أربعين صباحا ...»
767	«والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم من أمتي ...»
775	«كلا المجلسين على الخير.»

775	«إن للمساجد أوتادا جلاسهم الملائكة إن غابوا ...
793	« ما جرت فجا إلا وجاز الشيطان ...
794	«من قال لا إله إلا الله وحده ...
799	«ما أوتي عبد في الدنيا خير من أن يؤذن له ...
799	«وجعلت قرّة عيني في الصلاة».
799	«اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»!.
800	« الصلاة عماد الدين».
800	«لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه ...
800	«إذا قام العبد للصلاة رفع الله الحجاب ...
801	«أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم ...
801	«الصلاة مرضاة الرب ...
801	«من داوم على الصلاة في وقتها ...
800	«إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة ...
805	«إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليسكن أطرافه ...
805	«سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان ...
805	«الالتفات في الصلاة اختلاس يختلسه ...
805	«الصلاة مثني مثني، تشهد في كل ركعتين ...
806	«من لم تنته صلته عن الفحشاء والمنكر ...
809	«يأتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم ...
809	«عليكم بالجماعة فإن يد الله عليها، والشيطان ...
810	«مثل الجليس السوء كمثل نافخ كير...
812	«اللهم اجعل في قلبي نورا ...
812	«أفضل ما قلت أنا والنبيون ...

812	«يا رب علمني بما أذكرك به ...»
813	«يؤتى برجل إلى الميزان، ويؤتى بتسعة ...»
813	«التسييح نصف الإيمان...»
813	«ما قال أحد لا إله إلا الله مخلصا ...»
813	«يا عم، قل "لا إله إلا الله" ...»
813	«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا ...»
814	«أتاني آت من ربي أخبرني أنه من مات ...»
814	«من دخل القبر بلا إله إلا الله ...»
814	«من مات وهو يعلم أن ...»
814	«أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ...»
814	«لن يوافي عبد يوم القيامة يقول ...»
814	«لقد موتاكم لا إله إلا الله ...»
814	«من قال لا إله إلا الله نفعته يوما ...»
815	«لو جاء قائل "لا إله إلا الله" صادقا ...»
815	«ليس على أهل لا إله إلا الله ...»
815	«يا أبا هريرة، إن كل حسنة ...»
816	«من قال: "لا إله إلا الله" مخلصا دخل الجنة.»
816	«لقد خلن الجنة كلكم إلا من أباي وشرد عن الله ...»
816	«إن لله تبارك وتعالى عمودا من نور...»
816	«أوصيك بتقوى الله العظيم، وإذا عملت ...»
817	«من قال لا إله إلا الله ثلاث ...»
823	قال ﷺ في بعض صفات الصالحين: «علماء حلماء كادوا من ...»
823	«علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل إلا ...»

823	«الجنة محرمة على جميع الأمم حتى ...
824	«أُمَّتِي أمة مَرْحُومَةٌ لَا عَذَابَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ ...
826	«جاوزت سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة ...
829	«في الليلة التي أسري بي ...
856	«ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا...
864	«علمني ربي ثلاثة علوم: علم أمرني بإفشائه ...
864	«علمني ربي ليلة الإسراء علوما أمرني ...
869	«إذا لعب الشيطان بأحدكم فلا يحدث الناس».
869	«فما رأى الذي بات على غير طهارة فهو حلم».
875	«أنتمكم شفعاؤكم فاختاروا ...
876	«رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه ...

## فهرس القوائى

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	البيت	القافية
		-ع-		
571	2	الطويل	لَهُ مُرْهَمٌ يُبْرِى مِنَ النَّفْسِ دَاءَهَا	داءها
746	2	الكامل	أَنْتُمْ لِأَسْقَامِ الدُّنُوبِ شِفَاءُ	شفاء
507	2	الوافر	أَنْهَزُوا بِالْدُّعَاءِ وَتَزِدْرِيهِ * تَأْمَلُ مَا صَنَعَ فِيكَ الدُّعَاءُ	الدعاء
		-ب-		
746	2	البيسط	حَنَادِسُ نُمْ لَا يَحْوِيهِ فَضْلُ أَبِي	فضل أب
655	4	الطويل	أَسِيرٌ بِهِمْ قَصْدًا إِلَى الْمَنْزِلِ الرَّحْبِ	الرحب
452	7	الطويل	فَلَيْسَ لَهُ أُنْسٌ بِشَيْءٍ سِوَى الرَّبِّ	الرب
750	3	الطويل	فَأَصْبَحَ قَلْبِي نَاطِقًا بِاسْمِ رَبِّي	ريه
742	1	الخفيف	وَشَمْسُ الْقُلُوبِ لَيْسَ تَغِيبُ	تغيب
		-ت-		
455	2	الكامل	كَهْفُ الْبَلَاءِ وَجَامِعُ الْأَفَاتِ	الأفات
786	1	الرملي	صَارَ طَعَامِي الثَّمَرِ وَسَطَ الْقَلَوَاتِ	الفلوات
697	1	الطويل	وَكُلُّ بِأَمْرِ اللَّهِ فَاحْكُمْ بِقُدْرَتِي	بقدرتي
505	1	الوافر	فَمَا بَعْدَ الشُّرُوقِ وَمَا رَوَيْتُ	رويت
		-ث-		
546	4	الوافر	لَهُمْ فِي الْخَيْرِ إِنْ لَاحَ انْبِعَاثُ	انبعاث
		-ح-		
392	4	الطويل	عَلَيْنَا بِنَجْمِ آخِرِ الدَّهْرِ لِأَيْحَا	لائحاً
783	2	الخفيف	أَنَا سَكْرَانَةٌ وَعَقْلِي صَاحِ	صاح

		-د-		
450	2	الوافر	فَلَا أَسْأَلُو إِلَيَّ يَوْمَ النَّوَادِي	التنادي
515	5	الخفيف	وَعَلَى فَضْلِكَ الْعَمِيمِ اعْتِمَادِي	اعتمادِي
784	3	الوافر	وَلَا كَدَّرْتُ بَعْدَ الصَّفْوِ وَرَدًا	ورداً
715	1	الوافر	بِمَا يَبْدُو عَلَى مَرِّ الشُّهُودِ	الشهود
		-ر-		
750	5	البسيط	وَيَصْطَفِي اللَّهُ مَنْ يَرْضَى وَيَخْتَارُ	يختار
629	3	الكامل	أَنَا جَائِعٌ أَنَا ضَائِعٌ أَنَا عَارٍ	عار
751	4	الكامل	قَدْ شَمَّرُوا فَلْيَأْسُهُمْ إِطْمَارُ	إطمار
612	3	البسيط	فَمَهَّدِ الْقَدْرَ لَيْسَ الْعَيْنُ كَالْأَثَرِ	كالأثر
673	6	البسيط	وَالضَّبُّ وَالذَّنْبُ وَالْأَطْيَارُ فِي الشَّجَرِ	الشجر
609	1	البسيط	إِنَّ الْأُصُولَ عَلَيْهَا مَنْبَتُ الشَّجَرِ	الشجر
479	2	البسيط	وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدْرُ	القدر
449	4	البسيط	لَوْ بِالْهَوَى عَطِشْتَ لَمْ تُرَوِّ بِالْمَطَرِ	بالمطر
422	3	البسيط	وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا قَدْ خَانَنِي النَّظْرُ	النظر
505	1	الطويل	أَتَى النَّفْعُ مِنْ حَالٍ أُرِيدُ بِهِ الضَّرُّ	الضر
589	1	البسيط	وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ	البقر
712	3	المتقارب	وَأَيُّنَ الْمُعْظَمُ وَالْمُحْتَقَرُ؟!	المحتقر
712	5	المتقارب	وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبْرُ	الخبر
766	3	الكامل	فِي حُبِّ مَنْ خَلَقَ الْهَوَاءَ وَسَخَّرَهُ	وسخره
866	2	البسيط	فِي الْخَلْقِ سِرًّا خَفِيَّ النَّفْعِ وَالضَّرْرِ	والضرر
771	7	البسيط	فَالْعَقْلُ وَالشَّرْعُ لِالْبَدَالِ فِي الْبَشْرِ	البشر
707	2	الطويل	وَصِرْتُ فِيهَا شَمْساً أَوْ أَزْهراً	أزهرًا
474	1	البسيط	يَخُوضُ أَعْلَاهُ مَا يَخْشَى مِنَ الْهُورِ	الهور
768	5	مخلع البسيط	فِي خَطْبِكَ الْوَأَقِعِ الْكَبِيرِ	الكبير

511	2	الطويل	وَأُظْلِمُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ نَصِيرِي	نصيري
737 - 621	3	-ص- الطويل	فَنَيْبٌ فَلَا رُوحًا أَحْسُ وَلَا شَخْصًا	شخصا
447	1	-ض- الطويل	عَلَيَّ وَلَنْ تَزِدَادَ طُولًا وَلَا عَرْضًا	عرضا
764	4	-ع- الكامل	فَأَشْهَدُ بِهَا حَقَّ الشَّهَادَةِ وَأَقْطَعِ	واقطع
462	2	-ق- الخفيف	وَارْحَمِ الْيَوْمَ هَائِمًا مُشْتَاقًا	مشتاقا
716	2	المنسرح	فَلَا طَبِيبَ لَهَا وَلَا رَاقٍ	راق
548	2	البسيط	فَأِنَّمَا هِيَ أَفْسَامٌ وَأَرْزَاقُ	أرزاق
770	2	الكامل	تَجْلُو مَاتِرَهَا الطَّرِيقُ الْأَوْفَقُ	الأوفق
629	1	-ك- الوافر	وَأَيَّتَمْتُ الْبَنِينَ لِكَيْ أَرَكَ	أراك
786	1	المجثث	فَكَيْفَ لِي مِنْكَ بِقُرْبِكَ	بقربك
678	6	الرمل	لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ خَتَلَكَ	ختلك
700	1	-ل- الطويل	وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ	زائل
752	1	البسيط	لَمْ يَنْصِفْ بِمَعَانِي وَصَفِيهِمْ رَجُلٌ	رجل
575	126	البسيط	فَدَأْفَجَعْتُهُ كِبَارُ الْهَمِّ عَنْ عَجَلٍ	عجل
709	1	الطويل	لَهُ نَاسِجًا غَيْرِي فَكَسَّرْتُ مِعْزَلِي	مغزلي
490	1	البسيط	فَرُبَّمَا جَرَّتِ الْأَقْدَامُ بِالزَّلَلِ	الزلل
703	2	الطويل	وَمَنْظَرُهُ فِي النَّاسِ مَنْظَرُ عَاقِلٍ	عاقل

754	1	الطويل	وَلَا أَنْ إِدْرَاكَ الْمُنَى هَيِّنٌ سَهْلٌ	سهل
421	1	البسيط	مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ	مسلول
764	1	الوافر	إِذَا احْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ	دليل
521	1	الطويل	شِفَاءٌ عَلِيلٍ مَعَ دَوَاءِ عَلِيلٍ	عليل
		-م-		
779	2	الطويل	فَمَنْ عَلَيَّ اللَّهُ بِالْخَلْقِ كُلِّهِمْ	كلهم
534	2	البسيط	تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ	الآدم
822	2	البسيط	وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ	ولا كرم
393	3	الطويل	إِذَا نَالَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَ	تكلم
523	1	البسيط	وَأَطْلَقْتَ أَرِيًّا مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ	اللمم
498	1	البسيط	وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصْحَ فَاتَّهِمِ	فاتهم
		-ن-		
430	3	البسيط	لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَتْنَا	الوتنا
466	4	الطويل	وَأَيْسَرُ مَا فِي الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِي	لساني
770	3	البسيط	فَانظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مَسْكِينٍ	مسكين
754	3	الرملي	طَلَّفُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا	الفتنا
		-ه-		
753	2	الرجز	أَقْدَامُهُمْ فَوْقَ الْجِبَاهِ	الجباه
455	2	الكامل	وَيَبْقَى الدَّهْرُ مَا كَتَبْتَ يَدَاهُ	يداه
655	3	الطويل	عَلَاهَا وَإِنْ ضَاقَ الْخِنَاقُ حَمَاهَا	حماها
422	2	الرجز	الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ	تنزيله
785	2	المجثث	وَبَكَيْتُ مِنْهُ عَلَيْهِ	عليه



644	2	-ي- الطويل	فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يِرَانِيَا	يرانيا
784	3	الطويل	وَحَقَّكَ قَلْبِي لَوْدِكَ ثَانِيَا	ثانيا
632	1	الطويل	وَأَكِنَّ عَيْنَ السُّحْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا	المساويا
585	19	متعددة الروي- البسيط	فهاكها جواهرها لامعة شوامخ	شوامخ
417	112	الرجز	وَلَمْ تَكُنْ شَيْئاً لِذَاكَ أَنْبَانَا	أنبانا
408	114	الطويل	وَلَوْ كُنْتُ مَوْصُوفًا فِي كُلِّهِ بِالرَّدَى	الردى

## فهرس الأعلام المذكورين في المتن

رقم الصفحة	اسم العلم ولقبه
823	آدم عليه السلام
823/541/439	إبراهيم <small>عليه السلام</small>
611/609	إبراهيم الأنصاري
.685	إبراهيم بن سيدنا محمد (ص)
466	إبراهيم التازي
389	إبراهيم الخواص
.842/824/620/609	إبراهيم الأعزب
/635/634/633/632/631/630/629/628/627/626/625/487/389	إبراهيم بن أدهم
	/732 /637
883	إبراهيم بن الزجراري
.770	إبراهيم السروري
584	إبراهيم النخعي
.440	ابن أبي فارس
.765	ابن أبي الدنيا
.398	ابن أبي أؤيس
.680	ابن أبي يزيد
.857/827	ابن إسحاق
.395	ابن أقدار
.523	ابن الأقطع المجذوم
.637/574	ابن الجلاب
.806/419	ابن الخطيب
.395	ابن الزروق
.810/807	ابن الزبير
/716/668/644/633/600/592/589/588/585/584/583	ابن العربي
	./870/868 /821/801/794/728/727
.890/817/774	ابن الفاكهاني

.398	ابن القاسم
.719/658/657/652	ابن الهيثمي
.727/429	ابو أمامة
.630	ابن بشار
.531	ابن حبيب
.765	ابن رزق الأندلسي
.422/421	ابن رواحة
.775/555	ابن سبع
.523	ابن سبع
.564	ابن سبيان
.493	ابن شعاعة
.602/600	ابن عاصم
.890/808/805/682/675/670/603/587/440/431	ابن عباس
.422	ابن عبد البر
583/568/558/500/490/447/441/420/	ابن عطاء الله
./853/779/776/772/765/744/742/740/594/587/585/584/	
.661/476	ابن فورك
.869/774/743/555	ابن عمر
.708	ابن ماجه
.386	ابنُ ماخوخ الدّشري
.810/636/552/544/435	ابن مسعود
.749	ابن معاذ
.724/723/722/721	ابن منصور البلاذوي
.659	ابن نجاح الأديب
.596	ابن هارون
.390	ابنَ هند الزّجراريّ
.676/419	ابن هواري
.765	ابن وهب
.618	ابن يوسف

- أبو إبراهيم بن يغمور .529
- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الأعزب .621/620
- أبو إسحاق الجبنياني .807
- أبو الحسن الحراني .502
- أبو الحسن الشاذلي /575/574/341/388/387/386
- .776/772/752/746/745/743/585/584/583/582
- أبو الحسن خشيش بن اضرم .557
- أبو الحسن سيدي علي بن الزغل المصرتي .874
- أبو الحسن علي بن عومر المكنى أبو مصلاة الراشدي .873
- أبو الحسن علي الخباز .762
- أبو الحسن علي الصباغ .841
- أبو الدرداء .890/685
- أبو الربيع الراوية . .662
- أبو الربيع سليمان بن عبد العزيز .600
- أبو الربيع سيدي سليمان بن أحمد بن سيدي سعيد القلعي .406
- أبو السعود بن الشبلي .776
- أبو الصبر .765/608/607/605/602/546
- أبو العباس الإسفراييني .557
- أبو العباس الخضر .766/656/561/442
- أبو العباس الرفاعي .669
- أبو العباس السبتي .874/863/770/709/500/498
- أبو العباس القسطلاني .812/810/762/759/735/528/527
- أبو العباس المرسي /740/732/668/665/643/585/584/558/491/420/387
- .835/794/790/778/773/766/752/747/746/745/744
- أبو العباس سيدي أحمد بن أبي معزى الراشدي .870
- أبو العباس سيدي أحمد بن سيدي عبد الواحد .395
- أبو العباس سيدي أحمد بن عيسى البسكري .529
- أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن الحاج البيدي .649
- أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن زكري التلمساني .406
- أبو العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي /665/621/585/583/

- أبو العزائم مقدم ابن أبي صالح البطايعي . 842
- أبو الفتح نصر الله بن منصور بن أحمد المكي الفرثي .841
- أبو الفداء .594
- أبو الفرج الجوزي .508
- أبو الفضل الجوهري .817
- أبو الفضل قاسم الرصاع .827/574/539/538
- أبو القاسم البرزلي .704
- أبو القاسم الجنيد .697
- أبو القاسم القشيري .503
- أبو النجاة سالم التباسي .574
- أبو الوفاء .718، 510
- أبو أيوب .671
- أبو بكر الصديق .685/676/672//538/496
- أبو بكر الصقلي .673
- أبو بكر بن عبد الرحمن .530
- أبو بكر بن عبد الله .686
- أبو بكر بن هوارى .835/676/669
- أبو بكر الواسطي 778/590/452
- أبو جعفر الصيدلاني .548
- أبو جعفر بن بركان .546
- أبو جعفر بن محمد بن يوسف .607
- أبو حازم .794
- أبو حامد الغزالي .877/810/767/765/752/743/664/612/585/584/583/565/557/429
- الغزالي .793/751/750/737/728/651/600/574/573/572/555
- أبو حفص عمر المعدني .838
- أبو حفص عمرو بن هارون .669
- أبو حنيفة .686
- أبو داود .869/725/428
- أبو ذر .814
- أبو رحيم الشيخ المديوني .405

.873	أبو زكرياء السيد يحيى بن علي المغراوي
.560/559	أبو زكرياء المغيلي
.842	أبو زيد المصراطي
.468	أبو زيد عبد الرحمن بن سيدي عيسى المقدم المستغانمي
708/535	أبو سعيد الخدري
.796	أبو سعيد الخراز
.794/477	أبو سليمان الداراني
.670	أبو سهل القرشي
.809/798/787/611/584/432	أبو طالب المكي
.535	أبو طلحة
.839	أبو عبد الله البلقي
.818	أبو عبد الله التاودي
558	أبو عبد الله بن سهل
.887/551/506/475/468/398	أبو عبد الله بن واضح
.604	أبو عبد الله بن أمغار
.393	أبو عبد الله سيدي محمد بن غازي الفاسي
392	أبو عبد الله سيدي محمد بن منصور المستغانمي
.873	أبو عبد الله محمد بن علي البطيوي
.583	أبو عبد الله محمد بن علي بن حرزهم
.685/431	أبو عبيدة بن الجراح
.777	أبو عثمان سعيد بن ميمون أسن الرجراجي
.587/432	أبو علي (الأستاذ) =الدقاق
.610	أبو علي المسيلي
.559	أبو علي حسين بن محمد المازوني
.704	أبو عمر بن علي
.614	أبو عمران موسى
.613	أبو عمرو
.493	أبو قلو المصراطي
.511/505	أبو محمد أفنيش الهواري
.839	أبو محمد البصري

.651	أبو محمد البغدادي
.460	أبو محمد السخثياني
.842/835/676/648	أبو محمد الشنكي
.583	أبو محمد صالح
.777/604	أبو محمد عبد الخالق ياسين
.609/441	أبو محمد عبد الرزاق
.819	أبو محمد عبد الله بن سعد الياضي
.442	أبو محمد عبيد البصري
763	أبو محمد عبيد بن عبيد
/703/614/613/612/611/610/609/608/601/595/584/443	أبو مدين
.872 /836/792	
.685	أبو مسلمة الخولاني
.638	أبو موسى
872	أبو موسى بن سليمان
.530	أبو موسى الأشعري
.776	أبو نصر البغدادي
.685/683/678/590/538/537/533	أبو هريرة
.603	أبو ورتلكوط
.529	أبو وزغار
.777	أبو ولجوط
.822/767/748/637/621/620/611/535/501/494/493/470/434	أبو يزيد البسطامي
.819	أبو يزيد القرظي
.863	أبو يزيد عبد الرحمن بن يوسف الحسني
601/600/599/598/597/596/595/594/525/524	أبو يعزى
.765/703/669/666/652/618/609/608/607/606/605/603/602/	
.529	أبو يعقوب التادلي
.574	أبو يعقوب السوسي
.423	أبو اليمان بركات بن ميمون بن كامل العلجي العباسي
.618	أبو ينور
.870/570	أحمد أبو معزة الراشدي

.837	أحمد الخطيب القلعي
.718/448	أحمد الرفاعي
.803	أحمد القلشاني
.858	أحمد المغراوي
.720/718	أحمد بن أبي الحسن الرفاعي
.551/393	أحمد بن الحاج
.860	أحمد بن الحولا
.861/417	أحمد بن العباس البطحي
.571	أحمد بن المبارك
.785	أحمد بن المثني
.686/653/637/594	أحمد بن حنبل
519	أحمد بن خدة الراشدي
.551	أحمد بن عبد الواحد الورعي
.663/529	أحمد بن عيسى البسكري
.453	أحمد بن مالك
.649/404/394	أحمد بن محمد بن الحاج البيدي
.438	أحمد بن محمد بن العابد
.836	أحمد بن محمد عرف بأفجاج القلعي
.857	أحمد بن موسى القلعي
.467	أحمد بن يطو القلعي
	أحمد بن يوسف

/423/417/408/407/405/399/398/397/396/395/394/393/392/391/390/388/386  
/484/475/478/474/473/472/471/470/469/468/467/458/436/435/428/427/425  
/526/523/522/520/519/512/511/506/505/502/500/498/494/493/489/488/486  
/669/667/666/665/664/621/590/587/584/583/582/575/558/557/554/551/550  
/724/722/721/718/717/715/709/707/706/705/704/703/699/696/686/675/674  
/774/773/772/747/746/745/742/741/740/738/735/734/733/731/729/728/727  
/878/877/875/871/870/868/862/860/859/858/857/856/854/853/851/834/775  
.895/891/890/889/888/887/886/884/883/880/879



664/580/520/519/484/470/433/429/428/427/395/385

أحمد زروق (الفاسي)

.773 /735/585/583

.487	الأحنف
506	الادغم
.684/550/388	إسرافيل
.428	أسماء بنت يزيد
.685	الأسود بن يزيد
.661	الأشعري
.593	أصف بن برخيا
.832	إلياس بن مضر
685	أم كلثوم بنت الرسول (ص)
.538	أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق
.391	امرأة قيس
598/493/.401/400	الأمير أبو حمو
.401	الأمير التاشفيني مسعود
.404	الأمير محمد
.845/771/716/421	أنس بن مالك
.621	الأوزاعي
.765/751/666/595/396	أويس القرني
801/685/439	أيوب عليه السلام
618/605/604/603	أيوب السارية

### حرف الباء

.868/857/801/682/535/488/468	البخاري
.674/667	بدوع الكثيري
.704/524	البرزلي
.789/752/653/640/637/476/451	بشر الحافي
.704	بشر بن الحارث بن أسد
657/656/655	بقاء بن بطوس
.685/547	بلال بن حمامة

.478

بُلْعَامَ بن بَاغُورَةَ

.487

بنان الحمال

### حرف التاء

.529/476

التادلي

.813/812/800/708/535/428/421

الترمذي

.845

تميم الداري

.624

التوزري

### حرف الثاء

.460

ثابت البناني

### حرف الجيم

.808/788/780/755/752/737/736/732/717/704/

.869/521

جابر بن عبد الله

.731/424/423

جَاكِيْر

.507/506

الجباري عبد القوي التجاني

513 496/483/478/434/396/388

جبريل

.879/865/830/789/714/684/681/677/584/550/

.681/680

جريج

663

الجزولي الكبير

641/640

الجزيري (الجزيري سيدي أحمد بن عبد الله)

.525

الجماني

697/653/647/590/588/587/585/584/583/501/448/447/433/432

الجنيد بن محمد

.817/533

الجوهري

### حرف الحاء

.806/792/584/494/476

حاتم الأصم

.878

الحاج الأبر حاج الحرمين محمد

.526

الحاج الصقال الزجراري

.704

الحارث بن أسد

.460

حبيب الفارسي

.516/515

الحجاج(بن يوسف)

.629/599/431	حذيفة خادم إبراهيم بن أدهم
.682	حزقييل بن برخائل
.460	حسان بن أبي سنان
704/685/654/586/584/583/556	الحسن بن الحسن البصري
	.790/729/
786/487	حسن شاه الكرمانى
.896	الحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الدَّوَادِيِّ
535	حفصة زوجة النبي (ص)
506	حمر السبب
.884	حمودة بن العلاوي
.720	حياة بن قيس الحراني

### حرف الخاء

796/591/574	الخراز (أبو سعيد)
.431	خزيمة بن ثابت
/441/440/438/436/435/432	الخضر
.865/864/790/776/768/766/749/656/593/592/588/561/ 501/442	
.390	الخطيب الملقب المفتي القلعي
.464	الخير سعيد بن عمر بن عثمان بن مرزوق

### حرف الدال

.871	داود بن يحرث
832/831/829/764/463/463/439	داود عليه السلام
.791/476	الدقاق

### حرف الذال

.715/610/504/462/455/443	ذو النون المصري
--------------------------	-----------------

### حرف الراء

.574	ربيع بن خراش
.807/685	الربيع بن خيثم
.484	رسالن الدمشقي
.720	رغيب الرحبي

الروح  
رقية بنت الرسول(ص)  
الروذباري  
ريان الملك بن الوليد

### حرف الزاي

الزبير بن العوام  
زكرياء  
الزَيْتُونِيَّ  
زينب بنت الرسول(ص)  
زينب زوجة النبي (ص)

### حرف الطاء

الطاهر ولد الرسول(ص)  
الطيب ولد الرسول(ص)

### حرف السين

سنِّي  
السري السفطي  
سعيد أعراب  
سعيد بن المسيب  
السفر بن الأسود الكندي  
سفيان  
سليمان بن المرابط علي بن أحمد الكثيري  
سليمان بن حفصة القلعي  
سليمان بن داود  
سليمان بن يسار  
سليمان عليه السلام  
السمحاقي ( أمير )  
سهل بن عبد الله

## حرف الشين

- /580/576/574/441/388/387/386/ الشاذلي أبو الحسن  
 /790/776/772/752/747/746/743/585/584/583/582  
 .686/659/594/593 الشافعي  
 .786/487 شاه الكرمانى  
 .791/776/737/736/736/716/647/642/587/447/432 الشبلى  
 .656 الشريف بن عمر  
 /463/450/449/448/442/437/426/423/389 الشطونفى  
 /718/704/676/675/668/661/648/647/621/620/607/561/550/510/485/484/464  
 .891/888/855/844/842/841/839/838/837/835/776/774/763/762/739/731/720  
 463 شعيب (عليه السلام)  
 .842/835/763/676/668/653/648/419 الشنبكى  
 .669/594/593 شيبان الراعى

## حرف الصاد

- 535/460 صالح المزنى  
 صالح بن على  
 .509  
 .685 صهيب الرومى

## حرف الطاء

- .583 طاهر بن زيان الوارسى  
 .841 طلحة بن عبد الله الأنصارى  
 .538 طلحة بن عبد الله بن سعيد بن تميم  
 .434 طيفور بن عيسى بن شروان بن حامد أبو يزيد

## حرف العين

- .725 عامر الدوسى  
 .468 عامر بن راشد المصراتى  
 .685 عامر بن عبد القيس  
 .663 عامر بن عبد الله

- عامر بن قيس .765
- عائشة أم المؤمنين .685/542/541/539/538/537/536/535/527/476/435/421
- العباس بن عبد المطالب .685
- عبد الجبار بن أفنيش القلعي .471
- عبد الحق المطهري .582/575
- عبد الحق بن علي .582
- عبد الحميد المغربي .407
- عبد الخالق بن ياسين .604
- عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي .868/824/717/663/636/534/533/513/429/428/403
- عبد الرحمن الإشبيلي .561
- عبد الرحمن الصباغ .407
- عبد الرحمن الغلامي 402
- عبد الرحمن القلعي .386
- عبد الرحمن المراثي .858
- عبد الرحمن بن أبي يلولة القلعي .861
- عبد الرحمن بن عوف .685/403
- عبد الرزاق .765/662/609/441
- عبد السلام بن مشيش .583/388
- عبد القادر بن حماسة المصراتي .875
- عبد القادر بن سيدي أبي صالح الجيلي (الجيلاني) 656/655/654/616/615/614
- /857/855/837/794/776/752/742/706//704/697/670/666/661/660/659/657/  
./871
- عبد الله الأقطع .787
- عبد الله الملقب أخلال القلعي .860/836
- عبد الله الملقب خرخور القلعي .468
- عبدُ الله بن أبي جمرة .868/399
- عبد الله بن أبي سعيد .475
- عبد الله بن دقيش .526
- عبد الله بن عاصم 535
- عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة المخزومي .538

.609	عبد الله بن ماكسين
.636/552	عبد الله بن مسعود
.525	عبد الهادي أبو حلة
.686	عبيد الله بن عبد الله
/696/660/460	عتبة الغلام
.883	عثمان القصير العربي
.571	عثمان بن سليمان القلعي
.793/685/672	عثمان بن عفان
.386	عثمانُ بن عمر
.814	عثمان بن مالك
.620/450	عثمان بن مرورة
.565	عثمان بن يغمراسن
.838/739/653/650	عدي بن مسافر
.471	عزّاج الإسكندري
.607/605/602/600/441	العزفي
.893/808/686/621	عروة بن الزبير
.532	عز الدين بن عبد السلام
.652	عزاز بن مستودع
.684/460/459/388	عزرائيل
.566/565/506	عزوز البطحي
.460	عطاء السلمي
.522	عطية بن خنانس العربي
.671	عفير بن يزيد بن شهاب
.805	عقبة بن عامر
.651	عقيل المنجبي
.473/472	العلاء بن الحضرمي
.875	علي بن عروس المصراتي
526/525	علي الجوثي
.405	علي الندرومي

/556/555/487/473/432/430	علي بن أبي طالب
.807/768/685/672/649/588/586/584/583	علي بن أحمد الكثيري
733	علي بن إدريس اليعقوبي
.855/654	علي بن الصباغ المصري
.668	علي بن العباس التمزغراني
667/665	علي بن الهيتي
.855/774/720/719/718/704/658/657/652/438	علي بن زينب الدرجيني
.470	علي بن سيدي عبد الرحمن الصباغ
.407	علي بن عبد الله الفلالي
.851	علي بن فايد
.704	علي بن محمد بن عشرة
.556	علي بن محمد بن معزى
.407	علي بن مسعود
.486	علي بن وهب السنجاري
.762/739/652/561	عمار بن أبي عبد الله بن واضح
.551	عمارة بن عبد الله بن عيسى القلعي
.522	عمر البزار
.719/704	عمر التتراري
895/386	عمر العنتري
.675	عمر الكيماني
.660	عمر بن الحصين
.788	عمر بن الخطاب
/892/832/880/832/830/685/673/672/533	عمر بن ثابت
473	عمر بن سليمان
.475	عمر بن عتبة
.765	عمر بن يحرث
.872	عمران الواسطي
.456	العمرى
.809	عيسى البسطامي
580	



عيسى بن أبي الفضل الزجراوي  
عيسى (بن مريم)  
765/694/684/680/593/554/498/439/437  
.877  
832/831/829/828/825/823/821/767/

### حرف الغين

الغبريني  
الغرناطي  
الغزال المزغراني  
الغزالي (أبو حامد)  
664/612/585/584/583/565/557/429  
.612/610  
.803/802  
398/397  
877/810/767/765/752/743  
الغوٲ سيدي سعادة  
.601

### حرف الفاء

الفضل بن عباس  
الفضل بن عياض  
الفندلاوي  
.805  
.737/573  
.607

### حرف القاف

قاسم البسكري  
قاسم بن المصراتي  
قاسم بن سعيدة القلعي  
القاسم بن محمد  
القايد أحمد قايد هواره  
القبي بن أفجاج  
القرافي  
القرنبالي  
القشيري  
قيس بن عاصم  
القيلوبي  
385  
.557  
860  
.686  
493  
857/836  
.594/553/479  
.524  
845/765/737/697/661/651/610/574/550/505/503/456/441  
.487  
.892/657/656/650

### حرف الكاف

كعب بن زهير  
كميل  
.420  
.768

## حرف الميم

.464	ماجد الكردي
.845/812/809/771/716/686/664/663/421/398	مالكُ بنُ أنسٍ
.798/714/712/637/568/567/460	مالك بن دينار
680	مبارك اليمامة
621/407/406	المجذوب(موسى المازوني)
.752/543/487	المحاسبي
.851/486/401	محمد المكنى أبو يبريدن
./551/396/395	محمد الزيتوني
854/521/408	محمد العنترى العربي
.521	محمد العنترى الواضحى
.851/401	محمد المكنى أبو الطرق
.395	محمدُ المُكَنَّى أبو زينة الورغى
.551	محمد الملقب أفغول
.852	محمد الملقب أمقام البطحي
.859	محمد الملقب أفنيش الهوارى
.879	محمد الملقب الدرعى القلعى
.467	محمد الملقب العيفا القلعى
.855	محمد الملقب القبى
.521	محمد الملقب القبينى
.870	محمد الملقب الوافى بن محمد بن سعيد الصنهاجى
.854	محمد الملقب قررة
.843/615/404	محمد الهوارى
.614/611/609	محمد بن إبراهيم الأنصارى
.686/659/594/593	محمد بن إدريس الشافعى
663	الجزولى الكبير
.657	محمد بن الخضر الحسنى
.634	محمد بن المبارك
.425/423/384	محمد بن الهوارى المصراتى

.861	محمد بن سعيد بن جابر عرف بالصنهاجي القلعي
.765/698/694	محمد بن سليمان الجزولي
.877	محمد بن شعاعة العربي
.833/828	محمد بن عباد
.551/468/394	محمد بن عبد الجبار
.872	محمد بن عبد الله الكثيري
.525	محمد بن عبو
.484	محمد بن عثمان البوعمراني
.532/531	محمد بن عرفة التونسي
.800/428	محمد بن علي الترمذي
.489	محمد بن علي المصراتي
.876	محمد بن علي عرف بطكوك المصراتي
.878	محمد بن غالية الرابطي
.857	محمد بن محمد بن بلوطة القلعي
.522	محمد بن مرزوق التلمساني
.859	محمد بن معزى القلعي
.460	محمد بن واسع
.822/588/551/534/496/480/393/392/	محمد بن يوسف السنوسي
.493	محمد عرف ابن أمزيان القلعي
706/484	محمد عرف باقبلي المصراتي
.878	محمد عرف بالشريف البوعمراني
.876	محمد عرف بالبهلول المصراتي
.524	محمد عرف بالهوارى البومنجلي
.704/438	محيي الدين سيدي عبد القادر
.767/680/649/621/593/440/437	مريم (ابنت عمران عليها السلام)
.685	مسروق بن الأجدع
879	مسعود العروني
.657	مسعود الهاشمي
.559	مسعود بن عريف
. 869/845/684/682	مسلم (راوي الأحاديث)

808/807	مسلم بن يسار
.657	مطر البدرالي
.438	المطوعي
.805	معاذ بن جبل
.782/780/653/651/647/594/585/584/583	معروف الكرخي
.680	الشيخ معيقب
.580	المليلي
.648	منصور البطايعي
.441	منصور المغربي
.653	منصور بن عمار
.392	موسى الزنداري
.877	موسى القديدي

موسى بن عيسى (المازوني)

/439/438/437/436/435/434/433/430/420/406/405/402/399/396/389/387/386	
/486/476/474/471/466/463/462/458/457/456/452/450/448/444/442/441/440	
/516/515/513/511/508/507/504/503/500/499/498/496/495/494/493/491/488	
/560/559/558/553/552/548/547/545/543/542/541/540/535/532/529/525/523	
/603/601/600/599/594/589/588/587/574/573/572/568/567/566/565/563/561	
/635/633/632/631/630/629/625/623/622/620/619/617/614/607/606/605/604	
/669/668/663/662/661/654/650/648/647/646/644/643/642/640/639/638/637	
/741/738/737/736/732/725/715/709/708/704/703/679/678/677/674/671/670	
/767/764/763/762/760/756/753/752/750/749/748/747/746/745/744/743/742	
/864/863/857/852/845/825/823/822/821/810/808/801/796/795/777/776/772	
.891/885/884/878/876/874/872/871	

.844

موسى بن ماهين الزولي

/588/554/549/547/497/488/474/439/435/434/422	موسى عليه السلام
/827/825/823/821/817/813/812/801/767/758/716/685/684/639/613/593/592	
.865/832/831/829/828	

.654

الموصلي

.807

ميمون بن حيان

.599/598

ميمون بن وابور

### حرف النون

.455

نصر بن إبراهيم الكرمانى

.432

النصرى باذى

.652

النعال

.672

النعمان بن مالك

.659

النهر ملكى

.833/735/684/532

نوح عليه السلام

.517/516/504

النورى

### حرف الهاء

.515/514

هارون الرشيد

.685

هرم بن حيان

### حرف الواو

.877/560/511

واضح بن عاصم المكناسى

.441

وهب بن عامر

.866/795

وهب بن منبه

### حرف الياء

.460

يحيى البكاء

.467

يحيى بن أبى جمعة

.749/505/504

يحيى بن معاذ

.558

يخلف بن محمد الرابطى

.760

يعقوب ابن اللميت

.507

يعقوب المغراوى

.565/564/563

يغمراسن

.875/740/557/526/489

يوسف بن الزغل

.844/550/510

يوسف بن أيوب الهمذانى

.475

يوسف بن محمد الملقب بدقيش

.801/789/599

يونس عليه السلام

## فهرس الأمالن والبدران

الصفحة	المكان أو البلد
الهمزة	
811	أبهر
394	الأجراف الحمر من وطن شلف
.573	أذغاغ ( صخرة)
603	أرمون
607	أغمات قرية من أعمال فاس
399	إفريقيّة
512-385	أم العساكر بالبلاد الراشدية
الباء	
839-574	باب بني شيبية
836-613-519-512-484-429-427-385	بجاية
558	بحر الإسكندرية
558	بحر السلسلة
558	بحر تونس
732- 505	بسظام
-762-761-637-632-567-473-462-460	البصرة
841-788	
676-699 718-835-677	البطايح

892-872-791-785-755-660-658 -654-653-652-651-616-615-613-510	بغداد
880-634	بلاد الشام
838	بلاش
535	بلخ
-861-622-528-522-512-426-388-381 .885-873	بني راشد
872	بني كثير
675	بني وغدو
675	بني وَّعْدُو
-839-825-634-633-632-627-613-439 .866-849	بيت المقدس
393	بيدر
<b>التاء</b>	
.562	تاعشوشت
.853	تافسرا
.557	تاقصريت
.385	ترس البحر
-577-493-425-406-404-401-400-393 889-876-845-836-835-616	تلمسان
559	تمزوغت

560-559	تنس
559-558	تونس
884	تيزغت
.573	تيسكريوين (خندق)
562	تيغرفاتين
<b>الثاء</b>	
572	ثلاث ان تسدا (موضع اللبوة)
<b>الجيم</b>	
628	جامع المصيصة
462	جبال أنطاكية
464	جبل المقطب بقرافة مصر
.560-559	جبل بيصة
839-774-560-510	جبل قاف
567-455-453	جبل لبنان
.511	جبل وافر الشان
851-834-522	الجزائر
<b>الحاء</b>	
552	الحجاز
842-835	الحدادية قرية من البطايح
720	حران
474	حنين



<b>الخاء</b>	
630-505-488	خراسان
<b>الدال</b>	
667	الدُّخْلَا
618	دكالة
<b>الراء</b>	
522-512-469-426-425-393-388-385	راسِ الْمَاءِ
530	رباط شاكِر
720	الرحبة
<b>الزاي</b>	
463	زروع مصر
854-851-601-572-401	زناتة
<b>السين</b>	
602	سبّنة
839	سد ياجوج وماجوج
673	سليم
739-647-561	سنجار (أهل سنجار)
870-512-385	سوق أمّ العسّاكِرِ
475-426	سُوَيْد
473	سبيرات

<b>الشين</b>	
862 -507-526-507-475-394	شلف
755	الشونيزية ( مسجد )
<b>الصاد</b>	
604	صنهاجة
604	صنهاجة أزمور
424	الصين
<b>الطاء</b>	
870	طرطوش قرية من عمالة أم العساكر
<b>الظاء</b>	
597	ظاهر سلا
<b>العين</b>	
791-789	عبدان
-857-851-834-485-475-405	عدوة مصراته
663-567	عرفة
837	عين مجفوط
<b>الغين</b>	
531	غرناطة
568	غلس
<b>الفاء</b>	

-596-595-558-531-519-484-433-429 709-613-612-608-607 - 598	فاس
<b>القاف</b>	
614	قرية بلواتة
844	قرية مارديس
844	القسطنطينية العظمى
612	قصر كتامة لمدينة فاس
719-718	قطفة
860-859-859-837-835-666-509-408	القلعة
572	قلعة ميمونة
530	القيروان
<b>الكاف</b>	
423	كَرْشَطْلُ
629-451	الكوفة
<b>الميم</b>	
663-600 - 557 - 469	مازونة
599	ماسة
605-559	مالقة
859	مجشر السوخ
872	مجشر المشارف من وطن بني كثير

887	مجشَر بني متاسن
877	مجشَر قديدة
618 -598-500-423	مراكش
605	مرسى آزموَر
398	مزغران
-834-675-558-557-489-485-475-405 851	مصراتة
-601-471-439-433-399-395-393-383 -832-790-662-660-766-652-650-607 .863	المغرب
486-449	مقبرة أوركان بواسط
507	مكان تحت أبي حرش
-573-559-558-557-527-448-439-421 -670-637-636-635-629-628-613-612 -853-839-825-787-781-747-721-680 861	مكة
851-579-551-520-471	مليانة
560	منى
<b>النون</b>	
405	ندرومة
892-719	نهر الملك
522	نهر مينة

الهاء	
475	هبرة
844	همذان
-614-601-570-525-485-471-426-381 -872-853-834-675-667-653-616-615 889-887-885-878-876	هواره
الواو	
474	واد طام
843-836-828-426-425-423-401	وهران
الياء	
675-601-426	يَلَّ

## فهرس الكتب الواردة في المخطوط وأسماء مؤلفيها

الصفحة	الكتاب	المؤلف
/821/727/728/633 .870 .589	- القبس - القانون	- ابن العربي الحاتمي
.790	- "مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الإرادة".	- ابن العريف أحمد بن محمد ابن موسى الصنهاجي (1141/1088م)
.594	- التنوير في إسقاط التدبير.	- ابن عطاء الله السكندري
.662	- مصباح الظلام عن النبي عليه الصلاة والسلام.	- أبو الربيع سليمان الكلاعي
747 .747 .747 .747 .890/747	- الإرشاد في الأصول. - المصابيح في الحديث. - التهذيب. - الرسالة في الفقه. - ابن عطية في التفسير.	- أبو العباس المرسي
.649/404	- شرح السينية	- أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن الحاج البيدي
.547 .557	- كتاب الإحياء. - كتاب الفرق.	- أبو حامد الغزالي
.432	- قوت القلوب	- أبو طالب المكي
.604/473 673	- تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين. - تحفة الأخيار في الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم.	- أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن قاسم الرصاع التلمساني
.568	- زهر الأنيق	- أبو محمد بن عبد السلام المسراتي
.819	- كتاب الإرشاد والتطريز	- أبو محمد عبد الله بن سعد الياضي اليمني الشافعي
.803	- شرح على الرسالة.	- أحمد الفلشاني

433.	- شرح على الرسالة.	- أحمد زروق الفاسي
873.	- شرح رجز الإمام أبي مقرع	- الجداري
663.	- شرح على الرسالة.	- الجزولي الكبير
536.	- في تأليفه لحديث النبي القرشي	الحبشي
763.	- بهجة الأسرار ومعدن الأنوار.	- الشطنوفي نور الدين.
429.	- غاية المغنم في اسم الله الأعظم	- شهاب الدين أحمد بن علي بن
856.	- علم الهدى وقبس الاهتداء	يوسف البوني.
717/535/456.	- الجواهر الحسان في تفسير القرآن	- عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي
496/460/485/448/ 619/568/541/515/ 709/680/648/640/ 847/846/796/725/ 880/869/868/864.	- زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام	- عمر بن إبراهيم الأنصاري الأوسي
704.	- كتاب الغيبة	- القاضي عياض
817.	- كتاب المدارك	
456.	- الرسالة القشيرية	- القشيري عبد الكريم
532.	- عقائد الشيخ السنوسي وشروحه لها	- محمد بن يوسف السنوسي
480.	- شرح العقيدة الوسطى	
588.	- شرح عقيدة صغرى الصغرى	
583.	- مختصر الإمام الساحلي في السلوك	
555.	- الحل في تعيين الفرق من أمة محمد ﷺ.	- المزناني
806.	- شرح لألفاظ ابن الحاجب	- موسى بن عمران الجزيري
399/389/387/386/ 402.....	الدرر المكنونة في نوازل مازونة	- موسى بن عيسى المازوني
531	- سنن النسائي	- النسائي.
534	- شرح نظم كلام ابن رشد	

## فهرس المصادر والمراجع



## فهرس المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.رواية ورش عن نافع.
- 2- كتب الحديث المشهورة :
- 3- مالك بن أنس: متن موطأ الإمام مالك على رواية يحي بن يحي الليثي، دار الكتب. الجزائر 1985م.
- 4- ابن حنبل أحمد بن محمد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل. ط 1، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، - عادل مرشد، وآخرون. مؤسسة الرسالة. (1421 هـ - 2001 م).
- 5- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله:
- صحيح البخاري.4 أجزاء.ط1، تحقيق: الشيخ /محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الإمام مالك باب الوادي .الجزائر.(1431هـ/2010م).
- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري). ط/3، تحقيق: . مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت (1407 هـ - 1987)
- 6- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري:المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي..دار إحياء التراث العربي ، بيروت. دت.
- 7- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي.الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية. ( 1430 هـ - 2009 م).
- 8- الترمذي السلمي محمد بن عيسى:
- سنن الترمذي،تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط ، دت.
- الجامع الكبير- تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي - بيروت. 1998 م.

9- النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن: **المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي**. الطبعة الثانية، - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، حلب، سوريا (1406هـ - 1986 م).

10- ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجه**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وجماعة... ط/1، دار الرسالة العالمية.(1430هـ - 2009م).

#### أولاً: المصادر

#### أ- المخطوطات:

11- النسخة رقم 1707a:.....المكتبة الوطنية الحامة الجزائر.  
12- النسخة رقم 1708:.....المكتبة الوطنية الحامة الجزائر.  
13- النسخة رقم k243:.....الخزانة العامة للمخطوطات الرباط المغرب.  
14- النسخة رقم D2625:.....الخزانة العامة للمخطوطات بالرباط المغرب.  
15- المخطوط رقم 1457: **مناقب سيدي أحمد بن يوسف**. مجهول المؤلف.....الخزانة العامة بالرباط المغرب.

16- المخطوط رقم 1471: **مناقب سيدي أحمد بن يوسف مجهول المؤلف**..... الخزانة العامة بالرباط المغرب.

17- مخطوط **ريح التجارة ومغرم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة**. علي بن أحمد بن الحاج موسى الجزائري تحت رقم 928:.....المكتبة الوطنية الحامة الجزائر.

18- مخطوط **غزوات (عروج وخير الدين)**. المكتبة الوطنية الحامة.الجزائر. رقم 1623

19- مخطوط **الدرة الصباغية في شرح الجرومية للصباغ القلعي**:المكتبة الوطنية.الحامة الجزائر. رقم 2325.

20- مخطوط **شفاء الغليل في نظم الشهرير بالمراد للصباغ القلعي**: المكتبة الوطنية.الحامة الجزائر. رقم 2221.

21- مخطوط تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية: الفاسي محمد المهدي. الخزانة العامة للمخطوطات بالرباط. المغرب. موقع الكتروني للمخطوطات المغربية fondation .

22- مخطوط كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب: محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعد الأنصاري التلمساني: مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود- الدار البيضاء. المملكة المغربية.

### ب- المصادر التراثية.

1- ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي القرشي،: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، ط 1/، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية. 1418 هـ - 1997م.

2- ابن الأثير عزالدين الجزري: الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية. ط1، بيروت لبنان. 1407هـ/1987م.

3- ابن الزيات يوسف بن يحيى التادلي(ت627هـ): التشوف إلى رجال التصوف. تحقيق علي عمر، ط1. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة، 1427هـ/2007م.

- ابن القاضي أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي(ت 1025هـ/1616م):

4- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس: دار المنصور، الرباط، 1974م، 3أجزاء.

5- درة الحجال في أسماء الرجال: مطبعة دار النصر، القاهرة، 1390 هـ/1970م، 3أجزاء.

6- ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: المنار المنيف في الصحيح والضعيف. تحقيق : عبد الفتاح، ط/2، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب. 1403 هـ - 1983م.

7- ابن الملقن أبو حفص سراج الدين: طبقات الأولياء، تحقيق نورالدين شريبه، نشر مكتبة الخانجي، ط4. (1415هـ/1994م).

- ابن حبان أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي البُستي:

- 8- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/2 ، مؤسسة الرسالة، بيروت. 1414هـ - 1993م.
- 9- صحيح ابن حبان المسمى بـ «المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع» تحقيق أحمد شاكر، الناشر: دار المعارف 1372هـ /1952م.
- ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني(ت856هـ):
- 10- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، ط1/ دار المعرفة، بيروت. 1379م.
- 11- تهذيب التهذيب ج3. دار الكتاب الإسلامي للطباعة والنشر. القاهرة، 1993 م .
- 12- ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت. لبنان 1960.
- 13- ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الوادي، مطبعة بيبير فونطانا الشرقية، الجزائر(1321هـ/1903م).
- 14- ابن سعد أبو عبد الله محمد بن منيع البصري(168هـ - 230هـ): الطبقات الكبرى. دار صادر، بيروت. د ت.
- 15- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله أبو عمر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد البجاوي - ط/1، - دار الجيل، بيروت 1412 هـ - 1992 م.
- 16- ابن عجيبة أحمد بن محمد الحسني: كتاب شرح صلاة القطب ابن مشيش، جمع وتقديم العمراني الخالدي عبد السلام، دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء ، المغرب. د، ت.
- 17- ابن عربي محي الدين: محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، مطبعة السعادة بطنطا. مصر.(1324هـ/1906م).
- 18- ابن عسكر محمد الحسني الشفشاوني(ت 986هـ/1578م): دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، ط2، الدار البيضاء. 2003م.

- 19- ابن عطاء الله السكندري "لطائف المنن": تحقيق عبد الحليم محمود، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر 1999م:
- 20- ابن عطية عبد الحق بن أبي بكر المحاربي الأندلسي (ت 546هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان. 1422هـ/2001م.
- 21- ابن عيشون، محمد بن محمد الشراط الفاسي (ت 1109هـ/1697م): الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام. مطبعة النجاح الجديدة، ط1. الدار البيضاء، المملكة المغربية 1997م.
- 22- ابن فرحون المالكي، إبراهيم بن نور الدين (ت 799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، القاهرة. 1972م.
- ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت 810هـ):
- 23- الوفيات، تحقيق وتعليق عادل نويهض، ط4، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت (1403هـ/1983م).
- 24- أنس الفقير وعز الحقير: نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة، أكادال، الرباط، المملكة المغربية. 1965م.
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (701 - 774هـ):
- 25- تفسير القرآن العظيم. ج2، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان. 1423هـ/2006م.
- 26- البداية والنهاية. ج5/ط1، دار الإمام مالك، الجزائر. (1427هـ/2006م).
- 27- ابن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني (ت 781هـ): المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب (1429هـ/2008م).
- 28- ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان (ألفه في 1011هـ/1602م). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1986م.

- 29- ابن هشام المعافري: **السيرة النبوية**. ضبط وتعليق أحمد عبد الرزاق الخطيب. ط1. دار الإمام مالك/ج1. باب الوادي. الجزائر. 1429هـ - 2008م.
- 30- أبو الفداء إسماعيل بن محمد العجلونيّ الدمشقي: **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، تحقيق: عبد الحميد هندأوي، ط1، المكتبة العصرية. بيروت. 1420هـ. 2000م.
- 31- أبو الهدى محمد بن الحسن الرفاعي الخالدي الصيادي: **قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر**، خرّج آياته وأحاديثه عبد الوارث محمد علي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1971م.
- 32- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري: **مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ**، تحقيق وتعليق، ماهر ياسين الفحل، ج1، ط1، دار الميمان للنشر، الرياض، السعودية. 2009م.
- 33- أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي: **صحيح مسلم بشرح النووي**. 18 جزء. ط1. تحقيق حمد سيد عبد ربه الرسول / دار أبي بكر الصديق للنشر والتوزيع، القاهرة، 1426هـ/2006م.
- أحمد بابا التتبكتي (ت 1036هـ):
- 34- **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**. دراسة وتحقيق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، (1421هـ/2000م)، في جزأين.
- 35- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق علي عمر، ط1. مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ / 2004م ، في جزأين.
- 36- الأبيشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد (ت 850هـ): **المستطرف في كل فن مستظرف**. تحقيق محمد خير طعمه الحلبي، ط5، دار المعرفة، بيروت. لبنان (1429هـ/2008م).
- 37- الإشبيلي عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله: **العاقبة في ذكر الموت**. تحقيق خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، ط1. الكويت (1406هـ/1986م).

- 38- الأصبهانيّ أبو نعيم أحمد بن عبد الله: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. ط/ 4، دار الكتاب العربي - بيروت. (1405 هـ. 1985م).
- 39- الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله: **حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء**: ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1988م.
- 40- الإفراني محمد الصغير (ت1140هـ -1728م): "**صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**"، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب(1425هـ -2004م).
- 41- البادسي عبد الحق بن إسماعيل : **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية. 1414هـ 1993م.
- 42- البزار أبو بكر أحمد بن عمرو العنكي: **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وصاحبيه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1. (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).
- 43- البسطامي أبو يزيد: **سلطان العارفين**، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1971م.
- 44- البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت 429هـ): **أصول الدين**، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (1401هـ/1981م).
- 45- البغدادي إسماعيل باشا : **هدية العارفين**، ج1، مطبعة المعارف، استانبول 1955م. ص136.
- 46- البغدادي يوسف بن فرغلي بن عبد الله: **تذكرة الخواص للعلامة سبط ابن الجوزي** (ت 654هـ)، إصدار مكتبة نينوى الحديثة، بغداد. د ت.  
- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين:
- 47- **السنن الكبرى**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط /3. - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ( 1424 هـ - 2003 م).

- 48- الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط/1، مكتبة السوادي، جدة.السعودية (1413 هـ - 1993 م).
- 49- شعب الإيمان. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول. ط/1، دار الكتب العلمية. بيروت. 1410هـ.
- 50- عمل اليوم والليلة. تحقيق: فاروق حمادة، ط/2- ، مؤسسة الرسالة، بيروت. 1406هـ.
- 51- الترمذي محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم: نوارد الأصول في أحاديث الرسول. تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط1، دار الجيل، بيروت. 1992م
- 52- التنسي محمد بن عبد الله : نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق محمود آغا بوعياذ، موفم للنشر. الجزائر 2011.
- 53- التوجيني عبد الرحمن بن عبد الله: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس. ط1. دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع . بوسعادة. 2005م.
- 54- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين.تقديم وتبويب وشرح علي أبو ملجم، ط1، ج1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان 1988م.
- 55- الجنيد البغدادي أبو القاسم (ت 298هـ/911م): السر في أنفاس الصوفية. تقديم وتحقيق، وتعليق، عبد الباري محمد داود، دار جوامع الكلم. القاهرة. 2003م.
- 56- الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله أبو عبد الله المعروف بابن البيع الحافظ: المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط/2. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .(1422هـ/2002م).
- 57- الحجوي أبو عبد الله محمد بن محمد:المنح الوهبية على تلخيص الشمائل النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1971م
- 58- الحنبليّ ابن رجب عبد الرّحمن: الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبليّ. جمع وترتيب: طارق بن عوض الله. ط /1. دار العاصمة، المملكة العربية السعودية. 1422هـ - 2001م.



- 59- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي ( المتوفى سنة 463 هـ): تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الجزء 10، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1417 هـ 1997 م.
- 60- الدّيلمّي ابن شهردار شيرويه: الفردوس بمأثور الخطاب. تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1406 هـ - 1986م.
- 61- الزباني أبو القاسم: تحفة الحادي المطرب في رفع شرفاء المغرب، تحقيق رشيد الزاوية، مطبعة الأمنية، الرباط، المملكة المغربية. ط1، 2008 م.
- 62- السبكي عبد الوهاب تاج الدين بن علي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط 3/ هجر للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية. 1413هـ،
- 63- السخاوي محمد بن عبد الرحمان ، شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.
- 64- السلمي أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين: طبقات الصوفية، تحقيق، وتعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان. 2002م.
- 65- الشبراوي عبد الله : الإتحاف بحب الأشراف، وثق أصوله وحققه سامي الغريزي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط1، إيران 1423هـ/2002م.
- 66- الشرجي أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي: طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، تقديم عبد الله الحبشي، دار المناهل، ط1، بيروت، لبنان. (1406هـ - 1986م).
- 67- الشطنوفي أبو الحسن علي بن يوسف نور الدين : بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني، دراسة وتحقيق جمال الدين فالح الكيلاني، دار الكتب العلمية، بيروت. 2002م.
- 68- الشعراني عبد الوهاب: الطبقات الكبرى المسماة " لوائح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية"، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح /توفيق علي وهبه، ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. د ت.

- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد:

69- **المعجم الكبير**. ط / 2. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة. دت.

70- **المعجم الأوسط**. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ج 6/ دار الحرمين، القاهرة. دت.

71- **المعجم الصغير**، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير، ط / 1، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت - عمان. (1405 هـ . 1985 م).

72- **الصنعاني** عبد الرزاق بن همام: **المصنف**. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط/2 ، المجلس العلمي، الهند. 1403 هـ.

73- **العالمي** بهاء الدين (ت 1030 هـ): **الكشكول**، تحقيق محمد السيد حسين المعلم ، ج3، المكتبة الحيدرية، ط1، قم المقدسة، إيران. 1427 هـ.

74- **العزفي** أحمد بن محمد: **دعامة اليقين في زعامة المتقين** (مناقب الشيخ أبي يعزى)، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. 1989 م.

75- **العياشي** أبو سالم (ت 1090 هـ/1679 م): **فهرس: اقتفاء الأثر بعد زهاب أهل الأثر**. تحقيق ودراسة: نفسية الذهبي. مطبعة النجاح الجديدة، ط1. الدار البيضاء، المملكة المغربية. 1996.

76- **الغبريني** أبو العباس أحمد بن أحمد: **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر. 1970 م.

77- **الغزالي** أبو حامد محمد بن محمد: **إحياء علوم الدين**. المكتبة التوفيقية. القاهرة- مصر. د. دت.

- **الغماري** أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الحسني (ت 1380 هـ):

78- **المداوي** **لعل الجامع الصغير وشرحي المناوي**. ط/1، دار الكتبي، القاهرة - جمهورية مصر العربية. 1996 م

- 79- البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي، تحقيق أحمد محمد مرسي النقشبندي، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة. 1969م.
- 80- الفاسي محمد العربي بن يوسف الفهري ت1052هـ/1642م: مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، دراسة وتحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان. 1469 هـ /2006م.
- 81- الفضيلي إدريس: الدرر البهية والجواهر النبوية. مراجعة ومقابلة: أحمد ابن المهدي العلوي، ومصطفى بن أحمد العلوي، ج2، مطبعة فضالة، المحمدية. المملكة المغربية. 1420هـ/1999م..
- 82- القادري عيسى صفاء الدين البندنجي (ت1283هـ/1866م): جامع الأنوار في مناقب الأخيار (تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد وما جاورها من البلاد)، تحقيق أسامة ناصر النقشبندي، مهدي عبد الحسين النجم، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.
- 83- القادري محمد بن الطيب الحسني (ت1187هـ/1773م): نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. 1982م.
- 84- القرافي بدر الدين محمد بن يحيى (ت1008هـ): توشيح الديباج وحية الابتهاج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة. (1425هـ/2004م).
- 85- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية. 1423هـ/2003م.
- 86- القشيري عبد الكريم أبو القاسم: الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق وتعليق عبد الحليم محمود. طبعة دار الخير للطباعة والنشر، بيروت، ط1. (1423هـ/2003م).
- 87- الكتاني محمد بن جعفر الحسني الفاسي (ت1345هـ/1926م): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، المطبعة الحجرية، فاس. 1900م.

- 88- اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري: كرامات أولياء الله، تحقيق، أحمد سعد حمدان، ط1، دار طيبة للنشر، الرياض،، السعودية.(1412هـ/1992م).
- 89- المازوني أبو عمران موسى بن عيسى "مناقب صلحاء الشلف"، وهو مختصر كتاب "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار". دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان 2019م
- 90- الماليني أبو سعيد أحمد بن محمد بن أحمد: "كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية"، تحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان. (1417هـ/1997م).
- 91- المزاري الأغا بن عودة: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1990م.
- 92- المطوعي أبوبكر محمد بن علي: "من صبر ظفر" حققه وقدم له الباحث المغربي طارق طاطمي، منشورات دار الأمان للنشر والتوزيع. ط1، الرباط، المملكة المغربية، 2016م.
- 93- المقري أحمد بن محمد التلمساني:- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**. شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له: -مريم قاسم طويل. ويوسف علي طويل، ج7. دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. 2011م.
- 94- المنجور أحمد بن علي المكناسي: **فهرس**، تحقيق محمد حجي، ط1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، (1396 هـ/1976م).
- 95- الناصري، أحمد بن خالد السلاوي : **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** تحقيق محمد عثمان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. 2010م.
- 96- الورثيلاني، الحسين بن محمد: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر. 1908.
- 97- الونشريسي أحمد بن يحي: **وفيات الونشريسي**، تحقيق محمد بن يوسف القاضي، نشر شركة نوابغ الفكر، ص(36). موقع الكتروني <http://albordj.blogspot.com>

- اليافعي عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد اليميني :

98- "روض الرياحين في حكايات الصالحين"، مطبعة أحمد البابي الحلبي ،مصر 1307هـ.

99- الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز. تحقيق محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان. (1424هـ/2002م).

- زروق أحمد(ت 899هـ) :

100- الكناش ، تحقيق علي فهمي خشيم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا. 1980.

101- قواعد التصوف، ضبط وتقديم أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبه. مكتبة الثقافة الدينية. ط1. القاهرة. 2006م.

102- شرح "الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري: " تحقيق ودراسة رمضان محمد ابن علي البدري. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2019م.

103- محي الدين بن عربي: محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، مطبعة السعادة بطنطا، مصر. (1324هـ/1906م).

104- مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم(ت 1360هـ/1936م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. تحقيق وتعليق عبد المجيد خيالي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2010م.

### ثانيا:المراجع العربية:

1- ابن آجروم أبوعبد الله : جامع الدروس النحوية في شرح المقدمة الأجرومية. مجموعة من العلماء. ط1، دار ابن حزم،القاهرة ، مصر،. 1428هـ/2007.

2- ابن إسماعيلي محمد: مشايخ خالدون وعلماء عاملون. نشر دار الهدى عين مليلة. ط4، الجزائر. 1421هـ/2001م.

3- ابن رمضان فرج : الدراسة الأدبية للكرامة الصوفية أسسها ،إجراءاتها، رهاناتها. الجزء الأول الكرامة من التصوف إلى الأدب، ط1، مطبعة سوجيك صفاقس. تونس 2007م.

- 4- ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1418هـ/1998م.
- 5- ابن مبروك الأمين: الأجناس الأدبية من الضبط الى العبور. مقالات وفصول مترجمة، دار نهى للطباعة. صفاقس، تونس. ط1. 2008م.
- 6- أقليمون عبد السلام: الرواية والتاريخ، سلطان الحكاية وحكاية السلطان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، المملكة المغربية، 2010م
- 7- التوفيق أحمد: التاريخ وأدب المناقب من حلال مناقب أبي يعزى، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي. دار عكاظ، الرباط. المغرب. 1988م.
- 8- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. ط7. (1415هـ/1995م). 4 أجزاء.
- 9- الحجوي محمد بن الحسن الثعالبي: الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي. ج4 مطبعة إدارة المعارف، الرباط. المملكة المغربية. 1340هـ.
- 10- الحفناوي أبو القاسم: تعريف الخلف برجال السلف. ج1، موفم للنشر. الجزائر 1991م.
- 11- العامري نللي سلامة: الولاية والمجتمع، دار الفارابي، ط1، بيروت، لبنان. 2001م. ص287.
- 12- العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ج2، المركز الثقافي العربي. ط2، الدار البيضاء. المغرب. 2000م.
- 13- العظم صادق جلال: نقد الفكر الديني. ط9، دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت 2003م.
- 14- الغندوري عبد الواحد وآخرون: الكرامات الصوفية المغربية.. دراسات سيميائية. تنسيق حسن مسكين. جذور للنشر. ط1. الرباط. المملكة المغربية. 2006م.

- 15- القويدري الأخضر: الفكر التربوي الصوفي. قراءة في التراث التربوي عند أعلام التصوف الإسلامي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق. سورية. 1430 هـ/2010م.
- 16- الكتاني نور الهدى: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. 2008م.
- 17- المنصوري عبد السلام: بنية الخطاب المنقبي، طلاق العقل وأوهام التاريخ، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، ط1، الرباط، المملكة المغربية. 2017م.
- 18- المهدي جودة محمد أبو اليزيد: بحار الولاية في مناقب أعلام الصوفية. دار غريب للطباعة، القاهرة ط1، 1998م.
- 19- الميلودي شغموم: المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي، الحكاية والبركة، منشورات المجلس البلدي بمدينة مكناس، ط1 مطبعة فضالة - المغرب. 1991. -
- 20- محمد حلمي عبد الوهاب: ولاة وأولياء، السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت. لبنان 2009م.
- 21- الهاشم أسمهر : عتبات المحكي القصير في التراث العربي الإسلامي :الأخبار والكرامات والطرف. الشبكة العربية للأبحاث والنشر. ط1. بيروت 2008.
- 22- بدران إبراهيم ، الخماش سلوى: دراسات في العقلية العربية:الخرافة. ط3/ دار الحقيقة، بيروت، لبنان. 1988م
- 23- بلعلی آمنه: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة. الأمل للطباعة والنشر. تيزي وزو. الجزائر 2009م.
- 24- بورايو عبد الحميد:القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986.
- 25- حاج صادق محمد: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1989م.
- حجي محمد بن عبد الله الجزار السلوي.

- 26- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ/1988م.
- 27- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، 1978م.
- 28- حسن حنفي: من الفناء إلى البقاء، محاولة لإعادة بناء علوم التصوف ج1، الوعي الموضوعي. دار المدار الإسلامي. بنغازي. ليبيا. 2009م.
- 29- حسن مسكين وآخرون : الكرامات الصوفية المغربية. دراسات سيميائية. جذور للنشر. ط1. الرباط. المملكة المغربية. 2006م.
- 30- حشلاف عبد الله: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929.
- 31- حمداوي جميل: نظرية الأجناس الأدبية. أليات التجنيس الأدبي في ضوء المقاربة البنيوية والتاريخية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء. المغرب. ط1 سنة 2015م.
- 32- خشيم، علي فهمي: أحمد زروق والزروقية. دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، دار المدار الإسلامي، بيروت. لبنان، ط3، 2001.
- 33- خوالدية أسماء: الفكّه في قصص كرامات الصوفية بين التقديس والتحقيق، منشورات ضفاف، ط1. بيروت، لبنان. 1436هـ/2015م.
- 34- زيدان يوسف : - شعراء الصوفية المجهولون". دار الجيل، ط2. بيروت لبنان. (1416هـ/1996م).
- 35- الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية. دار الأمين للطباعة. ط2. مصر. 1419هـ/1998م.
- 36- زيعور علي: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، دار الأندلس، بيروت ط2، 1984م.
- 37- ستار ناهضة: بنية السرد في القصص الصوفي. منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق. 2003.



- 38- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي. ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان. 1998م.
- 39- شبيل عبد العزيز: نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب، ط1، دار محمد علي الحامي صفاقس، تونس 2001م.
- 40- طعام حفيظة: التخيل في الرواية التاريخية المغاربية، دار الكلمة، ط1. أدرار، الجزائر، 2018م.
- 41- طيب محمد: أحمد زروق محتسب العلماء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
- 42- ضيف بشير : فهرسة معلمة التراث الجزائري، ط1، منشورات ثالة. الجزائر، 2002م.
- 43- عبد الحليم محمود: "إبراهيم بن أدهم شيخ الصوفية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار التأليف والنشر. القاهرة .. 1972.
- 44- عبد الحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية، "الحب - الإنصات - الحكاية" مطبعة أفريقيا الشرق. المغرب. 2007م.
- 45- عز الدين إسماعيل: المكونات الأولى للثقافة العربية ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد. العراق. 1986.
- 46- عزالدين بليق : موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة، دار الفتح للطباعة والنشر. ط2، بيروت. لبنان. 1406هـ - 1986م.
- 47- عيسى لطفى: كتاب السير ، مقاربات لمدونات المناقب والتراحم والأخبار. دار المعرفة، تونس، ط1، 2007 م.
- 48- فيلالى عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني. ج2. موفم للنشر والتوزيع الجزائر. 2002م.
- 49- كيليطو عبد الفتاح: الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، ط4، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. 2007م.

50- لؤي علي خليل: عجائبية النثر الحكائي، أدب المعراج والمناقب، التكوين للنشر، دمشق..2007

51- محمد علي كندي: في لغة القصيدة الصوفية، دار الكتاب الجديد المتحدة. ط1، بيروت. لبنان. 2010م.

- مفتاح محمد:

52- التلقي والتأويل، مقارنة نسقية"، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان 2001م. ص178.

53- الخطاب الصوفي، مقارنة وظيفية، ط1، مكتبة الرشاد، المملكة المغربية، (1417هـ/1997م).

54- مفلح محمد: غليزان مقاومات وثورات، منشورات دار الأديب. ط1. الجزائر 2009م.

55- نجمي عبد الله : التصوف والبدعة طائفة العكاكزة. ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. 1421هـ/2000.

56- هلال ، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث. ط6، نهضة مصر للطباعة 2005م.

57- يحيوي رشيد: مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1994م.

58- يقطين سعيد: الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1 ، 1997 م.

### ثالثا: المراجع المترجمة:

1- أنا ماري شيمل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف. ترجمة/محمد اسماعيل

السيد، ورضا حامد قطب. ط1، منشورات الجمل، كولونيا(ألمانيا)- بغداد. 2006 م.

2- الوزان الحسن بن محمد الفاسي(المعروف ب ليون الإفريقي، ت959هـ/1552م):

وصف إفريقيا. ترجمة عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م. في جزأين.

- 3- بارت رولان: درس السيميولوجيا، تر/ عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء. المغرب. ط 1. 1986م.
- 4- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية: ترجمة منير البعلبكي، ونبية أمين فارس، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. 1948م.
- 5- بلاشير رجبس: تاريخ الأدب العربي، تر/ إبراهيم الكيلاني. طبع مشترك بين الدار التونسية للنشر. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986م.
- 6- تودوروف تزفيتان، أوزفالد ديكر: مفاهيم سردية، تر/ عبد الجليل الأزدي، عبد الرحمان مزيان، ط1. المطبعة والوراقة الوطنية. مراكش، المغرب. 2012م.
- 7- تودوروف تزفيتان: الشعرية. تر/ شكري المبخوت ورجاء بن سلامة. دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2. 1990م.
- 8- مارمول كريخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون. مطبعة المعارف الجديدة، 1989م.

#### رابعاً: الدواوين:

- 1- فاروق شوشة، أحلى عشرين قصيدة في الحب الإلهي. دار الشروق. ط1. بيروت، لبنان. 1991م.
- 2- قيس بن الملوح: الديوان. دراسة وتع: يسري عبد الغني. منشورات علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. (1420هـ/1999م).
- 3- لبيد بن ربيعة العامري: الديوان، اعتنى به حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1. (2004م/1425هـ).
- 4- ابن أبي حصينة: الديوان. سمعه وشرحه أبو العلاء المعري. تحقيق، محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، ط2/1419هـ/1999م.
- 5- أبو العتاهية (210/130هـ - 826/748م)، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. (1406هـ/1986م). مكتبة نور لتحميل الكتب. موقع الكتروني.

6- البوصيري الشاعر شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي (608 هـ - 1213م / 696هـ - 1295م) : **ديوان البوصيري**. موقع في الأنترنت. [@diwan\\_poets](https://www.diwan_poets)

7- الجيلاني عبد القادر: الديوان: دراسة وتحقيق يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت. موقع الكتروني. [www.wadod.org](http://www.wadod.org)

8- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس : **الديوان المسمى " الجوهرة النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس"**، إعداد وتعليق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا للنشر، القاهرة، مصر. د. ت.

9- الشبلي أبو بكر جعفر بن يونس المشهور بدلف بن جدر ( 247هـ - 324هـ / 861-946م) : **الديوان**، جمع وتحقيق وتعليق كامل مصطفى الشيبلي، ط1، دار التضامن، بغداد. (1386هـ / 1967م).

10- الشيبلي كامل مصطفى: شرح ديوان الحلاج، منشورات الجمل، ط2، طرابلس الغرب، ط2. 1993 م .

11- حسن العدوي الحمزاوي (ت 1303هـ): "النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية". تخرّيج وتعليق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1971م.

12 - علي بن أبي طالب : **ديوان أمير المؤمنين**، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم. ط1. (1414هـ / 1988م). دون ذكر بلد النشر.

13- علي بن الجهم: **الديوان**، نشر وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية. د. ت.

14\_ المتبّي أبو الطيب: **الديوان**، تحقيق، عبد المنعم خفاجي وآخرون، نشر مكتبة مصر، د. ت.

### خامسا: الدوريات والجرائد والمواقع الإلكترونية:

1- خليف رفيق: مخطوط "المهذب الرائق" لأبي عمران موسى المازوني وأهميته التوثيقية في تاريخ المغرب الأوسط وأواخر العصر الوسيط. مقال، مجلة المعارف

للبحوث والدراسات التاريخية. العدد 15، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي. سبتمبر 2017.

2- لؤي علي خليل: الكرامات في التراث العربي الإسلامي (النموذج الأندلسي)، مقال، مجلة التراث العربي. اتحاد الكتاب العرب - دمشق. العدد 97. السنة الرابعة والعشرون 1425هـ - 2005م.

3- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: مناقب بني العباس. تح محمد محمود الدروبي. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. عدد 22. مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت. (1423هـ/2002م).

4 - السبتي عبد الأحد : أخبار المناقب ومناقب الأخبار، مقال ضمن كتاب "التاريخ وأدب المناقب" منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي. الرباط. 1989.

5- السيوطي جلال الدين : تنبئة الغبي بتبرئة ابن عربي. ويكي مصدر موقع الكتروني.

6- القاسمي عبد المنعم: مقال حول رسالة من رسائل الشيخ أحمد بن يوسف "رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق". موقع مركز القاسمي للدراسات والأبحاث الصوفية. موقع الكتروني في الأنترنت.

7- أيوب بن حوّد، بلقاسم مالكية: مقال حول " أدب المناقب : المفهوم والجنور" ، مجلة مقاليد، العدد 10، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ، الجزائر 2016م.

8- حسن مرزوقي : الإسلام الطريقي ومستويات التأصيل، مجلة "عمران" للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة فصلية، عدد 2، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أيلول/ سبتمبر. 2012 م.

9 - حكيم الفضيل الإدريسي : التصوف المغربي: التاريخ والخصائص، ندوة علمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسليك، الدار البيضاء، يومية وسط، عدد 2862 سنة 2010. موقع الكتروني في الأنترنت، صحيفة رقمية

متجددة. <http://bayanealyaoume.press>.

10- زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي  
الدمشقي: "لطائف المعارف" الموسوعة الشاملة. دت.ص.68. موقع الكتروني:  
[.islamport.com](http://islamport.com)

11- سعيدوني ناصر الدين: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات  
المغرب العثمانية(الجزائر- تونس - طرابلس الغرب) من القرن العاشر حتى  
القرن الرابع عشر الهجري(من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر  
الميلادي).حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية.حولية فصلية محكمة.مجلس  
النشر العلمي،جامعة الكويت.الحولية الحادية والثلاثون.1431هـ/2010م.

12- عبد الحميد مذكور: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، ص257.  
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، المكتبة الشاملة الحديثة. موقع  
الالكتروني في الأنترنت. <https://almaktaba.org/book/31586/272#p4>

13- عبد العزيز بنعبد الله : مصادر التصوف المغربي: ديوان أصدقاء  
المغرب. موقع الكتروني في الأنترنت .2011.

14- فراد محمد أرزقي : ذرية أحمد بن يوسف الملياني بأزفون، مقال، جريدة  
الشروق اليومي، جوان 2007.

#### سادسا: الأطروحات والرسائل الجامعية:

1- بعارسية صباح: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري /السادس  
عشر الميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث. مخطوط. كلية العلوم الإنسانية  
والاجتماعية. قسم التاريخ، جامعة الجزائر(2005/2006م).

2- سعدي الدراجي: فاعلية السياق وحركية التأويل في مواقف النفري ومخاطباته،  
رسالة دكتوراه، مخطوط جامعة الجزائر 2 يوسف بن خدة، (2014 - 2015 م).

3- قيادي قويدر: كعبة الطائفين لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني ج1، تقديم  
وتحقيق مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان.السنة الجامعية: (2012-2013م).

## سابعا: المعاجم والفهارس والموسوعات:

- 1- ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق المعتزلي: الفهرست، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. د، ت.
- 2- ابن خلّكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608 - 681 هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج3/ دار صادر، بيروت، (د، ت).
- 3- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. ط1، دار الجيل. 1991م.
- 4- ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم. لسان العرب. ط3. ج3. دار صادر، بيروت. 2004. في 18 مجلدا.
- 5- التهانوي محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، ج1، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت. 1996م
- 6- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحسيني : معجم التعريفات ، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي، ط 1، دار الفضيلة، القاهرة 2004 م.
- 7- الحفني عبد المنعم: "الموسوعة الصوفية"، أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، دار الرشد، ط1، القاهرة (1412هـ/1992م)
- 8- الحكيم سعاد: المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة. دندرة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان. (1401 هـ - 1981م).ش.
- 9- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1374م) : سير أعلام النبلاء : تح شعيب الأرنؤوط، وأكرم البوشي، ج14، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت. لبنان. د، ت.
- 10- الريشهري محمد : موسوعة العقائد الإسلامية، ج2، دار الحديث للطباعة والنشر، ط3، قم، إيران. 1387هـ.

- 11- الزبيدي. محمد مرتضى الحسيني الواسطي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر. د.ت، ج17.
- 12- الزركلي، خير الدين: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: ج8، دارالعلم للملادين، ط5، بيروت. لبنان. 1970م.
- 13- الغنيمي عبد الفتاح مقلد : موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج5، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة. 1994م.
- 14- القادري محمد بن الطيب وآخرون: موسوعة أعلام المغرب: تحقيق: محمد حجي، ج1. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت ، لبنان . 1417هـ/ 1996م.
- 15- عباس بن إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام (1875م- 1959م) ط2 ، المطبعة الملكية الرباط ، 1993م.
- 16- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر، ط3، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، 1983م.

### ثامنا:المراجع باللغة الفرنسية :

- 1-ANDRE BLOCH Sidi Ahmed Ben Youcef saint tutelaire de Miliana. - édition de la commune de Miliana.
- BASSET(René) :
- 2- Les Dictons satiriques sur les villes et les tribus d'Algerie attribués à Sidi Ahmed ben Youcef. Journal Asiatique T.XVI.8eme Série,septembre-octobre1980.
- 3-Notes De Lexicographie Berbère journal Asiatique.(Avril-Mai-Juin).Imprimerie National.Paris1883.
- 4-BLANCHOT.M ; "le livre à venir", Paris Gallimard.1959.
- 5-BODIN (Marcel).Notes et questions sur Sidi Ahmed ben Youcef Revue Africaine.Pub.soc.hist.Alger.t.LXVI.n°323.324.2<sup>e</sup>-3<sup>e</sup>tr. 1925.pp.125.189.
- 6-DAUMAS(Eujène)."la Vie Arabe et la Société Musulmane"-Librairie Nouvelle.Paris.1869.
- 7-DERMENGHEME (Emile). "le culte des saints dans l'islam Maghrébin" . Paris 1954.
- 8-DUVERNOIS(Clement). 6YUIO-L'Algérie Pittoresque, Paris 1863.



9-ESTERHAZY(Walsin). -De la Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger. Librairie De Charles Gosselin. Rue Saint-Germain. Paris 1840.

10-FLORIAN.(Pharaon). - "Le marabout SI-AHMED ben Youcef et ses Daaoui. revue de l'orient de L'ALGERIE et des colonies ". T15 Paris. 1854.

11-HOUARI TOUATI.- Approche sémiologique et Historique d'un document Hagiographique .in .Annales Economies. sociétés civilisations.44e année .n.5.1989..

RINN(Louis)

12.-Marabouts et khouans. Etude sur l'islam en Algérie. Alger 1884 .

13-Sidi Ahmed ben Youcef, Patron de Miliana [http ://millianaville.com](http://millianaville.com) ,  
Septembre 2012.

# فہرِسِ المحتویات

# الفهرس:

	إهداء.
	الشكر.
أ - ل	مقدمة.
1	القسم الأول : الدراسة .
2	الباب الأول: أحمد بن يوسف الملياني وكتاب "بستان الأزهار".
3	1- الفصل الأول: عصر أحمد بن يوسف الملياني.
4	• 1.1 المبحث الأول : الحياة السياسية.
14	• 2.1 المبحث الثاني: الحياة الثقافية.
27	• 3.1 المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية .
33	• 4.1 المبحث الرابع : الحياة الدينية.
40	2 - الفصل الثاني: ترجمة أحمد بن يوسف الملياني (الراشدي) .
41	• 1.2 المبحث الأول: مولد أحمد بن يوسف الملياني(الراشدي) .
43	• 2.2 المبحث الثاني: نسبه.
53	• 3.2 المبحث الثالث: تكوينه وسياحاته.
59	• 4.2 المبحث الرابع : زوجاته و أبنائه.
59	1.4.2 ستي بنت عمرو التزاري .
60	2.4.2 كليلة بنت محمد الدرجي.
61	3.4.2 عائشة المدعوة الزغلة.

61	4.4.2 خديجة بنت محمد المريني.
64	• 5.2 المبحث الخامس: هيئة الملياني الخلقية والخلقية.
66	• 6.2 المبحث السادس: شيوخه.
70	1.6.2 الشيخ الزيتوني.
72	2.6.2 محمد بن يوسف السنوسي.
74	3.6.2 أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي عرف بزروق.
79	4.6.2 أحمد بن عقبة الحضرمي.
81	5.6.2 الإمام البخاري .
82	6.6.2 أبو الفضل التونسي.
84	7.6.2 الشيخ الشامي.
85	8.6.2 أبو موسى المصري.
86	• 7.2 المبحث السابع: منهجه الصوفي.
88	• 8.2 المبحث الثامن: سلسلة سند طريقته الصوفية.
98	3- الفصل الثالث: نشاطه العلمي والدعوي وموقفه من قضايا عصره.
99	• 1.3 المبحث الأول: تلامذة الملياني وقرآؤه.
100	1.1.3 أبو عبد الله سيدي محمد الشريف.
101	2.1.3 عبد الرحمان الصباغ القلعي.
101	3.1.3 عبد الحق المطهري.
102	4.1.3 أبو الحسن سيدي علي بن عبد الله الفلالي.

103	5.1.3 محمد العنثري العربي.
104	6.1.3 محمد بن عبد الجبار الفجيجي المسعودي التلمساني.
105	7.1.3 الشيخ عبد الله الخياط.
105	8.1.3 أبو عبد الله محمد بن علي الحاج الشطبي.
107	9.1.3 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني.
108	10.1.3 أحمد بن موسى الجزولي السملالي.
109	11.1.3 أحمد بن العباس البطحي.
110	12.1.3 الشيخ إبراهيم الزواري التونسي.
110	13.1.3 الشيخ أبو المحاسن.
111	• 2.3 المبحث الثاني: المذابيح السبعة.
113	• 3.3 المبحث الثالث: مكانة الشيخ أحمد بن يوسف العلمية وثبوت ولايته.
119	• 4.3 المبحث الرابع: مؤلفاته.
135	• 5.3 المبحث الخامس: نشاطه الدعوي.
141	• 6.3 المبحث السادس: محنته مع ملوك بني زيان.
147	• 7.3 المبحث السابع: علاقته مع الأتراك العثمانيين.
150	• 8.3 المبحث الثامن: وفاته.
155	4- الفصل الرابع: ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي.
156	• 1.4 المبحث الأول: نسبه.
158	• 2.4 المبحث الثاني: مولده.

158	• 3.4 المبحث الثالث: نشأته.
160	• 4.4 المبحث الرابع: حياته العلمية.
163	• 5.4 المبحث الخامس: المناصب التي تولاها الصباغ.
164	• 6.4 المبحث السادس: تدينه ومذهبه.
169	• 7.4 المبحث السابع: شيوخه.
173	• 8.4 المبحث الثامن: آثاره.
174	1.8.4 بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار.
176	2.8.4 شفاء الغليل في شرح النظم الشهير بالمراد.
178	3.8.4 شرح الأجرومية.
182	• 9.4 المبحث التاسع: وفاته.
184	5- الفصل الخامس: الكتاب "بستان الأزهار".
185	• 1.5 المبحث الأول: نسبة الكتاب للمؤف.
186	• 2.5 المبحث الثاني: عنوان الكتاب.
188	• 3.5 المبحث الثالث: تاريخ تأليف الكتاب.
189	• 4.5 المبحث الرابع: دوافع تأليف الكتاب.
189	1.4.5 الدفع الذاتي.
189	2.4.5 الدافع الغيري.
189	3.4.5 الدافع الموضوعي.
190	• 5.5 المبحث الخامس: مضمون الكتاب.
195	• 6.5 المبحث السادس: مصادر الكتاب.
196	1.6.5 مصادر شفوية.

197	2.6.5 مصادر مدونة.
198	3.6.5 مصادر عامة.
199	• 7.5 المبحث السابع: القيمة العلمية للكتاب.
201	• 8.5 المبحث الثامن: منهج الصباغ في تأليف الكتاب.
204	• 9.5 المبحث التاسع: الأسلوب.
207	• 10.5 المبحث العاشر: الاستشهاد.
207	1.10.5 الاستشهاد بالقرآن الكريم.
208	2.10.5 الاستشهاد بالحديث الشريف.
208	3.10.5 الاستشهاد بالشعر.
208	4.10.5 الاستشهاد بأقوال العلماء والفقهاء.
210	- الفصل السادس: وصف النسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق.
212	• 1.6 المبحث الأول: وصف النسخة الأولى (أ) رقم: "1707 a".
215	• 2.6 المبحث الثاني: وصف النسخة الثانية (ب) رقم: "1708".
219	• 3.6 المبحث الثالث: وصف النسخة الثالثة "246 ك" المغربية.
222	• 4.6 المبحث الرابع: وصف النسخة الرابعة "2625د" المغربية.
230	الباب الثاني: " أدب المناقب وخصائصه".
231	الفصل السابع: المناقب ومسألة الأجناس في الثقافة العربية.
232	• 1.7 المبحث الأول: المنقبة كجنس نشأتها وتطورها.
233	1.1.7 دلالة مصطلح الجنس في المعاجم اللغوية العربية.
237	2.1.7 معالم الجنس الأدبي وحدوده في التراث الأدبي العربي.

253	3.1.7. التصوف والمناقب
264	1.3.1.7. تعريف المنقبة
264	1.1.3.1.7. المنقبة لغة
265	2.1.3.1.7. المنقبة اصطلاحا
268	2.3.1.7. تعريف الكرامة
269	1.2.3.1.7. ظروف نشأتها وتطورها
271	• 2.7 المبحث الثاني: منزلة المناقب في حركة التأليف في الثقافة العربية.
271	1.2.7. مرحلة التأليف المنقبي في التراث العربي
286	2.2.7. مرحلة الدراسات
309	<b>الفصل الثامن: طبيعة خطاب المنقبة.</b>
311	• 1.8 المبحث الأول: الإسناد في المنقبة.
311	1.1.8 مفهوم السند لغةً.
312	2.1.8 السند اصطلاحا.
313	3.1.8 السند في الطرق الصوفية .
319	4.1.8 الإسناد في المنقبة.
327	• 2.8 المبحث الثاني: وظائف خطاب المنقبة في المجتمع.
329	1.2.8 الوظيفة الاجتماعية للمناقب.
334	2.2.8 الوظيفة النفسية.
337	3.2.8 الوظيفة السياسية.



341	4.2.8 الوظيفة التتبؤية.
344	5.2.8 الوظيفة الأدبية الجمالية للمنقبة.
360	الخاتمة.
	<b>الجزء الثاني</b>
368	<b>القسم الثاني : الكتاب محققا</b>
369	• الرموز المستعملة في التحقيق وصور المخطوطات
381	خطبة الكتاب.
382	التعريف بالشيخ أحمد بن يوسف.
384	ذكر مناقبه.
384	المنقبة الأولى.
388	المنقبة الثانية.
390	المنقبة الثالثة والرابعة.
391	فصل في ثبوت ولاية الشيخ أحمد بن يوسف.
393	المنقبة الخامسة.
394	المنقبة السادسة.
395	المنقبة السابعة والثامنة.
397	المنقبة التاسعة.
400	المنقبة العاشرة.

401	المنقبة الحادية عشر.
402	المنقبة الثانية عشرة.
403	المنقبة الثالثة عشرة والرابعة عشرة.
404	المنقبة الخامسة عشرة والسادسة عشرة.
405	المنقبة السابعة عشرة والثامنة عشرة.
408	قصيدة محمد العنتري العربي في مدح الشيخ أحمد بن يوسف.
417	قصيدة أحمد بن العباس البطحي في مدح الشيخ أحمد بن يوسف.
423	المنقبة التاسعة عشرة.
425	المنقبة العشرون.
427	المنقبة الواحدة والعشرون.
429	المنقبة الثانية والعشرون.
446	فصل في المحبة.
458	حكاية الملاح بمصر.
459	حكاية الضيفين.
467	المنقبة الرابعة والعشرون.
467	مكاشفة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف للسرقة.
467	المنقبة الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون.
468	المنقبة السابعة والعشرون.

470	المنقبة الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون.
470	المنقبة الثلاثون.
471	المناقب: 34.33.32.31.
472	المنقبة الخامسة والثلاثون.
474	المناقب: 38.37.36.
475	المنقبة التاسعة والثلاثون.
476	فصل: في جواز معرفة الولي أنه ولي.
484	المنقبة الأربعون والواحدة والأربعون.
485	المنقبة الثانية والأربعون والثالثة والأربعون.
488	المنقبة الرابعة والأربعون.
489	المنقبة الخامسة والأربعون.
493	المنقبة السادسة والأربعون والسابعة والأربعون.
494	المنقبة الثامنة والأربعون.
505	المنقبة التاسعة والأربعون والمنقبة الخمسون.
506	المنقبة الواحدة والخمسون.
511	المنقبة الثانية والخمسون.
512	المنقبة الثالثة والخمسون.
519	المنقبة الرابعة والخمسون والخامسة والخمسون.

520	المنقبة السادسة والخمسون.
521	المنقبة السابعة والخمسون.
522	المناقب: 60.59.58
523	المنقبة الواحدة والستون.
526	المنقبة الثانية والستون.
528	فصل في اعتراض الفقهاء على حلقات الذكر في المساجد.
534	فصل في حقيقة الزهد.
538	في صفة نعل الرسول ﷺ.
540	الأكل وآدابه.
557	المنقبة الثالثة والستون.
558	المنقبة الرابعة والستون.
570	علة تسمية والد المؤلف بأبي معزة.
575	فصل في رثاء عبد الحق المطهري شيخه الملياني.
582	فصل في اتصال طريق الشيخ أحمد بن يوسف بطريق أبي الحسن الشاذلي.
584	طريقة الشيخ أحمد بن يوسف.
589	فصل في انكار فقهاء أهل الظاهر علم الباطن.
613	في كرامات الأولياء.
649	فصل في التعريف بنسب القطب الغوث عبد القادر الجيلاني.

662	تشكل الأرواح.
663	أفضل أوقات الدعاء.
664	فصل في مناقب الشيخ أحمد بن يوسف.
668	القول في نطق العجموات للأولياء.
680	الصبيبة السبعة المتكلمون في المهدي.
686	فصل في بعض كلام الشيخ أحمد بن يوسف.
687	أقسام الوجد.
687	أقسام الشرك.
688	أقسام الهمم.
688	مكانة المعرفة.
689	أقسام الذكر وأقسام الغفلة.
691	أقسام الصلاة.
691	النفس والشيطان والهوى كلاب الله.
692	أقسام الطهارة.
698	دواء النفس.
693	أقسام العقل.
694	أسئلة أجاب عنها الجزولي.
695	مصادر العلم.

698	أقسام العلم وأقسام العمى.
698	أقسام العوالم.
699	حقيقة الجذب.
701	رسالة إلى صديق.
703	حكم السبحة.
705	ضرورة الذكر وفائدته.
706	رأي الشيخ أحمد بن يوسف في قول الشيخ عبد القادر الجيلي.
707	تعليق على قوله تعالى «مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي» .
707	نصيحة الشيخ أحمد بن يوسف لأصحابه.
709	كتابه لأمير فاس.
717	أقسام العوالم (2).
721	رد على رسائل موسى بن منصور البلاداوي.
727	حجية الذكر من الكتاب والسنة.
729	رسالة من الشيخ أحمد بن يوسف تتضمن وصايا
730	معالم الطريق إلى الله
730	شأن السالكين
731	توجيهات صوفية
732	حكاية في المعنى

734	السّير إلى الحق
734	توجيهات صوفية (2)
735	قول في الاستسلام المطلق للحق
737	فصل في الفتوة
738	مفهوم التوحيد
740	خصال الكلب
740	خوف وخفاء
756	أقوال سهل بن عبد الله
762	حكاية من الشطنوفي رحمه الله
768	وصية علي بن أبي طالب ﷺ لكميل ﷺ
770	النهي عن الارتياح في كرامات الأولياء
772	الدال على الله.
772	مقام الأولياء وهمتهم.
773	حيرة رجال.
774	الرشح من زق النبوة.
774	اجتماع الذاكرين.
775	زيارة الجنّ للشيخ أحمد بن يوسف.
782	أقوال بعض الصوفية

793	التحذير من الشيطان
798	فضل الصلاة
805	آداب الصلاة
809	في الخلوة وشروطها
812	فضيلة الذكر بـ "لا إله إلا الله"
821	أفضلية الرسول ﷺ على سائر الأنبياء والرسل
823	أفضلية أمة سيدنا محمد ﷺ على سائر الأمم
826	معجزة الإسراء
834	فصل في تلامذته الأخيار السادات الأبرار
834	مناقب أبي عبد الله محمد الشريف
837	مناقب قضيب البان
843	مناقب محمد الهواري
844	حكاية في المعنى
851	مناقب أبي الحسن علي بن عبد الله الفلالي
854	مناقب محمد العنتري العربي
856	مناقب بقية تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف



# فهارس الكتاب

899	فهرس الآيات القرآنية الواردة في المتن
906	فهرس الأحاديث الواردة في المتن
915	فهرس القوافي
920	فهرس الأعلام المذكورين في المتن
940	فهرس الأماكن والبلدان
948	فهرس الكتب الواردة في المخطوط وأسماء مؤلفيها
950	فهرس المصادر
976	فهرس المحتويات

integrating Sufi hagiography and gifts saints in the literary field given the characteristic signs of literary discourse to which they respond in the first place, where imagination, rhythm, fantasy and miracle interspersed.

First, hagiography was defined linguistically and conceptually, specifying what distinguishes it from Sufi gifts. We have followed the different stages of its development and evolution within the framework of Arab culture.

We have established the distinction between two different stages, the first of which is characterized by the appearance of hagiography and its evolution between two periods. The first is characterized by the appearance of works and corpuses whose lifespan extends from the end of the 2nd century of the Hegira and the beginning of the 3rd century to the 19th century and the beginning of the 20th century and more precisely, the book of Youcef Enabhani's gathering of the gifts of the saints, and considers as the last of the edited corpus.

The second era is characterized as being the one in which studies and researches concerning hagiography and the Sufis appeared.

A group of contemporary Arab critics have worked to highlight their work and therefore what characterized the research results.

The second chapter was devoted to the nature of the hagiographic discourse in which we treated the different aspects of the transmissions of the hagiography on which Essebegh based his transcriptions and his stories.

We have also defined the concept of transmission in the hadith of the prophet, in the Sufi ways, hagiography and gifts.

The second part will concern the functions of hagiography in society, while highlighting the place of the saint and his ability to transgress the limits of the forbidden and go beyond the rational, the same for the literary function of the hagiography that arises by overcoming contradictory worlds and the receiver's participation in the text.

The existence of the fantastic in the text creates an automatic dynamic as well as the ability to shock the receiver or sender and destabilize him.

In addition to these two functions, we were interested in the cognitive function in hagiographic texts since the content of most of these constitutes where a measuring instrument used to question and examine the capacity of the addressee's ability to assimilate what the hagiography conveys in terms of dimensions, symbols and signs.

preaching and his ideas to the disciples, and to his masters in their journey in the Tarika, in which we have translated a significant number within the limits of my efforts and the availability of books.

We devoted the third chapter to his scientific rank and his political role in the 10th century. We focused on the disciples of cheikh El Miliani and his relationship with them, and his method of asserting and dismantling his superiority by compared to its competitors, enemies of the saints and theologians of that time and their submission to the cheikh.

The exploration of his heritage allowed me to learn about his important works: books and correspondence as well as all that he left as a great spiritual influence which cost him the deterioration of relations with the Emirs of Beni Ziane, consequence of his recognition and his collaboration with the Ottoman authority with the aim of driving out Spanish colonialism and bringing down the governments of the Emirs of Beni Ziane who had forged alliances with the enemy.

The fourth chapter refers to the interpretation of the book by author MB Ahmed Ben Ali Essebegh El Koli. We have approached his descendants, his birth, his life and reviewed the most important stops that marked his scientific life. We followed the different stages of his evolution on the social scale until he took office as magistrate of the citadel of Beni Rached and his integration as a teacher and author of many works in the scientific domain.

In the fifth chapter we tried to prove that the author of the book was Essebegh dwelling on its title and the reasons that motivated the history of his writings, their scientific content and value, taking into account his method and the style that distinguishes it with the different arguments justifying the contents.

In the sixth chapter, we described the manuscripts on which the textual genetics of each copy are based.

In the second part of our research thesis composed of two chapters, it is a question of hagiography and the question of genres in Arab culture by defining the concept of literary genre and its limits. We have examined on this subject the opinions of Western critics and their point of view about the concept of genre as well as the contribution of Arabs in the ancient, contemporary and modern critical field.

We started looking for hagiography in the geography of Arab literary genres, we found the non-existence in the ancient critical heritage of the integration of hagiography within literary genres.

The lack of attention of Arab critics in hagiography continued until the end of the twentieth century and the beginning of the following century. Since

Sufi hagiography and gifts aroused interest to become the focus of a large number of contemporary critical studies and ended in many contemporary critics

The problem of our research study represented through all these questions tends towards answers in order to highlight and reveal all the ambiguity on the biography of Essabegh and all that wants to be passed over in silence.

Indeed, our research plan consists of two parts. One of which will cover its chapters as follows:

The first chapter deals with the political life lived by the central Maghreb during the decline of Andalusia and the alliance of the Spanish occupation of the coastal cities of the greater Maghreb and the establishment of the Ottoman era in Algeria solicited by the Algerians of the power of the central authority in order to fight against Spain.

We will also highlight the reality of cultural life in Algeria during the 10th Century of the Hegira and what had characterized the deterioration of the situation following the destruction and vandalism to which cultural centers had been subjected, following the inability of the Zianids and Hafsids to defend the territorial integrity of the two dynasties and their failure to deal with the attack on the coastal cities by the Spanish and the Portuguese in the face of this situation. Popular Sufism has spread widely as ever and has become an attention-grabbing phenomenon and has therefore been characterized by the decadence of the intellectual level so that beliefs have pushed followers to honor saints and dispose of beings.

\_We have also dealt with aspects of social life at the end of the 9th Century and the beginning of the 10th Century, where the era was characterized by the integration of the Andalusian community into the local population of Algeria, which led to the development of commercial, industrial and craft activity in all its aspects through crafts and the arts brought back by Andalusian migrants taking part in the economic and social development of the country.

We have also highlighted what characterized the religious life of that time by religiosity and the predominance of the Sufi spirit over the scientific and social life and its appearance through types of works that reflected this orientation since the efforts of scholars and those of the pious have been limited mainly in the production of a large number of books and theses as well as institutions which are hardly empty of Sufi ideas.

In the second chapter, it will be a question of making known the life of Saint A.B.Y.M and the stages he went through as a disciple within the institutions of education in the region where he was born, the fortress of Beni Rached, her trip to Tlemcen as a student and to Bougie as a disciple of cheikh Ahmed Zarouk who led her on the path of Sufism within the framework of the dogmas of Chadhlism.

We also looked at his presidency at the head of the brotherhood he installed in the Ras Elma locality from the beginning of the dissemination of his

## Abstract

Echeikh Ahmed Ben Youcef El Miliani Rachidi is considered to be one of the illustrious Sufi figures of his time and one of the most influential for his method of preaching as well as his strong personality.

Many of his contemporaries recognize in his works, his writings and his historical positions, his spiritual holiness and his scientific notoriety.

El Miliani Rachidi is known as being of the Tarika Zaroukia from the beginning of his membership in Sufism. However, he stands out from the Tarika of his master Zarouk and creates a new Sufi Tarika to which he gives his name and has been recognized as El Youssoufia.

But, this Tarika was only the reflection of the environment and the method of the Tarika of Ahmed Zarouk and is found to be only the extension of the Tarika Chadhliya diffused in the Islamic Maghreb at that time.

This is how the personality of Ahmed Ben Youssef El Miliani appears as being an extension of the method of preaching of the Bougie school of Sufism which had as its vector El Cheikh Ahmed Zerouk El Bernoussi in the 9th century of the Hegira whose the influence extended into the 10th century, at the head of which was El Miliani as one of the disciples who received permission from his master Zerouk before his death at Bougie.

The dogmas of both Tarika Zaroukia and Youssoufia are illustrated through the defense of the origins and principles of Islamic belief in Algeria and the fight against the false beliefs and heresies, superstitions which have especially spread dangerously in the central Maghreb, or the true belief has almost been superseded.

Our study served as a basis for raising a number of questions, including:

\_ To what extent did Ahmed Ben Youcef El Miliani play a role in the stability of the situation in the country through the dissemination of his ideas and the transmission of his method of preaching?

\_What was the nature of the relationship he had with the Beni Ziane dynasty?

\_Why did the Ottomans have recourse to the Sufis in general and to Ahmed Ben Youcef in particular?

\_What status did A.B.Y.M have with the Aroudj and Kheireddine brothers?

\_The work of the author Essabegh on his master, can it be considered as a sufficient source relating the different stages of the life of A.B.Y.M?, or did he treat some of the aspects of his life or knowingly left others in silence?

\_ To what extent, the speech of A.B.Y.M can be a powerful magic tool used to influence the sympathizers of the saint, to dominate and to direct them towards what can help to consolidate the strategy of the brotherhood and ensure its durability.

Peoples Democratic Republic of Algeria  
Ministry of Higher Education and Scientific Research

---

Abou Al-Qassim Saad Allah university - Alger 2  
Faculty of letters and Oriental Languages  
Departement of Arabic

**BOUSTAN AL-AZHAR**

**FI MANAKIB ZAMZAM AL-AKHIYAR WA MAADIN AL ANWAR**

**Sidi Ahmed Ben Youcef Al-Rashidi Al-Nassab wa Al-Dar**

**For Abou Abde-Allah Mohamed Ben Mohamed Ben Ali Al-Sabagh Al-Qal'ai (990 Hegiri)**

**A Thesis for a doctorate in Arabic language and literature**  
**Specialization: Popular literature**

**-Prepared by :**

Medjedoubi Atmane

**-Framed by :**

The professor Abdelhamid Bourayou

**Academic Year: 2022/2023**

